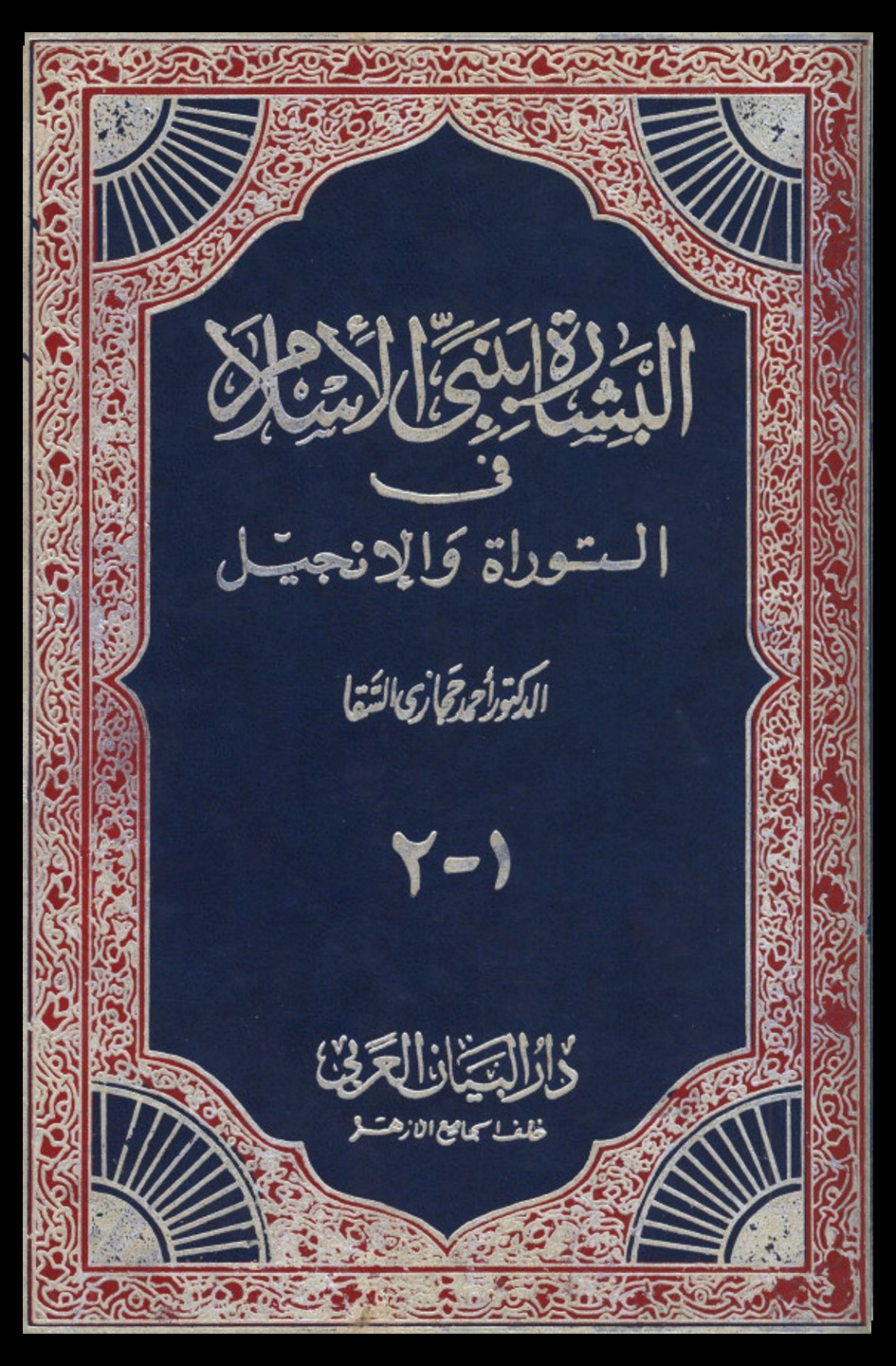

البشارة بنبي الإسلام
في
التوراة والإنجيل
الدكتور أحمد حجازي السقا
١-٢
دار البيان العربي
خلف الجامع الأزهر

البشارة بنبي الإسلام
في
التوراة والإنجيل

تأليف

الدكتور أحمد حجازي السقا
الأستاذ المساعد في كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود بالرياض

جزءان في مجلد واحد

ملتزم الطبع والنشر
دار البيان العربي بمصر
درب الأتراك ـ خلف جامع الأزهر

بسم الله الرحمن الرحيم

ملاحظـــة :

طبعة مصر سنة ١٩٧٧ م
مطبعة دار التضامن بلاظوغلى
رقم الايداع ٧٨٤٥ / ١٩٨٥

كلمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين ، سيدنا محمد رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد

يسعدنى أن أقدم للقارىء هذا الكتاب . ألا وهو كتاب : « البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل » .

ذلك الموضوع القيم ، الجديد . الذى أثار جدلا طويلا عبر السنين الماضية .

أقدم هذا الكتاب لطالب الحقيقة .

أيا كانت عقيدته . **لنقطع الشك باليقين** ، ونصل معا الى شاطىء الايمان الثابت المؤكد . الذى يؤدى بنا الى طريق النجاة .

وقد حرصت كما حرص المؤلف على توثيق هذا الكتاب بصور من آيات التوراة والانجيل المكتوبة بلغات مختلفة ، ومنها العبرانية والانجليزية والعربية . وعلى تحقيق الكلمة « فيراقليط » فى أصلها اليونانى وقد ذكر المؤلف ترجمتها بلغات مختلفة . متحملا فى ذلك كل جهد ومشقة .

وانا اقدم هذا الكتاب الى القراء • مسلمين وغير مسلمين •

وأؤمن بلا عصبية حمقاء، أن اسلامنا وعقيدتنا بنبوة محمد عليه الصلاة والسلام الذى أخبر عنه موسى فى التوراة ، وبشر به عيسى فى الانجيل ، عقيدة صحيحة كاملة •

ولهذا فنحن مكلفون بدعوة الناس كافة ، بالحكمة والموعظة الحسنة الى اتباع هذه العقيدة •

وانى لسعيد كل السعادة بنشر هذا الكتاب • وانه لشرف لى •

وأتقرب بـه الى الله سبحانه وتعالى راجيا أن يكون فى ميزان حسناتى « يوم لاينفع مال ولا بنون • الا من أتى الله بقلب سليم » •

عبد البديع عبد المنعم فوده



« البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل »

رسالة دكتوراه من كلية أصول الدين جامعة الازهر باشراف الاستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبه عميد كلية أصول الدين فى أسيوط .

وتمت مناقشـــتها فى قاعة الشيخ « محمد عبده » من الأساتذة المشـــايخ :

١ ــ الدكتور عوض الله حجازى

٢ ــ الدكتور عبد الغنى الراجحى

٣ ــ الدكتور محمد محمد أبو شهبه

فى ١٩٧٧/٩/٢٤م

البشارة بنبي الإسلام

في التوراة والإنجيل

الجزء الأول

اختصار أسماء أسفار : التوراة والانجيل

ما قبل النقطتين رقم الاصحاح أو الفصل . وما بعد النقطتين رقم الفقرة أو الآية .

تك : مقطوعة من تكوين
خر : " خروج
لا : " لاويين
عد : " عدد
تث : " تثنية

ام : " امثال
جا : " جامعة
نش : " نشيد الانشاد
اش : " اشعياء

***

يش : " يشوع
قض : " قضاة
را : " راعوث

ار : " ارمياء
مرا : " مراثى ارمياء
حز : " حزقيال

***

١ صم : " صموئيل الأول
٢ صم : " صموئيل الثانى
١ مل : " الملوك الأول
٢ مل : " الملوك الثانى
١ اى : " اخبار الأيام الاول
٢ اى : " اخبار الأيام الثانى
عز : " عزرا
نح : " نحميا
اس : " استير
اى : " ايوب

دا : " دانيال
هو : " هوشع
يؤ : " يوئيل
عا : " عاموس
عو : " عوبيديا
يون : " مقطوعة من يونان
مى : " ميخا
نا : " ناحوم
حب : " حبقوق

مز : ،، مزامير — صف : ،، صفنيا
حج : ،، حجى — حك : ،، الحكمة
زك : ،، زكريا — سي : ،، يشوع بن سيراخ
ملا : ،، ملاخى — با : ،، باروخ
طو : ،، طوبيا — ١ مك : ،، المكابيين الأول
يه : ،، يهوديت — ٢ مك : ،، المكابيين الثانى

***

مت : ،، متى — ٢ تس : ،، تسالونيكى الثانية
مر : ،، مرقس — ١ تى : ،، تيموثاوس الأولى
لـو : ،، لوقا — ٢ تى : ،، تيموثاوس الثانية
يـو : ،، يوحنا — تى : ،، تيطس
بـر : ،، برنابا — فل : ،، فليمون

***

اع : ،، أعمال — عب : ،، عبرانيين
رو : ،، رومية — يع : ،، يعقوب
١ كو : ،، كورنثوس الأولى — ١ بط : ،، بطرس الأولى
٢ كو : ،، كورنثوس الثانية — ٢ بط : ،، بطرس الثانية
غل : ،، غلاطية — ١ يو : ،، يوحنا الأولى
اف : ،، افسس — ٢ يو : ،، يوحنا الثانى
فى : ،، فيلبى — ٣ يو : ،، يوحنا الثالثة
كو : ،، كولوسى — يه : ،، يهوذا
١ تس : ،، تسالونيكى الأولى — رؤ : ،، رؤيا يوحنا اللاهوتى

النصـــوص

نبيّ الإسلام في التوراة

بركة إسماعيل

وأمّا إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا. اثني عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة.

וַיֹּאמֶר אַבְרָהָם
Abraham and-he-said

אֶל־הָאֱלֹהִים לוּ יִשְׁמָעֵאל יִחְיֶה לְפָנֶיךָ׃ וַיֹּאמֶר אֱלֹהִים אֲבָל
you-but God then-he-said (19) before-you he-might-live Ishmael if-only the-God to

שָׂרָה אִשְׁתְּךָ יֹלֶדֶת לְךָ בֵּן וְקָרָאתָ אֶת־שְׁמוֹ יִצְחָק
Isaac name-of-him *** and-you-will-call son for-you bearing wife-of-you Sarah

וַהֲקִמֹתִי אֶת־בְּרִיתִי אִתּוֹ לִבְרִית עוֹלָם
everlasting as-covenant-of with-him covenant-of-me *** and-I-will-establish

לְזַרְעוֹ אַחֲרָיו׃ וּלְיִשְׁמָעֵאל שְׁמַעְתִּיךָ הִנֵּה
see! I-heard-you and-for-Ishmael (20) after-him for-descendant-of-him

בֵּרַכְתִּי אֹתוֹ וְהִפְרֵיתִי אֹתוֹ וְהִרְבֵּיתִי אֹתוֹ בִּמְאֹד
greatly him and-I-will-increase him and-I-will-make-fruitful him I-will-bless

מְאֹד שְׁנֵים־עָשָׂר נְשִׂיאִם יוֹלִיד וּנְתַתִּיו לְגוֹי גָּדוֹל׃
great into-nation and-I-will-make-him he-will-father rulers ten two greatly

וְאֶת־בְּרִיתִי אָקִים אֶת־יִצְחָק אֲשֶׁר תֵּלֵד לְךָ
to-you she-will-bear whom Isaac with I-will-establish covenant-of-me but (21)

שָׂרָה לַמּוֹעֵד הַזֶּה בַּשָּׁנָה הָאַחֶרֶת׃
the-next in-the-year the-this by-the-time Sarah

١١ وَقَالَ لَهَا مَلَاكُ ٱلرَّبِّ تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ نَسْلَكِ فَلَا يُعَدُّ مِنَ ٱلْكَثْرَةِ. ١١ وَقَالَ لَهَا مَلَاكُ ٱلرَّبِّ هَا أَنْتِ حُبْلَى فَتَلِدِينَ ٱبْنًا. وَتَدْعِينَ ٱسْمَهُ إِسْمَعِيلَ لِأَنَّ ٱلرَّبَّ قَدْ سَمِعَ لِمَذَلَّتِكِ. ١٢ وَإِنَّهُ يَكُونُ إِنْسَانًا وَحْشِيًّا. يَدُهُ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ وَيَدُ كُلِّ وَاحِدٍ عَلَيْهِ

וְיֹלַדְתְּ בֵּן וְקָרָאת שְׁמוֹ יִשְׁמָעֵאל כִּי־ שָׁמַע

he-heard for Ishmael name-of-him and-you-shall-call son and-you-will-have

יְהוָה אֶל־ עָנְיֵךְ׃ וְהוּא יִהְיֶה פֶּרֶא אָדָם יָדוֹ

hand-of-him man wild-donkey-of he-will-be and-he (12) misery-of-you to Yahweh

בַכֹּל וְיַד כֹּל בּוֹ וְעַל־ פְּנֵי

faces-of and-against against-him everyone and-hand-of against-everyone

כָל־ אֶחָיו יִשְׁכֹּן׃

he-will-live brothers-of-him all-of

شِيلُونُ

١٠ لَا يَزُولُ قَضِيبٌ مِنْ يَهُوذَا وَمُشْتَرِعٌ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَ شِيلُونُ وَلَهُ يَكُونُ خُضُوعُ شُعُوبٍ. ١١ رَابِطًا بِٱلْكَرْمَةِ جَحْشَهُ وَبِٱلْجَفْنَةِ ٱبْنَ أَتَانِهِ غَسَلَ بِٱلْخَمْرِ لِبَاسَهُ وَبِدَمِ ٱلْعِنَبِ ثَوْبَهُ. ١٢ مُسْوَدُّ ٱلْعَيْنَيْنِ مِنَ ٱلْخَمْرِ وَمُبْيَضُّ ٱلْأَسْنَانِ مِنَ ٱللَّبَنِ.

לֹא־

not (10)

יָסוּר שֵׁבֶט מִיהוּדָה וּמְחֹקֵק מִבֵּין רַגְלָיו

feet-of-him from-between nor-ruling-staff from-Judah scepter he-will-depart

עַד כִּי־ יָבֹא שִׁילֹה וְלוֹ יִקְּהַת עַמִּים׃

peoples obedience-of and-to-him whose-he he-comes when until

אֹסְרִי לַגֶּפֶן עִירֹה וְלַשֹּׂרֵקָה בְּנִי

colt-of and-to-choicest-branch donkey-of-him to-the-vine tethering-of (11)

אֲתֹנוֹ כִּבֵּס בַּיַּיִן לְבֻשׁוֹ וּבְדַם־ עֲנָבִים

grapes and-in-blood-of garment-of-him in-the-wine he-will-wash donkey-of-him

סוּתֹה׃ חַכְלִילִי עֵינַיִם מִיָּיִן וּלְבֶן־ שִׁנַּיִם מֵחָלָב׃

than-milk teeth and-whiter than-wine eyes darker (12) robe-of-him

النبي الأمي

(١٠) لا يوجد فيكم من يجيز ابنه أو ابنته في النار ولا من يتعاطى عرافة ولا مشعبذ ولا متفائل ولا ساحر (١١) ولا من يرقي رقية ولا من يسأل جانًّا أو تابعة ولا من يستشير الموتى (١٢) لأن كل من يصنع ذلك ممقوت عند الرب ولأجل تلك الرجاسات سيطرد الرب إلهك أولئك من وجهك (١٣) بل كن كاملًا لدى الرب إلهك (١٤) لأن أولئك الأمم الذين أنت طاردهم يسمعون للمشعبذين والعرافين وأما أنت فلم يجز لك الرب إلهك مثل ذلك. (١٥) يقيم لك الرب إلهك نبيًّا من بينكم من إخوتك مثلي له تسمعون. (١٦) جريًا على كل ما سألته الرب إلهك في حوريب في يوم الاجتماع قائلًا لا عدت أسمع صوت الرب إلهي ولا أرى هذه النار العظيمة أيضًا لئلا أموت. (١٧) فقال لي الرب قد أحسنوا فيما قالوا. (١٨) أقيم لهم نبيًّا من بين إخوتهم مثلك وألقي كلامي في فيه فيخاطبهم بجميع ما آمره به (١٩) وأي إنسان لم يطع كلامي الذي يتكلم به باسمي فإني أحاسبه عليه. (٢٠) وأي نبي تجبّر فقال باسمي قولًا لم آمره أن يقوله أو تنبأ باسم آلهة أخر فليقتل ذلك النبي. (٢١) فإن قلت في نفسك كيف يعرف القول الذي لم يقله الرب. (٢٢) فإن تكلم النبي باسم الرب ولم يتم كلامه ولم يقع فذلك الكلام لم يتكلم به الرب بل بتجبره تكلم به النبي فلا تخافوه

النص العبرى من الاية ١٥ الى الاية ٢٢ هو :

נביא
prophet (15

מקרבך מאחיך כמני יקים לך יהוה
Yahweh for-you he-will-raise-up like-me from-brothers-of-you from-among-you

אלהיך אליו תשמעון: ככל אשר שאלת מעם
from-with you-asked that as-all (16) you-must-listen to-him God-of-you

יהוה אלהיך בחרב ביום הקהל לאמר לא אסף
let-me-continue not to-say the-assembly on-day-of at-Horeb God-of-you Yahweh

לשמע את־קול יהוה אלהי ואת־האש הגדלה הזאת לא־
not the-this the-great the-fire and God-of-me Yahweh voice-of *** to-hear

אראה עוד ולא אמות: ויאמר יהוה אלי היטיבו
they-are-good to-me Yahweh and-he-said (17) I-die so-not anymore let-me-see

אשר דברו: נביא אקים להם מקרב אחיהם
brothers-of-them from-among from-them I-will-raise prophet (18) they-say what

כמוך ונתתי דברי בפיו ודבר אליהם
to-them and-he-will-tell in-mouth-of-him words-of-me and-I-will-put like-you

את כל־אשר אצונו: והיה האיש אשר לא־ישמע
he-listens not who the-man and-he-will-be (19) I-command-him that all ***

אל־דברי אשר ידבר בשמי אנכי אדרש
I-will-call-account I in-name-of-me he-speaks that words-of-me to

מעמו: אך הנביא אשר יזיד לדבר דבר בשמי
in-name-of-me word to-speak he-presumes who the-prophet but (20) from-with-him

את אשר לא־צויתיו לדבר ואשר ידבר בשם אלהים
gods in-name-of he-speaks or-who to-say I-commanded-him not that ***

אחרים ומת הנביא ההוא: וכי תאמר
ou-may-say but-now (21) the-that the-prophet then-he-must-die other-ones

בלבבך איכה נדע את־הדבר אשר לא־דברו
e-speak-him not when the-message *** can-we-know how? in-heart-of-you

יהוה: אשר ידבר הנביא בשם יהוה ולא־
and-not Yahweh in-name-of the-prophet he-proclaims when (22) Yahweh

יהיה הדבר ולא יבוא הוא הדבר אשר לא
ot then the-thing that he-comes-true or-not the-thing he-takes-place

דברו יהוה בזדון דברו הנביא לא תגור
ou-be-afraid not the-prophet to-speak-him in-presumption Yahweh to-speak-him

ממנו:
of-him

(١٠) ولم يقم من بعد نبي في إسرائيل كموسى الذي عرفه الرب وجها إلى وجه (١١) في جميع الآيات والمعجزات التي بعثه الرب ليصنعها في أرض مصر بفرعون وجميع عبيده وجميع أرضه. (١٢) وفي كل يد قديرة وكل مخافة عظيمة صنعها موسى على عيون جميع بني إسرائيل

(١٩) فرأى الرب وأغتاظ لما أغضبه بنوه وبناته (٢٠) فقال أحجب وجهي عنهم وأرى ماذا تكون آخرتهم لأنهم جيل متقلب بنون لا أمانة فيهم. (٢١) هم أغاروني بمن ليس إلها وأغضبوني بأباطيلهم وأنا أغيرهم بمن ليسوا شعبا بقوم أغبياء أغضبهم.

(٢٢)

(19) וַיַּרְא (and-he-saw) יְהוָה (Yahweh)

וַיִּנְאָץ (and-he-rejected) מִכַּעַס (because-of-anger-of) בָּנָיו (sons-of-him) וּבְנֹתָיו׃ (and-daughters-of-him)

(20) וַיֹּאמֶר (and-he-said) אַסְתִּירָה (I-will-hide) פָנַי (faces-of-me) מֵהֶם (from-them) אֶרְאֶה (I-will-see) מָה (what)

אַחֲרִיתָם (end-of-them) כִּי (for) דוֹר (generation-of) תַּהְפֻּכֹת (perverse-ones) הֵמָּה (they) בָּנִים (children) לֹא־ (not) אֵמֻן (faithful)

בָּם׃ (among-them) (21) הֵם (they) קִנְאוּנִי (they-made-jealous-me) בְלֹא־ (by-not) אֵל (god) כִּעֲסוּנִי (they-angered-me)

בְּהַבְלֵיהֶם (with-worthless-idols-of-them) וַאֲנִי (so-I) אַקְנִיאֵם (I-will-make-jealous-them) בְּלֹא־ (by-not) עָם (people)

בְּגוֹי (by-nation) נָבָל (foolish) אַכְעִיסֵם׃ (I-will-anger-them)

البركات الثلاث

الفصل الثالث والثلاثون

(١) وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته (٢) فقال. أقبل الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتجلى من جبل فاران وأتى من ربى القدس وعن يمينه قبس شريعة لهم. (٣) إنه أحب الشعب. جميع قديسيه في يدك وهم ساجدون عند قدمك يقتبسون من كلماتك. (٤) أمرنا موسى بالتوراة ميراثا لجماعة يعقوب.

וְזֹאת הַבְּרָכָה אֲשֶׁר בֵּרַךְ מֹשֶׁה אִישׁ
man-of Moses he-pronounced that the-blessing and-this

הָאֱלֹהִים אֶת־ בְּנֵי יִשְׂרָאֵל לִפְנֵי מוֹתוֹ׃ וַיֹּאמַר יְהוָה
Yahweh and-he-said (2) death-of-him before Israel sons-of *** the-God

מִסִּינַי בָּא וְזָרַח מִשֵּׂעִיר לָמוֹ הוֹפִיעַ מֵהַר
from-Mount-of he-shone over-them from-Seir and-he-dawned he-came from-Sinai

פָּארָן וְאָתָה מֵרִבְבֹת קֹדֶשׁ מִימִינוֹ אֶשְׁדָּת
*mountain-slope from-south-of-him holy-one with-myriads-of and-he-came Paran

לָמוֹ׃ אַף חֹבֵב עַמִּים כָּל־ קְדֹשָׁיו בְּיָדֶךָ
in-hand-of-you holy-ones-of-him all-of peoples one-loving surely (3) to-them

וְהֵם תֻּכּוּ לְרַגְלֶךָ יִשָּׂא מִדַּבְּרֹתֶיךָ׃
from-instructions-of-you he-receives at-foot-of-you they-bow and-they

תּוֹרָה צִוָּה־ לָנוּ מֹשֶׁה מוֹרָשָׁה קְהִלַּת יַעֲקֹב׃
Jacob assembly-of possession Moses to-us he-gave law (4)

تغيير الطبلة

[٢٢] فقال الرب لموسى هكذا تقول لبني إسرائيل. أنتم رأيتم أنني من السماء تكلمت معكم. [٢٣] لا تصنعوا معي آلهة فضة ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب. [٢٤] مذبحا من تراب تصنع لي وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك غنمك وبقرك. في كل الأماكن التي فيها أصنع لاسمي ذكرا آتي إليك وأباركك. [٢٥] وإن صنعت لي مذبحا من حجارة فلا تبنه منها منحوتة. إذا رفعت عليها إزميلك تدنسها. [٢٦] ولا تصعد بدرج إلى مذبحي كيلا تنكشف عورتك عليه.

[١٩] قالت له المرأة يا سيد أرى أنك نبي. [٢٠] آباؤنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إن في أورشليم الموضع الذي ينبغي أن يسجد فيه. [٢١] قال لها يسوع يا امرأة صدقيني إنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون للآب. [٢٢] أنتم تسجدون لما لستم تعلمون. أما نحن فنسجد لما نعلم. لأن الخلاص هو من اليهود. [٢٣] ولكن تأتي ساعة وهي الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق. لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له. [٢٤] الله روح. والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغي أن يسجدوا. [٢٥] قالت له المرأة أنا أعلم أن مسيا الذي يقال له المسيح يأتي. فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء.

المَسِيّا المنتظر

٣٤ أمّا الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معاً. ٣٥ وسأله واحد منهم وهو ناموسي ليجربه قائلاً ٣٦ يا معلم أية وصية هي العظمى في الناموس. ٣٧ فقال له يسوع تحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك. ٣٨ هذه هي الوصية الأولى والعظمى. ٣٩ والثانية مثلها. تحب قريبك كنفسك. ٤٠ بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء.

٤١ وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع ٤٢ قائلاً ماذا تظنون في المسيح. ابن من هو. قالوا له ابن داود. ٤٣ قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح رباً قائلاً ٤٤ قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئاً لقدميك. ٤٥ فإن كان داود يدعوه رباً فكيف يكون ابنه. ٤٦ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة

الأصحاح الثالث والعشرون

١ حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه ٢ قائلاً. على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون. ٣ فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه. ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون. ٤ فإنهم يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم. ٥ وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس. فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم. ٦ ويحبون المتكأ الأول في الولائم والمجالس الأولى في المجامع. ٧ والتحيات في الأسواق وأن يدعوهم الناس سيدي سيدي. ٨ وأما أنتم فلا تدعوا سيدي لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة. ٩ ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذي في السموات. ١٠ ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد المسيح. ١١ وأكبركم يكون خادماً لكم. ١٢ فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع

نبي الإسلام في الإنجيل

المسيح عيسى بن مريم
حياته ودعوته

[١٧] مِنْ ذٰلِكَ ٱلزَّمَانِ ٱبْتَدَأَ يَسُوعُ يَكْرِزُ وَيَقُولُ تُوبُوا لِأَنَّهُ قَدِ ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمٰوَاتِ.

[١٨] وَإِذْ كَانَ يَسُوعُ مَاشِيًا عِنْدَ بَحْرِ ٱلْجَلِيلِ أَبْصَرَ أَخَوَيْنِ سِمْعَانَ ٱلَّذِي يُقَالُ لَهُ بُطْرُسُ وَأَنْدَرَاوُسَ أَخَاهُ يُلْقِيَانِ شَبَكَةً فِي ٱلْبَحْرِ فَإِنَّهُمَا كَانَا صَيَّادَيْنِ. [١٩] فَقَالَ لَهُمَا هَلُمَّ وَرَائِي فَأَجْعَلُكُمَا صَيَّادَيِ ٱلنَّاسِ. [٢٠] فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا ٱلشِّبَاكَ وَتَبِعَاهُ. [٢١] ثُمَّ ٱجْتَازَ مِنْ هُنَاكَ فَرَأَى أَخَوَيْنِ آخَرَيْنِ يَعْقُوبَ بْنَ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخَاهُ فِي ٱلسَّفِينَةِ مَعَ زَبْدِي أَبِيهِمَا يُصْلِحَانِ شِبَاكَهُمَا فَدَعَاهُمَا. [٢٢] فَلِلْوَقْتِ تَرَكَا ٱلسَّفِينَةَ وَأَبَاهُمَا وَتَبِعَاهُ

[٢٣] وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ ٱلْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ ٱلْمَلَكُوتِ وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ فِي ٱلشَّعْبِ.

ملكوت السموات

٣٤ أَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ كُنْتَ تَنْظُرُ وَإِذَا بِتِمْثَالٍ عَظِيمٍ. هٰذَا ٱلتِّمْثَالُ ٱلْعَظِيمُ ٱلْبَهِيُّ جِدًّا وَقَفَ قُبَالَتَكَ وَمَنْظَرُهُ هَائِلٌ. ٣٢ رَأْسُ هٰذَا ٱلتِّمْثَالِ مِنْ ذَهَبٍ جَيِّدٍ. صَدْرُهُ وَذِرَاعَاهُ مِنْ فِضَّةٍ. بَطْنُهُ وَفَخْذَاهُ مِنْ نُحَاسٍ. ٣٣ سَاقَاهُ مِنْ حَدِيدٍ. قَدَمَاهُ بَعْضُهُمَا مِنْ حَدِيدٍ وَٱلْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ. ٣٤ كُنْتَ تَنْظُرُ إِلَى أَنْ قُطِعَ حَجَرٌ بِغَيْرِ يَدَيْنِ فَضَرَبَ ٱلتِّمْثَالَ عَلَى قَدَمَيْهِ ٱللَّتَيْنِ مِنْ حَدِيدٍ وَخَزَفٍ فَسَحَقَهُمَا. ٣٥ فَٱنْسَحَقَ حِينَئِذٍ ٱلْحَدِيدُ وَٱلْخَزَفُ وَٱلنُّحَاسُ وَٱلْفِضَّةُ وَٱلذَّهَبُ مَعًا وَصَارَتْ كَعُصَافَةِ ٱلْبَيْدَرِ فِي ٱلصَّيْفِ فَحَمَلَتْهَا ٱلرِّيحُ فَلَمْ يُوجَدْ لَهَا مَكَانٌ. أَمَّا ٱلْحَجَرُ ٱلَّذِي ضَرَبَ ٱلتِّمْثَالَ فَصَارَ جَبَلًا كَبِيرًا وَمَلَأَ ٱلْأَرْضَ كُلَّهَا. ٣٦ هٰذَا هُوَ ٱلْحُلْمُ. فَنُخْبِرُ بِتَعْبِيرِهِ قُدَّامَ ٱلْمَلِكِ.

٣٧ أَنْتَ أَيُّهَا ٱلْمَلِكُ مَلِكُ مُلُوكٍ لِأَنَّ إِلٰهَ ٱلسَّمَاوَاتِ أَعْطَاكَ مَمْلَكَةً وَٱقْتِدَارًا وَسُلْطَانًا وَفَخْرًا. ٣٨ وَحَيْثُمَا يَسْكُنُ بَنُو ٱلْبَشَرِ وَوُحُوشُ ٱلْبَرِّ وَطُيُورُ ٱلسَّمَاءِ دَفَعَهَا لِيَدِكَ وَسَلَّطَكَ عَلَيْهَا جَمِيعِهَا. فَأَنْتَ هٰذَا ٱلرَّأْسُ مِنْ ذَهَبٍ. ٣٩ وَبَعْدَكَ تَقُومُ مَمْلَكَةٌ أُخْرَى أَصْغَرُ مِنْكَ وَمَمْلَكَةٌ ثَالِثَةٌ أُخْرَى مِنْ نُحَاسٍ فَتَتَسَلَّطُ عَلَى كُلِّ ٱلْأَرْضِ. ٤٠ وَتَكُونُ مَمْلَكَةٌ رَابِعَةٌ صَلْبَةٌ كَٱلْحَدِيدِ لِأَنَّ ٱلْحَدِيدَ يَدُقُّ وَيَسْحَقُ كُلَّ شَيْءٍ. وَكَٱلْحَدِيدِ ٱلَّذِي يُكَسِّرُ تَسْحَقُ وَتُكَسِّرُ كُلَّ هٰؤُلَاءِ. ٤١ وَبِمَا رَأَيْتَ ٱلْقَدَمَيْنِ وَٱلْأَصَابِعَ بَعْضُهَا مِنْ خَزَفٍ وَٱلْبَعْضُ مِنْ حَدِيدٍ فَٱلْمَمْلَكَةُ تَكُونُ مُنْقَسِمَةً وَيَكُونُ فِيهَا قُوَّةُ ٱلْحَدِيدِ مِنْ حَيْثُ إِنَّكَ رَأَيْتَ ٱلْحَدِيدَ مُخْتَلِطًا بِخَزَفِ ٱلطِّينِ. ٤٢ وَأَصَابِعُ ٱلْقَدَمَيْنِ بَعْضُهَا مِنْ حَدِيدٍ وَٱلْبَعْضُ مِنْ خَزَفٍ فَبَعْضُ ٱلْمَمْلَكَةِ يَكُونُ قَوِيًّا وَٱلْبَعْضُ قَصِمًا. ٤٣ وَبِمَا رَأَيْتَ ٱلْحَدِيدَ مُخْتَلِطًا بِخَزَفِ ٱلطِّينِ فَإِنَّهُمْ يَخْتَلِطُونَ بِنَسْلِ ٱلنَّاسِ وَلٰكِنْ لَا يَتَلَاصَقُ هٰذَا بِذَاكَ كَمَا أَنَّ ٱلْحَدِيدَ لَا يَخْتَلِطُ بِٱلْخَزَفِ. ٤٤ وَفِي أَيَّامِ هٰؤُلَاءِ ٱلْمُلُوكِ يُقِيمُ إِلٰهُ ٱلسَّمَاوَاتِ مَمْلَكَةً لَنْ تَنْقَرِضَ أَبَدًا وَمَلِكُهَا لَا يُتْرَكُ لِشَعْبٍ آخَرَ وَتَسْحَقُ وَتُفْنِي كُلَّ هٰذِهِ ٱلْمَمَالِكِ وَهِيَ تَثْبُتُ إِلَى ٱلْأَبَدِ. ٤٥ لِأَنَّكَ رَأَيْتَ أَنَّهُ قَدْ قُطِعَ حَجَرٌ مِنْ جَبَلٍ لَا بِيَدَيْنِ فَسَحَقَ ٱلْحَدِيدَ وَٱلنُّحَاسَ وَٱلْخَزَفَ وَٱلْفِضَّةَ وَٱلذَّهَبَ. ٱللهُ ٱلْعَظِيمُ قَدْ عَرَّفَ ٱلْمَلِكَ مَا سَيَأْتِي بَعْدَ هٰذَا. ٱلْحُلْمُ حَقٌّ وَتَعْبِيرُهُ يَقِينٌ.

ابن الإنسان

حتى يأتي ابن الانسان

¹ ثُمَّ دَعَا تَلاَمِيذَهُ ٱلاِثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ حَتَّى يُخْرِجُوهَا وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ. ² وَأَمَّا أَسْمَاءُ ٱلاِثْنَيْ عَشَرَ رَسُولاً فَهِيَ هٰذِهِ. اَلأَوَّلُ سِمْعَانُ ٱلَّذِي يُقَالُ لَهُ بُطْرُسُ وَأَنْدَرَاوُسُ أَخُوهُ. يَعْقُوبُ بْنُ زَبْدِي وَيُوحَنَّا أَخُوهُ. ³ فِيلِبُّسُ وَبَرْثُولَمَاوُسُ. تُومَا وَمَتَّى ٱلْعَشَّارُ. يَعْقُوبُ بْنُ حَلْفَى وَلَبَّاوُسُ ٱلْمُلَقَّبُ تَدَّاوُسَ. ⁴ سِمْعَانُ ٱلْقَانَوِيُّ وَيَهُوذَا ٱلإِسْخَرْيُوطِيُّ ٱلَّذِي أَسْلَمَهُ

⁵ هٰؤُلاَءِ ٱلاِثْنَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ قَائِلاً. إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لاَ تَمْضُوا وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لاَ تَدْخُلُوا. ⁶ بَلِ ٱذْهَبُوا بِٱلْحَرِيِّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ ٱلضَّالَّةِ. ⁷ وَفِيمَا أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ ٱكْرِزُوا قَائِلِينَ إِنَّهُ قَدِ ٱقْتَرَبَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمٰوَاتِ. ⁸ اِشْفُوا مَرْضَى. طَهِّرُوا بُرْصًا. أَقِيمُوا مَوْتَى. أَخْرِجُوا شَيَاطِينَ. مَجَّانًا أَخَذْتُمْ مَجَّانًا أَعْطُوا. ⁹ لاَ تَقْتَنُوا ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً وَلاَ نُحَاسًا فِي مَنَاطِقِكُمْ. ¹⁰ وَلاَ مِزْوَدًا لِلطَّرِيقِ وَلاَ ثَوْبَيْنِ وَلاَ أَحْذِيَةً وَلاَ عَصًا. لأَنَّ ٱلْفَاعِلَ مُسْتَحِقٌّ طَعَامَهُ

¹¹ وَأَيَّةُ مَدِينَةٍ أَوْ قَرْيَةٍ دَخَلْتُمُوهَا فَٱفْحَصُوا مَنْ فِيهَا مُسْتَحِقٌّ. وَأَقِيمُوا هُنَاكَ حَتَّى تَخْرُجُوا. ¹² وَحِينَ تَدْخُلُونَ ٱلْبَيْتَ سَلِّمُوا عَلَيْهِ. ¹³ فَإِنْ كَانَ ٱلْبَيْتُ مُسْتَحِقًّا فَلْيَأْتِ سَلاَمُكُمْ عَلَيْهِ. وَلٰكِنْ إِنْ لَمْ يَكُنْ مُسْتَحِقًّا فَلْيَرْجِعْ سَلاَمُكُمْ إِلَيْكُمْ. ¹⁴ وَمَنْ لاَ يَقْبَلُكُمْ وَلاَ يَسْمَعُ كَلاَمَكُمْ فَٱخْرُجُوا خَارِجًا مِنْ ذٰلِكَ ٱلْبَيْتِ أَوْ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ وَٱنْفُضُوا غُبَارَ أَرْجُلِكُمْ. ¹⁵ اَلْحَقَّ

١٧

أَقُولُ لَكُمْ سَتَكُونُ لِأَرْضِ سَدُومَ وَعَمُورَةَ يَوْمَ ٱلدِّينِ حَالَةٌ أَكْثَرُ ٱحْتِمَالاً مِمَّا لِتِلْكَ ٱلْمَدِينَةِ

١٦ هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ. فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَٱلْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَٱلْحَمَامِ. ١٧ وَلٰكِنِ ٱحْذَرُوا مِنَ ٱلنَّاسِ. لِأَنَّهُمْ سَيُسْلِمُونَكُمْ إِلَى مَجَالِسَ وَفِي مَجَامِعِهِمْ يَجْلِدُونَكُمْ. ١٨ وَتُسَاقُونَ أَمَامَ وُلَاةٍ وَمُلُوكٍ مِنْ أَجْلِي شَهَادَةً لَهُمْ وَلِلْأُمَمِ. ١٩ فَمَتَى أَسْلَمُوكُمْ فَلَا تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَتَكَلَّمُونَ. لِأَنَّكُمْ تُعْطَوْنَ فِي تِلْكَ ٱلسَّاعَةِ مَا تَتَكَلَّمُونَ بِهِ. ٢٠ لِأَنْ لَسْتُمْ أَنْتُمُ ٱلْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ ٱلَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ. ٢١ وَسَيُسْلِمُ ٱلْأَخُ أَخَاهُ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَٱلْأَبُ وَلَدَهُ. وَيَقُومُ ٱلْأَوْلَادُ عَلَى وَالِدِيهِمْ وَيَقْتُلُونَهُمْ. ٢٢ وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنَ ٱلْجَمِيعِ مِنْ أَجْلِ ٱسْمِي. وَلٰكِنِ ٱلَّذِي يَصْبِرُ إِلَى ٱلْمُنْتَهَى فَهٰذَا يَخْلُصُ. ٢٣ وَمَتَى طَرَدُوكُمْ فِي هٰذِهِ ٱلْمَدِينَةِ فَٱهْرُبُوا إِلَى ٱلْأُخْرَى. فَإِنِّي ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَا تُكَمِّلُونَ مُدُنَ إِسْرَائِيلَ حَتَّى يَأْتِيَ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ

٢٤ لَيْسَ ٱلتِّلْمِيذُ أَفْضَلَ مِنَ ٱلْمُعَلِّمِ وَلَا ٱلْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنْ سَيِّدِهِ. ٢٥ يَكْفِي ٱلتِّلْمِيذَ أَنْ يَكُونَ كَمُعَلِّمِهِ وَٱلْعَبْدَ كَسَيِّدِهِ. إِنْ كَانُوا قَدْ لَقَّبُوا رَبَّ ٱلْبَيْتِ بَعْلَزَبُولَ فَكَمْ بِٱلْحَرِيِّ أَهْلَ بَيْتِهِ. ٢٦ فَلَا تَخَافُوهُمْ. لِأَنْ لَيْسَ مَكْتُومٌ لَنْ يُسْتَعْلَنَ وَلَا خَفِيٌّ لَنْ يُعْرَفَ. ٢٧ اَلَّذِي أَقُولُهُ لَكُمْ فِي ٱلظُّلْمَةِ قُولُوهُ فِي ٱلنُّورِ. وَٱلَّذِي تَسْمَعُونَهُ فِي ٱلْأُذُنِ نَادُوا بِهِ عَلَى ٱلسُّطُوحِ. ٢٨ وَلَا تَخَافُوا مِنَ ٱلَّذِينَ يَقْتُلُونَ ٱلْجَسَدَ وَلٰكِنَّ ٱلنَّفْسَ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَقْتُلُوهَا. بَلْ خَافُوا بِٱلْحَرِيِّ مِنَ ٱلَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ ٱلنَّفْسَ وَٱلْجَسَدَ كِلَيْهِمَا فِي جَهَنَّمَ. ٢٩ أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ. وَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لَا يَسْقُطُ عَلَى ٱلْأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ. ٣٠ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَحَتَّى شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ. ٣١ فَلَا تَخَافُوا. أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ. ٣٢ فَكُلُّ مَنْ يَعْتَرِفُ بِي قُدَّامَ ٱلنَّاسِ أَعْتَرِفُ أَنَا أَيْضًا بِهِ قُدَّامَ أَبِي ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمٰوَاتِ. ٣٣ وَلٰكِنْ مَنْ يُنْكِرُنِي قُدَّامَ ٱلنَّاسِ أُنْكِرُهُ أَنَا أَيْضًا قُدَّامَ أَبِي ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمٰوَاتِ

٣٤ لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلَامًا عَلَى ٱلْأَرْضِ. مَا جِئْتُ لِأُلْقِيَ سَلَامًا بَلْ سَيْفًا. ٣٥ فَإِنِّي جِئْتُ لِأُفَرِّقَ ٱلْإِنْسَانَ ضِدَّ أَبِيهِ وَٱلِٱبْنَةَ ضِدَّ أُمِّهَا وَٱلْكَنَّةَ ضِدَّ حَمَاتِهَا. ٣٦ وَأَعْدَاءُ

ٱلإِنْسَانِ أَهْلُ بَيْتِهِ. ٣٧ مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي. وَمَنْ أَحَبَّ ٱبْنًا أَوِ ٱبْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي. ٣٨ وَمَنْ لاَ يَأْخُذُ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعُنِي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي. ٣٩ مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا. وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا. ٤٠ مَنْ يَقْبَلُكُمْ يَقْبَلُنِي وَمَنْ يَقْبَلُنِي يَقْبَلُ ٱلَّذِي أَرْسَلَنِي. ٤١ مَنْ يَقْبَلُ نَبِيًّا بِٱسْمِ نَبِيٍّ فَأَجْرَ نَبِيٍّ يَأْخُذُ. وَمَنْ يَقْبَلُ بَارًّا بِٱسْمِ بَارٍّ فَأَجْرَ بَارٍّ يَأْخُذُ. ٤٢ وَمَنْ سَقَى أَحَدَ هٰؤُلاَءِ ٱلصِّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِٱسْمِ تِلْمِيذٍ فَٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ

١ وَلَمَّا أَكْمَلَ يَسُوعُ أَمْرَهُ لِتَلاَمِيذِهِ ٱلاِثْنَيْ عَشَرَ ٱنْصَرَفَ مِنْ هُنَاكَ لِيُعَلِّمَ وَيَكْرِزَ فِي مُدُنِهِمْ

مائدة من السماء

٢٤ فَلَمَّا رَأَى ٱلْجَمْعُ أَنَّ يَسُوعَ لَيْسَ هُوَ هُنَاكَ وَلاَ تَلاَمِيذُهُ دَخَلُوا هُمْ أَيْضًا ٱلسُّفُنَ وَجَاءُوا إِلَى كَفْرِنَاحُومَ يَطْلُبُونَ يَسُوعَ. ٢٥ وَلَمَّا وَجَدُوهُ فِي عَبْرِ ٱلْبَحْرِ قَالُوا لَهُ يَا مُعَلِّمُ مَتَى صِرْتَ هُنَا. ٢٦ أَجَابَهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ ٱلْحَقَّ ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ أَنْتُمْ تَطْلُبُونَنِي لَيْسَ لأَنَّكُمْ رَأَيْتُمْ آيَاتٍ بَلْ لأَنَّكُمْ أَكَلْتُمْ مِنَ ٱلْخُبْزِ فَشَبِعْتُمْ. ٢٧ اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ ٱلْبَائِدِ بَلْ لِلطَّعَامِ ٱلْبَاقِي لِلْحَيٰوةِ ٱلأَبَدِيَّةِ ٱلَّذِي يُعْطِيكُمُ ٱبْنُ ٱلإِنْسَانِ لأَنَّ هٰذَا ٱللهُ ٱلآبُ قَدْ خَتَمَهُ. ٢٨ فَقَالُوا لَهُ مَاذَا نَفْعَلُ حَتَّى نَعْمَلَ أَعْمَالَ ٱللهِ. ٢٩ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ هٰذَا هُوَ عَمَلُ ٱللهِ أَنْ تُؤْمِنُوا بِٱلَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ. ٣٠ فَقَالُوا لَهُ فَأَيَّةَ آيَةٍ تَصْنَعُ لِنَرَى وَنُؤْمِنَ بِكَ. مَاذَا تَعْمَلُ. ٣١ آبَاؤُنَا أَكَلُوا ٱلْمَنَّ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ أَنَّهُ أَعْطَاهُمْ خُبْزًا مِنَ ٱلسَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا

٣٢ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ ٱلْحَقَّ ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَيْسَ مُوسَى أَعْطَاكُمُ ٱلْخُبْزَ مِنَ ٱلسَّمَاءِ بَلْ أَبِي يُعْطِيكُمُ ٱلْخُبْزَ ٱلْحَقِيقِيَّ مِنَ ٱلسَّمَاءِ. ٣٣ لأَنَّ خُبْزَ ٱللهِ هُوَ ٱلنَّازِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ٱلْوَاهِبُ حَيٰوةً لِلْعَالَمِ. ٣٤ فَقَالُوا لَهُ يَا سَيِّدُ أَعْطِنَا فِي كُلِّ حِينٍ هٰذَا ٱلْخُبْزَ. ٣٥ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ أَنَا هُوَ خُبْزُ ٱلْحَيٰوةِ. مَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ فَلاَ يَجُوعُ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِي فَلاَ يَعْطَشُ أَبَدًا. ٣٦ وَلٰكِنِّي قُلْتُ لَكُمْ إِنَّكُمْ قَدْ رَأَيْتُمُونِي وَلَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ. ٣٧ كُلُّ مَا يُعْطِينِي ٱلآبُ فَإِلَيَّ يُقْبِلُ وَمَنْ يُقْبِلْ إِلَيَّ لاَ أُخْرِجْهُ خَارِجًا. ٣٨ لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ لَيْسَ لأَعْمَلَ مَشِيئَتِي بَلْ مَشِيئَةَ ٱلَّذِي أَرْسَلَنِي. ٣٩ وَهٰذِهِ مَشِيئَةُ ٱلآبِ ٱلَّذِي أَرْسَلَنِي أَنَّ كُلَّ مَا أَعْطَانِي لاَ أُتْلِفُ مِنْهُ شَيْئًا بَلْ أُقِيمُهُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلأَخِيرِ. ٤٠ لأَنَّ هٰذِهِ هِيَ مَشِيئَةُ ٱلَّذِي أَرْسَلَنِي أَنَّ كُلَّ مَنْ يَرَى ٱلاِبْنَ وَيُؤْمِنُ بِهِ تَكُونُ لَهُ حَيٰوةٌ أَبَدِيَّةٌ وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي ٱلْيَوْمِ ٱلأَخِيرِ

٣ وَفِيمَا هُوَ جَالِسٌ عَلَى جَبَلِ ٱلزَّيْتُونِ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ ٱلتَّلَامِيذُ عَلَى ٱنْفِرَادٍ قَائِلِينَ قُلْ لَنَا مَتَى يَكُونُ هٰذَا وَمَا هِيَ عَلَامَةُ مَجِيئِكَ وَٱنْقِضَاءِ ٱلدَّهْرِ. ٤ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمُ ٱنْظُرُوا لَا يُضِلَّكُمْ أَحَدٌ. ٥ فَإِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ بِٱسْمِي قَائِلِينَ أَنَا هُوَ ٱلْمَسِيحُ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. ٦ وَسَوْفَ تَسْمَعُونَ بِحُرُوبٍ وَأَخْبَارِ حُرُوبٍ. اُنْظُرُوا لَا تَرْتَاعُوا. لِأَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ هٰذِهِ كُلُّهَا. وَلٰكِنْ لَيْسَ ٱلْمُنْتَهَى بَعْدُ. ٧ لِأَنَّهُ تَقُومُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ وَمَمْلَكَةٌ عَلَى مَمْلَكَةٍ وَتَكُونُ مَجَاعَاتٌ وَأَوْبِئَةٌ وَزَلَازِلُ فِي أَمَاكِنَ. ٨ وَلٰكِنَّ هٰذِهِ كُلَّهَا مُبْتَدَأُ ٱلْأَوْجَاعِ. ٩ حِينَئِذٍ يُسَلِّمُونَكُمْ إِلَى ضِيقٍ وَيَقْتُلُونَكُمْ وَتَكُونُونَ مُبْغَضِينَ مِنْ جَمِيعِ ٱلْأُمَمِ لِأَجْلِ ٱسْمِي. ١٠ وَحِينَئِذٍ يَعْثُرُ كَثِيرُونَ وَيُسَلِّمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَيُبْغِضُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا. ١١ وَيَقُومُ أَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ كَثِيرُونَ وَيُضِلُّونَ كَثِيرِينَ. ١٢ وَلِكَثْرَةِ ٱلْإِثْمِ تَبْرُدُ مَحَبَّةُ ٱلْكَثِيرِينَ. ١٣ وَلٰكِنِ ٱلَّذِي يَصْبِرُ إِلَى ٱلْمُنْتَهَى فَهٰذَا يَخْلُصُ. ١٤ وَيُكْرَزُ بِبِشَارَةِ ٱلْمَلَكُوتِ هٰذِهِ فِي كُلِّ ٱلْمَسْكُونَةِ شَهَادَةً لِجَمِيعِ ٱلْأُمَمِ. ثُمَّ يَأْتِي ٱلْمُنْتَهَى

١٥ فَمَتَى نَظَرْتُمْ رِجْسَةَ ٱلْخَرَابِ ٱلَّتِي قَالَ عَنْهَا دَانِيآلُ ٱلنَّبِيُّ قَائِمَةً فِي ٱلْمَكَانِ ٱلْمُقَدَّسِ. لِيَفْهَمِ ٱلْقَارِئُ. ١٦ فَحِينَئِذٍ لِيَهْرُبِ ٱلَّذِينَ فِي ٱلْيَهُودِيَّةِ إِلَى ٱلْجِبَالِ. ١٧ وَٱلَّذِي عَلَى ٱلسَّطْحِ فَلَا يَنْزِلْ لِيَأْخُذَ مِنْ بَيْتِهِ شَيْئًا. ١٨ وَٱلَّذِي فِي ٱلْحَقْلِ فَلَا يَرْجِعْ إِلَى وَرَائِهِ لِيَأْخُذَ ثِيَابَهُ. ١٩ وَوَيْلٌ لِلْحَبَالَى وَٱلْمُرْضِعَاتِ فِي تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ. ٢٠ وَصَلُّوا لِكَيْ لَا يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ وَلَا فِي سَبْتٍ. ٢١ لِأَنَّهُ يَكُونُ حِينَئِذٍ ضِيقٌ عَظِيمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ مُنْذُ ٱبْتِدَاءِ ٱلْعَالَمِ إِلَى ٱلْآنَ وَلَنْ يَكُونَ. ٢٢ وَلَوْ لَمْ تُقَصَّرْ تِلْكَ ٱلْأَيَّامُ لَمْ يَخْلُصْ جَسَدٌ. وَلٰكِنْ لِأَجْلِ ٱلْمُخْتَارِينَ تُقَصَّرُ تِلْكَ ٱلْأَيَّامُ. ٢٣ حِينَئِذٍ إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ هُوَذَا ٱلْمَسِيحُ هُنَا أَوْ هُنَاكَ فَلَا تُصَدِّقُوا. ٢٤ لِأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ ٱلْمُخْتَارِينَ أَيْضًا. ٢٥ هَا أَنَا قَدْ سَبَقْتُ وَأَخْبَرْتُكُمْ. ٢٦ فَإِنْ قَالُوا لَكُمْ هَا هُوَ فِي ٱلْبَرِّيَّةِ فَلَا تَخْرُجُوا. هَا هُوَ فِي ٱلْمَخَادِعِ فَلَا تُصَدِّقُوا. ٢٧ لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ ٱلْبَرْقَ يَخْرُجُ مِنَ ٱلْمَشَارِقِ وَيَظْهَرُ إِلَى ٱلْمَغَارِبِ

هٰكَذَا يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ٱبْنِ ٱلْإِنْسَانِ. ٢٨ لِأَنَّهُ حَيْثُمَا تَكُنِ ٱلْجُثَّةُ فَهُنَاكَ تَجْتَمِعُ ٱلنُّسُورُ ٢٩ وَلِلْوَقْتِ بَعْدَ ضِيقِ تِلْكَ ٱلْأَيَّامِ تُظْلِمُ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا يُعْطِي ضَوْءَهُ وَٱلنُّجُومُ تَسْقُطُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ وَقُوَّاتُ ٱلسَّمَاوَاتِ تَتَزَعْزَعُ. ٣٠ وَحِينَئِذٍ تَظْهَرُ عَلَامَةُ ٱبْنِ ٱلْإِنْسَانِ فِي ٱلسَّمَاءِ. وَحِينَئِذٍ تَنُوحُ جَمِيعُ قَبَائِلِ ٱلْأَرْضِ وَيُبْصِرُونَ ٱبْنَ ٱلْإِنْسَانِ آتِيًا عَلَى سَحَابِ ٱلسَّمَاءِ بِقُوَّةٍ وَمَجْدٍ كَثِيرٍ. ٣١ فَيُرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ بِبُوقٍ عَظِيمِ ٱلصَّوْتِ فَيَجْمَعُونَ مُخْتَارِيهِ مِنَ ٱلْأَرْبَعِ ٱلرِّيَاحِ مِنْ أَقْصَاءِ ٱلسَّمَاوَاتِ إِلَى أَقْصَائِهَا. ٣٢ فَمِنْ شَجَرَةِ ٱلتِّينِ تَعَلَّمُوا ٱلْمَثَلَ. مَتَى صَارَ غُصْنُهَا رَخْصًا وَأَخْرَجَتْ أَوْرَاقَهَا تَعْلَمُونَ أَنَّ ٱلصَّيْفَ قَرِيبٌ. ٣٣ هٰكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا مَتَى رَأَيْتُمْ هٰذَا كُلَّهُ فَٱعْلَمُوا أَنَّهُ قَرِيبٌ عَلَى ٱلْأَبْوَابِ. ٣٤ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَا يَمْضِي هٰذَا ٱلْجِيلُ حَتَّى يَكُونَ هٰذَا كُلُّهُ. ٣٥ اَلسَّمَاءُ وَٱلْأَرْضُ تَزُولَانِ وَلٰكِنَّ كَلَامِي لَا يَزُولُ. ٣٦ وَأَمَّا ذٰلِكَ ٱلْيَوْمُ وَتِلْكَ ٱلسَّاعَةُ فَلَا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ وَلَا مَلَائِكَةُ ٱلسَّمَاوَاتِ إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ. ٣٧ وَكَمَا كَانَتْ أَيَّامُ نُوحٍ كَذٰلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ٱبْنِ ٱلْإِنْسَانِ. ٣٨ لِأَنَّهُ كَمَا كَانُوا فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلَّتِي قَبْلَ ٱلطُّوفَانِ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ وَيُزَوِّجُونَ إِلَى ٱلْيَوْمِ ٱلَّذِي دَخَلَ فِيهِ نُوحٌ ٱلْفُلْكَ ٣٩ وَلَمْ يَعْلَمُوا حَتَّى جَاءَ ٱلطُّوفَانُ وَأَخَذَ ٱلْجَمِيعَ. كَذٰلِكَ يَكُونُ أَيْضًا مَجِيءُ ٱبْنِ ٱلْإِنْسَانِ. ٤٠ حِينَئِذٍ يَكُونُ ٱثْنَانِ فِي ٱلْحَقْلِ. يُؤْخَذُ ٱلْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ ٱلْآخَرُ. ٤١ اِثْنَتَانِ تَطْحَنَانِ عَلَى ٱلرَّحَى. تُؤْخَذُ ٱلْوَاحِدَةُ وَتُتْرَكُ ٱلْأُخْرَى

٤٢ اِسْهَرُوا إِذًا لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ فِي أَيَّةِ سَاعَةٍ يَأْتِي رَبُّكُمْ. ٤٣ وَٱعْلَمُوا هٰذَا أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ رَبُّ ٱلْبَيْتِ فِي أَيِّ هَزِيعٍ يَأْتِي ٱلسَّارِقُ لَسَهِرَ وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يُنْقَبُ. ٤٤ لِذٰلِكَ كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا مُسْتَعِدِّينَ لِأَنَّهُ فِي سَاعَةٍ لَا تَظُنُّونَ يَأْتِي ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ. ٤٥ فَمَنْ هُوَ ٱلْعَبْدُ ٱلْأَمِينُ ٱلْحَكِيمُ ٱلَّذِي أَقَامَهُ سَيِّدُهُ عَلَى خَدَمِهِ لِيُعْطِيَهُمُ ٱلطَّعَامَ فِي حِينِهِ. ٤٦ طُوبَى لِذٰلِكَ ٱلْعَبْدِ ٱلَّذِي إِذَا جَاءَ سَيِّدُهُ يَجِدُهُ يَفْعَلُ هٰكَذَا. ٤٧ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ يُقِيمُهُ عَلَى جَمِيعِ أَمْوَالِهِ. ٤٨ وَلٰكِنْ إِنْ قَالَ ذٰلِكَ ٱلْعَبْدُ ٱلرَّدِيُّ فِي قَلْبِهِ سَيِّدِي يُبْطِئُ قُدُومَهُ. ٤٩ فَيَبْتَدِئُ يَضْرِبُ ٱلْعَبِيدَ رُفَقَاءَهُ وَيَأْكُلُ وَيَشْرَبُ

٤٥

مَعَ ٱلسُّكَارَى. ٥٠ يَأْتِي سَيِّدُ ذٰلِكَ ٱلْعَبْدِ فِي يَوْمٍ لَا يَنْتَظِرُهُ وَفِي سَاعَةٍ لَا يَعْرِفُهَا. ٥١ فَيُقَطِّعُهُ وَيَجْعَلُ نَصِيبَهُ مَعَ ٱلْمُرَائِينَ. هُنَاكَ يَكُونُ ٱلْبُكَاءُ وَصَرِيرُ ٱلْأَسْنَانِ

اَلْأَصْحَاحُ ٱلْخَامِسُ وَٱلْعِشْرُونَ

١ حِينَئِذٍ يُشْبِهُ مَلَكُوتُ ٱلسَّمٰوَاتِ عَشْرَ عَذَارَى أَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَخَرَجْنَ لِلِقَاءِ ٱلْعَرِيسِ. ٢ وَكَانَ خَمْسٌ مِنْهُنَّ حَكِيمَاتٍ وَخَمْسٌ جَاهِلَاتٍ. ٣ أَمَّا ٱلْجَاهِلَاتُ فَأَخَذْنَ مَصَابِيحَهُنَّ وَلَمْ يَأْخُذْنَ مَعَهُنَّ زَيْتًا. ٤ وَأَمَّا ٱلْحَكِيمَاتُ فَأَخَذْنَ زَيْتًا فِي آنِيَتِهِنَّ مَعَ مَصَابِيحِهِنَّ. ٥ وَفِيمَا أَبْطَأَ ٱلْعَرِيسُ نَعَسْنَ جَمِيعُهُنَّ وَنِمْنَ. ٦ فَفِي نِصْفِ ٱللَّيْلِ صَارَ صُرَاخٌ هُوَذَا ٱلْعَرِيسُ مُقْبِلٌ فَٱخْرُجْنَ لِلِقَائِهِ. ٧ فَقَامَتْ جَمِيعُ أُولٰئِكَ ٱلْعَذَارَى وَأَصْلَحْنَ مَصَابِيحَهُنَّ. ٨ فَقَالَتِ ٱلْجَاهِلَاتُ لِلْحَكِيمَاتِ أَعْطِينَنَا مِنْ زَيْتِكُنَّ فَإِنَّ مَصَابِيحَنَا تَنْطَفِئُ. ٩ فَأَجَابَتِ ٱلْحَكِيمَاتُ قَائِلَاتٍ لَعَلَّهُ لَا يَكْفِي لَنَا وَلَكُنَّ بَلِ ٱذْهَبْنَ إِلَى ٱلْبَاعَةِ وَٱبْتَعْنَ لَكُنَّ. ١٠ وَفِيمَا هُنَّ ذَاهِبَاتٌ لِيَبْتَعْنَ جَاءَ ٱلْعَرِيسُ وَٱلْمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى ٱلْعُرْسِ وَأُغْلِقَ ٱلْبَابُ. ١١ أَخِيرًا جَاءَتْ بَقِيَّةُ ٱلْعَذَارَى أَيْضًا قَائِلَاتٍ يَا سَيِّدُ يَا سَيِّدُ ٱفْتَحْ لَنَا. ١٢ فَأَجَابَ وَقَالَ ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُنَّ إِنِّي مَا أَعْرِفُكُنَّ. ١٣ فَٱسْهَرُوا إِذًا لِأَنَّكُمْ لَا تَعْرِفُونَ ٱلْيَوْمَ وَلَا ٱلسَّاعَةَ ٱلَّتِي يَأْتِي فِيهَا ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ

١٤ وَكَأَنَّمَا إِنْسَانٌ مُسَافِرٌ دَعَا عَبِيدَهُ وَسَلَّمَهُمْ أَمْوَالَهُ. ١٥ فَأَعْطَى وَاحِدًا خَمْسَ وَزَنَاتٍ وَآخَرَ وَزْنَتَيْنِ وَآخَرَ وَزْنَةً. كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ. وَسَافَرَ لِلْوَقْتِ. ١٦ فَمَضَى ٱلَّذِي أَخَذَ ٱلْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَتَاجَرَ بِهَا فَرَبِحَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ. ١٧ وَهٰكَذَا ٱلَّذِي أَخَذَ ٱلْوَزْنَتَيْنِ رَبِحَ أَيْضًا وَزْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ. ١٨ وَأَمَّا ٱلَّذِي أَخَذَ ٱلْوَزْنَةَ فَمَضَى وَحَفَرَ فِي ٱلْأَرْضِ وَأَخْفَى فِضَّةَ سَيِّدِهِ. ١٩ وَبَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ أَتَى سَيِّدُ أُولٰئِكَ ٱلْعَبِيدِ وَحَاسَبَهُمْ. ٢٠ فَجَاءَ ٱلَّذِي أَخَذَ ٱلْخَمْسَ وَزَنَاتٍ وَقَدَّمَ خَمْسَ وَزَنَاتٍ أُخَرَ قَائِلًا يَا سَيِّدُ خَمْسَ وَزَنَاتٍ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا خَمْسُ وَزَنَاتٍ أُخَرُ رَبِحْتُهَا فَوْقَهَا. ٢١ فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ نِعِمَّا أَيُّهَا ٱلْعَبْدُ ٱلصَّالِحُ وَٱلْأَمِينُ. كُنْتَ أَمِينًا

فِي ٱلْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى ٱلْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ. ٢٢ ثُمَّ جَاءَ ٱلَّذِي أَخَذَ ٱلْوَزْنَتَيْنِ وَقَالَ يَا سَيِّدُ وَزْنَتَيْنِ سَلَّمْتَنِي. هُوَذَا وَزْنَتَانِ أُخْرَيَانِ رَبِحْتُهُمَا فَوْقَهُمَا. ٢٣ قَالَ لَهُ سَيِّدُهُ نِعِمَّا أَيُّهَا ٱلْعَبْدُ ٱلصَّالِحُ ٱلْأَمِينُ. كُنْتَ أَمِينًا فِي ٱلْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى ٱلْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ. ٢٤ ثُمَّ جَاءَ أَيْضًا ٱلَّذِي أَخَذَ ٱلْوَزْنَةَ ٱلْوَاحِدَةَ وَقَالَ. يَا سَيِّدُ عَرَفْتُ أَنَّكَ إِنْسَانٌ قَاسٍ تَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ تَزْرَعْ وَتَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْذُرْ. ٢٥ فَخِفْتُ وَمَضَيْتُ وَأَخْفَيْتُ وَزْنَتَكَ فِي ٱلْأَرْضِ. هُوَذَا ٱلَّذِي لَكَ. ٢٦ فَأَجَابَ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ أَيُّهَا ٱلْعَبْدُ ٱلشِّرِّيرُ وَٱلْكَسْلَانُ عَرَفْتَ أَنِّي أَحْصُدُ حَيْثُ لَمْ أَزْرَعْ وَأَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَبْذُرْ. ٢٧ فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَضَعَ فِضَّتِي عِنْدَ ٱلصَّيَارِفَةِ. فَعِنْدَ مَجِيئِي كُنْتُ آخُذُ ٱلَّذِي لِي مَعَ رِبًا. ٢٨ فَخُذُوا مِنْهُ ٱلْوَزْنَةَ وَأَعْطُوهَا لِلَّذِي لَهُ ٱلْعَشْرُ وَزَنَاتٍ. ٢٩ لِأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى فَيَزْدَادُ وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَٱلَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ. ٣٠ وَٱلْعَبْدُ ٱلْبَطَّالُ ٱطْرَحُوهُ إِلَى ٱلظُّلْمَةِ ٱلْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ ٱلْبُكَاءُ وَصَرِيرُ ٱلْأَسْنَانِ

٣١ وَمَتَى جَاءَ ٱبْنُ ٱلْإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ ٱلْمَلَائِكَةِ ٱلْقِدِّيسِينَ مَعَهُ فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. ٣٢ وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ ٱلشُّعُوبِ فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ ٱلرَّاعِي ٱلْخِرَافَ مِنَ ٱلْجِدَاءِ. ٣٣ فَيُقِيمُ ٱلْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَٱلْجِدَاءَ عَنِ ٱلْيَسَارِ. ٣٤ ثُمَّ يَقُولُ ٱلْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي رِثُوا ٱلْمَلَكُوتَ ٱلْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ ٱلْعَالَمِ. ٣٥ لِأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. ٣٦ عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ. ٣٧ فَيُجِيبُهُ ٱلْأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ. يَا رَبُّ مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا فَأَطْعَمْنَاكَ. أَوْ عَطْشَانًا فَسَقَيْنَاكَ. ٣٨ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَآوَيْنَاكَ. أَوْ عُرْيَانًا فَكَسَوْنَاكَ. ٣٩ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ. ٤٠ فَيُجِيبُ ٱلْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمُ ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هٰؤُلَاءِ ٱلْأَصَاغِرِ فَبِي فَعَلْتُمْ

٤١ ثُمَّ يَقُولُ أَيْضًا لِلَّذِينَ عَنِ ٱلْيَسَارِ ٱذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلَاعِينُ إِلَى ٱلنَّارِ ٱلْأَبَدِيَّةِ ٱلْمُعَدَّةِ

لإبليس وملائكته. ٤٢ لأنّي جعتُ فلم تطعموني. عطشتُ فلم تسقوني. ٤٣ كنتُ غريبًا فلم تأووني. عريانًا فلم تكسوني. مريضًا ومحبوسًا فلم تزوروني. ٤٤ حينئذٍ يجيبونهُ هم أيضًا قائلين يا ربُّ متى رأيناك جائعًا أو عطشانًا أو غريبًا أو عريانًا أو مريضًا أو محبوسًا ولم نخدمك. ٤٥ فيجيبهم قائلًا الحقَّ أقول لكم بما أنّكم لم تفعلوهُ بأحد هؤلاء الأصاغر فبي لم تفعلوا. ٤٦ فيمضي هؤلاء إلى عذاب أبديّ والأبرار إلى حيوة أبديّة

مُبارك الآتي باسم الربّ

٤١ وفيما كان الفرّيسيّون مجتمعين سألهم يسوع ٤٢ قائلًا ماذا تظنّون في المسيح. ابن من هو. قالوا لهُ ابن داود. ٤٣ قال لهم فكيف يدعوهُ داود بالروح ربًّا قائلًا ٤٤ قال الربُّ لربّي اجلس عن يميني حتّى أضع أعداءك موطئًا لقدميك. ٤٥ فإن كان داود يدعوهُ ربًّا فكيف يكون ابنهُ. ٤٦ فلم يستطع أحد أن يجيبهُ بكلمة. ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسألهُ بتّةً

الأصحاح الثالث والعشرون

١ حينئذٍ خاطب يسوع الجموع وتلاميذهُ ٢ قائلًا. على كرسيّ موسى جلس الكتبة

٤١ ج

وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ. ³ فَكُلُّ مَا قَالُوا لَكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهُ فَٱحْفَظُوهُ وَٱفْعَلُوهُ. وَلٰكِنْ حَسَبَ أَعْمَالِهِمْ لاَ تَعْمَلُوا لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ وَلاَ يَفْعَلُونَ. ⁴ فَإِنَّهُمْ يَحْزِمُونَ أَحْمَالاً ثَقِيلَةً عَسِرَةَ ٱلْحَمْلِ وَيَضَعُونَهَا عَلَى أَكْتَافِ ٱلنَّاسِ وَهُمْ لاَ يُرِيدُونَ أَنْ يُحَرِّكُوهَا بِإِصْبِعِهِمْ. ⁵ وَكُلَّ أَعْمَالِهِمْ يَعْمَلُونَهَا لِكَيْ تَنْظُرَهُمُ ٱلنَّاسُ. فَيُعَرِّضُونَ عَصَائِبَهُمْ وَيُعَظِّمُونَ أَهْدَابَ ثِيَابِهِمْ. ⁶ وَيُحِبُّونَ ٱلْمُتَّكَأَ ٱلْأَوَّلَ فِي ٱلْوَلاَئِمِ وَٱلْمَجَالِسَ ٱلْأُولَى فِي ٱلْمَجَامِعِ. ⁷ وَٱلتَّحِيَّاتِ فِي ٱلْأَسْوَاقِ وَأَنْ يَدْعُوَهُمُ ٱلنَّاسُ سَيِّدِي سَيِّدِي. ⁸ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلاَ تُدْعَوْا سَيِّدِي لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ ٱلْمَسِيحُ وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ. ⁹ وَلاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى ٱلْأَرْضِ لِأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمٰوَاتِ. ¹⁰ وَلاَ تُدْعَوْا مُعَلِّمِينَ لِأَنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ ٱلْمَسِيحُ. ¹¹ وَأَكْبَرُكُمْ يَكُونُ خَادِماً لَكُمْ. ¹² فَمَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ

¹³ لٰكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ ٱلْمُرَاؤُونَ لِأَنَّكُمْ تُغْلِقُونَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمٰوَاتِ قُدَّامَ ٱلنَّاسِ فَلاَ تَدْخُلُونَ أَنْتُمْ وَلاَ تَدَعُونَ ٱلدَّاخِلِينَ يَدْخُلُونَ. ¹⁴ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ ٱلْمُرَاؤُونَ لِأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ ٱلْأَرَامِلِ. وَلِعِلَّةٍ تُطِيلُونَ صَلَوَاتِكُمْ. لِذٰلِكَ تَأْخُذُونَ دَيْنُونَةً أَعْظَمَ. ¹⁵ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ ٱلْمُرَاؤُونَ لِأَنَّكُمْ تَطُوفُونَ ٱلْبَحْرَ وَٱلْبَرَّ لِتَكْسِبُوا دَخِيلاً وَاحِداً. وَمَتَى حَصَلَ تَصْنَعُونَهُ ٱبْناً لِجَهَنَّمَ أَكْثَرَ مِنْكُمْ مُضَاعَفاً. ¹⁶ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلْقَادَةُ ٱلْعُمْيَانُ ٱلْقَائِلُونَ مَنْ حَلَفَ بِٱلْهَيْكَلِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ. وَلٰكِنْ مَنْ حَلَفَ بِذَهَبِ ٱلْهَيْكَلِ يَلْتَزِمُ. ¹⁷ أَيُّهَا ٱلْجُهَّالُ وَٱلْعُمْيَانُ أَيُّمَا أَعْظَمُ ٱلذَّهَبُ أَمِ ٱلْهَيْكَلُ ٱلَّذِي يُقَدِّسُ ٱلذَّهَبَ. ¹⁸ وَمَنْ حَلَفَ بِٱلْمَذْبَحِ فَلَيْسَ بِشَيْءٍ. وَلٰكِنْ مَنْ حَلَفَ بِٱلْقُرْبَانِ ٱلَّذِي عَلَيْهِ يَلْتَزِمُ. ¹⁹ أَيُّهَا ٱلْجُهَّالُ وَٱلْعُمْيَانُ أَيُّمَا أَعْظَمُ ٱلْقُرْبَانُ أَمِ ٱلْمَذْبَحُ ٱلَّذِي يُقَدِّسُ ٱلْقُرْبَانَ. ²⁰ فَإِنَّ مَنْ حَلَفَ بِٱلْمَذْبَحِ فَقَدْ حَلَفَ بِهِ وَبِكُلِّ مَا عَلَيْهِ. ²¹ وَمَنْ حَلَفَ بِٱلْهَيْكَلِ فَقَدْ حَلَفَ بِهِ وَبِٱلسَّاكِنِ فِيهِ. ²² وَمَنْ حَلَفَ بِٱلسَّمَاءِ فَقَدْ حَلَفَ بِعَرْشِ ٱللهِ وَبِٱلْجَالِسِ عَلَيْهِ. ²³ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ ٱلْمُرَاؤُونَ لِأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ ٱلنَّعْنَعَ وَٱلشِّبِثَّ

٤٤ جـ

وَٱلْكَمُّونَ وَتَرَكْتُمْ أَثْقَلَ ٱلنَّامُوسِ ٱلْحَقَّ وَٱلرَّحْمَةَ وَٱلْإِيمَانَ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هٰذِهِ وَلَا تَتْرُكُوا تِلْكَ. ٢٤ أَيُّهَا ٱلْقَادَةُ ٱلْعُمْيَانُ ٱلَّذِينَ يُصَفُّونَ عَنِ ٱلْبَعُوضَةِ وَيَبْلَعُونَ ٱلْجَمَلَ ٢٥ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ ٱلْمُرَاؤُونَ لِأَنَّكُمْ تُنَقُّونَ خَارِجَ ٱلْكَأْسِ وَٱلصَّحْفَةِ وَهُمَا مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوآنِ ٱخْتِطَافًا وَدَعَارَةً. ٢٦ أَيُّهَا ٱلْفَرِّيسِيُّ ٱلْأَعْمَى نَقِّ أَوَّلًا دَاخِلَ ٱلْكَأْسِ وَٱلصَّحْفَةِ لِكَيْ يَكُونَ خَارِجُهُمَا أَيْضًا نَقِيًّا. ٢٧ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ ٱلْمُرَاؤُونَ لِأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ قُبُورًا مُبَيَّضَةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً وَهِيَ مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ. ٢٨ هٰكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا مِنْ خَارِجٍ تَظْهَرُونَ لِلنَّاسِ أَبْرَارًا وَلٰكِنَّكُمْ مِنْ دَاخِلٍ مَشْحُونُونَ رِيَاءً وَإِثْمًا. ٢٩ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلْكَتَبَةُ وَٱلْفَرِّيسِيُّونَ ٱلْمُرَاؤُونَ لِأَنَّكُمْ تَبْنُونَ قُبُورَ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَتُزَيِّنُونَ مَدَافِنَ ٱلصِّدِّيقِينَ. ٣٠ وَتَقُولُونَ لَوْ كُنَّا فِي أَيَّامِ آبَائِنَا لَمَا شَارَكْنَاهُمْ فِي دَمِ ٱلْأَنْبِيَاءِ. ٣١ فَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنَّكُمْ أَبْنَاءُ قَتَلَةِ ٱلْأَنْبِيَاءِ. ٣٢ فَٱمْلَأُوا أَنْتُمْ مِكْيَالَ آبَائِكُمْ. ٣٣ أَيُّهَا ٱلْحَيَّاتُ أَوْلَادُ ٱلْأَفَاعِي كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ. ٣٤ لِذٰلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ. ٣٥ لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنْ دَمِ هَابِيلَ ٱلصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا ٱلَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ ٱلْهَيْكَلِ وَٱلْمَذْبَحِ. ٣٦ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هٰذَا كُلَّهُ يَأْتِي عَلَى هٰذَا ٱلْجِيلِ

٣٧ يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلَادَكِ كَمَا تَجْمَعُ ٱلدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا. ٣٨ هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا. ٣٩ لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَنِي مِنَ ٱلْآنَ حَتَّى تَقُولُوا مُبَارَكٌ ٱلْآتِي بِٱسْمِ ٱلرَّبِّ

پيراكليت

١ قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهٰذَا لِكَيْ لَا تَعْثُرُوا. ٢ سَيُخْرِجُونَكُمْ مِنَ ٱلْمَجَامِعِ بَلْ تَأْتِي سَاعَةٌ فِيهَا يَظُنُّ كُلُّ مَنْ يَقْتُلُكُمْ أَنَّهُ يُقَدِّمُ خِدْمَةً لِلّٰهِ. ٣ وَسَيَفْعَلُونَ هٰذَا بِكُمْ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا ٱلْآبَ وَلَا عَرَفُونِي. ٤ لٰكِنِّي قَدْ كَلَّمْتُكُمْ بِهٰذَا حَتَّى إِذَا جَاءَتِ ٱلسَّاعَةُ تَذْكُرُونَ أَنِّي أَنَا قُلْتُهُ لَكُمْ. وَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ مِنَ ٱلْبِدَايَةِ لِأَنِّي كُنْتُ مَعَكُمْ. ٥ وَأَمَّا ٱلْآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى ٱلَّذِي أَرْسَلَنِي وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي أَيْنَ تَمْضِي. ٦ لٰكِنْ لِأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هٰذَا قَدْ مَلَأَ ٱلْحُزْنُ قُلُوبَكُمْ. ٧ لٰكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ ٱلْحَقَّ إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ. لِأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيكُمُ ٱلْمُعَزِّي. وَلٰكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ. ٨ وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ ٱلْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ. ٩ أَمَّا عَلَى خَطِيَّةٍ فَلِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِي. ١٠ وَأَمَّا عَلَى بِرٍّ فَلِأَنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي وَلَا تَرَوْنَنِي أَيْضًا. ١١ وَأَمَّا عَلَى دَيْنُونَةٍ فَلِأَنَّ رَئِيسَ هٰذَا ٱلْعَالَمِ قَدْ دِينَ.

١٢ إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لِأَقُولَ لَكُمْ وَلٰكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا ٱلْآنَ. ١٣ وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ ٱلْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ ٱلْحَقِّ لِأَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ. ١٤ ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لِأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ.

وَجَاهَةُ بَنِي إِسْمَاعِيل

٦٢ فَقَامَ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ أَمَا تُجِيبُ بِشَيْءٍ. مَاذَا يَشْهَدُ بِهِ هٰذَانِ عَلَيْكَ. ٦٣ وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ سَاكِتًا. فَأَجَابَ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ وَقَالَ لَهُ أَسْتَحْلِفُكَ بِٱللّٰهِ ٱلْحَيِّ أَنْ تَقُولَ لَنَا هَلْ أَنْتَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللّٰهِ. ٦٤ قَالَ لَهُ يَسُوعُ أَنْتَ قُلْتَ. وَأَيْضًا أَقُولُ لَكُمْ مِنَ ٱلْآنَ تُبْصِرُونَ ٱبْنَ ٱلْإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ ٱلْقُوَّةِ وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ ٱلسَّمَاءِ. ٦٥ فَمَزَّقَ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ حِينَئِذٍ ثِيَابَهُ قَائِلًا قَدْ جَدَّفَ. مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ. هَا قَدْ سَمِعْتُمْ تَجْدِيفَهُ. ٦٦ مَاذَا تَرَوْنَ. فَأَجَابُوا وَقَالُوا إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ ٱلْمَوْتِ. ٦٧

يوحنا المعمدان

حياته ودعوته

[1] وفي السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر إذ كان بيلاطس البنطي واليا على اليهودية وهيرودس رئيس ربع على الجليل وفيلبس أخوه رئيس ربع على إيطورية وكورة تراخونيتيس وليسانيوس رئيس ربع على الأبلية [2] في أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا في البرية. [3] فجاء إلى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا. [4] كما هو مكتوب في سفر أقوال إشعياء النبي القائل صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة. [5] كل واد يمتلئ وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجات مستقيمة والشعاب طرقا سهلة. [6] ويبصر كل بشر خلاص الله.

[7] وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي. [8] فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة. ولا تبتدئوا تقولون في أنفسكم لنا إبراهيم أبا. لأني أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لإبراهيم. [9] والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر. فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى في النار. [10] وسأله الجموع قائلين فماذا نفعل. [11] فأجاب وقال لهم من له ثوبان فليعط من ليس له ومن له طعام فليفعل هكذا. [12] وجاء عشارون أيضا ليعتمدوا فقالوا له يا معلم ماذا نفعل. [13] فقال لهم لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم. [14] وسأله جنديون أيضا قائلين وماذا نفعل نحن. فقال لهم لا تظلموا أحدا ولا تشوا بأحد واكتفوا بعلائفكم.

[15] وإذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون في قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح [16] أجاب يوحنا الجميع قائلا أنا أعمدكم بماء ولكن يأتي من هو أقوى مني الذي لست أهلا أن أحل سيور حذائه. هو سيعمدكم بالروح القدس ونار. [17] الذي رفشه في يده وسينقي بيدره ويجمع القمح إلى مخزنه. وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ. [18] وبأشياء أخر كثيرة كان يعظ الشعب ويبشرهم. [19]

٧ فَلَمَّا رَأَى كَثِيرِينَ مِنَ ٱلْفَرِّيسِيِّينَ وَٱلصَّدُّوقِيِّينَ يَأْتُونَ إِلَى مَعْمُودِيَّتِهِ قَالَ لَهُمْ يَا أَوْلَادَ ٱلْأَفَاعِي مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ ٱلْغَضَبِ ٱلْآتِي. ٨ فَٱصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِٱلتَّوْبَةِ. ٩ وَلَا تَفْتَكِرُوا أَنْ تَقُولُوا فِي أَنْفُسِكُمْ لَنَا إِبْرٰهِيمُ أَبًا. لِأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ ٱللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْحِجَارَةِ أَوْلَادًا لِإِبْرٰهِيمَ. ١٠ وَٱلْآنَ قَدْ وُضِعَتِ ٱلْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ ٱلشَّجَرِ. فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي ٱلنَّارِ. ١١ أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ. وَلٰكِنِ ٱلَّذِي يَأْتِي بَعْدِي هُوَ أَقْوَى مِنِّي ٱلَّذِي لَسْتُ أَهْلًا أَنْ أَحْمِلَ حِذَاءَهُ. هُوَ سَيُعَمِّدُكُمْ بِٱلرُّوحِ ٱلْقُدُسِ وَنَارٍ. ١٢ ٱلَّذِي رَفْشُهُ فِي يَدِهِ وَسَيُنَقِّي بَيْدَرَهُ وَيَجْمَعُ قَمْحَهُ إِلَى ٱلْمَخْزَنِ. وَأَمَّا ٱلتِّبْنُ فَيُحْرِقُهُ بِنَارٍ لَا تُطْفَأُ.

١٣ حِينَئِذٍ جَاءَ يَسُوعُ مِنَ ٱلْجَلِيلِ إِلَى ٱلْأُرْدُنِّ إِلَى يُوحَنَّا لِيَعْتَمِدَ مِنْهُ. ١٤ وَلٰكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلًا أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ. ١٥ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ ٱسْمَحِ ٱلْآنَ. لِأَنَّهُ هٰكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرٍّ. حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ. ١٦

---

١٩ وَهٰذِهِ هِيَ شَهَادَةُ يُوحَنَّا حِينَ أَرْسَلَ ٱلْيَهُودُ مِنْ أُورُشَلِيمَ كَهَنَةً وَلَاوِيِّينَ لِيَسْأَلُوهُ مَنْ أَنْتَ. ٢٠ فَٱعْتَرَفَ وَلَمْ يُنْكِرْ وَأَقَرَّ إِنِّي لَسْتُ أَنَا ٱلْمَسِيحَ. ٢١ فَسَأَلُوهُ إِذًا مَاذَا. إِيلِيَّا أَنْتَ. فَقَالَ لَسْتُ أَنَا. أَلنَّبِيُّ أَنْتَ. فَأَجَابَ لَا.

---

٢ أَمَّا يُوحَنَّا فَلَمَّا سَمِعَ فِي ٱلسِّجْنِ بِأَعْمَالِ ٱلْمَسِيحِ أَرْسَلَ ٱثْنَيْنِ مِنْ تَلَامِيذِهِ. ٣ وَقَالَ لَهُ أَنْتَ هُوَ ٱلْآتِي أَمْ نَنْتَظِرُ آخَرَ. ٤ فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمَا ٱذْهَبَا وَأَخْبِرَا يُوحَنَّا بِمَا تَسْمَعَانِ وَتَنْظُرَانِ. ٥ اَلْعُمْيُ يُبْصِرُونَ وَٱلْعُرْجُ يَمْشُونَ وَٱلْبُرْصُ يُطَهَّرُونَ وَٱلصُّمُّ يَسْمَعُونَ وَٱلْمَوْتَى يَقُومُونَ وَٱلْمَسَاكِينُ يُبَشَّرُونَ. ٦ وَطُوبَى لِمَنْ لَا يَعْثُرُ فِيَّ

٧ وَبَيْنَمَا ذَهَبَ هٰذَانِ ٱبْتَدَأَ يَسُوعُ يَقُولُ لِلْجُمُوعِ عَنْ يُوحَنَّا مَاذَا خَرَجْتُمْ إِلَى ٱلْبَرِّيَّةِ لِتَنْظُرُوا. أَقَصَبَةً تُحَرِّكُهَا ٱلرِّيحُ. ٨ لٰكِنْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا. أَإِنْسَانًا لَابِسًا ثِيَابًا نَاعِمَةً. هُوَذَا ٱلَّذِينَ يَلْبَسُونَ ٱلثِّيَابَ ٱلنَّاعِمَةَ هُمْ فِي بُيُوتِ ٱلْمُلُوكِ. ٩ لٰكِنْ مَاذَا خَرَجْتُمْ لِتَنْظُرُوا. أَنَبِيًّا. نَعَمْ أَقُولُ لَكُمْ وَأَفْضَلَ مِنْ نَبِيٍّ. ١٠ فَإِنَّ هٰذَا هُوَ ٱلَّذِي كُتِبَ عَنْهُ هَا أَنَا أُرْسِلُ أَمَامَ وَجْهِكَ مَلَاكِي ٱلَّذِي يُهَيِّئُ طَرِيقَكَ قُدَّامَكَ. ١١ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ لَمْ يَقُمْ بَيْنَ ٱلْمَوْلُودِينَ مِنَ ٱلنِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا ٱلْمَعْمَدَانِ. وَلٰكِنَّ ٱلْأَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمٰوَاتِ أَعْظَمُ مِنْهُ. ١٢ وَمِنْ أَيَّامِ يُوحَنَّا ٱلْمَعْمَدَانِ إِلَى ٱلْآنَ مَلَكُوتُ ٱلسَّمٰوَاتِ يُغْصَبُ وَٱلْغَاصِبُونَ يَخْتَطِفُونَهُ. ١٣ لِأَنَّ جَمِيعَ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلنَّامُوسَ إِلَى يُوحَنَّا تَنَبَّأُوا. ١٤ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَقْبَلُوا فَهٰذَا هُوَ إِيلِيَّا ٱلْمُزْمِعُ أَنْ يَأْتِيَ. ١٥ مَنْ لَهُ أُذُنَانِ لِلسَّمْعِ فَلْيَسْمَعْ

وَسَم الكلمة اليونانية التى يَدُور الخلاف حَول ترجمتهـا
باسم « أحمد » فى الأصحاح الرابع عشر من إنجيل يوحنا

παράκλητος

پِيراكليت أم پاركليت ؟

تفسير كلمة « پِيرَاكِليت » perokletos

فى القَوَامِيس الأجنبيَّة

work of such angels is described in Zech. 1:12; 3:1-10 in a way similar to that found in Job;[69] the accusations of Satan are again resisted in 3:1-10.

b. In the Apocrypha and Pseudepigrapha. Here we find the same thoughts in established and extended form. Judaism is proud of being able to look back to a long history in which righteous men and prophets stood at the side of the fathers in advocacy before God,[70] as helpers (מעדריא, S. Bar. 85:1 f.), with the functions of the *defensor, qui ferat eis preces domino*, like the *magnus nuntius Moses, qui singulis horis diebus et noctibus habebat genua sua infixa in terra, orans* ..., Ass. Mos. 11:17. If the previous rule was: *oraverunt, qui potuerunt, pro invalidis* (4 Esr. 7:112), it is now felt to be incumbent on all who fear God to pray for one another, e.g., 2 Macc. 1:2-6; 8:14 f.; 12:39-45. Even stronger, however, is the sense that the people and pious individuals need and have superhuman, heavenly helpers: the blessed righteous (Eth. En. 39:5; Enoch, 83:10; 13:4-7; 15:2 f.; Slav. En. 64:5), and esp. angels (Eth. En. 47:2; 104:1).[71] The true office of the interceding angel, who does not merely mediate human prayers to God (Eth. En. 99:3) but is the advocate of the community and its members before God's judgment throne (Test. L. 6:5: ὁ ἄγγελος ὁ παραιτούμενος τὸ γένος Ἰσραήλ),[72] rests in the hands of the supreme angels (Tob. 12:15; Eth. En. 40:6 f.; Test. L. 3:5), esp. Michael (Gr. Bar. 11 ff.; Eth. En. 68:4; Test. N. [Heb.] 9:2: מליצכם במרום "your advocate on high").[73] They can both defend and prosecute, for in heaven they bring forth both the good and evil in a man's life (Jub. 30:20; 28:6, cf. 4:6; Eth. En. 9:3-11; 89:76; 99:3). That the advocate is also the teacher and adviser of those committed to his protection may be seen, e.g., in Eth. En. 81:5 f. (Jub. 4:15 ?). New and distinctive is the listing of the Spirit, the → πνεῦμα τῆς ἀληθείας, in the ranks of advocates in Test. Jud. 20:1: δύο πνεύματα σχολάζουσι τῷ ἀνθρώπῳ, τὸ τῆς ἀληθείας καὶ τὸ τῆς πλάνης, v. 5: καὶ τὸ πνεῦμα τῆς ἀληθείας μαρτυρεῖ πάντα καὶ κατηγορεῖ πάντων,[74] καὶ ἐμπεπύρισται ὁ ἁμαρτωλὸς ἐκ τῆς ἰδίας καρδίας καὶ ἆραι πρόσωπον πρὸς τὸν κριτὴν οὐ δύναται, → 811, 15 ff. Features of the interceding angel are transferred to the hypostatised Spirit of God: acting before God's judgment seat and witness (→ 809, 28), combined with the role of accuser (→ 809, 29). The judicial action in heaven is reflected (Wis. 1:5-10) in the conscience of man (→ συνείδησις).[75] From this it is only a step to the idea of the ministry of intercession which the voice of conscience itself discharges in the sinner's prayer for forgiveness, cf. Philo (Spec. Leg., I, 237, → 802, 33 ff.), whose theological statements concerning παράκλητοι (→ 802, 21-803, 7) are simply a development or reconstruction of OT and Jewish ideas in accordance with his own way of thinking.[76]

c. In the Rabbis. The idea of the advocate is vigorously maintained in the Rabb. Their terms are סניגור and פרקליט → 802, 4-11. These are fully interchangeable, though the latter is rather less common. A new feature is the listing of the personified Torah

---

[69] In this context we cannot discuss the constructive attempt of Johansson, 49-62 to understand the Ebed Yahweh of Dt. Is. in terms of the concept of advocate (48: "The Ebed Yahweh is the most striking intercessory figure in OT religion," 57: "Intercessory angels are the most important formal models for the Ebed Yahweh").

[70] Cf. B. Stade-A. Bertholet, *Bibl. Theol. d. AT*, II (1911), and Johansson, 65-95.

[71] It has not been proved that the Son of Man is also an advocate in Eth. En. (Johansson, 97-119), cf. Kümmel, 124. Gr. En. 104:1 (ed. C. Bonner, *The Last Chapters of Enoch in Greek* = *Studies and Documents*, 8 [1937]).

[72] The unclear statement about the ἄγγελος ὁ παραιτούμενος ὑμᾶς in Test. D. 6:2 οὗτός ἐστι μεσίτης θεοῦ καὶ ἀνθρώπων (→ IV, 617, 17-20) does not make any solid contribution to our understanding of the concept of the advocate.

[73] Cf. W. Lueken, *Michael* (1898), 7-12.

[74] Text acc. to β A (Charles).

[75] Cf. P. Volz, *Der Geist Gottes* (1910), 160 f., 184 f.; Bousset-Gressm., 348 f., 403; esp. Mowinckel, 98-109, 115-118.

[76] Cf. also the observation of Mowinckel, 108 f.

among the heavenly advocates, Cant. r., 8, 17 on 8:14.[77] Also new is the idea that sacrifices and works of piety are advocates at God's judgment seat, S. Lv. on 14:19 (277a), → 802, 16 ff.; jBer., 7b, 32 (the two lambs which are to be offered daily acc. to Nu. 28:3): "two advocates daily"; Pesikt., 191b (S. Levi): "There are no better advocates than sacrifices" etc.; conversion and good works, bShab., 32a, → 802, 11-13 (with appeal to Job 33:23); cf. Ab., 4, 11a, → 802, 8-10; benevolence and works of charity, bBB, 10a, → 802, 13-16 etc.[78] Other advocates are again the righteous of earlier days, esp. Moses, whose intercession for Israel after the apostasy with the golden calf (Ex. 32:11) is constantly regarded as the great act by which he saved the people from destruction by God's anger, e.g., Ex. r., 43, 1 on 32:11: "R. Chama b. Chanina spoke: The good advocate comes forward at the trial with friendliness. Moses was one of the two advocates who arose and made speeches in defence of Israel."[79] Among the interceding angels who represent man before God (e.g., jRH, 57b, 13-19; Ex. r., 31, 15 on 22:26;[80] there is often allusion to Job 33:23-30),[81] Michael is again the chief, "the סניגור of Israel," Midr. Rt. on 1:1 (122b),[82] cf. Ex. r., 18, 5 on 12:29.[83] The idea that the Spirit is an advocate (→ 810, 22 ff.) was also maintained and developed (the word is סניגור). In exposition of Prv. 24:28 Lv. r., 6, 1 on 5:1 quotes this saying of R. Acha: "This holy Spirit conducted the defence (סניגוריא) on both sides: He said to Israel: 'Do not be in vain a witness against thy friend (i.e., God),' and he then said to God (Prv. 24:29): 'Do not say, as he has done to me, so will I do to him.'"[84] Here the Holy Spirit as סניגור has the twofold function of pleading with God for grace to His people and of reminding Israel of its duty to God.[85] The related Dt. r., 3, 12 on 9:1[86] has the Spirit exercise His intercessory office in connection with that of Moses. In Cant. r., 8, 11 on 8:10, where the Bath-Qol, the meagre remnant of the Spirit still to be found after the quenching of prophecy, is called a סניגור of Israel during its dispersion among the nations, the basic idea is that of the intercessory Spirit. The offices of defender and accuser are now very largely distinct (Ex. r., 15, 29 on 12:12 etc.).[87] That the advocate is not just a representative in the court of heaven but has also to warn men on earth and keep them on the right way, is shown esp. clearly by what is said about the advocacy of the Spirit, → *supra*.[88]

d. In the NT. The idea of the advocate in the OT and later Judaism is linked directly to the thought in 1 Jn. 2:1 (Jesus Christ a paraclete of sinful Christians before the Father). Dominant is the same forensic idea of the judgment of God before which sinners are arraigned and where they need an advocate. In the Paraclete sayings in the Gospel there are many features for which analogies may be found in the advocates of Israel and Judah. The Paraclete is an authoritative teacher of believers (14:26, cf. v. 16; 15:26; 16:7, 13 f.), a witness of revelation (15:26); a speaker in the trial of the world before the forum of God (16:8-11). In the religious heritage of later Judaism parallels may also be found for the idea

77 Johansson, 174 f.
78 For further examples cf. *ibid.*, 175-178; Str.-B., II, 561 f.
79 Str.-B., I, 141 f.; Johansson, 163 f. For further source materials cf. also Str.-B., II, 561; Johansson, 162-166.
80 Johansson, 148 f.
81 jQid., I, 10, 61d, 32 etc., *v.* Str.-B., II, 560 f.; Johansson, 146-150.
82 Str.-B., IV, 1206.
83 Johansson, 149 f., cf. also Lueken, 22-27, 48 for more material.
84 Str.-B., II, 138, 562 (with textual emendation acc. to Jalqut Shim'oni, 2 § 961 on Prv. 24:28), cf. Johansson, 157 f.
85 Mowinckel, 99-104.
86 Johansson, 159 f.
87 *Ibid.*, 150-152.
88 Cf. also in Heb. En. the figure of the Metatron as preacher and proclaimer of secrets, *v.* Johansson, 133-138.

of the Holy Spirit or Spirit of truth as Paraclete (14:16 f., 26; 15:26). The varying statements that the office of advocacy is exercised both in the court of heaven and also among men on earth are common to the OT and Jewish sources and to the NT material. The fact that they are linked in the former helps to overcome the difficulty of cleavage in the latter (between 1 Jn. and Jn.). In this heaping up of conceptual relationships agreement in the use of the term παράκλητος = פְּרַקְלִיט (or — more commonly — the synonymous סְנֵיגוֹר) strongly supports the thesis that there is a historico-religious connection between the concept of advocacy in the OT and Jewish world and the concept of the παράκλητος in the NT. Even on this answer certain difficulties still remain in connection with the origin of the concept παράκλητος. For instance, how does the title "advocate" tally with the functions of the one who bears this title in Jn., and how did Jesus come to be called paraclete (Jn. 14:16)? But these are not insuperable problems (→ C).

If it is asked whether the ideas which the NT connects with the word παράκλητος have their root in the "helper" idea of Mandaean Gnosis or the "advocate" concept of the OT and Judaism, there is a very strong probability that in the last analysis our decision must be in favour of the ancient biblical tradition.[89]

C. The NT Concept.

1. Of the various ideas linked with the word παράκλητος in the NT the most clearly etched is that of the advocate at the bar of God in heaven.[90] In place of the many advocates which Judaism found to defend the righteous before the forum of the heavenly Judge, primitive Christianity recognises only one advocate with the Father, Jesus Christ, who as the Righteous can intercede for sinners (1 Jn. 2:1). The thought is common to primitive Christianity even though the word παράκλητος does not occur in the non-Johannine writings (a caprice of tradition?). The living Christ intercedes at the right hand of the Father (R. 8:34: → ἐντυγχάνω). In intercession He places His incorruptible life at the service of His people (Hb. 7:25).[91] The advocacy of Jesus is also presupposed in Jn. 16:26. One may also see from Mt. 10:32 f. and par. (cf. Mk. 8:38 and par.) that when Jesus looked ahead to the end of the days He not merely claimed for Himself the office of Judge of the world (→ υἱός, ὁ υἱὸς τοῦ ἀνθρώπου) but was also conscious of being the defender of those who confess Him (and the accuser of those who deny Him) at the judgment seat of the Father. The Christian concept of a transcendent eschatological Paraclete, traces of which may be found throughout the NT,[92] goes back to Jesus.

---

[89] Acc. to the formula of Stauffer Theol., 5.

[90] The figure of the adversary, the κατήγωρ, the devil (→ III, 636, 23-27), is unequivocally found in the NT only at Rev. 12:10.

[91] In the picture of the exalted Christ in 1 Jn. 2:1 f. and Hb. 7:23-25 (cf. 9:24; 4:14-16; 2:17), also in 1 Cl., 36, 1, the forensic idea of the office of the Paraclete is very closely connected with the cultic conception of the (high-)priestly office (→ III, 278-282), *v.* also Mi. Hb.[8], 176; O. Moe, "Das Priestertum Christi im NT ausserhalb d. Hb.," ThLZ, 72 (1947), 338. But in accordance with the word "paraclete" the special feature of Christ as such is His coming forward with the Word. This also sets the limit to combinations of the Pauline "through Christ" and the Johannine παράκλητος (cf. A. Schettler, *Die paul. Formel "durch Christus"* [1907], 28 f., also Deissmann LO, 286), → II, 68, 36-69, 6. The same applies to the relation between μεσίτης (→ IV, 620-624 etc.) and παράκλητος in NT Christology.

[92] As in other early Chr. texts, it is probably echoed in P. Oxy., VI, 850, 10 (→ n. 36), but the state of the text does not allow us to say for certain.

2. More richly developed if more difficult to define is the idea, expressly attested only in Jn., of a Paraclete at work in the world both in and for the disciples.[93] Jesus Himself is regarded as such during His earthly ministry (14:16).[94] The only description, however, is that of the ἄλλος παράκλητος who after the departure of Jesus will continue His work and remain for ever with and in the disciples (14:16 f., 26; 16:7, 13 f.). This is the Spirit (→ πνεῦμα).[95] Sent by God or Jesus to the disciples (14:16, 26; 15:26; 16:7) — not to the world, which has no organ for Him (14:17) — He teaches with all-embracing authority and yet with strict adherence to Jesus and His message, maintaining, expanding and completing the work of Jesus, leading the disciples into all truth (14:26; 15:26; 16:13 f.). His witness to Jesus (15:26),[96] however, is also an accusation of the world before God's judgment seat: He convicts the world in respect of sin, righteousness and judgment. That is, He shows that sin is on the side of the world, right and triumph on that of Jesus (16:8-11).[97] The puzzle of the combination of kerygmatic and forensic features in the picture of the Spirit-Paraclete[98] is solved if we trace back the tradition historically to the OT and Jewish idea of the advocate (→ 809, 12-810, 2) in which there is reference already to an advocacy of the divine Spirit for man in the here and now of his earthly life (→ 810, 20-30).[99] But the idea of the Spirit as παράκλητος is not unfamiliar to the rest of the NT even if the word is not used. Paul is aware that as the believer wrestles in prayer for assurance of the consummation of salvation the Spirit comes to aid him in his weakness and represents him before God by the babbling of glossolalia (R. 8:26 f.; → I, 376, 4 ff., συναντιλαμβάνω, → ἐντυγχάνω, ὑπερεντυγχάνω). Jesus promised His disciples that when they had to give an account before earthly powers the Spirit would speak for them at the decisive moment, Mk. 13:11 and par. The picture of the intercessory Jesus in the Synoptic and Johannine tradition (Lk. 13:6-9; 22:32; [23:34]; Jn. 17) may be added to these testimonies to the advocacy of the Spirit in the world. It would seem, then, that the idea of a Paraclete in the earthly life of the disciples goes back ultimately to Jesus Himself.

If Jesus took the concept from the OT and Jewish world and found in it a term well adapted to express certain aspects of His own self-awareness, one can under-

---

[93] Johansson is wide of the mark here (181-256). Cf. also Kümmel, 125 ff.

[94] P. Oxy., VI, 850, 10 (→ n. 92) may be cited in this connection, since the tenor of the prayer does not allow us to conclude that the address ὁ παράκλητος refers to the historical Jesus or the risen Christ.

[95] Since our concern is only with the predicate παράκλητος and its meaning, not the subject of whom it is used, we cannot discuss the understanding of πνεῦμα in Jn. 14-16, nor take up what is said by others (e.g., Sasse, 275-277 or R. Eisler, "Das Rätsel d. J.," *Eranos-Jahrbuch* [1935], esp. 391-422, also Windisch, 130-137 and Bu. J., 437-440) about figures to whom the designation παράκλητος might originally and properly apply.

[96] Cf. Bu. J., 426 f.

[97] On ἐλέγχειν (→ II, 474, 4 ff.) and the meaning of 16:8-11 cf. Bau. J., 196 f.; Lagrange, 418-420; Bu. J., 432-437.

[98] It is, however, a very moot pt. whether the Spirit is herewith described as a revealer, and thus as a par. figure to Jesus Himself (Bu. J., 437). On the other hand a purely forensic view: "defender of the disciples in their fight for right and truth before the judgment of men" (*v.* Schl. J., 298, cf. Theol. d. Ap., 152), or "advocate of the disciples esp. in conflict with the world" (F. Büchsel J., *NT Deutsch,* on 14:16), does not do justice to the Johannine predicate παράκλητος.

[99] The attempt of C. K. Barrett to ignore derivation from the religious world around and to find the background of the Johannine use of παράκλητος simply in apostolic proclamation is not very convincing in view of the wealth of comparative material available [Seesemann].

stand the concealed reference to Himself as παράκλητος put on His lips in Jn. (14:16), and the Greek word may well recall the term used by Jesus Himself in His mother tongue: פרקליטא.[100]

As regards the translation of παράκλητος in Jn., the history of the word and concept shows that in the course of religious history subsidiary senses were interwoven into the primary sense of "advocate," so that no single word can provide an adequate rendering.[101] If we are to avoid the alien Paraclete, favoured by many translators and exegetes both old and new (→ 806, 23 ff.), "supporter"[102] or "helper" is perhaps the best, though the basic concept and sustaining religious idea is that of "advocate."

Behm

---

[100] Cf. Zn. J.[5, 6], 564. F. Delitzsch, ספר הברית החדשה (1877) has פְּרַקְלִיט for παράκλητος in Jn., מֵלִיץ in 1 Jn. 2:1.

[101] Mowinckel, 130, also Lagrange, 383.

[102] So H. Strathmann J. (*NT Deutsch*[4] [1951]) on 14:16 f., 26; 15:26.

إلى هنا نهاية الكلام عن بيراكليت في قاموس

THEOLOGICAL DICTIONARY

بيراكليت في قاموس

GREEK-ENGLISH

παράκλητος, ου, ὁ originally meant in the passive sense (BGU 601, 12 [II AD] παράκλητος δέδωκα αὐτῷ = 'when I was asked I gave to him'), 'one who is called to someone's aid'. Accordingly the Latin translators commonly rendered it, in its NT occurrences, with 'advocatus' (Tertullian, Prax. 9; Cyprian, De Domin. Orat. 3, Epist. 55, 18; Novatian, De Trin. 28; 29; Hilary, De Trin. 8, 19; Lucifer, De S. Athanas. 2, 26; Augustine, C. Faust. 13, 17, Tract. in Joh. 94; Tractatus Orig. 20 p. 212, 13 Batiffol. Likew. many Bible mss.: a c e m q J 14: 16; a m q 14: 26; e q r 15: 26; e m q 16: 7. Euseb., H.E. 5, 1, 10 παράκλητος = advocatus, Rufinus. Field, Notes 102f). But the technical mng. 'lawyer', 'attorney' is rare (e.g. Bion of Borysthenes [III BC] in Diog. L. 4, 50). In the few places where the word is found in pre-Christian and extra-Christian lit. it has for the most part a more general mng.: *one who appears in another's behalf, mediator, intercessor, helper* (Demosth. 19, 1; Dionys. Hal. 11, 37, 1; Heraclit. Sto. 59 p. 80, 19; Cass. Dio 46, 20, 1). The pass. idea of παρακεκλῆσθαι retreated into the background, and the active idea of παρακαλεῖν took its place (on the justification for equating παράκλητος with παρακαλῶν s. Kühner-Bl. II 289). So the Jews adopted it as a loanw. (פְּרַקְלִיט. Pirqe Aboth 4, 11.—SKrauss, Griech. u. latein. Lehnwörter in Talmud, Midrasch u. Targum '98/'99 I 210; II 496; Dalman, Gramm.[2] 185; Billerb. II 560–2). In Job 16: 2 Aq. and Theod. translate מְנַחֲמִים (= comforters) as παράκλητοι; LXX has παρακλήτορες. In Philo our word somet. means 'intercessor' (De Jos. 239, Vi. Mos. 2, 134, Spec. Leg. 1, 237, Exsecr. 166, Adv. Flacc. 13; 22), somet. 'adviser', 'helper' (Op. M. 23; 165). The Gk. interpreters of John's gosp. understood it in the active

sense = παρακαλῶν or παρακλήτωρ (Euseb., Theol. Eccl. 3, 5, 11 p. 161, 26 Kl.; Theodore of Mopsuestia in the comm. on John p. 307f Chabot; Ammonius in the Corderius-Catena 365), and so did Ephraem the Syrian (Evang. Concord. Expos., ed. Aucher-Moesinger '76, 225 = RHarris, Fgments. of the Comment. of Ephrem S. '95, 86). In our lit. the act. sense *helper, intercessor* is suitable in all occurrences of the word (so Gdspd., Probs. 110f). τίς ἡμῶν παράκλητος ἔσται; 2 Cl 6: 9. πλουσίων παράκλητοι *advocates of the rich* B 20: 2; D 5: 2.—In 1 J 2: 1 (as Acta Jo. in a damaged fragment: POxy. 850, 10) Christ is designated as παράκλητος: παράκλητον ἔχομεν πρὸς τὸν πατέρα Ἰησοῦν Χριστὸν δίκαιον *we have Jesus Christ the righteous one, who intercedes for us.* The same title is implied for Christ by the ἄλλος παράκλητος of J 14: 16. It is only the Holy Spirit that is expressly called παρ. = *Helper* in the Fourth Gosp.: 14: 16, 26; 15: 26; 16: 7.—HUsener, Archiv für lat. Lexikographie 2, '85, 230ff; HSasse, Der Paraklet im J: ZNW 24, '25, 260–77; HWindisch, Johannes u. die Synoptiker '26, 147f, Die fünf joh. Parakletsprüche: Jülicher-Festschr. '27, 110–37; RAsting, 'Parakleten' i Johannes-evangeliet: Teologi og Kirkeliv. Avh. etc. '31, 85–98; SMowinckel, D. Vorstellungen d. Spätjudentums v. Hl. Geist als Fürsprecher u. d. joh. Paraklet: ZNW 32, '33, 97–130; JMusger, Dicta Christi de Paracleto '38; EPercy, Untersuchgen. üb. den Ursprung d. joh. Theol. '39; Bultmann '40, 437–40; NJohansson, Parakletoi: Vorstellgen. v. Fürsprechern f. d. Menschen vor Gott in d. atl. Rel., im Spätjudent. u. Urchristent. '40.; NHSnaith, ET 57, '45, 47–50 (*Convincer*); WFHoward, Christianity acc. to St. John '47, 71–80; WMichaelis, Con. Neot. 11, '47, 147–62; GBornkamm, RBultmann-Festschr. '49, 12–35; CKBarrett, JTS n. s. 1, '50, 8–15; JGDavies, ibid. 4, '53, 35–8.—JBehm, TW V 798–812. M-M.*

مقـــدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم

« الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين ، اياك نعبد واياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » . والصلاة والسلام علي النبي الأمى الكريم محمد بن عبد الله بن اسماعيل بن ابراهيم . وعلى النبيين السابقين ، والتابعين لهم بخير الى يوم الدين .

*

وبعــــد ..

فقد كنت أعد رســالة الدكتوراه فى كلية اصول الدين — جامعة الأزهر — فى موضوع (مجلة الأزهر واثرها فى الدعوة الاسلامية) فى سنة ١٩٧٣م وذات يوم التقيت بـ « قمص » نصرانى ظن أنى نصرانى مثله ، لأنى كنت أقرأ فى الكتاب المقدس وأحمل منه نسخة أخرى ، لصديق لى . فسألنى قائلا : أتعرف أن الأصحاح الثامن من سفر دانيال النبى يشــير الى معركة ســنة ١٩٦٧م التى حدثت بين المسلمين وبين اليهــود فى أرض فلسطين ؟ قلت : قد قرأت ذلك فى كتاب « اظهــار الحق » ولكنى لم ادرس جيدا قال : أحب أن أطلع عليه . ونزلنا من القطار الى منزل « الشيخ حامد عبد الحميد ابراهيم قلبه* » فى محطة المطرية بمصر . وفى الطريق سألته : أمحمد نبى المسلمين لا يشير اليه الكتاب المقدس ؟ قال : يشير اليه فى آيات كثيرة . ثم سرد لى كثيرا من هذه الآيات .

وفى منزل هذا الشيخ الذى كنت نازلا عليه ضيفا ، قرأ ما أراد . ثم انصرف مندهشا لما عرف انى مسلم فيما بعد .

(*) من قرية « اخطاب » دقهلية .

وكان بين الشيخ وبين أستاذنا صاحب الفضيلة الدكتور « الشيخ محمد بن محمد أبو شهبه » موعد آخر النهار ، فاصطحبنى معه . وقصصنا عليه ما حدث فتبسم ضاحكا وقال : « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » وكررها كثيرا . ثم قال : وددت لو يكتب أحد رسالة فى موضوع : « البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل » نشرح الله صدرى للذى قال ، وتنازلت عن الموضوع الاول . وأشرف هو عليه وساعدنى فيه كثيرا .

ومن عجيب المصادفات أننى التقيت بهذا القمص ، واسمه « جرجس سلمون فيلمون » وكيل الدير المحرق فى القوصية بأسيوط ، فى مسجد الجامع الأزهر بعد سنتين من الزمان فى حجرة الأساتذة وذكر لى نصوصا أخرى .

***

ذلك هو السبب المباشر لاختيار هذا الموضوع والكتابة فيه .

وأما الهدف من الكتابة ، فانه يتلخص فى هذين الهدفين :

أولا : اثبات نبوة نبى الاسلام ﷺ وصدق القرآن الكريم فى ما أشار اليه من أن أهل الكتاب « يعرفونه كما يعرفون أبناءهم » (البقرة١٤٦)

ثانيا : تصحيح مسار الدعوة العالمية التى ينفرد بها النصارى ، فان الدعوة العالمية الصحيحة هى لنبى الاسلام ﷺ . وليست لعيسى عليه السلام ، لأنه من بنى اسرائيل . وقد خاطب هو اليهود فى هيكل سليمان بأورشليم — القدس — بقوله : « ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (متى ٢١ : ٤٣) .

***

ومنهجنا فى هذه الدراسة قائم على ما يلى :

أولا : بالنسبة للتوراة . نستدل الاستدلال الكامل من الأسفار

الخمسة المنسوبة لموسى عليه السلام وذلك لالزام جميع اليهود والنصارى. ونستدل من أسفار الأنبياء لالزام اليهود العبرانيين والنصارى .

ثانيا : بالنسبة للانجيل : نستدل الاستدلال الكامل من الاناجيل الاربعة المعترف بهم عند جميع النصارى ، وهم : متى ومرقس ولوقا ويوحنا . ونستدل من غير الأناجيل الاربعة بانجيل برنابا للايضاح والتأكيد .

ثالثا : نذكر وجهة نظر أهل الكتاب ، ونناقشها بأدلة من التوراة والانجيل وأقوال المؤرخين الثقات .

رابعا : قد وجدنا اعترافات كثيرة فى الكتب ليهود ونصارى بأن نبى الاسلام ﷺ مكتوب عنه فى التوراة وفى الانجيل . ولكننا بصدد الزام اليهود والنصارى بالاسلام لا يمكن أن تكون هذه الاعترافات مقنعة وملزمة لهم . ولذلك لا نعتمد عليها كثيرا .

ومن هذه الاعترافات : يقول مؤرخ يهودى سامرى لم يسلم (١) : ان ثلاثة رجال أحدهم من اليهود السامريين فى « نابلس » ويسمى صرماصة . وثانيهم من اليهود العبرانيين فى « أورشليم » ويلقب بكعب الأحبار . وثالثهم نصرانى راهب ويسمى عبد السلام . هؤلاء الثلاثة اجتمعوا معا وانطلقوا الى مقابلة النبى ﷺ يقول ما نصه : « وجاءوا حتى وصلوا الى المدينة التى هو فيها . وقالوا لبعضهم بعض : من يتقدم أولا ؟ فقال كعب الأحبار : أنا . فتقدم اليه وسلم عليه . فرد عليه السلام . وقال له : من أنت من أولاد اليهود ؟ فقال له : أنا رجل من مقدمى اليهود ، وجدت فى توراتى أن يقوم ملك من نسل اسماعيل ويملك الدنيا ولا يقف

---

(١) أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى لم يسلم . له كتاب يسمى (التاريخ مما تقدم عن الآباء) كتبه سنة ٧٥٦ هجرية فى نابلس . وطبع هذا الكتاب بالمانيا سنة ١٨٦٥ ميلادية وله أصل المانى ومقدمة باللاتينية . وملاحظات باللغة العبرية للمسيو «ادوارد ملار» وترجمته العربية ركيكة .

بين يديه أحد . فتقدم عبد السلام بعده وقال : هكذا وجدت فى الانجيل .
وتقدم اليه صرماصة . وقال له : أنت تدين بدين وسيعة وتملك رقاب
العالم (٢) »

ثم يقول بعد ذلك ما نصه : « ومحمد ما أساء الي أحد من أصحاب
الشرائع ، وسمعت من لفظ الحكيم وهو نقل عن كاتبه المنقول منه العلامة
فاضل الوجود الشيخ نفيس الدين أبو الفرج بن كثار انه جاء فى نقل
السلف عن محمد وهو .... الخ »

وهذا الذى نقله عن السلف ، كتبه فى كتاب . باللغة العبرية السامرية
التى كانت شائعة قبل تغيير العبرانيين للخط العبرى ، بعد الرجوع من
سبى بابل .

(انظر الصورة الفوتوغرافية) .

---

(٢) ص ١٧٢ التاريخ مما تقدم عن الآباء .

صفحة من كتاب التاريخ مما تقدم عن الآباء :

مفتوحا وخرج منه كلب فلما رأوه جلوا وزاءه الى الباب وما علم بهم دركبوا وبقى القتل فى المدينة واقاموا يوما كاملا يقتلوا فى السوق السفلانى قبل يعلم الفوقانى لانها كانت مبنية مدينة فوق مدينة ومن قدر يهرب فى البحر ومن استسلم لهم سلم وانفتحت المدينة وسكنوا فيها فلما فتحوها حلت هيبتهم على سائر الاماكن هولاء بنى اسمعيل احاطوا كل الاماكن ورتب الجزية اربعة دراهم ومخلاة شعير من سوى خراج الارض ومحمد ما اساء الى احد من اصحاب الشرائع وسمعت من لفظ الحكيم وهو نقل عن كاتبه المنقول منه العلامة فاضل الوجود الشيخ نفيس الدين ابى الفرج بن كثلر ان جاء فى نقل السلف عن محمد وهو [illegible]
[illegible]

واقام محمد فى المملكة عشر سنين وكل العالم طائعين له ومنذ انتقلت مملكته الى اقاربه بنى امية على ما اوصاهم لم يزيدوا ولا ينقصوا ولا اسوا الى احد قط وقام منهم تسعة عشر ملكا اولهم محمد عاش ثلاثة وستين سنة ثلاثة واربعين سنة لم يتعرض الى شىء وعشر سنين للحروب وعشر سنين نبى وملك ومنذ ملكه الاسلام الى مروان الاخر من بنى امية مائة وواحدة وثلثون سنة

1. مفتوحا cod. مفتوح — 3. السوق cod. الشوق — 7. الارض Finis narrationis e codice C. petitae. — 12. Abhinc sequitur primum hujus chronici additamentum, quod in codicibus A. C. legitur. — 14. ملكا codd. ملكى.

وقد قسمت موضوع الرسالة بعد التقديم الى بابين :

الباب الأول : نبى الاسلام فى التوراة .

ويندرج تحته الفصول الآتية :

الفصل الأول : بركة اسماعيل .

وفيه نبين :

١ ـ ان الله وعد ابراهيم عليه السلام بأن يكون من ذريته هداة للأمم ، وملوك على الشعوب .

٢ ـ وأن الوعد منصرف الى اسماعيل واسحق عليهما السلام .

٣ ـ وأن اليهود حذفوا اسم (محمد) ﷺ من التوراة ووضعوا بدله عبارتين يشيران الى محمد ﷺ بحساب الجمل هما « بماد ماد » و « لجوى جدول »

٤ ـ وأن الذبيح هو اسماعيل عليه السلام وكان الذبح فى مكة المكرمة .

الفصـــل الثانى : شيلون

وفيه نبين : أن يعقوب عليه السلام وصى أولاده من بعـــده . وعرفهم بمجىء نبى من بنى اسماعيل عليه السلام لينسخ الشريعة ويزيل الملك من بنى اسرائيل .

الفصل الثالث : النبى الأمى

وفيه نبين : الأوصاف التسعة التى ذكرها موسى عليه الســـلام عن نبى يأتى من بنى اسماعيل عليه السلام وهى ١ ـ نبى ٢ ـ من بنى اسماعيل ٣ ـ مثل موسى ٤ ـ ينسخ شريعة موسى ٥ ـ أمى ٦ ـ أمين على الوحى ٧ ـ سوف يقضى على بنى اسرائيل اذا لم يؤمنوا برسالته ـ أى سينسخ شريعتهم ويزيل من العالم ملكهم ـ ٨ ـ لن يقتل ٩ ـ سوف يتحدث عن أمور تحدث فى مستقبل الايام ، وتحدث كما يقول .

الفصل الرابع : البركات الثلاث

وفيه نبين : ان التوراة قسمت بركة آل ابراهيم فى الأمم بين سيناء

وساعير وفاران وأن الاشارة بسيناء لموسى عليه السلام ؛ والاشـــارة بساعير علماء بنى اسرائيل ومنهم النبى عيسى عليه السلام ، والاشارة بفاران لمحمد ﷺ .

الفصل الخامس : تغيير القبلة

وفيه نبين : أن موسى عليه السلام لم يحدد لبنى اسرائيل قبلة ، وأنهم اختلفوا من بعده فى شأن القبلة . فالسامريون قدسوا جبل جرزيم ، والعبرانيون قدســوا جبل صــهيون . وأن نصــوص الانجيل تشـــير الى نزع القبلة من بنى اسرائيل الى مدينة أخرى .

الفصل السادس : المسيا المنتظر

وفيه نبين : أن النبى الأمى الذى اخبر عن ظهوره موسى لينســخ شريعته فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية وهو محمد ﷺ ، قد لقبه اليهود بلقب المسيا الذى تفسيره المسيح ، كما يلقبون أنبياءهم وعلماءهم وملوكهم ، ثم أوهموا العالم بأن المسيا سيأتى من بنى اسرائيل ، لا من بنى اسماعيل .

***

الباب الثانى : نبى الاسلام فى الانجيل :

ويندرج تحته الفصول الآتية :

الفصل الأول : المسيح عيسى بن مريم — حياته ودعوته .

الفصل الثانى : ملكوت السموات .

وفيه نبين :

١ — أن أصل فكرة الملكوت من سفر دانيال .

٢ — أن الملكوت يتأسس بعد مملكة الرومان (الروم)

٣ — أن أمثال الملكوت التى ضربها عيسى عليه السلام لمجىء الملكــوت وبيان حقيقته ومنها مثل الأمة الاسلامية الذى ذكره القرآن الكريم تشير الى المسلمين .

الفصل الثالث : ابن الانسـان

وفيه نبين

١ ـ ان لقب ابن الانسان الذى ذكره دانيال فى سفره ، هو لقب لنبى الاسلام ﷺ صاحب ملكوت السموات .

٢ ـ أن عيسى عليه السلام بين أن ابن الانسان سيأتى من بعده .

الفصل الرابع : مبارك الآتى باسم الرب

وفيه نبين :

١ ـ أن أصل التعبير من مزامير داود عليه السلام الذى هو الزبور .

٢ ـ وأن عيسى عليه السلام بين أن المبارك الآتى من بعده هو نبى غيره من بنى اسماعيل عليه السلام

الفصل الخامس ، بيركليت

وفيه نبين : أن اسـم أحمد ﷺ هو بيركليت باللغـة العبرانية . و « بيركليتوس » باللغة اليونانية . والنصارى حرفوه الى « باراكليت » و « باراكليتوس » وبيركليت جاءت فى بعض الكتب « بيراكليت » وجاءت « ببريكليت » وجاءت « فيرقليط »

الفصل السادس : وجاهة بنى اسماعيل

وفيه نبين : أن محاكمة عيسى عليه السلام المذكورة فى الأناجيل الأربعة لا تظهر أنه هو النبى المنتظر الذى هو (المسيا) المماثل لموسى عليه السلام . وأن علماء بنى اسرائيل ائتمروا على قتله لقوله : ان النبى المنتظر ـ وهو محمد ﷺ ـ لن يأتى من بنى اسرائيل . بل سيأتى من بنى اسماعيل . وبرروا فعلهم بأنهم لو تركوه حيا ، فسيأتى الرومانيون ليأخذوا موضعهم وأمتهم ، مع أن الرومانيين كانوا يحتلون موضعهم وأمتهم من قبل ولادة عيسى عليه السلام بثلاث وستين سنة . وقيل : بمائة عام .

الفصل السابع : يوحنا المعمدان ـ حياته ودعوته

وفيه نبين : قصته ونذكر النصوص التى يشير بها عن نبى الاسلام ﷺ .

***

والنصوص التى سنذكرها من التوراة والانجيل هى من ترجمة البروتستانت بمصر سنة ١٩٧٠ وترجمة الآباء اليسوعيين فى بيروت سنة ١٩٦٨ وهما يغايران التراجم القديمة فى بعض الآيات . ومثال ذلك : أنه فى ترجمة لندن سنة ١٨٤٨م وسنة ١٨٨٤ وسنة ١٨٤١م أن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام قال لتلاميذه عن نبى الاسلام ﷺ : « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فارقليط آخر ، ليثبت معكم الى الابد ... الخ » (يو١٤) وهذه الترجمة موافقة للتراجم القديمة . ومنها الترجمة التى نقل عنها فى تفسيره الامام فخر الدين الرازى . محمد بن عمر ، المتوفى سنة ٦٠٦ هـ ونصها : « **وأنا أطلب لكم الى أبى ، حتى يمنحكم ويعطيكم الفارقليط ، حتى يكون معكم الى الابد** ... الخ » وفى ترجمة الكتاب المقدس سنة ١٩١٢م فى المطبعة الاميركانية تعليق على لفظ « المعزى » فى الهامش بنه باراكليت (٣) .

واقتصرنا على نبوءات الاسفار الخمسة فى هذه الرسالة ، وعلى

---

(٣) « بيركليت » كلمة عبرانية ، تترجم « أحمد » فى اللغة العربية . وهى فى اليونانية بيركليتوس . والنصارى ينطقونها « باراكليت » لتعنى الآتى عوضا عن المسيح ليعزى بنى اسرائيل فى ضياع ملكهم ونبوتهم . والدليل على أنها اسم : ورودها فى التراجم المترجمة عن اليونانية رأسا بزيادة حرف السين . وحرف السين لا يضاف فى اليونانية الا الى الاسماء . ومن هذه التراجم ترجمة

The Jer usalem Bible Alexander Jones — 1968 with Abridged Introductions and Notes, London DARTON LONGMAN & TODD

فذيها ما نصه على التعليق على كلمة another Avocate (يو ١٤ : ١٦) .

14 a. parokletos : advocate or counsellor or protector.

نبوءات أسفار الانبياء التى اقتبسها المسيح عليه السلام فى تبشيره عن نبى الاسلام ﷺ كما ورد فى الاناجيل الاربعة ، وكما ورد فى انجيل برنابا مما هو شبيه بما فيها . وذلك ليتطابق عنوان الرسالة مع ما فيها من النصوص التى يسلمون بقدسيتها .

وما سنتركه فى هذه الرسالة من النبوءات التى لم يقتبسها المسيح من أسفار الانبياء ، ومن النصوص التى أوردها برنابا عن المسيح ، سنذكره فى كتاب « اقتباسات كتاب الاناجيل من التوراة » وفى كتاب « دفاع عن انجيل برنابا » .

وكعادة المؤلفين من قبلى فى الموضوعات المهمة ، سأختصر موضوع هذه الرسالة فى كتاب صغير يسمى بـ « نبوءات عن محمد فى الكتاب المقدس » وسأفرد الكلام عن المسيا فى كتاب مستقل ، لان علماء أهل الكتاب عندهم مباحث مشهورة تحت هذا الاسم . واذا كتبت عن « يوحنا المعمدان بين الاسلام والنصرانية » سأذكر فيه كلاما من هذا الموضوع . وسوف يجد القارىء فى كل كتاب معلومات جديدة ليست فى غيره من الكتب . باذن الله وعونه .

***

أما بخصوص التوراة والانجيل . فاننا نذكر عنهما ما يلى

التـــوراة

يقول اليهود العبرانيون واليهود السامريون (٤) والنصارى أيضا :

---

(٤) اليهود دخلوا الأرض المقدسة أرض كنعان (أرض فلسطين) فى عهد داود عليه السلام . سنة ١٠٥٦ تقريبا . وكان موسى عليه السلام سنة ١٥٧١ ق.م تقريبا . وبعد موت سليمان عليه السلام انقسم اليهود الى مملكتين . مملكة عاصمتها شكيم (نابلس) وسموا بالسامريين أو اسرائيل أو المملكة الشمالية . ومملكة عاصمتها أورشليم (القدس) وسموا بالعبرانيين أو يهوذا أو المملكة الجنوبية . وقد وقعت المملكة الأولى فى سبى آشور ٧٤٠ ق.م تقريبا ووقعت المملكة الثانية فى سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م ثم استولى ملك بابل على مدينة أشور ، وصار جميع اليهود فى سبى بابل . وفى بابل قام عزرا بتحريف التوراة عمدا . وسنظهر ذلك فى كتابنا « نقد التوراة أسفار موسى الخمسة »

أن كتاب موسى عليه السلام يسمى التوراة حقيقة . وهو عبارة عن خمسة أسفار هى ١ ـ التكوين ٢ ـ والخروج ٣ ـ واللاويين (الأحبار) ٤ ـ العدد ٥ ـ التثنية (تثنية الاشتراع) ويقول العبرانيون والنصارى بكتب تسمى التوراة مجازا لأنبياء أتوا من بعد موسى ـ عليه السلام ـ ويسمونها بـ « كتب الأنبياء »

أولا : كتاب موسى

ومن يمعن النظر فى كتاب موسى عليه السلام لا يجد أنه من عهد موسى ولا من كتابته ، كما يزعم اليهود والنصارى ، بل يجد أنه كتب من بعد موسى بزمان طويل . بدليل :

١ ـ أن فيه خبر موته ففى سفر التثنية « فمات هناك موسى عبد الرب فى أرض موآب . حسب قول الرب ودفنه فى الجواء فى أرض موآب مقابل بيت فغور . ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم . وكان موسى ابن مئة سنة وعشرين سنة حين مات » (التثنية ٣٤ : ٥ ـ ٧)

٢ ـ وفيه أحداث وقعت فى عصر داود عليه السلام ففى سفر التثنية : « ان عوج ملك باشان وحده من بقية الرفائيين . هو ذا سريره . سرير من حديد . أليس هو فى ربة بنى عمون ؟ طوله تسع أذرع وعرضه أربع أذرع بذراع رجل . فهذه الأرض امتلكناها فى ذلك الوقت » (التثنية ٣ : ١١ ـ ١٢) قوله : « أليس هو فى ربة بنى عمون ؟ » يدل على أن السرير كان موجودا زمن الكاتب . وأن هذا السرير بقى فى حوزة بنى اسرائيل بعد موت عوج بن عنق . وأنه محفوظ فى « ربة بنى عمون » وربة بنى عمون لم يستول عليها بنو اسرائيل فى زمن موسى بل بعده بخمسمائة عام وخمسة عشر تقريبا ، لقول كاتب سفر أخبار الأيام الأول : « وكان عند تمام السنة . فى وقت خروج الملوك ، اقتاد يوآب قوة الجيش وأخرب

أرض بنى عمون وأتى وحاصر ربة . وكان داود مقيما فى أورشليم فضرب يوآب ربة وهدمها » (الأخبار الأول ٢٠ : ١)

٣ — واعترف بعض السامريين والعبرانيين والنصارى بأن كتاب موسى مكتوب فى مدينة بابل بالعراق ، من بعد سبى نبوخذ ناصر سنة ٥٨٦ ق.م

(أ) يقول أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى : « قام عزرا وزوربابل ، ووضعوا لهم — لليهود العبرانيين — خطا غير الخط العبرانى ، وجعلوا الحروف سبعة وعشرين حرفا . وتطرقوا الى الشريعة المقدسة ونقلوها بالخط الذى ابتدعوه وحذفوا كثيرا من سور الشريعة المقدسة بسبب السورة الرابعة من العشر كلمات ، وذكر هرجرزيم وحددوه فيها ، وزادوا وانتقصوا وبدلوا وحرفوا (٥) »

(ب) وقال سبينوزا الفيلسوف اليهودى : « والمسألة الأساسية وهى أن عزرا الذى أعده المؤلف الحقيقى ، طالما لم يبرهن لى أحد على مؤلف آخر ببرهان أكثر يقينا لم يكن آخر من صاغ الروايات المتضمنة فى هذه الأسفار . وأنه لم يفعل أكثر من أنه جمع روايات موجودة عند كتاب متعددين. وفى هذه الأحيان كان يقتصر على نسخها ونقلها على هذا النحو ، الى الخلف دون فحصها أو ترتيبها . ولا أستطيع أن أخمن الاسباب التى منعته من اتمام عمله هذا ، بحيث يوليه كل عنايته ، الا اذا كان موتا مبكرا (٦) »

(جـ) ويقول ول ديورانت فى قصة الحضارة : « كيف كتبت هذه الأسفار ؟ ومتى كتبت ؟ وأين كتبت ؟ ذلك سؤال كتب فى الاجابة عنه آلاف المجلدات ولكن يجب أن نفرغ منه هنا فى فقرة واحدة : ان العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب من أسفار التوراة هو سفر التكوين . وقد كتب

---

(٥) ص ٦٤ — ٦٥ التاريخ مما تقدم عن الآباء — وجرزيم جبل سيأتى الحديث عنه .

(٦) ص ٢٨٣ رسالة فى اللاهوت والسياسة .

بعضه فى يهوذا وبعضه فى اسرائيل ثم تم التوافق بين ما كتب هنا وهناك بعد سقوط دولتى اليهود . والرأى الغالب : أن سفر التثنية من كتابة عزرا . ويبدو أن أسفار التوراة الخمسة قد اتخذت صورتها الحاضرة حوالى عام ٣٠٠ ق.م (٧) »

(د) ويقول الآباء اليسوعيون فى أسفار موسى الخمسة : « كثير من علامات التقدم تظهر فى روايات هذا الكتاب وشرائعة . فما من عالم كاثوليكى فى عصرنا يعتقد أن موسى ذاته قد كتب كل البانتاتيك (٨) منذ قصة الخلق الى قصة موته . كما أنه لا يكفى أن يقال ان موسى أشرف على وضع النص الملهم الذى دونه كتبة عديدون فى غضون أربعين سنة بل يجب القول مع لجنة الكتاب المقدس البابوية سنة ١٩٤٨ م أنه يوجد ازدياد تدريجى فى الشرائع الموسوية ، سببته مناسبات العصور التالية ، الاجتماعية والدينية ، تقدم يظهر فى الروايات التاريخية (٩) »

وهذه الأسفار الخمسة التى كتبها « عزرا » فى « بابل » ونسبها الى موسى عليه السلام ، يسلم بها السامريون والعبرانيون من زمان عزرا الى يومنا هذا . غير أنه يوجد اختلاف فى بعض الآيات والمعانى . ومثال ذلك : النص على يوم القيامة ، فانه غامض فى العبرانية وواضح فى السامرية يقول الكاتب على لسان الله عز وجل :« اليس ذلك مكنوزا عندى مختوما عليه فى خزائنى . لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم» ؟ (تثنية ٣٢ : ٢٤ــ٢٥) ونصه فى السامرية : « اليس ذلك مكنوزا عندى مختوما عليه فى خزائنى الى يوم الانتقام ... الخ » فبين قوله : « لى النقمة والجزاء » وبين قوله « ان أعمالهم عندى مذخورة الى يوم الانتقام » بون عظيم وفرق

---

(٧) ص ٣٦٧ جـ ٢ قصة الحضارة .

(٨) لما ترجمت الأسفار الخمسة الى اللغة اليونانية أطلقوا عليها « بانتاتيك » أى الكتاب ذو الأسفار الخمسة (ص ٣ مقدمة الكتاب المقدس للكاثوليك) .

(٩) ص ٤ المجلد الأول من الكتاب المقدس للكاثوليك .

كبير — كما يقول أبو الفتح — لأنه بمقتضى نصهم يجوز أن ينتقم الساعة وغدا وما قبل وما بعد ، ويجوز أن يكون ذلك فى الدنيا ويجوز أن يكون فى الآخرة (١٠) »

وما ذكرناه عن اليهود والنصارى فى تحريف كتاب موسى عليه السلام ينقض قول ابن كمونة فى تنقيح الابحاث . وهو : « وعزرا الذى ينسبون اليه تحديد التوراة بعد ذهابها — كما زعموا — هو من المشهورين بالتعظيم وكثرة الخير والدين . **وهو الذى يسميه المسلمون بـ « عزير »** ويدعون هم وبعض اليهود نبوته . ومن يخالف فى نبوته فلا يخالف فى عظم شأنه فى الدين والخير ، فلا يتصور فى حقه أن يستحل تحريف كتاب الله وتبديله » أ. هـ. وسنبين فى كتابنا « نقد التوراة » أنه ما كان نبيا . وما كان وليا .

والتوراة التى بأيدى العبرانيين والتى تسمى التوراة العبرانية قد ترجمت الى اللغة اليونانية ٢٨٥ — ٢٤٧ قبل لميلاد . يقول صاحب تاريخ الاسرائيليين : « فى عهد بطليموس فيلادلفوس ٢٨٥ — ٢٤٧ ق.م ترجمت التوراة العبرية الى اللغة اليونانية . وقد قام بها اثنين وسبعين عالما من علماء اليهود ، وانتهوا منها فى اثنين وسبعين يوما . وكان يهود فلسطين يعتبرونها مزيفة لكثرة التحريفات والزيادة التى أوقعها فيها النساخ (١١) »

***

ومن الأمثلة على الاختلافات بين العبرانية واليونانية :

١ — فى العبرانية : لما وضع يوسف عليه السلام السقاية فى رحل أخيه وخرج اخوته من مصر « قال يوسف للذى على بيته : قم اسع وراء الرجال ومتى أدركتهم فقل لهم : لماذا جازيتم شرا عوضا عن خير ؟ أليس

---

(١٠) ص ٩٧ التاريخ مما تقدم عن الآباء .
(١١) ص ٢٧ تاريخ الاسرائيليين .

هذا هو الذى يشرب سيدى فيه وهو يتفاءل به ؟ أسأتم فى ما صنعتم « تكوين ٤٤ : ٤ ــ ٥) وفى اليونانية توضع عبارة « لم سرقتم صواعى »؟ هكذا : « لم سرقتم صواعى ؟ أليس هذا ... الخ » فعبارة « لم سرقتم صواعى » ؟ محذوفة من العبرانية .

٢ ــ من آدم عليه السلام الى نبى الاسلام ﷺ على وفق السامرية ٤٨٢٥ سنة ، وعلى وفق العبرانية ٤٥١٤ وعلى وفق اليونانية ٥٦٠٠ سنة . والمؤرخ السامرى أبو الفتح يحدد الجملة ٥٠٤٧ سنة .

***

ومن الزمان الذى ترجمت فيه التوراة الى اليونانية ، انتشرت التوراة فى العالم ، وظهرت ترجمات أخرى مثل الآرامية واللاتينية ، فصعب على اليهود تحريفها وزاد من صعوبة التحريف بعد ذلك الزمان ظهور النصرانية وتمسك النصارى بالتوراة وتفرقهم بها فى جميع البلاد . وذلك لأنهم كانوا يكتبونها ويضعونها مع كتب الأناجيل الاربعة فى مجلد واحد . ويسمون مجموع كتب التوراة والانجيل (بيبل) باللغة اليونانية أو الكتاب المقدس أو كتب العهد القديم (التوراة) وكتب العهد الجديد (الانجيل) .

وانتشر ذلك الكتاب المقدس فى العالم ، وجاء الاسلام فنقد هـذا الكتاب نقدا عنيفا ، وبين أنه حرف عمدا .

يقول الأنبا اثناسيوس : « وأقدم النسخ الكاملة للعهدين هى :

١ ــ النسخة الفاتيكانية : وقد كتبت فى مصر فى أوائل القـرن الرابع .

٢ ــ النسخة السينائية وترجع الى أواخر القرن الرابع .

٣ ــ النسخة الاسكندرية وترجع الى أوائل القرن الخامس (١٢)»

***

---

(١٢) ص ١٣ تفسير متى .

والقرآن الكريم قد اعترف بتحريف التوراة والانجيل عمدا . وهذا الاعتراف عليه أدلة موجودة فى التوراة وفى الانجيل المتداولين . وقد اعترف بأن نبى الاســـلام ﷺ مكتوب فى التوراة وفى الانجيل ، وهذا الاعتراف عليه أدلة موجودة فى التوراة وفى الانجيل المتداولين . لأن التوراة والانجيل المتداولين . كانا متداولين فى العالم من قبل ظهور نبى الاسلام ﷺ . فقد كانت التوراة متداولة من القرن الثالث قبل الميلاد ، والانجيل كان متداولا من القرن الرابع بعد الميلاد . ونبى الاسلام ﷺ قد ظهر فى القرن الميلادى السادس .

ولم يقل القرآن بأن التوراة كلها محرفة . بل قال ان البعض محرف ، ولم يقل بأن الانجيل كله محرف بل قال ان البعض محرف . يقول تعالى : « ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب » (آل عمران ٢٣) ويقول تعالى : « ومن الذين قالوا : انا نصارى ، أخذنا ميثاقهم . فنسوا حظا مما ذكروا به » (المائدة ١٤) لم يقل أوتوا الكل ولا نسوا الكل . ومن هذا البعض نستشهد على نبوة النبى ﷺ ولا يصح أن يعترض علينا النصارى بقولهم كيف تستدلون من كتب أنتم تعتبرونها محرفة ؟ فانهم مع اعترافهم بتغيير التوراة وتبديلها نجدهم يستشهدون بنصوصها ولا يجدون غضاضة فى ذلك .

***

وكاتب التوراة فى « بابل » لم يحذف منها النصوص التى تدل على محمد ﷺ وذلك لكى يرضى المتدينين من بنى اسرائيل . وفرق النصوص على الأسفار الخمسة ، ولم يضعها كلها فى مكان واحد ، لئلا تدل عليه بسهولة ويسر . واتبع طريقة لبس الحق بالباطل . وتحريف الكلم من بعد مواضعه فى كتابة نصوص النبوءات عليه .

وبيان طرق التحريف هكذا :

(أ) فى قصة الذبيح عليه السلام قال تعالى لابراهيم عليه السلام :

« خذ ابنك وحيدك الذى تحبه » وهذا هو الحق . لأن الابن الوحيد هو اسماعيل المولود قبل اسحق اخيه بأربعة عشر عاما . والكاتب وضع بعده كلمة : « اسحق » وهذا هو الباطل ، لأن اسحق ليس وحيد أبيه . وقد وضع الكاتب الباطل بعد الحق ليلغز المعنى . وهذا هو النص بتمامه : « وحدث بعد هذه الأمور أن الله امتحن ابراهيم . فقال له يا ابراهيم . فقال : ها أنذا . فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق ، واذهب الى أرض المريا ، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك .... الخ » (تك ٢٢ : ١ — ٢)

(ب) فى تنبيه التوراة على مجىء النبى المنتظر هذا النص وهو : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) وقد وضع الكاتب « من اخوتك » ليحتمل أنه من الممكن أن يأتى من بنىاسرائيل ، ومن الممكن أن يأتى من بنى اسماعيل . فان اسماعيل « أمام جميع اخوته يسكن » (تك ١٦ : ١٢) واحتمال الكلمة لمعنيين هو تحريف للكلم من بعد مواضعه .

(ج) وبعدما استقرت نصوص التوراة فى العالم ، من أيام الاسكندر الاكبر ، ولم يعد بمقدور اليهود أن يحرفوها تحريفا لفظيا ، لجأوا الى تأويل النصوص تأويلا فاسدا . وهذا هو تحريف الكلم عن مواضعه .

***

ونبوءات التوراة عن محمد ﷺ قد فرقها كاتب التوراة على أسفار موسى الخمسة ، لكى لاتدل عليه بسهولة فى نظر الاميين ، وهى تدل عليه فى نظر الأمى والعالم اذا تضامت كلها فى موضع واحد ، وصارت كنبوءة واحدة . وبيان ذلك :

أولا : تبين التوراة أنه « لما كان ابرام ابن تسع وتسعين سنة ، ظهر الرب لابرام . وقال له : أنا الله القدير سر أمامى وكن كاملا ، فأجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا » أى امش بالدعوة الى بين الناس ،

وكن قدوة لهم فى عمل الخير ، وأنا اجعل عهدى معك ، وفى نسلك ان مشوا وكانوا قدوة .

ثم وضح الله له أن العهد بالنبوة والملك على الأمم ، محصور فى ولديه الكبيرين اسماعيل واسحق — عليهما السلام — فى هذا النص : « وقال الله لابراهيم : ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى ، بل اسمها سارة . وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون ...

وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش أمامك . فقال الله : بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق . وأقيم عهدى معه عهدا أبديا لنسله من بعده . وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة . ولكن عهدى أقيمه مع اسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية » (تك ١٧ : ١٥ — ٢١)

وهذا النص يبين أن البركة تعنى « أمما وملوك شعوب » ونبوة . وأن اسماعيل مبارك فيه . والكاتب قد لبس الحق بالباطل فى قوله ان العهد بالنبوة سيتام مع اسحق الذى ما كان قد ولد بعد ، وسيحرم اسماعيل منه ، ثم ذكر قبل ذلك أن العهد مع ابراهيم فى ولديه هذين ليس عهد نبوة ، بل عهد ختان فى هذا النص : « هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك . يختن منكم كل ذكر » (تك ١٧ : ١٠) ثم ذكر أن ابراهيم ختن اسماعيل ابنه « وكان اسماعيل ابنه ابن عشرة سنة حين ختن فى لحم غرلته » (تك ١٧ : ٢٥)

والعلماء الدارسون يقولون فى ما قدمنا : ان كان العهد للختان ، فان اسماعيل داخل فيه . وان كان العهد للنبوة ، فان اسماعيل داخل فيه . وذلك لانه قد اختتن بالفعل ، ولان له بركة كبركة اسحق أخيه .

ثانيا : اذا وضعنا النص على بركة اسماعيل ، قبل قول موسى

عليه السلام عن نبى مثله ناسخ لشريعته : وهو « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك ، من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث١٨:١٥) فان قوله هذا يدل على نبى من آل اسماعيل ، يظهر ، لتبدأ من ظهوره بركة اسماعيل فى قومه وفى الامم . واذا قرانا قول موسى عليه السلام وهو أنه لن يقوم فى بني اسرائيل نبى مثله الى الأبد (تث ٣٤ : ١٠) لتأكدنا أن هـــذا النبى الآتى لن يكون من بنى اسرائيل . وحيث لاسماعيل بركة ، فانه سيكون منه .

ثالثا : اذا وضعنا بعد النص على بركة اسماعيل ، والنص على النبى الأمى : قول يعقوب عليه السلام : « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون . وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠)

ومعناه : أن الملك ينقضى من اليهود ، والتوراة تنسخ ، اذا أتى « شيلون » الذى ستخضع له الشعوب . فان شيلون يكون هو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لثبوت بركة فى نسل اسماعيل عليه السلام .

رابعا : ولأن النص على بركة اسماعيل هو رأس النبوءات الدالة على مجىء محمد ﷺ ، قال كاتب التوراة مؤكدا على بركته : « وهـــذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء وأشرق من سعير وتلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس ، وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب . جميع قديسيه فى يدك وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك » (تث ٣٣ : ١ — ٣) وقال : ان فاران هو مكان سكنى اسماعيل المبارك « وسكن فى برية فاران » (تك ٢١ : ٢١) وقصده : أن ستنزل شريعة الهية فى فاران كما نزلت التوراة فى طور سيناء .

ثانيا : أسفار الأنبياء

أ — فى التوراة العبرانية بالاضافة الى الأسفار الخمسة ، كتب تسمى بأسفار الأنبياء . هذا بيانها :

٦ — يشوع ٧ — القضاة ٨ — راعوث ٩ — صموئيل الأول ١٠ — صموئيل الثانى ١١ — الملوك الأول ١٢ — الملوك الثانى ١٣ — أخبار الأيام الأول ١٤ — أخبار الأيام الثانى ١٥ — عزرا ١٦ — نحميا ١٧ — استير ١٨ — ايوب ١٩ — المزامير (الزبور) ٢٠ — الأمثال ٢١ — الجامعة ٢٢ — نشيد الأنشاد ٢٣ — أشعياء ٢٤ — ارمياء ٢٥ — مراثى ارمياء ٢٦ — حزقيال ٢٧ — دانيال ٢٨ — هوشع ٢٩ — يوئيل ٣٠ — عوبيديا ٣١ — يونان (يونس) ٣٢ — عاموس ٣٣ — ميخا ٣٤ — ناحوم ٣٥ — حبقوق ٣٦ — صفنيا ٣٧ — حجى ٣٨ — زكريا ٣٩ — ملاخى .

ب — وأضيف الى التوراة اليونانية مع الأسفار السابقة الأسفار التالية :

اسم السفر	عدد الأصحاحات	موضع السفر من أسفار العهد القديم
١ — طوبيا	١ — ١٤	بعد سفر نحميا
٢ — يهوديت	١ — ١٦	بعد سفر طوبيا
٣ — تتمة أستير	١٠ — ١٦	مع سفر أستير
٤ — الحكمة	١ — ١٩	بعد نشيد الأنشاد
٥ — يشوع بن سيراخ	١ — ١٥	بعد سفر الحكمة
٦ — باروخ	١ — ٦	بعد مراثى ارميا
٧ — تتمة دانيال	٣ و ١٣ —	مع سفر دانيال
٨ — المكابيين الأول	١ — ١٦	بعد سفر ملاخى
٩ — المكابيين الثانى	١ — ١٥	بعد المكابيين الأول

وأسفار الأنبياء هذه ليست أسفار عقائد وشرائع . فان العقيدة

والشريعة من سفر موسى وحدة ، وانما هى أسفار تاريخية تحكى تاريخ اليهود من أيام آدم — عليه السلام — الى وقوع بنى اسرائيل فى أسر نبوخذ ناصر ملك بابل ، وبعضها حكم وأمثال ، وفى بعضها تنبؤات عن نبى الاسلام وبعضها غزل وعشق وهيام ، وبعضها يحكى الى عصر المكابيين ١٦٧ ق.م. وهى أسفار مشكوك فى صحتها من اليهود والنصارى — كما هو واضح مما بينا —



الانجيـــل

لا يقول النصارى ان عيسى سلمنا انجيلا مكتوبا ، كما استلم بنو اسرائيل التوراة من موسى عليه السلام ، وانما يقولون : ان عيسى خطب كثيرا أمام اليهود ووعظ فى هيكل سليمان ، وفسر لتلاميذه كل شىء ، ولما رفع الى السماء بدأ البعض يكتبون قصة حياته ، ووضعوا فى ثنايا القصة قبسا من تعاليمه التى كان يلقيها على الناس .

يقول الأنبا أثناسيوس : « بدأ التبشير بالمسيحية بالتعليم الشفهى . فلما قال الرب لتلاميذه : « اذهبوا الى العالم واكرزوا بالانجيل للخليقة كلها » (مرقس ١٦ — ١٥) لم يسلمهم انجيلا مكتوبا على ورق ، واستعمل كلمة « أفانجليون » لا كاسم كتاب ، بل حسب معناها العام : « البشرى المفرحة » أى أن ينشروا خبر الخلاص فى العالم أجمع ، وجال الرســـل فى سائر البلاد يبشرون بالمسيح مخلص العالم . وجاءت الحاجة للأسفار المكتوبة فى مرحلة تالية ، فالبعض يريدون سيرة الرب فى الجسد مكتوبة ، فيرشد الروح أحد الرســـل ليكتب لهم انجيلا وآخرون يحتاجون لشرح بعض نقاط فتكتب لهم رسالة » (١٣)

والمسلمون يقولون : قـــد كان لعيسى عليه السلام انجيل مكتوب ، قد عمل اليهود على ضياعه أولا ، ثم عملوا على لبس الحق بالباطل فيما كتبه التلاميذ ثانيا ، كما عملوا فى كتاب موسى من قبل . لأن عيسى كان كاتبا وقارئا ، ولا يستبعد على قارىء كاتب مثل هذا أن يكتب مبادىء دعوته فى كتاب ، خاصـــة وانه مرسل من الله برســـالة . ومن عادة الرسل أن يكونوا حريصين على رسالتهم ومهتمين بها ومحافظين عليها . ولانه توجد اشارات واضحات على وجود انجيل حقيقى كان بيد عيسى عليه السلام ، ومن تلك الاشارات « جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول :

---

(١٣) ص ١٠ انجيل متى للأنبا أثناسيوس .

قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله ، فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مرقس ١ : ١٤ — ١٥) أى الانجيل للذى بيدى . والذى سوف أسلمه لكم من قبل أن أترك الدنيا — والنصارى يفسرون قوله « وآمنوا بالانجيل » بقولهم : آمنوا بما القيه من فمى عليكم —

ولانه قد وجد من علماء النصارى من اعترف بانجيل قد فقد لعيسى عليه السلام . فقد « كتب الفاضل (نورتن) كتابا فى الاسناد . وطبع هذا الكتاب فى بلدة بوستن سنة ١٨٣٧م وقال فى المجلد الأول من هـذا الكتاب فى الديباجة :«قال أكهارن فى كتابه : انه كان فى ابتداء الملة المسيحية فى بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال : انها هى الانجيل الاصلى . والغالب : أن هذا الانجيل كان قد سوى للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ، ولم يروا أحواله بأعينهم ، وكان هذا الانجيل بمنزلة القلب (١٤) » ولأنه أيضا كما يجوز العقل نقل التلاميذ من كلام مسموع ، يجوز نقلهم من كلام مكتوب .

***

لقد كتب عيسى انجيله اذن ، فما معنى الانجيل ؟ ولماذا اختفى ؟ وما هى التعاليم التى كانت مكتوبة فيه ؟ وهل هو شريعة منفصلة عن شريعة التوراة ؟ وما خبر الأناجيل الاربعة المتداولة الى اليوم فى أيدى النصارى ؟

يجمع النصارى على أن كلمة الانجيل معربة عن الكلمة اليونانية « افانجليوس » أو القبطية « افانجليون » ومعناها : البشارة أو الخبر المفرح . واذا سألناهم ما هو هذا الخبر المفرح ؟ لأجابوا : « السبب فى اطلاق هذا الاسم عليه : أنه يعلن للملأ محبة الله المطلقة للخطأة ، وموت المسـيح كفارة عنهم ، حتى لا يهلك كل من يؤمن به منهم ايمانا حقيقيا ، بل تكون له الحياة الابدية » (١٥)

---

(١٤) نقلا عن اظهار الحق ص ١٢١ جـ ١ .
(١٥) ص ٧ انجيل برنابا فى ضوء التاريخ والعقل والدين .

يعقون أن آدم لما أكل من شجرة الخلد ، صار مخطئا بالاكل . لان الله كان قد نهاه عن الاكل . وانتقلت عنه الخطيئة الى أبنائه وأحفاده ، وكل من يموت فانه يدخل النار ، سواء كان بارا أو غير بار . الى أن جاء المسيح فقتل عن الجنس البشرى كله ، ليمحوا الخطايا ويزيل الآثام .

ونرد عليهم : ان البشارة أو الخبر المفرح : هى أو هو تبشير عيسى بمجىء نبى الاسلام — عليهما السلام — لأنه خبر مفرح حقا . واليهود قد طال انتظارهم له ، وتشوقهم اليه . لأنه أملهم فى هذه الحياة الدنيا ، وفى ظله يعيشون بين الأمم . فان موسى فى سفر التثنية قد أخبر عنه ، وجاء المسيح ليبشر باقتراب الزمان الذى سيتحقق فيه هذا الخبر . فموسى أخبر ، وعيسى بشر . وقولهم : ان هذا الخبر هو موت المسيح كفارة عن الخطاة ، قول لا يصدقه عقل ، لأن **كثيرين من النصارى الأوائل قد اعترفوا بأن المسيح لم يقتل ولم يصلب (١٦)** ولأن التوراة التى يقدسها كل النصارى كما يقدسها اليهود ، نصت على أنه « لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل انسان بخطيته يقتل » (تثنية ٢٤ : ١٦)

وتصرح التوراة بأن الانسان مخير لا مسير ، ليتحقق وعد الله بتعذيب العاصى واكرام المطيع . ففى سفر التثنية على لسان الله تعالى : « ان هذه الوصية التى أوصيك بها اليوم ليست عسرة عليك ولا بعيدة منك . ليست هى فى السماء حتى تقول : من يصعد لأجلنا الى السماء ويأخذها لنا ويسمعنا اياها **لنعمل بها** . ولا هى فى عبر البحر حتى تقول : من يعبر لأجلنا البحر ويأخذها لنا ويسمعنا اياها **لنعمل بها** . بل الكلمة قريبة منك جدا . فى فمك وفى قلبك ، **لتعمل بها** » (تث ٣٠ : ١١ — ١٤)

ويصرح الانجيل بأن الانسان حر فى اختيار أفعاله ، ليتحمل المرء نتيجة عمله . ففى انجيل متى يقول عيسى عليه السلام : **« فكل من يسمع**

---

(١٦) انظر : تاريخ الارطقات مع دحضها — بدع الجيل الأول .

أقوالى هذه ، ويعمل بها ، أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر ، فنزل المطر وجاءت الأنهار ، وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط ، لأنه كان مؤسسا على الصخر . **وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها** ، يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل ، فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ، وصدمت ذلك البيت فسقط . وكان سقوطه عظيما » (مت ٧ : ٢٤ — ٢٧)

واذا كانت نصوص التوراة ونصوص الانجيل صريحة وواضحة فى أن الله قد خلق الانسان حرا ، وحمله مسئولية أعماله . فكيف يكون موت المسيح عيسى عليه السلام كفارة عن الآثمين والمذنبين والمفسدين والخاطئين ؟

ولقد اختفى الانجيل الحقيقى بسبب اليهود ، فانهم ائتمروا على المسيح وأرادوا قتله ، لقوله ان النبى الآتى من بعدى هو من بنى اسماعيل لا من بنى اسرائيل . يقول يوحنا : « جمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا . وقالوا : ماذا نصنع ؟ فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة . ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به ، فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا » (يوحنا ١١ : ٤٨ — ٤٧) ويحكى برنابا هذا القول بصراحة عن روءساء الكهنة والفريسيين هكذا : « ماذا يكون الثمر اذا تركنا هذا الانسان يعيش من المؤكد أن الاسماعيليين يصيرون ذوى وجاهة عند الرومانيين ؟ فيعطونهم بلادنا ملكا ، وهكذا يصير اسرائيل عرضة للعبودية كما كان قديما » (برنابا ١٤٢ : ١٩ — ٢١) . وكلام برنابا هو الصحيح ، لأن الرومانيين يحتلون بلادهم من قبل مجىء المسيح ، بثلاث وستين سنة .

وائتمارهم على الداعى ، هو ائتمارهم على الدعوة ، ولقد اختفى الانجيل بسبب محاولات اليهود المستميتة لقصر الشريعة عليهم وحدهم ، واحتقار بنى اسماعيل والأمم . ولقد اضطهدوا النصارى وعذبوهم وقتلوا منهم الكثيرين من بعد رفع المسيح الى السماء ، كما قد حاولوا من قبل قتل عيسى عليه السلام . كما هو مبين فى سفر أعمال الرسل .

والتعاليم التى كتبت فى الانجيل الحقيقى ، يمكن الاستدلال علـى بعضها مما هو مكتوب فى الأناجيل المتداولة الآن . لأنها — مع تحريفها — أقرب الكتب التى كتبت الى عهد عيسى عليه السلام .

ومن ينظر فى هذه الأناجيل . لا يجد أنها شريعة منفصـلة عن شريعة التوراة ، بل يجد أن عيسى يحترم التوراة ، ويحيل أتباعه الى العمل بها ، ويهددهم بالعقاب اذا نقضوا أية وصية فيها ، ويجد فيهم حكما ، ووصايا خلقية وارشادات نافعة . ففى الأناجيل : الدعوة الى عبادة الله وحده كما فى انجيل متى على لسان المسيح : « للرب الهك تسجد ، واياه وحده تعبد » (متى ٤ : ١٠) والتبشير باقتراب ملكوت السموات — هذا الملكوت الذى تحدث عنه النبى دانيال — ويضرب الأمثال لمجيئه . وهو ملكوت نبى الاسلام ﷺ بمجده وسلطانه ، وأن اسـمه المبارك هو : أحمد .

ففى الأناجيل يقول عيسى عليه السلام لأتباعه : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ما جئت لأنقض بل لاكمل — أى لاصحح — فأنى الحق أقول لكم : الى أن تزول السماء والأرض لا يزول حـرف واحد ، أو نقطة واحد من الناموس حتى يكون الكل » (متى ٥ : ١٧ — ١٨)

يقول متى هنرى : أن كلمة « اكمل » فى نصها اليونانى « ليملأ كل ثغرة فيه » ويقول : « الانجيل هو وقت الاصلاح » (عبرانيين ٩ : ١٠)
ولم يقصد به نقض أو نسخ الناموس بل أصلاحه (١٧) »

ويقول متى « حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه ، وافعلوه ، ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون » (متى ٢٣ : ١ — ٣) ويقول برنابا : « قال يسـوع :

---

(١٧) ص ٢١٠ ج ١ تفسير متى لمتى هنرى .

أتظنون انى جئت لأحل الشريعة والانبياء ؟ الحق أقول لكم : لعمر الله انى لم آت لأبطلها ولكن لأحفظها » (برنابا ٣٨ : ٢ — ٣) .

واليهود يقولون بما قلنا . ففى تنقيح الأبحاث ما نصه : « وتغيير أحكام التوراة ، كاباحة لحم الخنزير وترك الختان والغسل ، مروى عن الحواريين ، لا عن السيد المسيح ، فانه لم يزل متمسكا بأحكامها الى أن قبضت اليهود عليه ، وكان يأمر بها . وقال : « ما جئت لأنقضها » وحيث أنكروا عليه ما توهموه تفريطا فى بعض أحكامها ، بين لهم أنه ليس بتفريط ، وأوضح لهم ذلك ، مما يقتضيه فقههم وشرعهم — كما هو مذكور فى الانجيل —

وبقى أصحابه على التمسك بها مدة طويلة ، الى أن أظهروا المخالفة لها والاعلان بنسخها ، وأنها انما كان يلزم العمل بها ، الى حين ظهور السيد المسيح ، لا غير ، وأكثر ذلك عن رأى « فولوس » الرسول (١٨) » اهـ

***

وأما خبر الأناجيل الاربعة المتداولة الى اليوم فى أيدى النصارى .

فان النصارى يقولون : ان اليهود اضطهدوا التلاميذ الأوائل اضطهادا بشعا لم يسمع بمثله فى التاريخ ، وعذبوا المؤمنين بدعوة عيسى عليه السلام عذابا أليما وكان من الذين تفننوا فى تعذيبهم من اليهود : « شاول » المسمى أيضا « بولس » أو « بول » . يقول عن نفسه : « أنا رجل يهودى ولدت فى طرسوس » (أعمال الرسل ٢٢ : ٣)

وبولس هذا « كان يسطو على الكنيسة ، وهو يدخل البيوت ، ويجر رجالا ونساء ، ويسلمهم الى السجن » (أعمال ٨ : ٣) وقد كان راضيا بقتل استفانوس أول شهيد فى النصرانية ، ويوم قتله « حدث

---

(١٨) تنقيح الأبحاث ص ٤٥ .

فى ذلك اليوم اضطهادا عظيم على الكنيسة التى فى أورشليم ، فتشتت الجميع فى كور اليهود والسامرة ما عدا الرسل ، وحمل رجال أتقياء استفانوس ، وعملوا عليه مناحة عظيمة » (أ ع ٨) ولم يستمع اليهود لنصيحة غمالائيل الذى قال لهم : « تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم ، لأنه ان كان هذا الرأى أو هذا العمل من الناس ، فسوف ينتقض ، وان كان من الله فلا تقدروا أن تنقضوه ، لئلا توجدوا محاربين لله أيضا » (أ ع ٥ : ٣٨ ـ ٣٩) ورجموا « استفانوس » الذى كان « لا يفتر عن أن يتكلم كلاما تجديفا ، ضد هذا الموضع المقدس والناموس » (أ ع ٦ : ١٣) وأرسلوا شاول برسائل الى رؤساء مجامعهم فى دمشق ليأتى بالنصارى الذين هم فيها مقرنين بالأصفاد . ففكر وهو فى الطريق أن القتل لن يمحو دعوة عيسى عليه السلام ولن يثنى عزائم الاتباع ، ورأى أن التظاهر بالنصرانية والكيد لها هو أفضل الطرق للقضاء عليها وعلى الفور تظاهر بالنصرانيه . وقال للنصارى اننى حزين جدا على اليهود الذين لم يتنصروا قال ما نصه : « ان لى حزنا عظيما ووجعا فى قلبى لا ينقطع، فانى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروما من المسيح لأجل اخوتى أنسبائى حسب الجسد ، الذين هم اسرائيليون ، ولهم التبنى والمجد والعهود والاشتراع والعبادة والمواعيد ولهم الآباء ، ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن على الكل إلها مباركا إلى الأبد » (رومية ٩ : ١ ـ ٥).

وبعد ما أظهر حزنه ، وبين أن المسيح « الها مباركا الى الأبد » شرع يوضح لهم بما لا لبس فيه ولا خفاء : ان التوراة لا فائدة فيها ، ولا داعى للعمل بأحكامها . وذلك فى قوله « ان كنتم قد متم مع المسيح عن أركان العالم . فلماذا كأنكم عائشون فى العالم تفرض عليكم فرائض لا تمس . ولا تذق . ولا تجس ، التى هى جميعها للفناء فى الاستعمال ، حسب وصايا وتعاليم الناس » (كو ٢ : ٢٠ ـ ٢٢) وفى قوله : « فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب ، أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التى هى ظل الأمور العتيدة » (كو ٦ : ١٦ ـ ١٧) وهكذا ألغى بولس ناموس موسى وانجيل عيسى بجرة قلم . ولما اختفى الانجيل الحقيقى ـ وهذا هو

الصحيح — قام التلاميذ الأمناء بكتابة ما تذكروه من حياة عيسى ودعوته فى كتب ، سموها بالأناجيل — وقد لعب فيها اليهود من بعدهم — وهذا على رأى القائلين بأن المسيح كان قد أملى على تلاميذه الانجيل الالهى النازل عليه من السماء . وأما على رأى القائلين بأن المسيح قد ترك وعظا شفهيا ، دونه التلاميذ فى كتب بعد رفعه وسموها بالأناجيل ، فان اليهود بعد انتشارها قد وضعوا فيها أيديهم للبس الحق بالباطل .

وقد كثرت هذه الأناجيل بكثرة الأتباع وانتشارهم فى القرن والمدن للرجوع اليها أثناء تبشيرهم ، ومن هذه الأناجيل كما يقول القس عوض سمعان : « انجيل يعقوب ونيقوديموس وتوما ، واندراوس ، وبرثاماوس ، والتلاميذ الاثنى عشر ، ومتى ، وبرنابا ، وانجيل العبرانيين وانجيل المصريين ، وانجيل الطفولة (١٩) »

وقد استقر رأي النصارى على اختيار الأناجيل الأربعة وهى :

١ — متى ٢ — مرقس ٣ — لوقا ٤ — يوحنا

ورفض ما عداها ، بالرغم من أن النصارى جميعا مختلفون فى شخصية كل كاتب من هؤلاء الكتاب وزمن تدوينه لانجيله ، وهى اما أن تكون قد نسبت لمن تحمل أسماءهم وهم لم يكتبوها ، أو هم الكاتبون لها . ثم أدخل فيها اليهود المنافقون عبارات للبس الحق بالباطل وهذا هو الأقرب الى الصواب . ولما رضى النصارى بهذه الاناجيل الاربعة ، أشاعوا فى الناس أن الله ألهم كتاب هذه الأناجيل بواسطة الروح القدس ، الأقنوم الثالث فى الثالوث المقدس ، وأن الروح القدس عصم الكتاب من الخطأ ، وهو يملى عليهم ، وبذلك تكون هذه الاناجيل الهامية من وحى السماء ولا يجوز الخروج عليها بل يجب التعبد بتلاوتها والعمل بالوصايا التى فيها .

وقد ذكرنا من قبل أن هذه الأناجيل المتداولة هى التى كانت فى زمن

---

(١٩) وأيضا The Apocryphal New Testament

نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم ، وهى التى قصدها القرآن بالحكم عليها .

***

ونبين هنا عن ترجمة الكتاب المقدس ما يلى :

يقول صاحب تاريخ الأقباط : ان كتب التوراة ترجمت الى اليونانية من العبرانيه ، ثم ان النسخة القبطية ترجمت عن اليونانية بين القرنين الثالث والخامس بعد الميلاد على يد الفيلسوف بنتينوس (٢٠) وأما عن الترجمة الى اللغة العربية : فيذهب البعض الى أن ترجمة للعهدين معا ، كانت عام ٧٥٠ ميلادية بمعرفة يوحنا أسقف أشبيلية أسبانيا نقلا عن اللاتينية . الا أن ذلك غير مقطوع به وان كان يحتمل أن الأناجيل الأربعة قد ترجمت فى القرنين الثامن والتاسع من اليونانية أو السريانية أوالقبطية وقد اشتغل أولاد العسال وهم من علماء القبط فى القرن الثالث عشر بمراجعة الاناجيل الاربعة والرسائل فى اللغات القبطية واليونانية والسريانية والعربية وضبطوا ترجمتها العربية ودونوها بخطهم فى نسخة موجودة الآن بالمتحف القبطى .

ثم فى القرن السابع عشر قام الآب سركيس الرزى مطران دمشق، مع نفر من العلماء بجمع عدة نسخ عربية ، وقابلوها بنسخ عبرية ويونانية ، وانتهوا الى نسخة منقحه طبعت فى روما سنة ١٦٧١ ميلادية ثم فى القرن التاسع عشر قام المعلم فارس الشدياق بترجمة الكتاب كله ، وطبع العهد الجديد عن هذه الترجمة سنة ١٨٥١ م ثم طبع العهدان فى لندن

---

(٢٠) يقول الأنبا اثناسيوس أن بنتينوس كان سنة ١٩٠م يقول : وما أن انتصف القرن الثانى حتى ظهرت الترجمات الاولى لهذه الاسفار فظهرت الترجمة اللاتينية — وهى قبل الترجمة اللاتينية الشائعة المعروفة باسم الفولجاتا التى قام بها القديس جيروم فى القرن الرابع — والترجمة السريانية والترجمة القبطية وقد قام بها بنتينوس (؟ — ١٩٠ م)
(تفسير انجيل متى للانبا اثناسيوس)

سنة ١٨٥٧ م وفى سنة ١٨٥٦ م ظهرت الطبعة الأولى الكتاب المقـــدس بعناية القس غالى سميث المرسل الامريكى ، وبمساعدة المعلم بطرس البستانى ، والدكتور كرفيايوس فنديك فى مدينة بيروت ، وهى الأكثر شيوعا اليوم فى الاقطار العربية ، وقـــد تمت الترجمة اليسوعية بعناية الرهبان اليسوعيين فى بيروت سنة ١٨٧٦ ميلادية (٢١) »

***

وبالاضافة الى الأناجيل الأربعة يقدس النصارى الكتب الآتية .

أعمال الرسل ــ رسائل بولس الى : ١ ــ أهل رومية ٢ ــ أهل كورنثوس ٣ ــ الثانية الى أهل كورنثوس ٤ ــ أهل غلاطية ٥ ــ أهل افسوس ٦ أهل فيابى ٧ أهل كولوسى ٨ ــ الأول الى أهل تسالونيكى ٩ ــ الثانيـــة الى أهـــل تسالونيكى ١٠ ــ الأولى الى تيموثـــاوس ١١ ــ الثانية الى تيموثاوس ١٢ الى تيطس ١٣ الى فيلمون ١٤ ــ الرسالة الى العبرانيين ــ رسالة يعقوب ــ بطرس الأولى ــ بطرس الثانية ــ يوحنا الأولى ــ يوحنا الثانية ــ يوحنا الثالثة ــ رسالة يهوذا ــ رؤيـــا يوحنا اللاهوتى (الجميع سبعة وعشرون سفرا) .

***

ونذكر تعريفا موجزا بأصحاب الاناجيل الاربعة ليتبين به أنها ضعيفة فى المتن وفى السند :

جاء فى قاموس الكتاب المقدس لجورج بوست ما يلى :

(١) انجيل متى :

متى (عطية الله) هو أحد الاثنى عشر رسولا ، وكاتب الانجيـــل الأول المنسوب اليه ، وكان اسمه فى الأول : لاوى ، وتغير الى متى عندما

---

(٢١) ص ٩٤ جـ ١ تاريخ الأقباط .

تقلد وظيفة الرسول . **انجيل متى :** يرجح أن هذا الانجيل كتب فى فلسطين لأجل المؤمنين ، من الملة اليهودية ، الذين اعتنقوا الديانة المسيحية، واختلف القول بخصوص لغة هذا الانجيل الاصلية ، فذهب بعضهم الى أنه كتب أولا بالعبرانية ، أو السريانية التى كانت لغة فلسطين فى تلك الايام ، وذهب آخرون الى أنه كتب فى اليونانية كما هو الآن . وذهب بعض القدماء الى أنه كتب فى السنة الثامنة بعد الصعود . وآخرون الى أنه كتب فى الخامسة عشرة . ويظن البعض : أن انجيانا الحالى كتب بين سنة ٦٠ وسنة ٦٥ م ، وأن انجيلى مرقس ولوقا كتبا فى نفس تلك المدة .

(٢) انجيل مرقس :

مرقس لقب ليوحنا يهودى يرجح أنه ولد فى أورشليم ، لان أمه سكنت هناك . ولا يعرف شىء حقيقى عن حياته ، ألف انجيله فى اليونانية ، والمشابهة بين انجيلى متى ، ومرقس ، جعلت البعض يفتكر ان الاخير مختصر الاول . ولا توجد الايات المدونة فى ص ١٦ : ٩ — ٢٠ فى اثنتين من النسخ القديمة . فلذلك زعم البعض أنها مضافة فى الأزمنة المتأخرة ، أضافها بعض آباء الجيل الثانى كايرنيوس الذى تأليفاته أقدم من أقدم النسخ .

٣ — لوقـــا :

مسيحى فى ايام الرسل . وكان من الأمم ، وظن بعضهم أنه مولود فى انطاكية ويرجح أنه لم يكن من السبعين ، وكان طبيبا محبوبا . وجاء فى التقليد أنه كان مصورا أيضا ، وكان رفيق بولس فى أسفاره المتأخرة. وبقى معه الى أن أسر وأخذ الى روميه ، ولم يعلم شىء من حياته بعد ذلك . وهو كاتب انجيل لوقا وأعمال الرسل . وقد كتب هذا الانجيل قبل خراب أورشليم ، وقبل سفر الأعمال ، ويرجح أنه كتب فى قيصرية فى فلسطين مدة أسر بولس سنة ٥٨ — ٦٠ غير أن البعض يظنون أنه كتب قبل ذلك .

(٤) يوحنـــا :

يرجح أنه كان ابن خالة المسيح ، على افتراض أن مريم كانت اخت سالومه . عهد اليه المسيح بكفالة أمه مريم واستحفظه اياها .

انجيل يوحنا :

وهـــو آخـــر الأناجيل كتـــابة . ويظن أنه كتب فى افســـس بين ســـنة ٧٠ ، ٩٠ م .

***

هذا بخصوص التوراة والانجيل اللذين سنظهر منهما أن محمدا مكتوب فيهما .

وأما بخصوص المسيا الذى تفسيره المسيح . فان فى التوراة نبوءات عن نبى واحد سيأتى من بعد موسى ليقيم الدين ، ففى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية : « أقيم لهم نبيا . من وسط اخوتهم . مثلك . واجعل كلامى فى فمه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به » (تث ١٨ : ١٨) وهذا النبى الأمى ، قد أطلق عليه بنو اسرائيل لقب « المسيا » وهو لقب معظم يطلقونه على أ ـــ أنبيائهم ب ـــ وعلمائهم ت ـــ وملوكهم . وقد اشاع علماء بنى اسرائيل من زمان سبى بابل : أن هذا النبى الأمى الملقب بالمسيا ، سيظهر فى بنى اسرائيل .

وقد أرسل الله يحيى وعيسى عليهما السلام فى الأيام الأخيرة لبركة بنى اسرائيل بين الامم ، ليعرفا الناس بأن هذا النبى قد أظل زمانه ، وأنه لن يظهر من بنى اسرائيل . بل سيظهر من بنى اسماعيل ، لان الله قد بارك فيه كما بارك فى اسحق أخيه . ونطق عيسى باسم النبى الأمى وهو «محمد» فى رواية برنابا ، وهو « أحمد » فى رواية لوقا ويوحنا . ولقبه عيسى « بالروح القدس » أى الذى سيستمد قوته من الله القدوس الطاهر .

وقد ذهب اليهود ـــ نكاية فيه وغيظا منه ـــ الى « بيلاطس » الوالى

عليهم من قبل الروم ، من بعد ما عرفوا — وقالوا له : ان يسوع ليس مسيحاً نبيا ولا مسـيحا عالما ، وانما هو مسيح ملك . ويريد أن يطرد الرومان ويقيم مملكة لن تنقرض أبدا . وأوهموه أنه هو النبى الملك الذى ذكـره موسى فى سفر التثنية ، وزعموا انه هو المسيا الذى تفسيره المسيح . وقد سأله الوالى وقال له : « أنت ملك اليهود ؟ » أى المسـيا الرئيس « فأجاب وقال له : انت تقول » أما أنا فلم أقل . وبعدما نفى عن نفسه أنه هو المسيا الرئيس ، قال لرئيس الكهنة « وسوف تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا فى سحاب السماء » وابن الانسان كما يقول أهل الكتاب هو لقب من ألقاب المسيا فى سفر دانيال .

***

وقد تأكد اليهود — من كلام عيسى ويحيى ومعجزاتهما — من زوال النبوة منهم الى يوم القيامة . فماذا فعلوا ؟ قال منهم من غضب الله عليهم ولعنهم : **نختم النبوة فى جنسنا من الآن والى الآبد ، فى شخص المسيح عيسى بن مريم . وندعى أنه هو النبى الأمى المكتوب فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . بدل ختمها فى بنى اسماعيل بمحمد** . وغرضهم من ذلك : تقفل باب النبوة فى وجه محمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ، وبقى قوم من اليهود على ما هو المكتوب فى الأسفار عن النبى الأمى . وقـالوا : اذا ظهر فانه يسهل علينا رده ، بأنه ليس هو . اذ من الممكن أن يظهر فيما بعد .

وهؤلاء الذين غضب الله عليهم ولعنهم استعانوا بالرومان فى سبيل عرضهم وكتبوا سفر أعمال الرسل ليختموا النبوة به فى بنى اسرائيل بعيسى الى يوم القيامة . وختموا به النبوة على هذا النحو :

١ — حدد دانيال زمان ظهور النبى الأمى بزوال مملكة الرومان وبين أنه سيكون نبيا ملكا ، ومحاربا منتصرا . ولأنهم ختموا النبوة بعيسى ، — وعيسى لم يكن ملكا ولا محاربا ولن يأتى الى الأرض من بعد ما كان فيها — قالوا : انه سيأتى بالملك الروحى وليس لأحد أن يسأل عن زمان مجيئه ،

حتى ولو زالت مملكة الرومان عن وجه الأرض « ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التى جعلها الآب فى سلطانه » (أ ع ١ : ٧)

٢ ــ لما وصف عيسى عليه السلام النبى الأمى بلقب « المعزى الروح القدس » وأرادوا أن يقولوا انه قد جاء فى شخص الاقنوم الالهى . كتبوا : أن عيسى بعد ما رفع الى السماء ، نزل منها فى الحال ، والتقى بالتلاميذ ونفخ فى وجوههم « وقال لهم : اقبلوا الروح القدس . من غفرتم خطاياه ، تغفر له . ومن أمسكتم خطاياه ، امسكت » (يو ٢٠: ٢٢ــ٢٣) ثم نسوا ما كتبوه فى انجيل يوحنا عن النفخ فى وجوههم . وكتبوا فى سفر الأعمال : أن « الروح القدس » الذى هو « المعزى » سينزل ، وسيبلبل ألسنة التلاميذ ، وسيغيرها الى لغات العالم وقد نزل بالفعل ، وليس هو أحمد صلى الله عليه وسلم (أ ع ٢ : ١ ــ ٤)

٣ ــ لما رجع اليهود من سبى بابل ، ادعى العبرانيون منهم : أن الملقب بلقب المسيا ، سيأتى من نسل داود ، من سبط يهوذا ، ولما ظهر عيسى عليه السلام وبين أنه لن يكون من نسل داود ، وأرادوا ختم النبوة فى جنسهم ، ادعوا أن عيسى هو النبى الأمى المسيا ، وغيروا نسبه من هرون من سبط لاوى الى داود عليه السلام ، وكتبوا فى سفر الاعمال ما يؤكد ذلك (أ ع ٢ : ٢٩ ــ ٣٦) مع أن عيسى نفسه قد ناقش اليهود العبرانيين أنفسهم فى قولهم ان المسيا سيأتى من داود . وقال لهم : ان داود نفسه فى سفر الزبور عبر عن المسيا بأنه سيده ، وحيث أن الابن لا يكون سيدا لأبيه ، فاذن المسيا ليس من داود (مت ٢٢ : ٤١ ــ ٤٦) ويكون من اسماعيل لان له بركة منصوص عليها فى سفر التكوين .

٤ ــ ادعى بطرس أن عيسى هو النبى الامى . وقال لليهود : ان « الموعد هو لكم ولاودكم ، وكل الذين على بعد ، كل من يدعوه الرب الهنا » (أ ع ٢ : ٣٩ و ٣ : ٢٢)

٥ ــ ادعى استفانوس نفس ادعاء بطرس (أ ع ٧ : ٣٧)

٦ — ادعى بولس نفس ادعاء بطرس واستفانوس . وزعم أن عيسى هو المسيا الذى تفسيره المسيح (أ ع ٢٠ : ٢٠ — ٢٢)

٧ — ولما كان من صفات النبى الامى أن يسمع له بنو اسرائيل فى كل ما يكلمهم به ، لأنهم طلبوه اذا أراد الله أن يتكلم معهم . والله وعدهم بـه اذا أراد أن يكلمهم — وهذا يدل على أنه سيغير عوائد موسى — وقد أراد النصارى أن يقولوا لليهود وللامم ان عيسى هو النبى الامى ، زعم بطرس أن الله أوحى اليه بنسخ شريعة موسى فى حلم الليل (أ ع ١٠ : ١١ — ١٦) وذلك لكى يسهل على الوثنيين الدخول فى دين المسيح ، بايهامهم أنه هو النبى الذى سيغير عوائد موسى . واذا دخلوا فى دين المسيح ، فان اليهود يتقوون بهم فيما بعد على مناوئة بنى اسماعيل ، اذا ظهر النبى الامى منهم .

٨ — كل النبوءات التى نطقها يوحنا المعمدان عن نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم طبقها بولس على عيسى عليه السلام (أع ١٩ : ٤)

٩ — كل النبوءات التى نطقها عيسى عليه السلام عن نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم طبقها بولس على مجىء المسيح فى آخر الزمان بالملك الروحى ، وبين بولس أن قتل المسيح وصلبه قد كان لمغفرة الخطايا ، ولا داعى للأعمال على وفق شريعة التوراة ، فان الايمان بالمسيح يكفى فى دخول الجنة . يقول بولس : « أيها الرجال الاخوة بنى جنس ابراهيم ، والذين بينكم يتقون الله . اليكم أرسلت كلمة هذا الخلاص ، لان الساكنين فى أورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا . وأقوال الانبياء التى تقرأ كل سبت تمموها . اذ حكموا عليه ... الخ » (أع ١٣ : ٢٦ —)

***

وقد استعان اليهود باهل الروم فى ختم النبوة فى جنس اسرائيل بعيسى عليه السـلام . وذلك لأن أهل الروم كانوا يحتلون فلسطين من قبل ميلاد

عيسى عليه السلام بثلاث وستين سنة . ودانيال النبى فى سفره قد بين أن النبى الامى الذى سيأتى مثل موسى ليسمع له بنو اسرائيل ويطيعون ، سيأتى ليزيل مجد الروم من أرض فلسطين ، ويقيم مملكة لن تنقرض أبدا . وذلك فى قوله : « **سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة ، لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ، ولكفارة الاثم ، وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين** » (دا ٩ : ٢٤) وفى قوله بعد ذكر مملكة بابل وفارس واليونان والرومان : « كنت أرى فى رؤى الليل ، واذا مع سحب السماء مثل **ابن انسان** ، اتى وجاء الى القديم الأيام ، فقربوه قدامه ، فأعطى سلطانا ومجدا **وملكوتا** ، لتتعبد له كل الشعوب والامم والالسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض » (دا ٧ : ١٣ — ١٤)

ولما فسر عيسى عليه السلام كلام دانيال لبنى اسرائيل وغيرهم ، نظروا الى أهل الروم كنظر المقيم الى الغريب . ولذلك لم يعطوهم حقهم من السمع والطاعة . ولما رأى الروم أن الناس قد تجرأوا عليهم ، وضاعت حقوق الراعى والرعية ، طلبوا من أتباع عيسى عليه السلام أن يسكتوا عن قولهم بأن مجد الروم قد اقترب زواله كما يسكت اليهود لئلا تخرب الدولة ، فأبوا وأصروا على قولهم . ولما أبوا عن السكوت وأصروا على القول ، قام الروم بأذيتهم بعذاب لا قبل لهم به ، ولم يسمع بمثله فى التاريخ فى أى وقت . وعندئذ تعاون اليهود مع الروم ، وضعاف الايمان من النصارى على أن يلصقوا كل نبوءات التوراة وأسفار الانبياء بعيسى عليه السلام وعلى أن ينقلوا عقائد الروم الى دين ، ينسبونه الى عيسى عليه السلام .

مع أن التوراة مكتوب فيها أن ختم النبوة يكون بمحمد ﷺ لان لاسماعيل بركة ، منصوص عليها فى سفر التكوين ، فى قوله : « باسحق يدعى لك نسل . وابن الجارية أيضا سأجعله أمة ، لانه نسلك » وفى قوله : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . **ها أنا أباركه** ، وأثمره ، وأكثره . كثيرا جدا

إثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » وفى قوله : « يا هاجر جارية ساراى من أين أتيت ؟ والى أين تذهبين ؟ فقالت : أنا هاربة من وجـه مولاتى ساراى . فقال لها ملاك الرب : ارجعى الى مولاتك واخضعى تحت يديها . وقال لها ملاك الرب : تكثيرا أكثر نسلك ، فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وانه يكون انسانا وحشـيا . يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع أخوته يسكن »

***

والآن الى موضوع « البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل » نذكر النصوص المسلم بصحتها عند أهل الكتاب ، والنصوص المشابهة لها من كتبهم ، ونبين وجهة نظر علمائهم فيها كما دونوها فى الكتب . ثم تناقشهم فيها مناقشة جادة وهادفة .

وقد جمعت مادة هذه الرسالة فى أيام طويلة ، وصغتها فى أيام طويلة . ثم اختصرتها . ثم أعدت صياغتها وكررت بعض المعانى لربط الموضوعات بعضها ببعض وذلك كله لأسهل على الأميين غير الدارسـين من أهل الكتاب فهم هذا الموضوع النفيس .

« وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

والله نسأل أن يوفقنا لخدمة العلم والدين .

د / أحمد حجازى أحمد على السقا

ميت طريف ـــ دقهلية فى ١٩٧٥/٧/١٠ م

الباب الأول

نبى الاسلام فى التوراة

(أسفار موسى الخمسة)

الفصل الأول

فى

بركة اسماعيل

من « أور » الكلدانيين (١) خرج ابراهيم — عليه السلام — ليذهب الى ارض كنعان ، حوالى سنة ألف وتسعمائة وستة وتسعين قبل الميلاد — كما يحسب النصارى — ولما أتى الى « حاران » « قال الرب لابرام — كما فى التوراة — : اذهب من أرضك ، ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التى أريك . فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم أسمك . وتكون بركة وأبارك مباركيك ، ولاعنك العنه . وتتبارك فيك ، جميع قبائل الأرض . فذهب أبرام كما قال له الرب ، وذهب معه لوط . وكان أبرام ابن خمس وسبعين سنة لما خرج من حاران . فأخذ أبرام ساراى امرأته ، ولوطا ابن أخيه ، وكل مقتنياتهما التى اقتنيا ، والنفوس التى امتلكا فى حاران . وخرجوا ليذهبوا الى أرض كنعان . فأتوا الى أرض كنعان . واجتاز أبرام فى الأرض الى مكان شكيم (٢) الى بلوطة مورة وكان الكنعانيون حينئذ فى الأرض » (تكوين ١٢ : ١ — ٦)

---

(١) فى « أور الكلدانيين » . يقول الدكتور جورج بوست فى قاموس الكتاب المقدس : «هى مسقط رأس ابراهيم ، وللجغرافيين ثلاث آراء بخصوص موضعها ١ — انها أورفا . مدينة واقعة شرقى نهر الفرات على بعد ٢ ميلا شمالى حران ٢ — انها ورقة . الواقعة على بعد ١٢٠ ميلا الى الجنوب الشرقى من بابل و ٤ أميال شرقى الفرات ٣ — أنها مغير . فى كلدية على بعد ١٢٥ ميلا الى الشمال المغربى من راس خليج العجم بالقرب من ملتقى الفرات ودجلة »

(٢) شكيم : هى نابلس فى أرض كنعان (أرض فلسطين) وحبرون هى مدينة الخليل الآن . وأرض كنعان : حوالى ٢٥٠٠ ق.م نزلت قبائل =

ثم انه ارتحل « ارتحالا متواليا نحو الجنوب (٣) وحدث جوع فى الأرض . فانحدر أبرام الى مصر ليتغرب هناك » ثم « صعد أبرام من مصر هو وامرأته وكل ما كان له ولوط معه الى الجنوب »

واعتزل لوط عن ابراهيم « وقال الرب لابرام بعد اعتزال لوط عنه : ارفع عينيك وانظر من الموضع الذى أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . لأن جميع الأرض التى أنت ترى ، لك أعطيها ولنسلك الى الأبد وأجعل نسلك كتراب الأرض . حتى اذا استطاع أحد أن يعد تراب الأرض فنسلك أيضا يعد . قم امش فى الأرض طولها وعرضها . لانى لك أعطيها . فنقل أبرام خيامه ، وأتى وأقام عند بلوطات ممرا التى فى حبرون »

... ثم « صار كلام الرب الى أبرام فى الرؤيا قائلا : لا تخف يا أبرام أنا ترس لك . أجرك كثير جدا . فقال أبرام : أيها السيد الرب : ماذا تعطينى وأنا ماض عقيما . ومالك بيتى هو اليعازر الدمشقى ؟ وقال أبرام أيضا : انك لم تعطنى نسلا وهوذا ابن بيتى وارث لى . فاذا كلام الرب اليه قائلا : لا يرثك هذا . بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك . ثم أخرجه الى خارج وقال : انظر الى السماء ، وعد النجوم ان استطعت أن تعدها . وقال له : هكذا يكون نسلك . فآمن بالرب ، فحسبه له برا » (تك ١٥ : ١ ـ ٦)

ومن هذه النصوص يتبين : أن الله ـ عز وجل ـ وعد ابراهيم النبى ـ عليه السلام ـ : بأن تتبارك فيه ، جميع قبائل الأرض . وبأن وارثه ليس هو « اليعازر الدمشقى » بل وارثه سيكون من صلبه .

***

ـــــــــــــ

= عربية فى المنطقة الشرقية لنهر الاردن نحو البحر المتوسط فسميت هذه المنطقة باسمهم نسبة الى جدهم الذى يسمى كنعان ، وحوالى سنة ٢٠٠٠ ق.م نزلت بالساحل المطل على البحر الابيض جماعات من جزيرة كريت تسمى قبائل فلستين . وقد نزلت بين يافا وغزة . واختلط الكنعانيون بالقبائل الوافدة من كريت . وغلب الاسم الأخير على سكان المنطقة فاصبحت تدعى فلسطين . (ص ٣٥ اليهودية ـ شلبى)

(٣) مكة المكرمة جنوب أرض كنعان ، أى أرض فلسطين .

وتقص التوراة نبأ تحقق وعد الله عز وجل لابراهيم — عليه السلام — بشأن البركة ، وبشأن الوارثين له من صلبه فتقول : ان ابراهيم عليه السلام بعد اقامته فى أرض كنعان بعشر سنين ، أمرته زوجته « سارة » بالدخول على جاريتها المصرية « هاجر » لعل الله يرزقه منها بأولاد تقربهم عينه لأنها الى ذلك الحين لم تنجب ولدا . ولما دخل على هاجر أنجب منها : « اسماعيل » الذى سيكون من صلبه من ستكون « يده على كل واحد . ويد كل واحد عليه » أى يكون مخالطا للامم ، غالبا عليهم ومغلوبا منهم .
ففى الاصحاح السادس عشر من سفر التكوين : « وأما ساراى امرأة ابرام فلم تلد له . وكانت لها جارية مصرية اسمها هاجر . فقالت ساراى لأبرام : هو ذا الرب قد أمسكنى عن الولادة . ادخل على جاريتى . لعلى أرزق منها بنين . فسمع أبرام لقول ساراى . فأخذت ساراى امرأة ابرام ، هاجر المصرية جاريتها من بعد عشر سنين لاقامة أبرام فى أرض كنعان وأعطتها لأبرام رجلها زوجة له . فدخل على هاجر فحبلت . ولما رأت أنها حبلت صغرت مولاتها فى عينيها . فقالت ساراى لأبرام : ظلمى عليك . أنا دفعت جاريتى الى حضنك . فلما رأت أنها حبلت صغرت فى عينيها . يقضى الرب بينى وبينك . فقال أبرام لساراى : هو ذا جاريتك فى يدك . افعلى بها ما يحسن فى عينيك . فأذلتها ساراى . فهربت من وجهها .

فوجدها ملاك الرب على عين الماء فى البرية . على العين التى فى طريق شور . وقال : يا هاجر جارية ساراى . من أين أتيت ؟ والى أين تذهبين ؟ فقالت : انا هاربة من وجه مولاتى ساراى فقال لها ملاك الرب : ارجعى الى مولاتك واخضعى تحت يديها . وقال لها ملاك الرب : تكثيرا أكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا . وتدعين اسمه اسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وأنه يكون انسانا وحشيا . **يده على كل واحد** ويد كل واحد عليه . وأمام جميع اخوته يسكن . فدعت اسم الرب الذى تكلم معها : أنت ايل رئى . لأنها قالت : أههنا أيضا رأيت بعد رؤية ؟ لذلك دعيت البئر بئر لحى رئى . ها هى بين قادش وبارد .

فولدت هاجر لأبرام ابنا . ودعا أبرام اسم ابنه الذى ولدته هاجر : اسماعيل . كان أبرام ابن ست وثمانين سنة لما ولدت هاجر اســـماعيل لأبرام »

وقد بين ذلك النص : أن وعد الله — عز وجل — لابراهيم بشأن الوارثين له من صلبه قد تحقق بولادة اسماعيل — عليه السلام — ووضح النص أيضا : أن بركة الله للأمم فى آل ابراهيم ، سيكون اسماعيل طرفا فيها ، لقول ملاك الله لهاجر : **« ها انت حبلى فتلدين ابنا وتدعين اسمه اسماعيل . لأن الرب قد سمع لمذلتك . وأنه يكون انسانا وحشيا . يده على كل واحد . ويد كل واحد عليه »** أى سيكون نسله قويا كالوحوش فى القوة ، **وسيكون مرة ، رئيسا على الأمم** « يده عـــلى كل واحد » **ومرة مرؤوسا** « يد كل واحد عليه » أو مرة يكون غالبا بواسطة الأمم ومرة تكون الأمم غالبة به ، حسب الترجمة السامرية ، فان النص فيها هكذا : « وهو يكون وحشيا من الناس . يده بالكل ويد الكل به »

***

وتبين التوراة بعد ذلك : ان الله — تعـــالى — غير اسم « أبرام » الى « ابراهيم » ومعناه : « أب لجمهور من الأمم » وفسر له معنى قوله له من قبل « وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض »

وذلك فى قوله « انا الله القدير . سر أمامى وكن كاملا . فاجعل عهدى بينى وبينك وأكثرك كثيرا جدا . فسقط أبرام على وجهه . وتكلم الله معه قائلا : أما أنا فهو ذا عهدى معك وتكون أبا لجمهور من الأمم . فلا يدعى اسمك بعد أبرام ، بل يكون اسمك : ابراهيم . لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم . وأثمرك كثيرا جدا واجعلك أمما . وملوك منك يخرجون. وأقيم عهدى بينى وبينك . وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا » (تكوين ١٧ : ١ — ٧)

فقد فسر الله البركة له ، بنسل كثير ، لا يعد من الكثرة . ومن هذا النسل « أمم وملوك » .

***

وتبين التوراة بعد ذلك : أن الله تعالى بعدما غير اسم أبرام الى ابراهيم ، غير اسم « ساراى » الى « سارة » ووعد الله — تعالى — ابراهيم بولد من سارة يكون مباركا مثل اسماعيل. ففى الأصحاح السابع عشر من سفر التكوين : « وقال الله لابراهيم : ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى ، بل اسمها سارة . وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون . فسقط ابراهيم على وجهه وضحك . وقال فى قلبه : هل يولد لابن مئة سنة ؟ وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة ؟ »

ولما سمع ابراهيم — عليه السلام — وعد الله — عز وجل — بمباركة الأمم فى نسل اسحق — عليه السلام — الذى ستلده سارة تمنى أن يعده الله عز وجل بمباركة الأمم فى نسل اسماعيل — عليه السلام — الذى ولدته هاجر فقال لله : « ليت اسماعيل يعيش أمامك » أو حسب الترجمة السامرية « يا ليت اسماعيل يحيا فى طاعتك » فقال الله له سأحقق لك ما تمنيت فى اسماعيل ، من البركة . ففى الاصحاح السابع عشر من سفر التكوين : «وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش أمامك ؟ فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه اسحق . وأقيم عهدى معه عهدا أبديا لنسله من بعده.وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة . ولكن عهدى أقيمه مع اسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية » (تكوين ١٧ : ١٨ — ٢١) .

وقد وضح النص : أن الله — تعالى — عظم اسماعيل — عليه السلام — « كثيرا جدا » وجعل ذريته « أمة كبيرة » والرجل لا يعظم ولا يشرف فى الناس بكثرة نسله فقط بل يعظم ويشرف بكثرة النسل اذا كانوا مؤمنين مطيعين لله . والأمة الكبيرة التى وعد الله بها اسماعيل

ى عليه السلام — على لسان أبيه ان لم تكن مسلمة لله ومنقادة اليه . فأى فائدة من وعد اسماعيل بها ؟ وهذا التعظيم لم يظهر . وهذه الأمة الكبيرة لم تظهر . الا من محمد — ﷺ فان به بدأت بركة اســماعيل — عليه السلام — .

***

وبعدما تحدثت التوراة عن ثبوت بركة فى نسل اسماعيل — عليه السلام — تحدثت عن ولادة اسحق — عليه السلام — الذى ذكرت من قبل ثبوت بركة فى نسله كبركة اسماعيل أخيه . قالت التوراة : « وافتقد الرب سارة كما قال : وفعل الرب لسارة كما تكلم . فحبلت سارة وولدت لابراهيم ابنا فى شيخوخته . فى الوقت الذى تكلم الله عنه . ودعا ابراهيم اسم ابنه المولود له الذى ولدته له سارة : اسحق . وختن ابراهيم : اسحق (٤) ابنه وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله . وكان ابراهيم ابن مئة سنة حين ولد له اسحق ابنه . وقالت سارة : قد صنع الى الله ضحكا . كل من يسمع يضحك لى . وقالت : من قال لابراهيم : ســارة ترضع بنين . حتى ولدت ابنا فى شيخوخته ؟ فكبر الولد وفطم وصنع ابراهيم وليمة عظيمة يوم فطام اسحق » (تكوين ٢١ : ١ — ٨)

***

وذكرت التوراة : انه لما كبر اسماعيل — عليه السلام — ورأته سارة يمزح تملكتها الغيرة وأفصحت عن غيرتها لزوجها ابراهيم . وطلبت منه أن يطرد اسماعيل وأمه هاجر من مكان سكنى سارة وابنها اسحق . وعللت هذا الطرد برغبتها فى عدم ارث اسماعيل من أبيه فى بركة النبوة ،

---

(٤) اختلف علماء المسلمين فى وجوب الختان على ذكور المسلمين . فذهب الجمهور الى أن الختان فرض لانه تنكشــف له العورة ، ولا يباح كشفها الا فى الواجب . ومال البعض الى أنه سنة . وما رواه أبو داود عن أم عطية فى ختان النساء . فهذا الحديث ضعيف . وراويه مجهول « تفسير القرطبى فى البقرة ١٢٤)

لا فى بركة المال ، فان الأرزاق بيد الله . والفخر بالنبوة والعلم ، لا بالجاه والمال .

ولما طلبت منه ذلك ساء فى عينى ابراهيم لحبه لاسماعيل ، فقال الله — عز وجل — لابراهيم : ليس من مانع فى أن تسكن هاجر بعيدا عن سارة . وذلك لئلا تتقد نار الغيرة دائما بين الامرأتين . وأما عن البركة التى وعدتك بها فى نسلك . فان اسماعيل وارث للبركة كما يرث اسحق سواء بسواء .

ففى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين : « ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذى ولدته لابراهيم يمزح . فقالت لابراهيم : اطرد هذه الجارية وابنها . لأن ابن هـــذه الجارية لا يرث مع ابنى اسحق . فقبح الكلام جدا فى عينى ابراهيم لسبب ابنه . فقال الله لابراهيم : لا يقبح فى عينيك من أجل الغلام ومن اجل جاريتك . فى كل ما تقـــول لك سارة اسمع لقولها . لانه باسحق يدعى لك نسل . وابن الجـــارية ايضا ساجعله أمة لانه نسلك » (تكوين ٢١ : ٩ — ١٣)

***

وفى التوراة عقب ذلك مباشرة : أن ابراهيم — عليه السلام — لما صرف هاجر وولدها اسماعيل عن سارة لتسكن فى برية فاران ، قابلها ملاك الله وذكرها بوعد الله — عز وجل — فى حق ارث اسماعيل فى بركة أبيه . وأكد لها على هذا الوعد بقوله « لا تخافى . لأن الله قـــد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشدى يدك به . لأنى سأجعله أمة عظيمة » ففى التوراة : « فبكر ابراهيم صـــباحا وأخذ خبزا وقربة ماء وأعطاهما لهاجر واضعا اياهما على كتفها والولد وصرفها . فمضت وتاهت فى برية بئر سبع . ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت احدى الأشجار . ومضت وجلست مقابله بعيدا نحو رمية قوس . لأنها قالت : لا أنظر موت الولد فجلست مقابله ورفعت صوتها وبكت .

فسمع الله صوت الغلام . ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها : مالك يا هاجر لا تخافى . لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشدى يدك به . لأنى سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء . فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام فكبر . وسكن فى البرية . وكان ينمو رامى قوس . وسكن فى برية فاران . وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » (تكوين ٢١ : ١٤ ـ ٢١)

***

وبعدما تحدثت التوراة عن سكنى اسماعيل ـ عليه السلام ـ فى برية فاران . وعن تأكيد ملاك الله لهاجر بوعد الله ـ عز وجل ـ لاسماعيل فى البركة تحدثت عن اقدام ابيه على ذبحه لما طلب الله منه أن يذبحه فقالت ما نصه :

« وحدث بعد هذه الأمور . ان الله امتحن ابراهيم فقال له : يا ابراهيم . فقال : هأنذا . فقال : خذ ابنك وحيدك الذى تحبه اسحق . واذهب الى أرض المريا ، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك . فبكر ابراهيم صباحا وشد على حماره واخذ اثنين من غلمانه معه واسحق ابنه وشقق حطبا لمحرقة وقام وذهب الى الموضع الذى قال له الله . وفى اليوم الثالث رفع ابراهيم عينيه وأبصر الموضع من بعيد . فقال ابراهيم لغلاميه : اجلسا أنتما ههنا مع الحمار وأما أنا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ثم نرجع اليكما . فأخذ ابراهيم حطب المحرقة ووضعه على اسحق ابنه وأخذ بيده النار والسكين . فذهبا كلاهما معا .

وكلم اسحق ابراهيم اباه . وقال : يا أبى . فقال : هأنذا يا ابنى . فقال : هو ذا النار والحطب ولكن أين الخروف للمحرقة ؟ فقال ابراهيم : الله يرى الخروف للمحرقة يا ابنى . فذهبا كلاهما معا .

فلما اتيا الى الموضع الذى قال له الله ، بنى هناك ابراهيم المذبح ورتب الحطب وربط اسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب . ثم مد ابراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب من السماء . وقال : ابراهيم . ابراهيم . فقال : هأنذا . فقال : لا تمد يدك الى الغلام ولا تفعل به شيئا . لأنى الآن علمت أنك خائف الله فلم تمسك ابنك وحيدك عنى . فرفع ابراهيم عينيه ونظر واذا كبش وراءه ممسكا فى الغابة بقرنيه . فذهب ابراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضا عن ابنه . فدعا ابراهيم اسم ذلك الموضع : يهوه يراه (٥) . حتى انه يقال اليوم : فى جبل الرب يرى .

ونادى ملاك الرب ابراهيم ثانية من السماء . وقال : بذاتى أقسمت يقول الرب . انى من أجل انك فعلت هذا الأمر ولم تمسك ابنك وحيدك ، أبارك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء وكالرمل الذى على شاطىء البحر . ويرث نسلك باب أعدائه . ويتبارك فى نسلك جميع امم الارض . من أجل أنك سمعت لقولى . ثم رجع ابراهيم الى غلاميه . فقاموا وذهبوا معا الى بئر سبع . وسكن ابراهيم فى بئر سبع » (تكوين ٢٢ : ١ — ١٩)

ومن هذا النص يتبين :

ان الله امتحن ايمان ابراهيم ليرى العالم السبب الذى من اجله أحب ابراهيم ، واصطفى ذريته على العالمين ، فأمره بذبح ابنه الوحيد . الذى هو اسماعيل . لا اسحق ، لأنه مولود قبل أخيه بأربعة عشر عاما — كما تصرح التوراة — وكيف يكون اسحق وحيدا وقبله ولد ما يزال على قيد الحياة ؟

ولرضا اسماعيل بالذبح ، كان ابراهيم يحبه . والدليل على انه

---

(٥) فى ترجمة ١٦٢٢م « الله ينظر » بدل « يهواه يرأه » وفى ترجمة الكاثوليك « الرب يرى » وفى السامرية « ودعى ابراهيم اسم ذلك الموضع : الله ينظر ، الذى يقال اليوم فى جبل الله يستجاب »

كان يحبه : أن سارة لما طلبت منه قائلة : اطرد هذه الجارية وابنها « قبح الكلام . جدا فى عينى ابراهيم لسبب ابنه » فلو كان اسماعيل مكروها ما كان يقبح كلام سارة فى عينى ابراهيم . وأن الله لما وعده بالبركة فى اسحق قال له : « ليت اسماعيل يعيش أمامك » فى دعوة الناس الى معرفتك والعمل بأحكامك والتعبد بكلامك . فأجابه الله الى طلبه ووعده بالبركة أيضا فى اسماعيل . وكيف يكون مكروها وهو الابن البكر الذى أنجبه على الكبر ؟

ولقد تعمد كاتب التوراة لبس الحق بالباطل فى مواضع من هـذا النص منها :

١ ـ وضعه « اسحق » بجانب « ابنك وحيدك الذى تحبه »

٢ ـ وضعه كلمة عبرانية تترجم بالوحيد أو تترجم بالبكر . ليقول كذبا : ـ ان شاء ـ ان اسحق كان وحيدا بعدما سكن اسماعيل مع أمه فى « فاران » .

٣ ـ وضعه لفظ « المريا » لمكان الذبح . ومريا جبل فى بلاد الشام . وهو لم يعين مكانا مقدسا الا بعد زمن داود ـ عليه السلام ـ أى بعد ابراهيم بألف عام تقريبا . وقول الكاتب : « حتى أنه يقال اليوم : فى جبل الرب يرى » يدل على أن التوراة محرفة ومكتوبة بعد زمان داود وسليمان ـ عليهما السلام ـ لأن جبل الرب الذى هو موضع هيكل سـليمان فى أورشليم ـ كما يقول العبرانيون ـ لم يعين قبلة ، ولم يسم بجبل الرب الا فى عهد داود .

يقول الدكتور جورج بوست فى قاموس الكتاب المقدس « مريا : الجبل الذى بنى سليمان عليه الهيكل فى أورشليم (أخبار الأيام الثانى ٣ : ١) وكان فى القسم الشرقى من المدينة ويشرف على وادى قدرون ، ويظن الأكثرون أن موضع الهيكل هو نفس الموضع الذى فيه أمر ابراهيم أن يستعد لتقديم اسحق غير أن التقليد السامرى يقول : ان موضع الذبح لاسحق كان على جبل جزريم . وبعض العلماء يوافقونهم على ذلك » أ.هـ

واختلافهم دليل على لبس الحق بالباطل .

والصحيح أن مكان الذبح فى مكة المكرمة لأسباب منها :

١ — أن هاجر أخذت ولدها ، وأسكنته برية فاران .

٢ — أن الذبح حصل للابن البكر لأن الكاتب عبر عن الذبيح بالابن البكر ، وحيث ان الابن البكر هو اسماعيل ، فان موضع الذبح يكون مكان سكنى اسماعيل . وهو برية فاران .

٣ — فى ترجمة ١٦٢٢م (٦) ترجم الكاتب لفظ « مريا » بأرض العبادة هكذا : « والله امتحن لابراهيم ، وقال له يا ابراهيم . وقال : نعم . وقال : خذ الآن ولدك وحيدك الذى أحببت ليصحق ، وامض الى أرض العبادة » وفى الترجمة السامرية « الأرض المرشدة » بدل « مريا » وهذا يعنى أن أرضا للعبادة معلومة ومعروفة ، قد وقع الامر بالذبح فيها ، وحيث ان بلاد الشام لم تعين أرض عبادة الا فى عهد داود سنة ألف وستة وخمسين من قبل الميلاد فأن الأرض التى كانت من زمن ابراهيم ومن قبله هى الأولى بالمكان (٧) . وفى ذلك يقول الله تعالى « ان أول بيت وضع للناس الذى ببكة مباركا ، وهدى للعالمين ، فيه آيات بينات . مقام ابراهيم » (آل عمران ٩٦ — ٩٦)

٤ — ان ابراهيم قام فى الصباح الباكر ، متوجها الى الموضع الذى عينه الله له . وبعد سفر ثلاثة أيام رفع ابراهيم عينيه ، وأبصر الموضع من بعيد . وتقدير جبل الرب فى مكة المكرمة بعد سفر ثلاثة أيام ، ثم يرى الموضع من بعيد أولى من تقدير جبل الرب فى أرض الفلسطينيين لطول السفر بين أى بلد من بلاد الفلسطينيين ومكة . وعلى جهة الخصوص من بئر سبع .

٥ — وقول ابراهيم لغلاميه : « اجلسا أنتما ههنا مع الحمار ،

---

(٦) فى دار الكتب المصرية — لاهوت ٦٩١ أو ٣١٥

(٧) انظر فصل تغيير القبلة من هذا الكتاب .

وأما أنا والغلام فنذهب . الى هناك ونسجد . ثم نرجع اليكما » يــدل على أن مكانا للعبادة كان مقاما ومعدا للسجود والناس جميعا يعرفونه ، والغلامان يعرفان ذلك الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه .

... ...

وقد افتدى الله الذبيح اسماعيل بكبش عظيم . وعلى أثر ذلك ظهرت محبة ابراهيم لله فى نظر الناس . فناداه ملاك الرب ثانية من السماء . وأكد له الوعد الذى حصل له من الله من قبل . بناء على نجاحه بالأعمال فى امتحان الايمان بقوله : « ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » .

وليس هنا تفرقة بين ولد وولد من أولاد ابراهيم . ولكن لما كانت البركة حاصلة بالتساوى فانها ههنا مؤكدة تأكيدا عظيما بسبب الابن الذى جاد بنفسه ذبيحة لله . وكما كان الوعد لابراهيم بناء على تضحيات منه فى سبيل الله ، فان الوعد لاسماعيل حاصل لتضحيات منه . أيضـــا . وأى تضحية فى سبيل الله أقوى من الجود بالنفس ، والجود بالنفس اقصى غاية الجود ؟

وهذا المعنى هو الذى حدا باليهود أن يقولوا : ان الذبيح اســـحق لتاكدهم أن البركة حاصلة بيقين لمن جاد بنفسه . ولكى يصدوا الناس عن بنى اسماعيل : ادعو أن الذبيح جدهم لا جد العرب .

... ...

وتحدثنا التوراة بعد ذلك أن ابراهيم ــ عليه السلام ــ تزوج بعد سارة وهاجر بامرأة اسمها « قطوره » وأنجب منها ستة أولاد . وايضا كانت له سرارى أنجب منهن أولادا . ولما حضره الموت عن مئة وخمســة وســـبعين عاما ، قام على دفنه ولداه اللذان جعلهما الله وارثين لبركته وهما اسماعيل واسحق ــ عليهما السلام ــ ففى الأصــحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين : « وعاد ابراهيم فأخذ زوجة اسمها قطورة »

فولدت لــه زمران ويقشــان ومدان ومديان ويشــباق وشــوحا . وولد يقشان : شبا وددان .وكان بنو ددان : أشوريم ولطوشيم ولأميم . وبنو مديان : عيفة وعفر وحنوك وابيداع والدعه .

جميع هؤلاء بنو قطورة . وأعطى ابراهيم اسحق كل ما كان له . وامــا بنو السرارى اللوانى كانت لابراهيم فأعطاهم ابراهيم عطــايا وصرفهم عن اسحق ابنه شرقا الى أرض المشرق وهو بعد حى .

وهذه أيام سنى حياة ابراهيم التى عاشها . مئة وخمس وسبعون سنة . وأسلم ابراهيم روحه ومات بشيبة صالحة شيخا وشبعان اياما وانضم الى قومه . ودفنه اسحق واسماعيل ابناه فى مغارة المكفيلة ف حقل عفرون بن صوحر الحثى الذى أمام ممرا . الحقل الذى اشــتراه ابراهيم من بنى حث . هناك دفن ابراهيم وسارة امرأته ، وكان بعد موت ابراهيم أن الله بارك اسحق ابنه ، وسكن اسحق عند بئر لحى رئى .

وهذه مواليد اسماعيل بن ابراهيم الذى ولدته هاجر المصرية جارية سارة لابراهيم .

وهذه أسماء بنى اسماعيل بأسمائهم حسب مواليدهم : نبايوت بكر اسماعيل (٨) وقيدار وأدبئيل ومبسام ومشماع ودومة ومسا وحدار وتيما

---

(٨) فى كتب التواريخ : قيدار ــ حمل ــ ثابت ــ ســلامان ــ الهيسع ــ أود ــ نزار ــ اياد ــ مضر ــ الياس ــ مدركة ــ خزيمة ــ كنانة ــ النضر ــ مالك ــ فهر ــ غالب ــ لوءى ــ كعب ــ مرة ــ كلاب ــ قصى ــ عبد مناف ــ هاشم ــ عبد المطلب ــ عبد الله ــ محمد

ويقول المسعودى فى مروج الذهب : « وكانت وصية ابراهيم الى ابنه اسماعيل عليه السلام . ووصى اســماعيل الى أخيه اسحق عليهما السلام . وقد قيل : الى ولده قيدار بن اسماعيل . وكان عمر اسماعيل الى أن قبضه الله مائة سنة وسبعا وثلاثين سنة ودفن بالمسجد الحرام فى الموضع الذى كان فيه الحجر الأسود . ودبر أمر البيت بعده نبايوت بن اسماعيل عليه السلام على منهج اسماعيل وملته . وقيل أيضا : انه كــان وصى ابنه اسماعيل عليه السلام » (ص ٦٢ مروج الذهب ج ١) .

ويطور ونافيش وقدمة . هؤلاء هم بنو اسماعيل وهذه أسماؤهم بديارهم وحصونهم . اثنا عشر رئيسا حسب قبائلهم . وهذه سنو حياة اسماعيل . مئة وسبع وثلاثون سنة وأسلم روحه ومات ، وانضم الى قومه . وسكنوا من حويلة الى شور التى أمام مصر حينما تجىء نحو أشور . أمام جميع اخوته نزل .

وهذه مواليد اسحق بن ابراهيم . ولد ابراهيم اسحق . وكان اسحق ابن أربعين سنة لما اتخذ لنفسه زوجة : رفقة بنت بتوئيل الأرامى ، أخت لابان الأرامى من فدان أرام . وصلى اسحق الى الرب لأجل امرأته لأنها كانت عاقرا . فاستجاب له الرب فحبلت رفقة امرأته . وتزاحم الولدان فى بطنها . فقالت : ان كان هكذا فلماذا أنا ؟ فمضت لتسأل الرب . فقال لها الرب : فى بطنك أمتان . ومن أحشائك يفترق شعبان . شعب يقوى على شعب . وكبير يستعبد لصغير .

فلما كملت أيامها لتلد اذا فى بطنها توأمان . فخرج الأول أحمر . كله كفروة شعر فدعوا اسمه : عيسو . وبعد ذلك خرج أخوه ويده قابضة بعقب عيسو فدعى اسمه : يعقوب . وكان اسحق ابن ستين سنة لما ولدتهما » (تكوين ٢٥ : ١ — ٢٦)

***

وبعد حديث التوراة عن دفن ابراهيم — عليه السلام — وتفرق أولاده فى الأرض . **تتحدث عن بركة اسحق — عليه السلام — وتخصها فى نسل يعقوب الذى هو اسرائيل دون نسل عيسو** . وبهذا التخصيص تكون بركة ابراهيم بين اسماعيل فى أحد أولاده وبين يعقوب — عليهما السلام —

ففى سفر التكوين : ان يعقوب طبخ طبيخا ، ولما طلب منه عيسو أخوه أن يطعمه من هذا الطبيخ قال له : « بعنى اليوم بكوريتك . فقال

عيسو : ها أنا ماض الى الموت فلماذا لى بكورية ؟ فقال يعقوب : احلف لى اليوم . فحلف له . فباع بكوريته ليعقوب . فأعطى يعقوب عيسو خبزا وطبيخ عدس . فأكل وشرب وقام ومضى . فاحتقر عيسو البكورية »
(تكوين ٢٥ : ٣٢ — ٣٤)

وفى سفر التكوين : ان اسحق — عليه السلام — قد منح بركته ليعقوب — عليه السلام — فقد قال له : « انظر . رائحة ابنى كرائحة حقل قد باركه الرب . فليعطك الله من ندى السماء . ومن دسم الأرض. وكثرة حنطة وخمر . ليستعبد لك شعوب . وتسجد لك قبائل . كن سيدا لاخوتك . وليسجد لك بنو أمك . ليكن لاعنوك ملعونين . ومباركوك مباركين » (تكوين ٢٧ : ٢٧ — ٢٩)

ولما أرسل اسحق ابنه يعقوب الى مدينة « فدان أرام » قال له : « والله القدير يباركك ويجعلك مثمرا ويكثرك فتكون جمهورا من الشعوب. ويعطيك بركة ابراهيم لك ولنسلك معك . لترث أرض غربتك التى أعطاها الله لابراهيم » (تكوين ٢٨ : ٣ — ٤)

وفى طريق يعقوب الى مدينة « فدان أرام » خاطبه الله بقوله : « أنا الرب اله ابراهيم أبيك واله اسحق . الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك . ويكون نسلك كتراب الأرض وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا . ويتبارك فيك وفى نسلك . جميع قبائل الأرض »
(تكوين ٢٨ : ١٣ — ١٤)

... ...

وخلاصة الذى ظهر مما تقدم :

١ — أن الله عز وجل وعد ابراهيم — عليه السلام — بأن تتبارك فيه : جميع قبائل الأرض . وذلك فى قوله له : « اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك الى الأرض التى أريك . فأجعلك أمة عظيمة . وأباركك

وأعظم اسمك . وتكون بركة . وابارك مباركيك . ولاعنك ألعنه . وتتبارك بيك جميع قبائل الأرض » (تكوين ١٢ : ١ — ٣)

٢ — وأن بركة ابراهيم تكون فى نسله . فانه لما قال ابراهيم لله : « انك لم تعطنى نسلا . وهو ذا ابن بيتى وارث لى » قال الله — عز وجل — له : « لا يرثك هذا ، بل الذى يخرج من أحشائك هو يرثك . ثم أخرجه الى خارج وقال : أنظر الى السماء وعد النجوم ان استطعت أن تعدها . وقال له : هكذا يكون نسلك » (تكوين ١٥ : ٣ — ٥)

٣ — وعلى اثر هذا الوعد أنجبت هاجر اسماعيل لابراهيم « وقال لها ملاك الرب : تكثيرا اكثر نسلك فلا يعد من الكثرة . وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فتلدين ابنا . وتدعين اسمه اسماعيل . لأن الرب قد سمع لمذلتك . وانه يكون انسانا وحشيا . **يده على كل واحد . ويد كل واحد عليه** » (تكوين ١٦ : ١٠ — ١٢)

وواضح من تبشير ملاك الله : أنه لا يبشر بظالمين للناس من نسل هاجر ، لأنه أى شر عملت هاجر ، حتى يعدها الملاك بنسل ظالم ؟ انه حيث يبشرها بخبر سار ليربط على قلبها ، يبشر بمن يكون عالى القدر ، وعظيم المنزلة ، ورفيع الدرجة .

٤ — وأن الله — عز وجل — وضع عهدا بينه وبين ابراهيم فقد « تكلم الله معه قائلا أما أنا فهو ذا عهدى معك وتكون أبا لجمهور من الأمم فلا يدعى اسمك بعد أبرام ، بل يكون اسمك ابراهيم . لأنى أجعلك أبا لجمهور من الأمم . وأثمرك كثيرا جدا وأجعلك أمما . وملوك منك يخرجون . وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك فى أجيالهم عهدا أبديا » (تكوين ١٧ : ٣ — ٧)

٥ — وأن هذا العهد هو عهد النبوة . لقول ابراهيم لله : « ليت اسماعيل يعيش أمامك » أى يحيا فى طاعتك والدعاء الى دينك . ولأن البركة تعنى الملك والنبوة .

٦ ــ وأن الله ــ عز وجل ــ قال لابراهيم عن سارة ــ رضى الله عنها ــ : « أباركها وأعطيك أيضا منها أبنا . أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون » (تكوين ١٧ : ١٦)

٧ ــ وأن ابراهيم لما سمع بتخصيص بركته فى اسحق « قال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش امامك » ورد الله عليه بقوله : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد . وأجعله أمة كبيرة » (تكوين ١٧ : ١٨ ــ ٢٠)

ومن هذا النص صارت لاسماعيل بركة . كما لاسحق بركة وان سارة لما تأكدت من ارث اسماعيل لأبيه فى البركة كابنها اسحق سواء بسواء ، طلبت أن يكون حق الارث لاسحق وحده . فقال الله لابراهيم : « باسحق يدعى لك نسل . وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك » (تكوين ٢١ : ١٢ ــ ١٣)

٨ ــ ولما ابتعدت هاجر ــ رضى الله عنها ــ عن مكان سكنى سارة ــ رضى الله عنها ــ الى مكان غير ذى زرع « نادى ملاك الله هاجر من السماء . وقال لها : مالك يا هاجر . لا تخافى لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشدى يدك به . لأنى سأجعله أمة عظيمة » (تكوين ٢١ : ١٧ ــ ١٨)

٩ ــ وان الله عز وجل لما امتحن ايمان ابراهيم بذبح ابنه البكر الوحيد . وامتثل ابراهيم للامر هو وابنه ، ناداه بقوله : « بذاتى أقسمت يقول الرب : انى من أجل أنك فعلت هذا الأمر ، ولم تمسك ابنك وحيدك . أباركك مباركة وأكثر نسلك تكثيرا كنجوم السماء ، وكالرمل الذى على شاطىء البحر . ويرث نسلك باب أعدائه . ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض . من أجل أنك سمعت لقولى » (تكوين ٢٢ : ١٦ــ١٨)

١٠ ــ وان الذى حضر دفن ابراهيم : ولداه وارثا بركته . وهما : اسماعيل واسحق « ودفنه اسحق واسماعيل » (تكوين ٢٥ : ٩)

١١ — وأن بركة اسـحق ، خصصت فى ذرية يعقوب ابنه دون عيسو أخاه . فقد باركه أبوه بقوله : « انظر . رائحة ابنى كرائحة حقل قد باركه الرب . فليعطك الله من ندى السماء . ومن دسم الأرض . وكثرة حنطة وخمر . ليستعبد لك شعوب . وتسجد لك قبائل . كن سيدا لاخوتك . وليسجد لك بنو أمك . ليكن لاعنوك ملعونين . ومباركوك مباركين » (تكوين ٢٧ : ٢٧ — ٢٩) وعلى ذلك يكون هو المقابل لاسماعيل فى البركة .

***

فماذا يقول علماء بنى اسرائيل فى « العهد » وفى « البركة » ؟

انهم يقولون : ان البركة تعنى أمران . الأمر الأول : الملك . والأمر الثانى : النبوة . أى يخرج من نسل ابراهيم من يكون ملكا على الشعوب . ومن يكون نبيا يهدى الناس الى الله بأوامر منه . ويقولون : ان بركة اسـحق قد تحققت من الوقت الذى ظهر فيه موسى — عليه السلام — فقد ظهر من نسل يعقوب من وقت موسى من كان ملكا على الشعوب . ومن كان نبيا هاديا الى الله بأمره — وهو موسى — ألم يكن موسى نبيا ورئيسا مطاعا ؟ ويقولون : ان بركة اسماعيل منصوص عليها فى التوراة . ولكنها تفسر بالملك دون النبوة . فان العهد بالنبوة فى اسـحق دون اسماعيل — عليه السلام — هذا قولهم .

فموسى بن ميمون المتوفى سنة ٦٠٣ هـ فى « دلالة الحائرين وتلخيص مناهج السائرين » يقول : « ان دعوة سيدنا موسى لنا ، لم يتقدم مثلها لأحد ، ممن علمناه من آدم اليه . ولا تأخرت بعده دعوة مثلها لاحد من أنبيائنا . وكذلك قاعدة شريعتنا : أنه لا يكون غيرها أبدا . فلذلك — بحسب رأينا — لم تكن ثم شريعة ، ولا تكون غير شريعة واحـدة . وهى شريعة سيدنا موسى » (٩)

---

(٩) ص ٤١١ — ٤١٢ دلالة الحائرين .

يريد بقوله : « ولا تكون غير شريعة واحدة ، وهى شريعة سيدنا موسى .» أنه لا نبى من بعد موسى الى يوم القيامة . وعليه فان بركة اسماعيل — بحسب رأيه — لا تدل على نبى يأتى من نسله ، ليكون هاديا للأمم .

ونرد عليه بهذا السؤال وهو : أنتم تقولون ان لاسحق عليه السلام ملك ونبوة . فما هو الدليل من التوراة على ذلك ؟ وانهم يجيبون بقولهم : الدليل على الملك والنبوة فىاسحق هو قول التوراة : « وقال الله لابراهيم : ساراى امراتك لا تدعو اسمها ساراى ، بل اسمها سارة . وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون » (تك ١٧ : ١٥ — ١٦)

واذا كان هذا القول هو الذى يدل على الملك والنبوة فى اسحق عليه السلام، فان عن اسماعيلقول مثيله . وهو : «وأما اسماعيل فقد سمعتلك فيه . ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرا جدا » (تك ١٧ : ٢٠) وكما دل دليل اسحق على ملك ونبوة ، ودليل اسماعيل مثله ، فانه على ملك ونبوة يدل . اذ لا فرق بين الدليلين ، لا فى اللفظ ولا فى المعنى .

***

وكاتب التوراة قد وضع « العهد » محتملا للختان ، ومحتملا للنبوة . وأشرك فى الختان اسماعيل واسحق . وذلك ليبعده عن عهد النبوة — على طريقة لبس الحق بالباطل — فقد كتب أن الله قال لابراهيم : « وأقيم عهدى بينى وبينك وبين نسلك من بعدك » — « هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك ، يختن منكم كل ذكر » — « فأخذ ابراهيم اسماعيل ابنه ، وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته . كل ذكر من أهل بيت ابراهيم وختن لحم غرلهم »

ووضع الكاتب بين العهد بالختان وبين تنفيذه على يد ابراهيم — عليه السلام — العبارات الدالة على تقسيم البركة بين اسماعيل واسحق

ـــ عليهما السلام ـــ ليوهم الناس أن العهد كان على الختان وليس على النبوة .

واذا كان العهد علــى الختان وحده فى اسحق ، فلماذا اختتن اسماعيل ؟ واذا كان العهد على النبوة فى اسحق وحده ، فلماذا نص على بركة لاسماعيل ؟ لأن علماء بنى اسرائيل يقولون بأن النص على اثبات البركة فى اسحق ، هو النص على اثبات الملك والنبوة فى نسله .

وانه لو كان العهد فى قوله : « ولكن عهدى أقيمه مع اســحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية » هو عهد الختان . ما كان ابراهيم يأخذ اسماعيل بنفسه ليختن لحم غرلته . وحيث قد أخذه وختن لحم غرلته ، فان مقصود الكاتب من العهد هو عهد النبوة .

ولو كان اسماعيل محروما من عهد النبوة ، ما كانت التوراة تنص على بركة لاسماعيل ـــ عليه السلام ـــ وكانت تصرح بملوك منه ، كالملوك الذين خرجوا من أولاد ابراهيم الذين لم تنص التوراة على بركة لهم . وهم : زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوحا .

فلقد خرج من نسل هؤلاء الأولاد الستة ملوك . ولم يخرج من نسلهم نبى أوحى الله اليه بشرع وأمره بتبليغه للعالم أجمع . وعلى ســبيل المثال فان «ملك أدوم» ـــ وأدوم هو عيسو ـــ يرسل اليه موسى عليه السلام ليستأذنه فى أن يمر هو وبنو اسرائيل فى تخوم مملكته فلا يأذن له .

قال له : « دعنا نمر فى أرضك . لا نمر فى حقل ولا فى كرم ولا نشرب ماء بئر . **فى طريق الملك نمشى** . لا نميل يمينا ولا يسارا حتى نتجــاوز تخومك . فقال أدوم : لا تمر بى لئلا أخرج للقائك بالسيف » (عدد ٢٠ : ١٧ ـــ ١٨)

وهذا هو نص العهد بتمامه :

« وقال الله لابراهيم : وأما أنت فتحفظ عهدى . أنت ونســلك

من بعدك فى أجيالهم . هذا هو عهدى الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك : يختن منكم كل ذكر . فتختنون فى لحم غرلتكم فيكون علامة عهد بينى وبينكم . ابن ثمانية أيام يختن منكم ، كل ذكر فى أجيالكم ، وليد البيت والمبتاع بفضة ، من كل ابن غريب ليس من نسلك . يختن ختانا ، وليد بيتك والمبتاع بفضتك . فيكون عهدى فى لحمكم عهدا ابديا . وأما الذكر الأغلف الذى لا يختن فى لحم غرلته فتقطع تلك النفس من شعبها انه قد نكث عهدى .

وقال الله لابراهيم : ساراى امرأتك لا تدعو اسمها ساراى . بل اسمها سارة . وأباركها وأعطيك أيضا منها ابنا . أباركها فتكون أمما وملوك شعوب منها يكونون . فسقط ابراهيم على وجهه وضحك . وقال فى قلبه : هل يولد لابن مئة سنة ؟ وهل تلد سارة وهى بنت تسعين سنة ؟ وقال ابراهيم لله : ليت اسماعيل يعيش أمامك . فقال الله : بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه : اسحق . واقيم عهدى معه عهدا أبديا لنسله من بعده . وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا اباركه واثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة ولكن عهدى أقيمه مع اسحق الذى تلده لك سارة فى هذا الوقت فى السنة الآتية . فلما فرغ من الكلام معه ، صعد الله عن ابراهيم .

فأخذ ابراهيم اسماعيل ابنه وجميع ولدان بيته وجميع المبتاعين بفضته . كل ذكر من أهل بيت ابراهيم وختن لحم غرلتهم فى ذلك اليوم عينه ، كما كلمه الله » (تك ١٧ : ٩ ــ ٢٣)

هذا هو النص بتمامه . فهل يفهم منه أن اسماعيل محروم من عهد النبوة أو من عهد الختان ؟ وكيف يكون محروما من النبوة . وفى التوراة أن الابن البكر لا يحرم من حقه فى ارث أبيه حتى ولو كان مكروها ؟ ونصيب البكر فى التوراة ضعف نصيب غير البكر ، ومعنى ذلك : أنه اذا كانت لاسحق بركة ولاسماعيل بركة تكون مدة البركة فى آل اسماعيل أطول منها فى آل اسحق . ففى الأصحاح الحادى والعشرين من سفر

التثنية : « اذا كان لرجل امرأتان احداهما محبوبة ، والأخرى مكروهة فولدتا له بنين ، المحبوبة والمكروهة . فان كان الابن البكر للمكروهة فيوم يقسم لبنيه ما كان له ، لا يحل له ، أن يقدم ابن المحبوبة بكرا ، على ابن المكروهة البكر ، بل يعرف ابن المكروهة بكرا ليعطيه نصيب اثنين من كل ما يوجد عنده ، لأنه هو أول قدرته ، له حق البكورية » (تث ٢١ : ١٥ — ١٧)

... ...

ولقد شاع فى زمن المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — من علماء بني اسرائيل : أن بنى اسماعيل محرومون من النبوة . فسأل عيسى تلميذ من تلاميذه وهو « يعقوب » عن « المعهد » وأجاب المسيح عيسى — عليه السلام — بأن بنى اسماعيل غير محرومين من النبوة . واستدل على اجابته من التوراة بدليلين . الدليل الأول : من زبور داود — عليه السلام — والدليل الثانى : من أسفار موسى الخمسة . الدليل الأول : أن داود — عليه السلام — قال عن النبى المنتظر : انه سيده . وحيث انه عبر عن النبى المنتظر بأنه سيده . اذن لا يكون النبى المنتظر من نسل داود ؛ كما يزعم اليهود العبرانيون بل من نسل آخر . لأن الابن مهما علا قدره وارتفعت منزلته لا يكون سيدا لأبيه . ولا يعبر الأب عن ابنه بلقب « سيدى » يقول داود فى المزمور المئة والعاشر : « قال الله لربى (١٠) » أى قال الله لسيد داود : « اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك » أى كن معى وأنا أمكنك من رقاب أعدائك وأنصرك عليهم « يرسل الرب قضيبك الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعدائك » أى أن ملك النبى المنتظر سيكون قويا بين أعدائه ... الخ (مزمور ١١٠) »

هذا هو الدليل الأول . وأما الدليل الثانى : فهو قول الله لابراهيم « خذ ابنك وحيدك الذى تحبه ... الخ » (تكوين ٢٢ : ٢)

---

(١٠) ترجمة اليسوعيين : « قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك . عصا عزتك يرسلها الرب من صهيون ... الخ » (مزمور ١٠٩)

قال المسيح عيسى ـــ عليه السلام ـــ ان الابن الوحيد لو كان هو اسحق كما هو ظاهر نص التوراة ما كان الله يعبر بجانب اسحق بالابن الوحيد . لأن الابن الوحيد هو اسماعيل لا اسحق .

فقد روى برنابا عن المسيح عيسى بن مريم ـــ عليه السلام ـــ مانصه :

« أجاب يعقوب : يا معلم قل لنا : بمن صنع هذا العهد فان اليهود يقولون : باسحق . والاسماعيليون يقولون : باسماعيل ؟ أجاب يسوع : ابن من كان داود ؟ ومن أى ذرية ؟ أجاب يعقوب من : اسحق . لأن اسحق كان أبا يعقوب ، ويعقوب كان أبا يهوذا الذى من ذريته داود . فحينئذ قال يسوع : ومتى جاء رسول الله فمن نسل من يكون ؟ أجاب التلاميذ : من داود . فأجاب يسوع : لا تغشوا أنفسكم . لأن داود يدعوه فى الروح ربا . قائلا هكذا : قال الله لربى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك . يرسل الرب . قضيبك الذى سيكون ذا سلطان فى وسط أعدائك ، فاذا كان رسول الله الذى تسمونه : مسيا ، ابن داود . فكيف يسميه داود ربا ؟ صدقونى ـــ لأنى اقول لكم الحق ـــ : ان العهد صنع باسماعيل لا باسحق .

حينئذ قال التلاميذ : يا معلم هكذا كتب فى كتاب موسى : ان العهد صنع باسحق ؟ أجاب يسوع متأوها : هذا هو المكتوب . ولكن موسى لم يكتبه ، ولا يشوع . بل أحبارنا الذين لا يخافون الله .

الحق أقول لكم : انكم اذا أعملتم النظر فى كلام الملاك جبريل ، تعلمون خبث كتبتنا وفقهائنا ، لان الملاك قال : يا ابراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله ؟ ولكن كيف يعلم العالم محبتك لله ؟

حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله . أجاب ابراهيم : ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله .

فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا : خذ ابنك بكرك اسماعيل ، واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة . فكيف يكون اسحق البكر ، وهو لما ولد كان

اسماعيل ابن سبع سنين » ؟ (برنابا ٤٣ : ٢٠ — ٣١ و ٤٤ : ١ — ١١)
ولما قال « اندراوس » للمسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — : « تكرم بالتصريح لنا بكل شيء عن رسول الله — ﷺ — » صرح المسيح عيسى ابن مريم بأن دعوة رسول الله — ﷺ — دعوة عالمية لجميع الأمم . واستدل بآية من التوراة على ما يقول . وهي قول الله عز وجل لابراهيم — عليه السلام — « ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تكوين ٢٢ : ١٨)

قال المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — لأصحابه « الحق أقول لكم : ان كل نبى متى جاء . فانه انما يحمل لأمة واحدة فقط علامة رحمة الله . ولذلك لم يتجاوز كلامهم الشعب الذى ارسلوا اليه . ولكن رسول الله متى جاء يعطيه الله ما هو بمثابة خاتم يده . فيحمل خلاصا ورحمة لأمم الارض الذين يقبلون تعليمه . وسيأتى بقوة على الظالمين . ويبيد عبادة الاصنام . بحيث يخزى الشيطان . لأنه هكذا اوعد الله ابراهيم قائلا : أنظر . فانى بنسلك أبارك كل قبائل الأرض . وكما حطمت يا ابراهيم الأصنام تحطيما . هكذا سيفعل نسلك » (برنابا ٤٣:١٣-١٩)

... ...

وكما بين المسيح بن مريم عليه السلام . بين كثيرون من علماء بنى اسرائيل . وكما أنكر بيان المسيح كثيرون أنكر بيان علماء بنى اسرائيل كثيرون . فعز الدولة أبو الرضا سعد بن نجم الدين ، منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة الاسرائيلى البغدادى المتوفى سنة ثلاث وثمانين وستمائة من الهجرة فى مدينة « الحلة » يقول فى كتابه « تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث » : ان البعض قد فهم من قول ملاك الله لهاجر عن اسماعيل : « يده على الكل ويد الكل عليه » أنه سيخرج من نسل اسماعيل ملوك على الشعب يحكمون بشرع من الله ، لئلا يظلموا . يقول ابن كمونه عنهم : « ان الملاك بشر هاجر بأن اسماعيل يكون عين الناس . وأن يده تكون فى الكل ويد الكل فيه . وأنه يسكن على تخم أرض جميع اخوته . وقوله « **فى الكل** » يحتمل أن يده متصرفة فى الكل . أو أنه يكون

مخالطا للكل . ومعلوم ان اسماعيل وولده لم يكونوا متصرفين فى معظم الأمم ، ولا كانوا ممازجين لهم الا بالاسلام . والملاك من قبل الله لا يبشر بالظلم والجور والكذب »

ومن البعض الذين يعنيهم « ابن كمونة » بقوله هذا ، الشيخ الامام محمد بن عمر الرازى المتوفى سنة ٦٠٦هـ فى قوله فى تفسيره الكبير : « جاء فى الفصل التاسع من السفر الأول من التوراة : أن هاجر لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك من قبل الله . فقال لها : يا هاجر . أين تريدين ؟ ومن أين أقبلت ؟ قالت : أهرب من سيدتى سارة . فقال لها : ارجعى الى سيدتك ، واخضعى لها ، فان الله سيكثر زرعك وذريتك . وستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه اسماعيل ، من أجل أن الله سمع تبتلك وخشوعك . **وهو يكون عين الناس . وتكون يده فوق الجميع . ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع . وهو يسكن على تخم أرض جميع اخوته** » .

واعلم : أن الاستدلال بهذا الكلام : أن هذا الكلام خرج مخرج البشارة وليس يجوز أن يبشر الملاك من قبل الله بالظلم والجور ، وبأمر لا يتم الا بالكذب على الله تعالى . ومعلوم : أن اسماعيل وولده لم يكونوا متصرفين فى الكل — أعنى فى معظم الدنيا ومعظم الامم ولا كانوا مخالطين للكل على سبيل الاستيلاء — الا بالاسلام ، لانهم كانوا قبل الاسلام محصورين فى البادية ، لا يتجاسرون على الدخول فى أوائل العراق وأوائل الشام ، الا على أتم خـــوف . فلما جاء الاسلام استولوا على الشرق والغرب بالاسلام ، ومازجوا الامم ، ووطئوا بلادهم ومازجتهم الامم ، وحجوا بيتهم ، ودخلوا باديتهم بسبب مجاورة الكعبة . فلو لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم صادقا ، لكانت هذه المخالطة منهم للامم ، ومن الامم لهم ، معصية لله تعالى وخروجا عن طاعته الى طاعة الشيطان . والله يتعالى عن أن يبشر بما هذا سبيله » أ.هـ.

ثم يرد ابن كمونة عليهم بقوله : « ان قوله : « يده فى الكل ويـــد

الكل فيه » لا نسلم أنه يريد به معظم الأمم . بل قد يريد كل اخوته وأهله . وكونه يسكن على تخوم أرض جميع اخوته بيان لذلك » (١١)

*** *** ***

ونرد عليه بما يلى — وقد سبقت ردود وستأتى ردود — :

١ — أنت لا تسلم بمعظم الامم . مع انك تعلم بأن هذه النبوءة فى المستقبل عن نسل اسماعيل — عليه السلام — الذى قال عنه ملاك الله : « تكثيرا أكثر نسلك ، فلا يعد من الكثرة » والنسل الذى لا يعد من الكثرة ، أكبر من أن يحصر فى دائرة ضـــيقة من الأرض ، كمــا لــم ينحصــر نسل بنى اسحق فى الزمان القديم . فانهم شرقوا وغربوا فى الأرض طولا وعرضا . ولو كان المراد بلفظ : « يده على كل واحد .ويد كل واحد عليه » : عموم اخوته وأهله فقط ، لخصص ذلك بمثل قوله : يده على كل واحد من أهله ، بدل لفظ « الكل » الذى يفيد ما هو أكبر من عموم اخوته وأهله فقط .

ولو ســلمنا جدلا بكلامك . وهــو : كل اخوته وأهله . فان نجم بنى اسماعيل قد علا على بنى اسرائيل فى ظهور الاسلام ، لأول مرة فى حياتهم ، وورثوا بلاد الشام التى سكنها بنو اسرائيل من قبلهم ، وأصبحوا ظاهرين .

ولا يمكن أن يكون ملك موعود به بدون شريعة ، تمنع الملوك من أن يظلموا لأن العقل الانسانى لا يقدر على سن تشريعات لجميع الناس ، لاختلاف الأمزجة والطبائع وكم من ملك حكم بحكم معتقدا على حســب مزاجه وطبعه أنه صواب ، وهو على الناس فى حكم الخطأ ، فلكى يكون ميزان للعدل لجميع الناس ، للملوك وللعامة ، تفضل الله على الناس بالشرائع التى ينزلها على نبى يصطفيه منهم . وهكذا كان الحال مع

---

(١١) ص ٩٤ — ٩٦ تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث .

ملوك من بنى اسرائيل على شريعة موسى — عليه السلام — ليحقوا الحق ويزهقوا الباطل . وهو نفس الحال مع الملوك من بنى اسماعيل على شريعة محمد — ﷺ — ليحقوا الحق ، ويزهقوا الباطل .

٢ — ولا يمكن أبدا أن يكون العهد خاصا فى نسل اسحق وحده . لأنه مشروط فى نسلهم بشرط العدل الى مجىء النبى الذى أعبر عنه موسى فى سفر التثنية . فقد ورد فى التوراة مشابها لقوله تعالى فى القرآن الكريم : « لا ينال عهدى الظالمين » أى من كان ظالما من ذرية ابراهيم لا ينـاله استخلافى وعهدى اليه بالامامة . ورد أن موسى — عليه السلام — عاهد بنى اسرائيل بهذا العهد — والله يعلم ما كان وما يكون — :

« أنتم واقفون اليوم جميعكم أمام الرب . رؤساؤكم ، أسباطكم ، شيوخكم ، وعرفاؤكم . وكل رجال اسرائيل ، وأطفالكم ، ونسـاؤكم وغريبكم الذى فى وسط محلتكم ، ممن يحتطب حطبكم ، الى من يستقى ماءكم ، لكى تدخل فى عهد الرب ، وقسمه الذى يتطعه الرب الهك معك اليوم ... وليس معكم وحدكم أقطع أنا هذا العهد وهذا القسـم ، بل مع الذى هو هنا معنا واقفا اليوم أمام الرب الهنا . ومع الذى ليس هنا اليوم ... لئلا يكون فيكم رجل أو امرأة أو عشيرة أو سـبط قلبه اليوم منصرف عن الرب الهنا . لكى يذهب ليعبد آلهة تلك الأمم . لئلا يكون فيكم أصلا يثمر علقما وأفسنتينا .. لايشاء الرب أن يرفق به ... ويقول جميع الأمم : لماذا فعل الرب هكذا بهذه الأرض ؟ لماذا حمو هـذا الغضب العظيم ؟ فيقولون : لأنهم تركوا عهد الرب اله آبائهم الـذى قطعه معهم حين أخرجهم من أرض مصر » (التثنية ٢٩ : ١٠ — ٢٥)

والمفهوم من هذا العهد : انه دائم الى مجىء النبى الذى أخبر عنه موسى فى سفر التثنية . واذا عدلوا الى مجيئه ، فان الله يفتح عليهم بركات من السماء والأرض ، وهم لم يعدلوا فقد عبدوا آلهة أخر ولم يتبعوا وصايا الرب . واذا كان هذا حالهم وهم فى عهد محدد بمجىء آخر ، فكيف يكون الحال لو كان العهد معهم الى يوم الدين ؟

ففى سفر النبى حزقيال ، يقول الله تعالى : « ان بيت اسرائيل لما سكنوا ارضهم نجسوها بطريقهم وبأفعالهم ، كانت طريقهم أمامى كنجاسة الطامث ، فسكبت غضبى عليهم لأجل الدم الذى سفكوه على الأرض ، وبأصنامهم نجسوها ، فبددتهم فى الأمم ، فتذروا فى الاراضى . كطريقهم وكأفعالهم دنتهم **فلما جاءوا الى الامم حيث جاءوا نجسوا اسمى** القدوس » (حز ٣٦ : ١٧ — ٢٠)

وفى الانجيل يقول المسيح عليه السلام : «يا أورشليم . يا أورشليم . ياقاتلة الأنبياء ، وراجمة المرسلين اليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا » (مت ٢٣ : ٣٧ — ٣٨) يشير بخراب البيت الى هدم هيكل سليمان — وهو رمز النبوة فى بنى اسرائيل — واذا زال رمز النبوة ، فقد اقترب زوال الملك .

٣ — وبركة الأمم فى نسل ابراهيم على ادعاءاتكم لم تتحقق . لأنكم تقولون : ان شريعة موسى عليه السلام لنا وحدنا وللغريب الساكن فى وسطنا فقط . وليست للأمم جميعا .

ففى سفر العدد « مثلكم يكون مثل الغريب امام الرب ، شريعة واحدة وحكم واحد يكون لكم وللغريب النازل عندكم » (عدد ١٥ : ١٥ — ١٦)

وعلى ادعاء النصارى يمكن القول بتحققها فى الظاهر . لأنهم يقولون بعالمية النصرانية استنادا على قول المسيح لله تعالى عن تلاميذه « كما أرسلتنى الى العالم ، أرسلتهم أنا الى العالم » (يو ١٧ : ١٨)
والمسيح أرسلهم الى العالم للتبشير بمحمد ﷺ ، ولم يرسلهم بشريعة مغايرة لشريعة موسى .

وهم ينشرون التوراة مع الانجيل ويدعون أن الانجيل شريعة مغايرة لشريعة موسى . ووجه الاعتراض عليهم : هو : أنهم خرجوا تماما

عن ملة ابراهيم بادعائهم ما ادعوا من عقيدة التثليث والغائهم ناموس موسى ، وأحكام الله . استنادا على قول بولس فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس : « الدعوة التى دعى فيها كل واحد ، فليلبث فيها » (١ كو ٧ : ٢٠) أى اذا دعى اليهودى الى النصرانية وقبل الدعوة ، فليعمل بحسب شريعته التى درج عليها ، وهى شريعة موسى . واذا دعى اليونانى الى النصرانية ، وقبل الدعوة ، فليعمل بحسب قوانين بلاده التى تحكم المواطنين وبحسب العادات والتقاليد التى درج عليها .

٤ ــ والتوراة لم تنص على حرمان نسل اسماعيل ــ عليه السلام ــ من عهد النبوة . فان من يمعن النظر جيدا يجد أن البركة فى نسله ، أكثر من البركة فى نسل اسحق ــ عليه السلام ــ

(أ) فقد قال الله عن اسماعيل : « أباركه وأثمره ، وأكثره كثيرا جدا ... وأجعله أمة كبيرة »

(ب) وقالت سارة لابراهيم : ابن هاجر لا يرث البركة منك ، كما يرث ابنى اسحق . فقال الله لابراهيم : « باسحق يدعى لك نسل . وابن الجارية أيضا ، سأجعله أمة لأنه نسلك » (تك ٢١ : ١٢ ــ ١٣)

(جـ) ولما أرادت هاجر أن تسكن بعيدا عن سارة ، ناداها ملاك الله بقوله : « لا تخافى . لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشدى يدك به . لأنى سأجعله أمة عظيمة » (تك ٢١ : ١٧ ــ ١٨)

(د) وأكد على هذا المعنى ملاك الله من قبل ولادة اسحق . فانه قابل هاجر وخاطبها بقوله : « ها أنت حبلى فتلدين ابنا ، وتدعين اسمه اسماعيل . لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وأنه يكون انسانا وحشيا . يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه » (تك ١٦ : ١١ ــ ١٢)

(هـ) وكاتب التوراة يقول : ان موسى من قبل موته ، قد قسم

البركة على سيناء وسعير وفاران . ويشير بفاران الى وطن اسماعيل ، تأكيدا للبركة فى نسله . ففى الأصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية : « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب . جميع قديسيه فى يدك ، وهم جالسون عند قدمك ، يتقبلون من اقوالك » (تث ٣٣ : ١ — ٣) والدليل على أن فاران وطن لآل اسماعيل : « ونادى ملاك الله هاجر من السماء وقال لها مالك يا هاجر . لا تخافى . لأن الله قد سمع لصوت الغلام حيث هو . قومى احملى الغلام وشدى يدك به لأنى سأجعله أمة عظيمة . وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء فذهبت وملأت القربة ماء وسقت الغلام . وكان الله مع الغلام فكبر . وسكن فى البرية . وكان ينمو رامى قوس . وسكن فى برية فاران وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر » (تك ٢١ : ١٧ — ٢١)

(و) وقد نص موسى على نبى يأتى من بعده ليقيم الدين . فى قوله « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) وبين أنه لن يظهر نبى مثله من بنى اسرائيل ، فى قوله : « ولم يقم بعد نبى فى اسرائيل مثل موسى » (تث ٣٤ : ١٠) وحيث لاسماعيل بركة ، فان هذا النبى يكون من نسله لاقامة الدين .

(ز) وفى التوراة أن يعقوب عليه السلام قال لبنى اسرائيل فى شخص يهوذا ابنه : « لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون . وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠) وحيث لاسماعيل بركة ، فان شيلون يكون هو الآتى منه ، لينهى بركة اسحق فى الأمم .

٥ — وان التاريخ ليشهد بتحقق وعد الله — عز وجل — لابراهيم فى مباركة الأمم بولديه . اسحق واسماعيل — عليهما السلام — فان الله اصطفى من نسل اسحق ، آل يعقوب للبركة . ومن موسى بن عمران بن

قهات بن لاوى بن يعقوب ، بدأ الملك ، وبدأت الشريعة فى نسل اسحق .
ولم يكن لنسل اسحق من قبل موسى ملك ، ولم تكن معهم شريعة كاملة
« موعظة وتفصيلا لكل شىء » — « نورا وهدى للناس » فقد كانوا متفرقين
فى أرض سيناء ، يخافون أن يتخطفهم الناس . وعند آل فرعون فى مصر
كان بنو اسرائيل يسامون سوء العذاب ، كما جاء فى سفر الخروج .
« فاستعبد المصريون بنى اسرائيل بعنف ، ومرورا حياتهم بعبودية
قاسية » (خر ١ : ١٣ — ١٤)

وفى ذلك الوقت ظهر موسى — عليه السلام — ليظهر ميثاق الله مع
ابراهيم واسحق ويعقوب ، فخرج ببنى اسرائيل من مصر ، وسكنوا معا
فى صحراء سيناء ، وعند جبل الطور نزلت الشريعة على موسى عليه
السلام ، ووحد قلوب بنى اسرائيل على الاخلاص لله ، ونظم صفوفهم للجهاد
فى سبيله ، وأمرهم بفتح البلاد لنشر الشريعة ، ووعد المطيعين منهم
بجنة عرضها السموات والأرض . ومن ذاك الزمان بدأ ملك بنى اسرائيل
فى الظهور ، وأصبح يتلى فى العالم كتاب موسى (١٢)

---

(١٢) يقول الامام القرطبى فى آخر سورة الشورى :
« وتكلم العلماء فى نبينا صلى الله عليه وسلم . هل كان متعبدا
بدين قبل الوحى أم لا ؟ فمنهم من منع ذلك مطلقا وأحاله عقلا . قالوا :
لأنه يبعد أن يكون متبوعا من عرف تابعا . وبنوا هذا على التحسين
والتقبيح . وقالت فرقة أخرى : بالوقف فى أمره عليه السلام وترك قطع
الحكم عليه بشىء فى ذلك . اذ لم يحل الوجهين منهما العقل ولا استبان
عندها فى أحدهما طريق النقل . وهذا مذهب أبى المعالى . وقالت فرقة
ثالثة : انه كان متعبدا بشرع من قبله وعاملا به . ثم اختلف هؤلاء فى
التعيين . فذهبت طائفة الى أنه كان على دين عيسى ، فانه ناسخ
لجميع الأديان والملل قبلها . فلا يجوز أن يكون النبى على دين منسوخ .
وذهبت طائفة الى أنه كان على دين ابراهيم . لانه من ولده وهو أبو
الأنبياء . وذهبت طائفة الى أنه كان على دين موسى ، لانه أقدم الاديان .
وذهبت المعتزلة الى أنه لابد أن يكون على دين . ولكن عين الدين غير
معلومة عندنا » أ.هـ وانظر أيضا فصل الدعوات العالمية السماوية من
كتابنا نقد التوراة أسفار موسى الخمسة .

ووحد صفوفهم من بعد موسى يشوع بن نون ، وحارب بهم قبائل فى سيناء ، وأسس ملكهم فى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين : طالوت وداود ، وفى عهد سليمان كان الملك ملكا عظيما ، ثم أتاهم من الذل ما يأتى على العصاة فى كل زمان ، فأدبهم الله بسوط الملوك الأجانب ، لكن لم يهلكهم شفقة عليهم .

ومن بعد موسى كان علماء بنى اسرائيل يقومون بالدعوة خير قيام ، غير شرذمة منهم أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات . وظهر فى بنى اسرائيل أنبياء من بعد موسى كالياس واليسع ويونس — عليهم السلام — لا ليغيروا شيئا من كتاب موسى ، بل ليصلحوا الناس على ما فيه من أحكام .

وعند اقتراب نهاية البركة من آل اسحق ، أرسل الله المسيح عيسى بن مريم عليه السلام لينذرهم بالنهاية ويحذرهم من عصيان النبى الآتى من ولد اسماعيل لتبدأ من وجوده بركة الأمم فى آل اسماعيل .

***

هذا عن تاريخ بنى اسحق . وأما عن بنى اسماعيل . فانهم كانوا متفرقين فى الأرض ، يحكم بعضهم بعضا ، ولم يكن لهم نظام ولا ملك ، حتى ظهر محمد — ﷺ — والتفوا حوله ففتح بهم البلاد ، وأصلح بهم العباد ، ومن ظهوره بدأ ملك بنى اسماعيل فى العالم ، بشريعة تختلف فى الأحكام عن الشريعة التى كانت فى أيدى بنى اسحق .

وهذا واضح من قول الله عز وجل : « قل : من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس (١٣) تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون

---

(١٣) يقول ابن كمونة : « وجميع ما وصاهم الله به — أى اليهود والأمم — على لسان رسوله الأمين . موسى — صلوات الله عليه — هو : اعتقاد التوحيد وترك عبادة الاصنام ، وأن لا يشركوا بالله شيئا ، وأن ينزهوه عن الشبيه والنظير والمشير ، وأن يعبدوه وحده ويحبوه =

كثيرا . وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم . قل : الله . ثم ذرهم في خوضهم يلعبون .

وهذا كتاب أنزلناه مبارك ، مصدق الذى بين يديه ، ولتنذر أم القرى ومن حولها ، والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به ، وهم على صلاتهم يحافظون » (الأنعام ٩١ ــ ٩٢) فقد قرن بين الكتاب الذى كان فى آل اسحق والكتاب الذى نزل على آل اسماعيل .

... ...

وبعدما عرفنا وجهة نظر اليهود فى نبوءة ملاك الله لهاجر عن اسماعيل عليه السلام وهى : **« يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه »** ورددنا عليهم فى شخص ابن كمونة ، نعرف وجهة نظر النصارى فيها فانهم واليهود شركاء فى تقديس ذلك الكتاب . يقول الدكتور جورج بوست فى « قاموس الكتاب المقدس » : « وكان نسله ينمو ويكثر جدا ، حتى أنهم أصبحوا بعد قليل أمة كثيرة العدد فوصفوا بالتجارة ، وعرفوا بها . وتحققت النبوءة فى اسماعيل ، فكان رجلا يقطن البرارى والقفار ، ومن أنساله أكثر قبائل

=

بكل قلوبهم وأنفسهم وجهدهم ويخافوه ويستعينوا به ، ويتوكلوا عليه ، وأن يعتقدوا أنه العالم الذى لا يعزب عن علمه شىء ، والقادر على كل شىء والخالق لكل شىء . وأنه هو الذى يميت ويحيى ويمرض ويشفى ، ولا منجى من قدرته ، وأنه الأول والآخر ، لا اله آخر سواه وأمرهم بمكارم الأخلاق وبالصلاة والصوم والصدقة والعدل والانصاف والوفاء بالعهد والنذر واكرام الوالدين والعلماء واطاعة الولاة واكرامهم وأن يحبوا لغيرهم من الخير ما يحبونه لأنفسهم ، وعرفهم ما يسلكون من طريق السياسات المنزلية والمدنية والنفسية ، ونهاهم عن الرذائل والجور والقتل والسرقة والزناء وتمنى مال الغير ، وأمرهم بأشياء ونهاهم عن أشياء لا نعقل نحن فائدة التكليف بها . وقد حصرت أوامر التوراة ونواهيها المستمرة الوجوب فى ستمائة وثلاثة عشر ، وهى عدا ما أمر به ونهى عنه فيها ، لا على الدوام والاستمرار » أ.هـ (ص ٢٦ تنقيح الأبحاث)

البدو والرحل فى المشرق ، وقد يصادف السياح بعض التعديات من بعض قبائل البدو فى سياحتهم » (١٤)

والنصارى فى قولهم : ان النبوءة تشير الى همجية بنى اسماعيل ، وتعديهم على جيرانهم مخطئون خطأ بينا ، لأن الوعد الالهى منصرف الى نبى كريم لم يولد بعد ، ولم يسىء . حتى يظن الناس فى نسله ظن السوء . ولو لم يكن نبيا كريما ، ما سر الله به ابراهيم على الكبر ، ووهبه اثنى عشر ولدا ، وجعله لشعب كبير ، وما قبل الله فيه دعاء ابراهيم . وقد اتخذ الله ابراهيم خليلا .

• • •   • • •   • • •

وللنصارى وجهة نظر فى « العهد » غير وجهة نظر اليهود . فاليهود يجعلون « العهد » بالنبوة فى نسل اسحق مع التخصيص فى نسل اسرائيل والنصارى يجعلونه فى نسل المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — يعنون من يؤمن به ، أى أن العهد بالنبوة عندهم فى اسحق عليه السلام لم يتحقق من مجىء موسى بالناموس ، بل من مجىء عيسى بالانجيل . وكيف يجعلونه فى المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — وهو لم يأت بجديد على ما جاء به موسى — عليه السلام — ؟ يقول بولس : « وأما المواعيد فقيلت فى ابراهيم وفى نسله . لا يقول : وفى الأنسال كأنه عن كثيرين ، بل كأنه عن واحد . وفى نسلك الذى هو المسيح » **ويبرهن بولس على رأيه** هذا بأن ابراهيم — عليه السلام — لما وعده الله بتكثير نسله ، وعده بناء على ايمان فى ابراهيم ، لا عن أعمال صدرت من ابراهيم . لأن التوراة لم تكن قد نزلت على موسى وما كانت قررت ما يجب على الناس أن يعملوه . اذ قد جاء موسى بعد ابراهيم بأربعمائة وثلاثين عاما تقريبا ، ثم لما جاء عيسى ألغى التوراة وأبطل العمل بها . وأرجع الناس الى الايمان الذى عاش به ابراهيم قبل مجىء الناموس . فوجه المشابهة

---

(١٤) ص ٩٨ المجلد الأول . قاموس الكتاب المقدس طبعة بيروت سنة ١٩٠١م

اذن هو واضح بين ابراهيم وبين عيسى فى أن كلا منهما قد برره الله ورضى عنه لا بسبب الأعمال ، بل بسبب الايمان وحده . هذه نظرية بولس .

وبهذه النظرية كان يبشر بولس ، وكان له معارضون يخطئهم العد . ومنهم أهل غلاطية الذين كتب اليهم قائلا :

« ايها الغلاطيون الأغبياء من رقاكم (١٥) حتى لا تذعنوا للحـــق . أنتم الذين أمام عيونكم قد رســـم يسوع المسيح بينكم مصلوبا ؟ أريد أن أتعلم منكم هذا فقط ؟ أبأعمال الناموس أخذتم الروح أم بخبر الايمان ؟ أهـــكذا أنتم أغبياء ؟ أبعد ما ابتدأتم بالروح تكلمون الآن بالجســـد ؟ أهذا المقدار احتملتم عبثا ؟ ان كان عبثا . فالذى يمنحكم الروح ويعمل قوات فيكم . أبأعمال الناموس أم بخبر الايمان ؟ كما آمن ابراهيم بالله فحسب له برا .

اعلموا اذا أن الذين هم من الايمان ، أولئك هم بنو ابراهيم . والكتاب اذ سبق فرأى أن الله بالايمان يبرر الأمم ، ســـبق فبشر ابراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم . اذا الذين هم من الايمان يتباركون مـــع ابراهيم المؤمن . لأن جميع الذين هم من أعمال الناموس هم تحت لعنة لأنه مكتوب : ملعون كل من لا يثبت فى جميع ما هو مكتوب فى كتاب الناموس ليعمل به . ولكن أن ليس أحد يتبرر بالناموس عند الله فظاهر . لأن البار بالايمان يحيا . ولكن الناموس ليس من الايمان ، بل الانسان الذى يفعلها سيحيا بها . المسيح افتدانا من لعنة الناموس اذ صـــار لعنة لأجلنا لانه مكتوب : ملعون كل من علق على خشبة . لتصير بركة ابراهيم للأمم فى المسيح يسوع لننال بالايمان موعد الروح .

أيها الاخوة بحسب الانسان أقول : ليس أحد يبطل عهدا قـــد تمكن ، ولو من انسان ، أو يزيد عليه ، وأما المواعيد فقيلت فى ابراهيم

---

(١٥) فى ترجمة اليسوعيين « من سحركم »

وفى نسله . لا يقول وفى الأنسال كأنه عن كثيرين بل كأنه عن واحد .
وفى نسلك الذى هو المسيح .

وانما أقول هذا : أن الناموس الذى صار بعد أربعمئة وثلاثين سنة لا ينسخ عهدا قد سبق فتمكن من الله نحو المسيح حتى يبطل الموعد . لأنه ان كانت الوراثة من الناموس فلم تكن أيضا من موعد . ولكن الله وهبها لابراهيم بموعد .

فلماذا الناموس ؟ قد زيد بسبب التعديات الى أن يأتى النسل الذى قد وعد له مرتبا بملائكة فى يد وسيط . وأما الوسيط فلا يكون لواحد . ولكن الله واحد . فهل الناموس ضد مواعيد الله ؟ حاشا . لأنه لو أعطى ناموس قادر أن يحيى لكان بالحقيقة : البر بالناموس . لكن الكتاب أغلق على الكل تحت الخطية ليعطى الموعد من ايمان يسوع المسيح للذين يؤمنون . ولكن قبلما جاء الايمان كنا محروسين تحت الناموس مغلقا علينا الى الايمان العتيد أن يعلن . اذا قد كان الناموس مؤدبنا الى المسيح لكى نتبرر بالايمان . ولكن بعدما جاء الايمان لسنا بعد تحت مؤدب . لأنكم جميعا أبناء الله بالايمان بالمسيح يسوع . لان كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح . ليس يهودى ولا يونانى . ليس عبد ولا حر . ليس ذكر وأنثى لانكم جميعا واحد فى المسيح يسوع . فان كنتم للمسيح فأنتم اذا نسل ابراهيم ، وحسب الموعد ورثة .

وانما أقول : مادام الوارث قاصرا لا يفرق شيئا عن العبد مع كونه صاحب الجميع . بل هو تحت أوصياء ووكلاء الى الوقت المؤجل من أبيه . هكذا نحن أيضا لما كنا قاصرين ، كنا مستعبدين تحت أركان العالم . ولكن لما جاء ملء الزمان أرسل الله ابنه مولودا من امرأة ، مولودا تحت الناموس ليفتدى الذين تحت الناموس لننال التبنى ، ثم بما أنكم أبناء : أرسل الله روح ابنه الى قلوبكم صارخا يا أبا الآب . اذا لست بعد عبدا ، بل ابنا . وان كنت ابنا فوارث لله بالمسيح .

لكن حينئذ اذ كنتم لا تعرفون الله استعبدتم للذين ليسوا بالطبيعة آلهة . وأما الآن اذ عرفتم الله . بل بالحرى عرفتم من الله . فكيف ترجعون أيضـــا الى الأركان الضعيفة الفقيرة التى تريدون أن تستعبدوا لها من جديد ؟

اتحفظون أياما وشهورا ، وأوقاتا وسنين ؟ أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثا .

أتضرع اليكم أيها الأخوة كونوا كما أنا . لأنى أنا أيضـــا كما أنتم . لم تظلمونى شيئا ولكنكم تعلمون أنى بضعف الجسد بشرتكم فى الأول ، وتجربتى التى فى جسدى لم تزدروا بها ؛ ولاكرهتموها . بل كملاك من الله قبلتمونى كالمسيح يسوع . فماذا كان اذا تطويبكم ؟ لأنى أشهد لكم . أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأعطيتمونى . أفقد صرت اذا عدوا لكم لأنى أصدق لكم ؟

يغارون لكم ، ليس حسنا . بل يريدون أن يصدوكم . لكى تغاروا لهم . حسنة هى الغيرة فى الحسنى كل حين . وليس حين حضورى عندكم فقط . يا أولادى الذين أتمخض بكم أيضا الى أن يتصور المسيح فيكم . ولكنى كنت أريد أن أكون حاضرا عندكم الآن . وأغير صوتى لأنى متحير فيكم .

قولوا لى أنتم الذين تريدون أن تكونوا تحت الناموس : ألستم تسمعون الناموس ؟ فأنه مكتوب : أنه كان لابراهيم ابنان واحد من الجارية ، والآخر من الحرة . لكن الذى من الجارية ولد حســب الجسد ، وأما الذى من الحرة فبالموعد . وكل ذلك : رمز . لأن هاتين هما العهدان . أحدهما : من جبل سيناء الوالد للعبودية الذى هو هاجر . لأن هاجر جبل سيناء فى العربية ولكنه يقابل أورشليم الحاضرة فأنها مســتعبدة مــع بنيها . وأما أورشليم العليا التى هى أمنا جميعا فهى حرة . لأنه مكتوب . افرحى أيتها العاقر التى لم تلد . اهتفى واصرخى أيتها التى لم تتمخض . فان أولاد الموحشة أكثر من التى لها زوج .

وأما نحن أيها الأخوة فنظير اسحق أولاد الموعد . ولكن كما كان حينئذ الذى ولد حسب الجسد يضطهد الذى حسب الروح هكذا الآن أيضـــا . لكن ماذا يقول الكتاب ؟ اطرد الجارية وابنها لأنه لا يرث ابن الجارية مع ابن الحرة . اذا أيها الاخوة لسنا أولاد جارية ، بل أولاد الحرة فاثبتوا اذا فى الحرية التى قد حررنا المسيح بها ، ولا ترتبكوا أيضـــا بنير عبودية » (غلاطية ٣ ، ٤ ، ٥)

***

لقد اقتبس بولس مما اقتبس من التوراة عبارات خمسة في الاصحاح الثالث من رسالته الى أهل غلاطية ليبرهن بهن علي ما يريد اثباته من الغاء العمل بأحكام التوراة . وجعل الايمان بعيسي ربا مصلوبا كاف فى دخول الجنة . وأن نســل ابراهيم ينحصر فى المؤمنين بعيسى فقط للمشابهة بينه وبين ابراهيم فى الايمان . لا فى الأعمال .

العبارة الأولى : « كما آمن ابراهيم بالله فحسب له برا » ونصـــها فى التوراة « فآمن بالرب فحسبه له برا » (تك ١٥ : ٦)

العبارة الثانية : « والكتاب اذ سبق فرأى أن الله بالايمان يبرر الأمم ، سبق فبشر ابراهيم أن فيك تتبارك جميع الأمم » ونصـــها فى التوراة « ويتبارك فى نسلك جميع أمم الأرض » (تك ٢٢ : ١٨)

العبارة الثالثة : « لانه مكتوب : ملعون كل من لا يثبت فى الناموس ليعمل به » ونصها فى التوراة « ملعون من لا يقيم كلمات هذا الناموس ليعمل بها » (تث ٢٧ : ٢٦)

العبارة الرابعة : « مكتوب ملعون كل من علق على خشبة » ونصها فى التوراة « واذا كان على انسان خطية حقها الموت فقتل وعلقته عـــلى خشبة ، فلا تبت جثته على الخشبة ، بل تدفنه فى ذلك اليوم ، لأن المعلق ملعون من الله » (تث ٢١ ، ٢٢ — ٢٣)

العبارة الخامسة : « وأما المواعيد فقيلت فى ابراهيم وفى نسله » ونصها فى التوراة « ويرث نسلك باب أعدائه » (تك ٢٢ : ١٧)

***

ونرد عليه قائلين :

فى العبارتين الأوليين . نقول : ان بر ابراهيم — عليه السلام — البر الكامل لم يكن بالايمان وحده ، بل بالايمان والأعمال .

وأن وعد الله عز وجل بتكثير نسله لم يكن مجازفة . وانما كان بسبب سماع ابراهيم لكلام الله . واقدامه على تنفيذ الأقوال بالفعل . كما هو صريح الناموس : ففيه : « من أجل أنك سمعت لقولى » لم يقل من أجل الايمان وحده ، بل من أجل سماع الأقوال . وفوق هذا التصريح الذى يتعمد بولس غض الطرف عنه ، نجد أن الناموس مصرح بأعمال لابراهيم قبل أن يرزق بنسل . من ذلك : أنه بنى أكثر من مكان لعبادة الله — تعالى — فى أرض كنعان كما فى التوراة : « فبنى هناك مذبحا للرب » (تك ١٢ : ٧) ولم يقتصر الأمر على بناء أمكنة للعبادة فقط . بل دعا الناس الى عبادة الله ، ففى التوراة : « فبنى هناك مذبحا للرب ، ودعا باسم الرب » (تك ١٢ : ٨)

وتعيد التوراة هذا القول مرة أخرى بعد رجوع ابراهيم من مصر الى أرض كنعان « الى مكان المذبح الذى عمله هناك أولا ، ودعا هناك أبرام باسم الرب » (تك ١٣ : ٤) وبعدما اعتزله لوط — عليه السلام — « نقل أبرام خيامه وأتى واقام عند بلوطات ممرا التى فى حبرون . بنى هناك مذبحا للرب » (تك ١٣ : ١٨) ولما ذهب لوط فى الأسر . شن ابراهيم الحرب على آسريه . مراعيا أخوة القرابة وأخوة الدين « واسترجع كل الأملاك ، واسترجع لوطا أخاه أيضا ، وأملاكه والنساء أيضا والشعب » (تك ١٤ : ١٦) ويقول الناموس : ان ابراهيم كان منفذا لأوامر الهية . لقد عهد الله اليه بالختان فى قوله : « هذا هو عهدى

الذى تحفظونه بينى وبينكم وبين نسلك من بعدك . يختن منكم كل ذكر » (تك ١٧ : ١٠) فنفذ ابراهيم عهد الله ، ليس لنفسه فقط ، بل ولأولاده ، وغلمانه أيضا .

ففى التوراة « فأخذ ابراهيم اسماعيل ابنه ، وجميع ولدان بيته ، وجميع المبتاعين بفضته ، كل ذكر من أهل بيت ابراهيم ، وختن لحم غرلتهم فى ذلك اليوم عينه ، كما كلمه الله . وكان ابراهيم ابن تسع وتسعين سنة ، حين ختن فى لحم غرلته . وكان اسماعيل ابنه ابن ثلاث عشرة سنة ، حين ختن فى لحم غرلته » (تك ١٧ : ٢٣ — ٢٥) « وختن ابراهيم اسحق ابنه ، وهو ابن ثمانية أيام كما أمره الله » (تك ٢١ : ٤)

وفوق ذلك ، فان الناموس صريح بتكثير نسل ابراهيم ومباركة الامم فى نسله ، اذا كان ابراهيم يوصى أولاده بأن يعملوا بأوامر الله . أى أن وعد الله مرتهن بالاعمال لا بالايمان وحده . ففى التوراة « فقال الرب : هل أخفى عن ابراهيم ما أنا فاعله ؟ وابراهيم يكون أمة كبيرة وقوية . ويتبارك به جميع أمم الأرض ، لأنى عرفته لكى يوصى بنيه وبيته من بعده : أن يحفظوا طريق الرب ليعملوا برا وعدلا . لكى يأتى الرب لابراهيم بما تكلم به » (تك ١٨ : ١٧ — ١٩) ففى هذا النص قوله : « ليعملوا برا وعدلا » ولم يقل ليؤمنوا فقط . وفى هذا النص أيضا : « لكى يأتى الرب لابراهيم بما تكلم به » أى اذا عملوا : البر والعدل .

ولما أخذ ابراهيم ابنه الى مكان الذبح الذى قلنا من قبل انه فى مكة قال لغلاميه : « اجلسا أنتما ههنا مع الحمار ، وأما أنا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ، ثم نرجع اليكما » (تك ٢٢ : ٥) فذهاب ابراهيم ليسجد فى موضع معد للسجود من قبل ، هو دليل على تأكيد الايمان بالأعمال . واقدامه على ذبح ولده فى هذا الموضع المأمور بالذهاب اليه هو أيضا تأكيد للايمان بالاعمال .

واذا نظرنا الى عيسى — عليه السلام — نجده يقرر قيمة الاعمال

فى النجاة من هول الدنيا وهول الآخرة . فهو نفسه كان يعمل مع كونه مؤمنا . لقد « كان يصلى لله » (لوقا ٩ : ٢٨) وكان يسبح الله بالادعية الواردة فى مزامير داود (مرقس ١٤ : ٢٦) وقال بصريح العبارة : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس » (متى ٥ : ١٧)

واذا نظرنا فى القرآن الكريم نجده يقرر ما قرره موسى وعيسى بشأن الأعمال ، وأن النجاة فى الدنيا والآخرة بالاعمال والايمان ، لا بالايمان وحده . لقد ذكر القرآن أن الله اختبر ابراهيم بوصـايا فنفذهـا . وبهذا اقترن الايمان بالأعمال . يقول تعالى : « واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن » والتمام عمل . ثم أن الله ـ تعالى ـ خاطب ابراهيم بعد تمام التنفيذ بقوله : « قال انى جاعلك للناس اماما » فطلب أيضا أن تكون الامامة فى ذريته . فحددها الله بمن يعمل صالحا « قال : ومن ذريتى . قال : لا ينال عهدى الظالمين » (البقرة ١٢٤)

والعبارة الثالثة : تدين أهل الكتاب جميعا لأن فى الناموس الايمان بالنبى الذى سيأتى مستقبلا من نسـل اسـماعيل لتتبارك الأمم بالشريعة التى معه . ومن لا يؤمن به يكون ملعونا . لأنه آمن ببعض الناموس وكفر بالبعض .

وليس فى الناموس ما يفهم منه أدنى فهم أن بولس سيأتى وينسخ الناموس بجرة قلم .

والعبارة الرابعة : لا تنطبق على عيسى بأى وجه من الوجـوه . لأن التوراة تنص على أن الذى يصلب على خشبة لابد وأن يكون مقترفـا جرما يستوجب به الصلب ، وباقترافه الجرم يكون متعديا لكلمات الناموس. فيكون مستوجب اللعنة . فما هى الخطية التى استوجب بها عيسى القتل والصلب وحقت عليه بسببها اللعنة ؟ لا خطية له . اذا لا يكون ملعونا . والانجيل مصرح بذلك ففيه ما نصه : « قال له بيلاطس : ما هو الحق ؟ ولما قال هذا خرج أيضـا الى اليهود . وقال لهم : انا لست أجـد

فيه علة واحدة » (يوحنا ١٨ : ٣٨) والقرآن أيضا يشهد ببراءته وعصمته. فقد قال تعالى عنه : « وجيها فى الدنيا والآخرة ، ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » (آل عمران ٤٥ — ٤٦)

والعبارة الخامسة : تدل على تطرف بولس ، التطرف الزائد عن الحد لأن « نسلك » هى فى قوة « الأنسال » كلاهما يفيد الجمع . النسل جمع ، والأنسال جمع . والجمع فى « نسلك » كالجمع فى « الأنسال » ، ســواء بسواء وكل كلمة منها تدل على من ينتسل من ابراهيم — عليه السلام — .

***

والكلام الذى قاله بولس . نقضـــه يعقوب من أساسه ، فقد بين ان الايمـــان بـــدون أعمـــال « ميت » وبين أن تبرير ابراهيم ليس بالايمان كما قال بولس ، بل بالأعمال أيضـــا . يقول يعقوب : « من حفظ كل الناموس ، وانما عثر فى واحدة فقد صار مجرما فى الكل . لأن الذى قال : لا تزن . قال أيضا : لا تقتل . فان لم تزن ولكن قتلت ، فقد صرت متعديا الناموس . هـــكذا تكلموا . وهكذا افعلوا كعتيدين أن تحاكموا بناموس الحرية . لأن الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة . والرحمة تفتخر على الحكم ، ما المنفعة يا اخوتى ان قال أحد : ان له ايمانا . ولكن ليس له أعمال ؟ هل يقدر الايمان أن يخلصه ؟ ان كان أخ وأخت عريانين ، ومعتازين للقوت اليومى . فقال لهما أحدكم : امضيا بسلام استدفئا واشبعا . ولكن لم تعطوهما حاجات الجسد . فما المنفعة ؟ هكذا الايمان أيضا ان لم يكن له أعمال : ميت فى ذاته .

لكن يقول قائل : أنت لك ايمان . وأنا لى أعمال . أرنى ايمانك بدون أعمالك ، وأنا أريك بأعمالى ايمانى ؟ أنت تؤمن أن الله واحـــد حسنا تفعل . والشياطين يؤمنون ويقشعرون . ولكن هل تريد أن تعلم أيها الانسان الباطل : أن الايمان بدون أعمال ميت ؟

الم يتبرر ابراهيم أبونا بالأعمال ؟ اذ قدم اسحق ابنه على المذبح ، فترى أن الايمان عمل مع أعماله . وبالاعمال أكمل الايمان . وتم الكتاب القائل : فآمن ابراهيم بالله فحسب له برا ودعى خليل الله (١٦) . ترون اذا أنه بالأعمال يتبرر الانسان ، لا بالايمان وحده . كذلك راحاب الزانية (١٧) أيضا أما تبررت بالاعمال اذ قبلت المرسلين وأخرجتهم فى طريق آخر .

لأنه كما أن الجسد بدون روح ميت ، هكذا الايمان أيضا بدون أعمال ميت » (يعقوب ٢ : ١٠ — ٢٦)

***

وفى الأصحاح الرابع من رسالةبولس الى أهل غلاطية يقيم دليلين من التوراة على أن بركة نسل ابراهيم مصروفة الى من يؤمن بالمسيح ربا والها . فقد عقد مقارنة بين ديار العرب سكنى بنى هاجر وبين أورشليم سكنى بنى سارة ، وخلص من المقارنة الى أن نسل الامرأتين الجارية والحرة ، كان واقعا تحت العبودية ، الى أن جاء عيسى المسيح ، وأصبحت مملكته روحية علىقلوب المؤمنين به . لأن الموعد — عنده — لابراهيم كان بالروح وقد تحقق بمجىء عيسى — عليه السلام — ثم بين أن اسماعيل جاء من الجسد ، أى بالرغبة الجنسية الطبيعية من ابراهيم نحو هاجر ، أما اسحق فقد جاء بوعد من الله .

ولقد فات بولس أن اسماعيل جاء بالوعد كما جاء اسحق . فان ابراهيم لما قال لله انك لم تعطنى نسلا وسيرثنى الدمشقى العازر قال له : لن يرثك العازر الدمشقى بل الذى سيخرج من أحشائك هو يرثك

---

(١٦) « ودعى خليل الله » : عبارة زائدة عما فى التوراة العبرانية الحالية . وهذا يعنى أن التوراة التى اقتبس منها يعقوب غير هذه التوراة المتداولة .

(١٧) قصتها فى الاصحاح الثانى من سفر يشوع .

ـ كما فى الأصحاح الخامس عشر من سفر التكوين ـ وبعد هـذا الوعد انجبت هاجر اسماعيل . وأن ملاك الله بشر هاجر باسماعيل من قبل ولادته ـ كما فى الأصحاح السادس عشر من سفر التكوين ـ

ولقد فات بولس أيضا أن نسل هاجر ، وان كان نسل الجارية لم يقع تحت العبودية كما وقع نسل الحرة ، وطبيعة بلاد العرب شاهدة على ذلك ، فانه لا يطمع فى احتلال أراضيها طامع لوعورة مسالكها ولقسوة الحياة فيها . أما نسل الحرة فانه هو الذى ذاق هوان العبودية من كثيرين من المستعمرين . فقد أذلهم أهل بابل والمصريون والفرس واليونان والرومان .

وفى سفر الأخبار الثانى تفاصيل غارة شنها العرب على «يهورام» ملك أورشليم . ففيه ما نصه : « وأهاج الرب على يهورام روح الفلسطينيين والعرب الذين بجانب الكوشيين ، فصعدوا الى يهوذا وافتتحوها ، وسبوا كل الأموال الموجودة فى بيت الملك مع بنيه ونسائه أيضا ، ولم يبق له ابن الا يهو آحاز أصغر بنيه » (٢ أخ ٢١ : ١٦ ـ ١٧) ولم يرفع عن بنى سارة ذل الرومان الا نبى الاسلام ـ ﷺ ـ من ولد هاجر .

وسبق أن تحدثنا فى الدليل الثانى الذى أورده بولس . وبينا أن الأمر لابراهيم فى شأن الجارية هو عدم مساكنتها مع سارة ، لكن حقوق الارث محفوظة . وقول بولس « فان ابن الأمة لا يرث مع ابن الحرة » ينقضه نص التوراة « وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك »

وأما عن الدليل الأول فهو من سفر أشعياء ـ وهو من أسفار الأنبياء ، وأسفار الانبياء مرفوضة عند السامريين ـ ونصه هكذا : « ترنمى أيها العاقر التى لم تلد ، أشيدى بالترنم أيتها التى لم تمخض لأن بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل قال الرب . أوسعى مكان

خيمتك ولتبسط شقق مساكنك . لا تمسكي . أطيلي أطنابك وشددي أوتادك . لأنك تمتدين الى اليمين ، والى اليسار ، ويرث نسلك أمما ويعمر مدنا خربة . لا تخافي لأنك لا تخزين ، ولا تخجلي لأنك لا تستحين . فانك تنسين خزى صباك ، وعار ترملك لا تذكرينه بعد .

لأن بعلك هو صانعك ، رب الجنود اسمه ، ووليك قدوس اسرائيل . اله كل الأرض يدعى ، لأنه كامرأة مهجورة ، ومحزونة الروح ، دعاك الرب . وكزوجة الصبا اذا رذلت قال الهك .

لحيظة تركتك ، وبمراحم عظيمة سأجمعك . بفيضان الغضب حجبت وجهى عنك لحظة ، وباحسان أبدى أرحمك قال وليك الرب . لأنه كمياه نوح هذه لى . كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك . فان الجبال تزول والاكام تتزعزع . أما احسانى فلا يزول عنك وعهد سلامى لا يتزعزع قال راحمك الرب .

أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هانذا أبنى بالأثمد حجارتك ، وبالياقوت االزرق أؤسسك ، وأجعل شرفك ياقوتا ، وأبوابك حجارة بهرمانية . وكل تخومك حجارة كريمة . وكل بنيك تلاميذ الرب وسلام بنيك كثيرا . بالبر تثبتين . بعيدة عن الظلم فلا تخافين ، وعن الارتعاب فلا يدنو منك . ها انهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندى ، من اجتمع عليك فاليك يسقط . ها أنذا قد خلقت الحداد الذى ينفخ الفحم فى النار ، ويخرج آلة لعمله . وانا خلقت المهلك ليخرب . كل آلة صورت ضدك لا تنجح ، وكل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه ، هذا هو ميراث عبيد الرب وبرهم من عندى ، يقول الرب » (أشعياء ٥٤)

لقد تأكد بولس أن هذا الكلام يعنى مملكة أرضية . بقرائن كثيرة منها : « ويرث نسلك أمما » لكنه نظر فوجد المملكة لأرضية لم يؤسسها المسيح عيسى — عليه السلام — ووجد اليهود من بعده كغنم لا راعى

لها . ووجد أورشليم مدوسة من كل جنود روما . وعلى ذلك فانه قد تأكد من أن المملكة التى تتحدث عنها هـــذه النبوءة ، لم تقم بعد . وعرف أنها آتية من بعد عيسى حتما .

ولما كان هدفه مركزا بالضرورة على جعل عيسى هو صاحب هذه المملكة ، لجأ الى حيلة طريفة وهى : أن المسيح عيسى بن مريم اسس المملكة فعلا بالملك الروحى كالرؤى فى عالم الأحلام ، وأن أورشـــــليم الارضية استبدلت بأورشليم السماوية .

وبولس باستشهاده بهذه النبوءة من سفر أشعياء يؤكد لنا أن النبوءة لم تكن قد تحققت من قبل عيسى عليه السلام .

والنزاع محصور بيننا وبينه فى من المراد بالعاقر ؟ هل هى مكة ؟ أم أورشليم (القدس) ؟ وهو لا يريد مكة ولا أورشليم بالملك الأرضى المؤسس على صولجان وسلطان . وانما يريد أورشـــليم التى تأسست فيها مملكة روحية فى السماء .

وبيـــان ذلك :

المراد بالعاقر : مكة المكرمة . لأنه لم يظهر فيها نبى من بعد ابراهيم واسماعيل ـــ عليهما السلام ـــ الى زمن نبى الاسلام ـــ ﷺ وهى مدة تقدر بنحو الفين وخمسمائة وستة وستين سنة تقريبا ـــ على حسابهم ـــ أما أورشليم ففيها كان يتلى كتاب موسى . وفيها كان أنبياء كثيرون جـــدا . وعبارة « بنى المستوحشة » تشير الى بنى اسماعيل فان فى التوراة عنه : « وانه يكون انسانا وحشيا » (تك ١٦ : ١٢)

وعبارة « بنى المستوحشة أكثر من بنى ذات البعل » تشير الى نسل اسماعيل فان هاجر أنجبت اثنى عشر ولدا . ولم تنجب سارة غير ولد واحد . و « بنى ذات البعل » اشارة الى سارة امراة ابراهيم . وعبارة « لأنك تمتدين الى اليمين والى اليسار ، ويرث نسلك أمما ويعمر مدنا خربة » . اشـــارة الى امتداد نفوذ أولاد اسماعيل الى جميع أمم الأرض

مصلحين لا مفسدين . وعبارة « لحيظة تركتك » تشير الى أن العرب ما أتاهم من نذير من قبل الاسلام . وعبارة « باحسان أبدى أرحمك » تشير الى أن الله لا ينزع رحمته من المسلمين . وعبارة « حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك » تشير الى أن الله لا يعذبهم وفيهم يتلى كتاب الله . وعبارة « هاأنذا أبنى بالأثمد حجارتك » تشير الى نعم الله التى سيغدقها من فضله على أرض الحجاز .

وعبارة « كل بنيك تلاميذ الرب » تشير الى أن شعائر الدين الاسلامى ستكون لجميع المسلمين ، بعدما كان الدين فى أمة بنى اسرائيل قصرا على بنى لاوى دون بقية الأسباط . وعبارة « بالبر تثبتين ، بعيدة عن الظلم فلا تخافين » اشارة الى ملك بنى اسماعيل الثابت الى الأبد . وعبارة « من اجتمع عليك فاليك يسقط » اشارة الى أن الاسلام غالب لا مغلوب . وعبارة « هاأنذا قد خلقت الحداد لينفخ فى النار » اشارة الى أنه فى مجىء الاسلام ستكون حرب مدمرة يشنها بنو اسماعيل على بنى اسرائيل ويقضون عليهم .

وعبارة « كل آلة صورت ضدك لا تنجح » اشارة الى أن من يقصد « مكة » بسوء يقصمه الله . وعبارة « كل لسان يقوم عليك فى القضاء تحكمين عليه » اشـــارة الى أن شريعة الاسلام هى الحق الذى توزن به الأمور ، ويعرف به الصحيح من الفاسد .

... ...

ويقول كثيرون من علماء بنى اسرائيل : أن اسم (محمد) ـ ﷺ ـ فى التوراة ، قد ورد فى سياق بركة اسماعيل عليه السلام بحساب «الجمل»
وقد ورد فى سياق بركة اسماعيل ليعرف الناس أنه بظهوره يبدأ ملك بنى اسماعيل ـ عليه السلام ـ كما عرفوا بدء ملك بنى اسـحق ـ عليه السلام ـ بظهور موسى .

قال هؤلاء العلماء : ان قول الله ـ عز وجل ـ لابراهيم : « وأما اسماعيل

فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه . وأثمره . وأكثره كثيرا جـدا . اثنى عشر رئيسا يلد . وأجعله أمة كبيرة » (تكوين ١٧ : ٢٠) . قالوا : ان « كثيرا جدا » فى اللغة العبرانية : « بماد ماد » وأن « أمة كبيرة » في اللغة العبرانية : « لجوى جدول » و « بماد ماد » بحساب الجمل : تساوى حساب حروف « محمد » و « لجوى جدول » بحساب الجمل : تساوى حساب حروف « محمد »

يقول العلامة شموئيل بن يهوذا بن أيوب — رحمه الله — الذى سمى نفسه بعد اسلامه « السموءل بن يحيى » (١٨) فى كتابه « بذل المجهود فى افحام اليهود » تحت عنوان : الاشـارة الى اسـمه ﷺ ما نصـه :

« قال الله تعالى فى الجزء الثالث من السفر الأول من التوراة مخاطبا لابراهيم الخليل عليه السلام : « وأما فى اسماعيل فقد قبلت دعاءك . قـد باركت فيه . وأثمره ، وأكثره جدا جدا » ذلك قـوله : ولشيماعيل . شمعتيخا . هنى . بيراختى . أوتو . وهفريتى . أوتو . وهربيتى . أوتو . بماد ، ماد » فهذه الكلمة « بماد ماد » اذا عددنا حساب حروفها بالجمل . وجدناه اثنين وتسعين . وذلك عدد حسـاب حروف (محمد) — ﷺ — فانه أيضا : اثنان وتسعون . وانما جعل ذلك فى هذا الموضوع ملغزا . لأنه لو صرح به لبدلته اليهود وأسقطته من التوراة كما عملوا فى غير ذلك .

فان قالوا : انما يوجد فى التوراة عدة كلمات مايكون حساب حروفه مساويا لعدد حساب حروف اسـم زيد وعمرو وخالد فيكونون أنبياء ؟

---

(١٨) هو الذى سمى بعد اسلامه : السموءل بن يحيى . ولد فى مدينة « فاس » بأقصى المغرب ، وتوفى — رحمه الله — بالمراغة من أعمال أذربيجان سنة ٥٧٠ هـ الف كثيرا من الكتب منها بذل المجهود فى افحام اليهود . وقد تولى الرد عليه فيما نعلم ابن كمونة المتوفى ٦٨٣ هـ فى « تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث » ومكتوب عنه فى : « رحلة بنيامين » تعليق : عزرا حداد) .

فالجواب : أن الأمر كما يقولون لو كان لهذه الآية أسوة بغيرها من كلمات التوراة . لكنا نقيم البراهين والأدلة على أنه لا أسوة لهذه الكلمة بغيرها فى سائر التوراة . وذلك أنه ليس فى التوراة من الآيات ما حاز به اسماعيل الشرف كهذه الآية . لأنها وعد من الله تعالى لابراهيم بما يكون من شرف اسماعيل . وليس فى التوراة آية أخرى مشتملة على شرف لقبيلة زيد وعمرو وخالد وبكر .

كما أنه ليس فى هذه الآية كلمة تساوى (بما دماد) التى معناها « جدا جدا » وذلك أنها كلمة المبالغة من الله — سبحانه وتعالى — فلا أسوة لها من كلمات الآية المذكورة . واذا كانت هذه الآية أعظم الآيات مبالغة فى حق اسماعيل وأولاده . وكانت تلك الكلمة أعظم مبالغة من باقى كلمات تلك الآية . فلا عجب أن تتضمن الاشارة الى أجل أولاد اسماعيل شرفا وأعظمهم قدرا : محمد — ﷺ — واذ قد بينا أنه ليس لهذه الكلمة أسوة بغيرها من كلمات هذه الآية ، ولا لهذه الآية أسوة بغيرها من آيات التوراة ، فقد بطل اعتراضهم » (١٩) أ.هـ

و « شموئيل » كما نرى يبين أن نص الآية من كلام الله — تعالى — وانما جعل اسم محمد فى هذا الموضع . ملغزا ، لأنه لو صرح به لبدلته اليهود وأسقطته من التوراة . ولم لا يقول شموئيل : ان الله تعالى قد صرح به من قبل أن تغير التوراة . واليهود هم الذين غيرو الاسم الصريح بالرمز فى مدينة بابل ليعرفوه هم أنفسهم اذا جاء ويسهل عليهم جحد نبوته اذا جاءهم بما لا تهوى أنفسهم ؟

والدليل على ذلك : أنهم لبسوا الحق بالباطل ، وحرفوا الكلم من بعد مواضعه . فى آيات كثيرة . منها آيات ذبح الابن البكر الوحيد .

وابن كمونة الذى يرد على شموئيل وغيره فى نصوص النبوءات ،

---

(١٩) ص ٣٤ — ٣٥ بذل المجهود

تنصـــل من الـــرد عليه ـ مـــع أن حســـاب الجمل صـــحيح ـ بقوله : « وأما ما اســـتدل به صاحب كتاب « الافحام » بحساب الجمل ، فهو أرك من أن يتكلم فيه . ومع ذلك . فاللفظ الذى قـــد كملت حـــروفه بالجمل اثنين وتســـعين قد ورد فى عدة مواضع فى غير حق اســـماعيل ، ولو فسرت الكتب النبوية بحســـاب حروفها بالجمل لخرجت النصوص عن ظواهرها ولتوجه على المستشهد بها من الاعتراض اكثر مما يتوجـــه له » (٢٠)

وابن كمونة لا شك فى انه يحرف الكلم عن مواضعه بالتأويلات الفاسدة فان قوله : « اللفظ الذى قد كملت حروفه بالجمل اثنين وتسعين قد ورد فى عدة مواضع فى غير حق اسماعيل » ينقضه الدليل . وكان يجب عليه أن يأتى بأمثلة على وروده فى عدة مواضع فى غير حق اســـماعيل . خاصة وأن شموئيل الذى يرد عليه ابن كمونة قـــد أحســـن عرض وجهة نظره ولم يترك للمعترض مجالا الا أن يأتى بأمثلة لنقض دعواه .

***

وحســـاب الجمل من الاهمية بمكان عظيم فى الأمم القديمة من قبل ظهور الاســـلام ، فلقد كان القدماء يكتبون الاعداد بألفاظ ، أو يعبرون عنها بالاحرف الهجائية . وكان بنو اسرائيل على علم به ، ويتخاطبون به فيما بينهم . بدليل أنه لما اشتد العداء بين العبرانيين والسامريين . لجأ السامريون الى خلف أرقام الحروف الأبجدية حتى لا يكشف العبرانيون أسرارها فى مدينة بابل . وبعد مدة ظهر من يهود المغرب خلف لارقـــام الحروف كما فعل السامريون من قبل . ولقد اهتم النصارى أيضـــا بهذا الحساب ورمزوا به فى الانجيل الى شىء مهم عندهم اسمه (الوحش) فى نهاية الاصحاح الثالث من سفر الرؤية .

---

(٢٠) ص ٩٧ تنقيح الأبحاث

وفى كتب تفسير القرآن الكريم رأى يقول ان « ألم — المر — حم — طه — يس ... الخ » أشار الله بحروفها الى حساب الجمل هذا — وفى نظرنا أنه هو الصواب — ويعنى بها : أن دين الاسلام باق الى الأبد . وأنها من الاعجاز لهذا النبى الأمى فانه ما كان يكتب وما كان يحسب ، وعرف طريقة الحساب التى يتفاهم بها الناس فى العالم وتشير الى اسمه المبارك . ولما كان من الثابت أن النبى كان أميا لا يعرف الكتاب ولا الايمان ، يثبت أن هذا القرآن من عند الله لفظا ومعنى .

***

ولقد رمز علماء بنى اسرائيل فى كتاب موسى الى اسم محمد — ﷺ — بكلمتين هما :

١ — (بماد ماد) ٢ — و (لجوى جدول) واننا لعلى ثقة من صحة ذلك ثقة تامة . لأننا لسنا القائلين بأن ذلك يشير الى اسم (محمد) بادىء ذى بدء ، وانما البادئون بهذا القول هم علماء بنى اسرائيل أنفسهم . ونحن ننقل ذلك عنهم . ولو لم يكن ذلك صوابا ما احتج به علماء بنى اسرائيل الذين أسلموا على اخوانهم ليهدوهم الى الرشاد ، ولو لم يكن ذلك صوابا ما كانوا يعمدون بالذات الى هاتين الكلمتين دون غيرهما من سائر كلمات التوراة أثناء الحديث عن بركة لاسماعيل . ولو لم يكن ذلك صوابا ما كانت تتفق وجهة نظر اليهود السامريين والعبرانيين من أسلم منهم ومن لم يسلم على أن « بماد ماد » و « لجوى جدول » يشيران الى الاسم المبارك . ولو لم يكن حساب الجمل له وزنه وقيمته ، ما اعتمد عليه النصارى أيضا .

... ...

وهذا بيان بهذا الحساب :

حساب الجمل : هو الحساب بالحروف الأبجدية ، وطريقته تختلف

عند اليهود العبرانيين والسامريين ، وتختلف عند العبرانيين المشـــارقة والمغاربة (٢١) .

فعند المشارقة يرمز اليه بالكلمات الآتية :

١ — أبجد ٢ — هوز ٣ — حطى ٤ — كلمن ٥ — سعفص ٦ — قرشت ٧ — ثخذ ٨ — ضظغ .

وأرقام الحروف هكذا :

عند اليهود العبرانيين :

ا	ب	ج	د -	هـ	و	ز -	ح	ط	ى -
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠
ك	ل	م	ن -	س	ع	ف	ص		
٢٠	٣٠	٤٠	٥٠	٦٠	٧٠	٨٠	٩٠		
- ق	ر	ش	ت						
١٠٠	٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠						

عند اليهود السامريين :

ا	ب	ج	د -	هـ	و	ز -	خ	ط	ى
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠٠
ك	ل	م	ن -	س	ع	ف			
٢٠٠	٣٠٠	٤٠٠	٥٠	٢٠	٣٠	٤٠			
صق -	ق	ر	ش	ت					
٩٠٠	٥٠٠	٦٠٠	٧٠٠	٨٠٠					

وانطباق الكلمتين « بماد ماد » و « لجوى جدول » على « محمد » — ﷺ — هكذا :

---

(٢١) انظر : مجلة الأزهر عدد مايو سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وسبعين من الميلاد ، فى طريقة المشارقة والمغاربة .

أولا : الباء فى « بماد ماد » تساوى اثنان ، والميم أربعون ، والألف واحد ، والدال أربعة . والميم ــ الثانية ــ أربعون ، والألف واحد ، والدال أربعة . فالمجموع يساوى ، اثنان وتسعون . والميم فى « محمد » تساوى أربعون ، والحاء ثمانية ، والميم ــ الثانية ــ أربعون ، والدال أربعة . فالمجموع يساوى : اثنان وتسعون . اذن « بماد ماد » تشير الى « محمد » الذى سيأتى من نسل اسماعيل لتبدأ من وجوده بركة ابراهيم فى الأمم ، لتساوى مجموع الكلمتين .

ثانيا : اللام فى « لجوى جدول » تساوى ثلاثون ، والجيم ثلاثة ، والواو ستة ، والياء عشرة ، والجيم ــ الثانية ــ ثلاثة ، والدال أربعة ، والواو ستة ، واللام ثلاثون . فالمجموع يساوى : اثنان وتسعون . اذن « لجوى جدول » تشير الى « محمد » ﷺ

وعند المغاربة يرمز اليه بالكلمات السابقة ، مع اختلاف فى الترتيب هــكذا :

١ ــ أبجد ٢ ــ هوز ٣ ــ حطى ــ ٤ ــ كلمن ٥ ــ صعفض ٦ ــ قرست ٧ ــ ثخذ ٨ ــ ظغش .

وأرقام الحروف هكذا ..

ا = ١	هـ = ٥	ح = ٨	ك = ٢٠
ب = ٢	و = ٦	ط = ٩	ل = ٣٠
ج = ٣	ز = ٧	ى = ١٠	م = ٤٠
د = ٤			ن = ٥٠
ص = ٦٠	ق = ١٠٠	ث = ٥٠٠	ظ = ٨٠٠
ع = ٧٠	ر = ٢٠٠	خ = ٦٠٠	غ = ٩٠٠
ف = ٨٠	س = ٣٠٠	ذ = ٧٠٠	ش = ١٠٠٠
ض = ٩٠	ت = ٤٠٠		

وينتج عن اختلاف المشارقة والمغاربة :

١ ــ الصاد فى المشرق ٩٠ وفى المغرب ٦٠٠

٢ ــ الضاد فى المشرق ٨٠٠ وفى المغرب ٩٠

٣ ـــ السين فى المشرق ٦٠ وفى المغرب ٣٠٠
٤ ـــ الظاء فى المشرق ٩٠٠ وفى المغرب ٨٠٠
٥ ـــ الغين فى المشرق ١٠٠٠ وفى المغرب ٩٠٠
٦ ـــ الشين فى المشرق ٣٠٠ وفى المغرب ١٠٠٠

هذا هو الذى ذكره الكاتب فى مجلة الأزهر . ونبين ما يلى :

ان الكلمتين ١ ـــ ثخذ ٢ ـــ ضظغ . ليستا من الحروف العبرانية . فان الحروف العبرانية تنتهى عند حرف التاء . والأرقام عند العبرانيين تنتهى عند رقم ٤٠٠ .

وفى اللغة العبرانية ستة أحرف تنطق على نطقتين وهذه الأحرف هى : ١ ـــ الباء ٢ ـــ والجيم ٣ ـــ والدال ٤ ـــ والكــاف ٥ ـــ والفــاء (فاء ثقيلة) ٦ ـــ والتاء . هؤلاء ينطقون اذا خلا الحرف العبرانى من النقطة على هذا النحو : ١ ـــ فاء ٢ ـــ غين ٣ ـــ ذال ٤ ـــ خاء ٥ ـــ غاء (فاء خفيفة) ٦ ـــ ثاء (٢٢)

وينطقون الحروف الأبجدية هكذا : أليف ـــ بيت ـــ جمل ـــ غمل ـــ دالت ـــ هيه ـــ فاف ـــ زاين ـــ حيت ـــ طيت ـــ يود ـــ كاف ـــ خاف ـــ لمد ـــ مم ـــ نون ـــ سمخ ـــ عاين ـــ بيه ـــ فيه ـــ صدق ـــ أو (صادى) ـــ توف ـــ ريش ـــ شين ـــ سين ـــ تاف .

وطريقة هذا الحساب عند اليهود السامريين هكذا :

أ = ١	هـ = ٥	ح = ٨
ب = ٢	و = ٦	ط = ٩
ج = ٣	ز = ٧	ى = ١٠
د = ٤		
ك = ٢٠٠	س = ٢٠	ق = ٥٠٠
ل = ٣٠٠	ع = ٣٠	ر = ٦٠٠
م = ٤٠٠	ف = ٤٠	ش = ٧٠٠
ن = ٥٠	ص = ٩٠٠	ت = ٨٠٠

(٢٢) ص ٦٠ الكنز فى قواعد اللغة العبرية .

يقول أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى : « قام سنبلط الليوانى ، وحزقية الامام ورتبوا حروف أ ب ج على غير ترتيبها ... واذا اعتبرت الحرف وما جعل عوضه فى الجملة ، تجده من الألف الى الطاء عشرة عشرة ، خلا الهاء مع النون خمسة وخمسين ، ومن الياء الى الصاد : مائة مائة . خلا النون مع الهاء : خمسة . وخمسين . ومن القاف الى التاء : خمس مائة خمس مائة ، وكتب سنبلط وجماعته كتابا الى أنى شروان الملك بهذا الترتيب » (٢٣) .

***

ولأهمية هذا الحساب استخدمه الشعراء فى التاريخ بالشعر وكانوا يؤرخون على طريقة العبرانيين المشارقة ، وهذا مثل للايضاح :

بعدما تم تأليف كتاب « المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل » قرظه الشيخ عبد الصمد أحمد الحسينى السنان فكان مما قال .

فاغتنمه أخا الحجا واتخذه   لارتداع الخصوم سيفا صقيلا

وبه فاحتفل أخى وأرخ   ها هو الطبع حسن التخجيلا

٦   ١١   ١١٢   ١١٨   ١٠٧٥

هـ = ٥ ، أ = ١ ، هـ = ٥ ، و = ٦   الخ المجموع = ١٣٢٢ فتكون سنة ١٣٢٢ هجرية هى سنة تأليف الكتاب .

***

وما يزال هذا الحساب مستخدما لدى اليهود العبرانيين والسامريين الى الآن . فقد حكى مؤلف كتاب « ثورة الاسلام وبطل الأنبياء » أنه « فى ٢١ أغسطس سنة ١٩٣٣م نشر العالم المحقق المرحوم أحمد زكى باشا المشهور بتدقيقه وسعة اطلاعه قبل وفاته بعام (٤ يوليو سنة ١٩٣٤م) فى جريدة البلاغ أنه استطاع أن يصل الى نسخة قديمة من التوراة ذكر فيها اسم

---

(٢٣) ص ٧٣ التاريخ مما تقدم عن الآباء .

محمد رسول الله ، وروى أن شلبى السامرى من طائفة (السمرة) (٢٤) عنده نسخة من التوراة منقولة عن أقدم نسخة من التوراة تحتفظ بها طائفة السامريين المتوطنة فى مدينة نابلس ، فاشتراها المرحوم نور الدين بك مصطفى ، وأن زكى باشا ذهب الى جبل جرزيم بنابلس فى سنة ١٩٢٢ واجتمع بشلبى سامرى ، وبكبير كهنة الطائفة اسحاق بن عمران ، وهى التى أشار اليها أحمد باشا . وقد رآها شاهد عيان ، ووصفها بأنها مجلد يحتوى ٦١٥ صفحة من قطع الورق الصغير ، وأن الله أمر الناس بالعمل بها ، ولم يبق من يعمل بها الى اليوم سواهم وأنهم وحدهم على الحق ، أما غيرهم فعلى خــلاف ذلك ، وهم فى نظرهم أجناس ومنبوذون . فالسامريون لا يتناولون منهم شيئا الا الماء

وفى الصفحة الأخيرة من هذا المجلد ما يأتى :

« كان النجاز من كقابت (٢٥) هذه التوراة المقدسة فى نهار الأحد الموافق الى أربعة خلت من شهر صفر الخير من شهور سنة ١٣٢٠ عربية الذى هو الشهر الثانى عندنا الموافق الى خمسة عشر من الخماسـين المفروض عددهم على بنى اسرائيل . على يد عبده وابن عبده : اسحق ابن عمران ابن سلامة بن غزال بن اسحق بن ابراهيم هكهن (كــاهن) هلوى بشكم (٢٦) عفى الله عنه ، وغفر له ، ولمن علمه . آمين ، وسلام الله على من هو سيد الأولين والآخرين (٢٧) . آمين آمين » .

وكل صفحات الكتاب مكتوبة بلغة عربية ، وقد تخللتها كتابات باللغة السامرية . ومن هذه العبارات جملة فى الاصحاح السابع عشر ، أى فى الصفحة الـ٣٩ من الكتاب . وقد كتب الكاهن السامرى الأعظم بخط يده على هامشها عبارات رتبها كما يأتى :

---

(٢٤) من اليهود السامريين .
(٢٥) هكذا بدون تاء مربوطة .
(٢٦) شكيم (نابلس) .
(٢٧) يقصد موسى عليه السلام .

بمـــاد ماد اى محمد

أى جـــدا جـــدا

لجوى جدول

٤٠٠ ٣ ٤

أى شعبا عظيما

أى محمـــد

٩٢

ثم وضع فى ذيلها الجملة الآتية :

« انظر يا زكي . كيف أن الله فى كل كلمة من كلامه تعالى فيها اسرار مدموجة ، وآيات عظيمة ؟ حرره العبد الفقير اسحق الكاهن السامرى»(٢٨) أ. هـ.

وقد تعجب مؤلف الكتاب من تلك الرموز وتفسيرها هكذا :

ب = ٢ ، م = ٤٠ ، أ = ١ ، د = ٤ ، م = ٤٠ أ=١ ، د=٤ المجموع =٩٢

= و م = ٤٠ ، ح = ٨ ، م = ٤٠ ، د = ٤ المجموع = ٩٢

ويلاحظ أن اسحق الكاهن السامرى أكد كلام الحبر الذى نقل عنه الامام القرطبى صاحب الاعلام — وسيأتى كلامه — واعتبر الغين عند اليهود فى مقام الجيم ، وحسب على الجيم ولم يحسب على الغين ، ثم ذكر الرقم ٤٠٠ وهو رقم الميم عند يهود السامرة كما أسلفنا نقلا عن أبى الفتح ورقم ٣ للجيم ، ورقم ٤ للدال و « لجوى جدول » عبرانية تعنى فى العربية « شعبا عظيما » أو « أمة كبيرة » « وبماد ماد » عبرانية تعنى فى العربية « جدا جدا » أو « كثيرا جدا » .

وعبد السلام كان من أحبار اليهود العبرانيين ، ثم أسلم فى عهد

---

(٢٨) ص ٣١٩ — ٣٢٠ ثورة الاسلام وبطل الأنبياء .

السلطان المرحوم بايزيد خان ، وصنف رسالة صغيرة ، سماها بالرسالة الهادية . فقال فيها « ان أكثر أدلة أحبار اليهود بحرف الجمل الكبير ، وهو حرف أبجد ، فان أحبار اليهود حين بنى سليمان النبى — عليه السلام — بيت المقدس اجتمعوا ، وقالوا يبقى هذا البناء أربعمائة وعشرة سنين ، ثم يعرض له الخراب . لأنهم حسبوا لفظة بزات » .

ثم قال « واعترضوا على هذا الدليل بأن الباء فى « بماد ماد » ليست من نفس الكلمة بل هى أداة وحرف جىء به للصلة (٢٩) ، فلو أخرج منه اسم محمد لاحتاج الى باء ثانية ويقال : « ببما ماد » قلنا : من المشهور عندهم : اذا اجتمع الباءان أحدهما أداة ، والآخر من نفس الكلمة . تحذف الأداة وتبقى التى هى من نفس الكلمة ، وهذا شائع عندهم فى مواضع غير معدودة فلا حاجة الى ايرادها » انتهى كلامه بلفظه . ولو كان حساب الجمل عندهم لا قيمة له ما احتج به الحبر عبد السلام . وما كان يكون الاعتراض منهم على الباء بل على الانكار التام لهذا الحساب .

وقال الامام القرطبى فى كتابه : « الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام » : « وقد تفطن بعض النبهاء ممن نشأ على لسان اليهود ، وقرأ بعض كتبهم . فقال : فى التوراة موضعان يخرج منهما اسم محمد — ﷺ — بالعدد ، على ما تستعمله اليهود فيما بينهم . الأول : قوله : « جدا جدا » بتلك اللغة : « بماد ماد » وعدد هذه الحروف : اثنان وتسعون ، لأن الباء : اثنان . والميم : أربعون . والألف : واحد . والدال : أربعة . والميم الثانية : أربعون . والألف : واحد . والدال : أربعة . وكذلك الميم من محمد : أربعون . والحاء : ثمانية . والميم : أربعون . والدال : أربعة . والثانى : قوله : « لشعب عظيم » بتلك اللغة « لغوى غدول » فاللام عندهم : ثلاثون . والغين : ثلاثة ، لأنها عندهم فى مقام الجيم ، والواو : ستة . والياء : عشرة . والغين أيضا : ثلاثة .

---

(٢٩) أى حرف من حروف الجر .

والدال : أربعة . والواو : ســـتة . واللام : ثلاثون . فمجموع هـــذه أيضا : اثنان وتســـعون . وهذا من رشيق الفهم وملح البحث وغرائب العلم (٣٠) » أ.هـ.

وقد اطلعت بنفسى على النص الذى اعتمد عليه هؤلاء النبهـــاء الذين أشار اليهم القرطبى ، فوجدت ترجمته هكذا :

« وليشماعيل شمعتيخا . هنى بيراختى . أوتو وهفريتى . أوتو وهربيتى . أوتو بماد ماد . اشنيم عشر انسييم . يوليد . ونتتيو . لجوى. جدول » (٣١) ووجدت الأبجدية العبرانية تنطق الجيم غينا اذا لم يضعوا نقطة وسط الجيم الذى يسمى عندهم « جمل » بكسر الجيم . والجيم والغين عندهمبرقم واحد هو رقم ثلاثة . وحساب الأعداد الذى ذكـــره هؤلاء صحيح (٣٢) .

***

والنصارى يعترفون بحساب الجمل كما يعترف به اليهود ، ففى سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى ما نصه : « هنا الحكمة . من له فهم ، فليحسب عدد الوحش فانه عدد انسان ، وعدده ستمئة وستة وستون » (رؤيا ١٣ : ١٨) وحساب لفظ « الوحش » على طريقة المشارقة يســـاوى ٣٤٦ وعلى طريقة المغاربة ١٠٤٦ وعلى طريقة السامريين ١٠١٥ وعـــلى ذلك فاما أن يكون لهم طريقة خاصة . واما أن الكاتب يرمز به الى شىء يعرفونه هم أنفسهم ولا يعرفه غيرهم .

يقول الدكتور وليم أدى الأمريكانى « ست مئة وستة وستون » فى الأصـــل اليونانى ثلاثة أحرف معناها : ست مائة وستة وســـتون

---

(٣٠) الاعلام للقرطبى . مخطوط من تركيا ــ له صـــورة فى معهد المخطوطات العربية .

(٣١) من التوراة بالخط العبرانى ــ انظر ثبت المراجع .

(٣٢) الكنز فى قواعد اللغة العبرانية صفحة ٥٥ .

وليست هذه الأحرف كلمة تفيد معنى ، بل كل منها يشير الى عدد . فالحرف الأول من اليسار الى اليمين يشير الى العدد ستمائة ، والحرف الثانى الى ستين ، والحرف الثالث الى ستة . والثلاثة معا تشير الى ٦٦٦ ولا يخفى أن الأرقام الهندية المستعملة اليوم فى الحساب هى من القرن الرابع عشر ، وكان القدماء يكتبون الأعداد بألفاظ أو يعبرون عنها بالأحرف الهجائية .

ويقول البعض : ان المشار اليه بالعدد ستمائة وستة وستون هو نيرون القيصر الذي كان امبراطورا في أيام بولس الأخيرة ، واشتهر بقساوته . ومقاومته للمسيحيين ، وفى طبعه واعماله كان مثل وحش . ويبنون رأيهم على أن الأحرف العبرانية التى تجتمع فى اللفظتين : نيرون القيصر ، تنطبق على العدد ٦٦ لأن كل حرف يفيد عددا ، واذا جمعت هذه الأعداد يكون المجموع ٦٦٦ والاعتراض على هذا الرأي : هو أنه مبنى على الأحرف العبرانية مع أن اللغة اليونانية هى لغة العهد الجديد .

ويقول غيرهم : ان الاسم المشار اليه : لاتينوس ، أى المملكة الرومانية بالاجماع ، ويبنون رأيهم على أن الأحرف اليونانية ، المركبة منها كلمة لاتينوس . اذا جمعت أعدادها ، يبلغ مجموعها ٦٦٦ وهذا الرأى أفضل من الأول لانه يستعمل أحرفا يونانية ، وليست أحرفا عبرانية ، والكلمة لاتينوس : تشير الي نيرون وغيره من ملوك رومية الذين تكلموا باللغة اللاتينية . وتشير أيضا الى القوة الروحية التى كانت تضطهد الكنيسة اللاتينية التى تستعمل اللغة اللاتينية الى اليوم (٣٣) »

***

واذ قد صح ما ذكرناه عن اليهود والنصارى في حساب الجمل ، فان ما رواه برنابا عن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من انه صرح باسم

---

(٣٣) ص ١٠٥ — ١٠٦ ج ٥ الكنز الجليل .

محمد ﷺ يكون صحيحا . وبيان ذلك : أن « بماد ماد » لما كانت دالة على اسم محمد ، الآتى من بنى اسماعيل لتبدأ بركة اسماعيل بـه فى الأمم ، وكذلك « لجوى جدول » وأن المسيح كان يفسر ما فى التوراة عن النبى المنتظر لعلماء بنى اسرائيل . فمما لا جدال فيه : أن المسيح قد نطق باسم محمد كتفسير لبماد ماد ولجوى جدول . وهو يحكى عن بركة اسماعيل لعلماء بنى اسرائيل .

ومن كلامه عليه السلام :

« صدقنى يا برنابا . أن الله يعاقب على كل خطيئة مهما كانت طفيفة ، عقابا عظيما لأن الله يغضب من الخطيئة . فلذلك لما كانت أمى وتلاميذى الأمناء الذين كانوا معى أحبونى قليلا حبا عالميا ، أراد الله البر أن يعاقب على هذا الحب بالحزن الحاضر ، حتى لا يعاقب عليه بلهب الجحيم . فلما كان الناس قد دعونى الله وابن الله ، على أنى كنت بريئا فى العالم ، أراد الله أن يهزأ الناس بى فى هذا العالم بموت يهوذا ، معتقدين أننى أنا الذى مت على الصليب لكيلا تهزأ الشياطين بى فى يوم الدينونة . **وسيبقى هذا الى ان ياتى محمد رسول الله . الذى متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله** » (بر ٢٢٠)

***

ولقد جاء فى الكتب الاسلامية القديمة ما يدل على أهمية هذا الحساب عند الربانيين والأحبار من بنى اسرائيل . فقد روى محمد بن اسحق بن يسار صاحب المغازى قال : حدثنى الكلبى عن أبى صالح ، عن ابن عباس عن جابر ابن عبد الله بن رباب قال : « مر أبو ياسر بن أخطب فى رجال من يهود برسول الله — ﷺ — وهو يتلو فاتحة سورة البقرة « ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه » فأتى أخاه حيى بن أخطب فى رجال من اليهود ، فقال :

تعلمون والله لقد سمعت محمدا يتلو فيما أنزل الله تعالى عليه « ألم . ذلك الكتاب لا ريب فيه » فقال : أنت سمعته ؟ قال : نعم . قال : فمشى

حيي بن أخطب في أولئك النفر من اليهود الى رسول الله — ﷺ — فقالوا : يا محمد ألم يذكر أنك تتلو فيما أنزل الله عليك « ألم . ذلك الكتاب » ؟ فقال رسول الله — ﷺ — : « بلى » فقالوا : جاءك بهذا جبريل من عند الله ؟ فقال : « نعم » قالوا : لقد بعث الله قبلك أنبياء . ما نعلمه بين لنبي منهم . ما مدة ملكه ؟ وما أجل أمته ؟ غيرك فقام حيي بن أخطب ، وأقبل على من كان معه فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون . فهذه احدى وسبعون سنة . أفتدخلون في دين نبي انما مدة ملكه ، وأجل أمته : احدى وسبعون سنة ؟

ثم أقبل على رسول الله — ﷺ — فقال يا محمد . هل مع هذا غيره ؟ فقال : نعم . قال : ما ذاك ؟ قال « ألمص » قال : هذا أثقل وأطول . الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون . والصاد تسعون . فهذه احدى وثلاثون ومائة سنة . هل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم قال : ماذاك ؟ قال « ألر » قال : هذا أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والراء مائتان فهذه احدى وثلاثون ومائتا سنة . فهل مع هذا يا محمد غيره ؟ قال : نعم . قال : ماذاك ؟ قال « ألمر » قال : هذا أثقل وأطول . الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مائتان . فهذه احدى وسبعون ومائتان . ثم قال : لقد لبس علينا أمرك يا محمد ، حتى ما ندرى أقليلا أعطيت أم كثيرا ؟ ثم قال : قوموا عنه . ثم قال أبو ياسر لأخيه حيي بن أخطب ولمن معه من الأحبار : ما يدريكم لعله قد جمع هذا لمحمد كله ؟ : احدى وسبعون ، واحدى وثلاثون ومائة ، واحدى وثلاثون ومائتان ، واحدى وسبعون ومائتان . فذلك سبعمائة وأربع سنين فقال : لقد تشابه علينا أمره » (٣٤) أ.هـ

***

(٣٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير — سورة البقرة .
وفي تفسير فخر الدين الرازي : « اشتبه علينا أمرك كله ، فلا ندرى أبا لقليل نأخذ أم بالكثير ؟ فذلك قوله تعالى : « هو الذى أنزل عليك الكتاب » وهذا الرأى مذكور في مدة أقوام وآجال آخرين أ. هـ. وعندى : أنه هو الصواب .

وفى القرآن الكريم . يصرح الله عز وجل بأن سكنى اسماعيل — عليه السلام — كانت فى « مكة المكرمة » وبأن الذبيح كان هو اسماعيل — عليه السلام — وبأن الله عز وجل قد استجاب دعاء ابراهيم — عليه السلام — فى طلبه البركة فى نسل اسماعيل . وبهذا التصريح تكون نبوءات التوراة عن بركة اسماعيل متطابقة تمام المطابقة مع القرآن الكريم . وهذه نصوص من القرآن الكريم فى هذا الشأن :

يقول ابراهيم عز وجل : « ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع ، عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم ، وأرزاقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » (ابراهيم ٣٧) .

« من ذريتى » تعنى : بعض أولاده ، وهم اسماعيل ، ومن ولد منه . بدليل : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك . ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ، ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم » (البقرة ١٢٧ — ١٢٩)

وقد استجاب الله هذا الدعاء ، وبعث فيهم نبى الاسلام — ﷺ — لقوله : « لقد جاءكم رسول من انفسكم ، عزيز عليه ما عنتم ، حريص عليكم ، بالمؤمنين رءوف رحيم » (التوبة ١٢٨) وصرح بأن اسمه محمدا فى قوله تعالى : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين » (الأحزاب ٤٠)

ولو كان « محمد » خاتم النبيين — ﷺ — كاذبا فى دعوى النبوة ، لكان ظالما لنفسه ظلما بينا ولو كان ظالما لنفسه ما قال عنه الله تعالى : « ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، أو قال : أوحى الى ولم يوح اليه شىء » (الأنعام ٩٣) وما بقى ملكه ، ولا دامت دعوته ، لأنه أخبر عن الله تعالى : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ،

ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين » (الحاقة ٤٤ — ٤٧) ولأن فى الانجيل هذا النص : « ان كان هذا الرأى ، أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض . وان كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه » (أعمال ٥ : ٣٨ — ٣٩) ودعوة محمد — ﷺ — لم تنتقض . ولن تنتقض . لأنها من الله .

هذا عن سكنى اسماعيل وبنيه ، وقبول دعاء الله لابراهيم فى اسماعيل . وأما عن الذبيح :

١ — يقول تعالى حاكيا عن ابراهيم : « وقال : انى ذاهب الى ربى سيهدين . رب هب لى من الصالحين ، فبشرناه بغلام حليم ، فلما بلغ معه السعى ، قال : يا بنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك . فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت افعل ما تؤمر . ستجدنى ان شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه : أن يا ابراهيم . قد صدقت الرؤيا . انا كذلك نجزى المحسنين . ان هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه فى الآخرين ، سلام على ابراهيم . كذلك نجزى المحسنين . انه من عبادنا المؤمنين . وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين **(٣٥) . وباركنا عليه وعلى اسحق** ، ومن ذريتهما : محسن ، وظالم لنفسه مبين » (الصافات ٩٩ — ١١٣)

نبين الآيات الكريمات : أن الله — عز وجل — وهب لابراهيم عليه السلام مولودا على الكبر بعد هجرته من العراق الى بلاد الشام لقوله : « فبشرناه

---

(٣٥) وقوله تعالى : « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادقا الوعد » اذا كان على معنى مصدوق الوعد ، فانه يكون من الآيات المتطابقة مع القرآن فى بركة اسماعيل . ذلك لأن كل الأنبياء كانوا اذا وعدوا صدقوا ، فلماذا خص اسماعيل من دونهم بصدق الوعد ؟ ومعنى مصدوق الوعد : أن الله تعالى وعد ابراهيم أباه بأن تتبارك فى ذريته الأمم ، أى يجعل فيهم ملكا ونبوة ، فوفى بما وعد وصار فى نسله الملوك ، لما جاء من نسله النبى محمد ﷺ (تكوين ١٧ : ٢٠)

(انظر فى اسم الفاعل ص ٢٤٦ ج ١ حاشية البنانى على شرح جمع الجوامع) .

بغلام حليم » وهو اسماعيل . وبعد ولادته بأربعة عشر عاما ـ كما تقول التوراة ـ ولد لابراهيم اسحق ، فقد بينت أن الله وهب لـه مولودا آخر اسمه اسحق فى قوله « وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين » وعلى الولدين الصالحين : ١ ـ اسماعيل المبشر به أولا ٢ ـ واسحق المبشر به ثانيا ، حلت بركة الله ـ عز وجل ـ لقوله : « وباركنا عليه ، وعلى اسحق » وقد تحققت البركة فيهما . فظهر من بنى اسحق نبى صاحب شريعة الهية هو موسى ـ عليه السلام ـ وظهر من بنى اسماعيل نبى صاحب شريعة الهية هو محمد ـ ﷺ ـ ومن الولدين الصالحين ستنشأ ذرية منها المحسن لنفسه والمسىء . ولو كان المبشر به ثانيا هو نفسه المبشر به أولا ، لما أتى بالواو فى « وبشرناه » التى نفيد المغايرة بين المبشر به أولا ، والمبشر به ثانيا .

٢ ـ وان الله عز وجل بشر ابراهيم باسحق فى قوله « وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين » بعد قصة الذبيح فكيف يأمره بذبحه ، وقد وعده بأن يكون نبيا .

فان الله ـ عز وجل ـ بشر ابراهيم باسحق عن طريق الملائكة ، وفى نفس الوقت أخبر بأن اسحق سيتزوج وينجب يعقوب ، فلو كان اسحق هو الذبيح لكان خلفا للموعد فى يعقوب ، لأنه ما كان قد ولد بعد ، يقول عز وجل : « وامرأته قائمة . فضحكت . فبشرناها باسحق . ومن وراء اسحق يعقوب » (هود ٧١)

٣ ـ وقد وصف الله اسماعيل بالصبر ، وبصدق الوعد ، وهما صفتان مناسبتان لحالة الذبيح ، فقال تعالى : « واسماعيل وادريس ، وذا الكفل كل من الصابرين » (الأنبياء ٨٥) وقال تعالى « واذكر فى الكتاب اسماعيل انه كان صادق الوعد ، وكان رسولا نبيا » (مريم٥٤)

٤ ـ وقد وصف الله اسماعيل بالحلم ، ووصف اسحق بالعلم . يقول

تعالى : « هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ؟ اذ دخلوا عليه فقالوا : سلاما . قال سلام . قوم منكرون . فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين . فقربه اليهم . قال : ألا تأكلون ؟ فأوجس منهم خيفة . قالوا : لا تخف وبشروه بغلام عليم » (الذاريات ٢٤ — ٢٨) وهذا الغلام العليم هو اسحق ، ولو كان هو الذبيح لقال بغلام حليم ، كما هو وصف الذبيح في سورة الصافات .

الفصل الثاني

في

شيلون

تمهيد :

حينما حضر يعقوب الموت جمع أولاده الاثنى عشر حوله وباركهم واوصاهم . واخبرهم بما يصيبهم فى مستقبل الأيام . وقال لهم فى شخص يهوذا ابنه الرابع : « لا يزول قضيب من يهوذا . ومشترع من بين رجليه حتى يأتى شيلون . وله يكون خضوع شعوب » (التكوين ٤٩ : ١٠) وقد فسر النصارى هذا النص بقولهم : لا يزول الملك من بنى اسرائيل . ولا تنسخ شريعة التوراة ، حتى يأتى المسيح ، وتخضع له الشعوب خضوعا روحيا ، كخضوع التلاميذ للمدرس . واليهود العبرانيون يفسرون هذا النص بقولهم : لا يزول من الحياة سبط يهوذا حتى يملك على مدينة شيلوه فى أرض فلسطين . ويقولون قد تحققت النبوءة فى شخص داود — عليه السلام — فانه من سبط يهوذا وقد ملك على مدينة « شيلوه » سنة ١٠٥٦ ق.م واليهود السامريون يفسرون النص بمجىء سليمان — عليه السلام — .

نريد أن نبين هنا :

أن كاتب التوراة قد حرف الكلم من بعد مواضعه ، فوضع النبوءة تحتمل معنيين هكذا :

١ — وضع كلمة عبرانية تترجم أ — بالقضيب ب — وبالسبط

٢ — ووضع كلمة عبرانية تترجم أ — باسم قرية شيلون ب — وصفة

لشخص . ويكون المعنى ١ ــ لا يزول الملك من اليهود . والشريعة يعمل الناس بها فى ظل ملك بنى اسرائيل ، حتى يأتى النبى المنتظــر نبى الأمان والسلام ٢ ــ لا يزول من الحياة سبط يهوذا والشريعة يعمل الناس بها فى ظل الملوك من سبط يهوذا ، حتى يملك السبط على مدينة شيلون .

ونريدأن نبين : أن هذه النبوءة لنبى الاسلام ــ ﷺ ــ لثبوت بركة فى نسل اسماعيل ــ عليه السلام ــ .

« النص » :

قال يعقوب ــ عليه السلام ــ ليهوذا ابنه : « يهوذا اياك يحمد اخوتك . يدك على قفا أعدائك . يسجد لك بنو أبيك . يهوذا جرو أسد . من فريسة صعدت يا ابنى . جثا وربض كأسد وكلبوة . من ينهضه ؟

لا يزول قضيب من يهوذا . ومشترع بين رجليه . حتىياتى شيلون . وله يكون خضوع شعوب . رابطا بالكرمة جحشه . وبالجفنة ابن أتانه . غسل بالخمر لباسه . وبدم العنب ثوبه . مسود العينين من الخمر . ومبيض الأسنان من اللبن » (التكوين ٤٩ : ٨ ــ ١٢) والمعنى : أن سبط يهوذا يحمده أخوته . وانه سيكون فائزا منصورا . وسيكون رئيسا على بنى اسرائيل . وأنه مثل ابن أسد قوى جدا ، رجع من صيد افترسه ، كناية عن انتصاره فى الحروب . وأنه سوف يكون مطمئنا على الأرض بقوة ، ولا يستطيع أحد أن يبعده عن مكانه . والتعبير برأبطا بالكرمة جحشه. ... الــخ . هو كناية عن الخصــب والنماء وكثرة الخير في أرض يهوذا .

ولما كان هذا النص مشكلا جدا . فانى أذكر له تراجم أخرى ليتضح المراد من كلام يعقوب وضوحا جليا .

فى التوراة السامرية هكذا : « لا يزول القضيب من يهوذه . والمرسم

من بين بنوده ، حتى أن يأتى سليمان . واليه تنقاد الشعوب ... الخ »

وفى ترجمة الموصل سنة ١٨٧٥م « لا يزول القضيب من يهوذا ، والمدبر من بين رجليه ، حتى يجىء الذى له . وله يكون خضوع الشعوب . يربط بالكرمة جحشه ، وبالجفنة بن أتانه . غسل بالخمر حلته ، وبدم العنب رداءه . عيناه من الخمر مسودة ، وأسنانه مبيضة من اللبن » أ.هـ

فى ترجمة ١٦٢٢ م : « ولا يزول القضيب من يهوذه ، والراسم من بين رجليه . الى أن يجىء شيله . واليه يجتمعون الأمم »

وفى ترجمة الآباء اليسوعيين : « لا يزول صولجان من يهوذا . ومشترع من صلبه . حتى يأتى شيلو . وتطيعه الشعوب »

وفى ترجمة ١٨٨٤م باللغة العربية : « فلا يزول القضيب من يهوذا . والرسم من تحت أمره . الى أن يجىء الذى هوله . واليه تجتمع الشعوب »

وفى الترجمة التى يحتج بها على بنى اسرائيل شموئيل بن يهوذا ابن أيوب ، المتوفى سنة ٥٧٠هـ : « لا يزول الملك من آل اليهود . والرسم من بين ظهرانيهم . الى أن يأتى المسيح »

والقس الدكتور ابراهيم لوقا فى شرح بشارة لوقا ٣ : ١ قال ما نصه : « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون » **وفى العبرى « شيلوه » أى المسيح »**

ولما رد ابن كمونة المتوفى ٦٨٣هـ على شموئيل هذا ، ترجم النص هكذا : « لا يزول القضيب من يهوذا . والراسم من بين أقدامه . الى ان يجىء الذى له الأمر . وله تجتمع الشعوب »

وفى ترجمة الكتاب المقدس المطبعة الأميركانية سنة ١٩١٢ تعليق على كلمة « شيلون » فى الهامش هكذا : « أى أمان . وعند البعض : الذى له . أنظر حزقيال ٢١ : ٢٧ » انتهى .

الشرح والبيــان :

من التراجم التى ذكرناها عن اليهود والنصــارى قديما وحديثا ، يتضح : أن المراد بالقضيب : الملك والصولجان . والمراد بالراســم أو المشرع : الأنبياء والعلماء الذين يعلمون الناس : شريعة التوراة ، ويستنبطون الأحكام منها . والمراد بشيلون : النبى المنتظر ، الذى يلقبونه بلقب « مسيا » (١) الذى تفسيره المسيح . هو نبي الاسلام — ﷺ — الذى متي جاء تخضع له الشعوب وتطيع . والمعنى العام : يظل لبنى اسرائيل ملك ظاهر فى الأرض ، وأنبياء بنى اسرائيل الذين أسلموا ، وعلماؤهم يعلمون الناس شريعة الله في ظل ملوك من بنى اسرائيل . ويظل ذلك قائما حتى يأتى نبى من غير بني اسرائيل ، ليتسلم منهم الملك والشريعة . وهو المعبر عنه بشيلون .

***

والنصارى يقولون : ان المراد بشيلون : عيسى — عليه السلام — يقول الدكتور هانى رزق : ان يعقوب عليه السلام تنبأ بخروج المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — من نسل ابنه يهوذا فى مستقبل الأيام وأن داود — وهو من ذرية يهوذا — تنبأ أيضا بخروج المسيح من نسله ويذكر الدكتور « هانى » هذه النبوءات : ١ — « أقسم الرب لداود بالحق .. لا يرجع عنه — : من ثمرة بطنك أجعل على كرسيك » (مزمور ١٣٢ : ١١) « هناك أنبت قرنا لداود ، رتبت سراجا لمسيحى » (مزمور ١٣٢ : ١٧) ٢ — « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه . حتى يأتي شيلون . وله يكون خضوع شعوب » (التكوين ٤٩ : ١٠) ويعلق الدكتور هانى على هذه النبوءات بقوله : « فى هذه التنبؤات نجــد اعلانا صريحا عن خروج المسيح — له المجد — من نسل دواد ابن يسى من

---

(١) مسيا : بفتح الميم وكسر السين وتشديد الياء مفتوحة (انظر الفصل السادس من الباب الأول من هذا الكتاب — وكتابنا المسيا المنتظر)

سبط يهوذا بحسب الجسد . فيعقوب (اسرائيل) تنبأ بخروج المسيح من نسل ابنه يهوذا ، ثم أتى داود من نسل يهوذا فتنبأ بخروج المسيح من نسل داود ابن يسى من سبط يهوذا (٢) »

ويقول أصحاب تفسير الكتاب المقدس : « حتى يأتى شيلون : هذه عبارة صعبة . لكن يبدو أن أفضل تفسير هو ذلك الذي يعتبرها نوعا من الحديث عن المسيا ، اذا تحرك الحرف الساكن . وهذا أمر مسموح به في اللغة العبرية ، فإن الكلمة يمكن أن تترجم : « الذي له » وهذا له صلة واضحة مع ماذكر في حزقيال (٢١ : ٢٧ (٣) »

***

وقد أنكر اليهود على النصارى قولهم هذا . فقد قال عنهم ابن كمونة ما نصه :

« فان قالوا : ان يعقوب لما جمع أولاده ، وأخبرهم بما يكون منهم في آخر الزمان ، فلما بلغ الى « يهوذا » قال في جملة قوله له : « لا يزول القضيب من يهوذا والراسم من بين أقدامه الى أن يجيء الذى له الأمر وله تجتمع الشعوب » والمراد بالقضيب : قضيب الملك ، وبالراسم : النبى . ومعلوم : أنه لما ظهر المسيح بطل الملك منهم ، وانقطعت النبوة عنهم .

وجاء في موضع آخر من التوراة : أن « نبيا أقيم لهم من وسط اخوتهم . مثلك . به فليؤمنوا » والضمير فى « لهم » عائد الى بنى اسرائيل ؛ « مثلك » الى موسى عليه السلام . وهذه اشارة الى السيد المسيح . فان بذلك فسره « شمعون » الصفا .

---

(٢) ص ٣٩ يسوع المسيح فى ناسوته والوهيته .
(٣) ص ٢٠٢ تفسير الكتاب المقدس — فرنسيس .

قلت : الملك زال من آل يهوذا قبل أيشوع المسيح بزيادة على اربعمائة سنة . والملوك فى البيت الثانى كانوا من بنى حشمو ناى (٤) وهم هارونيون من سبط لاوى . وكان الملك من بعدهم فى هيرودوس ، وبعده فى أولاده . وما كان أيضا من سبط يهوذا .

وليس لهم أن يقولوا : ان يعقوب كنى يهوذا عن اليهود بأسرهم تسمية لكل الشىء بأشرف ما فيه . لأنه يقال لهم : ان هذا غير محتمل فان يعقوب خص كل واحد من أولاده بما يكون منه ، وخص يهوذا بهذا القول. فلا يكون اسمه عبارة عن الجملة . ثم قولكم : ان القضيب هو قضيب الملك. والراسم هو النبى غير متيقن . والنبوة انقطعت قبل ظهور المسيح بما يزيد على ثلاثمائة سنة واللفظة المستعملة فى اللغة العبرانية بمعنى : القضيب تستعمل بمعنى السبط أيضا . فقد يمنع المانع أنها استعملت للقضيب ، أو أن المراد بالقضيب — ان استعملت له — قضيب الملك ...

والأظهر أن المراد به : البشارة بداود — عليه السلام — بمعنى : أنه لايزول السبط من يهوذا ولا الرئاسة من بين ظهرانيهم ، الى أن تبلغ رئاستهم فى الزيادة ، الى أن يملك داود ويتفق على تمليكه جميع شعوب اسرائيل .

وقول شمعون : « ان النبى الذى وصى بنو اسرائيل بقبول أمره ، والايمان به هو المسيح » غير مسلم . بل هو اشارة الى كل نبى يأتى على دين موسى ، وسياقة الكلام المنزل فى هذا المعنى لا تقتضى التخصيص بنبى دون غيره . وبتقدير أن تقتضى ذلك ، نمنع أن المقصود بالتخصيص هو المسيح (٥) » أ. هـ

***

---

(٤) حشموناى هم المكابيون ١٦٧ ق.م ويقصد بالبيت الثانى : فترة هيكل سليمان من بعد سبى بابل .
(٥) ص ٦٣ — ٦٤ تنقيح الأبحاث .

مما يستدل به ابن كمونة فى نقد رأى النصارى : ١ ـــ أن الملك قد زال من بنى اسرائيل قبل مجىء عيسى بن مريم ٢ ـــ وأن المسيح عيسى بن مريم ليس هو من سبط يهوذا ٣ ـــ وأن يعقـــوب يتحدث عن ابنه فقط ولا يريد به جميع بنى يعقوب ٤ ـــ وأن النبوة قد انقطعت من قبل ظهور يسوع المسيح. ويحدد زمن الانقطاع للنبوة بما يزيد على ثلاثمائة سنة. وزمن الانقطاع للملك بما يزيد على الأربعمائة ، ليؤكد أن النص ليس نبوءة عن عيسى أو نبى الاسلام ٥ ـــ وان الكلمة العبرانية المترجمة بـ (القضيب) تترجم أيضا (سبط) واذا كان الدليل محتملا للرأيين فان أحدهما لا يكون دليلا ملزما . لأن الدليل اذا تطرق اليه الاحتمال ، يسقط به الاستدلال .

ويميل ابن كمونة الى الرأى الثانى ، ليبين أن النص ليس الا نبوءة عن داود . ويكون المعنى على تفسيره : لا يزول من الوجود سبط يهوذا ، حتى يملك السبط على مدينة (شيلوه) (٦) وهى المدينة التى اجتمع فيها كل جماعة بنى اسرائيل ونصبوا فيها (خيمة الاجتماع) بعد احتلالها بقيادة يشوع بن نون فتى موسى ووصيه . وظلت مدينة شيلوه ، بلدا مقدسا عند بنى اسرائيل يحجون اليه كل سنة لأن فيه بيت الرب ، وتابوت العهد . الى أن جاء داود وهو من سبط يهوذا من (بيت لحم) واستطاع أن يقود الجنود . وأن يقضى على الخلافات القائمة بين الأسباط يومئذ ، وأن يبسط نفوذه على مدينة شيلوه ، وأن ينقل منها تابوت العهد الى أورشليم (القدس) .

وعلى ذلك ـــ فى رأيه ـــ تكون النبوءة قد تحققت بالفعل فى شخص داود . يوم أن احتل مدينة شيلوه فى أرض كنعان ، وخضع له جميع أسبط بنى اسرائيل (كما فى يشوع ١٨ : ١ وقضاة ٢١ : ١٢ ـــ ١٩) .

***

---

(٦) تسمى الآن (سيلون) بسكون الياء . وهى تبعد ١٧ ميلا شمالى أورشليم (قاموس الكتاب المقدس) .

وابن كمونة بالتأكيد يحرف الكلم عن مواضعه . ولم يصب الا فى قوله عن عيسى — عليه السلام — : « **وما كان أيضا من سبط يهوذا** » لأن عيسى — عليه السلام — من سبط لاوى من نسل هارون — عليه السلام — وبهذا فاننا نحن المسلمين واليهود متفقون معا على أن عيسى ليس من سبط يهوذا — كما يدعى النصارى — بل من سبط لاوى .

ذلك لأن التوراة صرحت بزواج كل امرأة فى سبطها — ان أرادت الزواج من يهودى — فمن تكون من سبط لاوى مثلا لا تتزوج من سبط يهوذا بل تتزوج رجلا من سبط لاوى . **ففى سفر العدد** : « وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى اسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها » (عدد ٣٦ : ٨)

وفى انجيل لوقا أن زكريا — عليه السلام — قد تزوج من اليصابات وهى وهو من نسل هارون — عليه السلام — من سبط لاوى ففى الاصحاح الاول من هذا الانجيل : « كان فى أيام هيرودوس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا ، وامرأته من بنات هرون واسمها اليصابات » (لوقا ١ : ٥) ويقول لوقا : ان ملاك الله جبرائيل لما بشر مريم رضى الله عنها بالحمل بيسوع المسيح من غير ولد ، واستبعدت ذلك قائله : « كيف يكون هذا وأنا لست أعرف رجلا ؟ » قال لها « وهو ذا اليصابات نسيبتك هى أيضا حبلى بابن فى شيخوختها . وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا » (لوقا ١ : ٣٦) .

فتصريح لوقا بأن مريم نسيبة لاليصابات ، يدل على أن مريم من نفس السبط الذى منه اليصابات ، ولما ثبت أن اليصابات من نسل هرون يثبت **أن مريم من نسل هارون** . وهرون هو ابن عمرام بن قهات بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم — عليهم السلام — (أخبار الأيام الأول ٦ : ١ — ٣)

أما داود فهو ابن يسى بن عوبيد بن بوعز بن سلمون بن نحشون ،

ابن عمينا داب ، بن أرام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب — عليه السلام — (متى ١ : ١ — ٦)

والأسباط هم أولاد يعقوب الاثنى عشر وما يتناسل منهم . وهم بالترتيب : رأوبين — شمعون — لاوى — يهوذا — زبولون — يساكر — دان — جاد — أشير — نفتالى — يوسف — بنيامين (التكوين ٤٩) وقد فسر بولس النسب بالقرابة فى قوله عن اليهود : « انى كنت أود لو أكون أنا نفسى محروما من المسيح لأجل اخوتى أنسبائى حسب الجسد الذين هم اسرائليون » (رومية ٩ : ٣ — ٥)

وفى الانجيل : أن المسيح بن مريم عليه السلام كان يعظ ويبشر فى هيكل سليمان. ولا يقوم بهذا العمل داخل الهيكل الا من يكون من سبط لاوى . وفيه أن مريم المجدلية نادته بلقب « ربونى » وتفسيره يا معلم (يو ٢٠ : ١٦) وفيه أن تلميذين من تلاميذه ، قالا له : « ربى الذى تفسيره يا معلم أين تمكث » ؟ (يو ١ : ٣٨) ولا يلقب بالربى أو بالربانى ، الا من يكون من نسل هرون عليه السلام . وفيه أن قميصه كان بغير خياطة منسوجا كله من فوق (يو ١٩ : ٢٣) وهذا لبس الكهنة (خر ٢٨)

والقرآن الكريم قد صرح بنسبة عيسى — عليه السلام — الى هرون — عليه السلام — فى قوله تعالى :«ياأخت هرون» (مريم ٢٨) أى ياواحدة من بنات هرون النبى أخى موسى . كما يقال : : يا أخا العرب ، أى يا وحدا منهم .

واننا والنصارى متفقون معا على أن النص نبوءة . والخلاف بيننا فى من المراد من النبوءة ؟ عيسى أم محمد — عليهما السلام — ؟ ليس هو عيسى عليه السلام فانه لم ينسخ التوراة . ولم يزل الملك من اليهود على يديه . واسماعيل صاحب بركة .

***

ومن يتأمل فى كلام ابن كمونة يعرف أن النص نبوءة .. وأنها .. عن نبى بعد زمن داود . لأن قوله : « والأظهر أن المراد به البشارة بداود ... الخ » يدل على أن رأيه رأى اجتهادى وينقض اجتهاده هذا :

كتابة التوراة فى بابل من بعد داود كما سبق بيانه ، فكيف تكـــون النبوءة لداود ؟ وينتقض اجتهاده : ترجمة كلمة « شيلون » بما يفيد اسم شخص ، لا بما يفيد اسم مدينة . فلقد ترجمت بمعنى : « الذى هو له » أو « الذى له الأمر » أو « الذى له الحكم » أو « سليمان » أو « المسيح » الذى هو المسيا . وفسرت كلمة شيلون : بأمان وسلام .

ففى سفر حزقيال : « وأنت أيها النجس الشرير رئيس اسرائيل ، الذى قد جاء يومه فى زمان اثم النهاية ، هكذا قال السيد الرب . انزع العمامة ، ارفع التاج ، هذه لا تلك . ارفع الوضيع ، وضع الرفيع . منقلبا . منقلبا . منقلبا . أجعله . هذا أيضا لا يكون حتى يأتى الذى له الحكم فأعطيه اياه » (حزقيال ٢١ : ٢٥ — ٢٧) والذى له الحكم يكون شخصـــا .

واليهود الذين احتج عليهم الامام ابن حزم الأندلس المتوفى سنة ٤٥٦هـ بأن الملك زال من آل يهوذا — حسب ظاهر النبوءة — جادلوه — حسب الظاهر أيضا — بقولهم : لم ينته الملك الى الآن من نسل يهوذا . فالملك الى الآن فى نسله . قال له شموئيل بن يوسف اللاوى : « لم تزل رؤوس الجواليت ينتسلون من ولد داود ، وهم من بنى يهوذا ، وهى قيادة وملك ورياسة (٧) » فلو لم تكن عبارة يعقوب نبوءة لغير داود ، ما احتج شموئيل بن يوسف اللاوى بأن نسل يهوذا ما يزال حاكما .

---

(٧) ص ١٥٢ — ١٥٣ جـ ١ الفصل فى الملل والنحل — **ويقول ابن حزم عن شموئيل هذا »** وقد قررت على هذا الفصل أعلمهم وأجدلهم وهو شموئيل بن يوسف اللاوى الكاتب المعروف بابن النغرال فى سنة أربع وأربعمائة فقلت : هذا خطأ ، لأن رأس الجالوت لا ينفذ أمره على أحد من اليهود ولا من غيرهم » وفى كتاب : الرد على ابن النغريله اليهودى ص١٦ الذى يتحدث عنه ابن حزم ذكر المؤلف انه ينطق بالغين لا بالفاء . وانه يلقب ابن النغريلة أو ابن النغرال .

ويقول عزرا حداد عن رئاسة الجالوت : « منذ أن استقر اليهـــود فى العراق بعد سبى بابل كانوا يوكلون بأمرهم عميدا ، يرجعون اليه فى =

وينقض اجتهاد « ابن كمونة » ما جاء فى النبوءة : « والمرسم من بين بنوده » أو « ومشترع من بين رجليه » أو « الراسم من بين اقدامه » فان هذه العبارة تعنى نسخ الشريعة اذا ظهر النبى المنتظر . وهى لم تنسخ فى زمن داود أو سليمان — عليهما السلام — ولا فى عهد عيسى — عليه السلام — فانه صرح بعدم نسخها ونقضها .

وينقض اجتهاد ابن كمونة أيضا : « وله يكون خضوع شعوب » أو « واليه يجتمعون الأمم » أو « واليه تجتمع الشعوب » فان هذه القرائن كلها تمنع أن يكون المراد بشيلون : المدينة المعروفة فى أرض كنعان . وتمنع أن يكون المراد بذلك الذى تخضع له الشعوب : داود — عليه السلام — أو سليمان ابنه . لأن جميع الأسباط يسمون شعبا . أو يسمون أمة واحدة لا أمما . ولأن حزقيال صرح بانتظار هذا الذى سيأتى « الذى له الحكم » وهو بعد عصر داود بنحو أربعمائة واثنتين وستين سنة تقريبا .

وهذا بيان بأعمار الأنبياء (٨) :

= أمررهم ، وينيطون به تنظيم شئون جماعتهم الصغيرة التى كانت منتشرة فى مدن الفرات ودساكره وقراه . وكان اليهود يطلقون على هذا العميد لقب « ريش جالوتا » وهى لفظة بالآرامية تعنى رأس الجالية . وعنها أخذ العرب لفظة رأس الجالوت » (ص ١٩٦ — ١٩٧ رحلة بنيامين) .

(٨) ص ١٧ — ١٨ يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته — ولاحظ أن الباحث جعل المدة من نوح لابراهيم ٩٥٢ سنة وخالف بذلك التوراة العبرية التى تجعل المدة ٢٩٢ سنة . لقد اعتمد صحة السامرية وزاد عليها عشر سنوات . ومن آدم الى نبى الاسلام على وفق السامرية ٤٨١٥ وعلى وفق العبرية ٤٥١٤ وعلى وفق اليونانية ٥٦٠٠ . وأبو الفتح بن أبى الحسن السامرى فى تاريخه يجعل المدة ٥٠٤٧ (انظر التاريخ مما تقدم عن الآباء ص ١٧٢) ولا يصح الاعتماد على أى تاريخ .

نـــــوح	نحو سنة	٢٩٤٨	قبل الميلاد
ابراهيم	نحو سنة	١٩٩٦	قبل الميلاد
اسرائيل (يعقوب)	نحو سنة	١٨٣٧	قبل الميلاد
يوسـف	نحو سنة	١٧٤٥	قبل الميلاد
أيوب (قبل موسى)	نحو سنة	١٥٧١	قبل الميلاد
موسى	نحو سنة	١٥٧١	قبل الميلاد
داود	نحو سنة	١٠٥٦	قبل الميلاد
يونس (يونان) ويوئيل	نحو سنة	٨٣٠	٨٠٠ ق.م
عاموس وهو شع وعوبيديا	نحو سنة	٧٨٤	قبل الميلاد
أشـــعياء	نحو سنة	٧٦٠	قبل الميلاد
ميخـــا	نحو سنة	٧٥٨	قبل الميلاد
ناحـــوم	نحو سنة	٧٢٣	قبل الميلاد
صفنيا وحبقوق	نحو سنة	٧٢٦	قبل الميلاد
حزقيال ودانيال	نحو سنة	٥٩٤	قبل الميلاد
حجى وزكريا	نحو سنة	٥٢٠	قبل الميلاد
ملاخى	نحو سنة	٤٣٥	قبل الميلاد
عيسى	أول التاريخ الميلادى غير محقق		
نبى الاسلام	٥٧٠ أو ٥٧١ بعد الميلاد		

* * *

وبعدما نقضنا اجتهاد « ابن كمونة » وبينا أن قول يعقوب عليه السلام هو نبوءة عن مجىء محمد رسول ﷺ ليظهر بركة اسماعيل فى العــرب وفى الأمم ، نتناول حجج « ابن كمونة » حجة بعد حجة بالبيان والنقد .

الحجة الأولى : ملك بنى اسرائيل :

ابراهيم النبى — عليه السلام — أنجب اسحق ، واسحق أنجب يعقوب ، المسمى أيضا باسرائيل . واسرائيل أنجب الأسباط الاثنى عشر . وهم : ١ — رأوبين ٢ — شمعون ٣ — لاوى ٤ — يهوذا ٥ — زبولون ٦ — يساكر ٧ — دان ٨ — جاد ٩ — أشير ١٠ — نفتالى ١١ — يوسف ١٢ بنيامين .

وقد ائتمر على « يوسف » نفر من اخوته ، والقوه فى الجب ليخلى لهم وجه أبيهم . لكن الله أنقذه من الهلاك ، وجعله رئيسا مسلطا فى أرض « مصر » وأرسل الى أبيه واخوته أن يأتوا من البدو ، ويعيشوا معه فى مصر ، ويزرعوا ما يقدرون على زراعته فى أرض « جاسان » (٩) على أن يؤدوا الخمس للملوك المصريين (تك ٤٧ : ٢٤)

« ثم قام ملك جديد على مصر ، لم يكن يعرف يوسف . فقال لشعبه : هوذا بنو اسرائيل شعب أكثر وأعظم منا . هلم نحتال لهم لئلا ينموا ، فيكون اذا حدثت حرب أنهم ينضمون الى أعدائنا ، ويحاربوننا ويصعدون من الأرض . فجعلوا عليهم رؤساء تسخير ، لكى يذلوهم بأثقالهم » (خر ١ : ٨ — ١١)

وفى هذا الوقت ظهر موسى عليه السلام ، وقاد بنى اسرائيل الى صحراء سيناء . وفيها على جبل الطور أنزل الله التوراة عليه ليعمل بها بنو اسرائيل والأمم .

* * *

وبعد موسى رغب بنو اسرائيل فى أن يجعلوا عليهم ملكا ، فاختار الله لهم « طالوت » الذى هو (شاول) . ولما توجه لمحاربة أهل فلسطين — مجاهدا فى سبيل الله — برز داود من جيش طالوت وقتل جالوت قائد جيش فلسطين . ثم أصبح داود ملكا على بنى اسرائيل . واتخذ أورشليم (القدس) عاصمة لملكه .

---

(٩) هى الآن مدينة « فاقوس » من مدن « مصر » الشرقية .

وبعد موت سليمان ابن داود انقسم بنو اسرائيل الى فريقين كبيرين :
أ — سبطى يهوذا وبنيامين وبعض اللاويين وجعلوا عليهم ملوكا من ذرية داود . وسميت مملكتهم بمملكة يهوذا ، أو المملكة الجنوبية أو العبرانيين ، أو مملكة أورشليم ب — والباقون سموا باسرائيل ، أو بالسامريين .

وكان يعقوب عليه السلام قد حسب سبط يوسف بسطين نظير فضله على اخوته وصار ولداه : افرايم ومنسى بمثابة أولاد ليعقوب (التكوين ٤٨ — ١٦) ووصى موسى أن لا يكون لسبط لاوى نصيب فى أرض كنعان ليعيشوا متفرقين بين بنى اسرائيل ليعلموهم مما علمهم الله ، ووصى موسى بأن تقسم أرض كنعان بالقرعة على الأسباط ، ولذلك عاش بعض اللاويين فى مملكة يهوذا وبعضهم مع بقية الأسباط الآخرين وكونوا مملكة مستقلة تسمى بمملكة اسرائيل أو نابلس أو المملكة الشمالية أو السامريين (١٠) وكان لكل مملكة ملوكا وكهنة . أى علماء يعرفون بالربانيين والأحبار .

❋ ❋ ❋

وبعد مدة قليلة من الزمان جاء (تغلث فلاسر) ملك (أشور) وسبى الأسباط القاطنة شرقى نهر الأردن وهى : رأوبين وجاد ومنسى نحو سنة ٧٤٠ ق.م ثم أغار (سرجون) ملك (أشور) على الأسباط الباقية فى مملكة اسرائيل . وبذلك صارت مملكة اسرائيل فى قبضة ملك (أشور) أما مملكة يهوذا فقد حاربها (سنحاريب) ملك (أشور) سنة ٧١٣ق.م ولكنه لم يلبث أن ارتد عنها . ثم جاء (نبوخذ ناصر) ملك (بابل)

---

(١٠) سبب تسميتهم بالسامريين : أن عمرى ملك اسرائيل اشترى مدينة على جبل من رجل اسمه « شامر » « ودعا اسم المدينة التى بناها باسم شامر صاحب الجبل : السامرة » (الملوك الأولى ١٦ : ٢٤) ويقول أبو الفتح فى تاريخه : « وتوجه شخص من السامرة الى سبسطية ، واشتراها بقنطارين ذهبا وبناها ولهذا سميت سامرية » (ص ٥٤ التاريخ ما تقدم عن الآباء) .

سنة ٥٨٨ فاستولى على أورشليم ، وهدم أسوارها وأحرق الهيكل ، وساق وجهاء الشعب الى (بابل) (١١) ثم أن أهل فارس اســتولوا على مملكتى أشور وبابل (١٢)

ويحكى صاحب تاريخ الاسرائيليين كيف عاد بنو اسرائيل من بابل ؟ وكيف سموا باليهود لأول مرة ؟ فيقول : « انه لما تولى (قورش) ملك فارس سنة ٥٣٧ق٠م أصدر أمرا سنة٥٣٦ق٠م يأذن فيه اليهود بالعودة الى بلادهم — من أراد ذلك منهم — وعين (زربابل) واليا على اليهود ، وصارت اليهودية ولاية من ولايات الفرس ، وفى سنة ٥١٩ ق٠م ثبت (داريوس هستاسب) أمر (قورش) المذكور فتم بناء الهيكل سنة ٥١٥م واحتفل بتدشينه احتفالا باهرا . ومن ذلك الزمان يختفى ذكر الأســباط العشرة . فمن عاد منهم الى فلسطين اختلط بسبطى يهوذا وبنيامين . وفى ذلك الحين سمى الاسرائيليون : يهودا . ودعيت بلادهم : اليهودية وفى أيام (ارتكزر كسيس) (لوغيامانس) الفارسى . عــاد جزء من اليهود المتغربين فى بابل الى بلادهم بقيادة عزرا . وذلك سنة ٤٥٨ ق٠م وظل عزرا واليا على البلاد الى سنة ٤٤٥ ق٠م وجاء بعده نحميا فبنى

---

(١١) انظر الجزء الأول من تاريخ الأقباط . ويقول عزرا حداد فى ص١٨٥ من رحلة بنيامين : ان سبى (تغلث فلاسر) كان سنة ٧٣٨ ق٠م ويقول كثيرون من المؤرخين : أن (نبوخذ ناصر) كان سنة ٥٨٦ ق٠م ويقول جورج بوست « (أشور) : واقعة على (دجلة) يحدها من الشمال جبال أرمينية ، ومن الجنوب بغداد وجوارها . ومن الشرق سلسلة جبال الزاكروس . ومن المغرب ما بين النهرين والفرات و (بابل) : هــذه البلاد محاطة بنهرى الفرات ودجلة . وتمتد من هذين النهرين غربا حتى البادية ومساحتها نحو ٤٠٠ ميل طولا و١٠٠ عرضا وأراضيها بطــاح ســهلة .

(١٢) انظر سفرا أخبار الأيام الأول والثانى فى تاريخ بنى اسرائيل الى استيلاء فارس على مملكة بابل . واذنهم لبنى اسرائيل بالعودة الى فلسطين بعد سبعين عاما من الأسر ، كما يكتبون .

أسوار أورشليم ، ورمم حصونها . وأعاد اليها بعض رونقها القديم . وظل واليا الى سنة ٤٢٠ ق.م » (١٣)

انظر قوله « وفى ذلك الحين سمى الاسرائيليون : يهودا . ودعيت بلادهم : اليهودية » أى أن جميع بنى اسرائيل من بعد بابل أصبح يطلق عليهم لقب « يهود » نسبة الى يهوذا الابن الرابع باعتبار أن مملكته صمدت طويلا عن مملكة السامريين . فأصبح يهوذا أشهر من ملك وأكثر مدة وأشد ذكرا . وفى بابل اتفق العبرانيون والسامريون على تحريف التوراة — كما سنبين فى كتاب « نقد التوراة » — ووضعوا وصية يعقوب وهى « لايزول قضيب من يهوذا ... الخ » لتعبر عن اليهود بأسرهم ، لا عن سبط يهوذا وحده . بدليل : أن النص مكتوب بعد سبى « بابل » أى من بعد داود بما يقرب من أربعمائة وسبعين عاما . وظلت اليهودية خاضعة لحكم الفرس الى سنة ٣٣٣ ق . م الى مجىء الاسكندر الأكبر ملك اليونان . وقد غلب كثيرا من الممالك وتوجه لاحتلال (أورشليم) ولما سمع اليهود بمقدمه خافوا منه وسلموا له بدون قتال . يقول يوسيفوس : « رحل اسكندر عن موضعه متوجها الى (أورشليم) . فلما سمع اليهود بمجيئه اليهم خافوا منه . ولما علم الكاهن الأكبر جمع اليهود الذين هناك وأمرهم فصاموا وصلوا وتصدقوا وقصدوا الله عز وجل وسألوه الكفاية . ثم خرجوا يستقبلون اسكندر لما قرب من المدينة وعظيم الكهنة قدامهم » (١٤)

... ...

---

(١٣) ص ٣١ — ٣٣ تاريخ الاسرائيليين .

ولاحظ انه أخطأ فى قوله باختلاط الأسباط العشرة فانهم لم يختلطوا قط كما جاء فى الانجيل فى قصة المرأة السامرية فى الاصحاح الرابع من يوحنا وكما فى سفرى عزرا ونحميا وكما جاء فى التاريخ مما تقدم عن الآباء وأيضا فى رحلة بنيامين .

(١٤) ص ٢٧ تاريخ يوسيفوس وانظر تاريخ الاسرائيليين ص٣٧ .

وبعد موت الاسكندر فى (بابل) سنة ٣٢٣ ق.م انقسمت امبراطوريته بين قواده فبطليموس قبض على زمام الأمور فى مصر ، واختار الاسكندرية عاصمة له . وسلوقس أصبح بعد سنوات سيدا فى الشمال وكانت لـــه عاصـــمتان : أنتيوخ فى ســـورية على نهر العاصى . وسلوقيا فى بابل (أطلالها بالقرب من بغداد) وبعد صراع بين بطليموس ، وسلوقس انتصر بطليموس وأصبحت أورشليم فى القرن التالى خاضعة لأسرته .

ثم انتصر السلوقيون أتباع سلوقس . وفى عهد انتيوخس الرابع ابيفانس ١٧٥ ق.م اشتد الاضطهاد على اليهود من السلوقيين . وكانت نتيجته أن قام اليهود بثورة بقيادة الكاهن ماتاثيس عام ١٦٧ ق.م ومعه أولاده الخمسة :يونان والعازر ويهوذا وسيمون ويوناثان . ولما مـــات ماتاثيس انتقلت الزعامة الى ولده يهوذا الملقب بالمكابى . وعرفت هذه الحركة بالحركة المكابية . ولكن الأسرة كانت تسمى الحشمونية لأن حشمون كما ذكر يوسيفوس هو الجد الأعلى لماتاثيس ، واستطاع المكابيون أن يحققوا الاستقلال التام .

ولما مات يهوذا انتقلت الزعامة الى أخيه يوناثان . ولما مات يوناثان انتقلت الزعامة الى أخيه سيمون . ولما مات سيمون خلفه ابنه هيركانوس. ومن بعد هيركانوس أخوه يناى . وقد أوصى بالملك لزوجته الكسندرا . لأن ولديه هيركانوس واريستوبولس لم يبلغا سن الرشد . وقد عينت الكسندرا ابنها البكر هيركانوس كبيرا للكهنة . ولما كبر الأخ الأصغر حدثت حرب بينه وبين أخيه الأكبر على المنصب . فانتهزت روما هذه الفرصة وتقدم القائد بومبيوس واحتل أورشليم . وأبقى هيركانوس كاهنا . وأخذ اخاه الى روما وكان ذلك عام ٦٣ ق.م .

... ...

ولما احتل الرومان أورشليم وبلاد اليهودية عينوا قائدا عليها يسمى انتيباتور . وقام انتيباتور بتعيين ولده البكر (فاسيل) حاكما على أورشليم

وابنه الثانى (هيرودوس) حاكما على الجليل . ثم وافقت روما على تعيين هيرودوس على منطقة السهل الساحلى فى بلاد فلسطين وأن يستقل فى الشئون الداخلية ، مع تبعيته لروما . ومات هيرودوس عام ٤ق.م .

وفى ذاك الزمان ولد المسيح عيسى — عليه السلام — فى (بيت لحم) التابعة لأورشليم وجاء من بعد هيرودوس أحد أبنائه وهو (أرخيلاوس) واستمر فى حكم اليهود الى سنة ٦ بعد الميلاد . وقبل أن يعزله الرومان قرروا أن يضعوا البلاد تحت بصر حاكم رومانى مباشر .

وبذلك أصبحت ملكيتهم متصلة . فيما عدا السنوات من ٤١ — ٤٤ بعد الميلاد فقد كانت المنطقة محكومة بواسطة موظفين رومانيين ، سموا حكام أقاليم . وقد وضع هذا التخطيط عام ٤١م عند تعيين (هيرودوس أغريباس) ملكا على البلاد — وكان (أغريباس) الحفيد البكر لهيرودوس الكبير — ولما مات تولى بعده أغريباس الثانى . ثم حدث نزاع شديد بين اليهود وبين الرومان انتهى بخراب أورشليم وهدم الهيكل عام ٧٠ ميلادية على يد (تيطوس) الرومانى .

* * *

وفى عام ١٣٢ ميلادية ثار من تبقى من اليهودية على الرومان بقيادة (باركوخبا) ونجحت الثورة واستقل اليهود عن الرومان لمدة ثلاث سنوات . وأصبحت أورشليم عاصمة ومركزا دينيا وانتهت الثورة عام ١٣٥م وقبض الرومان بقيادة (أدريانوس) على (باركوخبا) ونكل به وهدم (أورشليم) وبنى فوقها مدينة (ايليا كوبتولينا) . وصدر الكلمة : (ايليا) لقب عائلة أدريانوس و (كوبتولينا) هو (جوبيتر) الاله الرومانى الكبير . وهدم ما تبقى من الأسوار والمبانى وحرث الموقع تماما وبنى فوقه مدينته الجديدة على مساحة أقل . ولم يسمح لأى من اليهود بدخولها والاقتراب منها . وبنى معبد (جوبيتر) على أنقاض المعبد القديم . وأقام تمثالا لنفسه أمام المعبد ، وبنى أسوارا جديدة للمدينة الجديدة (ايليا)

وفى عام ٣١٣م أصبحت الديانة النصرانية دين الدولة الرومانية الرسمى وهـدم معبد جوبيتر . وفى سنة ٣٢٦م جاءت « هيلانة » أم الامبراطور (قسطنطين) وبنت فى أورشليم كنيسة القيامة . وفى القرن الرابع بعد الميلاد سمح النصارى لليهود بزيارة موقع الهيكل يوما واحدا كل عام . وهو التاسع من آب (أغسطس) يوم هدمه . وفى القرن الخـامس سعت الامبراطورة (ايدوكسيا) أرملة الامبراطور (ثيودسيوس الثانى) لدى الرومان ليسمحوا لليهود بالاقامة الدائمة فى المنطقة ، فسمح لهم الرومان .

... [...] ...

وفى عام ٦١٤ (١٥) ميلادية غزا الفرس بلاد الشام وانتصروا على الرومان (١٦) . وهدموا كنيسة القيامة . ثم غلب الرومان الفرس . ثم جاء الفتح الاسلامى سنة ٦٣٦م وهزم المسلمون الرومان وكتب أمير المؤمنين

---

(١٥) فى كتاب الاسلام يتحدى : السنة ٦١٦م بدل السنة ٦١٤م .

(١٦) وفى ذلك الزمان كان اسراء النبى — ﷺ — الى المسـجد الأقصى . جاء فى كتاب بيت القدس فى الاسلام ص ٦٨ — ٩٦ انه يوجد سور فى أورشليم يحيط بمسجد الصخرة المعروف الآن وبعض الأبنية وأن المسجد الاقصى قديما يطلق على المسـاحة التى يضمها هذا السـور . يقول الكتاب : « كان المكان الموجود الآن بين أسوار الحرم الشريف بالقدس مخصصا لعبادة الله سبحانه . وهو المكان الذى وقع الاسراء اليه ليلا بسيدنا محمد — صلوات الله وسلامه عليه — وكان المكان الموجود الآن بين أسوار الحرم الشريف بالقدس مخصصا لعبادة الله سـبحانه . وهو المكان الذى وقع الاسراء اليه ليلا بسيدنا محمد صلوات الله وسلامه عليه وحصل معراجه منه الى السماء العلى . الى حيث علم الله . وفى تلك الليلية تم فرضية الصلاة على الرسول والمسلمين . وحينئذ لم يكن فى ذلك المكان بناء معروف بالمسجد الأقصى . ولا آخر معروف بمسجد الصخرة المشرفة ، ولا سائر الأبنية المنتشرة فى ساحة المسجد الأقصى . وانما سمى فى الآية بالمسجد ، لانه مكان العبادة » (انظر أيضا : تاريخ الطبرى جـ ٣ ص ١٠٦ ومجلة منبر الاسـلام المصرية عدد رجب ١٣٩٣هـ أغسطس ١٩٧٣) وانظر وصف هيكل سليمان بالرسم فى كتاب مرشد الطالبين .

عمر بن الخطاب رضى الله عنه « العهدة العمرية » مع البطريرك (صفرونيوس) وكان من أهم شروطها : عدم السماح لليهود بالاقامة فى ايلياء .

وهكذا قضى على اليهود نهائيا ، ولم تقم لهم قائمة الا حينما اعترفت منظمة الأمم المتحدة بدولة اسرائيل عام ١٩٤٨ (١٧) واعترافها فتنة فى الأرض ، وفساد كبير .

... ...

ذلك هو مختصر تاريخ بنى اسرائيل من كتب أهل الكتاب . فهل ترى ضياع ملكهم من قبل عيسى عليه السلام أم من بعده ؟

لا يرى من له أدنى بصر بعلوم التواريخ : أن ضياع ملكهم من قبل عيسى عليه السلام . ألم يقل اليهود فى كتبهم : « وفى عام ١٣٢ ميلادية ثار من تبقى من اليهود على الرومان بقيادة «باركوخبا» ونجحت الثورة واستقل اليهود عن الرومان لمدة ثلاث سنوات وأصبحت أورشليم عاصمة ومركزا دينيا » ؟ كيف تنجح الثورة ويستقل اليهود عن الرومان ، وتصبح أورشليم عاصمة ومركزا دينيا اذا لم تكن لليهود أنفسهم قوة من قبل ؟

... ...

الحق يقال : ان اليهود أمة عديمة الرأى ولا بصيرة فيهم (تث ٣٢ : ٦ و ٣٢ : ٢٨) وقد بلغ بهم غباؤهم الى حد التمرد على أنبيائهم فكانوا يقتلون بعضا ويتركون بعضا . ولذلك كان الله يرسل عليهم من يسومهم سوء العذاب .

ولقد وقعوا تحت نفوذ الأجانب من بعد داود عليه السلام . ولكن الأجانب كانوا يتركونهم أحرارا فى حكمهم لأنفسهم . كان يحكم بعضهم

---

(١٧) انظر : تاريخ الاسرائيليين . وتاريخ يوسيفوس . وانظر أيضا : القدس الخالدة فى أوائل كل فصل . وتاريخ الأقباط الجزء الأول والجزء الثامن .

بعضا . ولم يكن للاجانب الا جنود تضمن الأرض لصالحهم بالضرورة اذا داهمهم عدو . وجزية يأخذونها من أهل الأرض مقابل حمايتهم لهم (١٨).
ودليلنا على ذلك : هو ما بينا من كتب التاريخ ، وما جاء فى الانجيل نفسه . ففيه أن أورشليم كانت عامرة باليهود ، وكان هيكل سليمان مركزا دينيا عظيما . وكان لليهود مجلس استشارى يسمى (المجمع) أو (السنهدريم) وفى هذا المجمع قرر اليهود قتل عيسى عليه السلام لولا أن كف الله أيديهم عنه وقدموه للوالى الرومانى لينفذ الحكم — كما يدعون — .

ولما اعتذر الوالى عن تنفيذ الحكم لعلمه ببراءة عيسى عليه السلام هددوه بالشكوى الى الامبراطور الرومانى نفسه . فاستجاب لهم . وهذا يعنى : أنهم هم الحاكمون لأنفسهم ، لا الحاكم الاجنبى . يقول يوحنا فى انجيله : « فسأل رئيس الكهنة يسوع عن تلاميذه وعن تعليمه ؟ أجابه يسوع : أنا كلمت العالم علانية . أنا علمت كل حين فى المجمع ، وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائما ، وفى الخفاء لم أتكلم بشىء . لماذا تسألنى أنا ؟ اسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم ؟ هوذا هؤلاء يعرفون ماذا قلت أنا ؟ . . ومن هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه . ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين : ان أطلقت هذا فلست محبا لقيصر » (يوحنا ١٨ / ١٩)

. . .   .

---

(١٨) وابن كمونة الذى يقول بانقطاع الملك من بنى اسرائيل قبل المسيح يقول فى دفاعه عن تواتر التوراة : ان الدنيا دول ، مرة تغلب . دولة ومرة تنهزم . والغالبة تهزم ، والمهزومة تغلب . ولا يقال فى هذه الاحوال بذهاب الملك واضاعة المجد . يقول : « وأما قتل بختنصر وغيره لهم فليس فيه ما يدل على انقطاع تواترهم . أليس الروم ظفر بهم الفرس ، وقتلوا رجالهم ، واستباحوا ذراريهم ؟ والروم فى أيام الاسكندر جاءوا الى فارس ، ونزلوا بلادهم حتى بعث ملك الفرس من هزمهم ؟ ثم ان اليهود لم يكن جميعهم ببيت المقدس حين ظفر بهم فيها بختنصر ، ولم يقتل كل من بها . فان فى يرميا — أى فى سفره — **ان عامة بنى اسرائيل خرجوا مستأمنة . وقد كانوا بعد ذلك موجودين فى بلاد لا يحصى عددها** » (ص ٢٨ تنقيح الأبحاث) .

وبعد رفع عيسى الى السماء — وكان قد آمن به البعض من بنى اسرائيل ونادوا فى كل مكان بدعوته — تحير اليهود فى أمر هؤلاء الذين آمنوا ماذا يفعلون بهم ؟ « فسألهم رئيس الكهنة قائلا : أما أوصيناكم وصية أن لا تعلموا بهذا الاسم . وها أنتم قد ملأتم أورشليم بتعليمكم ؟ ... فأجاب بطرس والرسل — التلاميذ — وقالوا : ينبغى أن يطـاع الله أكثر من الناس ... فلما سمعوا حنقوا وجعلوا يتشاورون أن يقتلوهم . فقام فى المجمع رجل فريسى اسمه غمالائيل معلم للناموس ، مكرم عند جميع الشعب وأمر أن يخرج الرسل قليلا . ثم قال لهم .

أيها الرجال الاسرائيليون : احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس فى ما أنتم مزمعين أن تفعلوا . لأنه قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلا عن نفسه : انه شيء . الذى التصق به عدد من الرجـال نحو أربعمائة . الذى قتل ، وجميع الذين انقادوا اليه تبددوا وصاروا لا شيء . بعـد هذا قام يهوذا الجليلى فى أيام الاكتتاب وأزاغ وراءه شعبا غفيرا ، فذاك أيضا هلك . وجميع الذين انقادوا اليه تشتتوا . والآن أقول لكم : تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم . لأنه ان كان هذا الرأى ، أو هـذا العمل من الناس فسوف ينتقض . وان كان من الله فلا تقدرون أن تنقضوه لئلا توجدوا محاربين لله أيضا . فانقادوا اليه » (أعمال ٥ : ٢٧ — ٤٠) وهذا يعنى أن النصارى طائفة من بنى اسرائيل آمنت فأصبحت ظاهرة على الطائفة التى لم تؤمن بعيسى — عليه السلام — كما يقول تعالى فى القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين : من أنصارى الى الله ؟ فآمنت طائفة من بنى اسرائيل . وكفرت طائفة . فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم . فأصبحوا ظاهرين » (الصف ١٤) وجاء الاسلام والطائفة التى آمنت ظاهرة . فتسلم المسلمون

---

(١٩) ظاهرة أى عالية . وهذا يدل على أن الملك كان مع النصارى بدلا من اليهود ، قال مجاهد : « أيدوا فى زمانهم على من كفر بعيسى » (تفسير القرطبى) وزال الملك على يد المسلمين .

منها مفاتيح أورشليم ، وهي العاصمة الدينية لبني اسرائيل . تسلم (عمر) من البطريرك (صفرنيوس) المفاتيح وكتب له « العهدة العمرية » كتاب أمان وذمة .

... ...

وكان اليهود يقولون على النصارى : انهم طائفة منهم خرجوا على تعاليمهم ، كما عبر القرآن تماما ، كانوا يقولون : انهم « شيعة » عيسى وأتباعه . ففى سفر الأعمال : أن « حنانيا » رئيس كهنة اليهود ذهب مع الشيوخ وخطيب اسمه « ترتلس » يشكون « بولس » للوالى ، فقال ترتلس : « اننا اذ وجدنا هذا الرجل مفسدا ، ومهيج فتنة بين جميع اليهود ، الذين فى المسكونة ، ومقدام شيعة الناصريين » فأشار الوالى لبولس أن يتكلم ، فكان مما قال : « ولكننى اقر لك بهذا : أننى حسب الطريق الذى يقولون له شيعة . هكذا أعبد اله آبائى ، مؤمنا بكل ما هو مكتوب فى الناموس والأنبياء » (أ ع ٢٤ : ٥ و ١٤)

وعلى ما قدمنا : فالملك لم يزل من بنى اسرائيل ، الا على يد بنى اسماعيل ، أتباع محمد ﷺ .

الحجة الثانية : سبط يهوذا :

يدعى ابن كمونة : أن حديث يعقوب ــ عليه السلام ــ خاص بسبط يهوذا نفسه ، لا ببنى اسرائيل جميعا ودعواه باطلة لما ذكرنا . ولأن اليهود يطلقون اسم « التوراة » على جميع الأسفار المقدسة عندهم ، من باب اطلاق اسم الجزء على الكل ، فان توراة موسى على الحقيقة خمسة أسفار ، وما بعد الأسفار الخمسة يطلق عليه اسم التوراة مجازا . وغير بعيد أن يكون اليهود جميعا فى « بابل » قد اتفقوا على الاشارة بيهوذا ، لليهود بأسرهم ورضى السامريون بذلك ، للحظوة التى كانت لليهود العبرانيين عند ملوك الفرس ــ كما جاء فى سفر أستير ــ ويؤيد عدم الاستبعاد : اطلاق الفرس على بلادهم اسم « اليهودية » بعد رجوعهم من « بابل » باعتبار أن « يهوذا » أشهر من ملاك ، وأكثر مدة ، وأشد ذكرا .

ولأن شموئيل بن يهوذا بن أيوب ، الذى عاند اليهود وأسلم — كما يقول عنه ابن كمونة — احتج على اليهود بقوله : « نقول لهم : اليس فى التوراة التى هى أيديكم : (لو ياسور شبيط ميهوداه ومحقق مبين دغلاو تفسيره : « لا يزول الملك من آل يهود ، والراسم من بين ظهرانيهم . الى أن يأتى المسيح » فلا يقدرون على جحده . نقول لهم : أما علمتم أنكم أصحاب دولة وملك الى ظهور المسيح ، ثم انقضى ملككم . فان لم يكن لكم ملك . فقد لزمكم من التوراة أن المسيح قد أرسل » (٢٠)

فقوله عن اليهود : « أصحاب دولة وملك الى ... الخ » يدل على أن عبارة يعقوب عن يهوذا مقصود بها جميع اليهود . وابن كمونة لم يعارض فى الدولة والملك . وانما ادعى سقوط الدولة وذهاب الملك من قبل عيسى — عليه السلام — .

ولأن النصارى لو لم يكونوا عارفين بأن هذه النبوءة اشارة الى النبى الذى تنتظره الأمم بعد زوال الملك من اليهود وزوال الشريعة ما احتجوا بها على اليهود . والا لماذا لم يحتجوا بجميع عبارات التوراة ؟

ولأنه لو كانت الملوك من آل يهوذا ، ما كان طالوت ملكا على بنى اسرائيل ، فان « طالوت » من سبط بنيامين أخى يوسف . لقد قال لصموئيل لما أخبره أن الله اصطفاه ملكا : « أما أنا بنياميني من أصغر أسباط اسرائيل وعشيرتى أصغر كل عشائر أسباط بنى بنيامين ؟ » (صموئيل الأول ٩ : ٢١) وأيضا ما كان موسى يقول لهم على لسان الله تعالى : « متى أتيت الى الأرض التى يعطيك الرب الهك ، وامتلكتها ، وسكنت فيها ، فان قلت : أجعل على ملكا كجميع الأمم الذين حولى ،

---

(٢٠) ص ٢٩ بذل المجهود . وبقية الآية هكذا : « عاد كى يبا شيلوه . ولو يقهات عميم » وليس المراد بالمسيح : عيسى بن مريم عليه السلام . بل بحسب اصطلاح اليهود : محمد — ﷺ — وسيأتى البيان فى فصل « المسيا » .

فانك تجعل عليك ملكا ، الذى يختاره الرب الهك . من وسط اخوتك تجعل عليك ملكا . لا يحل لك أن تجعل عليك رجلا أجنبيا ، ليس هو أخاك » (تثنية ١٧ : ١٤ — ١٥) فان موسى بهذا القول لا يحصر الملك فى سبط يهوذا ، بل فى من يصلح للملك من يهوذا ، ومن غيره ، حتى لو كان من بنى اسماعيل فانه من وسط اخوتهم (تك ١٢:١٦) . ولانه لو كانت الملوك من آ ل يهوذا ، ما رجع الكهنة اللاويون من بابل وفى أيديهم الملك بجانب الكهنوت .

وفى النص نفســـه قرائن تــدل على أن المراد قضيب لا ســبط :

الأولى : هى قول يعقوب لأولاده قبل أن يتنبأ عن كل واحد منهم : « اجتمعوا لانبئكم بما يصيبكم فى آخر الايام» (تك٤٩:١) وآخر أيام بركته فى الارض المقدسة كان من بعد عيسى ، لا من بعد داود — عليهما السلام — والثانية : هى قوله : « وله يكون خضوع شعوب » ولم يخضع لداود فى الارض المقدسة غير بنى اسرائيل وسكان الارض . والثالثة : ان سبط يهوذا لم يفن من العالم بعد ما ملك داود على أرض « شيلوه » فى أرض فلسطين . والرابعة : أن التوراة مكتوبة فى « بابل » من بعد داود بقرون كثيرة . فأى فائدة من الاخبار عن أمر قد تم من قبل الكتابة بمئات من السنين ؟

... ...

الحجة الثالثة : انقطاع النبوة :

فسر ابن كمونة « ومشترع من بين رجليه » بالأنبياء ، ليحرف الكلم عن مواضعه . والحق أنها تفسر بالنبيين الذين أسلموا ، وبالربانيين والأحبار الذين يشرعون للناس حسب أحكام التوراة ، لأنهم جميعا متبعون للتوراة ، يعلمون الناس بما فيها وظلوا عاكفين على العلم والتعليم الى سقوط الدولة . والدليل على أن « مشترع من بين رجليه » تفسر بالأنبياء والعلماء : ترجمتها بالرسم من تحت أمره ، أو المراسم من بين أقدامه ، أى المعلمون ، الذين يرسمون للناس طرق حياتهم باستنباط الأحكام من التوراة . وهؤلاء المعلمون كــانوا من ســبط لاوى . فـــان التــوراة تنص عــلى أن بنى

لاوى يتفرغون لطلب العلم ، ويقومون بالدرس والافتاء . وتخص نسل هرون (٢١) من سبط لاوى بأن يكون الكهنة العظام منهم .

وهذا بيان نسبهم وعملهم :

يعقوب عليه السلام أنجب **لاوى** (وهو الولد الثالث من أولاده الذكور)

ولاوى أنجب : ١ ـ جرشون ٢ ـ قهات ٣ ـ مرارى .

وقهات أنجب : ١ ـ عمرام ٢ ـ يصهار ٣ ـ حبرون ٤ ـ عزيئيل .

وعمرام أنجب : ١ ـ **هرون** ٢ ـ موسى ٣ ـ مريم (أختهما)

---

(٢١) يقول ابن كمونة : « وأتاهم موسى ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ أعنى لبنى اسرائيل بالشريعة المقدسة ، ولم ينسخ الشريعة التى أمر بها الأمم من لدن آدم ونوح ـ عليهما السلام ـ ولم يفسخها . ولكن أكد الوصية بها وزاد عليها ما خصص به بنى اسرائيل دون غيرهم من الأمم ، وخصص سبط ليوى ، لا سيما هرون ونسلهبف رائض وتكاليف غير لازمة لسائر بنى اسرائيل . فكل الأمم داخلون تحت التكليف بما أمرهم الله به ، على لسان أنبيائه قبل موسى ـ عليه السلام ـ وعلى لسانه أيضا . وبنو اسرائيل مكلفون بما أمر به الأمم قبل موسى وبزيادة خصهم الله بها على لسان رسوله موسى ـ عليه السلام ـ تشريفا لهم وعناية بهم ، واختص هارون وبنيه بزيادة تكاليف عليهم تمييزا لهم بمزيد تشريف واختصاص وتعظيم . وجعل من الأمم بما كلف به بنو اسرائيل كالسبت وغيره مما يخصهم جاريا مجراهم بحيث لو عاد عن التزام ذلك قتله ، ولم يجعل لأحد سبيلا الى الالتحاق ببنى هرون ـ عليه السلام ـ لا من بنى اسرائيل ولا من غيرهم ، وفضلوا على من سواهم تفضيلا كثيرا . وفضل الامام الأعظم منهم ، وهو الذى بمنزلة هارون فى البيت المقدس ، بمزيد تكليف وتفضيل على بقية الهاونيين » (ص ٢٥ ـ ٢٦ تنقيح الأبحاث) وقد كذب فى قوله « ولم ينسخ الشريعة التى أمر بها الأمم من لدن آدم ونوح » فانه على سبيل المثال كان نكاح الأخت حلالا . وقد حرمه فى التوراة موسى والتحريم ناسخ للحل .

وصدق فى قوله : « فكل الأمم داخلون تحت التكليف بما أمرهم الله به على لسان أنبيائه قبل موسى عليه السلام وعلى لسانه أيضا » فان دين موسى كان عاما لجميع الأمم من قبل السبى البابلى . وسنوضح هذا فى كتابنا (نقد التوراة أسفار موسى الخمسة)

وأوصى موسى — عليه السلام — بأن يكون اللاويون جميعا متفرغين لشريعة الله .

فقد قال عنهم الله فى سفر التثنية « يعلمون يعقوب أحكامك . واسرائيل ناموسك » (تثنية ٣٣ : ١٠) وكان من عملهم بجانب العلم والتعليم : حفظ تابوت العهد ، وذلك بنصب خيمة له . لكى يضعوه فيها اذا ارتحلوا من مكان الى مكان . وهذه الخيمة تسمى (خيمة الاجتماع) أو (مسكن الرب) وهذا المسكن له دار تسمى (دار مسكن الرب) .

واليك وصفا موجزا لدار مسكن الرب وما فيها :

١ — التابوت : طوله ٢½ وعرضه ١½ وارتفاعه ١½ ذراع . ويصنع من خشب السنط ، ويغشى من الداخل والخارج بالذهب النقى ، وله حلقتان على جانب ، وعلى جانبه الثانى حلقتان وعصوين من خشب السنط مغشيان بالذهب ، ويوضع فيه « العهد » ويسمى (الشهادة) .

٢ — غطاء التابوت : طوله ٢½ وعرضه ١½ ذراع . ويصنع من الذهب النقى ، ويصنع له كروبين من ذهب . على طرف كروب ، وعلى الطرف الثانى كروب « ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما الى فوق . مظللين بأجنحتهما على الغطاء ، ووجهاهما كل واحد الى الآخر . نحو الغطاء يكون وجها الكروبين » .

٣ — المائدة : طولها ٢ وعرضها ١ وارتفاعها ١½ ذراع . وتغشى بالذهب على هيئة ترابيزة الطعام فى منازل المصريين الآن « وتجعل على المائدة خبز الوجوه أمامى دائما » .

٤ — المنارة : تصنع من ذهب نقى على هيئة نجفة كريستال كبيرة كالتى نشاهدها فى بيوت المصريين الآن .

٥ — مسكن الرب : على هيئة سرادق كبير من القماش . يصنع المسكن من عشرة شقق ، طول الشقة الواحدة ٢٨ ذراع وعرض الشقة

٤ أذرع . وعلى حاشية الشقة تصنع خمسون عروة ثم توصل كل شقة بالأخرى فى العروات بواسطة شظ من ذهب — والشظ هو كدبوس القميص المعكوف الذى يوضع فى عروتى الكم — خمس شقق توصل . وخمس شقق توصل . ثم يصنع سقف مكون من احدى عشرة شقة طول شقة السقف ٣٠ والعرض ٤٠ — خمس شقق توصل ، وست شقق توصل — ثم تسقف الخيمة ، والفاضل من السقف يدلى على جانبى المسكن ويوضع فوق قماش السقف جلود كباش محمرة . ثم يصنع جدران للمسكن من خشب السنط طول اللوح ١٠ أذرع وعرض اللوح ١½ ذراع . عشرون لوحا الى جهة الجنوب ، وعشرون لوحا الى جهة الشمال . ونحو الغرب ستة ألواح ، ولوحين للزوايا ، ويجعل لكل جانب خمس عوارض من الخشب لضبط الألواح وضمها معا . والعارضة الوسطى من كل جانب تمتد من أحد طرفى الخيمة الى الآخر .

٦ — الحجاب وقدس الأقداس والقدس : يصنع الحجاب من قماش نفيس على أربعة أعمدة داخل مسكن الرب ، وكان يحتل ثلث مساحة المسكن ، وما وراء الحجاب يسمي قدس الأقداس . وما هو خارجي يسمي : القدس . وفي قدس الأقداس وراء الحجاب التابوت ، وعليه الغطاء . وفى القدس توضع المنارة على الجانب الأيمن ، والمائدة على الجانب الأيسر .

٧ — المذبح : يصنع من خشب السنط على شكل مربع ٥ × ٥ وارتفاعه ٣ أذرع ومجوف من الوسط ، وعلى الزوايا الأربع : قرون تربط فيهم البهائم قبل ذبحها قربانا لله . ويصنع له شبكة من النحاس كانت تحيط بالمذبح من نصفه الى أسفله لتقى جوانب المذبح من أرجل الكهنة بنى هارون .

وأدوات المذبح هى :

١ — قدور : لرفع الرماد وفضلات الذبيحة ٢ — رفوش : أدوات يرفع بها الرماد الى القدور ٣ — مراكن : الآنية التى يؤخذ فيها دماء الذبائح

٤ — المناشل : أدوات مثل الشوكة التي تستخدم في الأكل لترتيب قطع الذبيحة على المذبح ٥ — المجامر : الآنية التي يوضع فيها الجمر للتبخير .
وكان مذبح النحاس هذا يشبه التابوت ، ومائدة خبز الوجوه ، في أن الكهنة كانوا يحملونه في الانتقال من مكان الى آخر . وكان يوضع في دار المسكن ، لا في المسكن نفسه .

٨ — مذبح البخور : مربع ذراع في ذراع ، وارتفاعه ذراعان . وله قرون ، ويحمل بعصوين كالتابوت ويوضـــع قدام الحجاب الذى أمام التابوت .

٩ — المرحضة : على هيئة قدح ذى قاعدة مستديرة ، تملأ مـــاء لغسل الكهنة ، وغسل بعض أجزاء الذبائح ، وتوضع بين مسكن الرب وبين المذبح في دار المسكن .

١٠ — دار المسكن : ما قدمناه عن مسكن الرب بما فيه من قـــدس الأقداس والقدس ، وما فيهما . هذا المسكن يوضع بجملته في دار تسمى دار المسكن . ومساحتها :

جهة الجنوب وجهة الشمال ، كل جهة مائة ذراع . جهة المشـــرق وجهة المغرب . كل جهة خمسون . وفي جهتى الجنوب والشمال اربعون عمودا لكل جهة عشرون . وفي جهتى الغرب والشرق عشرون . لكل جهة عشرا . ولباب الدار سجف عشرون ذراعا . وارتفاع جدار الدار خمســـة أذرع فتكون المساحة ١٠٠ × ٥٠ × ٥ ودار المسكن هذه كانت مثل سور مقدس لمسكن الرب . وكانت مكشوفة غير مسقوفة الا من جهة مســـكن الرب (٢٢) .

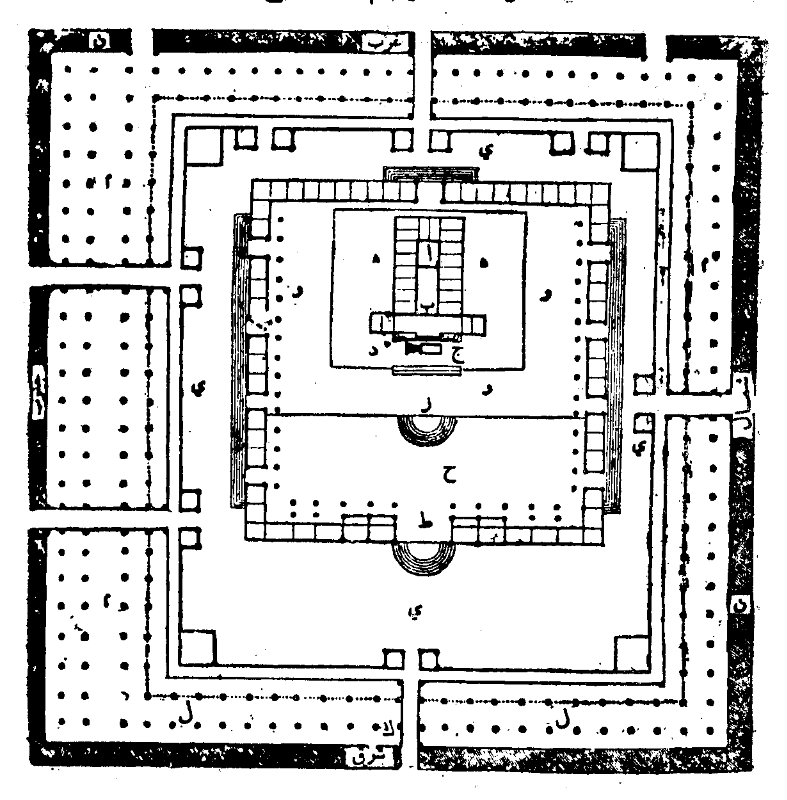
***

---

(٢٢) ورد هذا في سفر الخروج وقد استرشدنا بتفسير : السنن القويم . ومرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين .

صفحة بالزنكو غراف من كتاب مرشد الطالبين

صورة الهيكل في ايام السيد المسيح



معنى الاشارات في هذه الصورة

ا قدس الاقداس	ح دار النساء
ب القدس	ط الباب الجميل اع ٣: ٢
ج مذبح المحرقة	ي دار الامم
د مرحضة النحاس	ك الباب الشرقي
ه دار الكهنة	ل رواق سليمان يو ١٠: ٢٣ واع ٣: ١١
و دار اسرائيل	م الرواق السلطاني
ز باب نيكانور	ن الحائط الخارجي

هذا هو بيت الله . كان بنو لاوى يشتركون فى حمله واقامته فى أى مكان حلوا فيه بالاضافة الى انتشارهم فى كل مكان ليعلموا التـــوراة . أما بنو هارون خاصة من ســـائر سبط لاوى فان فى التوراة عنهم « وأما هرون وبنوه فكانوا يوقدون على مذبح المحرقة ، وعلى مذبح البخـــور مع كل عمل قدس الأقداس وللتكفير عن اسرائيل . حسب كل ما أمر به موسى عبد الله » (أخبار الأيام الاول ٦ : ٤٩) وفى عهد داود عليه السلام نظم هو عمل بنى لاوى بعد استقرار الملك فى أورشليم ، واستقرار الخيمة . وجعل بنى موسى عليه السلام من العلماء العاديين كأى عالم من بنى لاوى « وأما موسى رجل الله فدعى بنوه مع سبط لاوى » (أخبار الأيـــام الأول ٢٣ : ١٤) .

ثم قال داود : « قد أراح الرب اله اسرائيل شعبه فسكن فى أورشليم الى الأبد » ويتحدث كاتب سفر الأخبار الأول عن عمل اللاويين بعد تنظيم داود فيقول « كانوا يقفون بين يدى بنى هرون على بيت الرب فى الدور والمخادع ، وعلى تطهير كل قدس ، وعمل خدمة بيت الله . وعـــلى خبز الوجوه ودقيق التقدمة ورقاق الفطير ، وما يعمل على الصاج والمربوكات وعلى كل كيل وقياس . ولأجل الوقوف كل صباح لحمد الرب وتسبيحه وكذلك فى المساء ، ولكل اصـــعاد محرقات للرب فى السبوت والأهلة والمواسم بالعدد حسب المرسوم عليهم دائما أمام الرب ، وليحرسوا حراسة خيمة الاجتماع وحراسة القدس ، وحراسة بنى هرون اخوتهم فى خدمة بيت الرب » (٢٣ : ٢٦ — ٣٢)

ومن أجل هذا وصى موسى أن لا يكون لسبط لاوى نصيب فى أرض كنعان . لا يزرعون ولا يحصدون . بل يعيشون على التبرعات والنذور ، ليتفرغوا لعملهم . فقد قال عنهم « لا يكون للكهنة اللاويين كل ســـبط لاوى قسم ولا نصيب مع اسرائيل . يأكلون وقائد الرب ونصيبه فلا يكون له نصيب فى وسط اخوته . الرب هو نصيبه كما قال له » (تثنية ١٨ : ١ — ٢) .

* * *

هذا بيان نسبهم وعملهم . فأين عملهم الآن ؟ أين الخيمة ؟ وأين الهيكل ؟ لقد حل الهيكل محل الخيمة . وهدم الهيكل الى الأبد .

لقد وضع داود النبى — عليه السلام — أساس الهيكل فى «أورشليم» ليحل محل خيمة الاجتماع ، ولما ورث سليمان داود أكمله وحسنه وجعله زينة للناظرين . وفى أيام النبى عيسى — عليه السلام — « كان قوم **يقولون عن الهيكل : انه مزين بحجارة حسنة وتحف** » فرد عليهم بقوله : « هذه التى ترونها ستأتى أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا ينقض » وبين لهم أن أورشليم نفسها ستخرب بعد رفعه الى السماء مع خراب الهيكل فى قوله : « ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ أعلموا انه قد اقترب خرابها » ويقول لوقا فى نهاية هذا الحديث عن المسيح : « وكان فى النهار يعلم فى الهيكل ، وفى الليل يخرج ويبيت فى الجبل الذى يدعى جبل الزيتون . وكان كل الشعب يبكرون اليه فى الهيكل ليسمعوه » (لوقا ٢١) ومعنى ذلك : أن الهيكل كان مركزا دينيا عظيما أيام المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . **فكيف يقول ابن كمونة بذهاب النبوة قبل ذلك الزمان** بثلاثمائة سنة أو يزيدون ؟ كيف وقد اعترف الشعب اليهودى بنبوة عيسى ونبوة يحيى — عليهما السلام — ؟

يقول متى عن المسيح : « ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة : من هذا ؟ فقالت الجموع : هذا يسوع النبى » (مت ٢١ : ١٠ — ١١) ويقول متى عن يحيى : « لأن يوحنا كان يعد عند جميعهم نبيا » (مت ٢١ : ٢٥ — ٢٦ ترجمة اليسوعيين)

وكيف يقول بذهاب الملك من اليهود قبل المسيح عيسى بزيادة على أربعمائة سنة ؟ مع أن الملوك على اليهود بعد الرجوع من بابل كانوا — كما يقول — من بنى حشموناى وهم هارونيون من سبط لاوى .

فابن كمونة حين يقول بانقطاع النبوة من بنى اسرائيل قبل عيسى بما يزيد على ثلاثمائة سنة . يقول منكرا من القول وزورا ، لأن المقصود

من نبوءة يعقوب ليست النبوة وحدها ، بل والعلماء أيضا الذين يرسمون للناس حياتهم . ولقد كان عيسى ويحيى نبيان فى وقت واحد ، وزكريا من قبل يحيى . وكان علماء من بنى اسرائيل يعيشون من بعد رفع المسيح سواء من آمن به ، أو من صد عنه . وظل هيكل سليمان عامرا بالعلماء الى سنة ١٣٢ بعد الميلاد سنة هدم ادريانوس لهيكل سليمان ، ثم تفرقوا أيدى سبا ، وتخلت عنهم الشيع .

***

وبعدما نقضنا اجتهاد « ابن كمونة » ونقدنا حججه ، نتجه الى كتب التاريخ لننقل منها ما يدل على شعور علماء بنى اسرائيل فى ذاك الزمان ، عن زوال بركة اسرائيل الى الأبد .

فى كتب تواريخ بنى اسرائيل : انه كان لدى اليهود شعور عام ، لا يعرفون له سببا بزوال الملك منهم والشريعة بعدما رفع المسيح عيسى بن مريم الى السماء .

ومرد هذا الشعور — الذى لا يفصحون عن سببه — وهم يعرفونه جيدا — الى الفهم الذى يفهمونه من بركة اسماعيل — عليه السلام — فان له ملكا كملكهم ، ومنه نبى سيأتى كما كان فيهم موسى نبيا مشرعا ، ولابد من بدء ملكه فى يوم من الأيام على يد النبى الآتى من ذريته لأن وعد الله لا يتخلف . ولما جاءهم عيسى بالبينات . وعرفوا من أقواله أنه غير ناسخ للتوراة ، أدركوا أن النبوة ماتزال فيهم ، ولما رفع الى السماء والدولة فى الاضمحلال ، وتسير من سيىء الى أسوأ وقد عرفوا من تبشيره أن ملكوت محمد قد اقترب حينه ، أدركوا أن ملكهم قد أوشك على الانتهاء ، وأن عيسى عليه السلام كان هو النبى الأخير من أنبيائهم .

جاء فى كتب التواريخ :

انه بعد عيسى عليه السلام جاء (تيطس) الرومانى عام ٧٠م الى

اليهود وشدد عليهم الحصار فمات منهم نحو مليون نفس . وهذا يدل على كثرتهم فى ذلك الوقت . وشدة بأسهم . يقول شاهين مكاريوس: « وكان تيطس هذا قائدامدربا . ذاق منه اليهود الأمرين ، ولقى منهم المقاومة والدفاع والثبات فى الحرب والحصار مما كاد يثنيه عن عـــزمه من اخضاعهم لكنه ثابر على منازلتهم بالجنود الرومانية المشهورة ، ومنى اليهود بالانقسام الداخلى والفتن والمنازعات بينهم ، حتى ضعف أمرهم وتقلص ظلهم ، وتقوى تيطس عليهم فمزق شـــملهم ودخل أورشليم فدكها دكا ودمرها تدميرا . **ومات من اليهود فى ذلك الحصار نحو مليون نفس** . فسالت الدماء كالأنهار . وأبدى اليهود من البسالة ما لو كان لهم مثله من الوفاق والوئام لقهروا تيطس وجيوشه » (٢٣) .

ثم يقول : ان فئة من اليهود نما عددها ، وكثروا بعد ثلاثين سنة فأحدثوا شغبا على روما فقضت عليهم « وبعد خراب أورشليم على يد تيطس ظل قسم من اليهود فى بلاد اليهودية ، ولم يمر بهم ثلاثون ســـنة حتى تقدموا وازداد عددهم وأثروا وأفلحوا . ولكن حب الثورة عاودهم فانتقضوا على الرومان مرة ثانية فى بلدان مختلفة كقيروان وقبرص وما بين النهرين وفلسطين . وذلك بين سنة ١١٥ وسنة ١٣٠ بعد الميلاد . ولكن الرومان قهروهم وأثخنوا فيهم قتلا وذبحا ونهبا وأصبحت اليهودية قفرا بلقعا . فبلغ عدد المدن الخربة والقرى ٩٨٥ وهدم ٥٠ حصنا وأبـــدل اسم أورشليم **وحظر على اليهود السكن فيها** » (٢٤) .

ويذكر يوسيفوس فى تاريخه : أن تيطس ما كان يريد هدم الهيكل ولاخراب أورشليم . وكان خائفا من الله تعالى ان فعل ذلك . وقـــد **نصح اليهود بأن لا يدفعوه الى الحرب** .

ولكنهم لم ينتصحوا . ومن يقرأ الحوار الذى جرى بين تيطس ،

---

(٢٣) ص ٧١ تاريخ الاسرائيليين .
(٢٤) ص ٧٧ تاريخ الاسرائيليين .

وبين اليهود قبل الحرب يتبين له : أن الحرب قضاء أزلى سبق فى علم الله تقديره لأمر يريده . وهذا نصه كما ذكره يوسيفوس :

« يا معشر اليهود : أخبرونى ما الذى يدعوكم أن تجلبوا الخراب على هذا الموضع المقدس ، وأمكم على مخالفتنا ومنازعتنا ؟ فان كنتم انما تفعلون ذلك اجلالا لهذا البيت واشفاقا عليه من الخراب . فقد علمتم انى لا أريد خرابه ، وأنى ما جئت لذلك . على أنكم قد دنستموه وبذلتموه لكل نجس . ولم تجلوه ، ولم تكرموه ، وأكثرتم فيه من سـفك الدماء وارتكاب المحارم . وهذا اليوم هو لكم عيد جليل . وهو ذا قد اشتغلتم فيه بمحاربة بعضكم بعضا ، وأهملتم بواجب ما يتعين عليكم من حق العبد . فان كان قصدكم أن تظهروا شدة بأسكم ، ووفور شجاعتكم فاخرجوا خارج المدينة الى الصحراء حتى نحاربكم . وهناك أظهروا عالى مآثركم ورفيع هممكم الى أن يغلب منا من غلب .

ووقروا قدس الله ، ونزهوه عن الحرب ، ولا تنجسوه بسفك الدماء ، ولا تعطلوا منه القرابين والعبادة . فانا لا نريد ذلك ولا نختاره ، ولا نقصد محاربتكم من أجله . وانما نحاربكم من أجل مقاومتكم لنا ومحاربتكم ايانا . فان كنتم قد عجزتم عن القتال فانزلوا على حكمنا واقبلوا أمرنا .

فقال له يوحانان : أعلم أيها الملك أنه ليس لنا قرابين نقربها فى هذا الهيكل أجل من لحومنا ودمائنا . ونحن نختار أن نبذل مهجنا ونسفك دماءنا فيه . ونستبسل فى محاربتنا عنه . معتقدين أن ذلك لنا قربانا مرضيا وضحية مقبولة .

قال تيطس : كيف تطمعون أنفسكم أنكم تكونون عند الله كالقرابين المرضية اذا قتلتم فى قدسه . وأنتم قد عصيتموه وأغضبتموه بما ارتكبتموه من الأفعال ؟ وهل يقبل الله عز وجل من الضحايا والقرابين الا ما كان سالما من كل عيب ؟

فأنتم هؤلاء قد اجتمعت فيكم المساوىء والمعايب . وليس يجب قتالكم عن هذا الهيكل اعزازا له . وتستحقون أن توصفوا بفضيلة البأس والشجاعة . لأن الشجاع انما يقاتل عن مدينته وقومه لمعونتهم ويمنع عنهم الأذى ؟ ليس ليهلكهم ويخرب مدينتهم . أيرضى أحدكم أن تؤخذ مائدته من قدامه بغير رضاه ؟ فاذا كنتم لا تختارون ذلك ولا ترضونه . فكيف استجزتم أن تعطلوا قرابين الهكم من هيكله وجعلتم فيه عوضا عن ذلك قتلا وجثث موتى وسفك دماء ؟

وقد أخبرتكم أننى ما قدمت اليكم لأقاتلكم ، ولا لأخرب مدنكم ، **ما جئت الا لكى أدعوكم الى مسالمتنا** ، والرجوع الى ما كنتم عليه من طاعتنا . وقد ظهر لكم اشفاقنا عليكم وايثارنا الخير لكم مع مخالفتكم ايانا ، ومحاربتكم لنا . مما لم يكن غيرنا من الأمم يفعله بكم ، ولا يريده لكم . ولعمرى ان هذه السجية سجيتنا . ومثل هذا المذهب مذهبنا وطريقتنا مع جميع من قاومنا وخالفنا وشق العصا علينا . وذلك أنا لما ظفرنا بهم أحسنا اليهم ، وعفونا عنهم .

وقد علمتم أن ملككم (يكنيا) لما حاصره (بختنصر) (٢٥) ملك بابل خرج اليه مستأمنا . وسلم نفسه وجميع أهله اليه . لاشفاقه على المدينة وعلى القدس من الخراب وعلى قومه من الهلاك فانتفع بذلك ونفع رعيته وسلم وسلموا . وأما (صدقيا) الملك لما لج فى مخالفة الملك (بختنصر) ولم يسر اليه كما أشار عليه ارمياء النبى ، أهلك المدينة والأمة والقدس(٢٦) ولم يسلم .

---

(٢٥) فى بعض النسخ من التوراة : نبوخذ ناصر ــ نبوخذ راصر ــ نبوكد ناصر ــ بختنصر .

(٢٦) لاحظ أن الاهلاك لم يكن شاملا ، والسبى الى بابل لم يكن للكل . لقد تركوا الكرامين والفلاحين « ولكن رئيس الشرط أبقى من مساكين الأرض كرامين وفلاحين ... الخ » (**الملوك الثانى ٢٥ :** ١٢ ــ ٢٤) [*]

فسبيلكم أن تعتبروا بهذين الملكين فتقتدوا بأصوبهما فعلا ، وأحمدهما عاقبة ولا تلجوا فى المخالفة التى قد تبين لكم مضرتها ، وسوء عاقبتها . فرجوعكم الى ما كنتم عليه من طاعتنا أجود ، ونحن نرجع الى أفضل مما كنا عليه من الاحسان اليكم والاشفاق عليكم وصنيع الجميل معكم .

وها أنا أعاهدكم عهدا مجددا ، قدام اله هذا البيت ، وأجعله الشاهد على وعليكم وأضمن لكم ان أطعتم حسن الصنيع اليكم ، والعفو عن جميع ما تقدم منكم ، ومعاملتكم بالجميل الذى عهدتموه قبل أن تعصونا . وأعطيكم يوسيفوس الكاهن وجماعة من وجوه أصحابى يكونون رهائنى عندكم ، حتى تسكن أنفسكم الى قولى ، وتثقوا بى ، وبعهدى وضمانى . فاقبلوا نصحى لكم ، واكتفوا بما جرى عليكم ، وارجعوا الى ما كنتم عليه من طاعتنا ليحسن حالكم وحال بلدكم ، وتعود قرابينكم وعبادتكم الى ما كانت عليه .

وقد جعلت كلامى هذا حجة عليكم ، واعتذارا الى الله عز وجل فى أمركم (٢٧) »

***

يوسيفوس يذكر اليهود بنبوءات دانيال

عن محمد صلى الله عليه وسلم

ومن شواهد التاريخ : أن دانيال النبى فى سفره قد حدد الوقت المعين لانتهاء الملك والشريعة من بنى اسرائيل فى حديث طويل مذكور فى الاصحاح الثانى والسابع والتاسع من سفره ، وفى أثناء حرب تيطس ذكر يوسيفوس علماء بنى اسرائيل بنبوءات دانيال وبين لهم أن الحرب تمهيد لمجىء النبى الذى تنتظره الأمم . يقول يوسيفوس : « انى لست أعجب

---

(٢٧) ص ٢٩٤ — ٢٩٧ تاريخ يوسيفوس .

من خراب هذا البيت ، وهذه المدينة لعلمى أن مدتهما قد انتهت ، لكنى أعجب منكم وأنتم تقرأون كتاب النبى المعظم دانيال • وتعلمون ما ذكره من ابطال القرابين ، وعدم الكاهن المسيح ، وزوال المسحة ، وترون ذلك قد صح وثبت ، وأنتم بعد ذلك لا تخضعون لله عز وجل ، ولا تستسلمون » .

ثم يقول يوسيفوس : أن جماعة من العلماء والأعيان قد فهموا ذلك فلم يحاربوا ،يقول : « ان جماعة من الكهنة ومن كبراء اليهود خرجوا فى ذلك اليوم الى تيطس فأمنهم وأحسن اليهم ، ومنع الروم من أذيتهم»(٢٨)

ويقول يوسيفوس فى تاريخه : انه كان لدى اليهود فى ذلك الوقت شعور عام . بخراب الهيكل قبل أن يخربه تيطس .

يقول « ظهر بعد ذلك على بيت القدس فى الهواء ، صورة وجه انسان شديد الحسن عظيم الجمال والبهاء ، ساطع النور والضياء ، وظهر فى الجو أيضا فى تلك الأيام صور ركبان من نار ، على خيل من نار ، يطيرون فى الهواء ، قريبا من الأرض ، وكان ذلك يرى على أورشليم ، وعلى جميع أرض اليهود ، وبعد ذلك سمعت الكهنة فى القدس ليلة عيد العنصرة (٢٩) : حس جماعة كثيرة يذهبون ويجيئون ويمشون ويذهبون فى الهيكل من غير أن يروا شخص أحد ، بل كانوا يسمعون حسهم فقط ، ثم كانوا يسمعون صوتا عظيما يقول : امض بنا حتى نرحل من هذا البيت » (٣٠)

وأعتقد بعد هذا الذى ذكرته : أن من جاء من الأنبياء بعد خراب

---

(٢٨) ص ٢٩٨ تاريخ يوسيفوس .

(٢٩) عيد العنصرة : أمر الله بنى اسرائيل فى التوراة اذا حصدوا زرعهم أن يأتى كل زارع بحزمة أول الحصيد الى الكاهن ليرضى الله عنه . ويبارك فى زرعه . ثم يحسب الزارعون سبعة أسابيع من باكورة الحصيد ، ويجتمعون معا فى يوم واحد للفرح والسرور « لاويين ٢٣ : ٩ — ٢٢ ».

(٣٠) ص ٢٢٩ تاريخ يوسيفوس .

الهيكل وتدمير أورشليم أحق بالنبوءة ممن كان حيا وقت عمارة الهيكل وتعمير أورشليم . خاصة وقد روى عنه يوحنا أنه رفض الملك وقد روى عنه متى تصريحه بعدم نسخ الشريعة .

ومن شواهد التاريخ : أنه فى كتاب « التلمود » شواهد على زوال الملك من بنى اسرائيل ، فى الزمان الذى سيولد فيه محمد ﷺ . وكتابه يصرحون بزواله فى ذلك الوقت ، **ويعبرون عنه بعصر « المسيا »** ولكنهم لا يصرحون بزواله على يد رسول الله . ففى التلمود البابلى : يقول الرابى « شارينا » عن عصر المسيا : « بعد أربعمائة سنة من خراب الهيكل ، ان قال لك واحد : اشتر منى فدانا بنصف دينار ، لا تشتر منه . أو بمعنى آخر : بعد انقضاء أربعة آلاف سنة ومائتين وواحد وثلاثين من السنين بعد خلق العالم ، ان قال واحد : اشتر منى فدانا من الأرض بنصف دينار ، لا تشتر منه » لماذا ؟ لماذا فى هذا الوقت بالذات ؟ هل لأن القيامة ستقوم وتنتهى الحياة الدنيا ؟ كلا . فان العبرانيين لا يصرحون بالقيامة والبعث من الأموات . وقد خرب الهيكل فى سنة مائة واثنين وثلاثين على يد « أدريانوس » واذا أضفنا عليهم أربعمائة سنة . فان المدة تكون خمسمائة واثنين وثلاثين . ومحمد ﷺ ولد فى خمسمائة وسبعين . فالزمان قريب منه . ولو كان « المسيا » من بنى اسرائيل لباعوا واشتروا فى مجيئه بأثمان عالية . ولأنه ليس منهم ، ودعوا الدنيا وبكوا عليهم بقولهم : « لأن هذا ميعاد رجوعك الى الجبال المقدسة ، فعلام تدفع ثمنا فيما سترثه مجانا » (٣١) وهذا سبب وهمى . فان عكسه هو مرادهم .

---

(٣١) ص ١٤٩ الأخلاقيات فى محيط الفكر والديانات ـ للدكتور عزت زكى ـ ولاحظ حساب رجسة خراب دانيال الذى ذكرناه فى مبحث علامات ابن الانسان فى الباب الثانى من هذا الكتاب ، فصل ابن الانسان .

ومن كلام دانيال عن مجيء النبي ﷺ ، قوله للملك « نبوكد ناصر » عن الحلم الذي رآه :

(٣١) « **انك أيها الملك رأيت فاذا بتمثال عظيم . كان هذا التمثال** الكبير والكثير البهاء ، واقفا أمامك وكان منظره هائلا (٣٢) وكان رأس التمثال من ذهب خالص . وصدره وذراعاه من فضه . وبطنه وفخذاه من نحاس (٣٣) وساقاه من حديد . وقدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف (٣٤) **وفيما أنت راء ، اذ انقطع حجر لا باليدين ، فضرب التمثال** على قدميه اللتين من حديد وخزف وسحقهما (٣٥) فانسحق الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا ، وصارت كعفى البيدر فى الصيف . فذهبت بها الريح ولم يوجد لها مكان . أما الحجر الذى ضرب التمثال ، فصار جبلا كبيرا وملأ الأرض كلها .

(٣٦) هذا هو الحلم .

أما تعبيره . فنخبر به أمام الملك :

(٣٧) أنت أيها الملك ملك الملوك . لأن اله السماء ، آتاك الملك والقدرة والسلطان والمجد (٣٨) وكل ما يسكنه بنو البشر ووحوش البر وطيور السماء ، جعله فى يدك وسلطك على جميعه . فأنت الرأس الذى من ذهب (٣٩) . وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك . ثم مملكة ثالثة أخرى من نحاس فتتسلط على كل الأرض (٤٠) . ثم مملكة رابعة تكون صلبة كالحديد ، لأن الحديد يسحق ويطحن كل شىء ، فكما أن الحديد يحطم ، كذلك هى تسحق وتحطم جميع تلك (٤١) وما رأيت من أن القدمين والأصابع بعضها من خزف الفخار والبعض من حديد فهو أن المملكة تكون منقسمة ويكون فيها من قوة الحديد . فلذلك رأيت الحديد مختلطا بخزف من الطين (٤٢) فكما أن أصابع القدمين بعضها من حديد وبعضها من خزف ، فكذلك يكون بعض المملكة صلبا والبعض قصفا (٤٣)

وما رأيت من أن الحديد مختلط بخزف الطين ، فهو أنهم يختلطون بذرارى من البشر ، ولكن لا يلتحم هذا بذاك ، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف.

(٤٤) وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لا تنقض الى الأبد ، وملكه لا يترك لشعب آخر ، فتسحق وتفنى جميع تلك الممالك . وهي تثبت الى الأبد .

(٤٥) أما ما رأيت من أن حجرا انقطع من الجبل ، لا باليدين ، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب ، فهو أن الاله العظيم أعلم الملك ما سيكون بعد ذلك .

الحلم حق ، وتعبيره صدق » (دانيال ٢ : ٣١ ــ ٤٥ كاثوليك)

وفى هذا الحلم نجد فى التمثال الهائل : ١ ــ رأس من ذهب ٢ ــ وصدر من فضة ٣ ــ وفخذان من النحاس ٤ ــ وساقان من حديد ٥ ــ وقدمان من حديد وخزف ٦ ــ والحجر الذى ضرب التمثال .

وقد فسر دانيال الحلم بممالك تقوم على الأرض ثم تزول الى أن تأتى المملكة المرموز لها بالحجر .وتظل الى الأبد ، وملكها لا يترك لشعب آخر ، أى لا يأتى ناسخ لكتابها ولا مذل لأتباعها . وفي هذا الحلم ممالك أربع : الأولى : مملكة الكلدانيين . والثانية : مملكة الفارسيين . والثالثة : مملكة اليونانيين . والرابعة : مملكة الرومانيين . ويقول النصارى : ان رمز الحجر يشير الى مملكة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . مع أن المسيح قد ولد بعد احتلال الرومانيين لفلسطين بثلاث وستين عاما . وظل الرومان من بعده فيها الى أن جاء محمد ﷺ . وتسلم المسلمون من الرومانيين أرض الشام كلها . والمسيح أيضا لم يحارب ولم يؤسس مملكة لا تنقض الى الأبد.

يقول اليسوعيون ما نصه فى التعليق على كلام دانيال :

« ٣٩ مملكة أخرى أصغر منك . هى مملكة ماداى وفارس . وكانت

دون مملكة بابل اتساعا واقصر مدة واضعف شوكة . ثم مملكة ثالثة هى مملكة اليونان التى أسسها الاسكندر الكبير (٤٠) **ثم مملكة رابعة . هى المملكة الرومانية** ، التى حطمت كل مملكة قبلها فى أوربا وافريقية واكثر آسية ٤٤ و ٤٥ هذه المملكة مملكة المسيح . وهذا الحجر هو يسوع المسيح ، المولود من عذراء ، والذى أقام مملكته على الأرض بغير مؤازرة قـوة بشرية . وقد كسر قائمتى التمثال العظيم (انظر الآية ٣١ ــ ٣٤) أى قاعدة المملكة الرومانية ذات العبادة الوثنية » أ. هـ.

وسنوضح بطلان كلامهم فى فصل ملكوت السموات باذن الله وعونه .

* * *   * * *   * * *

وقد ذكر الله عز وجل فى القرآن الكريم : أن ملك بنى اسرائيل وشريعتهم قد زالا بظهور الاسلام . وبين الله عز وجل : أن كل أنبياء بنى اسرائيل الذين ظهروا من بعد موسى عليه السلام كانوا على شريعته . فقد حكى على لسان الجن قولهم « انا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى ، مصدقا لما بين يديه ، يهدى الى الحق والى طريق مستقيم » (الأحقاف ٣٠) وهذا يعنى أن عيسى بن مريم عليه السلام لم يكن صاحب شريعة منفصلة عن شريعة موسى عليه السلام ، والا قالوا : من بعد عيسى .

ويقول الله عز وجل : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هـو السميع البصير . وآتينا موسى الكتاب ، وجعلناه هدى لبنى اسرائيل : ألا تتخذوا من دونى وكيلا . ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا . وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الأرض مرتين ولتعلن علوا كبيرا . فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديد فجاسوا خلال الديار ، وكان وعد مفعولا . ثم رددنا لكم الكرة عليهم . وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيرا . ان أحسنتم احسنتم لأنفسكم وأن أسأتم فلها . فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا . عسى ربكم أن يرحمكم وان

عدتم عدنا . وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا . ان هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم » (الاسراء ١ — ٩)

فقد قرن بين المسجد الحرام — رمز الشريعة الاسلامية الناسخة للشريعة الموسوية — وبين المسجد الأقصى — رمز الشريعة الموسوية التى زالت — وقرن بين كتاب موسى — عليه السلام — الذى بدأت به بركة اسحق — عليه السلام — وبين القرآن الكريم كتاب محمد — ﷺ — الذى بدأت به بركة اسماعيل — عليه السلام — وبين أنه سيكون لليهود من بعد الاسلام فساد كبير وعلو كبير ، وأن المسلمين سينهون فسادهم وعلوهم من أرض فلسطين التى بارك فيها الله للعالمين .

وفى القرآن الكريم « أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ؟ اذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد الهك ، واله آبائك : ابراهيم واسماعيل واسحق ، الها واحدا ، ونحن له مسلمون . تلك أمة قد خلت . لها ما كسبت ولكم ما كسبتم . ولا تسئلون عما كانوا يعملون »

فقد قرن الله عز وجل بين أمتين اثنتين . واحدة قد خلت وهى أمة بنى اسرائيل ، وأخرى باقية هى أمة بنى اسماعيل . وقد قال الله هذا القول بعد حديثه مباشرة عن بركة اسماعيل ليدل به على أن أمة بنى اسرائيل قد زال ملكها وزالت شريعتها . على يد النبى الآتى من اسماعيل للبركة .

يقول تعالى : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل . ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم . ربنا واجعلنا مسلمين لك . ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا ، وتب علينا : انك أنت التواب الرحيم . ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم . انك أنت العزيز الحكيم . ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه . ولقد اصطفيناه فى الدنيا . وانه فى الآخرة لمن الصالحين . اذ قال له ربه : أسلم قال : أسلمت لرب العالمين . ووصى

بها ابراهيم بنيه ويعقوب : يا بنى . ان الله اصطفى لكم الدين ، فــلا تموتن الا وانتم مسلمون . أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت ؟ اذ قال لبنيه : ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا : نعبد الهك واله آبائك : ابراهيم واسماعيل واسحق . الها واحدا . ونحن له مسلمون . تلك أمة قد خلت . لها ما كسبت ولكم ما كسبتم . ولا تسئلون عما كانوا يعملون » (البقرة ١٢٧ — ١٣٤) .

وبذلك تكون نبوءة شيلون متطابقة مع القرآن الكريم .

الفصل الثالث

فى

النبى الأمى

تمهـــــد :

بينا من قبل : أن الله ــ تعالى ــ وعد ابراهيم النبى ــ عليه السلام ــ بأن تتبارك الأمم فى نسله . ووعد الله لابد كائن ، وأن الله قد اختار لتحقيق هذا الوعد : نسل اسماعيل ونسل اسحق عليها السلام ، ففى التوراة يقول الله لابراهيم عن اسماعيل : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه » وفيها يقول الله لابراهيم عن اسحق : « سارای امرأتك لا تدعو اسمها : ساراى ، بل اسمها سارة ، وأباركها » وهى لم تنجب غير اســـحق وقـــد اصـــطفى الله من نســـل اســـحق : ولـــده يعقوب لتحمـــل ذريتـــه البركـــــة الى الأمـــم نيـــابة عن بنى اســـــحق جميعا ، حتى يأتى دور بنى اسماعيل . ففى التوراة يقول الله ليعقوب ــ عليه السلام ــ : « أنا الرب اله ابراهيم أبيك ، واله اسحق . الأرض التى أنت مضطجع عليها ، أعطيها لك ولنسلك . ويكون نسلك كتــراب الأرض ، وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا . ويتبارك فيك ، وفى نسلك جميع قبائل الأرض » .

وقد بينت التوراة أوصاف النبى الآتى من بنى اسماعيل لتتبارك الأمم فى نسله كما تباركت من قبل فى نسل بنى اسحق . بينت أنه : نبى ومن بين اخوة بنى اسرائيل ــ أى من بنى اسماعيل ــ ومثل موسى . وناسخ لشريعة موسى . وأنه نبى أمى لا يقرأ ولا يكتب ، وأمين عـــلى

الوحى . وسوف يقضى على بنى اسرائيل اذا لم يؤمنوا برسالته . ولن يقتل . وسوف يتحدث عن أمور غيبية وتحدث فى مستقبل الأيام (١) .

ولأن اليهود لا يودون أن ينزل على الناس خير من ربهم حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ، زعموا : أن هذا النبى المنتظر الى الآن لم يأت ، واذا أتى فانه سيكون من بنى اسرائيل أنفسهم . وهذا منهم تحريف للكلم عن مواضعه . لأن التوراة نصت على انه لن يأتى فى مستقبل الأيام نبى من بعد موسى مماثلا له . وحيث نصت شريعة موسى على أن المماثل لموسى لن يكون من بنى اسرائيل . وحيث نصت شريعة موسى على أن بركة الله للامم فى نسل ابراهيم ، هى على حد سواء : بين بنى اسماعيل وبين بنى اسرائيل ، فان النبى المنتظر الذى وعد به موسى مماثلا له : هو نبى الاسلام ﷺ . اذ لم يأت من نسل اسماعيل نبى ذو شريعة الا هو .

وهذا هو النص الذى يمنع قيام نبى من بنى اسرائيل كموسى ، فى التوراة العبرانية : « ولم يقم بعد نبى فى اسرائيل مثل موسى الذى عرفه الرب وجها لوجه . فى جميع الآيات والعجائب ، التى أرسله الرب ليعملها فى أرض مصر ، بفرعون ، وبجميع عبيده ، وكل أرضه وفى كل اليد الشديدة ، وكل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام أعين جميع اسرائيل »

---

(١) نستدل نحن المسلمين على صحة نبوة محمد — ﷺ — ورسالته بأمور ستة : ١ — اعجاز القرآن ٢ — الاخبار عن المغيبات ٣ — المعجزات الحسية (على رأى من يثبتها) ٤ — تنبؤات التوراة والانجيل عنه ٥ — انتفاع أهل الدنيا بدعوة محمد — ﷺ — أكمل من انتفاع سائر الأمم بدعوة سائر الأنبياء . وحيث أنهم به انتفعوا اذن يكون نبيا لأنه قدر على الكمال فى نفسه — بمعرفة الله وطاعته وقدر على تكميل الغير — ٦ — قد اجتمع لمحمد — ﷺ — عدة أمور لا يجتمع مثلها الا لنبى مثل المعجزات ومثل صفاته وقرائن أحواله منذ الصغر فلم يكذب ولم يخن .. الخ . واعجاز القرآن هو المعتمد ، وسائر الأمور بالتبع للاعجاز (محصل أفكار المتقدمين — للرازى)

(التثنية ٣٤ : ١٠ — ١٢) وهذا هو النص فى التوراة السامرية : « ولا يقوم أيضا نبى فى اسرائيل كموسى الذى ناجاه الله شفاها بجميع الآيات والمعجزات التى أرسله للفعل الى أرض مصر بفرعون وبكل عبيده وبكل أرضه وبكل اليد الشديدة ، وبكل المناظر العظيمة التى صنع موسى بمشاهدة كل اسرائيل » .

والذين يعترفون بأن التوراة من كتابة موسى نفسه . يقولون مع السامريين : حقا لا نبى من بعد موسى مماثلا له من بنى اسرائيل الى الأبد . والذين يقولون بأن التوراة من صنع الربانيين والأحبار فى (بابل) سيقولون ان الكاتب يقول : حتى زمنى هذا وأنا فى بابل « لم يقم بعد نبى فى اسرائيل مثل موسى » وهو يشير بذلك الى بنى اسرائيل أن يترقبوا ظهوره من بعد ذلك الزمان . وقولهم يلزمهم بأن التوراة محرفة — **وهم لا يعترفون للعوام بأنها قد حرفت —**

وأيا ما كان الأمر . سواء كان القائل هو موسى ، أو كان هو الكاتب فى مدينة « بابل » — وهو الصحيح — فانه لن يأتى فى المستقبل **نبى مماثل لموسى ، الى الأبد . لثبوت بركة فى نسل اسماعيل — عليه السلام — .**

ويقول اليهود : **الى الآن لم يظهر هذا النبى . وإذا ظهر سيكون من بنى اسرائيل . ويقول النصارى : ان ذلك النبى هو عيسى وقد جاء ولا نبى من بعده الى يوم القيامة . ونقول نحن المسلمين : انه هو نبى الاسلام — ﷺ — وأنه خاتم النبيين وإذا ظهرت الأوصاف منطبقة على نبى الاسلام — ﷺ — فلا داعى لأن ينتظر اليهود آخر . وعليهم أن يعتنقوا شريعته حتى لا يبوءوا بغضب من الله . وعلى النصارى مثل ذلك لئلا يكونوا من الضالين .** واليهود السامريون يقولون : ان عدم ظهور نبى فى المستقبل مماثل لموسى فى بنى اسرائيل هو أمر مسلم به صراحة . يقول أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى وهو يحكى عن الخلافات بين السامريين والعبرانيين « فقد منعت

الشريعة الموسوية أن يقوم بعد موسى نبى بقوله ... الخ » (٢) ويقول العبرانيون : ان المثلية الممنوعة لنبى من بنى اسرائيل هى فى صفة واحدة فقط وهى : « الكلام المباشر بين الله ، وبين موسى » . يقول ابن كمونة : « وأما النبى الذى يقيمه الله من اخوة بنى اسرائيل . فالمراد بذلك : أنه يكون منهم ، لأنه أكثر ما وردت لفظة « اخوتكم » فى مخاطبة بنى اسرائيل (يعنى) بها : من هو منهم ، الا فى النادر . مثل قوله : «اخوتكم بنى عيسو » وقوله : « لايقوم نبى من بنى اسرائيل كموسى » أريد به : فى كونه خوطب شفاها من غير واسطة فى كل شىء » (٣) وابن كمونة يحرف الكلم عن مواضعه لأن النص لا يفيد ذلك . **وانما يفيد المثلية فى أمور ثلاثة :**

الأمر الأول : جميع الآيات والعجائب أمام المصريين وفرعون . والأمر الثانى : كل اليد الشديدة . أى الحروب والانتصار على الأعداء . والأمر الثالث: كل المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام أعين جميع بنى اسرائيل . ولا ينبغى أن نمر على الأمور الثلاثة بغير توضيح وبيان ، فانها من الأهمية بمكان لدرجة أن اليهود أطلقوا على هذا النبى لقب « المنقذ » أو « المخلص » لأنه سيكون صاحب عجائب كما كان موسى من قبل .

وقبل التوضيح والبيان نبين : أن الأمم السابقة كانت تطلب من الأنبياء والرسل معجزات تدل على أنهم آتون من قبل الله ونبين أن رسول الله ﷺ نبى ورسول اتى الى أمة أمية لتنطلق برسالته الى الأمم . فهل **كانت له معجزات حسية كمعجزات الأنبياء والرسل السابقين عليه ، أم لا ؟**

لقد كانت الأمم السابقة تطلب معجزات ، اى تطلب أمورا من النبى أو الرسول خارقة للعادات التى ألفوها فى الحياة الدنيا . فان حصل الأمر الذى ما كان متوقعا ، دل ذلك على أن خالق العالم هو الذى أجرى الأمر على يد

---

(٢) ذكر النص السامرى الذى سبق ذكره وهو « ولا يقوم أيضا نبى فى اسرائيل كموسى .. الخ » وسيأتى هذا القول فيما بعد بتمامه .
(٣) ص ٩٦ تنقيح الأبحاث .

ذلك النبى أو الرسول ليؤمن الناس بما يقول . فموسى مثلاً ــ عليه السلام ــ كان يلقى العصا فى أرض مصر فتصير ثعباناً أمام فرعون والسحرة . وكان لصالح ــ عليه السلام ــ ناقة تأكل فى أرض الله ، لها شرب ، ولهم شرب يوم معلوم ، وكان عيسى ــ عليه السلام ــ يبرىء الأكمه والابرص ويحيى الموتى باذن الله . وهذه المعجزات لم تكن فى يوم من الأيــام دليل تصديق كامل للامم ، فانهم كانوا ينسبون هذه الخوارق أحيانا الى السحر ، ويتهمون النبى أو الرسول بالكذب .

وعلى سبيل المثال لما صنع موسى ــ عليه السلام ــ أمام فــرعون والمصريين وبنى اسرائيل معجزات كثيرة منها : ١ ــ العصا ٢ ــ واليد البيضاء ولم يؤمنوا أرسل الله على أهل مصر : ١ ــ الطوفان ٢ ــ والجراد ٣ ــ والقمل ٤ ــ والضفادع ٥ ــ والدم ٦ ــ والذبان ٧ ــ والوبأ الثقيل ٨ ــ والدمامل ٩ ــ والظلام ثلاثة أيام ١٠ ــ وموت الأبكار ــ كما فى الأصحاح السابع والحادى عشر من سفر الخروج ــ ولما صنع موسى ذلك ، لم يكن ايمان ولا تقوى عند الأكثرين وكان فرعون والمصريون معه اذا نزل بلاء عليهم . يقولون لموسى : « يا أيها الساحر : ادع لنا ربك بما عهد عندك اننا لمهتدون . فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم ينكثون . ونادى فرعون فى قومه ، قال : يا قوم أليس لى ملك مصر ، وهذه الأنهــار تجرى من تحتى ؟ أفلا تبصرون ؟ أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ، ولا يكاد يبين ؟ فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب ، أو جاء معه الملائكة مقترنين ؟ فاستخف قومه فأطاعوه . انهم كانوا قوما فاسقين ، فلما آسفونا انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين ، فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين » (الزخــرف ٥٠ ــ ٥٦)

وفى التوراة فى هذا الذى قلته ما نصه : « فأرسل فرعون ودعا موسى وهرون . وقال لهما : أخطأت هذه المرة . الرب هو البار ، وأنا وشعبى الأشرار ، صليا الى الرب ، وكفى حدوث رعود الله والبرد (الطوفان) فأطلقكم ، ولا تعودوا تلبثون . فقال له موسى : عند خروجى من المدينة

أبسط يدى الى الرب فتنقطع الرعود ، ولا يكون البرد أيضا ، لكى تعرف ان للرب الأرض . وأما أنت وعبيدك فأنا أعلم أنكم لم تخشوا بعد من الرب الاله ... فخرج موسى من المدينة من لدن فرعون ، وبسط يديه الى الرب . فانقطعت الرعود والبرد ، ولم ينصب المطر على الأرض . ولكن فرعون لما رأى المطر والبرد والرعود انقطعت . عاد يخطىء وأغلظ قلبه هو وعبيده » (خروج ٩ : ٢٧ — ٣٤)

فالمعجزات — كما هو واضح — لم تكن صارفة للناس عن الكفر . واذا كان الأمر كذلك فهل محمد نبى الاسلام — ﷺ — كان بدعا من الرسل ؟

ان معجزة نبى الاسلام — ﷺ — هى القرآن « كتاب أحكمت آياته ، ثم فصلت من لدن حكيم خبير » (هود ١)

ولقد كان النبى — ﷺ — أميا كقومه لا يقرأ ولا يكتب ، فأوحى الله اليه لقرآن لفظا ومعنى ، فكان النبى اذا تلا على الكفار منه شيئا ، يعجبون بفصاحة الكلام وبلاغته ، ويعرفون من الكلام معانى ما كانوا يعرفونها مثله من قبل . فيقولون « أساطير الأولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا » (الفرقان ٥) ولقد عجز العرب عن الاتيان بالكل أو بعشر سور أو سورة . وعجزهم راجع الى أنهم أميون ، وقد كانوا فصحاء . والفصاحة لم تغن عنهم شيئا . لأنهم لا يعرفون معانى يصوغونها فى أساليب فصيحة . وكيف يعرفون معانى وليس عندهم مدارس للعلم . ولا معارف ولا فنون . واليهود من حولهم لايبصرونهم ، ولايقبلون أبناءهم فى مدارسهم . والنصارى وان كانوا يقبلون فى مدارسهم أبناء من كل الأمم . لا يودون يومئذ خيرا للعرب ، بدليل هجومهم على مكة عام الفيل فمن أين اذا يعرف العرب معانى ليصوغوا بعضها فى أساليب فصيحة ليتحدوا محمدا — عليه السلام — ؟

ولو قبل اليهود والنصارى تعليم أبناء العرب فى مدارسهم . فان العلم الذى عندهم ما هو الا دين خرجوا به عن أصوله وقواعده . والقرآن

يذكر غير هذا الدين فيها يذكر أنواعا من التواريخ القديمة ، وما سيأتى به الزمن ، وشيئا من العلوم الكونية التى عرفها الناس حديثا فى عصرنا هذا ، وعلوم كثيرة .

لقد كان القرآن — لذلك — فى نظر العرب معجزا من جهة أن محمدا — ﷺ — راعى غنم مثلهم وكان تاجرا لم يتعلم ، وأتى بهذه المعارف والعلوم فى أسلوب محكم ودقيق . ومن جهة أخرى أنهم غير قادرين على المعارضة لأنهم لا يعرفون معانى يضعونها فى أساليب فصيحة . فلذلك اعترفوا بأن محمدا نبى صادق وأن القرآن تنزيل من حكيم حميد .

ولما حمل العرب رسالة الله الى الأمم . ونظرت الامم فى القرآن . وجدوه كتابا يحتوى على معارف وعلوم لا ينقض بعضها بعضها . ووجدوا كل لفظ موضوع على المعنى المناسب بدقة واحكام فأرادوا محاكاته . ولكنهم عجزوا . لأنه ليس فى مقدور فرد واحد ان يحيط بجميع العلوم والمعارف ثم يصوغها بأسلوب محكم ورصين . ولا يستطيع البشر جميعا حتى ولو طلبوا مساعدة الجن لهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن . لأنهم ما أوتوا من العلم الا قليلا . وعجز العرب وعجز العالم دليل على أن القرآن من الله ، وأن النبى حق (٤) .

***

لنشرع بعد ذلك فى تفسير الأمور الثلاثة : ١ — الآيات والعجائب التى عملها موسى — عليه السلام — أمام فرعون والمصريين ٢ — واليد الشديدة ٣ — المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام بنى اسرائيل .

ولنعقد المقارنة بين : موسى — وعيسى — ومحمد — عليهم السلام — باعتبار أن موسى هو المشبه به . وأن عيسى هو المشبه فى نظر النصارى ،

---

(٤) انظر كتابنا اعجاز القرآن — رد على كتاب الفن القصصى فى القرآن الكريم — نشر الانجلو المصرية ولاحظ أننا لم نشر الى المعجزات الحسية — وهى فى الكتب — للخلاف فيها . وسبب الخلاف : ورودها بطريق الآحاد ، وورودها بطريق المتشابه (محصل أفكار المتقدمين للامام فخر الدين الرازى)

رأن محمدا هو المشبه فى نظر المسلمين . واذا تمت المماثلة الحقيقية بين موسى وبين محمد — عليهما السلام — فقد صح أن محمدا خاتم النبيين ولا نبى بعده .

الأمر الأول : الآيات والعجائب (المعجزات) :

بينت التوراة أن موسى عليه السلام رمى العصا فصارت حية فى طور سيناء وثعبانا فى مصر ، ووضع يده فى جيبه فصارت بيضاء من غير سوء . ولما صنع ذلك أمام فرعون لم يؤمن به ، وجمع له السحرة فى يوم معلوم فغلبهم موسى ، ثم أرسل الله عليهم لما استنكفوا واستكبروا : الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ... الخ وهذه معجزات عظيمة أجراها الله أمام فرعون وأهل مصر على يد عبده موسى — عليه السلام — .

ففى التوراة عن مثول موسى أمام الله فى سيناء هكذا « فقال له الرب ما هذه فى يدك ؟ فقال : عصا . فقال : اطرحها الى الأرض . فطرحها الى الأرض . فصارت حية . فهرب موسى منها . ثم قال الرب لموسى : مد يدك وامسك بذنبها فمد يده وأمسك به . فصارت عصا فى يده ...

ثم قال له الرب أيضا : أدخل يدك فى عبك . فأدخل يده فى عبه . ثم أخرجها واذا يده برصاء مثل الثلج . ثم قال له : رد يدك الى عبك . فرد يده الى عبه . ثم أخرجها من عبه . واذا هى قد عادت مثل جسده » (خروج ٤ : ٢ — ٧)

وتقص التوراة نبأ مثول موسى وهارون أمام فرعون هكذا : « دخل موسى وهارون الى فرعون ، وفعلا هكذا كما أمر الرب : طرح هارون عصاه أمام فرعون وأمام عبيده فصارت ثعبانا . فدعا فرعون أيضا الحكماء والسحرة ، ففعل عرافو مصر أيضا بسحرهم كذلك . طرحوا كل واحد عصاه ، فصارت العصى ثعابين . ولكن عصا هرون ابتلعت عصيهم . فاشتد قلب فرعون . فلم يسمع لهما كما تكلم الرب » (خروج ٧ : ١٠ — ١٣) .

ثم تقص التوراة خبر الآيات التسع (٥) فتقول « تحول كل الماء الذي في النهر دما » (خروج ٧ : ٢٠) « فمد هارون يده على مياه مصر . فصعدت الضفادع » (خروج ٨ : ٦) « فصار البعوض على الناس وعلى البهائم » (خروج ٨ : ١٧) « وفي كل أرض مصر خربت الأرض من الذبان » (خر ٨ : ٢٤) « يد الرب تكون على مواشيك التي في الحقل . على الخيل والحمير والجمال والبقر والغنم وبأثقيلا جدا » (خروج ٩ : ٣) « فأخذا رماد الأتون ووقفا أمام فرعون وذراه موسى نحو السماء ، فصار دمامل بثور طالعة في الناس وفي البهائم » (خر ٩ : ١٠) « فانقطعت الرعود والبرد ، ولم ينصب المطر على الأرض » (خر ٩ : ٣٣) « ثم قال الرب لموسى : مد يدك على ارض مصر لأجل الجراد ، ليصعد على أرض مصر ، ويأكل كل عشب الارض ، كل ما تركه البرد » (خر ١٠ : ١٢) « فمد موسى يده نحو السماء ، فكان ظلام دامس في كل أرض مصر ثلاثة أيام » (خر ١٠ : ٢٢) « يموت كل بكر في أرض مصر من بكر فرعون الجالس على كرسيه الى بكر الجارية التي خلف الرحى ، وكل بهيمة » (خر ١١ : ٥) .

هـذه آيات موسى — عليه السلام — وعجائبه أمام فرعون وأهل مصر . فهل لعيسى — عليه السـلام — آيات وعجائب أمام هيرودس وبيلاطس الواليان على بلاد بني اسرائيل من قبل الرومان ؟ وهل لعيسى عليه السلام آيات وعجائب لتخويف الرومان كما أخاف موسى أهـل مصر ؟

بالتأكيد : لا . ففي انجيل لوقا : « وأما هيرودس فلما رأى يسـوع فرح جدا ، لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشـياء كثيرة ، وترجى أن يرى آية تصنع منه . وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشيء . ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد . فاحتقره هيرودس مع عسكره واستهزأ به والبسه لباسا لامعا ورده الى بيلاطس ،

---

(٥) في القرآن تسع ، وفي التوراة عشر .

فصار بيلاطس وهيرودس صديقين مع بعضهما فى ذلك اليوم لأنهما كانا من قبل فى عداوة بينهما » (لوقا ٢٣ : ٨ — ١٢)

وفى انجيل يوحنا : « فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده وضفر العسكر اكليلا من شوك ووضعوه على رأسه والبسوه ثوب أرجوان » (يوحنا ١٩ : ١ — ٢) ولم يخف عيسى الرومان كما أخاف موسى أهل مصر . بل كان يدفع لهم الجزية ، وكان يوصى أصحابه أن لا يمسوهم بأذى . ففى انجيل متى : « ولما جاءوا الى كفر ناحوم تقدم الذين يأخذون الدرهمين الى بطرس . وقالوا : أما يوفى معلمكم الدرهمين ؟ قال : بلى . فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلا : ماذا تظن يا سمعان ؟ ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجـزية ؟ أمن بنيهم أم من الأجانب ؟ قال له بطرس : من الأجانب . قال له يسوع : فاذا البنون أحرار . ولكن لئلا نعثرهم : اذهب الى البحر ، وألق صنارة ، والسمكة التى تطلع أولا خذها . ومتى فتحت فاها ، تجد أستارا فخذه . وأعطهم عنى وعنك » (متى ١٧ : ٢٤ — ٢٧)

وفى انجيل مرقس « ثم أرسلوا اليه قوما من الفريسيين والهيرودسيين لكى يصطادوه بكلمة . فلما جاءوا . قالوا له : يا معلم نعلم أنك صادق ، ولا تبالى بأحد . لأنك لا تنظر الى وجوه الناس ، بل بالحق تعلم طريق الله . أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ نعطى أم لا تعطى ؟ فعلم رياءهم وقال لهم : لماذا تجربوننى ؟ أيتونى بدينار لأنظره . فأتوا به . فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ فقالوا له : لقيصر . فأجاب يسوع ، وقال لهم : أعطوا ما لقيصر لقيصر . وما لله لله » (مرقس ١٢ : ١٣ — ١٧)

هذا ما كان من أمر عيسى — عليه السلام — وأما ما كان من أمر نبى الاسلام — ﷺ — فان رؤساء مكة طلبوا منه « آيات من ربه » فقال الله تعالى : « أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم » (العنكبوت ٥١) **ولماذا كان القرآن كافيا ؟ لأنهم كانوا قد سمعوا عن آيات موسى ، أمام** فرعون وأهل مصر ، وسمعوا عن الأمم السابقة ما قد جرى لهم فنـزل سماعهم منزلة الرؤية خاصة وانهم لم يكونوا منكرين لله ، كفرعون وغيره .

بل كانوا يعرفونه حق المعرفة كما قال تعالى : « قل لمن الأرض ومن فيها ان كنتم تعلمون ؟ سـيقولون ، لله قل : أفلا تذكرون ؟ قل : من رب السموات السبع ورب العرش العظيم ؟ سيقولون : لله . قل : أفلا تتقون ؟ قل : من بيده ملكوت كل شيء . وهو يجير ولا يجار عليه ان كنتم تعلمون ؟ سيقولون : لله . قل : فأنى تسحرون ؟ » (المؤمنون ٨٤ ــ ٨٩)

وكان اليهود والنصارى ينشرون بينهم خبر نبوته وينشرون فى العالم كما قال تعالى : « وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا » (البقرة ٨٩) فكان أكثرهم على يقين من صحة ما يقول . غاية الأمر أن بعضهم كان يريد التأكد من نبوته ، وكان البعض منهم يريد نبيا من ذوى اليسار والغنى .كما قال تعالى : « وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ؟ (الزخرف ٣١)

ولقد كانوا من أهل الفصاحة والبيان . وها هو القرآن مناسب لما يعرفون كما كانت عصا موسى ويده مناسبتان لما برع فيه أهل مصر يومئذ . يقول الامام محمـود بن عمر الزمخشرى ــ رحمه الله تعالى ــ « أو لم يكفهم آية مغنية عن سائر الآيات . ان كانوا طالبين للحق ، غير متعنتين : هذا القرآن الذى تدوم تلاوته عليهم فى كل مكان وزمان . فلا يزال معهم آية ثابتة لا تزول ، ولا تضمحل ، كما تزول كل آية بعد كونها . وتكون فى مكان دون مكان »

ويقول الامام محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى ــ رحمه الله تعالى ــ « أو لم يكف المشركين من الآيات هذا الكتاب المعجز الذى قد تحديتهم بأن يأتوا بمثله ، أو بسورة منه فعجزوا . ولو أتيتهم بآيات موسى وعيسى لقالوا : سحر . ونحن لا نعرف السحر . والكلام مقدور لهم ، ومـع ذلك عجزوا عن المعارضة ».

ولقد أخاف نبى الاسلام ــ ﷺ ــ رؤساء مكة وحذرهم من بطش الله ووبخهم ، ومع ذلك لم يستطع أحد منهم أن يصيبه بأذى . كما قال

تعالى « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك . وأن لم تفعل فما بلغت رسالته . والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدى القوم الكافرين » (المائدة ٦٧) .

لقد أخاف نبى الاسلام رؤساء مكة ، كما أخاف موسى فرعون . اخافهم بقدرة الله على اهلاكهم كما أهلك الأمم السابقة ، الذين كانوا يمرون عليهم مصبحين وبالليل . وفى كثير من آيات القرآن يعبر الله بالرؤية ويقصد العلم كأنه يتحدث عن شىء يرونه بأبصارهم كأنه واقع بهم يقول تعالى « ألم تر كيف فعل ربك بعاد ؟ » (الفجر ٦) والرسول — ﷺ — لم ير ، وانما يريد منه علم ذلك علما مؤكدا . ويقول: «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ؟ » (الفيل ١) وما كان مشاهدا للحادثة . وانما هو يخوفهم بما هو فى حكم الرؤية . وفى ذلك يقول تعالى بعد ذكر آيات وعجائب « واذ قلنا لك : ان ربك أحاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس ، والشجرة الملعونة فى القرآن ، ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا » (الاسراء ٦٠) .

وبالاضافة الى التخويف بذكر ما جرى على الأمم السابقة ، وجدوا آثار قدرة الله ظاهرة فى شخص النبى نفسه . فقد تآمر أهل مكة على قتله فنجا من أيديهم كما نجا موسى من فرعون . وما كانوا يتوقعون نجاته . فقد قال تعالى « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ، أو يقتلوك أو يخرجوك ، ويمكرون . ويمكر الله والله خير الماكرين » (الانفال ٣٠) .

وكما استغاث أصحاب موسى لما هربوا من بطش فرعون كما فى التوراة « فلما اقترب فرعون رفع بنو اسرائيل عيونهم واذا المصريون راحلون وراءهم . ففزعوا جدا ، وصرخ بنو اسرائيل الى الرب ... الخ » (خروج ١٤ : ١٠) كذلك استغاث اصحاب النبى لما اقترب منهم أهل مكة ففى القرآن الكريم « اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم : انى ممدكم بألف من الملائكة مردفين » (الأنفال ٩) .

وكما كان نصر موسى على فرعون بمعجزة خارقة للعادة لأن من معه كان عددا قليلا ضعيفا مغتربا لا يقوى على جيش كثير قوى صاحب وطن . كذلك كان نصر النبى بنفس المعجزة الخارقة للعادة . فقد كان مغتربا فى المدينة ، والعدد الذى خرج به للقاء أهل مكة كان قليلا وضعيفا فى العدة . ولذلك قال تعالى ممتنا عليه « وما رميت اذ رميت ، ولكن الله رمى ، وليبلى المؤمنين منه بلاء حسنا . ان الله سميع عليم . ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين » (الأنفال ١٧ — ١٨) .

الأمر الثانى : اليد الشديدة :

لقد كان موسى عليه السلام بطل حرب مظفرا منصورا . أعانه الله وقواه . وسهل له طريق الغلبة . فهزم المصريين هزيمة منكرة . وخرج من أرضهم سليما معافى الى صحراء سيناء . وحارب كثيرا من قبائل بدو سيناء وهزمهم وحارب مدنا محصنة وقتل ملوكها .

يقول موسى فى التوراة « ثم تحولنا ، وصعدنا فى طريق باشان ، فخرج عوج ملك باشان للقائنا هو وجميع قومه للحرب فى اذرعى ، فقال لى الرب : لا تخف منه لأنى قد دفعته الى يدك وجميع قومه وأرضه . فتفعل به كما فعلت بسيحون ملك الآموريين الذى كان ساكنا فى حشبون . فدفع الرب الهنا الى أيدينا عوج ملك باشان ، وجميع قومه فضربناه حتى لم يبق له شارد . وأخذنا كل مدنه فى ذلك الوقت ، لم تكن قرية لم نأخذها منهم . ستون مدينة . كل كورة أرجوب مملكة عوج فى باشان . كل هذه كانت مدنا محصنة بأسوار شامخة وأبواب ومزاليج ، سوى قرى الصحراء الكثيرة جدا ... الخ » (تثنية ٣ : ١ — ٥)

ولم يحارب عيسى — عليه السلام — كما ذكرنا — وقد رفض أن يكون ملكا . ففى انجيل يوحنا « وأما يسوع فاذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا ، انصرف أيضا الى الجبل وحده » (يوحنا ٦ : ١٥) وفى انجيل لوقا : « وقال له واحد من الجمع : يا معلم قل لأخى أن يقاسمنى

الميراث . فقال له : يا انسان من اقامنى عليكما قاضيا أو مقسما ؟ »
(لوقا ١٢ : ١٣ ــ ١٤) وقال لبيلاطس « مملكتى ليست من هذا العالم .
لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى ، يجاهدون . لكى لا اسلم
الى اليهود » (يوحنا ١٨ : ٣٦)

هذا ما كان من أمر عيسى عليه السلام . وأما ما كان من أمر
نبى الاسلام ــ ﷺ ــ فانه كان فى حروبه كموسى فقد حارب رؤساء
مكة وانتصر عليهم ، كما حارب موسى أهل فرعون . وحارب اليهود
فى المدينة ، وانتصر عليهم ، كما حارب موسى فى سيناء لما بعد عن
فرعون ، وحارب كثيرا من القبائل فى الأرض العربية لنشر الاسلام
كما حارب موسى فى سيناء . ووجه الجيوش ناحية الشام ولم ينتقل الى
الرفيق الأعلى حتى دانت له بسيفه ورمحه جزيرة العرب . فقد قال تعالى
« لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ، ويوم حنين اذ أعجبتكم كثرتكم فلم
تغن عنكم شيئا ، وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ، ثم وليتم مدبرين .
ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها
وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين » (التوبة ٢٥ ــ ٢٦)

ويقول تعالى : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » ويبين أنهم فتحوا
بلادا وسوف يفتحون بلادا أخرى فى المستقبل فى قوله : « لقد رضى الله عن
المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما فى قلوبهم . فأنزل السكينة
عليهم وأثابهم فتحا قريبا . ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزا حكيما
وعدكم الله مغانم كثرة تأخذونها فعجل لكم هذه ، وكف أيدى الناس عنكم
ولتكون آية للمؤمنين ، ويهديكم صراطا مستقيما ، واخرى لم تقدروا عليها
قد أحاط الله بها ، وكان الله على كل شىء قديرا » (الفتح ١٨ ــ ٢١)

وكما حارب موسى فى سيناء ومات من قبل ان تتم فتوحاته فى
الأرض المقدسة وقام من بعده على سنته : يشوع بن نون . كذلك حارب
نبى الاسلام ووجه الجيش لغزو الروم فى نفس الارض المقدسة التى

كان يريدها موسى ، وقام من بعده على سنته : أبو بكر الصديق رفيقه فى الغـــار .

الأمر الثالث : المخاوف العظيمة :

لما رجع موسى من أرض مدين الى مصر قابل هارون أخاه ، قبل أن يذهب الى فرعون « ثم مضى موسى وهارون وجمعا جميع شيوخ بنى اسرائيل ، فتكلم هرون بجميع الكلام الذي كلم الرب موسى به ، وصنع الآيات أمام عيون الشعب . فآمن الشعب . ولما سمعوا أن الرب افتقد بنى اسرائيل وانه نظر مذلتهم خروا وسجدوا » (خروج ٤ : ٢٩ — ٣١)

ولقد كانت الآيات التسع مثلا أمام أعين بنى اسرائيل على قـــوة الله ، وصدق موسى . وكان غرق فرعون وجنوده كذلك . ثم لما استقر موسى وبنو اسرائيل فى سيناء « قال الرب لموسى : مر قدام الشعب ، وخذ معك من شيوخ اسرائيل ، وعصاك التى ضربت بها النهر خذها فى يدك . واذهب . ها أنا أقف أمامك هناك على الصخرة فى حوريب فتضرب الصخرة فيخرج منها ماء ليشرب الشعب . ففعل موسى هكذا أمام عيون شـــيوخ اسرائيل » (خر ١٧ : ٥ — ٦)

ولما بغى قارون على موسى لأنه أعطى الكهنوت لهارون وبنيه « قال موسى : « بهذا تعلمون أن الرب قد أرسلنى لأعمل كل هذه الأعمال ، وأنها ليست من نفسى . ان مات هؤلاء كموت كل انسان ، وأصابتهم مصيبة كل انسان فليس الرب قد أرسلنى . ولكن ان ابتدع الرب بدعـــة ، وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم وكل ما لهم ، فهبطوا أحيـــاء الى الهاوية ، تعلمون : أن هؤلاء القوم قد ازدروا بالرب فلما فرغ من التكلم بكل هذا الكلام ، انشقت الأرض التى تحتهم ، وفتحت الأرض فاها ، وابتلعتهم وبيوتهم وكل من كان لقورح مع كل الأموال . فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء الى الهاوية وانطبقت عليهم الأرض فبادوا من بين الجماعة . وكل اسرائيل الذين حولهم هـــربوا من صـــوتهم . لأنهم قالوا لعل الأرض

تبتلعنا » (عدد ١٦ : ٢٨ — ٢٣) وأشياء كثيرة من هذا القبيل أخافته بنى اسرائيل من موسى ، وجعلته مهابا فى أعينهم وجعلتهم يتقبلون شريعته ويرضون بها .

وهذا مثل على قبول حكمه من التوراة : « لما كان بنو اسرائيل فى البرية وجدوا رجلا يحتطب حطبا فى يوم السبت ، فقدمه الذين وجدوه يحتطب حطبا الى موسى وهارون وكل الجماعة فوضعوه فى المحرس . لأنه لم يعلن ماذا يفعل به ؟ فقال الرب لموسى : قتلا يقتل الرجل . يرجمه بحجارة كل الجماعة خارج المحلة . فأخرجه كل الجماعة الى خارج المحلة ورجموه بحجارة فمات » (عدد ١٥ : ٣٢ — ٣٦)

ولم يخف عيسى بنى اسرائيل كما أخافهم موسى . ففى الانجيل أنه أرسل أمام وجهه رسلا الى السامريين ليستعدوا لاستقباله . فلم يقبله السامريون « فلما رأى ذلك تلميذاه يعقوب ويوحنا قالا : يارب أتريد أن نقول : أن تنزل نار من السماء فتنفيهم كما فعل ايلياء أيضا ؟ فالتفت وانتهرهما . وقال : لستما تعلمان من أى روح أنتما ؟ » (لوقا ٩ : ٥٤ — ٥٥)

وما كانت المعجزات التى يعملها ، الا ليعلموا أنه رسول الله اليهم(٦).

---

(٦) كانت معجزة موسى عليه السلام من جنس ما برع فيه أهل زمانه . فقد كانوا يموهون على الناس بالسحر والتنجيم . وما شابه ذلك . فغلبهم موسى عن أمر الله تعالى لأن سحره كان قلبا لحقائق الأشياء ، لا تمويها على الناس . وفى زمان عيسى عليه السلام كان علماء بنى اسرائيل يوهمون الناس بأنهم يستخدمون الجان والملائكة فى جلب النفع ومنع الضرر ، ويستخدمون اسم الله الأعظم فى قضاء الحاجات ، وكانوا يكتبون آيات من التوراة فى ورق ويحفظونه فى جلد سميك ويعلقون المكتوب فى رقبة المريض ، ويوهمونه بأنه حجاب من الحسد والأرواح الشريرة . وكانوا يتفلون فى الماء ويعزمون عليه بتلاوة أقسام معينة ويأمرون بشر به للتداوى من الصرع وشبهه . ويتفلون على التراب ويصنعون منه طينا =

... ...

= ويضعونه على الجرح وموضع الداء ، ويوهمون المريض بأنه سيشفى وأشياء من هذا القبيل كانوا يعملونها للحب والكره والحل والربط وغير ذلك .
فكانت معجزة عيسى عليه السلام من جنس ما شاع فى زمانه على أيدى علماء بنى اسرائيل . لكن الله تعالى كان يعطيه سؤله فى الحال ، ليميز فعله عن فعل العلماء . وعندئذ اعتقد الناس أنه نبى ورسول .

ففى انجيل مرقس : « وكان عند البحر واذا واحد من رؤساء المجمع اسمه يايرس جاء . ولما رآه خر عند قدميه . وطلبه اليه كثيرا قائلا : ابنتى الصغيرة على آخر نسمة . ليتك تأتى وتضع يدك عليها لتشفى فتحيا . فمضى معه وتبعه جمع كثير وكانوا يزحمونه .

وبينما هو يتكلم جاءوا من دار رئيس المجمع قائلين : ابنتك ماتت . لماذا تتعب المعلم بعد ؟ فسمع يسوع لوقته الكلمة التى قيلت . فقال لرئيس المجمع : لا تخف . آمن فقط . ولم يدع أحد يتبعه الا بطرس ويعقوب ويوحنا أخا يعقوب . فجاء الى بيت رئيس المجمع ورأى ضجيجا . يبكون ويولولون كثيرا . فدخل وقال لهم : لماذا تضجون وتبكون ؟ لم تمت الصبية لكنها نائمة . فضحكوا عليه . أما هو فأخرج الجميع وأخذ أبا الصبية وأمها والذين معه ودخل حيث كانت الصبية مضطجعة وأمسك بيد الصبية ، وقال لها : طليثا قومى . الذى تفسيره : يا صبية لك أقول : قومى . وللوقت قامت الصبية ومشت . لأنها كانت ابنة اثنتى عشرة سنة . **فبهتوا بهتا عظيما** » (مر ٥ : ٢١ — ٤٢)

ولما رأى علماء بنى اسرائيل فعله . لم يقولوا : ان الله معه ، وانما قالوا : ان الشيطان معه . وذلك ليشوشوا على فعله : وعلى تعاليمه . قالوا: **انه يستخدم « بعلزبول » رئيس الشياطين فى اخراج الشيطان من المصروع ، أما نحن فنستخدم اسم الله الأعظم . أى** أنه يتعاون مع الأرواح الشريرة فى فعل المعجزات . ورد عليهم عليه السلام بأن الشياطين لا تتعاون مع الناس فى فعل الخير ، والخير الذى أفعله يغيظ الشياطين . ولذلك لست معهم ولاهم يتعاونون معى . يقول مرقس فى الاصحاح الثالث من انجيله : « وأما الكتبة — أى العلماء — الذين نزلوا من أورشليم . فقالوا : ان معه بعلزبول . وانه برئيس الشياطين يخرج الشياطين . فدعاهم وقال لهم بأمثال : كيف يقدر شيطان أن يخرج شيطانا ؟ وان انقسم =

يقول يوحنا « وفيما هو مجتاز رأى انسانا أعمى منذ ولادته . فسأله تلاميذه قائلين : يا معلم من أخطأ ؟ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى ؟ أجاب يسوع : لا هذا أخطأ ، ولا أبواه . لكن لتظهر أعمال الله فيه ، ينبغى أن أعمل أعمال الذى أرسلنى ...

قال هذا وتفل على الأرض ، وصنع من التفل طينا ، وطلى بالطين عينى الأعمى . وقال له : اذهب اغتسل فى بركة سلوام الذى تفسيره مرسل . فمضى واغتسل وأتى بصيرا .. فقال قوم من الفريسيين : هذا الانسان ليس من الله ، لأنه لا يحفظ السبت آخرون قالوا : كيف يقدر انسان خاطىء أن يعمل مثل هذه الآيات ؟ وكان بينهم انشقاق . قالوا

= بيت على ذاته لا يقدر ذلك البيت أن يثبت . وان قام الشيطان على ذاته وانقسم لا يقدر أن يثبت ، بل يكون له انقضاء ... الخ » .

وفى انجيل يوحنا : أن عيسى عليه السلام كان يعمل مثل ما كان يعمل علماء بنى اسرائيل فى قوله : « **قال هذا . وتفل على الأرض ، وصنع من التفل طينا . وطلى بالطين عينى الأعمى . وقال : اذهب اغتسل فى بركة سلوام ، الذى تفسيره مرسل . مضى واغتسل وأتى بصيرا** » (يو ٩ : ٦ — ٧) وفى نفس الانجيل : « فحدث أيضا انشقاق بين اليهود بسبب هذا الكلام . فقال كثيرون منهم : به شيطان وهو يهذى . لماذا يستمعون له ؟ آخرون قالوا : ليس هذا كلام من به شيطان . ألعل شيطانا يقدر أن يفتح أعين العميان ؟ » (يو ٩ : ١٩ — ٢٠)

والفرق بينه وبينهم : أن الله يسمع له ، ولا يسمع لهم .

ومما يدل على شيوع كتب السحر والتنجيم ، وعلى استعمال علماء بنى اسرائيل للسحر فى زمان عيسى عليه السلام : ما جاء فى الاصحاح التاسع عشر من سفر أعمال الرسل . وفيه : « **فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين أن يسموا على الذين بهم الأرواح الشريرة** باسم الرب يسوع قائلين : نقسم عليك بيسوع الذى يكرز به بولس ، وكان سبعة بنين لسكاو رجل يهودى رئيس كهنة الذين فعلوا هذا ... الخ » وفى نهاية القصة : « **وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب ويحرقونها أمام الجميع ، وحسبوا أثمانها فوجدوها خمسين ألفا من الفضة** » (أ ع ١٩ : ١٣ — ٢٠)

أيضا للأعمى : ماذا تقول أنت عنه من حيث انه فتح عينيك ؟ فقال : انه نبى ...

فدعوا ثانية الانسان الذى كان أعمى ، وقالوا له : أعط مجدا لله . نحن نعلم أن هذا الانسان خاطىء . فأجاب ذاك ، وقال : أخاطىء هو ؟ لست أعلم . انما أعلم شيئا واحدا أنى كنت أعمى والآن أبصر . فقالوا له أيضا : ماذا صنع بك ؟ كيف فتح عينيك ؟ أجابهم : قد قلت لكم ولم تسمعوا . لماذا تركدون أيضا ؟ ألعلكم أنتم تريدون أن تصيروا له تلاميذ ؟ فشتموه . وقالوا له : أنت تلميذ ذاك ، وأما نحن فاننا تلاميذ موسى . نحن نعلم أن موسى كلمه الله . وأما هذا فما نعلم من أين هو ؟

أجاب الرجل وقال لهم : ان فى هذا عجبا . انكم لستم تعلمون من أين هو ، وقد فتح عينى ؟ ونعلم أن الله لا يسمع للخطاة . ولكن ان كان احد يتقى الله ويفعل مشيئته فلهذا يسمع . منذ الدهر لم يسمع أن أحدا فتح عينى مولود أعمى . لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئا . أجابوا وقالوا له : فى الخطايا ولدت أنت بجملتك وأنت تعلمنا .

فقال يسوع : لدينونة أتيت أنا الى هذا العالم ، حتى يبصر الذين لا يبصرون ويعمى الذين يبصرون . فسمع هذا الذين كانوا معه من الفريسيين . وقالوا له : ألعلنا نحن أيضا عميان ؟ قال لهم يسوع : لو كنتم عميانا لما كانت لكم خطية . ولكن الآن تقولون اننا نبصر . فخطيتكم باقية ...

فحدث أيضا انشقاق بين اليهود بسبب هذا الكلام . فقال كثيرون منهم : به شيطان وهو يهذى . لماذا تستمعون له ؟ آخرون قالوا : ليس هذا كلام من به شيطان . ألعل شيطانا يقدر أن يفتح أعين العميان ؟ »
(يوحنا ٩/١٠)

لقد قال عيسى عليه السلام « ينبغى ان أعمل أعمال الذى أرسلنى »

وقال الأكمه الذى ولد أعمى عن عيسى : « انه نبى » ولم يرض قوم من الفريسين أن يصيروا له تلاميذ ، لأنهم « تلاميذ موسى » وأخيرا قال كثيرون من اليهود « به شيطان وهو يهذى . لماذا تستمعون له ؟ » فهل ذلك الذى صنعه عيسى — عليه السلام — كان مخيفا لبنى اسرائيل ؟ انه لم يكن مخيفا لهم قط ، بما قدمنا ، وبدليل أنهم تشاوروا على قتله بعد ذلك ، وكان يخاف أن يظهر لهم . فقد قال يوحنا : « تشاوروا ليقتلوه . فلم يكن يسوع أيضا يمشى بين اليهود علانية ، بل مضى من هناك الى الكورة القريبة من البرية الى مدينة يقال لها : أفرايم ، ومكث هناك مع تلاميذه » (يو ١١ : ٥٣ — ٥٤) ثم انهم أمسكوه — كما كتبوا — وقدموه لبيطلاس لكى يقتله ففى الانجيل : « فحينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده ، وضفر العسكر اكليلا من شوك ، ووضعوه على رأسه ، وألبسوه ثوب أرجوان .. الخ » (يو ١٩ : ١ — ٢)

هذا ما كان من أمر عيسى — عليه السلام — وأما ما كان من أمر نبى الاسلام — ﷺ — فانه قد صنع مخاوف فى أعين العرب كما صنع موسى فى أعين بنى اسرائيل . لقد قرأ عليهم القرآن فأقروا باعجازه ، **ونجا من رؤساء مكة ليلة الهجرة وماكان أحد يتوقع نجاته** . وعندئذ علموا : أنه فى حماية الله . وانتصر على أهل مكة بمعجزة ، فتأكدوا من نصر الله له ثم اجتمع أهل مكة ، ونفر من اليهود والعرب للاحاطة به فأهلكهم الله كما قال تعالى : « ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا . وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، فريقا تقتلون وتأسرون فريقا . وأورثكم أرضهم وديارهم ، وأموالهم ، وأرضا لم تطئوها . وكان الله على كل شىء قديرا » (الأحزاب ٢٥ — ٢٧)

وما كان مقدرا فى عقول الناس أن يحارب اليهود فى عقر دارهم ، ويقضى عليهم . ذلك لأنهم أهل حصون وقلاع ، ومكر وخداع . فحاربهم وانتصر عليهم يقول تعالى « هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب

من ديارهم . لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا ، وظنوا أنهم ما نعتهم حصـــونهم من الله . فأتاهم الله من حيث لم يحتســـبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب ، يخربون بيوتهم بأيديهم . وأيدى المؤمنين ، فاعتبروا يا أولى الأبصار ، ولولا أن كتب الله عليهم الجـــلاء لعذبهم فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب النار » (الحشر ٢ — ٣) وما كان أحـــد يتوقع يوم أن بدأ دعوته أن يؤمن به نفر من قومه . فآمنوا . وما كان أحـــد يتوقع أن ينجو من أذاهم فنجا . وما كان أحد يتوقع أن يفتح مكة ففتحها . وتمت له الرئاسة على العرب جميعا كما فى القرآن الكريم : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » (الفتح ١) أليس فى هـــذا كله ما يخيف العرب منه ، ويجعله عزيزا مهابا فى أعينهم ؟

واذا كان الهدف من المخاوف العظيمة التى صنعها موسى أمام أعين بنى اسرائيل ، هو أن تتم له الرئاسة ، فقد تمت لنبى الاسلام على قومه كما كان موسى . ففى القرآن الكريم يقول تعالى : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فى ما شجر بينهم . ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (النساء ٦٥) .

***

ننتقل بعد ذلك الى نص التوراة الذى يحدد أوصافا تسعة لنبى الاسلام — ﷺ — وهذا نصه فى التوراة السامرية ، مع تمهيد التوراة للنص :

التمهيـــــد :

« فى الشهر الثالث لخروج بنى اسرائيل من أرض مصر . فى اليوم هذا دخلوا برية سينين ، ورحلوا من رفيديم . وجاءوا الى برية سينين ونزلوا فى البرية . ونزل هناك اسرائيل مقابل الجبل . وموسى صـــعد الى الله وناداه الله من الجبل قائلا : هكذا تقول لآل يعقوب وتخبر بنى

اسرائيل : انتم نظرتم ما صنعت بالمصريين وحملتكم على أجنحة النسور وأحضرتكم الى والآن ان سماعا تسمعون لمن قولى وتحفظون عهدى تكونون لى خاصة من كل الشعوب . ان لى كل الأرض وأنتم تكونون لى مملكة ائمة ، وشعبا مقدسا . هذه الخطوبه التى تخاطب بنى اسرائيل . فجاء موسى واستدعى بشيوخ القوم ونث بين ايديهم كل الخطوب هذه التى وصاه الله . فأجابوا كل القوم قاطبة . وقالوا : كل ما قال الله نمتثل . فأعاد موسى ، خطاب القوم الى الله : فقال الله لموسى : هوذا أنا آتيك فى غليظ من الغمام حتى يسمع القوم خطابى معك . وأيضا بك يؤمنون الى الأبد . وخبر موسى خطاب القوم الى الله .

وقال الله لموسى : امضى الى القوم وقدس اليوم وغدا . وليغسلوا كسواتهم ويكونون مستعدين لليوم الثالث . فان فى اليوم الثالث ينحدر ملاك الله بمشاهدة كل القوم الى طور سينين فلتحدد الجبل دائرا . وللقوم . فلتقل : احذروا من الصعود الى الجبل والدنو بطرفه . كل الدانى بالجبل قتلا يقتل . لا تدن به يد ، بل حصبا يحصب ، ورشقا يرشق . ان بهيمة أو انسان فلا يحيا . عند جذب البوق . هم يصعدون الى الجبل فانحدر موسى من الجبل الى القوم وقدس القوم . وغسلوا كسواتهم . وقال للقوم : كونوا مستعدين للثلاثة أيام . لا تدنوا الى امرأة .

وكان فى اليوم الثالث عند كون الصباح كان رعود وبروق وغمام عظيم على الجبل وصوت البوق شديد جدا . فارتعد كل القوم الذين فى المعسكر ، واخرج موسى القوم للقاء ملائكة الله من المعسكر ووقفوا فى أسفل الجبل ، وجبل سينين دخان كله من قبل انحدار ملائكة الله عليه بالنار ، وصعد دخان كدخان الأتون وارتعد كل الجبل جدا وكان صوت البوق يزيد ويشتد جدا . وموسى يخاطب والله يهده بالصوت .

وانحدر ملاك الله على جبل سينين الى راس الجبل ونادى الله

بموسى الى رأس الجبل . فصعد موسى . وقال الله لموسى : انحدر اشهد على القوم كى لا يتهجموا على الله للنظر فيسقط منه كثير . وأيضا الأئمة المقدمون الى الله يتقدسون كى لا يثغر فيهم الله . فقال موسى لله : لا يستطيع القوم الصعود الى جبل سينين لأنك أشهدت علينا قائلا : حدد الجبل وقدسه . فقال له الله : امض فانحدر ولتصعد أنت وهرون معك والأئمة والعامة لا يتهجمون للصعود الى الله كى لا يثغر فيهم . فانحدر موسى من الجبل الى القوم . وقال لهم » .. الخ .

***

والكلام الذى قاله الله هو « الوصايا العشر » وبعدما فرغ من الوصايا العشر . **تنص التوراة السامرية** على ما يلى : « وكل الشعب سمع الأصوات وصوت البوق ونظروا الشهب والجبل دخانا ونظر كل القوم وتشردوا ووقفوا من بعد . وقالوا لموسى : ان أرانا الله الهنا جلاله وعظمته وصوته سمعنا من وسط النار . اليوم هذا نظرنا أن يخاطب الله الانسان فيحيا . والآن كى لا نموت اذ تحرقنا النار العظيمة هذه ، ان معاودين نحن الى سماع صوت الله الهنا متنا . الا من من كل البشر من سمع صوت الله الحى مخاطبا من وسط النار مثلنا فعاش ؟ أدن أنت واسمع كل ما يقول الله الهنا وأنت تخاطبنا بكل ما يخاطب الله الهنا لك . لنسمع ونتمثل ولا يخاطبنا الله كى لا نهلك .

فقال موسى للقوم : لا تخافوا ان بسبب امتحانكم جاءت ملائكة الله . وحتى تكون مخافته على وجوهكم كى لا تخطئوا ، ووقف القوم من بعد ، وموسى دنا الى الضباب الذى هناك ملائكة الله .

وخاطب الله موسى قائلا : سمعت صوت خطاب الشعب هذا الذى خاطبوك . أحسنوا فى كل ما قالوا يا ليت يبقى ضميرهم هذا لهم مخافة منى وحفظا لوصاياى كل الأيام حتى يحسن اليهم والى بنيهم الى الأبد »

النص :

« نبيا اقمت لهم من جملة اخوتهم مثلك وجعلت خطابى بفيه فيخاطبهم بكل ما أوصيه ويكون الرجل الذى لا يســـمع من خطابه باسمى . أنا أطالبه والمتنبىء الذى يتقح على الخطاب باسمى ما لم أوصـــه من الخطاب . ومن يخاطب باسم آلهة أخر فليقتل ذلك المتنبىء . واذا تقول فى سرك : كيف يتبين الأمر الذى لم يخاطبه الله ؟ ما يقوله المتنبىء باسم الله ولا يكون ذلك الامر ولا يأتى . هو الامر الذى لم يقله الله . باتقاح قاله المتنبىء . لا تخف منه » (خروج ١٩ و ٢٠)

وقد ذكرت التوراة السامرية النص على النبى المنتظر فى ســـفر التثنية مرة ثانية هكذا :

« كـــاملا تكـــون مـــع الله الهك . ان الشـــعوب هـــؤلاء الذين أنتم قارضونهم من المتطيرين ومن المنجمين يسمعون . وأنت ليس كذلك . نبيا من جملة اخوتك مثلى ، يقيم لك الله الهك . ككل ما طلبت من الله الهك فى حوريب فى يوم الجوق قائلا : لا أعاود لسماع صوت الله الهى وناره العظيمة هذه لا انظر أيضا كى لا أهلك .

قال الله لى : أحســـنوا فيما قالوا . نبيا اقمت لهم من جملـــة اخوتهم مثلك . وجعلت خطابى بفيه . فيخاطبهم بكل ما أوصـــيه . ويكون الرجل الذى لا يسمع من خطابه الذى يخاطب باسمى أنا أطالبه . والمتنبىء الذى يتقح على الخطاب باسمى ما لم أوصه من الخطاب . ومن يخاطب باسم آلهة أخر . فليقتل ذلك المتنبىء . واذ تقول فى سرك : كيف يتبين الأمر الذى لم يخاطبه الله ؟ ما يقوله المتنبىء باسم الله . ولا يكون ذلك الأمر ولا يأتى هو الامر الذى لم يقله الله باتقاح قاله المتنبىء لا تخف منه » (تثنية ١٨ : ١٣ — ٢٢)

وفى التوراة العبرانية واليونانية — وهى ترجمة عن العبرانية — نجد النص مذكورا مرة واحدة فى سفر التثنية هكذا :

« تكون كاملا لدى الرب الهك . ان هؤلاء الأمم الذين تخلفهم يسمعون للعائفين والعرافين . وأما أنت فلم يسمح لك الرب الهك هكذا ، يقيم لك الرب الهك نبيا ، من وسطك ، من اخوتك . مثلى . له تسمعون . حسب كل ما طلبت من الرب الهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب الهى ، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت .

قال لى الرب : قد أحسنوا فى ما تكلموا ، أقيم لهم نبيا ، من وسط اخوتهم مثلك ، وأجعل كلامى فى فمه ، فيكلمهم بكل ما أوصيه به ، ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه ، وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى .

وان قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ، ولم يحدث ولم يصر . فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه » (التثنية ١٨ : ١٣ — ٢٢)

وموضع الشاهد فى ترجمة ١٦٢٢م هكذا « نبيا من وسطك ، من اخوتك مثلى ، يوقف لك الله ربك . منه تقبلون . كجميع الذى سألت من الله ربك فى حورب ، فى يوم الجوق ، قائلا : لا أعاود أن أسمع صوت الله ربى ، وهذه النار العظيمة لا أرى اكثر ولا أموت .

وقال الله لى : أحسنوا الذى تكلموا . نبيا أوقف لهم ، من وسط اخوتهم ، مثلك ، وأعطى كلامى فى فمه ، ويتكلم معهم جميع الذى آمره . ويكون الرجل الذى لا يسمع كلامى ، الذى يتكلم باسمى أنا أطلب منه . لكن النبى الذى يتواقح ليتكلم كلاما باسمى ، الذى لا أمرته أن يتكلم ، والذى يتكلم باسم معبودات آخرين ، يقتل ذلك النبى .

واذا تقول فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لا تكلمه الله ؟ الذى يتكلم النبى باســم الله ، ولا يكون الأمر ، ولا يجىء ، هو الكلام الذى لا تكلمه الله . بوقاحة تكلمة النبى ، لا تخف منه »

وفى ترجمة الآباء اليسوعيين هكذا : « يقيم لك الرب الهك نبيا ، من بينكم ، من اخوتك . مثلى له تسمعون . جريا على كل ما ســألته الرب الهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا : لاعدت أســمع صوت الرب الهى ، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضــا لئلا أموت .

فقال لى الرب : قد أحسنوا فيما قالوا . اقيم لهم نبيا . من اخوتهم. مثلك . وألقى كلامى فى فيه . فيخاطبهم بجميع ما آمره به ، وأى انسان لم يطع كلامى الذى يتكلم به باسمى فانى أحاسبه عليه ، وأى نبى تجبر . فقال باســمى قولا ، لم آمره أن يقوله ، أو تنبأ باســم آلهة أخرى . فليقتل ذلك النبى .

فان قلت فى نفسك : كيف يعرف القول الذى لم يقله الرب ؟ فان تكلم النبى باســم الرب ، ولم يتم كلامه ، ولم يقع . فذلك الكــلام . لم يتكلم به الرب ، بل لتجبره تكلم به النبى . فلا تخافوه »

الشرح والبيـــان

طلب الله عز وجل من موسى عليه السلام أن يجمع بنى اسرائيل الى جبل الله حوريب ــ جبل طور سيناء ــ ليسمعوا صوت الله وهــو يتحدث مع موسى فيخافوه أبد الدهر . فجمع موسى بنى اسرائيل ، وسار بهم الى الجبل فوقفوا فى أسفله « وكان جميع الشــعب يرون الرعود والبروق ، وصوت البوق ، والجبل يدخن . ولما رأى الشــعب ارتعدوا ووقفوا من بعيد ، وقالوا لموسى : تكلم أنت معنا فنسمع . ولا يتكلم معنا الله لئلا نموت . فقال موسى للشعب : لا تخافوا . لأن

الله انما جاء لكى يمتحنكم ، ولكى تكون مخافته أمام وجوهكم حتى لا تخطئوا » (خروج ٢٠ : ١٨ ــ ١٠) وعقب هذا المنظر المهيب والمخوف طلب بنو اسرايل من موسى أن يطلب من الله عز وجل ألا يحدث هذا مرة أخرى . قائلين : اذا أراد الله أن يكلمنا مرة أخرى فليكلمنا عن طريقك ونحن نسمع ونطيع . فاستجاب الله لطلبهم ووعدهم بارسال نبى اليهم مثل موسى له يسمعون ويطيعون .

***

وقد حدد النص أوصافا تسعة لذلك النبى المماثل لموسى وهى :

الوصف الأول : نبى . الوصف الثانى : من بين اخوة بنى اسرائيل ــ أى من بنى اسماعيل ــ الوصف الثالث : مثل موسى . الوصف الرابع : ينسخ شريعة موسى . الوصف الخامس : أمى لا يقرأ ولا يكتب . الوصف السادس : أمين على الوحى . الوصف السابع : سيقضى على بنى اسرائيل اذا لم يؤمنوا برسالته ــ أى سيزيل ملكهم وينسخ شريعتهم ــ الوصف الثامن : لا يقتل . الوصف التاسع : يتحدث عن أمور غيبية وتحدث فى مستقبل الأيام .

***

واليهود والنصارى متفقون معا على أن هذا النبى ما كان قد أتى قبل عيسى ــ عليه السلام ــ وما يزال بنو اسرائيل الى الآن ينتظرونه . ويطلقون عليه لقب : مسيا ــ الذى تفسيره المسيح ــ .

يقول الأنبا اثناسيوس فى تفسيره لانجيل يوحنا : « كان موسى النبى قد قال لليهود : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) وقد كان المفهوم المباشر لهذه النبوءة : انها عن « يشوع » الذى جاء بعد موسى . **ولكن اليهود فهموها دائما : أنها عن نبى من نوع آخر ، يقيم عهدا جديدا معهم . هو عهد المسيا »**

والنصارى يقولون : ان ذلك النبى الأمى هو عيسى — عليه السلام — ويقولون : انهم لم يعرفوا أنه هو المراد بهذه النبوءة الا بعد عروجه الى السماء ، وحلول الاله الثالث ، الذى هو الروح القدس عليهم بعد خمسين يوما من العروج .

لقد كتبوا فى سفر أعمال الرسل : أن بطرس ويوحنا صعدا الى هيكل سليمان للصلاة فرأيا رجلا أعرج يسأل صدقة « فقال بطرس ليس لى فضة ولا ذهب .ولكن الذى لى فاياه أعطيك . باسم يسوع المسيح الناصرى : قم وامش . وأمسكه بيده اليمنى . وأقامه . ففى الحال تشددت رجلاه وكعباه . فوثب ووقف وصار يمشى ودخل معهما الى الهيكل ، وهو يمشى ويطفر ويسبح الله » عندئذ التف حولهما جميع الشعب فى رواق سليمان وهم مندهشون « فلما رأى بطرس ذلك . أجاب الشعب : أيها الرجال الاسرائيليون ما بالكم تتعجبون من هذا ؟

ولماذا تشخصون الينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشى ؟ ان اله ابراهيم واسحق ويعقوب اله آبائنا مجد فتاه يسوع الذى أسلمتموه أنتم ، وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس ، وهو حاكم باطلاقه . ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار ، وطلبتم أن يوهب لكم رجل قاتل . ورئيس الحياة قتلتموه الذى أقامه الله من الأموات ونحن شهود لذلك . وبالايمان باسمه شدد أسمه ، هذا الذى تنظرونه وتعرفونه . والايمان الذى بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم .

والآن أيها الاخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم ، كما رؤساؤكم أيضا . وأما الله فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم المسيح قد تممه هكذا . فتوبوا وارجعوا لتمحى خطاياكم ، لكى تأتى أوقات الفرج من وجه الرب ، ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل . الذى ينبغى أن السماء تقبله الى أزمنة رد كل شىء التى تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر . فان موسى قال للآباء : أن نبيا مثلى سيقيم

لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون فى كل ما يكلمكم به . ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى تباد من الشعب » (أعمال الرسل ٣ : ١٢ — ٢٣)

ونفس الكلام الذى قاله بطرس قاله استفانوس . فقد اتهمه اليهود بأنه « يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى الله » فوجه اليهم كلاما طويلا منه « هذا هو موسى الذى قال لبنى اسرائيل : نبيا مثلى سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون » (أعمال ٧ : ٣٧)

وقد اتفق النصارى على أن بطرس واستفانوس يطبقان نبوءة التوراة هذه على عيسى — عليه السلام — يقول الآباء اليسوعيون فى تعليقهم على هذه النبوءة : « فى هذه الآية نبوة مختصة بالمسيح وحده ، لأن الروح القدس عينه فسرها فى هذا المعنى ووجهها الى مخلص العالم جليا فى كتاب أعمال الرسل (٣ : ٢٢ و ٧ : ٣٧) وقد اتفق الآباء القديسون كلهم على هذا التفسير » (٧) .

... ...

ولو سألنا النصارى فى ماذا ماثل موسى عيسى ؟ لأجابوا بما يلى :

« كان موسى رمزا للمسيح فى حياته ووظيفته ، فهو كيسوع أنقذ من الموت عندما كان طفلا وقد ترك القصر الملكى لكى يشارك اخوته فى أحوالهم ، وسار رئيس خلاص للشعب . وكان أمينا ومتواضعا وممتلئا بالحنان والحب وشفيعا قويا لشعبه وتكلم مع الله وجها لوجه معلنا مجد الله وكان مقتدرا فى القول والفعل وزعيما وقائدا للشعب » (٨)

وقد سبق أن قلنا : ان اليهود فى انتظار هذا النبى الى الآن .

---

(٧) ص ٦ حواشى على الكتاب المقدس للكاثوليك — المجلد الأول .
(٨) ص ٤٣٧ تفسير الكتاب المقدس — فرانسيس دافدسون .

ولكى لا اسرف فى النقل عن أحبارهم أكتفي بمحاورة بين اثنين منهم . أحدهما اعترف بنبي الاسلام — ﷺ — ويلزم اليهود أن يعترفوا به محتجا عليهم بهذه النبوءة وهو شموئيل بن يهوذا بن أيوب . وثانيهما ألف كتابا مراعيا فيه تكذيب شموئيل وهو ابن كمونة .

يقول شموئيل « انهم لا يقدرون على أن يجحدوا هذه الآية من الجزء الثاني من السفر الخامس من التوراة . وهي : « لاهيم وهى تابى أقيم مقارب أحيحيم كاموخا ابلا وشيماعون » تفسيره : « نبيا اقيم لهم من وسط اخوتهم مثلك . به فليؤمنوا » وانما أشار بهذا الى أنهم يؤمنون بمحمد — ﷺ — فان قالوا : انه قال : « من وسط اخوتهم » وليس فى عاده كتابنا أنه يعنى بقوله « اخوتهم » الا بنى اسرائيل . قلنا : بلى . قد جاء فى التوراة « اخوتهم » لبنى عيسو . وذلك فى الجزء الأول من السفر الخامس وهو قوله « ايم عوبريم بقبول احيحيم بنى عيسو وهيوشيم بسيعير ... » تفسيره : « أنتم عابرون فى تخم اخوتكم بنى عيسو المقيمين فى سيعير » (تث ٢ : ٤) فاذا كان بنو عيسو اخوة لبنى اسرائيل لأن عيسو واسرائيل ولدا اسحاق . فكذلك بنو اسماعيل اخوة لجميع ولد ابراهيم .

وان قالوا : ان هذا القول انما أشير به الى شموئيل (٩) النبى — عليه السلام — لأنه قال « من وسط اخوتهم مثلك » وشموئيل كان مثل موسى لأنه من أولاد لاوى — يعنون من السبط الذى كان منه موسى — عليه السلام — قلنا لهم : فان كنتم صادقين فأى حاجة بكم الى أن يوصيكم بشموئيل ، وأنتم تقولون ان شموئيل لم يأت بزيادة ولا نسخ ؟ أنتم أسبق الناس الى الايمان به ، لأنه انما يخاف تكذيبكم لمن ينسخ مذهبكم ، ويغير أوضاع ديانتكم . فالوصية بالايمان به مما لا

---

(٩) هو صموئيل الذى قال بنو اسرائيل له من بعد موسى : « ابعث لنا ملكا نقاتل فى سبيل الله » .

يستغنى مثلكم عنه ، ولذلك لم يكن بموسى حاجة الى أن يوصيكم بالايمان بنبوة ارمياء واشعياء وغيرهما من الأنبياء . وهذا دليل على أن التوراة امرتهم فى هذا الفصل بالايمان بالمصطفى ، واتباعه — ﷺ — » (١٠)

ويذكر ابن كمونة : أن من المسلمين من احتج بهذه النبوءة مع شموئيل على أن المقصود بها نبى الاسلام — ﷺ — يقول عنهم « وفى التوراة أيضا أن الرب قال لموسى : « انى مقيم لهم نبيا من اخوتهم مثلك ، وأجعل كلماتى فى فيه ، وأيما رجل لم يسمع لقول الذى يتكلم باسمى فانى أنا أنتقم منه » ولو كان هذا النبى من بنى اسرائيل لقال : من أنفسهم ، ولم يقل من اخوتهم . ولأن فى التوراة : « أنه لا يقوم نبى من بنى اسرائيل كموسى » . فالبشارة اذا بنبى من غيرهم هو « محمد »

ثم يرد ابن كمونة على الجميع بقوله : « وأما النبى الذى يقيمه الله من اخوة بنى اسرائيل فالمراد بذلك أنه يكون منهم ، لأنه أكثر ما وردت لفظة « اخوتكم » فى مخاطبة بنى اسرائيل ، أريد بها من هو منهم . الا فى النادر مثل قوله : « اخوتكم بنى عيسو » (١١)

ويرد ابن كمونه على النصارى فى قولهم ان النبى الذى وعد بـه موسى فى سفر التثنية هو عيسى ، لأن شمعون هو الذى قال بذلك . بقوله : « وقول شمعون (١٢) : ان النبى الذى وصى بنو اسرائيل بقبول أمره والايمان به هو المسيح » غير مسلم . بل هو اشارة الى كل نبى يأتى على دين موسى ، وسياق الكلام المنزل فى هذا المعنى لا تقتضى التخصيص بنبى دون غيره . وبتقدير أن تقتضى ذلك ، نمنع أن المقصود بالتخصيص هو المسيح » (١٣)

(١٠) ص ٣٢ — ٣٣ بذل المجهود .
(١١) ص ٩٤ — ٩٦ تنقيح الأبحاث .
(١٢) شمعون هو : سمعان بطرس .
(١٣) ص ٦٤ تنقيح الأبحاث .

يريد ابن كمونة أن يقول : ان النبي الذي وعد به موسى في سفر التثنية سوف يكون من بني اسرائيل وانه ليس نبيا مقصودا بذاته ، بل كل نبي من بني اسرائيل مثل موسى ، يكون السماع له واجب .

وابن كمونة — كما هو واضح — يحرف الكلم عن مواضعه ، لأن النبوءة تحدد أوصافا تنسحب لنبي واحد لا لأنبياء كثيرين .

***

ولننتقل بعد ذلك الى الأوصاف التسعة التي تنطبق على نبي الاسلام تمام الانطباق (١٤) .

---

(١٤) من حسن كلام القرطبي صاحب الاعلام في تفسير هذه النبوءة ما نصه : « جاء في التوراة ان الله قال لموسى بن عمران : « انى أقيم لبني اسرائيل من اخوتهم نبى مثلك . أجعل كلامى على فيه ؛ فمن عصاه انتقمت منه » فان قلت : انما هو يشوع بن نون . قلنا : لا . فقد قال في آخر التوراة « لا يخلف من بني اسرائيل نبى مثل موسى » فلا محالة أن ذلك الذى بشرت به التوراة لا يكون من بنى اسرائيل . لكن من أخوة بنى اسرائيل ؟ فلننظر من هم اخوة بنى اسرائيل ؟ فلا محالة أنهم العرب او الروم . فأما الروم فلم يكن منهم نبى سوى أيوب وكان قبل موسى بزمان ، فلا يجوز أن يكون هو الذى بشرت به التوراة . فلم يبق الا العرب. فهو اذن محمد عليه السلام وقد قال في التوراة حين ذكر اسماعيل جد العرب : « أنه يضع فسطاطه فى وسط بلاد اخوته » فكنى عن بنى اسرائيل باخوة اسماعيل كما كنى عن العرب باخوة بنى اسرائيل فى قوله : « انى أقيم لبنى اسرائيل من اخوتهم نبى مثلك » ويدل ذلك أيضا قوله : « أجعل كلامى على فيه » فان هذا تصريح بالقرآن . اذ هو كلام الله الذى جاء به محمد — ﷺ — وتلقيناه من فلق فيه . ويدل أيضا على ذلك قوله « من عصاه انتقمت منه » اذ قد فعل ذلك بصناديد قريش وعظماء ملوك الروم وغيرهم ، فهم بين أسير وقتيل ومعطى الجزية على وجه الصغار والذلة »

الوصـــف الأول : نبى

« **أقيم لهم نبيا** » وهذا الوصف مشترك بين عيسى ومحمد عليهمـــا السـلام . ففى الانجيل عن المسيح عليه السلام « لأنه كان عندهم مثـل نبى » (متى ٢١ : ٤٦) وفى القرآن عن محمد — ﷺ — « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا » (الأحزاب ٤٥) فكل واحـــد منهما نبى ، ومعه معجزات ، ولكن انطباق الوصف على نبى الاسلام — ﷺ — أحق وأولى لأن عيسى — عليه السلام — فى نظر أتباعه من سنة ٣٢٥م هو الله نفسه مع كونه نبيا فى نظر الأرثوذكس ، وهو اله من آلهة ثلاثة مع كونه نبيا فى نظر الكاثوليك والبروتستانت . أما محمد — ﷺ — فى نظرنا نحن المسلمين فلم يزد عن كونه « بشرا رسولا » ولا يحق لليهود أن ينكروا هذا الوصف على نبى الاسلام — ﷺ — لأن من شروط النبى عندهم : اتيان النبى بمعجزات ، وقد اتى النبى بمعجزة .

يقول ابن كمونة « **ومما يدل على صدق المدعين للنبوات : المعجزات .**

والمعجز على موجب اللغة هو ما عجز البشر عنه ، ولم يتمكنوا منه اما لفقد قدرة أو علم أو آلة . والمعجز فى مصطلح جمهور أهل الشرائع هو الدال على صدق النبىفى دعواه النبوة . فيشترطون فى كونه دالا على النبوة شروطا كثيرة منها أن يعجز البشر عنها وعما يقاربها ومنها أن تكون ناقضة للعادات ، ومنها أن تكون فى زمان التكليف ، ومنها أن تكون فى زمن يدعى فيه النبوة . ومنها أن تكون من فعل الله . أو بأمره . وتمكينه . فهذه شروط خمسة (١٥)

وانما شرطنا أن لا يقدر العباد عليها . لأن ما يقدرون عليه يشترك فيه الصادق والكاذب فيصح أن تتقارن دعوى كل واحد منهما ، فـــلا

---

(١٥) الشروط الخمسة : ١ — أن لا يقدر العباد عليها ولا عـلى مقاربها ٢ — ناقضة للعادة ٣ — فى زمان تكليف ٩ — فى حال دعواه النبوة ٥ — تكون بأمر الله .

يميز الصادق منهما . وكذا لو قدر على ما يقاربها فانه قد (لا) يندر صاحب علم أو حرفة يفوق فيهما أهل زمانه وغيرهم ، ولا يدل ذلك على نبوة ، لو فرضنا أنه تحدي به . وانما يكون ذلك دليلا على النبوة لو بلغ فى ذلك المبلغ الذى يقع معه الجزم بأن ما فعله ليس فى مقدور نوع البشر الاتيان به أو بمقاربه .

وانما شرطنا أن يكون ناقضا للعادة لأنه انما يدل على صدق الدعوى ، اذ لولا نقضها لما ظهر (صدقه) ولا يمكن أن يقال : لولا صدق هذا النبى لما طلعت الشمس اليوم لأنها طلعت اليوم لما له طلعت أمس . وانما شرطنا كونه زمان تكليف لما ورد أنه عند اشراط الساعة تنتقض العادات . فيكون لانتقاضها سبب هو غير صدق الدعوى . وانما شرطنا أن تكون فى حال دعوى النبوة ، لأن صدق الدعوى صفة الدعوى . ولا يجوز حصول الصفة من دون حصول الموصوف . وانما شرطنا أن تكون من فعل الله أو باذنه لأنه لا يدل تصديق الدعوى على صدقها الا اذا كان المصدق أو الأمر بالتصديق أو الممكن منه حكيما .

ولا فرق عند العقلاء بين أن يعطى الانسان خاتمه لمن يجعله علامة ودلالة على أنه رسوله ، وبين أن يمكنه من أخذه وهو يعلم أنه يدعى أنه رسوله . ولهذا استوى فعل التصديق والتمكين منه فى الدلالة على الصدق» (١٦) أ. هـ

ولقد كان النبى — ﷺ — أميا ، ونشأ فى بيئة أمية وأتى بالقرآن الكريم الذى يعجز الأنس والجن عن الاتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا . ويعجز العرب والعالم . أليس هذا يدل على صدقه فى دعوى النبوة . بناء على هذه الشروط الخمسة ؟

الوصف الثانى : من بين اخوة بنى اسرائيل . اى من بنى اسماعيل :

« من وسطك من اخوتك » — « من وسط اخوتهم » لقد يريد الكاتب

---

(١٦) ص ٧ تنقيح الأبحاث .

« من وسطك — من وسط » التأكيد على أن هذا النبى اذا جاء فانه سيكون من بنى ابراهيم — عليه السلام — لا من تسل غير نسله . ذلك لأن اسماعيل واسحق أخوان . وفى ذريتهما النبوة والكتاب . وفى نص التوراة هذا نجد أن « من وسطك » — « من وسط » هما زيادة على النص الذى نطق به بطرس واستفانوس فى سفر أعمال الرسل يقول بطرس : « فان موسى قال للآباء : ان نبيا مثلى سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم . له تسمعون » ويقول استفانوس : « هذا هو موسى الذى قال لبنى اسرائيل : نبيا مثلى سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم . له تسمعون » وهذا الوصف مشترك بين عيسى ومحمد — عليهما السلام — فان عيسى من بنى اسرائيل ، ومحمد من بنى اسماعيل . وهم اخوة . بعضهم لبعض .

ففى التوراة أن أبناء اسماعيل : اخوة لبنى اسحق . ففى سفر التكوين : « وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى فلتبين ابنا ، وتدعين اسمه : اسماعيل . لأن الرب قد سمع لمذلتك . وانه يكون انسانا وحشيا . يده على كل واحد ويد كل واحد عليه ، وأمام جميع اخوته يسكن » (تك ١٦ : ١١ — ١٢) وفيه أيضا : « وهذه سنو حياة اسماعيل : مئة وسبع وثلاثون سنة . وأسلم روحه ومات وانضم الى قومه ، وسكنوا من حويلة الى شور التى أمام مصر . حينما تجىء نحو اشور . أمام جميع اخوته نزل » (تك ٢٥ : ١٧ — ١٨)

وكما جاء لفظ الاخوة عن بنى اسماعيل بالنسبة لبنى اسحق ، جاء أيضا عن بنى عيسو بالنسبة لبنى يعقوب . باسمه الأول : عيسو ، واسمه الثانى : أدوم (١٧) فقد أمر الله موسى بأن يقول : « أوصى الشعب قائلا : أنتم مارون بتخم اخوتكم بنى عيسو الساكنين فى سعير » (تث ٢ : ٤) وقال كاتب التوراة : « وأرسل موسى رسلا من قادش الى ملك أدوم : هكذا يقول اخوك اسرائيل » (عد ٢٠ : ١٤) وقد كان يمكن أن يكون هذا النبى من بنى عيسو لولا أن التوراة قد نصت على حرمانهم من مباركة

---

(١٧) فى التوراة : « فسكن عيسو فى جبل سعير ، وعيسو هو آدوم » (تك ٣٦ : ٨)

الأمم في نسلهم . فقد بارك اسحق يعقوب بقوله « ليعطك الله من ندى السماء . ومن دسم الأرض . وكثرة حنطة وخمر . ليستعبد لك شعوب . وتسجد لك قبائل . كن سيدا لاخوتك . وليسجد لك بنو أمك . ليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركوك مباركين » (تكوين ٢٧ : ٢٨ — ٢٩)

ولما علم عيسو بأن يعقوب قد أخذ منه البركة . حزن جدا « وقال لأبيه :باركني انا أيضا يا أبي . فقال : قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك » (تكوين ٢٧ : ٣٤ — ٤٥)

وقد كان يمكن أن يكون هذا النبي من بني قطورة — امرأة ابراهيم — لولا أن التوراة قد نصت على حرمانهم من مباركة الأمم في نسلهم أيضا ففيها : « واما بنو السراري اللواتي كانت لابراهيم فاعطاهم ابراهيم عطايا ، وصرفهم عن اسحق ابنه شرقا الى أرض المشرق وهو بعد حي » (تك ٢٥ : ٦)

لم يبق اذا من نسل ابراهيم ممن لم تنص التوراة على حرمان الأمم من بركة نسلهم غير بني اسماعيل ففيها : « واما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه » (تك ١٧ : ٢٠) فيكون هذا النبي منهم .

وابن كمونة لما نقل احتجاج شموئيل وغيره وفيه : « لو كان هذا النبي من بني اسرائيل لقال « من أنفسهم » ولم يقل : « من اخوتهم » ولأن في التوراة « أنه لا يكون نبي من بني اسرائيل كموسى » لم يستطع أن ينكر قولهم وهو : « لا يكون نبي من بني اسرائيل كموسى » فان ذلك ثابت وواضح . وانما استطاع أن يدعي أن هذا النبي سيكون من بني اسرائيل . وكيف يكون من بني اسرائيل و « لا يكون نبي من بني اسرائيل كموسى ؟ » وهذا الوصف كما بينا يتطبق على المسيح عيسى عليه السلام ، فانه من بني اسرائيل . وينطبق على محمد — ﷺ — فانه من بني اسماعيل . وانطباقه على محمد — ﷺ — أحق وأولى . لأنه لو كان هذا النبي من بني

اسرائيل لكان يقول « من أنفسهم » وما كان يعبر بلفظ الأخوة الذى ينصرف الى اسماعيل بالضرورة لثبوت بركة بنى نسله .

ولأن كاتب التوراة من عادته اذا أراد بالاخوة بنى اسرائيل يضع كلمة بنى اسرائيل بعد لفظ الاخوة . فاذا كان نبى النبوءة من بنى اسرائيل ، لكان يقول من اخوتك بنى اسرائيل حسب عادته . كما قال فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر التثنية : « اذا وجد رجل قد سرق نفسا من اخوته بنى اسرائيل واسترقه وباعه يموت ذلك السارق » (تث ٢٤ : ٧) فهو لم يقل من اخوته فقط ، بل قال من اخوته بنى اسرائيل .

الوصف الثالث : مثل موسى

« من اخوتك مثلى » — « من وسط اخوتهم مثلك » وقد سبق أن تحدثنا فى مثلية نبى الاسلام بموسى — عليهما السلام — فى الأمور الثلاثة التي حددتها التوراة بالنص وهم :

١ — فى جميع الآيات والعجائب ٢ — وفى كل اليد الشديده ٣ — وفى كل المخاوف العظيمة .

وأما قول المهتدى : أن عيسى كموسى فى : الأمانة والتواضع والعدل والحب وما شابه ذلك فهو قول ضعيف القيمة . وأهون من أن نتحدث فيه . لأنه لا يمت الى نص مثلية التوراة بصلة . وقول ابن كمونة ان المثلية فى صفة الكلام فقط هو قول ضعيف أيضا . لأن المثلية محددة بهذا النص فى أمور ثلاثة وليس من بينها الكلام المباشر بين الله وبين موسى — ولا اجتهاد مع النص . كما يقول الفقهاء — .

وفى القرآن الكريم ما يفيد مثلية نبى الاسلام بموسى . يقول تعالى « انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا . فعصى فرعون الرسول فأخذناه أخذا وبيلا » (المزمل ١٥ — ١٦) وليس فى الانجيل ما يفيد مثلية عيسى بموسى ، فقد قال عيسى — عليه السلام — فى مخاطبة اليهود الذين انكروه « كيف تقدرون أن تؤمنوا ، وأنتم تقبلون

مجدا بعضكم من بعض ، والمجد الذى من الاله الواحد لستم تطلبونه ؟ لا تظنوا أنى أشكوكم الى الآب . يوجد الذى يشكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم » (يوحنا ٥ : ٤٤ — ٤٥)

... ...

الوصف الرابع : ينسخ شريعة موسى

« له تسمعون » وسماع بنى اسرائيل لكلامه يستلزم الايمان بكل ما يقول به ، حتى ولو أمرهم بنبذ التوراة وراء ظهورهم . وعيسى — عليه السلام — جاء مصدقا للتوراة غير ناسخ لحكم من أحكامها . فلقد روى عنه متى : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس » (متى ٥ : ١٧) وروى عنه أيضا : « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه » (متى ٢٣ : ٢ — ٣) فقد أوصى بالحفظ وبالفعل . أوصى بالحفظ من علماء بنى اسرائيل ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به . وأوصى بالعمل بما يقولون — وهم لا يقولون الا بما قال به موسى — .

أما نبى الاسلام — ﷺ — فقد جاء مصدقا للتوراة ومهيمنا عليها ، أى مقرا للبعض وناقضا للبعض ، فالذى أقره يكون مصدقا له ، والذى نقضه من أحكامها يكون بالنقض له مصرحا بنسخه . فقد قال تعالى : « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق . مصدقا لما بين يديه من الكتاب . ومهيمنا عليه » (المائدة ٤٨)

وقد حدثت مباحثة بين اليهود السامريين والعبرانيين قبل ظهور الاسلام بكثير بشأن أسفار الأنبياء الذين أتوا من بعد موسى كاشعياء وارمياء وحزقيال وغيرهم . فالعبرانيون سلموا بهم لأنهم يجوزون النسخ فى شريعة موسى عليه السلام ، والسامريون لم يسلموا بهم البتة ، واحتجوا بعدم التسليم الى انكار النسخ فى شريعة موسى . يقول أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى ان الملك فلطمة (فيلادلفيوس)

سأل السامريين بحضرة العبرانيين فى مدينة « الاسكندرية » فقال لهم : « ماذا تقولونه فى هؤلاء الذين قد ادعوا اليهود بأنهم أنبياء ولهم هـذه الأسفار ؟

فقالوا : أما هؤلاء فما نعرف بنبوتهم ولا بأسفارهم لأنها أيها الملك اما أن تكون وردت على يد أنبيـاء أو غير أنبياء . فان كانت على يد أنبياء ، فقـد منعت الشريعـة الموسـوية أن يقـوم بعـد موسى نبى بقوله (. . . . .) (١٨) ولو صادرناهم على ادعائهم مع منعها عندنا لكانت اما ترد بمثل ما فى التوراة سواء فلا حاجة اليها .

أو بأنقص مما فيها فاتباع الأفضل أوجب ؟ أو بأزيد مما فيها . وقد نهى الشرع عندنا وعندهم من قبوله . بمعنى أنها شريعة كاملة . أو بما ليس فيها فيكون ذلك نسخا . والنسخ فغير جائز عندنا .

فقال من حضر عند الملك : ان حجة اليونان فى النسخ : أن ما حرم فى وقت . وما هـو قبيح فى وقت يجوز أن يصـير حسـنا فى وقت آخر . وذلك يتبع غرض الشارع وأخلاق المكلفين . وليست هذه الأشياء مما يكون الحكم قد تعلق بها . بحيث يكون الوصف لازما لها مادامت تلك العين موجودة بل هذا تكليف يتعلق بمصالح المكلفين فى وقت ما بحسب أخلاقهم وأحوالهم .

فقالوا : تأمل الجواب . لو كان هذا كما ذكرتم لأجل الاخلاق والاحوال ، لكان يصح الاختلاف فى العصر الواحد . لأن أخلاق أهل العصر الواحـد ليست بمتساوية ولا بمتشابهة . بل متنائية ومختلفة . وأما قولكم : انها ليست من الأشياء التى يتعلق الحكم بها بحيث يكون الوصـف لازما لهـا مادامت العين . وانما قصورنا وعجزنا لا ينهض بمعرفة عللها وأسبابها . وليست اذا امتنعت العقول من معرفة شىء يكون ذلك الشىء مستحيلا فى ذاته .

---

(١٨) ما بين القوسين نص عبرى سامرى قديم ترجمته : « ولا يقوم أيضا نبى فى اسرائيل كموسى » .

ولما علم البارى تعالى بسابق علمه : عجزنا ، وقصور عقولنا عن ادراك معرفة ذلك . واسجابه كشفها لنا شرعا ، ودلنا على حكمها وصفاتها دلالة كلية ، ودلنا على بعضها تفصيلا ، فلم يجز نعتبر الحكم يتبع عنها كما حرم علينا الجمل لعدمه بعض علامات الطهر ، والخنزير كذلك وغيرهما وهذه العلامات فيها ، وهى علة الحكم ، والحكم يتبع العلة ، والعلة مؤبدة مادام النوع . فالحكم مؤبد مادام الخلق . ويكفينا ما ورد من تابيدها ، وذكرها : عللها على الجملة كالحيوانات المباحة والمحظورة مثلا .

ومن التأبيد نعلم لزوم الحكم لها أبدا . وذلك انما اتباع أوصافها . ولا يصح أن يتبع أغراض المتعبدين بها ، ولا أخلاقهم ولا عاداتهم . وانما يتبع الأعيان منها والذوات تفصيلا ، والأوصاف المؤثرة فى الحكم جملة ، ولزوم الحكم لها دائما شرعا (١٩) » .

هذا كلامه . وكيف ينكر النسخ فى الشرائع . وعنده فى التوراة نبى سيأتى من بعد موسى ليقيم لهم الدين . وله يسمعون ويطيعون ؟

فلنفترض انه أتى وقال قولا يلغى به حكما من أحكام موسى . أيسمعون له أم لا يسمعون ؟ ويطيعون أم لا يطيعون ؟ انهم ان سمعوا ، فهذا هو اثبات النسخ فى أحكام موسى . وان لم يسمعوا . فانهم بعدم سماعهم لا يكونون مصدقين بنبوة موسى وهذا النبى ، أو يكونوا مصدقين بالنبى ، ويريدون عناد الله بالبعد عنه .

وأنا لنثبت لهم جواز النسخ من كتبهم بأمثلة :

المثال الأول : كان آدم عليه السلام يزوج ابنه ابنته لتعمر الأرض حيث لا نسل يأتى وقتئذ الا منه وزوجه . وظل الحال كذلك حتى جاء موسى عليه السلام فحرم الله على يديه نكاح الأخت فأصبح هذا التحريم ناسخا لحل نكاحها من قبل أن تنزل التوراة . يقول موسى « عورة أختك بنت أبيك أو بنت أمك المولودة فى البيت ، أو المولودة خارجا لا تكشف عورتها ... عورة بنت امرأة أبيك المولودة من أبيك لا تكشف عورتها . انها أختك » (لاويين ١٨ : ٩ ، ١١)

---

(١٩) ص ٩٩ ــ ١٠١ التاريخ مما تقدم عن الآباء .

المثال الثانى : ان يعقوب عليه السلام جمع بين الأختين فى نكاح صحيح . فلقد تزوج من ليئة وراحيل ابنتى خاله لابان . كما فى الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين . وفى شريعة موسى تحريم الجمع بين الأختين ففى سفر الأحبار « ولا تأخذ امرأة على أختها للضر لتكشف عورتها معها فى حياتها » (لاويين ١٨ : ١٨)

المثال الثالث : أن عمران أبا موسى وهرون — عليهما السلام — كان متزوجا بعمته « يوكابد » تقول التوراة « وأخذ عمرام يوكابد عمته زوجة له ، فولدت له هرون وموسى » (خروج ٦ : ٢٠) وفى شريعة موسى تحريم نكاح العمة . ففى سفر اللاويين : « عورة أخت ابيك لا تكشف . انها قريبة أبيك » (اللاويين ١٨ : ١٢)

المثال الرابع : يقول ارمياء « ها أيام تأتى يقول الرب واقطع مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا عهدا جديدا . ليس كالعهد الذى قطعته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر حين نقضوا عهدى فرفضتهم يقول الرب . بل هذا هو العهد الذى اقطعه مع بيت اسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب : أجعل شريعتى . . . الخ » (ارمياء ٣١ : ٣١ — ٣٣) والمراد من العهد الجديد : الشريعة الجديدة لأنه يقول « أجعل شريعتى . . . الخ » فيلزم أن تكون الشريعة الجديدة ناسخة للشريعة القديمة .

والنصارى يعترفون بنسخ الشرائع . ويقولون : ان الانجيل قد نسخ أحكام التوراة .

فقد ادعى « بولس » : ان العهد الجديد مراد به : عهد الانجيل . وأنه لولا عيب التوراة لما جاء الانجيل . وأنه لما جاء الانجيل أصبح العهد القديم قريبا من الاضمحلال لأنه قد عتق وشاخ .

يقول بولس « فانه لو كان ذلك الأول بلا عيب لما طلب موضع لثان . لأنه يقول لهم لائما : هوذا أيام تأتى يقول الرب حين أكمل مع بيت اسرائيل ، ومع بيت يهوذا عهدا جديدا . لا كالعهد الذى عملته مع آبائهم يوم أمسكت بيدهم لأخرجهم من أرض مصر لأنهم لم يثبتوا فى عهدى ،

وأنا أهملتهم يقول الرب ، لأن هذا هو العهد الذى أعهده مع بيت اسرائيل بعد تلك الأيام يقول الرب . أجعل نواميسى فى أذهانهم ، وأكتبها على قلوبهم . وأنا أكون لهم الها . وهم يكونون لى شعبا . ولا يعلمون كل واحد قريبه ، وكل واحد أخاه قائلا : أعرف الرب . لأن الجميع سيعرفوننى من صغيرهم الى كبيرهم . لأنى أكون صفوحا عن آثامهم . ولا أذكر خطاياهم ، وتعدياتهم فى ما بعد . فاذا قال جديدا عتق الأول . وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال » (عبرانيين ٨ : ٧ — ١٣)

ولو قلنا على حد قوله : لولا تحريف التوراة لما كان القرآن الكريم للرحمة . ولولا ثقلها وشدتها لما كان القرآن للتخفيف — وهو العهد الجديد — ما توجه علينا لوم . لأن دفاعنا عن اللوم أن وجد ، شبيه بدفاع أتباعه اذا دافعوا .

ولنناقش السامريين فى « علة الحكم » التى بسببها عندهم لا يجوز النسخ فى شرائع الله . ونقول : ان الحكم الإلهى الذى يحرم شيئا على الناس قد يكون لعلة فى الشىء المحرم ، وقد يكون لغير علة فى الشىء المحرم كالميتة فان العلة فى تحريمها ضرر الجسم ولذلك هى محرمة فى التوراة وفى القرآن . وقد يكون لغير علة مثل تحريم لحم الجمل فى التوراة وتحليل أكله فى القرآن الكريم . فانه حرم عليهم للضرر بهم . كما قال تعالى : « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ... الخ » (النساء ١٦٠) وأبيح لنا نحن المسلمين لأن الله خفف علينا كما قال تعالى : « يريد الله أن يخفف عنكم » (النساء ٢٨)

ومن أحكام التوراة : ان من يحضر ميتا عند موته ، أو يمس عظما منه ، أو يطأ قبرا ، فانه يتنجس ولا يتطهر الا برماد البقرة التى كان الامام الهارونى يحرقها . فهل لهذا الحكم من علة الا التشديدات ؟ وان استغنى اليهود الآن فى الطهارة عن ذلك الرماد لعجزهم عنه فقد أقروا بالنسخ لحال اقتضاها هذا الزمان لا لعلة الحكم . وان لم يستغنوا عن ذلك كانوا على غير طهارة ، وهو بخلاف معتقدهم . لأنهم يصلون ويصومون .

والعبرانيون بقبولهم أسفار الأنبياء ، يسلمون بالنسخ . لأنه اذا كان فيها أحكام غير أحكام موسى — وليس فيها — « يكون ذلك نسخا » على حد تعبير السامرى أبى الحسن . ولو كانت شريعة موسى الى الأبد ما كان ينبه على نبى من بعده له يسمعون ويطيعون . اذ أى فائدة تكون من قوله عنه «له تسمعون» اذا كانت شريعة موسى الى الأبد ؟ ومع ذلك يدعى العبرانيون كما يدعى السامريون دوام شريعة موسى الى يوم القيامة . وغرضهم من هذا الادعاء : انكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم . يقول ابن كمونة : « انا نحن نعلم باضطرار من ألفاظ التأبيد ، ومن قرائن غيرها من التوراة ، وكتب الأنبياء ، وكلام حملة الشريعة : أن موسى — عليه السلام — كان يندين بدوام شريعته (٢٠) » أ.هـ

ومن ألفاظ التأبيد فى التوراة هذا النص : « يحفظ بنو اسرائيل السبت ليصنعوا السبت فى أجيالهم عهدا أبديا . هو بينى ، وبين بنى اسرائيل علامة الى الأبد » (خروج ٣١ : ١٦ — ١٧) ونرد عليهم : بأن هذا التأبيد بمعنى مدة محددة ، تنتهى بمجىء النبى الناسخ لشريعة موسى . ودليلنا على ذلك فوق تنبيه موسى على نبى من بعده بقوله « له تسمعون » : قصة العبد المؤبد فان العبد العبرانى يستخدم ست سنين ، ثم يعتق فى السابعة ، فان رفض العتق ، تثقب أذنه ، ويستخدم أبدا . وأراد بلفظ « أبدا » مدة طويلة . هى خمسون سنة فقط .

ففى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر الخروج : « اذا اشتريت عبدا عبرانيا فست سنين يخدم وفى السابعة يخرج حرا مجانا . ان دخل وحده فوحده يخرج . ان كان بعل امرأة تخرج امرأته معه . ان أعطاه سيده امرأة وولدت له بنين أو بنات ، فالمرأة وأولادها يكونون لسيده وهو يخرج وحده . ولكن ان قال العبد : أحب سيدى وامرأتى وأولادى لا أخرج حرا ، يقدمه سيده الى الله ، ويقربه الى الباب أو الى القائمة ،

---

(٢٠) ص ٤٩ تنقيح الأبحاث .

ويثقب سيده أذنه بالمثقب . فيخدمه الى الأبد » (خر ٢١ : ٢ — ٦ تث ١٥ : ١٢ — ١٧)

وفى تشريعهم : انه عند راس كل خمسين سنة ، تكون السنة الخمسون سنة مقدسة . وتسمى سنة « اليوبيل » وفيها لا يزرعون ولا يحصدون ، وفيها « تنادون بالعتق فى الأرض لجميع سكانها » (لاويين ٢٥ : ١٠) فاذن لفظ الأبد محدد بمدة .

الوصف الخامس : أمى لا يقرأ ولا يكتب

« **واجعل كلامى فى فمه** » أى يكون نبيا أميا . والأمى منسوب الى الأمة الأمية التى هى على اصل ولادتها لم تتعلم الكتابة ولا القراءة . ومن الأمم التى هى على اصل ولادتها : أمة العرب بنو اسماعيل . ونبى الاسلام واحد منهم ، أمى مثلهم . لقوله تعالى : « هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين » (الجمعة ٢).

واليهود يطلقون على أى أمة غير أمتهم لقب : « الأمة الأمية » . وفى ذلك يقول تعالى « ذلك بأنهم قالوا : ليس علينا فى الأميين سبيل » (آل عمران ٧٥)

واليهود كتبوا فى التوراة : أن الله سيغيظهم فى آخر أيام بركتهم بأمة غبية ، ولكنهم لم يعينوا هذه الأمة من هى من سائر الأمم ؟ ولا نستبعد أن تكون هذه الأمة أمة العرب ، لأن الصراع فى النبوة قائم على نسل اسماعيل واسحق — عليهما السلام — وهم متأكدون من مباركة الأمم فى نسل اسماعيل بنبى من أولاده ، واشاروا اليه بغير وضوح للعوام من الناس . ففى سفر التثنية :

« فرأى الرب . ورذل من الغيظ بنيه وبناته . وقال : أحجب وجهى عنهم ، وانظر ماذا تكون آخرتهم ؟ انهم جيل متقلب . أولاد لا أمانة فيهم .

هم أغاروني بما ليس الها . اغاظوني بأباطيلهم ، فانا أغيرهم بما ليس شعبا . بأمة غبية أغيظهم » (تثنية ٣٢ : ١٩ – ٢١) .

وقد فسر بولس الأمة الغبية في رسالته الى أهل رومية بأمة اليونان ومن يدخل في النصرانية من غير اليهود . يقول : « لا فرق بين اليهودى واليونانى . لأن ربا واحدا للجميع ، غنيا لجميع الذين يدعون به لأن كل من يدعو باسم الرب يخلص ... لكنى أقول : ألعل اسرائيل لم يعلم ؟ أولا موسى يقول : أنا أغيركم بما ليس أمة ، بأمة غبية أغيظكم . ثم اشعياء يتجاسر ويقول : وجدت من الذين لم يطلبوننى ، وصرت ظاهرا للذين لم يسألوا عنى ، أما من جهة اسرائيل فيقول : طول النهار بسطت يدى الى شعب معاند ومقاوم » (رومية ١٠ : ١٢ – ٢١) .

وتفسيره ظاهر الخطأ لأنه هو نفسه فى رسالته الى أهل كورنثوس يقول « لأن اليهود يسألون آية ، واليونانيين يطلبون حكمة » (كورنثوس ١ : ٢٢) وحقا هم يطلبون حكمة لأن اليونانيين قبل عيسى – عليه السلام – بمئات من السنين مشهورون بالعلم والفن . فلقد كان منهم « سقراط » و « أفلاطون » و « جالينوس » وغيرهم . أما العرب فقد كانوا فى غاية الجهل . ولا علم عندهم ولا دين ، واليهود منعوا الشريعة عنهم من زمن بابل ، وكانوا يحتقرونهم لأنهم من أبناء هاجر جارية ابراهيم – عليه السلام – و « أرسطوطاليس » منهم قد ألف فى علم المنطق – وهو العلم الذى يعصم الذهن من الخطأ فى الفكر – ثمانية كتب . وهى : ١ – قاريغورياس ٢ – باريرمينياس ٣ – أنولوطيقا الأولى ٤ – أنولوطيقا الثانية ٥ – طوقيقى ٦ – سوفسطيقى ٧ – ريطوريقى ٨ – فويطيقى – كما جاء فى « الفهرست » لابن النديم ، وتهافت الفلاسفة للغزالى حجة الاسلام أبى حامد ، وشرح عيون الحكمة للامام فخر الدين الرازى .

وأيا ما كانت هذه الأمة – وهى أمة بنى اسماعيل فى نظرنا – فليس منها عيسى عليه السلام ، لأنه من بنى اسرائيل ، وهم يشيرون بالأمة الغبية الى غيرهم . وأيا ما كان هذا النبى الأمى فليس هو عيسى عليه السلام لأنه منذ صغره فى هيكل

سليمان يتعلم التوراة والحكمة . وكان عيسى قارئا وكاتبا . يقول لوقا عنه « وكان الصبى ينمو ويتقوى بالروح ممتلئا حكمة . وكانت نعمة الله عليه ، وكان أبواه يذهبان كل سنة الى أورشليم فى عيد الفصح ، ولما كانت له اثنتا عشرة سنة صعدوا الى أورشليم كعادة العيد ، وبعد ما أكملوا الأيام بقى عند رجوعهما الصبى يسوع فى أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما ... وبعد ثلاثة أيام وجداه فى الهيكل جالسا فى وسط المعلمين يسمعهم ، ويسألهم ، وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته . فلما ابصراه اندهشا . وقالت له أمه : يابنى . لماذا فعلت بنا هكذا ؟ هوذا ابوك (٢١) وأنا كنا نطلبك معذبين . فقال لهما : لماذا كنتما تطلبانني ؟ ألم تعلما أنه ينبغى أن أكون فى ما لأبى (٢٢) ؟ » (لوقا ٢ : ٤٠ — ٤٩)

وفى الأناجيل أن عيسى عليه السلام كان من علماء بنى اسرائيل الهارونيين الكبار ، الذين يلقبون بالربانيين . وكان يدخل مجامع اليهود يوم السبت ليعظ الناس ويعلمهم الشريعة . يقول لوقا : « وجاء الى الناصرة حيث كان قد تربى ، ودخل المجمع حسب عادته يوم السبت ، وقام ليقرأ » (لوقا ٤ : ١٦) ويقول يوحنا « وأما يسوع فانحنى الى أسفل وكا نيكتب » (يوحنا ٨ : ٦) وكان تلاميذه يدعونه بلقب « ربى » أى المعلم . ويحكى يوحنا كاتب الانجيل أن يوحنا المعمدان كان واقفا هو واثنان من تلاميذه . فنظر الى عيسى ماشيا وتحدث عنه . فلما سمعه التلميذان ، تركاه وتبعا عيسى — عليه السلام — فالتفت يسوع ونظرهما يتبعان .

فقال لهما : ماذا تطلبان ؟ فقالا : ربى ، الذى تفسيره يا معلم : أين تمكث ؟ » (يوحنا ١ : ٣٨)

---

(٢١) يقول النصارى أن عيسى عليه السلام قد ولد من غير أب كما يقول القرآن . ويقولون أن مريم كانت مخطوبة لرجل يسمى يوسف . ولما قالت له أمه « هو ذا أبوك » كانت تعنى الأبوة المجازية (انظر تفسير متى هنرى)

(٢٢) فى ما لأبى ، أى فى طاعة الله ، أبوة مجازية ، ويترجمها البعض (فى بيت أبى) أى فى هيكل سليمان . (انظر حياة المسيح لفردريك وتفسير متى هنرى)

ويعرف من ذلك : أن هذا النبى الأمى ليس هو عيسى — عليه السلام — وانما هو نبى الاسلام — ﷺ — لأنه لم يكن قارئا ولا كاتبا . فقد قال تعالى : « وما كنت تتلو من قبله من كتاب ، ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون » (العنكبوت ٤٨)

ومع أنه كان أميا ، كان حافظا للكلام وواعيا له . لقوله تعـالى : « سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله . انه يعلم الجهر وما يخفى » (الأعلى ٦ــ٧) وكان دائب القراءة لحرصه على حفظه . يقول تعالى : « لا تحرك به لسانك لتعجل به . ان علينا جمعه وقرآنه فاذا قرأناه فاتبع قرآنه . ثم ان علينا بيانه » (القيامة ١٦ — ١٩)

ومن عظيم فضل الله تعالى على الأمة الاسلامية انه جعل القــرآن سهل الحفظ . ولذلك يحفظونه فى صدورهم كما كان يحفظ النبى فى صدره ، ويتلونه حق تلاوته بأفواههم كما كان يتلو النبى من فمه . أما أسفار التوراة وأسفار الانجيل فلا تجد القدرة من أصحابها على حفظ شىء ، حتى ولو كان يســيرا .

الوصف السادس : امين على الوحى

« فيكلمهم بكل ما أوصيه به » وأى نبى من قبل الله يتصف بهذه الصفة ، وعلى ذلك فهذا الوصف منطبق على نبى الاسلام وعيسى — عليهما السلام —

وانطباقه على نبى الاسلام — ﷺ — أحق وأولى . لأن عيسى — عليه الســلام — من بنى اسرائيل وهو وغيره من أنبياء بنى اسرائيل لا يحتاجون الى هذه التزكية ، وتلك الشهادة . لأن أى نبى منهم اذا جاء على وفق التوراة فان التوراة تشهد بصدقه ، واذا جاء مخالفا لها فان التوراة تبيح لليهود أن يرفضوه . واستدل على ذلك بالتهمة التى وجهها اليهود لأول شهيد فى النصرانية . ففى سفر الأعمال « واقاموا شهودا كذبة . يقولون : هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلم كلاما تجديفا ضد هذا الموضع المقدس ، والناموس . لأننا سمعناه يقول : ان يسوع الناصرى هذا سينقض هذا الموضع ، ويغير العوائد التى سلمنا اياها موسى » (أعمال الرســل ٦ : ١٣ — ١٤)

فلو كانت العوائد التى سلمهم اياها موسى محل نقص من نبى منهم ما كان للاتهام معنى .

ولـو تأمل المتأملون فى كـلام القرآن الكريم ، فانهم سـيجدون فى أكثر الآيات كلمة « قل » التى تفيد أمرا من الله للنبى بتبليغ وصايا معينـة .

ومعنى ذلك : أن النبى ليس منفردا بهذه الشريعة الغراء . يقول تعالى : « **قل : هو الله أحد** » (**الاخلاص ١**) « **قل : يا أيها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون** » (الكافرون ١ ـ ٢) « قل للمؤمنين : يغضوا من أبصارهم ، ويحفظوا فروجهم » (**النور ٣٠**) وهكذا آيات كثيرة من هذا القبيـل .

ولو تأمل المتأملون فى كلام الانجيل فانهم سيجدون أن عيسى عليه السلام قد أمر باحترام التوراة والعمل بها ، وصحح لهم ما كانوا فيه يختلفون . اذ لم يأت هو بجديد على ما عندهم . **ما أتى الا بتفسير وايضاح . وفضلا** عن ذلك : فأين هو انجيله حتى نعلم ما فيه ؟ لا نجد الا أناجيل منسوبة الى تـلاميذ يؤرخون لحياته وما وقع بينه وبين اليهود ، وهى لا تتفق فى كثير من المعانى .

ولقد ظهر بولس بعد رفع عيسى الى السماء وشرع للنصارى من تلقاء نفسه .

ومما قال لهم « أقول لغير المتزوجين وللأرامل : انه حسن لهم اذا لبثوا كما أنا . ولكن ان لم يضبطوا أنفسـهم فليتزوجوا لأن التزوج أصلح من التحرق ، وأما المتزوجون فأوصيهم لا أنا ، بل الرب : أن لا تفـارق المرأة رجلها . وان فارقته فلتلبث غير متزوجة ، أو لتصالح رجلها . ولا يترك الرجل امرأته . وأما الباقون فأقول لهم أنا . لا الرب : ان كان أخ له امرأة غير مؤمنة ، وهى ترتضى أن تسكن معه فلا يتركها . والمرأة التى لها رجل غير مؤمن ، وهو يرتضى أن يسكن معها فلا تتركه ... وأما العذارى فليس عندى أمر من الرب فيهن . ولكننى أعطى رأيا » (كورنثوس الأولى ٧ : ٨ - ٢٥) .

فأين هذا من نبى الاسلام — ﷺ — الذى طلب منه الكافرون بلقاء الله : تبديلا وتغييرا للتعاليم الالهية فأصر على التأكيد بأنه لا يزيد عن كونه بشرا رسولا . يقول تعالى : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ، قال الذين لا يرجون لقاءنا : ائت بقرآن غير هذا أو بدله . قل : ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى . ان أتبع الا ما يوحى الى . انى أخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم . قل : لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله . أفلا تعقلون ؟ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ، أو كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون » (يونس ١٥ — ١٧) وهذا يؤكد أن النبى المعين فى هذه النبوءة — الذى هو أمين على وحى الله — هو نبى الاسلام — ﷺ — لا غير .

الوصف السابع : سيقضى على ملك بنى اسرائيل

« ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى . أنا أطالبه » — « أنا أطلب منه » — « فانى أحاسبه علية »

وقد فسر عيسى — عليه السلام — « أنا أطلب منه » بالعذاب الشديد ، أى أن من لايسمع ويطيع لذلك النبى الآتى الى العالم فان الله على يده يعطيه العذاب الشديد على عدم السمع والطاعة . يقول لوقا عن المسيح : « وضرب لهم مثلا قائلا : انسان غنى أخصبت كورته . ففكر فى نفسه قائلا : ماذا أعمل ؟ لأن ليس لى موضع أجمع فيه أثمارى . وقال : أعمل هذا : أهدم مخازنى وأبنى أعظم وأجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى . وأقول لنفسى : يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعة لسنين كثيرة استريحى وكلى ، واشربى وافرحى . فقال له الله : يا غبى هذه الليلة تطلب نفسك منك . فهذه التى أعددتها لمن تكون ؟ هكذا الذى يكنز لنفسه ، وليس هو غنيا لله » (لوقا ١٢ : ١٦ — ٢١) فقوله « تطلب نفسك منك » — بضم التاء — يدل على أن الغنى الغبى هالك ، لأنه ما تصدق وما صلى ، ولكن كذب وتولى . وقد فسرها بطرس بنفس تفسير عيسى — عليه السلام — فقال **« ويكون أن كل نفس لا تسمع لذلك النبى تباد من الشعب »** (أع ٣ : ٢٣)

وعذاب هؤلاء الذين لا يسمعون ولا يطيعون يكون عقب سماعهم كلام هذا النبى المنتظر ثم اعراضهم عنه . ولما كان النزاع محصورا بين عيسى ونبى الاسلام — عليهما السلام — فان المراد هو نبى الاسلام وحده . لأن عيسى قال : « أنا لست أطلب مجدى ، يوجد من يطلب ويدين » (يوحنا ٨ : ٥٠) ولانه دفع الجزية للرومان (متى ١٧ : ٢٧) وقال بصريح العبارة : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (مرقس ١٢ : ١٧) وقد بين عيسى — عليه السلام — أنه عقب الانتقام الالهى يتأسس ملك هذا النبى ويقوى الى الأبد ، فقد ضرب لهم مثلا ، سمى فيه اليهود بالكرامين الأردياء .

وفيه يقول عنهم فى رواية متى « أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ، ويسلم الكرم الى كرامين آخرين يعطونه الأثمار فى أوقاتها » وفى رواية لوقا : أنهم لما سمعوا هذا الهلاك ، استنكروه واستبعدوه « فلما سمعوا قالوا : حاشا » ولقد أزال عيسى استنكارهم واستبعادهم بدليل من الزبور مبين فيه : انتقال النبوة الى بنى اسماعيل . بقوله فى رواية متى: « أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناؤون هو (٢٤) قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا . لذلك أقول لكم : **ان ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل أثماره** . ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه » وزاد لوقا عقب هذا قوله « فطلب رؤساء الكهنة والكتبة أن يلقوا الأيادى عليه ، فى تلك الساعة . ولكنهم خافوا الشعب . لأنهم عرفوا أنه قال هذا المثل عليهم » (متى ٢١ لوقا ٢٠)

فأنت ترى أن عيسى — عليه السلام — لما ذكر لليهود انتقال النبوة

---

(٢٣) مثل الكرامين الأردياء فى الاصحاح الحادى والعشرين من انجيل متى وسنذكره باذن الله فى فصل ملكوت السموات فى الجزء الثانى .
(٢٤) كلمة « هو » ساقطة من الزبور .

والملك منهم الى أمة أخرى . الى الأمة التى يرفضها اليهود ويحتقرونها لأن الأم جارية لابراهيم ، طلبوا قتله . واستبعدوا هلاكهم .

وبعد رفعه الى السماء كانوا فى نعمة وقوة . ثم اضطهدوا أتباعه وعذبوهم عذابا أليما . ثم هاجر فريق منهم الى أرض العرب ، وصارت لهم ديار عظيمة وحصون منيعة وزروع وأثمار . وفى كتب التواريخ : أنه لما ظهر الاسلام حاربهم النبى ﷺ وهزمهم فى عقر دارهم فى أرض العرب ، ثم أرسل أتباعه للاستيلاء على الأرض المقدسة التى كان الله قد كتبها لهم . فاستولوا عليها . وقضوا على ملكهم فى الأرض العزيزة عليهم ، المحببة الى نفوسهم . وفتح المسلمون مدينة اورشليم — القدس — وكتبوا كتاب صلح لبطريرك النصارى — والنصارى طائفة من اليهود — واتفقوا فيه على أن لا يدخلها يهودى أبدا .

ومن ذلك الوقت زالت بركة اسرائيل فى الأمم فلا ملك لهم ولا شريعة لهم من بعدئذ .

وهذا نص الكتاب :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين ، أهل ايلياء — القدس — من الأمان . أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم . ولكنائسهم وصلبانهم . وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينقص منها . ولا من حيزها ، ولا من صلبهم . ولا من شىء من أموالهم . ولا يكرهون على دينهم ، ولا يضار أحد منهم .

ولا يسكن بايلياء معهم أحد من اليهود . وعلى أهل ايلياء أن يعطوا الجزية كما يعطى أهل المدائن . وعليهم أن يخرجوا منها الروم واللصوت(٢٥) فمن خرج منهم فانه آمن على نفسه وماله ، حتى يبلغوا مأمنهم . ومن أقام منهم فهو آمن . وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية . ومن أحب من أهل ايلياء أن

---

(٢٥) فى بعض النسخ : الروم واللصوت . واللصوت : اللصوص .

يسير بنفسه وماله مع الروم ، ويخلى بيعهم وصلبهم . فانهم آمنون على أنفسهم ، وعلى بيعهم وصلبهم حتى يبلغوا مأمنهم . ومن كان بها من أهل الأرض (قبل مقتل فلان) (٢٦) فمن شاء منهم قعد . وعليه مثل ما على أهل ايلياء من الجزية ومن شاء سار مع الروم . ومن شاء رجع الى أهله . وانه لا يؤخذ منهم شىء حتى يحصد حصادهم . وعلى ما فى هـذا الكتـاب عهد الله وذمة رسوله ، وذمة الخلفاء ، وذمة المؤمنين اذا أعطوا الذى عليهم من الجزية

شهد على ذلك : خالد بن الوليد وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن ابى سفيان . وكتب وحضر سنة : خمسة عشر (٢٧) »

الوصـف الثامن : لا يقتل

« وأى نبى تجبر . فقال باسمى قولا . لم آمره أن يقوله ، أو تنبأ بأسم آلهة أخـرى . فليقتل ذلك النبى » أى النبى الذى يعترف بالله ثم يكذب عليه ، ويزعم : أنه صاحب هذه النبوءة يكون جزاؤه من الله القتل . والنبى الذى ينكر وجود الله ويدعو الناس الى اله غيره يكون جزاؤه من الله القتل . وفرق يعرفه الناس بين الموت والقتل : فالموت أعم والقتل أخص . فالموت قد جرت به العادة على كل حى . والقتل تعجيل الموت لأى حى . فهل مات نبى الاسلام أم قتل ؟ وهل مات عيسى أم قتل ؟ ما قتل نبى الاسلام ، ولا عيسى — عليهما السلام — فلذلك يستويان فى هذه الصفة .

ولو نظرنا فى القرآن وفى الانجيل . نجد القرآن مصرح بعـدم قتلهما ، ونجد الانجيل مصرح بقتل عيسى . فعلى ما كتبوا فى الانجيل . لا يكون ذلك النبى : هو عيسى . وعلى ما ذكره الله فى القرآن يكون ذلك النبى : هو محمد — ﷺ — .

---

(٢٦) فى بعض النسخ : لا يوجد (قبل مقتل فلان) (اظهار الحق جـ ٢ ص ٢١٢)

(٢٧) تاريخ بن جرير الطبري جـ ٣ ص ١٠٥ .

ففى الانجيل . يقول لوقا : « ولما مضوا به أمسكوا سمعان رجلا قيروانيا ، كان آتيا من الحقل ووضعوا عليه الصليب ليحمله خلف يسوع . وتبعه جمهور كثير من الشعب والنساء اللواتى كن يلطمن أيضا وينحن عليه . فالتفت اليهن يسوع . وقال : يا بنات أورشليم لا تبكين على بل ابكين على أنفسكن ، وعلى أولادكن . لأنه هو ذا ايام تأتي . يقولون فيها : طوبى للعواقر والبطون التى لم تلد . والثدى التى لم ترضع . حينئذ يبتدئون يقولون للجبال : أسقطى علينا . وللآكام غطينا . لأنه ان كانوا بالعود الرطب يفعلون هذا ، فماذا يكون باليابس ؟ وجاءوا ايضا باثنين آخرين مذنبين ليقتلا معه .

ولما مضوا به الى الموضع الذى يدعى جمجمة ، صلبوه هناك مع المذنبين ، واحدا عن يمينه ، والآخر عن يساره . فقال يسوع : يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون ؟ ...

وكان نحو الساعة السادسة . فكانت ظلمة على الأرض كلها الى الساعة التاسعة وأظلمت الشمس ، وانشق حجاب الهيكل من وسطه ، ونادى يسوع بصوت عظيم وقال : يا أبتاه فى يديك أستودع روحى . ولما قال هذا أسلم الروح . فلما رأى قائد المئة ما كان . مجد الله قائلا : بالحقيقة كان هذا الانسان بارا » (لوقا ٢٣ : ٢٦ — ٤٧)

لقد صرح لوقا بأنه قتل مع مذنبين آخرين . ونحن لا نقر بذلك . ولكننا ننقل عنهم ما يعتقدون . وصرح القرآن الكريم بعصمة النبى من القتل فى قوله تعالى : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك . وان لم تفعل فما بلغت رسالته . والله يعصمك من الناس . ان الله لا يهدى القوم الكافرين » (المائدة ٦٧)

وقد شدد الله على النبى فى الدعوة اليه فقال : « ولو تقول علينا بعض الأقاويل ، لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين » (الحاقة ٤٤ — ٤٧)

ولم يتقول ، بل كان أمينا على الوحى . ولذلك ما قتل .

يقول الامام محمود بن عمر الزمخشرى : « التقول : افتعال القول . لأن فيه تكلفا من المفتعل ، وسمى الأقوال المتقولة : اقاويل : تصغيرا بها وتحقيرا ، كقولك : الأعاجيب والأضاحيك . كأنها جمع أفعوله من القول . والمعنى : ولو ادعى علينا شيئا لم نقله لقتلناه صبرا . كما يفعل الملوك بمن يتكذب عليهم معاجلة بالسخط والانتقام . فصور قتل الصبر بصورته . ليكون أهول . وهو أن يؤخذ بيده وتضرب رقبته . وخص اليمين عن اليسار لأن القتال اذا أراد أن يوقع الضرب فى قفاه أخذ بيساره . واذا أراد أن يوقعه فى جيده وأن يكفحه بالسيف — وهو أشد على المصبور لنظره الى السيف — أخذ بيمينه . ومعنى « لأخذنا منه باليمين » لأخذنا بيمينه . كما أن قوله « لقطعنا منه الوتين » لقطعنا وتينه . وهذا بين . والوتين : نياط القلب ، وهو حبل الوريد اذا قطع مات صاحبه .

والضمير فى عنه — فى الآية : « فما منكم من أحد عنه حاجزين » — للقتل ، اى لا يقدر أحد منكم أن يحجزه عن ذلك ويدفعه عنه . أو لرسول الله . أى لا تقدرون أن تحجزوا عنه القاتل ، وتحولوا بينه وبينه . والخطاب للناس » أ.هـ

وقد جاء فى التوراة أمر صريح بأن من يزعم أنه نبى ، ويدعو الى اله غير الله تعالى يكون مستوجب القتل ، فى هذا النص : « اذا قام فى وسطك نبى ، أو حالم حلما ، وأعطاك آية أو أعجوبة ، ولو حدثت الآية ، أو الأعجوبة التى كلمك عنها . قائلا : لنذهب وراء آلهة أخرى لم تعرفها ونعبدها . فلا تسمع لكلام ذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم ، لأن الرب الهكم يمتحنكم لكى يعلم : هل تحبون الرب الهكم من كل قلوبكم ، ومن كل أنفسكم ؟ وراء الرب الهكم تسيرون ، واياه تتقون ، ووصاياه تحفظون ، وصوته تسمعون ، واياه تعبدون ، وبه تلتصقون . وذلك النبى أو الحالم ذلك الحلم يقتل . لأنه تكلم بالزيغ من وراء الرب الهكم » (التثنية ١٣ : ١ — ٥)

ونبى الاسلام ــ ﷺ ــ دعا باسم الله وحده ، وحرم على أتباعه أن يأكلوا مما ذبح لغير الله . فقد قال تعالى : « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ، وانه لفسق » (الأنعام ١٢١) فلا يكون مستوجب القتل بحكم التوراة .

ويبدو أن الله رمز بهذا الوصف : الى قساوة قلوب اليهود وبغضهم للأنبياء بغير حق . ومعنى الرمز : أن هذا رغم اهانته لكم ، وانتصاره عليكم ، وسلبه الملك والنبوة منكم . بالرغم من هذا كله . لن تستطيعوا أن تهزموه ولا أن تقتلوه .

الوصف التاسع : يتحدث عن غيب فيكون

« وان قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ، ولم يصر . فهو الكلام الذى لم يتكلم به الرب ، بل بطغيان تكلم به النبى فلا تخف منه »

أى أن من أوصاف هذا النبى : أن يتحدث عن أمور غيبية ، تحدث فى مستقبل الأيام ، ثم تقع كما تحدث عنها .وهذا الوصف مع الأوصاف السابقة يؤكد صدق نبى الاسلام ــ ﷺ ــ فى دعوى النبوة فهو تحدث عن أمور كثيرة تحدث فى المستقبل ، وما كان أحد يتوقع أنها ستكون ، ووقعت كما أخبر تماما . وقد تحدث عيسى ــ عليه السلام ــ عن غيب أيضا وصار .

ولكن يوجد فرق بين حديث النبيين الكريمين عن الغيب . فحديث عيسى ــ عليه السلام ــ عنه كان عن علامات اذا وقعت ، يعلم أتباعه بها أن نبى الاسلام سيأتى . وحديث نبى الاسلام ــ ﷺ ــ هو عن علامات اذا وقعت ، يعلم أتباعه انه خاتم النبيين .

ففى الانجيل تحدث عيسى عليه السلام عن ملكوت السموات (٢٨) ومجىء ابن الانسان صاحب ملكوت السموات . فقال كما روى لوقا :

---

(٢٨) انظر فصل ملكوت السموات ــ فى الباب الثانى من هذا الكتاب .

« واذ كان قوم يقولون عن الهيكل انه مزين بحجارة حسنة وتحف . قال : هذه التى ترونها ستأتى أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا ينقض فسألوه قائلين : يا معلم . متى يكون هذا ؟ وما هى العلامة عندما يصير هذا ؟ فقال : انظروا لا تضلوا . فان كثيرين سيأتون باسمى قائلين : انى أنا هو والزمان قد قرب . فلا تذهبوا وراءهم . فاذا سمعتم بحروب وقلاقل فلا تجزعوا لأنه لابد أن يكون هذا أولا . ولكن لا يكون المنتهى سريعا . ثم قال لهم : تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة وتكون زلازل عظيمة فى أماكن ومجاعات وأوبئة ، وتكون مخاوف وعلامات عظيمة من السماء .

وقبل هذا كله يلقون أيديهم عليكم ويطردونكم ويسلمونكم الى مجامع وسجون ، وتساقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمى فيؤول ذلك لكم شهادة . فضعوا فى قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكى تحتجوا . لأنى أنا أعطيكم فما وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها . وسوف تسلمون من الوالدين والاخوة والأقرباء والأصدقاء ويقتلون منكم . وتكونون مبغضين من الجميع من أجل أسمى . ولكن شعرة من رؤوسكم لا تهلك . بصبركم اقتنوا أنفسكم .

ومتى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش فحينئذ اعلموا أنه قد اقترب خرابها . حينئذ ليهرب الذين فى اليهودية الى الجبال ، والذين فى وسطها فليفروا خارجا ، والذين فى الكور فلا يدخلوها . لأن هذه أيام انتقام ليتم كل ما هو مكتوب . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام . لانه يكون ضيق عظيم على الأرض ، وسخط على هذا الشعب ، ويقعون بفم السيف ، ويسبون الى جميع الأمم ، وتكون أورشليم مدوسة من الامم حتى تكمل أزمنة الأمم .

وتكون علامات فى الشمس والقمر والنجوم ، وعلى الأرض كرب أمم بحيرة . البحر والأمواج تضج . والناس يغشى عليهم من خوف وانتظار ما يأتى على المسكونة لأن قوات السموات تتزعزع . وحينئذ يبصرون ابن الانسان آتيا » (لوقا ٢١ : ٥ — ٢٧)

وهذا الخبر قد تحقق فى استيلاء المسلمين على بلاد فلسطين فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه فان « ابن الانسان » فى قوله : هو محمد ﷺ وسنبين هذا فى الجزء الثانى من هذا الكتاب .

وفى القرآن ما يدل على أن النبى — ﷺ — أخبر عن غيب قبل حدوثه . ومثال ذلك قوله عن أمر الله تعالى لليهود : « قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ، ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم . والله عليم بالظالمين ، ولتجدنهم أحرص الناس على حياة » (البقرة ٩٤ — ٩٦) والمعنى : قل لليهود تمنوا الموت ان كنتم صادقين فى زعمكم أنكم أبناء الله وأحباؤه . لأن الجنة اذا كانت خالصة لكم وحدكم ، لاشتقتم اليها وتمنيتم سرعة الوصول اليها للتخلص من شوائب الدنيا .

ثم أخبر الله أنهم لن يتمنوه أبدا طوال حياتهم بسبب ما أسلفوا من موجبات النار كالكفر بالنبى ، وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم . والعقلاء يعلمون : أن النبى ، وهو يبغى انتشار دينه ، وعدم مناوئة اليهود له لا يجوز له — وهو غير واثق من جهة الله بالوحى — أن يتحدى أعدى الأعداء بأمر لا يأمن عاقبة الحال فيه ، ولا يأمن خصمه أن يقهره بالدليل والحجة فيظهر الخصم أمام الناس أنه قد تمنى الموت فيحرجه ولما كان معروفا للعالم أجمع : أن اليهود لا يتمنون الموت الى يومنا هذا . وأنهم جبناء فى ساحة الحرب حتى أنهم لا يقاتلون الا فى قرى محصنة أو من وراء جدر ، فقد ثبت صدق النبى — ﷺ — فى خبره هذا عنهم .

ومثال ذلك أيضا : قوله تعالى : « ألم . غلبت الروم فى أدنى الأرض ، وهم من بعد غلبهم سيغلبون فى بضع سنين . لله الأمر من قبل ، ومن بعد . ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده » (الروم ١ — ٦)

وفى هذه الآيات نبوءتان : الأولى : هى غلبة الروم على الفرس . والثانية : هى استيلاء المسلمين على بلاد الفرس والروم .

وفى معنى هذه الآيات نقـول : كانت الامبراطورية الفارسـية (الساسانية) تقع على شرقى الجزيرة العربية على الساحل الآخر للخليج الفارسى . على حين كانت الامبراطورية الرومانية (البيزنطية) تمتد من غربى الجزيرة على ساحل البحر الأحمر الى ما فوق البحر الابيض . وكانتا أقوى حكومتين شهدهما ذلك العصر .

ومن كتاب « تاريخ سقوط واندحار الامبراطورية الرومانية » (٢٩) للمؤرخ « ادوارد جبن » فى الجزء الخامس نذكر ما يلى :

اعتنق الملك « قسطنطين » الدين المسيحى عام ٣٢٥م وجعله ديانة البلاد الرسمية فآمنت به أكثرية رعايا الروم ، وكـان الملك الذى تـولى زمام الامبراطورية الرومانية فى أواخر القرن السابع الميلادى هو «موريس» وقد قام جيشه بثورة ضده بقيادة « فوكاس » وأصبح فوكاس ملك الروم .

وكان « كسرى » ملك الفرس مخلصا للملك موريس فانتقم له وأغار على بلاد الروم . وزحفت جحافلة عابرة نهر الفرات الى الشام ولم يتمكن فوكاس من مقاومة جيوش الفرس التى اسـتولت على مدينتى «أنطاكية» و « القدس » فاتسـعت حدود الامبراطورية الفارسية فجأة . الى وادى النيل . وتم نصر الفرس على الروم عام ٦١٦م .

وأرسـل بعض أعيان الروم رسالة سرية الى الحاكم الرومى فى المستعمرات الافريقية يناشدونه انقاذ الامبراطورية ، فأرسـل الحاكم جيشا كبيرا بقيادة ابنه الشاب «هرقل» فتقدم هرقل وقتل «فوكاس» واستولى على عاصمة الروم ولكنه لم يستطع أن يقاوم الفرس الذين كانوا يستبدون بالرعايا الروم للقضاء على المسيحية ، ويقيمون البيوت لعبادة النـار فى كل مكان واستبد اليأس والقنوط بهرقل بعد الخطاب الذى وجهه اليه كسرى من مدينة القدس قائلا « من لدن الاله كسرى ، الذى هـو

نقلا عن : الاسلام يتحدى — وحيد الدين خان — الطبعة الثالثة بمصر صفحة ١٣١ وما بعدها .

اكبر الآلهة ، وملك الأرض كلها الى عبده اللئيم الغافل : هرقل . انك تقول : انك تثق فى الهك . فلماذا لا ينقذ الهك القدس من يدى ؟ »

وقرر هرقل العودة الى قصره الواقع فى « قرطاجنة » على الساحل الافريقى . وفى هذه الساعة الحرجة تحايل كبير أساقفة الروم باسم الدين والمسيح ، ونجح فى اقناع هرقل بالبقاء . وذهب هو والأسقف الى قربان « سانت صوفيا » يعاهد الله تعالى على أنه لن يعيش أو يموت الا مع الشعب الذى اختاره الله له . ثم أرسل سفيرا الى كسرى طالبا الصلح فصاح فى وجهه كسرى : « لا أريد هذا القاصد وانما أريد « هرقل » مكبلا بالأغلال تحت عرشى . ولن أصالح الرومى حتى يهجر الهه الصليبى ، ويعبد الشمس الهتنا »

وبعد مضى ستة أعوام على الحرب رضى الامبراطور الفارسى أن يصالح هرقل على شروط معينة . وهى أن يدفع ملك الروم «ألف تالنت »(٣٠) من الذهب . وألف تالنت من الفضة . وألف ثوب من الحرير وألف جواد . وألف فتاة عذراء »

ولقد كان هرقل فى السنين الأولى والأخيرة من حكومته ، كان يبدو كما لو كان متفرجا أبله ، واستسلم لمصائب شعبه ، وفجأة تحول ذلك الملك الغافل الفاقد العزيمة الى ملك حصيف الرأى شجاع ، فوضع خطة عظيمة لقهر الفرس ، وعندما خرج مع جنوده بدا لكثيرين من سكان (القسطنطينية) أنهم يرون آخر جيش فى تاريخ الامبراطورية البيزنطية . وسار بجيشه عن طريق البحر الأسود الى « أرمينيا » وشن على الفرس هجوما مفاجئا فلاذوا بالفرار . ثم فاجأهم مرة أخرى فى آسيا الصغرى وأنزل بهم هزيمة فادحة . ثم شن ثلاثة حروب أخرى ضد الفرس فى سنوات ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ م واستطاع أن ينفذ الى أراضى العراق

---

(٣٠) ميزان يونانى قديم حوالى ستة وعشرين كيلو جراما لدى الاثنيين . وقد يطلق على كمية النقود الذهبية ، أو الفضية التى تزنه .

القديم « ميسوپوتاميا » عن طريق البحر الأسود وكانت آخر هذه الحروب المصيرية تلك الحرب التى خاضها الفريقان فى « نينوى » علـــى ضفاف دجلة فى ديسمبر سنة ٦٢٧م .

ولما لم يستطع « كسرى أبرويز » مقاومة سيل الروم حاول الفرار من قصره الحبيب « دستكرد » ولكن ثورة داخلية نشبت فى الامبراطورية ، واعتقله ابنه (شيرويه) وزج به فى سجن داخل القصر الملكى حيث لقى حتفه ولكن شيرويه هـــو الآخر لم يستطع أن يجلس على العرش فقد قتله أحد أشقائه وبدأ القتال داخل القصر الملكى وتولى تسعة ملوك زمام الحكم فى غضون أربعة أعوام . ولم يكن من الممكن أو المعقول فى هـــذه الأحوال السيئة أن يواصـــل الفرس حربهم ضـــد الروم . فأرســـل « قباد الثانى » ابن كسرى أبرويز الثانى يرجو الصلح وأعلن تنازله عن الأراضى الرومية كما أعاد الصـــليب المقدس ورجع هرقل الى عاصـــمته القسطنطينية فى مارس عام ٦٢٨ ميلادية فى احتفال رائع .

وهذا صدق ما تنبأ به القرآن الكريم عن غلبة الروم فى مدته المقررة ، أى فى سنين قليلة كما هو المراد فى لغة العرب من كلمة « بضع »

وقـــد أبدى « ادوارد جبن » حيرته واعجابه بهـــذه النبوءة فقال « وعندما أتم الامبراطور الفارسى نصره على الروم ، وصلته رسالة من مواطن خامل الذكر ، من « مكة » دعاه الى الايمان بمحمد رسول الله . ولكنه رفض هذه الدعوة ، ومزق الرســـالة . وعندما بلغ هذا الخبر رسول العرب قال : « سوف يمزق الله دولته تمزيقا ، وســـوف يقضى على قـــوته »

ومحمد الذى جلس فى الشرق على حاشية الامبراطوريتين العظيمتين ، طار فرحا مما سمع عن تصارع الامبراطوريتين وقتالهما ، وجرؤ فى ابان الفتوحات الفارسية وبلوغها القمة ، أن يتنبأ بأن الغلبة تكون لراية الروم بعد بضع سنين . وفى ذلك الوقت حين ساق الرجل هذه النبوءة لم تكن

آية نبوءة أبعد منها وقوعا . لأن الأعوام الاثنى عشر الاولى من حكومة هرقل كانت تشى بنهاية الامبراطورية الرومانية » (٣١) أ.هـ

ويلاحظ أن « ادوارد جبن » قد ذكر أن رسالة النبى ـ ﷺ ـ الى كسرى كانت قبل الهجرة الى المدينة المنورة ، بينما اتفاق المؤرخين أنها كانت بعد صلح الحديبية . أى عام ٦٢٨م .

... ...

وظل بنو اسرائيل ينتظرون هذا النبى الأمى الى زمن يوحنا المعمدان وعيسى ابن مريم ـ عليهما السلام ـ ففى انجيل يوحنا . يحكى يوحنا كاتب الانجيل أن اليهود العبرانيين فى مدينة (القدس) أرسلوا وفدا من علمائهم الى النبى يحيى ـ عليه السلام ـ ليسألوه عن هذا النبى الذى ذكر موسى له أوصافا تسعة . فشهد بأنه ليس هو .

وهذه نص شهادته :

« وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر . وأقر أنى لست أنا المسيح . فسألوه : اذن ماذا ؟ ايلياء أنت : فقال لست أنا . النبى أنت ؟ فأجاب : لا » (يوحنا ١ : ١٩ ـ ٢١) ثم قال لهم : « يأتى بعدى من هو أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أنحنى وأحل سيور حذائه » (مرقس ١ : ٧)

وقد روى برنابا فى انجيله : أن الوفد كان موجها الى عيسى ـ عليه السلام ـ وليس الى يوحنا المعمدان . يقول برنابا : « فان رؤساء الكهنة تشاوروا فيما بينهم ليتسقطوه بكلامه . لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة يسألونه قائلين : من أنت ؟ فاعترف يسوع وقال : الحق أنى لست مسيا . فقالوا : أأنت ايلياء أو ارمياء أو أحد الأنبياء القدماء ؟ أجاب يسوع : كلا . حينئذ قالوا : من أنت لنشهد للذين أرسلونا ؟

---

(٣١) جـ ٥ ص ٧٣ ـ ٨٤ .

فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها يصرخ : أعدوا طريق رسول الرب . كما هو مكتوب فى أشعياء (٣٢) .

قالوا : اذا لم تكن المسيح ولا ايلياء أو نبيا ما . فلماذا تبشر بتعليم جديد وتجعل نفسك اعظم شأنا من مسيا ؟ أجاب يسوع : ان الآيات التى يفعلها الله على يدى تظهر أنى أتكلم بما يريد الله . ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه . لأنى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله الذى تسمونه مسيا ، الذى خلق قبلى (٣٣) وسيأتى بعدى وسيأتى بكلام الحق ولا يكون لدينه نهاية » (برنابا ٤٢ : ٤ — ١٠)

وفى انجيل يوحنا أيضا أن المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — قد زهد فى الملك لما اراد الناس أن يجعلوه ملكا . وهم قد أرادوا أن يجعلوه ملكا لأنهم ظنوا أنه هو النبى الذى نبه على مجيئه موسى ووصفه بالأوصاف التسعة . وهو قد زهد فى الملك ليبين لهم بزهده أنه ليس

---

(٣٢) انظر يوحنا ١ : ١٩ — ٢٧ وأشعياء ٤٠ — ٣ — ٥)

(٣٣) خلق قبلى أى نبه الله على مجيئه من قبل ولادتى . وفى « مروج الذهب » يقول المسعودى : « وروى عن أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أنه قال : ان الله حين شاء تقدير الخليفة وذرء البرية وابداع المبدعات ، نصب الخلق فى صور كالهباء قبل دحو الأرض ورفع السماء وهو فى انفراد ملكوته وتوحد جبروته . فأساح نورا من نوره ، فلمع . ونزع قبسا من ضيائه ، فسطع . ثم اجتمع النور فى وسط تلك الصور الخفية ، فوافق ذلك صورة نبينا محمد ﷺ . فقال الله عز من قائل : أنت المختار المنتخب وعندك مستودع نورى ... الخ » (ص ٣٢ ج ١ مروج الذهب ومعادن الجوهر)

ولا يعتقد أحد من الراسخين فى العلم من المسلمين بأن محمدا ﷺ كان بجسده قبل خلق العالم . ولا يعتقد اليهود بأن المسيا — أيا كان جنسه — كان بجسده قبل خلق العالم . وانما يعتقد المسلمون ويعتقد اليهود بأن التعبير بخلق النبى الأمى قبل العالم هو عن تقدير الله لوجوده ، فى الوقت الذى سيظهره فيه . أليس محمد ﷺ من عبد الله وآمنة ؟ وأليس آدم فى التوراة هو أول خلق الله ؟ وأليس المسيح عيسى من مريم البتول الطاهرة ؟

هو النبى الذى نبه على مجيئه موسى ، فان من أوصاف النبى الذى نبه عليه موسى ان يكون ملكا له يسمعون فى كل مايكلمهم به . يقول يوحنا : « فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع . قالوا أن هذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم. واما يسوع فاذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضا الى الجبل وحده » (يوحنا ٦ : ١٤ — ١٥)

وبناء على ما تقدم نقول : ان النبى الذى نبه على مجيئه موسى — عليه السلام — ووصفه بالأوصاف التسعة فى سفر التثنية لم يكن قد أتى قبل يوحنا المعمدان وعيسى بن مريم عليهما السلام ، وليس هو واحد منهما باعترافهما . وحيث قد انطبقت الأوصاف التسعة على نبى الاسلام محمد — ﷺ — فانه يكون هو النبى الذى تحدثت عنه النبوءة . وانطباقها بالتاكيد عليه لأن لاسماعيل بركة ، كما لاسحق بركة .

* * *

وقد أشار الى ذلك القرآن الكريم فى قوله تعالى « الذين يتبعون **الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل** » (الاعراف ١٥٧) يشير بهذا النص الكريم الى نص التوراة وهو : « يقيم لك الرب الهك نبيا .. الخ » (تثنية ١٨ : ١٥ — ٢٢) والى نص الانجيل وهو : « النبى أنت ؟ فأجاب لا » (يوحنا ١ : ١٩ — ٢١)

الفصل الرابع
فى
البركات الثلاث

تمهيـــــد :

بينا أن الله — تعالى — قال لابراهيم — عليه السلام — : « وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تك ١٢ : ٣) وأن الله — تعالى — بارك على اسماعيل واسحق أخيه. فقد قالت التوراة : ان الله قال لابراهيم عن اسماعيل: « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا اباركه » (تك ١٧ : ٢٠) وقالت عن اسحق : « وكان بعد موت ابراهيم أن الله بارك اسحق ابنه » (تك ٢٥ : ١١) وأن سارة لما اعترضت على ارث اسماعيل فى النبـوة قال الله لابراهيم : « باسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية ايضـا سأجعله أمة لأنه نسلك » (تك ٢١ : ١٢ — ١٣)

وقالت التوراة : ان بركة اسحق مصروفة الى نسل ولده يعقوب ، دون ولده عيسو . فقد قال اسحق ليعقوب : « ليعطك الله من ندى السماء ، ومن دسم الأرض ، وكثرة حنطة وخمر ، ليستعبد لك شعوب ، وتسـجد لك قبائل . كن سيدا لاخوتك . وليسجد لك بنو أمك . ليكن لاعنوك ملعونين ، ومباركوك مباركين » (تك ٢٧ : ٢٨ — ٢٩)

ورمز كاتب التوراة بـ « بماد ماد » و « لجوى جدول » الى اسم « محمد » — ﷺ — فى بركة اسماعيل . ورمز بشيلون الى زمانه . وذكر أوصافه التسعة فى نبوءة النبى الأمى ، ليحدده بوضوح . ورمز بالأمة الغبية الى العرب — وهم بنو اسماعيل — .

وفى نهاية التوراة رمز بالبركات الثلاث الى مكان سكنى اسماعيل فى « مكة المكرمة » فقد كتب : أن اسماعيل « سكن فى برية فاران ، وأخذت له

امه زوجة من أرض مصر » (تك ٢١ : ٢١) وكتب عن موسى — عليه السلام — : « جاء الرب من سيناء » اشارة الى شريعته . وكتب عن أنبياء وعلما بنى اسرائيل : « واشرق من ساعير » اشارة الى توضيحهم شريعة موسى فى « ساعير » وكتب عن محمد — ﷺ — : « وتلألأ من جبل فاران » اشارة الى شريعته . ويدل على أن المراد بالتلألأ من جبل فاران : شريعة محمد — ﷺ — أن لاسماعيل بركة وأن اسماعيل سكن مع أمه فى برية فاران .

النص :

١ — « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : جاء الرب من سيناء . واشرق لهم من سعير . وتلألأ من جبل فاران . وأتى من ربوات القدس . وعن يمينه (١) نار شريعة لهم .

---

(١) هذا النص قد أورده الامام فخر الدين الرازى ٦٠٦ هـ فى تفسيره ، وشرحه على نبى الاسلام ﷺ . وهذا هو نص كلامه يرحمه الله تعالى : « قال فى الفصل العشرين من هذا السفر (الخامس) : « ان الرب تعالى جاء فى طور سـيناء ، وطلع لنا من سـاعير ، وظهر من جبال فاران . **وصف عن يمينه ربوات القديسين . فمنحهم العز ، وحببهم الى الشعوب . ودعا لجميع قديسيه بالبركة »**

وجه الاستدلال : أن جبل فاران هو بالحجاز ، لأن فى التوراة : أن اسماعيل تعلم الرمى فى برية فاران . ومعلوم : أنه انما سكن بـ « مكة »

اذا ثبت هذا فنقول : ان قوله **« فمنحهم العز »** لا يجوز أن يكون المراد اسماعيل عليه السلام لأنه لم يحصل عقيب سكنى اسماعيل عليه السـلام هناك : **« عز »** ولا اجتمع هناك : **« ربوات القديسين »** فوجب حمله على محمد عليه السلام (وأصحابه)

قالت اليهود : المراد : أن النار لما ظهرت من « طور سيناء » ظهرت من « ساعير » نار أيضا . ومن « جبل فاران » أيضا ، فانتشرت فى هذه المواضـع .

قلنا : هذا لا يصح ، لأن الله تعالى لو خلق نارا فى موضع ، فانه لا يقال : جاء الله من ذلك (الموضع الا) اذا تبع تلك الواقعة ، وحى نزل فى ذلك الموضع ، أو عقوبة ، أو ما أشبه ذلك . وعندكم : أنه لم يتبع ظهور =

فاحب الشعب . جميع قديسيه في يدك . وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقوالك . بناموس أوصانا موسى ميراثا لجماعة يعقوب » (التثنية ٣٣ : ١ — ٤)

٢ — وفي السبعينية : « وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رسول الله بني اسرائيل قبل موته . فقال : جاء الله من طور سيناء ، ويشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبل فاران . ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه . فوهب لهم وأحبهم ورحم شعبهم وباركهم وبارك على أطهاره . وهم يدركون آثار رجليك ، ويتقبلون من كلماتك . أسلم لنا موسى مثله . وأعطاهم ميراثا لجماعة يعقوب »

٣ — وفي ترجمة الآباء اليسوعيين : « وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته . فقال : أقبل الرب من سيناء . وأشرق لهم من سعير . وتجلى من جبل فاران . وأتى من ربى القدس . وعن يمينه قبس شريعة لهم . انه أحب الشعب . جميع قديسيه في يدك وهم ساجدون عند قدمك . يقتبسون من كلماتك ... الخ »

٤ — وفي ترجمة ١٨٤١م « فهذه البركة التي بارك موسى رجل الله بني اسرائيل قبل موته وقال : جاء الرب من سيناء ، وأشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبل فاران ، ومعه ألوف الأطهار في يمينه . سنة من نار »

٥ — وفي ترجمة ١٦٢٢م « ... الله من سيني تجلى . وشرق من شعير . لهم شرف من جبل فاران . وجاء مع ربوات القدس من يمينه . الشريعة ... »

= النار وحي ولا كلام ، الا من « طور سيناء » فما كان ينبغي الا أن يقال : ظهر من « ساعير » ومن « جبل فاران » فلا يجوز وروده . كما لا يقال : جاء الله من الغمام ، اذا ظهر في الغمام ، احتراق ونيران . كما يتفق ذلك في أيام الربيع » أهـ (انظر تفسير الرازي في سورة البقرة ٤٠ والباجي الشافعي في كتابه « على التوراة » نقل النص الذي أورده « الرازي » من الترجمة السبعينية . وسوف نذكره)

٦ ــ ونص التوراة السامرية هكذا : « وهذه البركة التى بـارك موسى رسول الله بلى اسرائيل قبل وفاته . فقال : الله من سينين أتى . وأشرق من الشعر . لهم لمع من جبل فاران . ومعه من ربوات القدس عن يمينه . نار شريعة لهم . أيضا محب الشعوب . وكل اقداس أقداسه بيدك . وهم يخضعون لرجليك . ويتحملون من اقوالك ... »

المعنى العـام :

لقد أنزل الله التوراة على موسى فى صحراء سيناء فى جبل الطور . والعلماء الذين هم من ذرية هارون ــ عليه السلام ــ سوف يسكنون حول جبل ساعير ليوضحوا للناس تعاليم موسى . وليظهروا أحكام التوراة وليفسروها للناس . وقد ظهر من طبقة العلماء هؤلاء أنبياء ، منهم الياس واليسع وزكريا ويحيى ــ عليهم السلام ــ وفى أرض فاران فى ديار العرب سوف يظهر نبى من ولد اسماعيل بشريعة واضحة كاملة . وفى ظهوره سيكون معه ــ عن يمينه ــ جماعات من أصحابه الأطهار الشبيهين بالملائكة فى الطهر والصلاح ليحملوا شريعة الله الى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين وسائر الأمم .

لقد أحب الله بنى اسرائيل (٢) وفضلهم على العالمين . فلذلك لم يتركهم سدى . لئلا يقولوا : ما جاءنا من بشير ولا نذير .

ثم يتحدث الله عن نبى الاسلام خاصة فيقول : جميع الذين رضيت عنهم . وهم علماء أمتك . الذين قد اخترتهم أزلا لنصرتك . هم معك من بعدك يسـتمعون للقرآن . ويطيعون . وهم عاكفون على شريعتك . يقتبسون من كلماتها . ويستنبطون الأحكام منها . ليعلموا الناس فى كل زمان ومكان ما شرعته لهم على لسانك . وهذا القرآن قد أعطيت مثله لموسى من قبل (٢)

---

(٢) لاحظ نص التوراة وهو : « أسلم لنا موسى مثله » فانه يدل على أن القرآن ، قد أسلم لبنى اسرائيل موسى مثله . وهو التوراة . وقوله : « أحب الشعب » هو اشارة الى المسيا .

يقول الامام الشهرستانى فى « الملل والنحل » ما نصه : « وقد ورد فى التوراة : « أن الله — تعالى — جاء من طور سيناء وظهر بساعير وعلن بفاران » وساعير : جبال بيت المقدس ، التى كانت مظهر عيسى — عليه السلام — وفاران : جبال مكة التى كانت مظهر المصطفى — ﷺ — (٣)

ويقول شموئيل بن يهوذا بن أيوب : « الله تعالى من سيناء تجلى ، وأشرق نوره من سعير ، واطلع من جبال فاران . ومعه ربوات المقدسين » وفى الاشارة الى هذه الأماكن الثلاثة التى كانت مقام نبوة هؤلاء الأنبياء . للعقلاء أن يبحثوا عن تأويله المؤدى الى الأمر باتباع مقالتهم . فأما الدليل الواضح من التوراة على أن جبل فاران هو جبل مكة ، فهو : أن اسماعيل لما فارق أباه الخليل — عليهما السلام — سكن اسماعيل فى برية فاران ونطقت التوراة بذلك : « وأقام فى برية فاران . وانكحته أمه امرأة من أرض مصر » (تك ٢١ : ٢١) فقد ثبت من التوراة : أن جبل فاران سكن لآل اسماعيل . واذا كانت التوراة قد اشارت فى الآية التى تقدم ذكرها الى نبوة تنزل على جبل فاران لزم أن تلك النبوة على آل اسماعيل لأنهم سكان فاران . وقد علم الناس قاطبة : أن المشار اليه بالنبوة من ولد اسماعيل هو : محمد — ﷺ — وأنه بعث من مكة التى كان فيها مقام ابراهيم واسماعيل . فدل ذلك : على أن جبال فاران هى : جبال مكة ، وأن التوراة أشارت فى هذه المواضع الى نبوة المصطفى — ﷺ — وبشرت به » (٤) أ. هـ

---

(٣) ص ١٩٤ جـ ١ الملل والنحل — تخريج المرحوم الشيخ بدران — وانظر الجزء الأول من الفصل فى الملل والنحل لابن حزم ص ١١١ — ٢١٢ مكتبة المثنى ببغداد . وانظر الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية جـ ٣ ص ٣٠٠ — ٣٠٦ .

(٤) ص ٣٥ — ٣٦ بذل المجهود .

ويرد سعد بن منصور بن سعد بن الحسن بن هبة الله بن كمونة . على شموئيل فيقول : « وظهر من جبل فاران » فالتوراة تنطق أن موسى وبنى اسرائيل اجتازوا بفاران وأقاموا بها . وخوطب موسى هناك عدة مرار . و «فاران» وان سلمنا أنه سمى به موضع بالحجاز — على ضعف الرواية فيه — فقد سمى به موضع ليس بالحجاز ، وينسب اليه جماعة من جملتهم صاحب كتاب « ديوان الأدب » وهو أشهر من حكى أنه بالحجاز .

وأيضا : فان من قرأ ما قبل المستشهد به وما بعده علم أن الكلام كله مختص ببنى اسرائيل . لا بما يشاركهم فيه غيرهم . ثم ان الألفاظ كلها مخبرة عن أمر ماض مثل أقبل وأشرق واطلع ، لا عن أمر متوقع . وان حمل على المتوقع فهو مجاز وخروج عن الظاهر . ولأنه يستهجن أن يكون مراده بقوله : ان قدرة اله من سيناء أقبلت : الاخبار عن الماضى ثم يعطف عليه قوله : وأشرقت واطلعت ويكون اخبارا عما يأتى . ولو كان قول من يقول : ان قوله : أقبلت من سيناء : اشارة الى نبوة موسى . وأشرقت من ساعير الى نبوة عيسى . واطلعت من جبال فاران ، الى نبوة محمد . لكان قوله بعد ذلك : وأتت من ربوات المقدسين اشارة الى شريعة رابعة . ولم يقل بها أحد من المسلمين » (٥) أ.هـ

***

ولتوضيح ما نريد اثباته نتحدث أولا عما يلى :

١ — جبل سيناء ؟ ٢ — جبل ساعير ؟ ٣ جبل فاران ؟

٤ — ربوات القدس ؟ ٥ — القديسون الذين فى يده .

ثم بعد ذلك نتناول حجج أهل الكتاب حجة بعد حجة .

أولا : جبل سيناء :

فى جبل طور سيناء استلم موسى كتاب التوراة فان فيها ما نصه :

---

(٥) ص ٩٧ تنقيح الأبحاث .

• فى الشهر الثالث بعد خروج بنى اسرائيل من أرض مصر ، فى ذلك اليوم جاءوا الى برية سيناء ، ارتحلوا من رفيديم ، وجاءوا الى برية سيناء ، فنزلوا فى البرية . هناك نزل اسرائيل مقابل الجبل . وأما موسى فصعد الى الله . فناداه الرب من الجبل قائلا ... الخ » (خروج ١٩ : ١ — ٢) وجاء فى أطلس الكتاب المقدس لرولى : « والموقع التقليدى للجبل هو فى جنوب شبه جزيرة سيناء . وهى شبه جزيرة مثلثة الشكل تقع بين خليج السويس وخليج العقبة عند الطرف الشمالى للبحر الأحمر (٦) »

فالرمز بسيناء هو اشارة الى أول شريعة لبنى اسرائيل على يد موسى عليه السلام .

ثانيا : جبل ساعير :

من سفر التثنية : نعلم أن بنى عيسو بن اسحق — عليه السلام — قد طردوا الحوريين الساكنين فى سعير ، وأبادوهم من أرضهم ، وسكنوا مكانهم فى « الأردن » . وأن موسى — عليه السلام — وصى بنى اسرائيل قائلا : « أنتم مارون بتخم اخوتكم بنو عيسو الساكنين فى سعير ، فيخافون منكم ، فاحترزوا جدا . لا تهجموا عليهم ، لأنى لا أعطيكم من أرضهم ولا وطأة قدم ، لأنى لعيسو قد أعطيت جبل سعير ميراثا » (تثنية ٢ : ٤ — ٥) وعيسو كان اسمه أيضا « أدوم » وجبل سعير هو داخل وسط جبال كثيرة تسمى جبال أدوم . وقمة جبل سعير أعلى قمم جبال أدوم وهى ترتفع الى الجنوب والشرق من البحر الميت ، ففى تفسير الكتاب المقدس لجماعة من اللاهوتيين : « جبال سعير ، هى جبال أدوم ، وقمة سعير أعلى قممها . وهى ترتفع الى الجنوب والشرق من البحر الميت » (٧) وتحدد الخرائط منطقة أدوم بأنها من «غزة» الى البحر الميت (بحر الملح)

---

(٦) ص ٢١ — ٢٢ أطلس الكتاب المقدس — رولى .
(٧) ص ٤٢٠ جـ ١ تفسير الكتاب المقدس — فرنسيس .

ومن فوق خليج العقبة الى مساحات شاسعة الى أعلى (٨) .

وقد مات موسى — عليه السلام — من قبل أن يدخل الأرض المقدسة ، ومن قبل أن يأخذ مساحات كبيرة من سيناء . وكان قد أوصى فى التوراة بأنه اذا صارت أرض كنعان — الأرض المقدسة لبني اسرائيل — ملكا يقتسمونها بالقرعة . ما عدا سبط لاوى فانه لا يكون له نصيب فى الأرض ، بل يسكن مع الأسباط فى مكان سكناهم ، ويعيش على النذور والهبات والتبرعات ويتفرغ هذا السبط لتعليم شريعة الله ، وخدمة بيته . وقد قسم فتى موسى — وهو يشوع بن نون — الأرض على الأسباط ، وهو فى مدينة « شيلوه » فى أرض كنعان . وأعطى سبط يهوذا نصيبا مفروضا كسائر الأسباط . وكان تخم نصيبهم الجنوبى : أقصى البحر الميت نحو جبل « سعير »

ولما قسمها تقدم اليه اللاويون يطلبون منه مدنا للسكنى فأعطاهم . ثم انه قسم لبنى هرون — وهم فرع من اللاويين — ثلاث عشرة مدينة . تسع مدن من سبطى يهوذا وشمعون ، وأربع مدن من سبط بنيامين . ففى سفر يشوع « فكان لبنى هارون الكاهن من اللاويين بالقرعة : ثلاث عشرة مدينة من سبط يهوذا ، ومن سبط شمعون ، ومن سبط بنيامين ... وأعطوا لبني هارون الكاهن : مدينة ملجأ القاتل (٩) : حبرون مع

---

(٨) انظر الخريطة رقم ١٤ من أطلس الكتاب المقدس لرولى ، وانظر أيضا خريطة مملكة يهوذا بعد السبى وجوارها فى الكتاب المقدس للبروتستانت (*)

(٩) ملجأ القاتل : اذا قتل انسان انسانا بطريق الخطأ يلجأ القاتل الى احدى مدن الملجأ طلبا للحماية وذلك باقناع شيوخ المدينة ببراءته من نوايا القتل العمدى ، ثم يتقدم للمحاكمة أمام الجماعة . وكان من حق أولئك الناس اذا مات رئيس الكهنة أن يعودوا لبيوتهم من غير خوف من ولى الدم . وقد أوصى الله موسى بافراز ثلاث مدن شرقى الأردن وبعد أن يتم امتلاك بنى اسرائيل لأرض الميعاد يفرزون ثلاث مدن أخرى والثلاث الأول هم : باصر وراموت وجولان . والثلاث الأخر هم : قادش وشكيم وحبرون (يشوع ٢٠ : ١ — ٩) (*)

مسارحها . ولبنة ومسارحها . ويتر ومسرحها ، وأشتموع ومسرحها ، رحولون ومسرحها ودبير ومسرحها ، وعين ومسرحها ، ويطة (١٠) ومسرحها وبيت شمس ومسرحها . تسع مدن من هذين السبطين . ومن سبط بنيامين : جبعون ومسرحها ، وجبع ومسرحها ، عناثوث ومسرحها ، وعلمون ومسرحها . اربع مدن . جميع مدن بنى هارون الكهنة : ثلاث عشرة مدينة مع مسارحها » (يشوع ٢١ : ٤ ، ١٣ ــ ١٩)

وتبين التوراة : أن جبل سعير من ناحية البحر الميت (بحر الملح) يقع ضمن أرض يهوذا وأن بعض مدن الكهنة أبناء هارون ــ عليه السلام ــ على حدوده . ففى سفر يشوع « وكانت القرعة لسبط بنى يهوذا حسب عشائرهم الى تخم أدوم ... وامتد التخم من بعلة غربا الى جبل سعير ، وعبر الى جانب جبل يعاريم من الشمال ، هى كسالون . ونزل الى بيت شمس ، وعبر الى تمنة » (يشوع ١٥ : ١ و ١٠) وجاء فى قاموس الكتاب المقدس للدكتور بطرس عبد الملك وآخرين : أن « ساعير جبل فى أرض يهوذا بين قرية يعاريم وبيت شمس .

وربما كان سلسلة الجبال التى تقع عليها قرية ساريس الى الجنوب الغربى من قرية يعاريم ، والى الشمال الغربى من أورشليم . ولا زالت آثار الغابات التى كانت تنمو فوقه موجودة الى اليوم » (١١)

ومعنى ذلك : أن جبل ساعير هو مكان سكنى بنى هرون ، الذين هم فرع من بنى لاوى . ويمتازون عنهم بمميزات كثيرة . أهمها : أنهم الأئمة العظام ، ومنهم عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ الذى اصطفاه الله منهم رسولا طيبا ونبيا عظيما . فانه من نسل هارون من سبط لاوى ــ كما بينا فى نبوءة شيلون ــ والرمز بجبل ساعير اشارة الى العلماء والأنبياء

---

(١٠) يطة : ــ بتشديد الطاء مفتوحة ــ هى القرية التى ولد فيها يوحنا المعمدان .

(١١) ص ٤٦٦ ــ ٤٦٧ قاموس الكتاب المقدس ــ بطرس .

من بنى اسرائيل الذين كانوا من بعد موسى لتفسير تعاليمه وايضاحها ، كما كان الرمز بسيناء اشارة الى شريعة موسى — عليه السلام — .

ثالثا : جبل فاران

تحكى التوراة عن مكان سكنى اسماعيل فتقول « وكان الله مع الغلام فكبر وسكن فى البرية ، وكان ينمو رامى قوس ، وسكن فى برية فاران ، واخذت له أمه زوجة من أرض مصر » (التكوين ٢١ : ٢٠ — ٢١)

ويذكر حبقوق النبى فى سفره : أن القدوس جاء من فاران ، وتبع مجيئه : الحروب والاستيلاء على الأرض فيقول « الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبل فاران . سلاه (١٢) . جلاله غطى السموات ، والأرض امتلأت من تسبيحه ، وكان لمعان كالنور . له من يده شعاع . وهناك استتار قدرته ، قدامه ذهب الوبأ ، وعند رجليه خرجت الحمى . وقف وقاس الأرض ، نظر فرجف الأمم ودكت الجبال الدهرية ، وخسفت آكام القدم . مسالك الأزل له ... الخ » (حبقوق ٣ : ٣ — ٦)

ويحدد « رولى » فى « أطلس الكتاب المقدس » موقع فاران فيقول : « برية فاران : منطقة فى جنوب كنعان ، ممتدة من قادش برنيع وكان وطن اسماعيل» ويحدد «رولى» موقع «قادش برنيع» فيقول : « مدينة فى أقصى جنوب فلسطين » وفى قاموس الكتاب المقدس : « فاران برية . واقعة الى جنوب مملكة يهوذا ، وشرق برية بئر سبع وشور ، بين جبل سيناء والأصح بين حضيروت الواقعة على مسيرة أيام من سيناء وكنعان ، وكانت فيها : قادش . وبطمة فاران — أو أيلة (ايلات . اليوم) — على البحر الأحمر » (١٣)

ومعنى هذا الكلام : ان منطقة فاران هى فى الصحراء العربية ، جنوب أرض فلسطين ، وهى على مسافة بعيدة جدا من جنوب أرض فلسطين ، وهى

---

(١٢) سلاه فاصل شعرى .
(١٣) قاموس الكتاب المقدس — لجورج بوست .

منطقة كبيرة المساحة . وبطمة فاران هى « ايلات » الواقعة — فى أيامنا هذه — على البحر الأحمر .

وعلى ما قدمنا : فانه حيث ثبت أن سيناء منزل الوحى على موسى ، وساعير مكان سكنى بنى هرون ، الأئمة الذين منهم المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — الذى أعطاه الله الانجيل فيه هدى ونور . وفاران سكنى بنى اسماعيل وحيث أن الاشارة بسيناء وساعير ، اشارتان الى موسى ، وعلماء أمته وأنبياؤها ، يثبت أن فاران اشارة الى شريعة تنزل على نبى من آل اسماعيل ، لثبوت بركة فى نسله .

رابعا : ربوات القـــدس

ترجمت : «من ربوات القدس» وترجمت «من ربى المقدس » وترجمت « معه الوف الأطهار » وترجمت « مع ربوات القدس » وترجمت « ومعه ربوات المقدسين » وترجمت « ومعه عن يمينه ربوات جيش القديسين »

ونص النبوءة من التوراة اليونانية (السبعينية) هكذا :

« وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رسول الله بنى اسرائيل قبل موته ، فقال : جاء الله من طور سيناء ، ويشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبل فاران ، ومعه ربوة من اطهار الملائكة عن يمينه ، فوهب لهم ، وأحبهم ، ورحم شعبهم ، وباركهم ، وبارك على أطهاره ، وهم يدركون آثار رجليك ، ويقبلون من كلماتك . أسلم لنا موسى مثله ، وأعطاهم ميراثا لجماعة يعقوب ... الخ »

وفيها : ((ومعه ربوة من اطهار الملائكة عن يمينه)) والمعنى : أنه اذا ظهر نبى من جبل فاران ســـيكون معه جماعات من الناس المقدسين الأطهار ، الشبيهين بالملائكة فى الطهر والصلاح .

والدليل على أن المراد بالربوات الجماعات الكثيرة : قـــول موسى لله : « ارجع يارب الى ربوات ألوف اسرائيل » (عدد ١٠ : ٣٦) وقول داود : « الرب يعضـــــدنى ، لا أخـــاف من ربـــوات الشــــعوب

المصطفين على من حولى » (مزمور ٣ : ٦ — ٧) وقول دانيال عن الله تعالى : « ألوف ألوف تخدمه ، وربوات ربوات وقوف قــدامه » (دانيال ٧ : ١٠) والدليل على أن المراد بالقدس الصحابة الأطهار : أن الترجمة السبعينية تترجم كلمة القدس الى « ملائكة » والملائكــة فى عرفهم بمعنى الأتباع . يقول أصحاب تفسير الكتاب المقدس : « أتى من ربوات القدس : تترجم السبعينية كلمة « القدس » الى « ملائكة » وهذا غالبا هو المعنى الحقيقى » (١٤)

وليس المراد بالملائكة : الملائكة الحقيقيون ، بل قوما شــبيهون بالملائكة فى الطهر والصلاح على سبيل المجاز ، فان من عادة أهل الكتاب التعبيرات المبالغ فيها . ونظير ذلك ما جاء فى سفر الرؤيا : « وحدثت حرب فى السماء ، ميخائيل وملائكته ، حاربوا التنين ، وحارب التنين وملائكته ، ولم يقووا ، فلم يوجد مكانهم بعد ذلك فى السماء ، فطــرح التنين العظيم : الحية القديمة المدعو ابليس ، والشيطان الذي يضــل العالم كله طرح الى الأرض ، وطرحت معه ملائكته » (رؤية ١٢ : ٧ — ٩) فقد عبر عن الأتباع بالملائكة .

وعلي هذه العادة تحدث عيسى — عليه السلام — عن نبى الاسلام والذين معه . في قوله : « ومتى جاء ابن الانسان في مجده ، وجميع الملائكة القديسين معه ... الخ » (متي ٢٥ : ٣١) وفي قوله : « يرسل ابن الإنسان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته ... الخ » (متى ١٣ : ٤١) وسيأتى بيان ذلك فى الباب الثاني فى فصل « ملكوت السموات » وفصل « ابن الانســـان »

خامسا : القديسون

هم صحابة رسول الله — ﷺ — ومن دعا بدعوتهم الى يوم الدين — فى هذه النبوءة — والقديس في عرف أهل الكتاب يطلق على الرجل الصالح

---

(١٤) تفسير الكتاب المقدس — فرانسيس دافيدش .

وللمرأة الصالحة فقد قال الله تعالى لموسى — عليه السلام — « كلم كل جماعة بنى اسرائيل . وقل لهم : تكونون قديسين لأنى قدوس » (لاويين ١٩ : ١) أى تكونون طاهرين لأنى أنا طاهر . ووصى بولس صديقه تيماثاوس بالأرامل خيرا فقال « لتكتتب أرملة ان لم يكن عمرها أقل من ستين سنة ، امرأة رجل واحد مشهودا لها فى أعمال صالحة . ان تكن قد ربت الأولاد ، أضافت الغرباء ، غسلت أرجل القديسين ، ساعدت المتضايقين ، اتبعت كل عمل صالح » (الأولى ٥ : ٩ — ١٠)

والنبي دانيال تحدث عن اتباع نبي الاسلام — ﷺ — بلقب « القديسين » على حسب لسان قومه وعاداتهم ليبين لهم . فقال : « أما قديسو العلى ، فيأخذون المملكة ، ويمتلكون المملكة الي الأبد والى أبد الآبدين ... أعطى الدين لقديسى العلى ، وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة ... والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تعطى لشعب قديسى العلى ، ملكوته ملكوت أبدى ... الخ » (دانيال ٧ : ١٨) وسيأتى البيان .

وواضح من الترجمة اليونانية : أن النبى المستعلن من جبل فاران سيكون معه ربوة من الناس . وهؤلاء الناس وهب الله لهم من فضله ، واحبهم ورحم شعبهم وباركهم لقوله : « واستعلن من جبل فاران ، ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه . فوهب لهم واحبهم ، ورحم شعبهم وباركهم » ومن الذي كان معه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه ؟ هل هو موسى الذى أتى من سيناء ؟ ليس هو موسى ، لأنه يتحدث عما يكون من بعد زمانه — كما يقولون — هل هو عيسى بن مريم الذى كان من الجماعات الساكنة حول جبل ساعير ؟ ليس هو عيسى . لأن جماعة من اتباعه لا يصرحون بأن هذا النص نبوءة لا عنه ولا عن غيره .

يقول المستشرق البروتستانتى « بافاندر » فى كتابه « ميزان الحق » : « ان موسى فى كلامه على هذه المواضع لم يشر الى انجيل ولا الى قرآن ، بل أراد أن يذكر بنى اسرائيل كيف أضاء مجد الله الى مسافات

بعيدة ، عندما كانوا ضاربين خيامهم عند جبل سيناء ، ونعلم من خـريطة الجغرافية : أن سيناء وسعير وفاران : ثلاثة جبال متجاورة ، واقعة فى شبه جزيرة طور سيناء » (١٥)

***

وجماعة من علماء النصارى صرحوا بأن النص نبوءة عن « المسيا المنتظر » وهم صرحوا بذلك لأن فيها « جميع قديسيه فى يدك » فى يد من ؟ ليس غير المسيا الآتى من تفصح التوراة عن مجيئه ، فاذن القديسون فى يد المسيا . ومن يقرأ النص بتدقيق مرة أخرى فى الترجمة العبرانية وهو :

«وتلألأ من جبل فاران . وعن يمينه نار شريعة لهم . فأحب الشعب . جميع قديسيه فى يدك ، وهم جالسون عند قدمك ، يتقبلون من أقوالك »

فانه سيصرح بما صرح به الدكتور فرنسيس دافيدسن وجماعة من اللاهوتيين بما نصه :

« جميع قديسيه فى يدك : الانتقال الى ضـمير المخاطب ، جعل البعض يعتقدون أن هذه نبوءة عن المسيا الآتى » والمسيا الآتى هو محمد رسول الله — ﷺ — كما سنبين فى الفصل الأخير من الجزء الأول من هـذا الكتاب ، وفى كتاب « المسيا المنتظر »

... ...

لنتناول بعد ما قدمنا دعاوى أهل الكتاب . عن طريق مناقشة ابن كمونة فى وجهة نظره :

تتلخص وجهة نظر ابن كمونة فى أن النص ليس نبوءة أصـلا للدعاوى الآتية :

١ — أن موسى وبنى اسرائيل اجتازوا بفاران وأقاموا بها .

٢ — لقد سمى بفاران موضع بغير الحجاز ، وعليه فليس هو جبلا وحيدا كسيناء وساعير .

---

(١٥) ص ٣١٠ — ٣١١ ميزان الحق — يوجد فى دار الكتب المصرية .

٣ ــ الكلام كله مختص ببنى اسرائيل ، لا ببنى اسماعيل أو غيرهم .

٤ ــ الألفاظ كلها مخبرة عن أمر ماض .

٥ ــ لو كان المراد بسيناء وساعير وفاران الاشارة الى الأنبياء الثلاثة لكان قوله « وأتت من ربوات المقدسين » اشارة الى شريعة رابعة .

أما عن الدعوى الأولى ، فنقول :

صحيح أن التوراة مصرحة بأن موسى وبنى اسرائيل قد احتازوا بفاران . لكن هل كان هذا للاقامة الدائمة أم للمرور العابر كمرور الكرام ، انه لم يكن للاقامة الدائمة فالاقامة الدائمة هى لأبناء اسماعيل كما فى الاصحاح الحادى والعشرين من سفر التكوين وانما هم مروا كمرور الكرام . كما مروا على غير فاران .

ففى التوراة : أن الله ــ تعالى ــ أمر موسى ــ عليه السلام ــ بأن يصنع تابوتا ، ويضع فيه (كتاب العهد) وأمره بأن يضع التابوت فى خيمة . ويوم أن صنع موسى ذلك ، ظهرت سحابة فى السماء نهارا وظللت الخيمة . وفى المساء كان يحل بدل السحابة « منظر نار الى الصباح » تقول التوراة « وفى يوم اقامة المسكن غطت السحابة المسكن ، خيمة الشهادة ، وفى المساء كان على المسكن كمنظر نار الى الصباح . هكذا كان دائما . السحابة تغطيه ، ومنظر النار ليلا ، ومتى ارتفعت السحابة عن الخيمة كان بعد ذلك بنو اسرائيل يرتحلون ، وفى المكان حيث حلت السحابة هناك كان بنو اسرائيل ينزلون » (عدد ٩ : ١٥ ــ ١٧) وكان بنو اسرائيل يتنقلون من مكان الى مكان . ففى التوراة « وفى السنة الثانية فى الشهر الثانى ، فى العشرين من الشهر ارتفعت السحابة عن مسكن الشهادة ، فارتحل بنو اسرائيل فى رحلاتهم من برية سيناء ، فحلت السحابة فى برية فاران » (عد ١٠ : ١١ ــ ١٢) وتعددت رحلات بنى اسرائيل على هذا النحو فقد ذهبوا الى « قبروت هتأوه » والى « حضيروت » والى « برية صين » وأقاموا فى « قادش » وأيضا « ارتحل

بنو اسرائيل ونزلوا فى أوبوت ، وارتحلوا من أوبوت ونزلوا فى عى عباريم ، فى البرية التى قبالة موآب الى شروق الشمس . من هناك ارتحلوا ونزلوا فى وادى . زارد ... الخ » (عدد ٢١ : ١٠ — ١٢)

وكما مر موسى ، مر أيضا داود . ففى سفر صموئيل الأول « ومات صموئيل فاجتمع جميع اسرائيل وندبوه ودفنوه فى بيته فى الرامة . وقام داود ، ونزل الى برية فاران » (صموئيل الأول ٢٥ : ١)

وأما عن الدعوى الثانية فنقول :

ان تسمية موضع بفاران فى غير الحجاز ، لا ينفى وجود جبل أصلى فى أرض الحجاز . وحيث ان سكنى بنى اسماعيل فى البدء فى أرض فاران ، فانه يكون هو الأصل . اذ لا يوجد أصل أقدم منه وما يوجد بعده يكون مسمى به تيمنا وتفاؤلا ، أو لنفس الأسباب التى سمى بها المكان الأول . وبلاد العالم تشهد على ذلك .

ولقد سمى كثيرون باسم موسى فهل هذا يرفع الثقة فى شخص موسى صاحب الشريعة ؟

ولو سلمنا جدلا بأن سكنى بنى اسماعيل كانت فى فاران وآخر فاران جهة ايلات — كما يدعى أهل الكتاب — ألم يكن نسل اسماعيل اثنى عشر ولدا ؟ ومن اسماعيل — عليه السلام — الى مجىء نبى الاسلام — ﷺ — مقدار ألفين وخمسمائة وستة وستين سنة — على حسابهم — وغير بعيد فى هذه السنين الطويلة أن يكثر نسل اسماعيل ويعيش فى أرض فاران الكبيرة شمالا وجنوبا وشرقا وغربا . واذا كان نسل اسحق وهم ولدان قد كثر باعداد هائلة لا عدد لها ، فلم لايكثر نسل اسماعيل جدا جدا وهم اثنى عشر ولدا ؟ وكيف لا يتفرق أولاده اذا كثروا فى منطقة فاران كلها . وما حولها ؟ وتفرقهم الى جهة مكة هو اللائق بهم ، لأن بنى عيسو يسكنون الأردن ، وبنو اسرائيل يسكنون فى سيناء ، ويزحفون نحو الشمال .

واما عن الدعوى الثالثة فنقول :

صحيح أن الكلام لمخاطبة بنى اسرائيل ليقبلوا نبى الاسلام اذا جاء . وقد نبه الله عليه لأنه ليس من جنسهم . واذا كان ابن كمونة يعنى النبوة فى بنى اسرائيل وحدهم . فلم لم يعترف بما جاء به عيسى — عليه السلام — وهو نبى عظيم من أنبيائهم ، وقد صنع باذن الله معجزات كما صنع الياس واليسع ؟ ولماذا قتل بنو اسرائيل أنبياء قد بعثوا فيهم من جنســـهم ؟

واذا كان الكلام لبنى اسرائيل تأكيدا عـــلى شريعة موسى الى الأبد . فما معنى : « واستعلن من جبل فاران ومعه ربوة من أطهـــار الملائكة عن يمينه ، فوهب لهم وأحبهم ورحم شعبهم ... الخ » ؟ وما معنى « **أسلم لنا موسى مثله** » ؟ مثل ماذا ؟ الذى يعنى أن موسى أسلم لهم شريعة فى سيناء ، كما سيسلم لأتباعه نبى فاران شريعة .

وأما عن الدعوى الرابعة فنقول :

صحيح أن الألفاظ فى الظاهر مخبرة عن أمر ماضى . لكن الماضى يعنى أنه لابد من وقوع هذه الأخبار وحدوثها فى المستقبل .

وابن كمونة لا ينفى أن يدل الماضى على المتوقع حدوثه مستقبلا ، ويحمله على المجاز (١٦) . واذا جاز له أن ينفى المجاز فى هذا الموضع بالذات . فلم لا ينفيه من بقية المواضع المذكورة فى التوراة ؟ ونظير ذلك فى التوراة قول حزقيال عن بأجوج ومأجوج « ها هو قد اتى وصار . يقول السيد الرب ، هذا هو اليوم الذى تكلمت عنه » (حزقيال ٣٩ : ٨) مع أنه الى الآن لم يأت . الا اذا كان النص كناية عن هلاك اليهود فى زمان هذا النبى . وقد كان فى سبى بابل .

---

(١٦) وقد كرر ابن كمونة هذا المعنى فى كتابه ، ففى ص ٤٠ من تنقيح الأبحاث يقول أيضا : « ان التعبير عن المستقبل بلفظ الماضى قد جاء مثله كثيرا على وجه التجوز ، على معنى : أن المتيقن وقوعه كأنه قد وقع » أ. هـ

والفيلسوف اليهودى العبرانى ســبينوزا يعترف بذلك فى قوله : « أقدم الكتاب استعملوا الزمن المستقبل للدلالة على الحاضر وعلى الماضى بلا تمييز ، كما استعملوا الماضى للدلالة على المستقبل ، والصيغة الاخبارية للدلالة على الصيغة الانشائية ، وعلى صيغة الأمر ، فنتج عن ذلك كثير من المتشابهات »

ويقول ســبينوزا الفيلســوف : « بالاضافة الى أســباب وجود المتشابهات التى تشترك فيها جميع اللغات ، هناك أسباب خاصة باللغة العبرية ينشأ عنها كثيرا جدا من المتشابهات ، وأعتقد من الأجدى ذكرها هنا » ثم ذكر أسبابا نكتفى نحن هنا بذكر السبب الثالث منها .

يقول سبينوزا : « وهناك ســبب ثالث تنتج عنه كثير من المتشابهات هو أن الأفعال ليس لها من الصــيغة الاخبارية مضارع أو ماض مستمر أو ماض أتم أو مستقبل أو ماض سابق ، وأزمنة اخرى تستعمل بكثرة فى اللغات الأخرى . ولا توجد أية أزمنة فى الصيغتين الاخبارية والمصدرية سوى الزمن الحاضر . أما فى الصــيغة الانشائية . فلا توجد أية أزمنــة .

والحقيقة : أن هناك قواعد مستنبطة من مبادىء هــذه اللغــة تسمح بتعويض هذه الأزمنة ، والصيغ الناقصــة بسهولة ، وعــلى سوى رفيع من البلاغة ، ومع ذلك فان أقدم الكتاب أهملوها اهمالا تاما ، واســتعملوا الزمن المستقبل للدلالة على الحاضر وعــلى الماضى بلا تمييز ، كما استعملوا الماضى للدلالة على المستقبل ، والصيغة الاخبارية للدلالة على الصيغة الانشائية وعلى صيغة الأمر ، فنتج عن ذلك كثير من المتشابهات (١٧) » أ. هـ

وأما عن الدعوى الخامسة فنقول :

قوله « وأتت من ربوات القدسين » يعنى شريعة رابعة : هو قول

---

(١٧) ص ٢٥٢ ــ ٢٥٣ رسالة فى اللاهوت والسياسة ــ سبينوزا

للمماحكة . لأن التراجم التى نقلنا عنها قديما وحديثا ليسـت مجمعة على لفظ « وأتت » بل جاءت فى الترجمة التى جادل بها شموئيل : « واطلع من جبل فاران . ومعه ربوات المقدسين » وجاءت فى الترجمة التى جادل بها الامام أبو الحسـن البصرى الماوردى : « ومعه عن يمينه ربوات جيش القديسين » والنص فى كتابه أعلام النبوة هكذا : « ان الرب جاء من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلى من جبال فاران ، ومعه عن يمينه ربوات جيش القديسـين ، فمنحهم الى الشـعب . ودعا لجميع قديسيه بالبركة (١٨) » وكان ينبغى على ابن كمونة أن يضعف ترجمة شموئيل وترجمة الماوردى وترجمة الرازى ، فخر الدين ، لأنه يرد عليهم . وتراجمهم تفيد بأن الاطلاع من فاران يكون فى حالة كونه بصـحبة جماعات الصحابة الأخيار . لا أن الربوات شريعة رابعة .

***

الرد على النصارى :

وأخيرا . نقول للنصـارى . وقـد خاطبناهم من خـلال مناقشاتنا لابن كمونة : أذا كان الله يريد أن يذكر بنى اسرائيل كيف أضاء مجـده الى مسافات بعيدة ؟ فلماذا خصت الأضاءة بهذه الأمكنة الثلاثة دون أهل الأرض قاطبة ؟ واذا كان « جميع قديسيه فى يدك » يعنى المسيا المنتظر وهو عيسى فى نظركم فمن أين أتى وهو لم يذهب الى فاران ولم يخرج منها ؟

* * *

المحكم والمتشابه فى التوراة والانجيل :

ولما كان النص يفيد مجىء الله من سيناء وقد يتوهم متوهم اثبات المجىء الحقيقى لله ــ عز وجل ــ لا مجىء شريعتين اثنتين منه واحدة من سيناء وواحدة من فاران فاننى أذكر هنا نبذة مختصرة عن الفاظ التوراة والانجيل فى هذا المعنى ليتضح نمط تفكير بنى اسرائيل وتعبيرهم .

---

(١٨) ص ١٣٠ أعلام النبوة للماوردى ــ ولاحظ أن النص الذى ذكره فى كتابه هذا من الترجمة اليونانية .

الدارس للتوراة وللانجيل يتبين له عبارات كثيرة مبالغ فيها وردت على سبيل المجاز (١٩) وعبارات وردت على سبيل الحقيقة ، وعليه فانه اذا وجد نصان متعارضان فى الظاهر ، ويسقط أحدهما الآخر ، ويمكن تأويل أحدهما لامكان التوفيق بين النصين ، وجب قبول هذا التأويل للخروج من الخلاف . والذى يقبل التأويل يكون هو المتشابه ، والذى لا يقبله يكون هو المحكم . والمتشابه هو الذى يحتمل معنيين اثنين أحدهما على الحقيقة وثانيهما على المجاز ويكون له محكم .

وبيان ذلك بالنسبة لله عز وجل :

أولا : تنزيه الله عن الجسمية :

كثير من الآيات فى التوراة وفى الانجيل يفهم منها : الجسمية والشكل والأعضاء لله عز وجل . **وهى آيات متشابهات** ، ترد الى الآيات المحكمات فى التوراة وفى الانجيل التى يفهم منها تنزيه الله عن الجسمية والشكل والأعضاء لله عز وجل . ولأن معانى هذه الآيات المحكمات . ولو كانت قليلة ، موافقة للبراهين العقلية ، فانه يجب تأويل الآيات المتشابهات ولو كانت كثيرة ، الآيات المشعرة باثبات الجسم والشكل والأعضاء ، لا تأويل هذه الآيات القليلة التى تثبت تنزيه الله عن المشابهة للحوادث (٢٠) ومثال ذلك :

١ ــ فى اثبات الشكل والصورة . « سافك دم الانسان . بالانسان يسفك دمه ، لأن الله على صورته عمل الانسان » (تكوين ٩ : ٦)

---

(١٩) لو قلت : رأيت أسدا فى الغابة . فان لفظ « الأسد » حقيقة على الحيوان المفترس . واذا قلت : رأيت أسدا فى المنزل . فان لفظ « أسد » استعرناه من المعنى الحقيقى ، ووضعناه على رجل شجاع . مجازا . والقرينة التى تدل على أن المقصود فى المثال الأول الأسد الحقيقى هى : « فى الغابة » فانها مأوى الأسود . والقرينة التى تدل على أن المقصود فى المثال الثانى هو : الرجل الشجاع هى « فى المنزل » فانه مأوى الرجال .

(٢٠) يقول ابن كمونة : « وقد يأتى فى كلام الأنبياء : الاستعارات والمجازات ، وما هو على جهة المبالغة والاغياء . فمن حمل هذه الألفاظ على ما وضعت له أولا ، ربما وقع فى خطأ عظيم » (ص ٥ تنقيح الأبحاث)

٢ — فى اثبات الرأس . يقول أشعياء عن الله « لبس البر كدرع ، وخوذة الخلاص على رأسه » (أشعياء ٥٩ : ١٧)

٣ — فى اثبات الرأس والشعر . يقول دانيال عن الله « جلس القديم الأيام ، لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى » (دانيال ٧ : ٩)

٤ — فى اثبات الوجه واليد والعضد . يقول داود عن الله « اللهم بآذاننا قد سمعنا . آباؤنا أخبرونا بعمل عملته فى أيامهم فى أيام القدم . انت بيدك استأصلت الأمم وغرستهم ، حطمت شعوبا ومددتهم ، لأنه ليس بسيفهم امتلكوا الارض ، ولا ذراعهم خلصتهم . لكن يمينك وذراعك ونور وجهك لأنك رضيت عنهم » (مزمور ٤٤ : ١ — ٣)

٥ — فى اثبات الوجه والقفا . قال الله لموسى لما طلب منه الرؤية « هو ذا عندى مكان . فتقف على الصخرة ويكون متى اجتاز مجدى ، أنى أضعك فى نقرة من الصخرة وأسترك بيدى حتى أجتاز ، ثم أرفع . يدى فتنظر ورائى ، وأما وجهى فلا يرى » (خروج ٣٣ : ٢١ — ٢٣)

٦ — وفى اثبات العين والأذن . يقول سليمان لله « لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلا ونهارا على الموضع الذى قلت : ان اسمى يكون فيه . لتسمع الصلاة التى يصليها عبدك فى هذا الموضع » (الملوك الأول ٨ : ٢٩)

٧ — وفى اثبات العين والأجفان . يقول داود : « الرب فى السماء كرسيه ، عيناه تنظران ، أجفانه تمتحن بنى آدم » (مزمور ١١ : ٤)

٨ — وفى اثبات الأذن والرجل والانف والنفس والفم . يقول داود « فى ضيقى دعوت الرب ، والى الهى صرخت . فسمع من هيكله صوتى ، وصراخى قدامه دخل أذنيه ، فارتجت الأرض ، وارتعشت أسس الجبال ، ارتعدت وارتجت لأنه غضب . صعد دخان من أنفه ، ونار من فمه أكلت . جمر اشتعلت منه . طأطأ السموات ، ونزل وضباب تحت رجليه . . .

فظهرت أعماق المياه ، وانكشفت أسس المسكونة من زجرك يارب . من نسمة ريح أنفك » (مزمور ١٨ : ٦ ، ٩ ، ١٥)

٩ ـــ وفى اثبات الشفة واللسان . يقول أشعياء « هو ذا اسم الرب يأتى من بعيد ، غضبه مشـــتعل ، والحريق عظيم ، شفتاه ممتلئتان ســـخطا ولسانه كنار آكلة ، ونفخته كنهر غامر يبلغ الى الرقبة . لغربلة الأمم بغربال السوء » (أشعياء ٣٠ : ٢٧ ـــ ٢٨)

١٠ ـــ وفى اثبات الأصابع لله « أعطى موسى عند فراغه من الكلام معه فى جبل سيناء ، لوحى الشـــهادة ، لوحى حجر مكتوبين باصـــبع الله » (خروج ٣١ : ١٨)

١١ ـــ وفى اثبات البطن والقلب . يحكى ارميـــاء على لســـان الله عز وجل « أحشائى . احشائى . توجعنى جدران قلبى . يئن فى قلبى . لا أستطيع السكوت » (ار ٤ : ١٩)

١٢ ـــ وفى اثبات الظهر . يحكى اشعياء على لسان الله عز وجل « امتلأت حقواى وجعا ، وأخذنى مخاض كمخاض الوالدة ، تلويت حتى لا أسمع . اندهشت حتى لا أنظر » (أشعياء ٢١ : ٣)

١٣ ـــ وفى اثبات الفرج . يقول داود « انى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك » (مزمور ٢ : ٧)

١٤ ـــ وفى اثبات الدم . قال بولس لقساوسة أفسس « احترزوا اذا لأنفسكم ، ولجميع الرعية التى أقامكم الروح القدس فيها أساقفة ، لترعوا كنيسة الله التى اقتناها بدمه » (أعمال الرسل ٢٠ : ٢٨)

... ...

وفى تنزيه الله تعالى عن الشبيه والنظير تجد فى أســـفار موسى آيات محكمات منها :

١ ـــ « فكلمكم الرب من وسط النار ، وأنتم سامعون صوت كلام ،

ولكن لم تروا صورة بل صوتا ... فاحتفظوا جدا لأنفسكم . فانكم لم تروا صـــورة ما يوم كلمكم الرب في حوريب من وســــط النار » (التثنية ٤ : ١٢ ، ١٥)

٢ ــ ويقول الله عن نفســـه « ليس مثلى فى كل الأرض » (خروج ٩ : ١٤)

٣ ــ وقال موسى عن الله « ليس مثل الله » (التثنية ٣٣ : ٢٦)

وفى أسفار الأنبياء نجد أشعياء يقول :

١ ــ « فبمن تشبهون الله ؟ وأى شبه تعادلون به ؟ ... فبمن تشبهوننى فأساويه يقول الرب » ؟ (اشعياء ٤٠ : ١٨ و ٢٥)

٢ ــ « حقا أنت اله محتجب يا اله اسرائيل » (اشعياء ٤٥ : ١٥)

ولما كانت هذه الآيات القليلة محكمة ، ومطابقة للبرهان العقلى على نفى الجسمية عن الله عز وجل ، وجب تأويل الآيات الكثيرة المتشابهة ، المشعرة بالجسمية والشكل والأعضاء لله عز وجل .

ولما كان الله عز وجل لا يرى مطلقا ولا يشبه أحدا . يجب تأويل اليد بمعنى القدرة مثلا ، والأذن والعين بمعنى الاحاطة الشاملة لما يقع فى الكون . وغضبه ومكره ، على أنه يكلم الناس على قدر عقولهم . وهـــكذا .

يقول موسى بن ميمون فى نفى الجسمية عن الله تعالى بالبرهان العقلى : « كل جسم مركب (لأن كل جسم مركب من معنيين ضرورة ، وتلحقه أعراض ضرورة . أما المعنيان المقومان له ، فمادته وصورته ، وأمـــا الأعراض اللاحقة له ، فالكم والشكل والوضع) وكل مركب فلابد له من فاعل ، هو السبب لوجود صورته فى مادته . وبين هو جدا : أن كل جسم قابل للانقسام ، وله أبعاد ، فهو محل للأعراض بلا شك . فليس الجسم واحد ، لا من جهة انقسامه ولا من جهة تركيبه ــ اعنى كونه اثنين بالقول ــ لأن كل جسم انما هو جسم ما ، من أجل معنى زائد فيه عـــلى

كونه جسما . فهو ذو معنيين ضرورة . وقد تبرهن : أن واجب الوجود لا تركيب فيه بوجه من الوجوه » (٢١) أ. هـ.

وأهل الانجيل كأهل التوراة فى ذلك الأمر . فقد جاء فى الانجيل أن الله لا يرى أصلا كما فى التوراة . يقول يوحنا « الله لم يره أحد قط » (يوحنا ١ : ١٨) ويقول بولس « المبارك العزيز الوحيد ، ملك الملوك ، ورب الأرباب ، الذى وحده له عدم الموت ، ساكنا فى نور لا يدنى منه ، الذى لم يره أحد من الناس ، ولا يقدر أن يراه ، الذى له الكرامة والقدرة الأبدية » (الأولى الى تيموثاوس ٦ : ١٥ — ١٦) وفى الرسالة الاولى ليوحنا « أيها الأحباء ان كان الله قد أحبنا . هكذا ينبغى لنا أيضا أن يحب بعضنا بعضا . الله لم ينظره أحد فقط » (يوحنا الأولى ٤ : ١١ — ١٢

وطريقة التأويل هكذا :

قول التوراة : « ليس مثل الله » : **محكم** . اى يدل على معنى واحد وهو : عدم مماثلة الله لأى شىء فى الوجود . وقول التوراة عن الله « أنت بيدك استأصلت الأمم » : **متشابه** . أى يدل على معنيين اثنين أولاهما : أن الله — تعالى — له يد فيها أصابع مثل ايدى الناس . وعلى هذا المعنى يكون الله مماثلا لشىء فى الوجود . وثانيهما : أن يد الله — تعالى — كناية عن قدرته ، وأنه لا غالب الا هو . وعلى هـــذا المعنى يكون الله غير مماثل لأى شىء فى الوجود . والمعنى الثانى من معنيى المتشابه متفق مع المعنى المحكم ، فيكون هو مراد الله تعالى . وليس مراده يد جارحة كأيدى الناس فالله ليس كمثله شىء ، وهو السميع البصـــــير .

***

وطريقة التاويل هذه بهذا المعنى شرحها المســـلون شرحا وافيا لأهل الكتاب .

---

(٢١) ص ٢٦٢ و ٢٧٧ ج ٢ دلالة الحائرين وتلخيص مناهج السائرين

ومن الذين شرحوا شيخ الاسلام ابن تيمية احمد بن عبد الحليم — رحمه الله — المتوفى سنة ٧٢٨ هـ ومن كلامه فى المقارنة بين قـــول الله تعالى فى القرآن الكريم : « والتين والزيتون . وطور سينين . وهذا البلد الأمين » وبين نبوءة التوراة عن محمد — ﷺ — وهى : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » ما نصـــه : « والتين والزيتون . وطور سينين . وهذا البلد الأمين » اقسام منه بالأمكنة الشريفة المعظمة الثلاثة ، التى ظهر فيها نوره وهداه ، وأنزل فيها كتبه الثلاثة : التوراة والانجيل والقرآن . كما ذكر الثلاثة فى التـــوراة بقوله : « جاء الله من طور سيناء ، وأشرق من ساعير ، واستعلن من جبال فاران » ولما كان ما فى التوراة خبرا عنها . أخبر بها على ترتيبها الزمانى . فقدم الأسبق فالأسبق . والقرآن أقسم بها تعظيما لشأنها ، وذلك تعظيم لقدرته — سبحانه — وآياته وكتبه ورسله . فأقســـم بها على وجه التدريج ، درجة بعد درجة فختمها بأعلى الدرجات ، فأقسم أولا بالتين والزيتون ثم بطور سيناء ، ثم بمكة ، لأن اشرف الكتب الثلاثة : القرآن ، ثم التوراة ، ثم الانجيل ، وكذلك الأنبياء (٢٢) » أ.هـ

ومن قوله يتبين أنه يفسر مجىء الله بمجىء أمره ، لا بمجيئه على رجليه ماشيا . مع نفى التشبيه . لقوله « ظهر فيها نوره وهداه »

ثانيا : تنزيه الله عن المكان :

وكثير من الآيات فى التوراة والانجيل يفهم منها : اثبات المكان لله عز وجل ، والقليل من الآيات يفهم منها تنزيه الله عز وجل عن المكان . ولما كانت الآيات القليلة محكمة وموافقة للبراهين العقلية وهو أن الله فى كل مكان

---

(٢٢) انظر الجزء الثانى من الجواب الصحيح لابن تيمية صـــفحة ٢٣٩ وانظر الجزء الثالث ص ٣٠٤ وص ٣٠٠

وانظر أيضا هداية الحيارى لابن قيم الجوزية فى فصل البشارة بنبى الاسلام من كتبهم . وانظر المنتخب الجليل من تخجيل من حرف الانجيل الباب الأول .

بعلمه لا بذاته . فانه لا ضير من ابقاء معانيها على حالها ، وتأويل الآيات الكثيرة **المتشابهة** المشعرة بالمكان ، الى معنى يتلاءم مع معنى الآيات المحكمة المثبتة للتنزيه عن الجلوس فى مكان — وان كانت قليلة — .

يقول موسى بن ميمون فى نفى المكان عن الله عز وجل : « كرسى : أصل وضعه فى اللغة : أنه اسم الكرسى . ولما كان الكرسى انما يجلس عليه أهل الجلالة والعظمة كالملوك ، وصار الكرسى شيئا ما ، موجودا ، يدل على عظمة من أهل له وجلالته وعظم شأنه ، سمى المقدس : كرسيا ، لدلالته علـى عظمة من تجلى فيه ، وأهل نوره ووقاره عليه . فقال : « يا عرش المجد السنى منذ الأول ... الخ » (ار ١٧ : ١٢) ومن أجل هذا المعنى سميت السماء كرسيه ، لدلالتها عند من يعرفها ويعتبرها على عظمة موجدها ومحركها ، ومدبر العالم السفلى بفيض جودها . فقال : « هكذا قال الرب : السماء عرشى » (أش ٦٦ : ١) يقول : هى تدل على وجودى **وعظمتى وقدرتى ، كدلالة الكرسى على عظم من أهل له .**

هذا هو الذى يعتقده المحققون ، لا أن ثم جسما يرتفع الاله عليه ، تعالى علوا كبيرا » (٢٣) أ.هـ

مثال ذلك :

طلب الله من موسى أن يصنع خيمة وأن يمسحها بدهن مقدس . ثم قال الله له عن نفسه : « وأقدس خيمة الاجتماع والمذبح . وهـــرون وبنوه أقدســـهم لكى يكهنوا لى . وأسكن فى وسط بنى اسرائيل وأكون لهم الها . فيعلمون أنى أنا الرب الههم ، الذى أخرجهم من أرض مصر لأسكن فى وسطهم . أنا الرب الههم » (خروج ٢٩ : ٤٤ — ٤٦) وانظر (خروج ٢٥ : ٨ والعدد ٥ : ٣ والعدد ٣٥ : ٣٤ والتثنية ٢٦ : ١٥) وهكذا أمثلة كثيرة .

وفى تنزيه الله تعالى عن المكان نجد آيات محكمات منها :

---

(٢٣) ص ٣٥ — ٣٦ ج ١ دلالة الحائرين وتلخيص مناهج السائرين .

١ ــ قال موسى وبنو اسرائيل : « من مثلك بين الآلهة يارب ؟ من مثلك معتزا فى القداسة ؟ مخوفا بالتسابيح ، صانعا عجائب » (خروج ١٥ : ١١)

٢ ــ يقول سليمان ــ عليه السلام ــ بعدما بنى الهيكل « هل يسكن الله حقا على الأرض ؟

هو ذا السموات وسماء السموات لا تسعك . فكم بالأقل هــذا البيت الذى بنيت » (الملوك الأول ٨ : ٢٧)

٣ ــ ويقول اشعياء عن الله « هكذا قال الرب : السموات كرسى ، والأرض موطىء قدمى . أين البيت الذى تبنون لى ؟ واين مكان راحتى ؟ وكل هذه صنعتها يدى . فكانت كل هذه يقول الربه » (اشعياء ٦٦ : ١ ــ ٢)

٤ ــ وقد اقتبســـها **لوقا كاتب سفر الأعمال فقال** : « لكن العلى لا يسكن فى هياكل مصنوعات الأيادى كما يقول النبى : السماء كرسى لى . والأرض موطىء لقدمى . أى بيت تبنون لى ؟ يقول الرب . وأى هو مكان راحتى ؟ اليســـت يدى صنعت هـــذه الأشياء كلها ؟ (٢٤) » (أعمال الرســـل ٧ : ٤٨ ــ ٤٩)

---

(٢٤) يقول الامام القرطبى فى كتابه الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والأوهام : « وأما من لبس منهم ، بأن مثل قولهم فى الاتحاد بقولنا فى استوائه تعالى على العرش . فذلك مما لا يقال عليه عندنا اتحاد ولا حلول ولا فيض ولا انطباع لأنا نريد بقولنا : هو على العرش مستو ، واســـتوى على العرش : أن العرش تحت قبضته ، ومســـخر بقدرته ، والاستواء عليه انما هو بمعنى الاستيلاء على ما تعرفه العرب من كلامها . فانها تقول :

قد استوى (بشر) على العراق بغير سيف ودم مهراق

فان أرادوا هذا المعنى فهو حقٌ وصحيح » أ.هـ

وأهل الكتاب مسلمون معنا بهذا التأويل ، ويوافقون عليه :

يقول موسى بن ميمون ، المتوفى ٦٠٣هـ فى دلالة الحائرين ما نصه : « اعلم : أن ليس هربنا من القول بقدم العالم من أجل النص الذى جاء فى التوراة بكون العالم محدثا ، لأنه ليست النصوص التى تدل على حدث العالم بأكثر من النصوص التى تدل على كون الاله جسما . ولا أبواب التأويل أيضا مسدودة فى وجوهنا ، ولا ممتنعة علينا فى أمر حدوث العالم ، بل كان يمكننا تأويل ذلك ، كما فعلنا فى نفى التجسيم . ولعل هذا كان أسهل بكثير ، وكنا قادرين أعظم قدرة أن نتأول تلك النصوص ونثبت قدم العالم ، كما تأولنا النصوص ، ونفينا كونه تعالى جسما . وانما الذى جعلنا لا نفعل ذلك ولا نعتقده سببان :

أحدهما : أن كون الاله ليس بجسم تبرهن ، فيلزم بالضرورة أن **يتأول كل ما يخالف ظاهره البرهان ، ويعلم أن له تأويلا ضرورة ،** وقدم العالم لم يتبرهن ، فلا ينبغى أن تدفع النصوص وتتأول من أجل ترجيح رأى يمكن أن يرجح نقيضه بضروب من الترجيحات . فهذا سبب .

والسبب الثانى : أن اعتقادنا أن الاله ليس بجسم ، لا يهد لنا شيئا من قواعد الشريعة ولا يكذب دعوى كل نبى . وليس فيه الا ما يزعم الجهال أن فى ذلك خلاف النص . وليس هو خلافه كما بينا ، بل هو قصد النص . فأما اعتقاد القدم على الوجه الذى يراه « أرسطو » أنه على جهة اللزوم ولا تتغير طبيعة أصلا ، ولا يخرج شىء عن معتاده ، فانه هاد للشريعة بأصلها ، ومكذب لكل معجز ضرورة ، وتعطيل لكل ما رجت به الشريعة أو خوفت منه » (٢٥) أ.هـ

ويقول ابن كمونة المتوفى سنة ٦٨٣ هـ : « يجب أن يكون الأصل الأول فيما يسنه النبى الحقيقى : أن يعرف الناس أن لهم صانعا واحدا حيا قادرا ، لاشريك له فى ملكه ولا شبيه ولا نظير ، عالما بالسر والعلانية ،

---

(٢٥) ص ٣٥٠ دلالة الحائرين . وقد ترجم هذا النص « سبينوزا » واستشهد به فى كتابه رسالة فى اللاهوت والسياسة ص ٢٥٩ ــ ٢٦٠ .

لا يعزب عن علمه شيء في السموات ولا في الأرض ، وأن من حقه أن يطاع وأنه قد أعد السعادة لمن أطاعه والشقاوة لمن عصاه ، وأن يقرر عندهم أمر المعاد الأخروي ، وأن هناك من اللذة الابدية ما هو ملك عظيم ، ومن الألم ما هو عذاب مقيم » (٢٦) أ.هـ

وعاب بعض العلماء على التوراة ما جاء فيها من أن الله — تعالى — استنشق قتار القرابين ، أي « تنسم الرب رائحة الرضا » (تك ٨ : ٢١) لما ذبح نوح — عليه السلام — ذبائح ، وشواها على النار ، وأنه — تعالى — ندم وتأسف وحزن على خلقه بني آدم لأنهم في الشر أكثر منهم في الخير (تك ٦ : ٦) وصفات الله — تعالى — من هذا القبيل .

ورد عليهم ابن كمونة وكثيرون غيره بقولهم : ان هذا على سبيل التمثيل ، أي عبر الله — تعالى — عن ذاته بلغة يفهمها البشر ليقدروا على معرفته .

يقول ابن كمونة : « وأما استنشاق قتار القرابين فهو كناية عن تقبلها ، كما يقال : سمع الله دعاءه . بمعنى : تقبله . وأصبع الله مستعارة لقدرته ، كما تستعار اليد لذلك في لغتي العبرانية والعربية . ويدل على ذلك دلالة قطعية : ما جاء في التوراة حكاية عن المصريين أنهم لما ابتلوا بما ابتلوا به ، قالوا : « اصبع الله هي » (خروج ٨ : ١٩) ومعلوم أن مرادهم بذلك : قدرة الله . ومن يفعل ما يفعله النادم منا ، يسمى نادما بالمجاز . وقد نطقت التوراة وكتب النبوات بما قلناه ، وذلك أنه لما أهلك الله — تعالى — الخلائق بالطوفان ، أخبر قبل ذلك أنه يهلكهم ، وعبر عن ذلك بأنه ندم على خلقهم تمثيلا بمن يندم على شيء يفعله ، يستدرك ذلك بترك فعله ونسبة الغضب اليه لمثل ذلك . فان الغضبان من شأنه أن ينتقم ممن غضب عليه . فلهذا عبر عن انتقامه — عز وجل — بالغضب . ولأجل أن المحب منا يكثر العناية والشفقة على من يحبه سميت رحمة الله وشدة عنايته : محبة . لا لأنه ينفعل انفعال الغضبان والمحب — تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا — (٢٧) » أ.هـ

---

(٢٦) ص ١٥ تنقيح الأبحاث .

(٢٧) ص ٣٤ — تنقيح الأبحاث .

وكان المسيح عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ يذكر أدلة من التوراة على تنزيه الله عز وجل ومن الأدلة التى ذكرها ما جاء فى كتاب موسى عن الله تعالى وهو : « أنظروا الآن . أنا أنا هو ، وليس اله معى . أنا أميت وأحيى . سحقت وانى أشفى وليس من يدى مخلص » (التثنية ٣٢ : ٣٩).

وقد استشهد عيسى عليه السلام ، بهذا القول على تنزيه الله عن المكان أمام هيرودوس والوالى ورئيس الكهنة . واستشهد بآيات مما قدمنا سابقا على تنزيه الله عن الجسمية أيضا . قال عيسى بصوت عال : « ليصعد كاهننا الى محل مرتفع حيث يتمكن من تحقيق كلامى . فصعد من ثم الكاهن الى هناك . فقال له يسوع بوضوح يتمكن كل واحد من سماعه : قد كتب فى عهد الله الحى (٢٨) وميثاقه : أن ليس لالهنا بداية ولا يكون له نهاية . أجاب الكاهن : لقد كتب هكذا هناك . فقال يسوع : انه كتب هناك أن الهنا قد برأ كل شىء بكلمته (٢٩) نقط . فأجاب الكاهن . انه لكذلك . فقال يسوع : انه مكتوب هناك : أن الله لا يرى ، وانه محجوب عن عقل الانسان لأنه غير متجسد ، وغير مركب ، وغير متغير . فقال الكاهن : انه لكذلك حقا .

فقال يسوع : انه مكتوب هناك : كيف أن سماء السموات لا تسعه (٣٠) لأن الهنا غير محدود . فقال الكاهن . هكذا قال سليمان النبى يا يسوع . قال يسوع : انه مكتوب هناك أن ليس لله حاجة ، لأنه لا يأكل ولا ينام ، ولا يعتريه نقص . قال الكاهن : انه لكذلك . قال يسوع : انه مكتوب هناك ، أن الهنا فى كل مكان وأن لا اله سواه ، الذى يضرب ويشفى ويفعل كل ما يريد (٣١) . قال الكاهن: هكذا كتب » (برنابا ٩٥ : ٣ ــ ١٦)

***

(٢٨) مزمور ٩٠ : ٢ .
(٢٩) مزمور ٣٣ : ٦ .
(٣٠) الملوك الأول ٨ : ٢٧ .
(٣١) التثنية ٣٢ : ٣٩ .

وبعندما تحدثنا عن المحكم والمتشابه فى الذات والمكان بالنسبة لله ــ عز وجل ــ نتحدث عن الكلمات الثلاثة التى تدل كل كلمة منهم ــ عندهم ــ على ذات الله حقيقة ، وعلى غير الله مجازا وهم : الله والاله والرب . وهم ثلاثة ألفاظ على الحقيقة يشير كل لفظ منهم الى خالق السموات والأرض ــ جل جلاله ــ وعلى المجاز نجد علماء بنى اسرائيل يطلقون كل لفظة من هذه الألفاظ ، على غير الله مجازا فيقولون على الملاك من الملائكة ، ويقولون على الانسان العظيم ــ فى نظرهم ــ يقولون : الها أو يقولون : ربا . وقد ثبت على الحقيقة مما قدمنا أن الله لا يرى ، ولا يقدر أحد أن يراه . وعلى ذلك فمن يكون مرئيا لا يكون الها(٣٢). ولا يحتج أحد بأن التأويل مجاز ، فكيف يرتكب ؟ لانا نقول : ان المصير الي المجاز يجب عند القرينة المانعة من ارادة الحقيقة . سيما اذا دل البرهان القطعى على المنع .

مثال ذلك :

١ ــ لما ارتحل بنو اسرائيل من مصر مع موسى ــ عليه السلام ــ « كان الرب يسير أمامهم نهارا ، فى عمود سحاب ليهديهم فى الطريق ، وليلا فى عمود نار ليضىء لهم » (خروج ١٣ : ٢١) والمقصود من « الرب » : ملك من الملائكة . لقوله « فانتقل ملاك الله السائر أمام عسكر اسرائيل وسار وراءهم ، وانتقل عمود السحاب من أمامهم ، ووقف وراءهم » (خروج ١٤ : ١٩)

٢ ــ فى التوراة فى الاصحاح الثامن والعشرين من سفر التكوين :

---

(٣٢) من ردود اليهود على النصارى فى قولهم بأن عيسى اله : قول ابن كمونة : « وكان فى جملة تعذيبهم لأيشوع وشهرته ، لما أرادوا صلبه ، أن غطوا راسه ووجهه وجعلوا يضربون رأسه بالقصب ، ويقولون له : « تنبأ لنا أيها المسيح من ضربك ؟ » وبعض عبيد عظيم الكهنة لطم وجهه ، وتفلوا فيه . والله تعالى يقول لموسى عليه السلام : « **لا يرانى أحد فيعيش** وقال بنو اسرائيل لموسى : « كلمنا أنت ، نسمع ونطيع ، ولا يكلمنا الرب فنموت » **فكيف يكون والحالة هذه من يلطم وجهه الاها** » (ص ٦٠ تنقيح الأبحاث) .

« خرج يعقوب من بئر سبع ، وذهب نحو حاران ، وصادف مكانا ، وبات هناك . لأن الشمس كانت قد غابت . وأخذ من حجارة المكان ، ووضعه تحت رأسه فاضطجع فى ذلك المكان ، ورأى حلما : واذا سلم منصوبة على الأرض ، ورأسها يمس السماء ، وهو ذا ملائكة الله صاعدة ونازلة عليها ، وهوذا الرب واقف عليها . فقال : أنا الرب اله ابراهيم ابيك واله اسحق . الأرض التى أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك ، ويكون نسلك كتراب الأرض ، وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا . ويتبارك فيك وفى نسلك جميع قبائل الأرض ، وها أنا معك وأحفظك حيثما تذهب وأردك الى هذه الأرض . لانى لا أتركك حتى افعل ما كلمتك به .

فاستيقظ يعقوب من نومه ، وقال : حقا ان الرب فى هذا المكان وأنا لم أعلم . وخاف . وقال : ما ارهب هـــذا المكان . ما هـــذا الا بيت الله ، وهذا باب السماء . وبكر يعقوب فى الصباح وأخذ الحجر الذى وضعه تحت رأسه وأقامه عمودا ، وصب زيتا على رأسه ودعا اســـم ذلك المكان : بيت ايل . ولكن اســـم المدينة أولا كان لوز ، ونذر يعقوب نذرا قائلا : ان كان الله معى وحفظنى فى هذا الطريق الذى أنا سائر فيه ، وأعطانى خبزا لآكل ، وثيابا لألبس ، ورجعت بسلام ، الى بيت أبى ، يكون الرب لى الها . وهذا الحجر الذى أقمته عمودا يكون بيت الله . وكل ما تعطينى فانى أعشره لك » (تك ٢٨ : ١٠ — ٢٢)

والمقصود من « الرب » فى هذا الحلم العجيب : ملك من الملائكة . لما جاء فى التوراة : أن يعقوب عليه السلام خاطب زوجتيه راحيل وليئة وكان مما قال لهما : « وقال لى ملاك الله فى الحلم : يا يعقوب . فقلت : ها أنذا . فقال ... أنا اله بيت ايل حيث مسحت عمودا . حيث نذرت لى نذرا . الآن ... الخ » (تكوين ٣١ : ١١ — ١٣)

٣ - وفى التوراة ما نصه : « فبقى يعقوب وحده ، وصارعه انسان حتى طلوع الفجر ، ولما رأى أنه لا يقدر عليه ضرب حق فخذه ، فانخلع حق فخذ يعقوب فى مصارعته معه . وقال : أطلقنى لأنه قد طلع الفجر .

فقال : لا أطلقك ان لم تباركني . فقال له : ما اسمك ؟ فقال : يعقوب : فقال : لا يدعى اسمك فى ما بعد يعقوب ، بل اسرائيل . لانك جاهدت مع الله والناس وقدرت . وسأل يعقوب وقال : أخبرنى باسمك . فقال : لماذا تسأل عن اسمى ؟ وباركه هناك . فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل . قائلا : لأنى نظرت الله وجها لوجه . ونجيت نفسى » (التكوين ٣٢ : ٢٤ — ٣٠)

والمقصود من (الله) فى قوله « جاهدت مع الله » وقوله « نظرت الله » المقصود : ملك من الملائكة لما جاء فى سفر هوشع : « فى البطن قبض بعقب أخيه ، وبقوته جاهد مع الله . جاهد مع الملاك وغلب ، بكى واسترحمه ، وجده فى بيت ايل . وهناك تكلم معنا » (هوشع ١٢ : ٣ — ٤)

٤ — وجاء فى التوراة : « فقال الرب لموسى : انظر . أنا جعلتك الها لفرعون . وهرون أخوك يكون نبيك . أنت تتكلم بكل ما آمرك . وهرون أخوك يكلم فرعون » (خروج ٧ : ١ — ٢) ويقول الله لموسى عنه ، وعن هارون « وأنا أكون مع فمك . ومع فمه . وأعلمكما ماذا تصنعان ؟ وهو يكلم الشعب عنك . وهو يكون لك فما . وأنت تكون له الها » (خروج ٤ : ١٥ — ١٦)

والمقصود من (الها) : سيدا ورئيسا . لأن التوراة تصرح بأن الله واحد لا شريك له فى هذا النص : « اسمع يا اسرائيل . الرب الهنا رب واحد .

فتحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قوتك » (تثنية ٦ : ٤ — ٥)

٥ — فى كتاب موسى يقول الله لبنى اسرائيل « انتم أولاد للرب الهكم » (تثنية ١٤ : ١) وفى زبور داود يقول الله لبنى اسرائيل

« أنا قلت انكم آلهة ، وبنو العلى كلكم » (مزمور ٨٢ : ٦) فجاء هنا اطلاق الآلهة وأبناء الله على عوام بنى اسرائيل فضلا عن خواصهم ولما كان الله — فى التوراة — الها واحدا ، وليس كمثله شىء يكون لفظ الأبوة والبنوة على المجاز — كما بينا فى طريقة التأويل —

وفى انجيل لوقا : « وكانت شياطين أيضا تخرج من كثيرين . وهى تصرخ وتقول : أن المسيح ابن الله ، فانتهرهم ولم يدعهم يتكلمون » (لو ٤ : ٤١) وجاء فى انجيل مرقس بدل « ابن الله » تعبير « قدوس الله » يقول : « وكان فى مجمعهم رجل به روح نجس . فصرخ قائلا : آه . مالنا ولك يا يسوع الناصرى ؟ أتيت لتهلكنا ؟ أنا أعرفك ، من أنت ؟ قدوس الله . فانتهره يسوع » (مر ١ : ٢٣ — ٢٥) وجاء فيه تعبير « ابن الله » هكذا : « والأرواح النجسة حينما نظرته ، خرت له وصرخت قائلة : انك أنت ابن الله ، وأوصاهم كثيرا أن لا يظهروه » (مر ٣ : ١١) وهذا يدل على أن « قدوس الله » تساوى « ابن الله »

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية لأهل الكتاب : « وفى ما عندكم من التوراة أن الرب قال لموسى : « اذهب الى فرعون ، فقل له : يقول لك الرب : اسرائيل ابنى بكرى أوسطه يعبدنى . فان أبيت أن ترسل ابنى بكرى قتلت ابنك بكرك » (خروج ٤ : ٢١ — ٢٣) فلما لم يرسل فرعون بنى اسرائيل كما قال الله ، قتل الله أبكار فرعون وقومه من بكر فرعون الجالس على السرير الى الأول من أولاد الآدميين الى ولد الحيوان البهم .

فهذه التوراة تسمى بنى اسرائيل كلهم : أبناء الله وأبكاره ، وتسمى أبناء أهل مصر : أبناء فرعون ... وفى مزامير داود يقول : « أنت ابنى ، سلنى أعطك » (مزمور ٢ : ٧ — ٨)

وفى الانجيل يقول عن المسيح : « أنا ذاهب الى أبى وأبيكم ، والهى والهكم » (يوحنا ٢٠ : ١٧) وقال : « اذا صليتم فقولوا : يا أبانا الذى فى السماء ، قدوس اسمك . افعل بنا كذا وكذا » (لوقا

٤١ : ٢) ويقولون عن القديسين : ان روح القدس يحل فيهم ، وكذلك حلت فى داود وغيره ، من الأنبيـــاء ، بل عندهم : ان الله يحل في الصديقين كلهم . فان كان الابن وروح القدس يقتضى اتحاد اللاهوت بالناســوت وجب أن يكون كل من الحواريين : لاهوتا وناسوتا وكذلك الأنبياء (٣٣) » أ.هـ

وفى الانجيل : تناول اليهود حجارة ليرجموا عيسى ـــ عليه السلام ـــ « أجابهم يسوع : أعمالا كثيرة حسنة أريتكم من عند أبى . بســـبب أى عمل منها ترجموننى ؟ أجابه اليهود قائلين : لسنا نرجمك لأجل عمل حسن . بل لأجل تجديف . فانك وأنت انسان تجعل نفسك الها . اجابهم يسوع : أليس مكتوبا في ناموسكم : أنا قلت : انكم آلهة . ان قال آلهة لأولئك الذين صارت اليهم كلمة الله . ولا يمكن أن ينقض المكتوب. فالذى قدســـه الآب وأرسله الى العالم . أتقولون له : انك تجدف ؟ » (يوحنا ١٠ : ٣٢ ـــ ٣٦)

فقد احتج عليهم عيسى بما فى التوراة على أنه سيد كأى فرد من أفراد اليهود . وقال : اذا كـــان اللفظ يطلق على اليهود أشرارا أو صالحين فاطلاقه على . وأنا صالح من باب أولى .

***

وبعد هذا البيان الموجز عن المحكم والمتشابه فى التوراة والانجيل ، نقول : ان نبوءة البركات الثلاث قد تطابقت مع القرآن الكريم . هكذا :

يقول الله تعالى « والتين والزيتون ، وطور سينين ، وهذا البلد الأمين . لقد خلقنا الانســـان فى أحسن تقويم ، ثم رددناه أســـفل سافلين ، الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ، فما يكذبك بعد بالدين . أليس الله بأحكم الحاكمين ؟ » (التين) .

---

(٣٣) ص ١٩٦ ـــ ١٩٧ جـ ٣ الجـــواب الصـــحيح لمن بدل دين المســـيح .

يقول ابن كثير فى كتابه « شمائل الرسول ودلائل نبوته وفضائله وخصائصه » :

ذكر تعالى هذه الأماكن الثلاثة على الترتيب الوقوعى . ذكر محلة موسى ، ثم عيسى ، ثم بلد محمد — ﷺ — ولما أقسم تعالى بهذه الاماكن الثلاثة : ذكر الفاضل أولا . ثم الأفضل منه ثم الأفضل منه علـى قاعدة القسم . فقال تعالى « والتين والزيتون » والمراد بها : محلة بيت المقدس حيث كان عيسى — عليه السلام — « وطور سينين » وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى « وهذا البلد الأمين » وهو البلد الذى ابتعث منه محمدا — ﷺ — قاله غير واحد من المفسرين فى تفسير هذه الآيات » (٣٤) أ.هـ .

---

(٣٤) ص ٣٤٤ شمائل الرسول — لابن كثير .

الفصل الخامس

فى

تغيير القبلة

تمهيــــد :

مات النبى موسى بن عمران ـــ عليه السلام ـــ ولم يبين لبنى اسرائيل ـــ عن أمر الله أو عن أمره ـــ جهة معينة يتجهون اليها فى صلاتهم وحجهم ، كما بين نبى الاسلام ـــ ﷺ ـــ لنا نحن المسلمين جهة الكعبة فى « مكة المكرمة » لم يبين لهم موسى ـــ فى أمر القبلة ـــ الا أن يبنوا أماكن للعبادة فى أى مكان ، ويتجوا أى جهة ، فان لله المشرق والمغرب وأينما يولوا وجوههم فثم وجه الله . ان الله واسع عليم . ففى الاصحاح العشرين من سفر الخروج مكتوب أن الله يقول : « فى كل الاماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكرا . آتى اليك وأباركك » (خر ٢٠ : ٢٤)

وقد أمرهم موسى على لسان الله ـــ تعالى ـــ أن يصنعوا تابوتا ويصنعوا للتابوت خيمة . فصنعوا . وكان الله يرسل سحابة على الخيمة نهارا ويهيىء لهم نارا بالليل عليها . ففى سفر الخروج : « وعند ارتفاع السحابة عن المسكن كان بنو اسرائيل يرتحلون فى جميع رحلاتهم ، وان لم ترتفع السحابة لا يرتحلون الى يوم ارتفاعها . لأن سحابة الرب على المسكن نهارا ، وكانت فيها نار ليلا أمام عيون كل بيت اسرائيل فى جميع رحلاتهم » (خر ٤٠ : ٣٦ ـــ ٣٨)

ولما حارب يشوع فتى موسى أهل كنعان واستولى على بلاد منهم ، نصب الخيمة فى مدينة « شيلوه » وأمام الخيمة قسم الأرض على الأسباط . ففى سفر يشوع : « هذه هى الأنصبة التى قسمها العازر الكاهن ، ويشوع

ابن نون ، ورؤساء آباء أسباط بنى اسرائيل بالقرعة فى شيلوه . أمام الرب لدى باب خيمة الاجتماع ، وانتهوا من قسمة الأرض » (يش ١٩ : ٥١)

ولما حارب طالوت وداود — عليهما السلام — جالوت وجنوده واستولى بنو اسرائيل على كل أرض كنعان ، جعل داود — عليه السلام — عاصمة ملكه مدينة « أورشليم » (القدس) ولما أراد أن يستبدل الخيمة ببناء ثابت فى الأرض جهز أدوات البناء . ولكنه مات قبل أن يبنى شيئا يذكر ، فجاء سليمان — عليه السلام — وبنى على أساس أبيه — كما كان يريد — وعرف بناؤه بهيكل سليمان .

ثم ان بنى اسرائيل افترقوا من بعد موت سليمان — عليه السلام — الى فرقتين ، فرقة اتخذت مدينة « شكيم » (نابلس) فى أرض فلسطين عاصمة لها ، وبنو على جبل جرزيم هيكلا . وقالوا : انه الحق من ربهم . — وهم السامريون — والفرقة الأخرى قالت : ان هيكل سليمان الذى هو جبل صهيون — وهم العبرانيون — وبعد مدة من الزمان جاء (نبوخذ ناصر) ملك بابل وأحرق هيكل أورشليم ، وقتل كثيرا من بنى اسرائيل وسبى وجهاءهم وأعيانهم الى بابل .

ولما رجعوا من بابل . أراد العبرانيون أن تكون أورشليم عاصمة للدولة ، وهيكل سليمان هو القبلة . وأراد السامريون أن تكون نابلس عاصمة للدولة وهيكل جرزيم هو القبلة فحدث عداء بين الفريقين من أجل ذلك . وظل العداء قائما الى مجىء عيسى — عليه السلام — وهو من العبرانيين أهل أورشليم — .

وذات يوم ذهب هو الى السامريين يبشر باقتراب « ملكوت السموات » فقابلته امرأة سامرية على بئر تستقى ماء ، ولما علمت بمعجزة حدثت منه : أنه نبى سألته عن القبلة ، وقالت له : أيننا على صواب ، نحن السامريين أم يهود أورشليم العبرانيين ؟ وأجاب عيسى — عليه السلام — بأن العبادة الماضية أمرها موكول الى الله ، ولا فائدة من الحديث

منها ، قال لها المسيح : « يا امرأة صدقيني . انه تأتى ساعة ، لا فى هذا الجبل ، ولا فى أورشليم تسجدون للآب ، أنتم تسجدون لما لستم تعلمون » (يو ٤ : ٢١ — ٢٢)

وقال لها المسيح : ان القبلة سوف تنزع من المكانين الى مكان سيعينه الله فيما بعد ، وسوف يأتى الساجدون الحقيقيون ليعبدوا الله الحق ، وسيحدد لهم الله الجهة التى ارتضاها لهم . قال المسيح : « ولكن تأتى ساعة ، وهى الآن . حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له . الله روح . والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا » (يو ٤ : ٢٣ — ٢٤)

وأتباعه من بعده قد اختلفوا . فالبروتستانت قالوا : لله المشرق والمغرب كما بين موسى . والارثوذكس والكاثوليك قالوا : نتبع قبلة اليهود العبرانيين فى أورشليم ولا نتبع قبلة السامريين فى نابلس . وقد أشار القرآن الكريم الى أمر القبلة فى آيات منها :

« قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة (١) ترضاها . فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ماكنتم فولوا وجوهكم شطره .

وأن الذين أوتوا الكتاب أنه الحق من ربهم . وما الله بغافل عما يعملون . ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا

---

(١) يقول القرطبى فى تفسير الآية ١٤٢ من سورة البقرة : « واختلف العلماء أيضا فى كيفية استقباله بيت المقدس على ثلاثة أقوال . فقال الحسن : كان ذلك منه عن رأى واجتهاد . وقاله عكرمة وأبو العالية . الثانى : أنه كان مخيرا بينه وبين الكعبة ، فاختار القدس ، طمعا فى ايمان اليهود واستمالتهم . قاله الطبرى وقال الزجاج : امتحانا للمشركين لأنهم ألموا الكعبة . الثالث — وهو الذى عليه الجمهور ، ابن عباس وغيره — : وجب عليه استقباله بأمر الله تعالى ووحيه . لا محالة . ثم نسخ الله ذلك ، وأمره أن يستقبل بصلاته الكعبة . واستدلوا بقوله تعالى : « وما جعلنا القبلة التى كنت عليها ، الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه » الآية أ.هـ والصحيح هو الأول . لأن النص على استقبال بيت المقدس أولا غير مذكور فى القرآن ، حتى يقال انه قد نسخ .

قبلتك . وما أنت بتابع قبلتهم . وما بعضهم بتابع قبلة بعض . ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم . انك اذا لمن الظالمين .

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق ، وهم يعلمون . الحق من ربك فلا تكونن من الممترين . ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات . أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعا . ان الله على كل شيء قدير . ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام . وانه للحق من ربك ، وما الله بغافل عما تعملون . ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره . لئلا يكون للناس عليكم حجة . الا الذين ظلموا منهم ، فلا تخشوهم واخشوني ، ولأتم نعمتي عليكم ، ولعلكم تهتدون » (البقرة ١٤٤ — ١٥٠) .

النصــوص

أولا — نصوص التوراة :

« فقال الرب لموسى : هكذا تقول لبنى اسرائيل : أنتم رأيتم انني من السماء تكلمت معكم . لا تصنعوا معى آلهة فضة . ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب . مذبحا من تراب تصنع لى . وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك ، غنمك ، وبقرك . **فى كل الاماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكرا . آتى اليك وأباركك** . وان صنعت لى مذبحا من حجارة فلا تبنه منها منحوتة . اذا رفعت عليها ازميلك تدنسها ، ولا تصعد بدرج الى مذبحى . كيلا تنكشف عورتك عليه » (خرج ٢٠ : ٢٢ — ٢٦)

من ذلك النص يتبين : أنه لا مكان بذاته محدد . ليكون مقدسا دون غيره ، أو معظما . وانما « كل الأماكن » سواء فى التقديس والعظمة . وان الله تنزل رحمته وبركته فى **« كل الاماكن »** اذا ذكر اسم الله .

* * *

وفى بابل اتفق العبرانيون والسامريون على تغيير ذلك النص .

وذلك بتحديد مكان واحد يقدسه الجميع ويعظمونه ويحجون اليه ، بعد الرجوع من بابل واستقرارهم في فلسطين ، ويقدمون القرابين والنذور اليه . وهذا المكان الواحد قالوا : انه سيكون فى أرض سبط من اسباط بنى اسرائيل الاثنى عشر . فى أرض فلسطين . وكتبوا فى التوراة هذا النص :

« هذه هى الفرائض والاحكام التى تحفظون لتعملوها فى الأرض . التى أعطاك الرب ، اله آبائك لتمتلكها كل الايام التى تحيون على الارض . تخربون جميع الأماكن . حيث عبدت الأمم التى ترثونها ، آلهتها على الجبال الشامخة وعلى التلال ، وتحت كل شجرة خضراء ، وتهدمون مذابحهم ، وتكسرون أنصابهم وتحرقون سواريهم بالنار ، وتقطعون تماثيل آلهتهم ، وتمحون اسمهم من ذلك المكان .

لا تفعلوا هكذا للرب الهكم ، بل المكان الذى يختاره الرب الهكم من جميع أسباطكم ليضع اسمه فيه . سكناه تطلبون . والى هناك تأتون . وتقدمون الى هناك : محرقاتكم ، وذبائحكم وعشوركم ، ورفائع أيديكم ، ونذوركم ، ونوافلكم ، وأبكار بقركم وغنمكم . وتأكلون هناك أمام الرب الهكم وتفرحون بكل ما تمتد اليه أيديكم أنتم وبيوتكم . كما باركـكم الرب اليكم . لا تعملوا حسب كل ما نحن عاملون هنا اليوم . أى كل انسان مهما صلح فى عينيه . لانكم لم تدخلوا حتى الآن الى المقر والنصيب اللذين يعطيكم الرب الهكم .

فمتى عبرتم الاردن وسكنتم الارض التى يقسمها لكم الرب الهكم ، وأراحكم من جميع أعدائكم الذين حواليكم ، وسكنتم آمنين . فالمكان الذى يختاره الرب الهكم ليحل اسمه فيه . تحملون اليه كل ما أنا أوصيكم به : محرقاتكم وذبائحكم وعشوركم ورفائع أيديكم ، وكل خيار نذوركم التى تنذرونها للرب . وتفرحون أمام الرب الهكم انتم وبنوكم وبناتكم وعبيدكم واماؤكم . واللاوى الذى فى أبوابكم لانه ليس له قسم ولا نصيب معكم .

احترز من أن تصعد محرقاتك فى كل مكان تراه . بل فى المكان

الذى يختاره الرب فى أحد أسباطك . هناك تصعد محرقاتك . وهناك تعمل كل ما أنا أوصيك به . ولكن من كل ما تشتهى نفسك تذبح وتأكل لحما فى جميع أبوابك . حسب بركة الرب الهك التى أعطاك . النجس والطاهر يأكلانه ، كالظبى والايل . وأما الدم فلا تأكله . على الأرض تسفكه كالماء . لا يحل لك أن تأكل فى أبوابك عشر حنطتك وخمرك ، ولا أبكار بقرك وغنمك . ولا شـيئا من نذورك التى تنذر . ونوافلك ، ورفائع يدك . بل أمام الرب الهك تأكلها فى المكان الذى يختاره الرب الهك . أنت وابنك وابنتك وعبدك وأمتك واللاوى الذى فى أبوابك ، وتفرح أمام الرب الهك بكل ما امتدت اليه يدك . احترز من أن تترك اللاوى كل أيامك على أرضك » (تثنية ١٢ : ١ — ١٩) .

يقول الكاتب فى هذا النص : « لا تعملوا حسب كل ما نحن عاملون هنا اليوم . أى كل انسان مهما صلح فى عينيه . لانكم لم تدخلوا حتى الآن الى المقر والنصيب اللذين يعطيكم الرب الهكم » **انه يريد أن يغير تعدد الأماكن بمكان واحد — ويوهم القارىء بأن موسى هـو القائل ، لا عزرا فى أرض بابل — . وهذا المكان الواحد — فى نظره — لابد وأن يكون فى أرض كنعان . بعد عبورهم الاردن ، وسكناهم فيها .**

ويؤكد الكاتب على المكان الواحد فى أرض كنعان ، ويأمر بشـكر الله ليزيدهم من فضله فيقول : « ومتى أتيت الى الارض التى يعطيك الرب الهك نصيبا وامتلكتها وسكنت فيها . فتأخذ من أول كل ثمر الارض الذى تحصل من أرضك التى يعطيك الرب الهك وتضعه فى سلة . وتذهب الى المكان الذى يختاره الرب الهك ليحل اسمه فيه .

وتأتى الى الكاهن الذى يكون فى تلك الايام وتقول له : اعترف اليوم للرب الهك أنى قد دخلت الارض التى حلف الرب لآبائنا أن يعطينا اياها . فيأخذ الكاهن السلة من يدك ويضعها أمام مذبح الرب الهك ، ثم تصرح وتقول أمام الرب الهك : أراميا تائها كان أبى . فانحدر الى مصر ، وتغرب هناك فى نفر قليل ، فصار هناك أمة كبيرة وعظيمة وكثيرة . فأسـاء الينا المصريون ، وثقلوا علينا ، وجعلوا علينا عبودية قاسية ، فلمـا

صرخنا الى الرب اله آبائنا فسمع الرب صوتنا ، ورأى مشقتنا وتعبنا وضيقنا . فأخرجنا الرب من مصر بيد شديدة وذراع رفيعة ومخاوف عظيمة وآيات وعجائب . وأدخلنا هذا المكان ، وأعطانا هذه الارض ، أرضـا تفيض لبنا وعسلا .

فالآن هأنذا قد أتيت بأول ثمر الارض التى أعطيتنى يارب ، ثم تضعه أمام الرب الهك وتسجد أمام الرب الهك وتفرح بجميع الخير الذى أعطاه الرب الهك لك . ولبيتك . أنت ، واللاوى والغريب الذى فى وسطك »
(تث ٢٦ : ١ — ١١)

... ...

ومما تقدم من هذه النصوص يتبين أمرين اثنين :

الأمر الأول : أن الله لم يحـــدد لبنى اسرائيل قبلة معينة ، ولا مكانا مقدسا . بل كل الجهات تصلح قبلة ، وكل الأمكنة تكون لهم مقدسة وللامم

والأمر الثانى : أن مكانا مختارا فى أرض كنعان سوف يحدد مكانا مقدسا بعد موت موسى ليحجبوا اليه ، وليتجهوا اليه وقت الصلاة .

أما عن الأمر الاول فهو صحيح كل الصحة . وأما عن الثانى فهو خطأ كل الخطأ . ذلك لان المكان الذى سيختاره الله مستقبلا . من سيبينه لهم فان موسى عليه السلام قد مات ولم يبينه . وقد تمت شريعته من قبل موته ؟ وذلك الذى سيبينه ، اما نبى من بنى اسرائيل . واما نبى من غير بنى اسرائيل . فان كل من بنى اسرائيل . فقد وصى موسى بأنه لن يأتى منهم نبى مشرع مثله يسمعون له ويطيعون . ففى سفر التثنية : « ولم يقم بعد نبى فى اسرائيل مثل موسى » (التثنية ٣٤ : ١٠) وان كان من غير بنى اسرائيل ، وذلك هو الحق . فانه سيبين كما يوحى الله اليه سواء كان بيانه فى أرض الاســباط ، أو فى أى أرض تكون . فلماذا يحددون فى أرض الاسباط ؟

... ...

ولما رجع بنو اسرائيل من « بابل » متفقين على هذه النصوص التى أشرنا اليها . طلب السامريون من العبرانيين أن يشتركوا معهم فى بناء هيكل سليمان ، حسبما يقول العبرانيون فى توراتهم . ففى سفر عزرا : « وقالوا لهم : نبنى معكم . لاننا نظيركم نطلب الهكم . وله قد ذبحنا من أيام أسر حدون ملك أشور الذى أصعدنا الى هنا . فقال لهم زربابل ويشوع وبقية رؤوس آباء اسرائيل : ليس لكم ولنا أن نبنى بيتا لالهنا . ولكننا نحن وحدنا نبنى للرب اله اسرائيل ، كما أمرنا الملك كورش ملك فارس » (عزرا ٤ : ٢ ـ ٣)

ولما منع العبرانيون السامريين من الاشتراك فى بناء هيكل سليمان ، كتب السامريون خطابا الى « أرتحشستا ملك فارس » بمنع العبرانيين من بناء أورشليم والهيكل . **وهذا نص ما كتبوه :**

« ليعلم الملك أن اليهود الذين صعدوا من عندك الينا قد اتوا الى أورشليم ، ويبنون المدينة العاصية الردية . وقد أكملوا أسوارها ورمموا أسسها ، ليكن الآن معلوما لدى الملك أنه اذا بنيت هذه المدينة وأكملت أسوارها لا يؤدون جزية ولا خراجا ، ولا خفارة . فأخيرا تضر الملوك . والآن بما أننا نأكل ملح دار الملك ، ولا يليق بنا أن نرى ضرر الملك . لذلك أرسلنا فأعلمنا الملك . لكى يفتش فى سفر أخبار آبائك فتجد فى سفر الاخبار ، وتعلم : أن هذه المدينة مدينة عاصية ومضرة للملوك والبلاد . وقد عملوا عصيانا فى وسطها منذ الايام القديمة . لذلك أخربت هذه المدينة . ونحن نعلم الملك ، أنه اذا بنيت هذه المدينة وأكملت أسوارها لا يكون لك عند ذلك نصيب فى عبر النهر » (عزرا ٤ : ١٢ ـ ١٦)

وبناء على ذلك الخطاب : توقف العمل فى هيكل سليمان بقوة . لانه ـ كما يقول عزرا ـ قد « أرسل الملك جوابا الى رحوم صاحب القضاء وشمشاى الكاتب ، وسائر رفقائهما الساكنين فى السامرة وباقى الذين فى عبر النهر . سلام الى آخره .

الرسالة التى أرسلتموها الينا قد قرئت بوضوح أمامى . وقد

خرج من عندى أمر ففتشوا ووجد . أن هذه المدينة منذ الايام القـديمة تقوم على الملوك . وقد جرى فيها تمرد وعصيان . وقد كان ملوك مقتدرون على أورشليم ، وتسلطوا على جميع عبر النهر وقد أعطوا جزية وخراجا وخفارة . فالآن أخرجوا أمرا بتوقيف أولئك الرجال فلا تبنى هذه المدينة حتى يصدر منى أمر . فاحذروا من أن تقصروا عن عمل ذلك . لماذا يكثر الضرر لخسارة الملوك ؟

حينئذ لما قرئت رسالة أرتحشستا الملك أمام رحوم ، وشمشـاى الكاتب ورفقائهما ذهبوا بسرعة الى أورشليم الى اليهود وأوقفوهم بذراع وقوة . حينئذ توقف عمل بيت الله الذى فى أورشليم . وكان متوقفا الى السنة الثانية من ملك داريوس ملك فارس » (عزرا ٤ : ١٧ ــ ٢٤) ثم بنى العبرانيون الهيكل فيما بعد .

* * *   * * *   * * *

تلك هى وجهة نظر العبرانيين فى تمسـكهم بهيكل سـليمان فى أورشليم ، نقلناها من توراتهم . ولكى يبعدوا القبلة عن « جرزيم » كما يدعى السامريون قالوا : ان التوراة التى بأيديهم تنص على أن يبنى بنو اسرائيل مذبحا مقدسا اذا عبروا الاردن ، ويكون البناء على « جبل عيبال » يقول موسى : « يوم تعبرون الاردن الى الارض التى يعطيك الرب الهك تقيم لنفسك حجارة كبيرة ، وتشيدها بالشيد ، وتكتب عليها جميع كلمات هذا الناموس حين تعبر لكى تدخل الارض التى يعطيك الرب الهك ، أرضا تفيض لبنا وعسـلا كما قال لك الرب اله آبائك . حين تعبرون الاردن تقيمون هذه الحجارة التى أنا أوصيكم بها اليوم فى جبل عيبال . وتكلسها بالكلس . وتبنى هناك مذبحا للرب الهك . مذبحا من حجارة لا ترفـع عليها حديدا . من لحجارة صحيحة تبنى مذبح الرب الهك وتصعد عليه محرقات للرب الهك . وتذبح ذبائح سلامة وتأكل هناك . وتفرح أمام الرب الهك وتكتب على الحجارة جميع كلمات هذا الناموس نقشا جيدا » (تثنية ٢٧ : ٢ ــ ٨)

وكتب العبرانيون فى سفر يشوع « حينئذ بنى يشوع مذبحا للرب اله اسرائيل فى جبل عيبال كما أمر موسى عبد الرب بنى اسرائيل . كما هو مكتوب في سفر توراة موسى : مذبح حجارة صحيحة لم يرفع أحد عليها حديدا ، وأصعدوا عليه محرقات للرب وذبحوا ذبائح سلامة . وكتب هناك على الحجارة نسخة توراة موسى التى كتبها أمام بنى اسرائيل » (يشوع ٨ : ٣٠ — ٣٢)

غير ان السامريين يقولون : أن موسى لم يوص بعيبال ، وانما وصى أن يكون البناء على « جبل جرزيم » ويقولون ليثبتوا وجهة نظرهم فى قبلتهم : ان يشوع بنى المذبح فى جرزيم كما تنص تورتهم فى بركته . يقول أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى : « ان المنقول أن بنى اسرائيل دخلوا فى الشهر الاول الموافق لشهر نيسان . واقاموا فى هرجرزيم الحجارة ١٢ حجرا . وكتبوا العزر الامام عليها كل خطوب الشريعة خطا منظوما . وأخذوا فى اصلاح الطريق لصعود المشكن الى الجبل المقدس لان المشكن أقام فى المرج على ما قيل مدة سنة كاملة من الفسح الى الفسح .

وفى السنة الثانية بنى يهوشع الهيكل على هرجرزيم ، وجعل فيه المشكن . ولم يره أحد بعد ذلك سوى الائمة الخدام فيه ، ثم بنى يهوشع مذبح حجارة . وقرب عليه صعائد لله . وذبح سلائم ، وأخرج منها اجزاء لله والباقى أكل الناس ، **وخرجت النار اللهوتية وأحرقت الصعائد ،** وأكثر بنو اسرائيل من التسبيح والحمد لله جلت قدرته ، ووقفوا الاسباط الستة المعينة فى الشرع الشريف على هرجرزيم وتلوا الليوانية البركة على بنى اسرائيل ، وكل القوم يلعنوا المخالفين . وكل القول يقولون : آمين . الى تمام فصول البركة واللعنة (٢) » أ . هـ

... ...

(٢) ص ٢٦ — ٢٧ التاريخ مما تقدم عن الآباء — ولاحظ ركاكة الترجمة .

هذا ما يقوله السامريون فى وجهة نظرهم فى تمسكهم بجرزيم ، ويقولون : ان الخلاف كان فى بابل ، وليس بعد الرجوع منها . ويحتجون على العبرانيين بحجج كثيرة منها :

١ — اذا كانت القبلة عند العبرانيين لم تجدد الا زمن داود — عليه السلام — فمن قبل ذلك أين كان بنو اسرائيل يؤدون القرابين ؟ وبين موسى وداود أربعمائة وثمانون عاما — كما فى سفر الملوك الأول —

٢ — ان موسى عليه السلام أوصى بجعل البركة على جبل جرزيم ، واللعنة على جبل عيبال ، وهذا يعنى أنه لو كان ثمة مكان مختار ، فالاولى أن يكون هو جبل البركة ، ففى سفر التثنية : « وأوصى موسى الشعب فى ذلك اليوم قائلا : هؤلاء يقفون على جبل جرزيم ، لكى يباركوا الشعب ، حين تعبرون الاردن : شمعون ولاوى ويهوذا ويساكر ويوسف وبنيامين . وهؤلاء يقفون على جبل عيبال للعنة : رأوبين وجاد وأشير وزبولون ودان ونفتالى . فيصرح اللاويون ويقولون لجميع قوم اسرائيل بصوت عال : ملعون الانسان الذى يصنع تمثالا منحوتا أو مسبوكا رجسا لدى الرب على يدى نحات ، ويضعه فى الخفاء . ويجيب جميع الشعب ويقولون : آمين ... الخ » (التثنية ٢٧ : ١١ —) .

وقد نفذ يشوع وصية موسى فيوم عبروا الاردن ، كما فى سفر يشوع : « جميع اسرائيل وشيوخهم والعرفاء وقضاتهم وقفوا جانب التابوت من هنا ومن هناك مقابل الكهنة اللاويين حاملى تابوت عهد الرب . الغريب كما الوطنى . نصفهم الى جهة جبل جرزيم ، ونصفهم الى جهة جبل عيبال كما أمر موسى عبد الرب أولا لبركة شعب اسرائيل . وبعد ذلك قرأ يشوع جميع كلام التوراة : البركة واللعنة حسب كل ماكتب فى سفر التوراة . لم تكن كلمة من كل ما أمر به موسى لم يقرأها يشوع قدام كل جماعة اسرائيل والنساء والاطفال والغريب السائر فى وسطهم » (يشوع ٨ : ٣٣ — ٣٥)

يقول أبو الفتح بن أبى الحسن السامرى : « جاء زوربيل وجماعته

اليهود ، واجتمعوا بحران ووقفوا بين يدي سوردى الملك ــ ملك حران ــ ووقع بينهم وبين السامرة مشاجرة على القبلة ، واقبلوا السامرة بسفر المدرج الكبير من هيكل نينوه ، وذكروا النصوص التى تدل على أن هرجريزيم هو القبلة ، وأخرج زوربيل مدرجا وادعى أنه مدرج داود . وادعى أنه يدل على أن داود قال : ان الاندر الذى فى ايليا هو القبلة ، ووقع الجدل بينهم قدام الملك » .

ويستطرد أبو الفتح فيقول : « واستشهدوا ببراهين عدة بأن القبلة هى الجبل الذى حدده الله تعالى فى شريعته المقدسة المنزلة على يد موسى بن عمران (عم) وهو هرجريزيم . وسوردى الملك يستوفى عليهم القول . ويتأمل هو وعلماء زمانه مواضع الجدل ومجال الحجاج . فلما انتهت السامرة من الاتيان بالبراهين قال لروبيل وأصحابه : ماذا هويتم تقولوا ؟ فقالوا : قد جاءنا فى خبرنا : أن داود وسليمان : قالا : ان القبلة بيروشلم ، فقال لهم سنبلط الليوانى : اذا كان داود وسليمان على زعمكم هم اللذين عرفا القبلة . قبلتهم قبل ذلك الى أين كانت الأئمة تؤدى القرابين سنة بسنة ؟ » (٣) أ. هـ.

... ...

والحق يبدو مع السامريين فى بناء يشوع ــ لا فى القبلة ــ فان البركة على جرزيم يناسبها بناء يشوع للمذبح عليه . ولكن بناء يشوع للمذبح على جرزيم كما يقولون ، او على عيبال كما يقول العبرانيون ما هو لشيء الا لمجرد الذكرى . بدليل أن السامريين أنفسهم يذكرون الخلاف بين بنى اسرائيل من بعد موسى فى شأن القبلة بين ثلاث فرق . فلو كان بناء يشوع بنص من موسى . لما اختلفوا .

---

(٣) التاريخ مما تقدم عن الآباء ص ٦٤ ــ ٦٩ ــ لاحظ ركاكة الترجمة .

يقول ابو الفتح . « ووقعت فتنة عظيمة بين ايلى بن يفنى من نسل ايثمر ، وبين أولاد فينحاس ، وقصد ايلى أن يأخذ الامامة الكبرى . فسار الى سيلون ، فاجتمع اليه جماعة كثيرة ، وبنى له بها ناووسا مثل الهيكل ، وبنى مذبحا ولم يغير شيئا الا مكانا بمكان . وصار بنو اسرائيل حينئذ ثلاث فرق : فرقة فى هرجرزيم ، وفرقة ضلوا تبع آلهة اخرى . وفرقة تبعوا ايلى فى سيلون . فلما تكاسلو القوم عن استدراك الفراط ، وتغافلوا وعميت أبصارهم ، وتخلفوا عن الانكار . نفرت الملائكة عنهم ، وسخط البارى عليهم .

ولما توجه ايلى الى سيلون ، وبنى فيها مشكنا ، وأقام تشبيها بزمان الرضوان قال له تلامذته اقم لنا ملكا . فأخذ شاول بن قيس من سبط بنيم ، وأقامه ملكا وعظم شاول (طالوت) فى ملكه ، وضل من بنى اسرائيل عالم عظيم . وفى بداية ملك شاول وقع خلف فى بنى اسرائيل الضالين — يهود أورشليم — منهم من أراد سيلون ، ومنهم من أراد هرجريزيم ، ومنهم من قال : لا هنا ولا هنا (٤) » أ. هـ.

... ...

وبعد ما بينا طرفا من اختلافهم وتناقضهم . نبين هدف داود —

---

(٤) ص ٣٨ — ٤٢ التاريخ مما تقدم عن الآباء — ويقول الدكتور جورج بوست في قاموس الكتاب المقدس « جرزيم جبل فى افرايم فوق شكيم حيث نطق بالبركات ، كما نطق باللعنات من عيبال (تثنية ١١ : ٢٩ و ٢٧ : ١١ — ١٣ ، ويشوع ٨ : ٣ — ٣٣) ويعلو جرزيم ٢٨٥٠ قدما فوق البحر ، و ٨٠٠ فوق نابلس . ويفصل بينه وبين عيبال : واد ضيق .
وقد وقف ستة أسباط على عيبال ، وستة على جرزيم (تثنية ٢٧ : ١٢ و ١٣) ويرجح بأن التابوت كان فى الوادى بينهما ، ثم قرأ يشوع البركات واللعنات (يشوع ٨ : ٣٣ و ٣٥) وعاد اللاويون على كل جانب فكرروها . ثم قال الشعب : آمين ... وحسب التقاليد السامرية : كان هذا الجبل الموضع الذى توجه اليه ابراهيم ليقدم اسحق وأفرايم : يعنى سبط أفرايم بن يوسف عليه السلام ، وشكيم : نابلس .

عليه السلام — من ارادته بناء بيت فى أورشليم . القدس — يهدف داود عليه السلام — كما يبدو لنا من النصوص التى يقدسونها — الى هدفين اثنين :

الهدف الأول : بناء مكان ثابت على الأرض ليحل محل الخيمة التى كان ينصبها بنو اسرائيل ويضعون فيها تابوت العهد . والهدف الثانى : توحيد بنى اسرائيل فى مملكة واحدة تحت رئاسة ملك واحد . ولكى تهفو نفوسهم الى عاصمة الدولة ، فكر فى وضع التابوت فى مكان ثابت فى عاصمة الدولة . **وأيا ما كان هدف داود فان قبلته استحسانا لا الزاما** . لان داود من بنى اسرائيل .

ولا يسمع بنو اسرائيل ويطيعون لنبى منهم الا على شريعة موسى . لا يسمعون لنبى الا من موسى وحده . كما تقول التوراة « ولم يقم بعد نبي في اسرائيل مثل موسى » (تث ٣٤ : ١٠) ولا يجوز لداود الذى هو مأمور باتباع التوراة أن يحل حراما ، أو يحرم حلالا ، أو يزيد فيها أمرا من الامور أو ينقص أمرا .

وكيف ؟ وفى آخر حياته لما حضره الموت — كما فى الاصحاح الثانى من سفر الملوك الأول — : « أوصى سليمان ابنه قائلا : أنا ذاهب فى طريق الارض كلها . فتشدد وكن رجلا . احفظ شعائر الرب الهك اذ تسير فى طرقه وتحفظ فرائضه ، وصاياه وأحكامه وشهاداته ، **كما هو مكتوب فى شريعة موسى** ، لكى تفلح فى كل ما تفعل ، وحيثما توجهت » (١ مل ٢ : ١ — ٣) فاذا كان داود فى آخر حياته يوصى ابنه سليمان باحترام شريعة موسى ، فكيف يتسنى له الخروج عليها بقبلة لم يحددها موسى ؟

وهذان الهدفان واضحان تماما من الخطبة التى القاها سليمان — عليه السلام — بعد بناء هذا المكان ، الذى يسمى باسمه .

يقول سليمان لله عز وجل : « مبارك الرب اله اسرائيل الذى تكلم بفمه الى داود أبى ، واكمل بيده قائلا : منذ يوم أخرجت شعبى اسرائيل من مصر لم أختر مدينة من جميع أسباط اسرائيل لبناء بيت ليكون اسمى

هناك . بل انما اخترت داود ليكون على شعبى اسرائيل . وكان فى قلب داود أبى أن يبنى بيتا لاسم الرب اله اسرائيل . فقال الرب لداود أبى : من أجل أنه كان فى قلبك أن تبنى بيتا لاسمى . قد أحسنت بكونه فى قلبك . الا أنك لا تبنى البيت ، بل ابنك الخارج من صلبك هو يبنى البيت لاسمى . وأقام الرب كلامه الذى تكلم به وقد قمت أنا مكان داود أبي وجلست على كرسي اسرائيل كما تكلم الرب وبنيت البيت لاسم الرب اله اسرائيل ، وجعلت هناك مكانا للتابوت الذي فيه عهد الرب الذي قطعه مع آبائنا عند اخراجه اياهم من أرض مصر .

ووقف سليمان أمام مذبح الرب تجاه كل جماعة اسرائيل ، وبسط يديه الي السماء وقال .

أيها الرب اله اسرائيل ليس اله مثلك . فى السماء من فوق ، ولا علي الأرض من أسفل حافظ العهد والرحمة لعبيدك ، السائرين أمامك بكل قلوبهم ، الذي حفظت لعبدك داود أبى ما كلمته به . فتكلمت بفمك ، وأكملت بيدك كهذا اليوم . والآن أيها الرب اله اسرائيل : احفظ لعبدك داود أبى ما كلمته به قائلا : لا يعدم لك أمامي رجل يجلس علي كرسي اسرائيل . ان كان بنوك انما يحفظون طرقهم حتي يسيروا أمامي كما سرت أنت أمامي .

والآن يا اله اسرائيل فليتحقق كلامك الذى كلمت به عبدك داود أبى . لانه هل يسكن الله حقا على الارض . هوذا السموات ، وسماء السموات لا تسعك . فكم بالاقل هذا البيت الذي بنيت . فالتفت الي صلاة عبدك والي تضرعه أيها الرب الهى واسمع الصراخ والصلاة التى يصليها عبدك أمامك اليوم . لتكون عيناك مفتوحتين على هذا البيت ليلا ونهارا على الموضع الذي قلت : ان اسمى يكون فيه لتسمع الصلاة التى يصليها عبدك في هذا الموضع ، واسمع تضرع عبدك وشعبك اسرائيل الذين يصلون فى هذا الموضع . واسمع انت في موضع سكناك فى السماء واذا سمعت فاغفر .

اذا أخطأ أحد الى صاحبه ، ووضع عليه حلفا ليحلفه . وجـــاء الحلف أمام مذبحك فى هذا البيت فاسمع أنت فى السماء واعمل واقض بين عبيدك اذ تحكم على المذنب فتجعل طريقه على راسه ، وتبرر البـــار إذ تعطيه حســـب بره .

اذ أنكسر شعبك اسرائيل أمام العدو لانهم اخطأوا اليك ثم رجعوا اليك واعترفوا باسمك وصلوا وتضرعوا اليك نحو هذا البيت فاســـمع أنت من السماء واغفر خطية شعبك اسرائيل ، وارجعهم الى الأرض التى أعطيتها لآبائهم .

اذا أغلقت السماء ولم يكن مطر . لانهم أخطأوا اليك ثم صلوا فى هذا الموضع ، واعترفوا باســـمك ورجعوا عن خطيتهم لانك ضايقتهم فاسمع أنت من السماء واغفر خطية عبيدك وشعبك اسرائيل . فتعلمهم الطريق الصالح الذى يسلكون فيه . واعط مطرا على أرضك التى اعطيتها لشعبك ميراثا . اذا صار فى الارض جوع اذا صار وبأ . اذا صار لفح . أو يرقان ، أو جراد جردم ، أو اذا حاصره عدوه فى أرض مدنه ، فى كل ضربة وكل مرض . فكل صلاة وكل تضرع تكون من أى انسان كان من كل شعبك اسرائيل الذين يعرفون كل واحد ضربة قلبه فيبسط يديه نحو هذا البيت فاسمع أنت من السماء مكان سكناك واغفر واعمل وأعط كل انسان حسب كل طرقه كما تعرف قلبه .

لانك أنت وحدك قد عرفت قلوب كل بنى البشر . لكى يخافوك كل الأيام التى يحيون فيها على وجه الأرض التى أعطيت لآبائنا . وكذلك الاجنبى الذى ليس من شعبك اسرائيل هو . وجـــاء من أرض بعيدة من أجل اسمك . لانهم يسمعون باسمك العظيم وبيدك القوية وذراعك الممدودة . فمتى جاء وصلى فى هذا البيت فاســـمع أنت من السماء مكان سكناك وافعل حسب كل ما يدعو به اليك الاجنبى لكى يعلم كل شعوب الارض اسمك فيخافوك كشعبك اسرائيل ، ولكى يعلموا انه قـــد دعى اسمك على هذا البيت الذى بنيت .

اذا خرج شعبك لمحاربة عدوه فى الطريق الذى ترسلهم فيه وصلوا الى الرب نحو المدينة التى اخترتها والبيت الذى بنيته لاسمك . فاسمع من السماء صلاتهم وتضرعهم واقض قضاءهم . اذا أخطأوا اليك . لانه ليس انسان لا يخطىء ، وغضبت عليهم ودفعتهم أمام العدو ، وسباهم سابوهم الى أرض العدو بعيدة أو قريبة . فاذا ردوا الى قلوبهم فى الارض التى يسبون اليها ، ورجعوا وتضرعوا اليك فى أرض سبيهم قائلين : قد اخطأنا وعوجنا واذنبنا . ورجعوا اليك من كل قلوبهم ، ومن كل أنفسهم فى أرض أعدائهم الذين سبوهم ، وصلوا اليك نحو أرضهم التى أعطيت لآبائهم نحو المدينة التى أخترت ، والبيت الذى بنيت لاسمك . فاسمع فى السماء مكان سكناك . صلاتهم وتضرعهم . واقض قضاءهم واغفر لشعبك ما أخطأوا به اليك وجميع ذنوبهم ، التى أذنبوا بها اليك ، وأعطهم رحمة أمام الذين سبوهم . فيرحموهم . لانهم شعبك وميراثك اللذين أخرجت من مصر ، من وسط كور الحديد .

لتكون عيناك مفتوحتين نحو تضرع عبدك وتضرع شعبك اسرائيل . فتصغى اليهم فى كل ما يدعونك . لانك أنت أفرزتهم لك ميراثا من جميع شعوب الارض كما تكلمت عن يد موسى عبدك عند اخراجك آباءنا من مصر يا سيدى الرب » (الملوك الاول ٨ : ١٥ ـــ ٥٣)

• • •　　　• • •　　　• • •

وقد رد الله تعالى على سليمان بقوله : « قال له الرب : قد سمعت صلاتك وتضرعك الذى تضرعت به أمامى . قد ست هذا البيت الذى بنيته ، لاجل وضع اسمى فيه الى الابد . وتكون عيناى وقلبى هناك كل الايام . وأنت ان سلكت أمامى كما سلك داود أبوك بسلامة قلب ، واستقامة . وعملت حسب كل ما أوصيتك وحفظت فرائضى وأحكامى . فانى اقيم كرسى ملكك على اسرائيل الى الابد . كما كلمت داود أباك قائلا : لا يعدم لك رجل عن كرسى اسرائيل .

ان كنتم تنقلبون انتم او ابناؤكم من ورائى ، ولا تحفظون وصاياى . فرائضى التى جعلتها امامكم ، بل تذهبون وتعبدون آلهة أخرى وتسجدون لها . فانى اقطع اسرائيل عن وجه الارض التى اعطيتهم اياها . والبيت الذى قدسته لاسمى انفيه من أمامى . ويكون اسرائيل مثلا وهزأة فى جميع الشعوب . وهذا البيت يكون عبرة . كل من يمر عليه يتعجب ويصفر ويقولون : لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ؟ ولهذا البيت ؟ فيقولون : من أجل انهم تركوا الرب الههم الذى أخرج آباءهم من أرض مصر . وتمسكوا بالهة أخرى ، وسجدوا لها وعبدوها ، لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر » (الملوك الأول ٩ : ٣ — ٩)

***

ولو سألنا اليهود العبرانيين ذلك السؤال وهو : بعد كم من السنين بنى هيكل سليمان من بعد موسى ؟ لاجابوا بما نصه : « فى سنة الاربع مئة والثمانين لخروج بنى اسرائيل من أرض مصر فى السنة الرابعة لملك سليمان على اسرائيل فى شهر زيو ، وهو الشهر الثانى : أنه بنى البيت للرب » (الملوك الاول ٦ : ١)

وقد سألناهم من قبل : ما اذا كان موسى قد حدد لهم مكانا أم لم يحدد ؟ وأجابوا بعدم تحديد مكان . وعلى ذلك فان هيكل سليمان ليس قبلة شرعية بنص سماوى . وانما هو قبلة وضعية . لا يجوز التمسك بها الزاما وقسرا .

... ...

وقد تبين لنا من تضرع سليمان لله عز وجل ورد الله عليه : ان أول بيت وضع لبنى اسرائيل ليتجهوا اليه استحسانا حيثما كانوا فى صلواتهم وحجهم : انما كان فى عهد سليمان — عليه السلام — وأن هنالك شرط وعد من الله تعالى ، وهو ان استقام بنو اسرائيل حفظهم الله . واذا زاغوا عن الحق فان البيت الذى قدسه الله ينفيه عن وجه الارض . ويكون

هذا البيت عبرة . كل من يمر عليه يتعجب ويصفر . ويقول الناس : لماذا عمل الرب هكذا لهذا البيت ؟

... ...

ومن فمهم ندينهم . فقد تحقق فساد بنى اسرائيل ، واصبح البيت عبرة .

فانه من بعد موت سليمان عليه السلام انقسمت مملكته الى قسمين :

١ — قسم مع يربعام بن نباط وضم عشرة أسباط وهم اليهود السامريون .

٢ — وقسم مع رحبعام بن سليمان وضم سبطى يهوذا وبنيامين وهم اليهود العبرانيون .

وأراد يربعام — كما يقول العبرانيون — أن يصرف الناس عن هيكل أورشليم . لانه قال — كما فى التوراة — : « ان صعد هذا الشعب ليقربوا ذبائح فى بيت الرب فى أورشليم يرجع قلب هذا الشعب الى سيدهم الى رحبعام ملك يهوذا ويقتلوننى ويرجعوا الى رحبعام ملك يهوذا . فاستشار الملك وعمل عجلى ذهب . وقال لهم : كثير عليكم أن تصعدوا الى أورشليم ، وهوذا آلهتك يا اسرائيل الذين أصعدوك من أرض مصر » (الملوك الاول ١٢ : ٢٧ — ٢٨)

***

وسواء كان كلام العبرانيين صحيحا أو غير صحيح عن هيكل السامريين الذى بناه يربعام فانه لا يعنينا . انما يعنينا أن الهيكلين قد هدما . ووقع السامريون والعبرانيون أسرى فى يد ملك بابل . ولما عادا بنى هيكل سليمان : زربابل بن شألتئيل ويشوع بن يوصاداق ، وعرف هذا الهيكل ، فيما بعد باسم « هيكل زربابل » وان كانت التسمية القديمة لم تنس لانه بنى على أطلال هيكل سليمان . وعرف أيضا باسم « المعبد الثانى » وظل بناء زربابل قائما حتى جاء عيسى — عليه السلام —

وكان قد رمم بعض الجدران واصلحه قبل مجيئه بعشرين سنة : هيرودس الملك .

وفى السنة السبعين من الميلاد غزا (تيطس) الرومانى أورشليم ودمر الهيكل . وفى السنة الثانية والثلاثين بعد المائة من الميلاد حرث القائد (أدريانوس) أرض الهيكل وأزال معالم المدينة والهيكل تماما . وبنى مكان الهيكل معبدا للاله الرومانى (جوبيتر) رب الآلهة عند الرومان . ولما اعترف الامبراطور الرومانى (قسطنطين) بالنصرانية مذهبا واعتنقها أزيل معبد (جوبيتر) من مكانه وبمرور الزمن أصبح أرضا خربة عليها أتربة وقاذورات . ولما جاء أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب) رضى الله عنه . نظف المكان وهيأه لبناء المسجد الاقصى (٥) .

***

هذا عن هيكل سليمان . **واما عن هيكل جرزيم** ، فقد بناه سنبلط الحورانى بعد رجوع السامريين من بابل . وفى سنة ٣٣٠ ق . م اجتاحت جيوش الاسكندر الاكبر أراضى فلسطين فادخلت اليها البدع والتقاليد الهيلانية ووثنية الاغريق . وقد أظهر السامريون — كما يقول العبرانيون — « تساهلا تجاه الوثنية وكرسوا معبدهم للاله « جوبيتر » الرومانى » . ولما قام يهود أورشليم بالثورة على اليونانيين بقيادة يهوذا المكابى ، وجدوا الفرصة ملائمة للانتقام من السامريين فغزوهم بقيادة يوحنا هرقنوس المكابى ، واستولوا على السامرة ودمروها وهدموا معبد السامريين على جرزيم .

ولما غزا الرومان بلاد فلسطين سهل السامريون لهم فتح أورشليم فكافأوهم بأن أعادوا لهم استقلالا ويسروا لهم اعادة بناء هيكلهم . وبعد قرن من السنين قام يهود أورشليم بثورتهم الكبرى ضد رومية ، فكان أول عمل قام به الثوار أنهم أغاروا على السامريين ودمروا هيكلهم مرة أخرى . فثار السامريون لانفسهم بأن انضموا الى الجيش الرومانى الذى

---

(٥) اليهودية ص ٨١ .

تدم لاخماد الثورة بقيادة (اسبازيان) وعندئذ اعاد (اسبازيان) بناء بلدة شكيم واطلق عليها اسم « نابلس » وفى سنة ١٣٢م جدد القيصر (ادريان) معبد (جوبيتر) فوق جبل جرزيم ليصرف الانظار عن هيكل سليمان بعد تدميره .

ولما ظهرت الديانة النصرانية كمذهب رسمى . سن القيصر (تيو دوروس) ، ومن بعده (جستنيان الاول) القوانين الصارمة ضد السامريين . فاضطر عدد كبير منهم الى اعتناق الديانة الحاكمة فتحول هيكل جوبيتر فوق الجرزيم الى كنيسة للعذراء سنة ٥٣٠ » (٦) أ.هـ .

***

ثانيا ـ نصوص الانجيل :

يقول يوحنا فى الاصحاح الرابع من انجيله : « فلما علم الرب أن الفريسيين سمعوا أن يسوع يصير ويعمد تلاميذ أكثر من يوحنا (٧) . مع أن يسوع نفسه لم يكن يعمد بل تلاميذه . ترك اليهودية ، ومضى الى الجليل . وكان لابد له أن يجتاز السامرة . فأتى الى مدينة من السامرة يقال لها سوخار بقرب الضيعة التى وهبها يعقوب ليوسف ابنه . وكانت هناك بئر يعقوب . فاذ كان يسوع قد تعب من السفر جلس هكذا على البئر . وكان نحو الساعة السادسة . فجاءت امرأة من السامرة لتستقى ماء . فقال لها يسوع : أعطينى لاشرب . لأن تلاميذه كانوا قد مضوا الى المدينة ليبتاعوا طعاما . فقالت له المرأة السامرية : كيف تطلب منى لتشرب ، وأنت يهودى . وأنا امرأة سامرية ؟ لأن اليهود لا يعاملون السامريين .

---

(٦) ص ١٨٥ ـ ١٨٦ رحلة بنيامين .

(٧) يوحنا المعمدان ـ وهو غير يوحنا كاتب الانجيل .

أجاب يسوع وقال لها : لو كنت تعلمين عطية الله ومن هو الذي يقول لك : أعطيني لاشرب لطلبت أنت منه فأعطاك ماء حيا . قالت له المرأة : يا سيد لادلو لك ، والبئر عميقة . فمن أين لك الماء الحى ؟ ألعلك أعظم من أبينا يعقوب الذى أعطانا البئر ؟ وشرب منها هو وبنوه ومواشيه ؟ أجاب يسوع وقال لها : كل من يشرب من هذا الماء يعطش أبدا . ولكن من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا فلن يعطش الى الابد . بل الماء الذى أعطيه يصير فيه ينبوع ماء ينبع الى حياة أبدية .

قالت له المرأة : يا سيد أعطنى هذا الماء لكي لا أعطش ، ولا آتى الى هنا لاستقى . قال لها يسوع : اذهبى وادعى زوجك وتعالى الى هنا . أجابت المرأة وقالت : ليس لى زوج . قال لها يسوع : حسنا قلت ليس لى زوج . لانه كان لك خمسة أزواج ، والذى لك الآن ليس هو زوجك . هذا قلت بالصدق . قالت له المرأة : يا سيد أرى أنك نبى .

آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل . وأنتم تقولون : ان فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه .

قال لها يسوع : يا امرأة صدقينى انه تأتى ساعة . لا فى هذا الجبل ، ولا فى أورشليم تسجدون للآب . أنتم تسجدون لما لستم تعلمون . أما نحن فنسجد لما نعلم . لان الخلاص هو من اليهود .

ولكن تأتى ساعة . وهى الآن . حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لان الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له . الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا . قالت له المرأة : **انا أعلم أن مسيا ، الذى يقال له المسيح يأتى . فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شيء** . قال لها يسوع : أنا الذى أكلمك هو » (يوحنا ٤ : ١ ــ ٢٦)

وفى ترجمة الانجيل لصبحى جيوى ، ويوسف قوشاقجى . تفسير « السجود » بالعبادة هكذا : **« قالت المرأة : سيدى أرى انك نبى . قد**

تعبد آباؤنا فى هذا الجبل . وأنتم تقولون : ان أورشليم هى المكان الذى فيه يجب التعبد . قال لها يسوع : صدقينى أيتها المرأة ستأتى ساعة تعبدون فيها الآب . لا فى هذا الجبل ، ولا فى أورشليم ... ستأتى ساعة . بل أتت الآن . يعبد فيها العباد الصادقون الآب بالروح والحق . لان الآب يريد مثل هؤلاء العباد ... ان الله روح فيجب على العباد أن يعبدوه بالروح والحق »

وفى ترجمة اليسوعيين فسروا «مسيا» : بما شيح هكذا « ولكن تأتى ساعة ، وهى الآن حاضرة اذ الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لان الآب انما يريد مثل هؤلاء الساجدين له . لان الله روح والذين يسجدون له فبالروح والحق ينبغى أن يسجدوا . قالت له المرأة : قد علمت أن ماشيح الذى هو المسيح آت . فمتى جاء ذاك يخبرنا بكل شىء » أ. هـ.

« الشرح والبيـــان »

١ ـ الرب فى هذا النص هو عيسى ـ عليه السلام ـ ومعنى الرب فى هذا النص « السيد » كما فى قوله « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى » وفى ترجمة اليسوعيين **« قال الرب لسيدى »** والمعنى : يقول يوحنا كاتب الانجيل : ان عيسى لما سمع أن الفريسيين يضطهدونه ، ويريدون قتله ، لانه يصير تلاميذ أكثر من التلاميذ الذين ضمهم اليه يوحنا المعمدان وهو (يحيى عليه السلام) لما سمع بذلك ترك بلاد اليهودية ومضى الى بلاد الجليل . لقد ترك اليهودية لانه علم انه معرض للاضطهاد فيها الى الموت . وهكذا وصلت ثورة الفريسيين عليه .

٢ ـ ولما اجتاز السامرة أتى الى مدينة « سوخار » يقول الانبا اثناسيوس عن هذه المدينة : « واسم المنطقة أصلا شكيم ، وفيها بئر شرب منها يعقوب أبو الاسباط هو وبنوه فى طريق عودتهم من عند (لابان) خاله ، وهناك قطعة أرض وهبها يعقوب ليوسف ابنه ، وهناك

دفن الشعب عظام يوسف التى حملوها معهم من مصر ، واسم شكيم الآن (نابلس)

ويحيط بها من الشمال جبل عيبال ، ومن الجنوب جبل جرزيم ، ويدعى جبل البركة ، وكان بئر يعقوب عند سفح هذا الجبل ، ويقال : انه الجبل الذى اختاره الرب لابراهيم لتقديم ذبيحة اسحق عليه ، وفى شكيم اقام يعقوب مذبحا »

ثم يقول الانبا أثناسيوس عن هيكل السامريين : « وفى أيام الاسكندر الاكبر كان لرئيس كهنة اليهود المدعو « يادوا » اخ اسمه « منسى » تزوج بابنة سنبلط أحد كبار السامريين ، فطرده الكهنة من الكهنوت . فقام سنبلط والسامريون وبنوا له هيكلا على جبل جرزيم ، ازاد ارتباط السامريين بأرضهم دون أورشليم ، والى جبل جرزيم أشارت المرأة السامرية والرب يسوع فى حديثهما (يوحنا ٤ : ٢٠ و ٢١)

وتقول بعض التقاليد : ان المرأة كان اسمها : فوتينا (٨) »

وكلام الأنبا اثناسيوس ان لم يكن عن تجديد هيكل جرزيم بعد الرجوع من بابل لا تأسيسه . فكلامه باطل عند السامريين ، لان السامريين كما قلنا من قبل يقولون بوجود هيكل جرزيم من قبل السبى بكثير . ويشير الى وجهة نظرهم : أن كاتب سفر الملوك الاول اشار الى أن « يربعام » لما انفصل بالسامريين عن العبرانيين « عمل عجلى ذهب » ووضع واحدا فى « بيت ايل » ووضع الآخر فى « دان » لئلا يذهب السامريون « ليقربوا ذبائح فى بيت الرب فى أورشليم » (١ مل ١٢ : ٢٧)

٣ — ويقول متى هنرى فى تفسير « لان اليهود لا يعاملون السامريين »:

---

(٨) انظر تفسير متى هنرى ج ١ ص ٢٢٢ الى آخر تفسير الاصحاح الرابع . وانظر تفسير انجيل يوحنا للأنبا أثناسيوس ص ١٣٦ الى ص ١٤٠ .

كان السامريون أعداء اليهود العبرانيين ، أعداء يهوذا . وكانوا يؤذونهم في كل المناسبات . واليهود كانوا يحقدون بشدة على السامريين ، وكانوا — كما يقرر أحد علماء اليهود — « ينظرون اليهم كأنهم ليس لهم نصيب في القيامة وكانوا يحرمونهم ، وكانوا يلعنونهم باسم الله المقدس . وبالوصايا العشر المقدسة وبلعنة الحياة الحاضرة والعتيدة . وعلى أساس هذه القاعدة : لا يأكل اسرائيلي شيئا من سامري فذلك يعتبر كأنه أكل لحم خنزير »

٤ — ويفسر الانبا اثناسيوس **« الماء الحى » تفسيرا مجازيا** ، أى التعاليم التى يلقيها المسيح على المرأة فتنتفع بها الى الابد . كما يقال « شرب العلم » أى سمعه فاستفاد منه . يقول : **« قصد السيد بالماء الحى : ماء الحياة أو نعمته التى ينالها المؤمنون** . أما المرأة فظنته يقصد ماء جاريا من نبع ، أو مجرى . لان اليهود كانوا يسمون ماء الآبار ماء «ميتا» وأما الماء الجارى فيسموه ماء « حيا » وهذا ما قصدته المرأة : بقولها : من أين لك الماء ؟ أما هو فقال لها : انه يقصد ماء روحيا من يشرب منه لا يعطش الى الأبد . وقد قال ذات الكلام للجموع : « اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى أنا هو خبز الحياة . من يقبل الى فلا يجوع ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا » (يوحنا ٦ : ٣٥) و « من آمن بى كما قال الكتاب تجرى من بطنه انهار ماء حى » (يوحنا ٧ : ٣٨)

٥ — وأما عن انباء عيسى بالغيب . فانه أخبر المرأة بقوله : « قد كان لك خمسة أزواج ، والذى لك الآن ليس هو زوجك »

يقول متى هنرى فى ذلك : « لا شك فى أن المسيح لم يقصد أن يوبخها على محنتها ، أى على دفن خمسة أزواج ، بل على خطيتها . فهى اما أن تكون قد هربت من أزواجها وتزوجت بغيرهم . أو أنها بسيرتها الدنسة وخيانتها اضطرتهم أن يطلقونها ، أو أنها طلقتهم بطرق تتنافى مع الناموس »

« والذى لك الآن ليس هو زوجك » اما أنها لم تتزوجه قط . أو أنه

كانت له كزوجة أخـــرى ، أو الارجح أنه زوجها الســـابق ، أو أزواجها الســابقين كانوا لا يزالون أحياء (٩) . وهكذا بالايجاز كانت تعيش فى الزنا » أ. هـ.

٦ ــ وقد ردت المرأة عليه على الفور باعترافها بنبوته ، لانه كيف عرف ماضـــيها ؟ وهو من اليهود العبرانيين ، الذين قد انقطعت صـــلتهم بالســـامريين . ولا يوجد بينهم وبين الســـامريين الا الشر . ولا شـــك أذن فى نظرها أنـــــه شـــــخص متصـــــل بالســــماء ولـــم تنكـــر صدق ما اتهمها به ، ولكنها بســـكوتها اعترفت بعدالة التوبيخ ولم يحتدم غضبها ، كما يفعل الكثيرون عندما يمسون فى نقطة حساسة . ولم تنسب توبيخه لها للكراهية العامة التى بها يبغض اليهود : السامريين ، لكنها احتملت أن يقال لها : انها ارتكبت خطأ . وهذا أمر يندر أن يحصل ، رلم يقتصر الأمر عند هذا الحد ، لكنها تعدته الى الحديث عنه بكل احترام . فلقد دعته سيدا « يا سيد » **واعترفت بأنه ((نبى))** ورغبت فى المزيد من التعلم منه .

***

ولقد عرضت المرأة على المسيح قضية تتعلق بالضمير بصدد مكان العبادة العامة وقد بسطت المرأة قضيتها على النحو الآتى :

أولا : فيما يختص بالسامريين : ((آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل)) بالقرب من هذه المدينة وهذه البئر .

---

(٩) يشير متى هنرى فى تفسيره الى هذا النص : « اذا أخذ رجل امراة وتزوج بها ، فان لم تجد نعمة فى عينيه ، لانه وجد فيها عيب شىء وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته ومتى خرجت من بيته ذهبت وصارت لرجل آخر . فان أبغضها الرجل الاخير وكتب لها كتاب طلاق ودفعه الى يدها وأطلقها من بيته أو اذا مات الرجل الاخير الذى اتخذها له زوجة . لا يقدر زوجها الأول الذى طلقها أن يعود يأخذها لتصير له زوجة بعد أن تنجست . لأن ذلك رجس لدى الرب » (تثنية ٢٤ : ١ ــ ٤)

ثانيا : فيما يتعلق بالعبرانيين « وأنتم تقولون : أن فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه » يقول متى هنرى : « كان السامريون يسلكون بحسب أسفار موسى الخمسة . ويظن البعض : أنهم كانوا يعتقدون بانها هى وحدها الاسفار القانونية . لقد وجدوا فيها مواضع كثيرة عن المكان الذى يختاره الله . لكن لم يحدد فيها اسم هذا المكان » (١٠) أ. هـ

***

وقد أجاب عيسى ـ عليه السلام ـ عن هذه القضية المتعلقة بالضمير هكذا :

أولا : انه استخف بالسؤال كما قدمته المرأة بصدد مكان العبادة . وقال لها: يا امرأة ، آمنى بأننى نبى ، وانتبهى الى ما أقول . أنتم تنظرون الساعة التى فيها يحسم هذا الامر باعلان الى فتختار أورشليم أو جبل جرزيم . أما أنا فاقول لك : ان الساعة قد اقتربت ، الساعة التى لا يبقى فيها الأمر معلقا . وذلك الموضوع الذى تعلمتم بأن تضعوا عليه أهمية كبرى سوف ينبذ ، ولا تكون له أهمية مطلقا **« تاتى ساعة لا فى هذا الجبل ، ولا فى أورشليم تسجدون للآب »**

ثانيا : وشدد على أمور أخرى فى موضوع العبادة الروحية . عندما استخف بمكان العبادة ، لم يقصد أن يقلل من الاهتمام بالموضوع نفسه ، الامر الذى من اجله انتهز الفرصة لبحثه بأكثر توسع .

أ ـ **فمن جهة موضوع المناقشة :** نجده ـ بحسب الظاهر من النص ـ يهاجم السامريين ، ويثنى على عبادة اليهود العبرانيين . يهاجم السامريين بقوله : « تسجدون لما لستم تعلمون » أنه حق . أى أنهم

---

(١٠) انظر كيف يعترف النصارى بعدم تحديد موسى لقبلة .

اتخـــذوا قبلة بدون دليل شرعى من كتاب موسى . ويثنى عـــلى عبادة العبرانيين كما هو الظاهر من قوله : « نحن نسجد لما نعلم » أى نمشى على أساسات سليمة فى عبادتنا . وفى اعتقادى : أن ثناءه على عبـــادة العبرانيين ليس مقصودا بها جمهور الشعب ، وانما وحده باعتبار أنه هو المتحدث ، وتكلم بصيغة المعظم نفسه . والمعنى نحن نسجد لما نعلم أنه حق بدليل شرعى من كتاب موسى . وفى كتابه أن كل مكان يصح مكانا للسجود ، وأن كل جهة تصلح قبلة .

وعبارة « لأن الخلاص هو من اليهود » : عبارة موضوعة للبس الحق بالباطل ، ليدلل بها الكاتب على أن المسيح أثنى على عبادة العبرانيين وأن عيسى نفسه هو النبى الذى وعدبه موسى وينتظره اليهود ليخلصهم وينقذهم . من ذل الأجانب الذين يأخذون موضعهم وأمتهم .

ودليلنا على أنه للتحريف :

أولا : أن المسيح نفسه وبخ اليهود العبرانيين بسبب فساد عبادتهم . فكيف يثنى عليهم فى عبادتهم هنا ؟

لقد قال ان اشعياء قال عنهم على لسان الله تعالى : « يقترب الى هذا الشعب بفمه ، ويكرمنى بشفتيه ، **وأما قلبه فمبتعد عنى بعيدا** . وباطلا يعبدوننى . وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس » (متى ١٥ . ٧ ـــ ٩) وقال لعامة الشعب عن علماء العبرانيين : « اتركوهم . هم عميان قادة عميان . وان كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما فى حفرة » (متى ١٥ : ١٤)

وبهذا أشار المسيح ضمنا الى أن عبادة العبرانيين كانت عبادة طقسية شكلية ، وكان العابدون بعيدين عن عمق العبادة الروحية .

ثانيا : ان المنقذ المخلص لا يمكن أن يكون من اليهود . سامريين كانوا أو عبرانيين . لأن موسى بين أن لا نبى من بعده مماثلا له ، سيظهر من بنى

اسرائيل . وعيسى نفسه من بنى اسرائيل . فكيف يكون هو المنقذ المخلص ؟ أو كيف يكون غيره من بنى اسرائيل للانقاذ والخلاص ؟

كيف . وقد قال عيسى لبنى اسرائيل : « ان كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابراهيم واسحق ويعقوب فى ملكوت السموات . وأما بنو الملكوت فيطرحون الى الظلمة الخارجية » (متى ٨ : ١١ — ١٢) كما سيأتى بيانه فى فصل ملكوت السموات .

ب — ومن جهة العبادة الجديدة التى يرتضيها وحدها الله ويقبلها ويسر بها « بالروح والحق » .

فقد بين أن تغييرا سوف يحدث فى العبادة الجديدة فى وقت الاصلاح ، بين أن العبادة ستتحرر من الشكليات والمظاهر التى ابتدعها الربانيون والأحبار الى فرائض روحية بهيئات الهية ليس فيها آصار ولا أغلال .

وقد لحظ معنى ذلك « بولس » فى الرسالة الى العبرانيين ، حيث يقول :

ثم العهد الأول كان له أيضا فرائض خدمة ، والقدس العالمى لانه نصب المسكن الأول الذى يقال له القدس . الذى كان فيه المنارة والمائدة وخبز التقدمة . ووراء الحجاب الثانى : المسكن . الذى يقال له قدس الاقداس فيه مبخرة من ذهب . وتابوت العهد مغشى من كل جهة بالذهب . الذى فيه قسط من ذهب . فيه المن وعصا هرون التى أفرخت ولوحا العهد ، وفوق كروبا المجد مظللين الغطاء ... الخ » (عب ٩ : ١ — ٥)

يعنى بولس بذلك : أن عبادة العهد الاول التى كانت مثقلة بالطقوس والشكليات أصبحت منسوخة بمجىء عيسى الذى جعل العبادة روحية قلبية خالية من الطقوس والشكليات .

أى أنه يقر بالنسخ ويعترف به . ثم يزعم أن الناسخ للتوراة هو الانجيل . مع أن الانجيل يحيل الى التوراة فى التشريعات والعقائد ، وليس ديه اضافات على ما تركه موسى عليه السلام .

***

وفى تفسير : « حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له » يقــولون : ان هؤلاء الآتين فى المستقبل هم النصارى . ونحن نقول : انهم هم المسلمون . ودليلنا على ذلك :

أولا : ان شريعة موسى وضحت أنه لا نبى من بنى اسرائيل كموسى ، منه يسمعون وله يطيعون (١١) . وعلى ذلك فالمسيح ما كان ينبغى له أن يشرع مكانا أو جهة مخالفا بذلك شريعة موسى . كيف وقد قال هو نفسه لجموع اليهود : « لا تظنوا أنى جئت لانقض الناموس » (متى ٥ : ١٧) ؟

ثانيا : لو كان الله يريد أحد المكانين مستقبلا لاخبر عيسى بذلك(١٢) ، وما كان ثمة ما يدعو عيسى الى أن يتنبأ بخراب أورشليم وهــدم هيكل سليمان الذى هو قبلة العبرانيين . فقد قال فى آخر حياته على الأرض عن هيكل العبرانيين : « أنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض » (متى ٢٤ : ٢) وكيف يتنبأ بهدمه ويلزم النصارى بالتوجه اليه ؟

---

(١١) قال تعــالى « ولقد آتينا موسى الكتــاب وقفينا من بعــده بالرسل » (البقرة٨٧) وفى تفسير القرطبى ما نصه : (قال العلماء : وهذه الآية مثل قوله تعالى « ثم أرسلنا تترى » وكل رسول بعد موسى مانما جاء باثبات التوراة والامر بلزومها) (جـ ٢ ص ٢٣ — ٢٤) وفى تفسير الكشاف مثله . يقول ما نصه : « وأرسلنا على أثره الكثير من الرســل كقوله تعالى : « ثم أرسلنا رسلنا تترى » وهم يوشع وشموئيل وشمعون وداود وسليمان ... الخ » (جـ ١ ص ٢٢٥)

(١٢) أحد المكانين . أى جرزيم أو صهيون .

ثالثا : أنه قال للعبرانيين بصراحة : « ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (متى ٢١ : ٤٣) وعيسى من العبرانيين هو وأتباعه الاوائل ، وملزم هو واياهم بناموس موسى . الى أن ينزع منهم الملكوت فكيف يكون المراد من الآتين مستقبلا أمة النصارى وهم طائفة من بنى اسرائيل ؟

ب — ومن جهـة الاسـباب التى من أجلها يجب أن يعبـد الله :
فقد بين عيسى عليه السلام : ان هؤلاء الآتين مستقبلا هم الذين يحسبون عابدين حقيقيين . وأن الله عز وجل هو الذى اختارهم « لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له »

***

٧ — وكان الموضوع الاخير فى الحديث مع هذه المرأة هـو عن « المسـيا » .

لم يكن لديها ما تعترض به على ما قاله المسيح ، فلقد تقبلت منـه هذا الحديث لكنها فى نفس الوقت ظنت أنه من الأفضل أن ترجىء تصديقه **الى أن يأتى المسيا . ليخبر بنى اسرائيل بجهة العبادة** . ولذلك قالت لـه : « أنا أعلم أن مسيا يأتى فمتى جاء يخبرنا بكل شىء » .

يقول متى هنرى : « من هو الذى كانت تنتظره ؟ ((**انا أعلم أن مسيا يأتى**)) ؟ بالرغم من الاختلافات الكثيرة التى كانت بين اليهود والسامريين ، فقد اتفقوا على انتظار المسيا وملكوته . لقد قبل السامريون كتابات موسى ، ولم ينكروا الأنبياء ، ولا آمال الأمة اليهودية . كان أقلهم علما يعلم أن ((مسيا)) يأتى كان انتظاره عاما ، ولا يتنازع فيه » .

وما الذى كانت تتوقعه منه ؟ ((**يخبرنا بكل شىء**)) يتعلق بعبادة الله ، وكل شىء يلزمنا أن نعرفه ، يخبرنا بما يكمل نقصنا ، ويصحح أخطاءنا ،

ويضع جدا لكل منازعاتنا . يخبرنا بفكر الله كاملا وواضحا ولا يخفى عنا شيئا ، وهذا يتضمن اعترافا بتوقع السامريين لتغيير فى شريعة موسى ، وبكفاية المسيا لاجراء هذا التغيير . وإن التغيير لن يكون من أحد الا من المسيا نفسه . فمن هو المسيا ؟

« قال لها يسوع : أنا الذى أكلمك هو » ويتمسك النصارى بهذا القول على أن عيسى هو « المسيا » وليس هو المسيا .

وهذه العبارة ان لم يكن قالها عيسى عليه السلام من باب النيابة عن الغير، احتراما وتقديرا وتوقيرا كما قال النبى — ﷺ — لسلمان الفارسى — رضى الله عنه — : « لئن كنت صدقتنى يا سلمان . فقد لقيت عيسى بن مريم » (١٣) ان لم تكن من باب النيابة عن الغير ، فانها تكون موضوعة للبس الحق بالباطل .

***

وهذا الحديث الذى أورده يوحنا عن هذه المرأة السامرية يبدو أنه حديث طويل قد أورده يوحنا موجزا كما قال متى هنرى فى تفسيره « المرجح أن الحديث تضمن كلاما أكثر جدا . مما هو مدون هنا » أو أورده كاملا . ومحرفو الانجيل قد حذفوا منه ووضعوا فيه للبس الحق بالباطل .

وقد أورده برنابا بتفصيل وايضاح هكذا :

« وبلغ يسوع باكرا صباح يوم بئرا كان قد صنعها يعقوب ووهبها ليوسف ابنه . ولما أعيا يسوع من السفر أرسل تلاميذه الى المدينة ليشتروا طعاما . فجلس بجانب البئر على حجر البئر واذا بامرأة من السامرة قد جاءت الى البئر لتستقى ماء . فقال يسوع للمرأة : أعطنى لاشرب .

---

(١٣) ص ٣٠٤ جـ ١ السيرة النبوية لابن كثير طبعة القاهرة ١٩٦٤م .

فأجابت المرأة : الا تخجل وأنت عبرانى أن تطلب منى شربة ماء . وأنا امرأة سامرية ؟ أجاب يسوع : أيتها المرأة لو كنت تعلمين من يطلب منك شربة ماء لطلبت انت منه شربة . أجابت المرأة : وكيف تعطينى لاشرب ولا اناء ولا حبل معك لتجذب به الماء والبئر عميقة ؟ أجاب يسوع : أيتها المرأة من يشرب من ماء هذه البئر يعاوده العطش . أما من يشرب من الماء الذى أعطيه فلا يعطش أبدا بل يعطى العطاش ليشربوا بحيث يصلون الى الحياة الابدية . فقالت المرأة : يا سيد أعطنى من مائك هذا . أجاب يسوع : اذهبى وادعى زوجك واياكما أعطى لتشربا . قالت المرأة : ليس لى زوج . أجاب يسوع : حسنا قلت الحق . لانه كان لك خمسة ازواج . والذى معك الآن ليس هو زوجك .

فلما سمعت المرأة هذا اضطربت . وقالت يا سيد أرى بهذا انك نبى . لذلك أضرع اليك أن تخبرنى (عما يأتى) : ان العبرانيين يصلون على جبل صهيون فى الهيكل الذى بناه سليمان فى أورشليم . ويقولون ان نعمة الله ورحمته توجد هناك لا فى موضع آخر . أما قومنا فانهم يسجدون على هذه الجبال . ويقولون : ان السجود انما يجب أن يكون على جبال السامرة فقط .

فمن هم الساجدون الحقيقيون ؟

حينئذ تنهد يسوع وبكى قائلا : ويل لك يا بلاد اليهودية لانك تفخرين قائلة : هيكل الرب . هيكل الرب . وتعيشى كأنه لا اله منغمسة فى الملذات ومكاسب العالم . فان هذه المرأة تحكم عليك بالجحيم فى يوم الدين . لان هذه المرأة تطلب أن تعرف كيف تجد نعمة ورحمة عند الله . ثم التفت الى المرأة وقال : أيتها المرأة انكم أنتم السامريون تسجدون لما لا تعرفون . أما نحن العبرانيين فنسجد لمن نعرف . الحق أقول لك : ان الله روح وحق . ويجب أن يسجد له بالروح والحق . لان عهد الله

انما أخذ فى أورشليم فى هيكل سليمان لا فى موضع آخر(١٤) . ولكن صدقينى انه يأتى وقت يعطى الله فيه رحمته فى مدينة أخرى ، ويمكن السجود له فى كل مكان بالحق . ويقبل الله الصلاة الحقيقية فى كل مكان رحمته .

أجابت المرأة : اننا ننتظر مسيا متى جاء يعلمنا . أجاب يسوع : اتعلمين أيتها المرأة أن مسيا لابد أن يأتى ؟ أجابت : نعم يا سيد . حينئذ تهلل يسوع وقال : يلوح لى أيتها المرأة أنك مؤمنة . فاعلمى اذا أنه بالايمان بمسيا سيخلص كل مختارى الله . اذا وجب أن تعرفى مجىء مسيا . قالت المرأة : لعلك أنت مسيا أيها السيد ؟ أجاب يسوع : انى حقا أرسلت الى بيت اسرائيل نبى خلاص . ولكن سيأتى بعدى مسيا ، المرسل من الله لكل العالم . الذى لاجله خلق الله العالم . وحينئذ يسجد لله فى كل العالم وتنال الرحمة . حتى أن سنة اليوبيل التى تجىء الآن كل مئة سنة . سيجعلها مسيا كل سنة فى كل مكان . حينئذ تركت المرأة جرتها ، وأسرعت الى المدينة لتخبر بكل ما سمعت من يسوع ... الخ » (٨١/٨٢) .

***

والفرق بين حديث برنابا ويوحنا بسيط للغاية كما هو ظاهر . فبرنابا وضح أن المسيا سيأتى بعد عيسى — عليه السلام — وأن الله سيقبل الأعمال من الناس فى كل مكان . غير أن اتجاههم الرئيسى فى صلواتهم وحجهم سيكون الى مكان معين ومحدد « فى مدينة أخرى »

وقد شهد باختيار داود — عليه السلام — أورشليم لبناء الهيكل . للم شمل بنى اسرائيل ، وبين أن عهدا تم بين الله وبين سليمان — عليه السلام — بعد بناء هيكل أورشليم . — وقد سبق أن أشرنا اليه —

***

(١٤) يشير الى عهد الله لسليمان . وقد سبق ذكره فى هذا الفصل .

ثم قال المسيح : **« ولكن صدقيني أنه يأتي وقت يعطي الله فيه رحمته في مدينة أخرى »** فما هي هذه المدينة الأخرى ؟

نقول : انها مكة المكرمة . لان النبي الآتي سيكون من بني اسماعيل ــ الذي له بركة ــ وسكنى اسماعيل كانت في « مكة » وقد رفع قواعد الكعبة مع أبيه ابراهيم ــ عليهما السلام ــ وهي أول بيت وضـــع للناس ، ولان أشعياء تحدث عن مكة تلميحا لا تصريحا في قوله : « ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد ... الخ » كما سبق بيانه . ولأن الله لو كان يريد جرزيم أو أورشليم . لما قال عيسى عليه السلام : **« لا في هذا الجبل ، ولا في أورشليم تسجدون للآب »**

... ...

والنصارى اليوم ثلاث فرق . الارثوذكس نصارى الشرق الذين كانوا يسمون قديما باليعاقبة والكاثوليك نصارى الغرب الذين كانوا يسمون قديما بالملكانية ، والبروتستنت وهم طائفة من نصارى الغرب ، انشقوا عن الكاثوليك في كل شيء ما عدا اعتقادهم في ذات الله تعالى (١٥) . وقد رجع البروتستانت الى القبلة الحقيقية التي نصت عليها التوراة ، وهي : كل مكان يصح للعبادة ، وكل جهة تصلح لمخاطبة الله . يقول متى هنري : « يعلمنا عقلنا أن تكون أمكنة العبادة أنيقة ومريحة . أمـــا ديانتنا فانها لا تفضل مكانا عن آخر من ناحية قداسته ، أو رضا الله عنه . والذين يفضلون أية عبادة من أجل المكان الذي تؤدى فيه فقط ، حتى وان كان في غاية الفخامة ، ومكرسا تكريسا حارا . كما كان الحال مـــع هيكل سليمان . فانهم ينســـون أنه قد أتت الساعة التي فيها لا يميز الله هذا المكان عن ذلك ، ولا يفرق حتي بين أورشليم التي اشتهرت جـــدا

---

(١٥) راجع الشهرستاني في حديثه عن النصارى ، وسنقارن عقائد الفرق القديمة بعقائد هذه الايام في كتابنا « أقانيم النصارى »

بقداستها . وبين جبل السامرة الذى عرف بنجاسته » (١٦)

أما الارثوذكس والكاثوليك فيقولون بتحـديد الجهة نحو هيكل سليمان بأورشليم لانهم يقدسون التوراة التى تسلموها من العبرانيين لا من السامريين . وفيها . فى سفر الملوك الاول : أن سليمان قال لله عز وجل : « فكل صلاة ، وكل تضرع تكون من اى انسان كان ، من كل شعبك اسرائيل ، الذين يعرفون كل واحد . ضربة قلبه . فيبسـط يديه نحو هـذا البيت ، فاسمع أنت من السماء مكان سكناك ، واغفر » (الملوك الاول ٨ : ٣٩)

وفى سفر دانيال : « فلما علم دانيال بامضاء الكتابة ذهب الى بيته . وكواه مفتوحة فى عليته نحو أورشليم ، فجثا على ركبتيه ثلاث مرات فى اليوم ، وصلى وحمد قدام الهه ، كما كان يفعل قبل ذلك » (دانيال ٦ . ١٠)

... ...

ولقد وضح مما تقدم أن موسى ـ عليه السلام ـ قال : لله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله . وأن بنى اسرائيل أرادوا جعل القبلة فى أرض ملكهم ، فى أرض سـبط من الاسباط . ثم اختلفوا . وجاء من بعدهم النصارى فاختلفوا أيضا « وما بعضهم بتابع قبلة بعض »

وبعد هذا الايضاح نسأل أنفسنا عن السبب الذى حدا بهم الى أن يختلفوا هذا الاختلاف الكبير ؟ انه حسبما ورد فى التوراة يمكن أن يؤدى الكلام الآتى الى النتيجة التالية :

أولا : أول بيت وضع للناس ـ وهو الكعبة ـ كان فى أرض العرب . وقد بناه نوح عليه السلام بعد الطوفان (تكوين ٨ : ٢٠)

---

(١٦) ص ٢٥٣ تفسير يوحنا للتى عشرى ج ١ .

ثانيا : جدد ابراهيم عليه السلام هذا البيت .

ثالثا : أخذ ابراهيم ابنه البكر الوحيد وانطلق ليسجد معه فى هذا البيت العتيق وأن يذبحه قربانا لله (١٧)

رابعا : قال لابراهيم ان الامم ستتبارك فى نسلك . وقد كان لـه ولدان فى ذريتهما النبوة والكتاب ــ هما اسماعيل واسحق ــ والبركة حاصلة بالتساوى بين اسماعيل واسحق ــ عليهما السلام ــ وقد أسكن ابراهيم اسماعيل ولده فى أرض العرب . فليس ببعيد عقلا ، ولا شرعا ــ وهذه هى النتيجة ــ أن ينطق النبى الآتى من بنى اسماعيل ــ عن أمر الله

---

(١٧) فى الاصحاح الثانى والعشرين من سفر التكوين : وحدث بعد هذه الامور أن الله امتحن ابراهيم . فقال له : يا ابراهيم . فقال : هأنذا . فقال : **خذ ابنك وحيدك** الذى تحبه اسحق ، **واذهب الى أرض المريا** ، وأصعده هناك محرقة على أحد الجبال الذى أقول لك . فبكر ابراهيم صباحا ، وشد على حماره ، وأخذ اثنين من غلمانه معه ، واسحق ابنه وشقق حطبا لمحرقة وقام وذهب الى الموضع الذى قال له الله . **وفى اليوم الثالث رفع عينيه وابصر الموضع من بعيد** . فقال ابراهيم لغلاميه : اجلسا أنتما ههنا مع الحمار . **واما أنا والغلام فنذهب الى هناك ونسجد ، ثم نرجع اليكما** » . **وفى أى مكان سيذهب ابراهيم ليسجد** ؟ ان معنى السجود هـو التوجه الى الله بالعبادة فى مكان معين ومعروف . فما هو هذا المكان ؟ هل هو جبل جرزيم فى نابلس كما يزعم اليهود السامريون . أم هو جبل صهيون فى أورشليم كما يزعم اليهود العبرانيون ؟ أين ذهب ابراهيم ليسجد ؟ ان ذهاب ابراهيم الى مكان معد للسجود ، يدل على أنه معروف للغلامين من قبل ، ومعروف للناس أيضا . ولا يمكن أن يكون هـذا المكان غير « مكة المكرمة » لان ابراهيم لم يضع مكانا للسجود فى نابلس أو أورشليم . وانما صار مكان فى نابلس وصـار مكان فى أورشـليم من بعد داود عليه السلام ، أى بعد الف سنة تقريبا من ولادة ابراهيم عليه السـلام . ولأن المكان معروف من قبل ذهاب ابراهيم اليه ، ولأن النص تحريف فى وضع اسحق بجانب الابن الوحيد وفى وضع « مريا » بدل مكة المكرمة ، ومريا لم تكن قبلة فى ذلك الزمان . فان المكان المعد للسجود هو مكة المكرمة .

تعالى — بأن القبلة فى أرضه . ولا يعترض أهل الكتاب على نطقة لانها مقدسة من زمن الآباء . مقدسة من الأزمان القديمة الأولى .

***

والسفينة التى نجا بها نوح ومن آمن معه ، قد استقرت بعد غرق الكافرين على جبل الجودى فى مكة المكرمة . وبعد استقرارها بنى نوح عليه السلام الكعبة المعظمة . وعبرت عنها التوراة بمذبح الرب . وبيان ذلك :

١ — تقول التوراة العبرانية أن سفينة نوح عليه السلام استوت على جبل أراراط وتقول التوراة السامرية : انها استوت على جبل سرنديب . وسرنديب جبل فى « سيلان » ففى التوراة العبرانية (٤) : « واستقر الفلك فى الشهر السابع عشر من الشهر . على جبل أراراط (٥) وكانت المياه تنقص نقصا متواليا الى الشهر العاشر . وفى العاشر فى أول الشهر ظهرت رؤوس الجبال » (تكوين ٨ : ٤ — ٥) فالآية الرابعة : تثبت أن سفينة نوح — عليه السلام — استقرت فى الشهر السابع على جبل أراراط . والآية الخامسة : تثبت أن ظهور الجبال كان فى الشهر العاشر . فاذا كان ظهور رؤوس الجبال فى العاشر ، فكيف استقرت فى الشهر السابع والرؤوس لم تظهر بعد ؟

والقرآن ينص على أن السفينة استوت على الجودى فى قوله تعالى : « واستوت على الجودى » (هود ٤٤) وليس على جبال أراراط . وهذا هو الحق . ويدل عليه ثلاثة أمور :

الامر الاول : شك المفسرين من أهل الكتاب فى أنه أراراط .

والامر الثانى : أن الناس بعد نوح ارتحلوا شرقا « وحدث فى ارتحالهم شرقا أنهم وجدوا بقعة فى أرض شنعار ، وسكنوا هناك » (تكوين ١١ : ٢) وأرض شنعار هى كل أرض بلاد فارس ما بين دجلة

والفرات (١٨) فلو كانت السفينة فى أراراط ، لكانت شنعار فى الغرب . لان أراراط فى بلاد ارمينية .

والامر الثالث : اختلاف التوراة العبرانية والسامرية فى اســـم الجبل الذى رست عليه السفينة .

يقول المفسرون فى (التكوين ٨ : ٤) ما نصه : « أراراط : قال بعضهم فى الآية الثانية من الاصحاح الحادى عشر : ان أولاد نوح سافروا شرقا الى شنعار . وترجمه بعضهم : « من الشرق » وعلى هذا لا يكون « أراراط » هو جبل أراراط المعروف فى أرمينية . والكلمة الاشـــورية تعنى أرضا ذات تلال أو نجدا . فيصح أن يكون أراراط نجدا من الانجاد » ويقول المفسرون فى (التكوين ١١ : ٢) ما نصه : « وجاء فى النبأ الكلدانى : أن السفينة استقرت على جبل (نيزيز) أو (نزير) أو (الوند) شرقى أشور . ومع أن أراراط يمكن أن يكون اريو يرات . أى ارض مقدسة . يصعب بيان نقل اسم الوند الى أرمينية بل يتعذر » (١٩)

وقولهم « يمكن أن يكون اريو يرات . أى أرض مقدسة » يدل على أن السفينة استوت على مكان مقدس ، وليس من مكان مقدس الا فى أرض العرب بنى اسماعيل . فان فيها المكان المقدس . وهو « الكعبة المكرمة » ولو كانت الأرض المقدسة بلاد الشام لهلل أهل الكتاب وكبروا . وهم لم يقولوا بذلك لأن أرض شنعار ليست الى الشرق من بلادهم .

٢ — وقد ذكر القرآن : « ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » (آل عمران ٩٦) وذكرت التوراة : أن نوحا بعد استقرار السفينة على الارض : « بنى نوح مذبحا للرب . واخذ من كل البهائم الطاهرة . ومن كل الطيور الطاهرة وأصـــعد محرقات على المذبح »

---

(١٨) ص ١٠٣ السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم .
(١٩) ص ٨٢ و ١٠٣ السنن القويم .

(تكوين ٨ : ٢٠) فلماذا لا يكون بناء نوح هو أول بيت وضع للناس ويكون استقرار السفينة فى أرض العرب ؟ ويكون نوح مؤسسا . وابراهيم مجددا ؟

وبناء المذبح فى لغة التوراة يعنى بناء مكان لعبادة الله . وعلى سبيل المثال : فان ابراهيم — عليه السلام — وهو فى أرض فلسطين «بنى هناك مذبحا للرب » (تك ١٢ : ٧) ولم يقتصر على البناء فقط ، بل دعا الناس الى عبادة الله تعالى « فبنى هناك مذبحا للرب . ودعا باسم الرب » (تكوين ١٢ : ٨) وتعيد التوراة هذا القول مرة ثالثة بعد رجوع ابراهيم من مصر الى أرض فلسطين « الى مكان المذبح الذى عمله هناك أولا . ودعا هناك أبرام باسم الرب » (التكوين ١٣ : ٤)

٣ — وقد اعترف عيسى — عليه السلام — بنزع القبلة من جرزيم وأورشليم الى مدينة أخرى . ولكنه لم يحدد اسم تلك المدينة .

فانه لما سألته المرأة السامرية ذلك السؤال وهو : « ان العبرانيين يصلون على جبل صهيون فى الهيكل الذى بناه سليمان فى أورشليم . ويقولون : ان نعمة الله ورحمته توجد هناك لا فى موضع آخر . أما قومنا فانهم يسجدون على هذه الجبال . ويقولون : ان السجود انما يجب أن يكون على جبال السامرة فقط . فمن هم الساجدون الحقيقيون ؟ » (برنابا ٨١ : ١٩ — ٢٠) أجاب بقوله « صدقينى انه يأتى وقت يعطى الله فيه رحمته فى مدينة أخرى (٢٠) . ويمكن السجود له فى كل مكان

---

(٢٠) اعترف عيسى عليه السلام بتحديد القبلة فى مدينة أخرى فى المستقبل . وكان النبى ﷺ يتجه جهة الشام . ولا ندرى أكان يتجه الى قبلة السامريين أم الى قبلة العبرانيين قبل أن يأمره الله بالتوجه الى الكعبة . واتجاهه الى قبلتهما ليس عليه نص فى القرآن . وانما اتبع فيه مذهب المسموع عن بنى اسرائيل — استحسانا — ومن المحتمل أنه كان يصلى الى أى جهة . وكان يقلب وجهه فى السماء أن ينزل النص عليه بقبلة يرضاها . فنزل النص بجهة الكعبة .

بالحق . ويقبل الله الصـــلاة الحقيقية فى كل مكان رحمته » (برنابا ٨٢ : ٨)

وقد فسر نبى الاسلام — ﷺ — هذه المدينة الاخرى بمكة المكرمة . — عن أمر الله تعالى — وأمر أتباعه أن يتجهوا اليها فى صلواتهم فى أى مكان كانوا . وأن يحجوا اليها مرة فى العمر ان استطاعوا الى الحج سبيلا .

***

وان اختيار مكة المكرمة للقبلة لهو اختيار مناســب تماما . والحكمة الالهية فيه واضحة للناس . وهذا الاختيار فى نظرنا مناسب للاسباب الآتية :

أولا : ان الناس من ســـــلالة المؤمنين الذين آمنوا برســـالة نوح — عليه السلام — وكان موضع استقرار آبائهم الاوائل هو مكـــة . فهم بذلك يتذكرون آباءهم الذين آمنوا ، فيشكرون الله على أن هداهم للايمـــان .

ثانيا : ان الله اصطفى من ذرية نوح : آل ابراهيم . وكان ابراهيم صـــاحب فضل على الناس بنبذه عبادة الاصنام ، ودعائه الى عبادة الله وحده لا شريك له ، وسماعه لكلام الله . فقد رضى بذبح ابنه البكر قربانا لله . فى أرض مكة . وجدد مع ابنه الذى كان سيذبح ، بنـــاء نوح — عليه السلام — ولايمانه وعمله أراد الله أن يجعل فى ذريتـــه النبوة والكتاب ، وأن يكون من نســـله هداة للأمم . فالناس باتجاههم الى مكة يتذكرون الاخلاص الحقيقى من ابراهيم لله ، فيقتدون به .

ثالثا : لا يحق لاهل الكتاب من اليهود والنصارى كافة أن يتذمروا على قبلة مكة . فانها قبلة أبيهم ابراهيم من قبل أن تكون قبلة نبى الاسلام — ﷺ — وكانت قبلة نوح — عليه السلام — من قبل أن تكون قبلة ابراهيم — عليه السلام — .

الفصل السادس

فى

المسيا المنتظر

تمهيـــد :

ذكرنا من نصوص نبوءات التوراة عن محمد ـ ﷺ ـ ما يلى :

١ ـ قال الله ـ عز وجل ـ لابراهيم ـ عليه السلام ـ عن اسماعيل ـ عليه السلام ـ : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيـــه . **ها أنا أباركه** . وأثمره وأكثره كثيرا جـــدا . اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله أمة كبيرة » (تكوين ١٧ : ٢٠) .

٢ ـ قال يعقوب ـ عليه السلام ـ : « **لا يزول قضيب من يهوذا** ومشترع من بين رجليه ، **حتى يأتى شيلون** . وله يكوع خضوع شعوب » (تكوين ٤٩ : ١٠)

---

(١) كل نبوءة فى التوراة وأسفار الانبياء عن النبى محمد ﷺ هى تدل على المسيا المنتظر فى نظر أهل الكتاب . ولما تحقق اليهود من كلام يحيى وعيسى أن المســـيا هو محمد ﷺ تظاهر فريق منهم بالنصرانية ، وقالوا : ان المسيا هو عيسى عليه السلام . وقالوا : أن نصوص نبوءات الاناجيل التى ذكرها عيسى ويحيى ليست هى عن غيرهما ، بل هى لعيسى فى مجيئه الثانى لتأسيس ملكوته . وسنحاول فى كلامنا عن نبى الاســـلام فى الانجيل أن نذكر كلام النصارى بنصه فى كل نبوءة ، وسنحاول أن نبرز كلامهم عن المسيا بالذات فى كل نبوءة ـ كما أبرزنا كلامهم فى حديث المرأة السامرية ـ ليعلم منه أن المسيا نبى واحد معلوم للكل . وأنه ما أتى قبل المعمدان ولا قبل يسوع . وأنه هو محمد رسول الله ﷺ .

٣ — قال موسى — عليه السلام — : « **يقيم لك الرب الهك نبيا . من وسطك من اخوتك . مثلى . له تسمعون** . حسب كل ما طلبت من الرب الهك فى حوريب يوم الاجتماع قائلا : لا أعود أسمع صوت الرب الهى ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا لئلا أموت . قال لى الرب : قد أحسنوا فى ما تكلموا **اقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم . مثلك . واجعل كلامى فى فمه . فيكلمهم بكل ما أوصيه به** .

ويكون أن الانسان الذى لا يسمع لكلامى الذى يتكلم به باسمى أنا أطالبه . وأما النبى الذى يطغى فيتكلم باسمى كلاما لم أوصه أن يتكلم به ، أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبى . وان قلت فى قلبك : كيف نعرف الكلام الذى لم يتكلم به الرب ؟ فما تكلم به النبى باسم الرب ولم يحدث ولم يصر . فهو الكلام الذى لم يتكلم بــه الرب بل بطغيان تكلم به النبى . فلا تخف منه » (تثنية ١٨ : ١٥ — ٢٢)

٤ — « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى ، رسول الله ، بنى اسرائيل قبل موته . فقال : **جاء الله من طور سيناء ويشرق لنا من ساعير ، واستعلن من جبل فاران ، ومعه ربوة من أطهار الملائكة عن يمينه** ، فوهب لهم وأحبهم ورحم شعبهم ، وباركهم وبارك على أطهاره ، وهم يدركون آثار رجليك ، ويقبلون من كلمتك . أسلم لنا موسى مثله ، وأعطاهم ميراثا لجماعة يعقوب ... » (تثنية ٣٣ : ١ — ٤)

... ...

تلك النصوص التى ذكرناها . قد ذكرها كثيرون من علماء المسلمين الذين كتبوا من قبلى فى علم مقارنة الأديان ، ليبينوا أنها تشير الى نبى الاسلام ﷺ كما بين كثيرون من علماء بنى اسرائيل الذين أسلموا . ومن هؤلاء وهؤلاء العلامة شموئيل بن يهوذا فى كتابه « بذل المجهود فى افحام اليهود » والامام فخر الدين الرازى فى تفسيره لسورة البقرة ، فى الآية الاربعين ، والامام أبو الحسن البصرى الماوردى فى كتابه « أعلام النبوة »

والامام ابن تيمية فى كتابه « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » والامام ابن قيم الجوزية فى كتابه « هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى » والامام القرطبى فى كتابه « الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والاوهام ، واظهار محاسن دين الاسلام ، واثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام » والامام رحمت الله الهندى فى كتابه « اظهار الحق » والامام عبد الرحمن الجزيرى فى كتابه « أدلة اليقين » والامام القرافى فى كتابه « الاجوبة الفاخرة فى الرد على الاسئلة الفاجرة ، من الملة الكافرة » والشيخ نعمان الآلوسى مؤلف **« الجواب الفسيح فى ما لفقه عبد المسيح »** والاستاذ عبد الرحمن بن سليم البغدادى فى كتابه « الفارق بين المخلوق والخالق » وكثيرون غيرهم يطول المقام بذكرهم .

وتلك النصوص التى ذكرناها وذكرها هؤلاء العلماء هى التى تدل على « المسيا المنتظر » فى نظر اليهود والنصارى .

فان اليهود يقولون : اننا فى انتظار المسيا الذى نصت عليه التوراة . والى هذا اليوم لم يأت . والدليل على انتظارنا له : هو قول موسى : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون ... الخ »

ويقول النصارى : ان المسيا الذى ينتظره اليهود . والذى يستدلون على مجيئه بقول موسى : « يقيم لك الرب الهك نبيا ... الخ » قد جاء . وانه لهو المسيح عيسى بن مريم

ونقول نحن المسلمين : ان نصوص النبوءات التى استدل بها اليهود والنصارى على مجىء المسيا — الذى تفسيره المسيح — تدل كلها على محمد رسول الله — ﷺ — وبناء على ذلك : يكون هو المسيا المنتظر .

***

والدليل على أن نصوص نبوءات الأسفار الخمسة التى تدل على محمد

رسول الله — صلى الله عليه وسلم — هى التى يستدل بها اليهود والنصارى على المسيا المنتظر ما يلى :

١ — فى تفسير الكتاب المقدس (٢) يقول المفسرون فى قول يعقوب عليه السلام — : « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون » يقولون ما نصه : « حتى يأتى شيلون : هذه عبارة صعبة . لكى يبدو أن أفضل تفسير : هو ذاك الذى يعتبرها نوعا من الحديث عن المسيا ، اذا تحرك الحرف الساكن ، وهذا أمر مسموح به فى اللغة العبرية . فان الكلمة يمكن أن تترجم : « الذى له » وهذا له صلة واضحة مع ما ذكر فى حزقيال ٢١ : ٢٧ » أ . هـ

وعبارة حزقيال هكذا : « وأنت ايها النجس الشرير رئيس اسرائيل الذى قد جاء يومه فى زمان اثم النهاية . هكذا قال السيد الرب : انزع العمامة أرفع التاج . هذه لا تلك . ارفع الوضيع ، وضع الرفيع . منقلبا . منقلبا منقلبا أجعله . هذا أيضا لا يكون حتى يأتى الذى له الحكم فاعطيه اياه » (حزقيال ٢١ : ٢٥ — ٢٧) فقد صرح بنزع الشريعة — المعبر عنها بالعمامة — من بنى اسرائيل ، على يد نبى من غيرهم ، وهذا الغير هو المعبر عنه بشيلون أو الذى له الحكم . **وشيلون أو الذى له الحكم هو المسيا .**

٢ — وفى تفسير الكتاب المقدس . يقولون فى قول موسى : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى له تسمعون ... الخ » يقولون ما نصه : « النبى الآتى » (تثنية ١٨ : ١٥ — ٢٢) **يعلن موسى اعلانا نبويا مسيانيا عن النبى الذى سيأتى ،**

---

(٢) الكتاب المقدس — الطبعة الثانية سنة ١٩٧٠ دار منشورات النفير — بيروت . وانظر أيضا كتاب يسوع المسيح فى ناسوته والوهيته للدكتور هانى رزق . والمسيح فى جميع الكتب لهودجكن . وتفسير انجيل يوحنا للأنبا أثناسيوس .

الذى سيخلفه فى وظيفته كنبى » أ. هـ فقد بينوا : أن النبى الآتى من بعد موسى ــ عليه السلام ــ هو المسيا .

٣ ــ وفى تفسير الكتاب المقدس . يقول المفسرون فى قول التوراة : وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته .. الخ » يقولون ما نصه : « فى يدك : الانتقال الى ضمير المخاطب ، جعل البعض يعتقدون أن هذه نبوة عن المسيا الآتى »

***

والمسيا : لقب يطلقه بنو اسرائيل على أى نبى أو عالم أو ملك من جنسهم ، أو من غير جنسهم .

دلالة على أنه مصطفى من الله للنبوة أو للعلم أو للملك .

وأصل المسيا (٣) فى اللغة العبرانية : « هاماشيح » وفى اللغة الآرامية (السريانية) : « ماشيح » وفى اللغة اليونانية « مسيح » وفى بعض اللغات التى لا يوجد فيها حرف الحاء ، نطقوا كلمة « مسيح » : « مسيا » وشاعت « مسيا » فى اللغة العربية عن اللغات التى لا يوجد فيها حرف الحاء وفسرت بالمسيح ففى انجيل يوحنا ١ ــ « مسيا الذى تفسيره : المسيح » (يو ١ : ٤ ترجمة البروتستانت) وترجمة اليسوعيين :

---

(٣) فى دائرة المعارف اليهودية بالانجليزية ما ترجمته الحرفية هكذا تحت كلمة مسيا :

« المسيا بالعبرانية « هامشياه » وبالآرامية « مشيحا » = المسوح . والمسيا : هو اسم أو لقب للملك المثالى للعصر المسيانى ، وتستخدم أيضا بدون الأداة « ها » = ال . على أنه اسم علم . وهو « مشيحا » فى التلمود البابلى وفى التراث المدراشى ، تماما مثل « المسيح » وهى تساوى « كريستوس » فى اللغة اليونانية وفى الأناجيل . والكلمة التى اتخذت الصيغة اليونانية فى العهد الجديد ــ وهو الانجيل ــ هى منسيابن =

« ماشيح الذى تأويله المسيح » ب — « قالت له المرأة : أنا أعلم أن مسيا الذى يقال له المسيح يأتى » (يو ٤ : ٢٥)

وأصل الكلمة على الحقيقة : من المسح بدهن مقدس ، أو صب زيت على رأس . ثم أصبحت على المجاز : تعنى المعين من الله ولو لم يمسح . ففى الأسفار الخمسة : « وكلم الرب موسى قائلا : وأنت تأخذ لك أفخر الاطياب مرا قاطرا خمس مئة شاقل ، وقرفة عطرة ، نصف ذلك مئتين وخمسين ، وقصب الذريرة مئتين وخمسين ، وسليخة خمس مئة بشاقل القدس . ومن زيت الزيتون هينا ، وتصنعه دهنا مقدسا للمسحة ... الخ » (خر ٣٠ : ٣٢ — ٣٣)

وقد مسح موسى هارون أخيه ، وبنى هارون أخيه . فقد قال الله لموسى : « وتقدم هرون وبنيه الى باب خيمة الاجتماع وتغسلهم بماء وتلبس هرون الثياب المقدسة وتمسحه وتقدسه ليكهن لى . وتقدم بنيه وتلبسهم أقمصة ، وتمسحهم كما مسحت أباهم ، ليكهنوا لى . ويكون ذلك لتصير لهم مسحتهم كهنوتا أبديا فى أجيالهم » وتبين التوراة أنه

=

فى انجيل يوحنا ١ : ٤١ و ٤ : ٢٥ وهى نقل للحروف فى صيغتها الآرامية : باعتبارها اللغة المنطوقة فى « فلسطين » فى زمن « يسوع » واستعملت « مسيا » مرتبطة بها الأداة ، أو بدون اضافة .

ومع هذا ليست كلمة « مسيا » تعبيرا من تعبيرات العهد القديم ؛ لكنه يرد للمرة الأولى فى الأدب الرؤيوى . وفى كل الاحتمالات فان استخدام الكلمة « مشياه » لتشير الى الملك المسيانى ؛ لا تظهر فى وقت مبكر عن الأدب الرؤيوى . وفى العهد القديم فان الاستخدام المبكر للكلمة ، كان مسح يهوه أى مرتبطا بيهوه — الذى هو الله — كلقب يعنى مسيا الله ، الذى يحكم ويتسلط بأمره (١ صم ٢ : ١٠ و ٣٥ — ١٢ : ٣ و ٥ — ١٦ : ٦ — ٢٦ : ٩ و ١١ و ١٦ و ٢٣ — ٢ صم ١ : ١٤ و ١٦ — ١٩ : ٢١ — ٢ أخ ٦ : ٤٢ — مز ١٨ : ٥٠ — مز ٢٠ : ٦ — مز ١٣٢ : ١٧) .

« فعل موسى بحسب كل ما أمره الرب . هكذا فعل » (خر ٤٠ : ١٢ — ١٦)

وتبين التوراة : أن الكاهن الاعظم الذى يكون من ذرية هرون — عليه السلام — كان اذا استخلف من بعده كاهنا أو ولى ملكا : يقوم بمسح الكاهن المستخلف أو الملك المولى بالدهن المقدس . فصموئيل النبى قد أوحى الله اليه : « غدا فى مثل الآن أرسل اليك رجلا من أرض بنيامين فامسحه رئيسا لشعبى اسرائيل » (١ صم ٩ : ١٦) وجاء شــاول (طالوت) غدا وقابل صموئيل « فأخذ صموئيل قنينة الدهن ، وصب على رأسه ، وقبله . وقال : اليس لان الرب قد مسحك على ميراثه رئيســا » ؟

... ...

وكان اليهود يطلقون لقب « المسيح » على الملوك والانبياء والعلماء من بنى اسرائيل وغيرهم . فقد أطلقوه على « كوروش » ملك فارس باعتباره ملكا ، ففى سفر أشعياء : « هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذى أمسكت بيمينه لادوس أمامه أمما » (أشــعياء ٤٥ : ١)

وقد أطلقوه على « أرســطو بولس » باعتباره عالما . ففى سفر المكابيين الثانى يرسل يهوذا المكابى خطابا « الى أرسطو بولس مؤدب بطلماوس الملك . **الذى من ذرية الكهنة المســحاء** » (٢ مك ١ : ١٠) وقد أطلقوه على النبى المنتظر الآتى من ذرية اسماعيل — عليه السلام — الذى قال عنه موسى عليه السلام : « يقيم لك الرب الهك نبيا ... الخ » كماذكرنا .

***

ولما رجع بنو اسرائيل من بابل — وقد وضعوا نبوءات التوراة عن

النبي الأمي على صيغ تحتمل أن تدل على أنه سيكون من اسماعيل أو أنه سيكون من اسرائيل ، وزعموا أنه سيكون من اسرائيل — اختلفوا فيما بينهم حول السبط الذى سيظهر منه هذا النبى ، الذى لقبوه بلقب « مسيا » لايهام الناس أنه سيظهر فيهم ليحررهم من ذل الأجانب — ان لم يكن تلقيبهم اياه بلقب المسيا ، هو على حسب النصوص التى عندهم فى الانبياء والعلماء والملوك ، سواء كانوا منهم أو من غيرهم — فقال السامريون : انه سيكون من سبط يوسف عليه السلام .

وقال العبرانيون : انه سيكون من سبط يهوذا ، من فرع ولده داود عليه السلام .

يقول « عزرا حداد » فى تعليقاته على كتاب « رحلة بنيامين » : « والسامريون مثل سائر اليهود (العبرانيين) يؤمنون بيوم القيامة ، وبوجود الملائكة ، وظهور المسيح (المسيا) فى آخر الأيام (لبركة اسرائيل فى الأمم) لكنهم يزعمون أنه سيكون من آل يوسف ، على حين يعتقد اليهود (العبرانيون) أنه من آل داود »

***

ولما ظهر المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — فى مملكة العبرانيين . اقنعهم بأن المسيا سيأتى من بعده قريبا ، وأقنعهم بأن المسيا لن يكون من داود ، وانما سيكون من بنى اسماعيل ، لثبوت بركة فى نسله . واحتج على العبرانيين : بكلام صدر من داود نفسه : وهو قوله : « قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى حتى اجعل أعداءك موطئا لقدميك . عصا عزتك يرسلها الرب من صهيون . تسلط فيما بين أعدائك . ان شعبك متطوع يوم قدرتك فى بهاء القداسة من قبل الفجر لك ندى ولادتك ... الخ » (مز ١٠٩) أى قال الله للنبى المنتظر : انى معك أسمع وارى .

ففى انجيل متى : « وفيما كان الفريسيون مجتمعين . سألهم يسوع ،

قائلا : ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا : قال الرب لربى : اجلس عن يمينى ، حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك . فان كان داود يدعوه ربا ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة ، ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد ان يسأله بتة » (مت ٢٢ : ٤١ — ٤٦) .

وفى مرقس : « ثم أجاب يسوع وقال فى الهيكل ، كيف يقــول الكتبة : ان المسيح ابن داود ؟ لان داود نفسه قال بالروح القــدس : قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك ، فداود نفسه يدعوه ربا ، فمن أين هو ابنه ؟ وكان الجمع يسمعه بسرور » (مر ١٢ : ٣٥ — ٣٧)

وفى لوقا : « وقال لهم : كيف يقولون : أن المسيح ابن داود ، وداود نفسه يقول فى كتاب المزامير : قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع اعداءك موطئا لقدميك ، فاذا داود يدعوه ربا ، فكيف يكون ابنه ؟ » (لو ٢٠ : ٤١ — ٤٣)

وفى انجيل برنابا : « أجاب يعقوب : يا معلم . قل لنا بمن صنع هذا العهد فان اليهود يقولون باسحق ، والاسماعيليون يقولون باسماعيل ؟ أجاب يسوع : ابن من كان داود ؟ ومن أى ذرية ؟ أجاب يعقوب : من اسحق . لان اسحق كان أبا يعقوب ، ويعقوب كان أبا يهوذا ، الذى من ذريته داود . فحينئذ قال يسوع : ومتى جاء رسول الله فمن نســل من يكون ؟ أجاب التلاميذ : من داود . فأجاب يسوع : لا تغشــوا أنفسكم ، لان داود يدعوه فى الروح ربا قائلا هكذا : قال الله لربى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك . يرسل الرب قضيبك الذى سيكون ذا سلطان فى وسط اعدائك . **فاذا كان رسول الله الذى تسمونه مسيا ابن داود ، فكيف يسميه داود ربا ؟ صدقونى لانى أقــول لكم الحق : ان العهد صنع باسماعيل لا باسحق ... الخ** » (بر ٤٣ و ٤٤)

والمعنى أن داود — عليه السلام — عبر عن المسيا المنتظر بأنــه

(سيده) وبناء على قوله انه سيده ، لا يكون المسيا الذى هو المسيح من نسل داود ، لان الابن مهما علا قدره ، لا يكون سيدا لابيه .

وعقب افحام عيسى — عليه السلام — لعلماء بنى اسرائيل العبرانيين (الفريسيين) وجه خطابا الى بنى اسرائيل والى أتباعه ، بين لهم فيه : أن يعملوا بشريعة موسى حتى يظهر المسيا المسيح — الذى قلنا : انه محمد ﷺ بحسب لسان بنى اسرائيل — وأن لا يكونوا معلمين لشريعة موسى اذا ما ظهر المسيح بتعاليمه وعلم بها ، ويعلمون بما يعلمه لهم هذا النبى المسيح مع ايمانهم بما جاء به . فقد روى متى : « حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لانهم يقولون ولا يفعلون . فانهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم . وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس . فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم ، ويحبون المتكأ الأول فى الولائم ، والمجالس الأولى فى المجامع ، والتحيات فى الأسواق . وأن يدعوهم الناس : سيدى . سيدى . واما أنتم فلا تدعوا سيدى . لان معلمكم واحد : المسيح . وأنتم جميعا أخوة . ولا تدعوا لكم أبا على الارض . لان أباكم واحد الذى فى السموات . ولا تدعوا معلمين . لان معلمكم واحد : المسيح . وأكبركم يكون خادما لكم . فمن يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » (متى ٢٣ : ١ — ١٢)

وفى نهاية الخطاب يقول عيسى — عليه السلام — : ان ملك بنى اسرائيل وشريعتهم الى الزوال اذا جاء المبارك باسم الرب ، وهو المسيا المنتظر . يقول — عليه السلام — : « يا أورشليم . يا أورشليم . يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين اليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها . ولم تريدوا . هوذا بيتكم يترك لكم خرابا . لانى أقول لكم : انكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم

الرب (٤) » (متى ٢٣ : ٣٧ — ٣٩)

... ...

وبعد رفع المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — الى السماء ادعى فريق من اليهود العبرانيين لتضليل النصارى : أن المسيا الذى تتحدث عنه نبوءات التوراة (الاسفار الخمسة) وأسفار الانبياء هو المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — ففى الاصحاح التاسع من سفر أعمال الرسل يقول الكاتب : « وكان شاول يزداد قوة ويخجل اليهود القاطنين بدمشق ، مبرهنا : أن هذا هو المسيح ولما تمت له هناك أيام كثيرة أئتمر اليهود أن يقتلوه ، فعلم شاول بمكيدتهم وكانو يرصدون الابواب نهارا وليلا ليقتلوه ... وكان يخاطب اليونانيين ويباحثهم فالتمسوا أن يقتلوه » (اعمال ٩ : ٢٢ — ٢٩) أى أن شاول الذى هو (بولس) قد ادعى أن عيسى بن مريم — عليه السلام — هو « المسيا » الذى تحدثت عنه الاسفار الخمسة وأسفار الانبياء ويهود دمشق واليونانيين لم يوافقوه على دعواه هذه ، وطلبوا أن يقتلوه .

ولكى يؤكد بولس وأتباعه أن عيسى بن مريم — عليه السلام — هو (المسيح) الذى اشارت اليه التوراة وأسفار الانبياء ، ليقفل باب النبوة فى وجه بنى اسماعيل — عليه السلام — لجأ الى نبوءات اسفار الانبياء المكتوبة فى البدء لتشير الى نبى الاسلام — ﷺ — ليضعها على المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — .

ومن هذه النبوءات نبوءة المزمور الثانى لداود عليه السلام ، التى بين عيسى المسيح نفسه أنها تشير الى نبى الاسلام — ﷺ —

---

(٤) وقد استدل بهذه النبوءة صاحب الاعلام على محمد ﷺ وترجمها هكذا : « يرشالم . يرشالم التى تقتل الأنبياء وترجم من بعث اليها . قد اردت أن أجمع بنيك جمع الدجاجة فراريجها تحت جناحيها وكرهت انت ذلك . ساقفر عليكم بيتكم وأنا أقول لكم لا ترونى من الآن حتى يأتى من تقولون له مبارك الآتى على اسم الله » أ.هـ

ونصها : « لماذا ارتجت الامم ، وتفكر الشعوب فى الباطل ؟ قام ملوك الارض وتامر الرؤساء معا على الرب ومسيحه قائلين لنقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربطهما . الساكن فى السموات يضحك . الرب يستهزىء بهم . حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى . انى أخبر من جهة قضاء الرب : قال لى . أنت ابنى . انا اليوم ولدتك (٥) اسألنى فأعطيك الامم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك . تحطهم بقضيب من حديد ، مثل اناء خزاف تكسرهم . فالآن يا أيها الملوك تعقلوا . تأدبوا يا قضاة الارض . اعبدوا الرب بخوف واهتفوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يغضب ، فتبيدوا من الطريق ، لانه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلين عليه »

تبين هذه النبوءة أن الشعوب وملوكهم انما يقاومون الرب والمسيح المنتظر سدى ، وأن الرب يسخر منهم ، وسيروعهم بغضبه ، وأن ملكهم هو المسيح المنتظر .

---

(٥) ورد هذا النص فى انجيل برنابا هكذا : « قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك » (برنابا ١٢ : ٧)

ويعلق شيخ الاسلام ابن تيمية على عبارة داود بقوله : « انه اذا كان الاب فى لغتهم هو الرب الذى يربى عبده ، أعظم مما يربى الاب ابنه ، كان معنى لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الابوة ، فيكون المعنى : اليوم جعلتك مرحوما مصطفى مختارا » وقال شيخ الاسلام : « وحينئذ فلا يكون تسميته ابنا لكون الرب أو صفته اتحت به ، بل كما سمى داود ابنا ، وكما سمى اسرائيل ابنا فقال : « أنت ابنى بكرى » وهذا فى كتبهم » (الجواب الصحيح جـ ٢ ص ٢٣٩ و ٢٣٨) ويقول الامام القرافى فى الاجوبة الفاخرة : « قال داود ـــ عليه السلام ـــ فى المزامير : « أنت ابنى ، وأنا اليوم ولدتك ، سلنى أعطيك الشعوب ميراثك ، وسلطانك الى أقصى الارض ، ترعاهم بقضيب من حديد ومثل آنية الفخار تسحقهم » ومحمد ـــ عليه السلام ـــ هو الذى ورث وبلغ سلطانه اقطار الارض وحاط الامم وسامهم بسيفه ، ولم يتفق هذا لداود ، ولا لاحد من بعده فيكون هو المبشر به ، وسمى ابنا على العادة القديمة فى تسمية المطيع والنبى ابنا ، كما قال فى التوراة فى اسرائيل ـــ عليه السلام ـــ : « ابنى بكرى » (ص ٢٤٨ الاجوبة الفاخرة)

وقد أقامه الله ملكا على جميع الشعوب ، وسيحطم المقاومين بين يديه . وعلى ذلك فليخضع لملكه جميع الملوك مع شعوبهم ، وليقبلوا على شريعته بسرور .

ولا تشير هذه النبوءة الى عيسى — عليه السلام — لانه لم يكن ملكا . ولانه لم يكن صاحب شريعة منفصلة عن شريعة موسى ولانه لم يتم عليه ملوك الارض ، ولم يتامر عليه رؤساؤها . وانما قاموا على نبى الاسلام — ﷺ — فحاربهم وانتصر عليهم .

ومع ذلك قال بولس : ان هذه النبوءة تشير الى عيسى — عليه السلام — ففى الرسالة الى العبرانيين يقول :

« الله بعدما كلم الآباء بالانبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة ، كلمنا فى هذه الايام الاخيرة فى ابنه الذى جعله وارثا لكل شىء ، الذى به ايضا عمل العالمين . الذى وهو بهاء مجده ورسم جوهره وحامل كل الاشياء بكلمة قدرته ، بعدما صنع بنفسه تطهيرا لخطايانا ، جلس فى يمين العظمة فى الاعالى ، صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم . لانه لمن من الملائكة قال قط : أنت ابنى أنا اليوم ولدتك » ؟ (عبرانيين ١ : ١ — ٥)

يريد أن يقول : ان نبوءة المزمور الثانى وفيها قول الله عز وجل عن المسيح المنتظر : « انت ابنى . أنا اليوم ولدتك » تشير الى عيسى — عليه السلام — وأنه ابن حقيقى لله ، وأنه جالس عن يمينه . مع أن نص النبوءة لا يدل على ابن حقيقى . بل هو يدل على ابن مجازى ، على عادة بنى اسرائيل فى لغتهم . فقد جاء فى التوراة أن الله قال لبنى اسرائيل : « انتم أولاد للرب الهكم » (تثنية ١٤ : ١) وفى بعض التراجم ترجمت عبارة « انت ابنى أنا اليوم ولدتك » بما نصه : « قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك » ويعنى نص النبوءة : أن الله عز وجل نبه على مجىء النبى ﷺ من قبل مجيئه ، وعبر عن التنبيه بالخلق — مجازا — لتحقق الوقوع .

وهذا هو المعنى المستفاد من قول المسيح عيسى بن مريم — عليه السلام — عن نبى الاسلام ﷺ : « تبارك اسم الله القدوس الذى خلق نور جميع القديسين والانبياء قبل كل الاشياء ليرسله لخلاص العالم كما تكلم بواسطة عبده داود قائلا : قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك ... الخ » (برنابا ١٢ : ٧)

وقد أورد يوحنا فى انجيله محاورة بين عيسى — عليه السلام — وبين اليهود فى نبوءة الابن هذه فقال : ان عيسى — عليه السلام — كلم اليهود بلسان قومه . فقال لهم : « والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى . لم تسمعوا صوته قط ، ولا أبصر تم هيئته » (يوحنا ٥ : ٣٧) فقد شهد بالتنزيه لله عز وجل عن الجسمية والشكل والهيئة والصورة . وبين أنه ليس هو الله ، كما يدعى النصارى ، فانهم سمعوا صوته وأبصروا هيئته ، والله تعالى لم يسمعوا صوته ولا أبصروا هيئته . وقال لليهود عن الابن : ان الابن من تلقاء نفسه لن يعط معجزات . بل معجزاته ستكون من الله . لان الله يحبه . وكما أن الله تعالى يحيى الاموات من الكفر الى الايمان ، كذلك الابن سيحيى بشريعته من يؤمن به ، وسيخرجه من ظلمات الشرك الى نور الايمان ، ومن موت الجهل الى حياة المعرفة . وقد أعطى الله — عز وجل — للابن قدرة على أن ينتصر فى الحرب . فمن يقبل على تعاليمه سينجو ، ومن يناوئه سيهلك . وهذه القدرة التى أعطاها الله للابن هى لكى يكرم الجميع الابن ، كما يكرمون الله .

ثم يقول عيسى — عليه السلام — اننى قد نبهت على مجىء الابن . ومن يؤمن بكلامى سيحيا . فعما قريب سيظهر الابن المصطفى من الله . وسوف يسمع موتى الكفر صوته فيحيون . واذا ظهر سيسمع الذين هم فى سجون الحياة الدنيا صوته . وعندئذ يخرج الصالحون الى لقائه ، ليحيوا فى ظل شريعته حياة طيبة ، ويخرج الاشرار الى نهايتهم ، لان النصر له .

يقول يوحنا : « فأجاب يسوع وقال لهم : الحق الحق أقول لكم : لا يقدر الابن أن يعمل من نفســـه شيئا . الا ما ينظر الآب يعمل . لان مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن كذلك . لان الآب يحب الابن ويريه جميع ما هو يعمله . وسيريه أعمالا أعظم من هذه لتتعجبوا أنتم . لانه كما أن الآب يقيم الاموات ويحيى . كذلك الابن أيضا يحيى من يشاء . لان الآب لا يدين أحدا . بل قد أعطى كل الدينونة للابن . لكى يكرم الجميع الابن كما يكرمون الآب . من لا يكرم الابن لا يكرم الآب الذى أرسله .

الحق الحق أقول لكم : ان من يسمع كلامى ويؤمن بالذى أرسلنى فله حياة أبدية ، ولا يأتى الى دينونة . بل قد انتقل من الموت الى الحياة . الحق الحق أقول لكم : انه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الاموات صوت **ابن الله** والسامعون يحيون . لانه كما أن الآب له حياة فى ذاته ، كذلك أعطى الابن أيضا أن تكون له حياة فى ذاته . وأعطاه سلطانا أن يدين أيضا ، **لانه ابن الانسان** . لا تتعجبوا من هذا . فانه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته ، فيخرج الذين فعلوا الصالحات الى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات الى قيامة الدينونة . انا لا أقدر ان أفعل من نفسى شيئا . كما أسمع أدين ودينونتى عادلة . لانى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى » (يو ٥ : ١٩ — ٣٠)

وهذه العبارات — كما نرى — عبارات مجازية . والمتشابه فيها أكثر من المحكم — وقد تحدثنا سابقا عن المتشابه والمحكم — وواضح منها : أن المسيح — عليه السلام — يتحدث عن غيره ، وهو الذى سيسمعون صوته ولا يتحدث عن نفسه . ويتحدث عن زمن قريب لا عن يوم القيامة . وهذا الزمن القريب ، هو الذى عبر عنه بقوله : « تأتى ساعة وهى الآن »

وبقوله فى حديث آخر : « اقترب ملكوت السموات » (مت ٤ : ١٧) ومع الوضوح . قال النصارى فى مجمع نيقية سنة ٣٢٥م ان نبوءة « ابن الله » الواردة فى المزمور الثانى لداود عن المسيا ، هى تشير الى يسوع المسيح ، وليست الاشارة على أنه ابن مجازى ، بل على انه ابن طبيعى

لله . وجعلوه أقنوما ثانيا مساويا لله عز وجل . وذلك فى قولهم : « نؤمن باله واحد ، الآب ضابط الكل خالق السماء والأرض ، ما يرى وما لا يرى . ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الواحد المولود من الآب ، قبل كل الدهور ، نور من نور ، اله حق من اله حق ، مولود غير مخلوق ، مساو للآب فى الجوهر ... الخ »

والسبب فى اجتماعهم وقولهم : ان دانيال النبى بين فى الاصحاح الثانى من سفره أن المسيا فى ظهوره سيزيل دولة الرومان من أرض فلسطين ولما علم الرومان بذلك ، طلبوا من النصارى أن يكفوا عن تعريف الناس بهذا الخبر ، وأن يسكتوا كما يسكت اليهود ، لئلا يتجرأ الناس على الحكام وتزول هيبتهم . ولكن النصارى لم يكفوا ولم يسكتوا . ومن أجل ذلك اضطهدهم الرومان اضطهادا شديدا . حتى سكتوا وقالوا : ان المسيا قد كان هو عيسى ، وما كنا له بعارفين . ولما خف اضطهاد الرومان للنصارى وسمحوا لهم بأن يظهروا دينهم الذى اقتبسوه من عاداتهم وتقاليدهم انقسم النصارى فى مجمع خليقدونية سنة ٤٥١م على أنفسهم . فريق رأى أن الله هو المسيح ، وهم الارثوذكس وفريق رأى أن المسيح اله ثان مع الله وهم الكاثوليك . وعيسى على رأى الفريق الاول هو الله وهو المسيا ، وعلى رأى الفريق الثانى هو المسيا الذى يجلس بجوار أبيه ، وسنبين ذلك فى كتابنا أقانيم النصارى ، وفى كتابنا المسيا المنتظر .

... ...

وبعدما أظهر « بولس » رغبته فى جعل عيسى بن مريم عليه السلام هو المسيح المنتظر ، بوضع نبوءات التوراة وأسفار الانبياء عليه ، قال لليهود العبرانيين ـــ الذين يزعمون بأن المسيح المنتظر سيكون من نسل داود ، وينتظرونه على هذا الزعم ـــ : غيروا نسب عيسى من هرون الى داود ، وادعوا : أنه هو المسيح . ولا مسيح من بعده الى يوم القيامة . ولما رضى كثيرون منهم بقوله لتأكدهم أنه هو آخر نبى فى بنى اسرائيل ، ومن بعده ستبدأ بركة اسماعيل فى الظهور . جهر بولس بنسب عيسى

الى داود . فقـــال لتيموثاوس : « افهم ما أقول ـــ فليعطك الرب فهما في كل شيء ـــ : اذكر يسوع المسيح المقام من الأموات من نسل داود . بحسب انجيلي » (٢ تيمو ٢ : ٨) وهذا يدل أيضا : على انجيل مزور ، كان بيد بولس وقد عمله بعدما أخفى انجيل عيسى عمدا .

***

وأقام اليهود الذين نافقوا : النصرانية ، على هذا الأساس . مع تصريح الأناجيل بأن عيسى ينتسب الى هرون ـــ عليه السلام ـــ وليس الى داود ـــ عليه السلام ـــ وبيان ذلك :

أن الله عز وجل أمر بني اسرائيل بقوله : « أحصوا كل جماعة بنى اسرائيل بعشائرهم وبيوت آبائهم بعدد الاسماء كل ذكر برأسه » (عدد ١ : ٢) وأمر من اجل أن يتميز كل سبط عن سبط بأن لا تتزوج امرأة في غير سبطها ـــ اذا أرادت الزواج من يهودى ـــ فقال : « وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بنى اسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها لكى يرث بنو اسرائيل كل واحد نصيب آبائه ، فلا يتحول نصيب من سبط الى سبط آخر ، بل يلازم أسباط بنى اسرائيل كل واحد نصيبه » (عدد ٣٦ : ٨ ـــ ٩) ويحدثنا لوقا في انجيله أن زكريا ـــ عليه السلام ـــ كان من ذرية هارون من سبط لاوى ، وتزوج بحسب الشريعة امرأة من بنات هرون ، وذلك في قوله : « كان في أيام هيرودوس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا ، وامرأته من بنات هرون واســـمها اليصابات » (لو ١ : ٥) ويقول لوقا : ان ملك الله جبرائيل لما بشر مريم ـــ رضى الله عنها ـــ بالحمل بعيسى ـــ عليه السلام ـــ من غير ولد واستبعدت ذلك منه قائلة : « كيف يكون هذا وانا لست أعرف رجلا ؟ » قال لها الملاك : « وهو ذا اليصابات نسيبتك هى أيضا حبلى بابن في شيخوختها ، وهذا هو الشهر السادس لتلك المدعوة عاقرا » (لوقـــا ١ : ٣٦) .

فتصريح لوقا بأن مريم ـــ رضى الله عنها ـــ نسيبة لاليصابات ،

يدل على أن مريم من نفس السبط الذى منه اليصابات . ولما ثبت أن اليصابات من نسل هرون ، يثبت أن مريم من نسل هرون . لان النسب حق القرابة كما بين بولس فى الاصحاح التاسع من رسالته الى أهل رومية . وكما هو مبين فى سفر طوبيا ، فى هذا النص : « ولما أن صار رجلا ، اتخذ له امرأة من سبطه ، اسمها حنة » (طو ١ : ٩) وفى نفس السفر : « ولعله لأجل ذلك ساقكما الله الى ، حتى تتزوج هذه بذى قرابتها ، على حسب شريعة موسى » (طو ٧ : ١٤)

...   .

واليهود العبرانيون من بعد سبى بابل قد بالغوا فى الكتابة عن المسيا المنتظر ، لحبهم له وتعظيمهم اياه . وعبروا لسبق الوعد به على لسان موسى — عليه السلام — بما يفيد أن الله تعالى قدر وجوده أزلا مع خلق السموات والارض ، خلق قدر ، لا خلق ايجاد بالفعل . ومما كتبوه فى التوراة وفى التلمود ما يلى :

أولا — فى التوراة :

أ — يقول داود فى المزامير : « انى أخبر من جهة قضاء الرب ، قال لى : أنت ابنى أنا اليوم ولدتك ، اسألنى فاعطيك الامم ميراثا لك ، وأقاصى الارض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل اناء خزاف تكسرهم » (٢ : ٧ — ٩)

ب — « يخبر عن الرب الجيل الآتى ، يأتون ويخبرون ببره شعبا سيولد بانه قد فعل » (مز ٢٢ : ٣٠ — ٣١)

ت — « يكون اسمه الى الدهر ، قدام الشمس يمتد اسمه ويتباركون به . كل أمم الارض يطوبونه » (٧٢ : ١٧) وفى ترجمة الآباء اليسوعيين « يكون اسمه الى الابد مادامت الشمس ينمو اسمه ، ويتبارك فيه جميع قبائل الارض ، وتغبطه كل الامم »

ث — وجاء في سفر ميخا عن المسيا « ومخارجه منذ القديم ، منذ ايام الازل » (٥ : ٢)

ثانيا — في التلمود :

أ — « لان عندك ينبوع الحياة . بنورك نرى نورا . أدم رحمتك للذين يعرفونك وعدلك للمستقيمى القلب » (مز ٣٦ : ٩ — ١٠) وقد فسر التلمود « بنورك نرى نورا » بأن النور الذى يريهم النور ، هو نور المسيا . وهذا النور رآه ابليس قبل سقوطه ، فصرخ وعلم أنه سيذوق على يديه أقسى العذاب » (٦)

ب — لما يأتى المسيا الذى تفسيره المسيح ، تطرح الأرض فطيرا ، وملابس من الصوف ، وقمحا حبه بقدر كلاوى الثيران الكبيرة (٧) كناية عن الرخاء فى زمانه .

ثالثا : فى أسفار الأبوكريفا

يقول الدكتور فهيم عزيز : فى كتابه « ملكوت الله » : « ولعل أهم كتابين يتكلمان عن المسيا ، هما كتاب أخنوخ ، ثم كتاب مزامير سليمان . أما من جهة الكتاب الأول . وهو كتاب أخنوخ ، فقد نسب الى أخنوخ الموجود فى (تكوين ٥ : ٢١ : ٢٤) الذى نقله الله ، ويظن أنه كتب فى مدة طويلة ، ومؤلفه ليس شخصا واحدا ، وان كان شخص واحد قد جمعه من مصادر كثيرة ... ولقد سلم أخنوخ بأن المسيا موجود من البدء . وهو أبدى . أى يبقى الى الأبد »

ثم يقول : « ويجىء بعد هذين الكتابين آراء معلمى اليهود المدونة فى التلمود ولقد ظهر المسيا فى هذه الكتابات فى مركز عظيم لا يفصله عن الله نفسه الا خيط دقيق فهو موجود قبل خلق الفلك والأرض ، ويبنون ذلك على (أمثال ٨)

---

(٦) ملكوت الله للقس فهيم عزيز .

(٧) الكنز المرصود فى قواعد التلمود .

ويفسر التلمود مزمور ٣٦ : ٩ « لأن عندك ينبوع الحياة ، بنورك نرى نورا » أن النور الذى يريهم النور هو نور المسيا . هذا النور رآه ابليس قبل سقوطه ، فصرخ ، وعلم أنه سيذوق على يديه أقسى العذاب »

ثم يقول : « هذه هى بعض أفكار معلمى اليهود المدونة فى التلمود عن المسيا » أ هـ

ويفهم من كلام القس فهيم عزيز ما يلى :

١ ـ أنه اعترف بأن أخنوخ قال عن « المسيا » انه موجود من البدء . أى تبقى شريعته الى الأبد ، لأن بقاء الحى الى يوم الدين مستحيل ببدائه العقول . وقد نقل اعترافه هذا « يوحنا » كاتب الانجيل ، فانه بـدأ انجيله بقوله : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله » (يو ١ : ١) يريد أن يقول : ان الكلمة ـ وهى المسيا ـ كانت فى بدء الخليقة . ومفسرو النصارى مجمعون على أن « الكلمة » فى أول انجيل يوحنا هى « المسيا » يقول متى هنرى : « التفسير الكلدانى كثيرا ما دعا المسيا « ممرا » أى كلمة الرب »

٢ ـ انه اعترف بأن التلمود يقول : أن « المسيا » موجود قبل خلق الفلك والأرض ، استنادا على الأصحاح الثامن من سفر الأمثال ، وعلماء بنى اسرائيل يعنون بأنه موجود ، المبالغة فى تحقق مجيئه والاستماع منه ، لا أن المسيا ـ على الحقيقة ـ موجود بجسمه قبل خلق الفلك والأرض . بدليل : أن الحكمة ـ وهى وضع الشىء فى موضعه ـ قد صدرها الكاتب بصورة رجل يتكلم ويعظم وينصح ، وصور الحكمة بصورة رجل قد خلقه الله منذ القدم ومنذ البدء . وهذا التصوير يقصد منه الكاتب المبالغة فى تعلم الحكمة والبعد عن الشر ، ففى سفر الأمثال تقول الحكمة : « الرب قنانى أول طرقه ، من قبل أعماله . منذ القدم . منذ الأزل مسحت ، منـذ البدء ، منذ أوائل الأرض ... الخ » (أم ٨)

هذا هو النص عن الحكمة . وهو شىء معنوى ، صورة الكاتب

بصورة حسية ، صورة رجل ينادى ، ولم تكن الحكمة بهذه الصورة الحسية عند الله من قبل أن يخلق السماء والأرض ، وكذلك حال « المسيا » بالغ الكتاب فى تصويره ، كما بالغوا فى تصوير الحكمة . وغرضهم : الاهتمام به والاستماع منه والاصغاء اليه . لا أنه على الحقيقة مخلوق قبل العالم ، وكان قاعدا يسبح مع الملائكة .

فاذا قال المسيح عيسى عليه السلام عن « المسيا » قولا شبيها بهذا المقول عن الحكمة، فلماذا يتوجه عليه اللوم ؟

٣ — ان المزمور السادس والثلاثين يشير الى المسيا المنتظر فى رأى اليهود ، والآية التاسعة وهى : « لأن عندك ينبوع الحياة بنورك نرى نورا » تشير الى نور المسيا ، وأن نوره كان فى الأزل مع آدم والملائكة وابليس ، فى الوقت الذى أمر الله فيه الملائكة بالسجود لآدم وسجدوا الا ابليس ، فانه أبى واستكبر . وعلماء بنى اسرائيل لما كتبوا هذا فى التلمود ، وكتبوا أن ابليس رأى نور « المسيا » قبل أن يعصى الله ، وصرخ ، كتبوا للمبالغة فى أن المسيا سيوجد ، لا أنه كان موجودا بجسمه ونوره .

والمسيح عيسى عليه السلام تكلم عن « المسيا » بمثل ما كان يتكلم عنه علماء بنى اسرائيل فى « التلمود » فقال : ان « ابليس » صرخ منه ، و « آدم » رأى اسمه مكتوبا على باب الجنة . أى أنه بالغ فى تعظيمه كما بالغ كتاب « التلمود » فى تعظيمه ، وكما بالغ كاتب « الزبور » فى قوله عنه : « بنورك نرى نورا » وكما بالغوا فى تصوير الحكمة .

ولهذه الامثلة . وكثير غيرها ، ترى أن فكرة خلق المسيا قبل خلق العالم ، فكرة لجأ اليها اليهود فى كتاباتهم ، للتعظيم من شأن المسيا . واليهود من دابهم فى كتاباتهم : المبالغة فى التعبير كما بينا من قبل ، فى مثل قولهم عن الله عز وجل مخاطبا لهم : « أنا قلت انكم آلهة وبنو العلى كلكم » (مز ٨٢ : ٦) وعن قول الله لموسى : « أنا جعلتك الها لفرعون وهرون أخوك يكون نبيك » (خر ٧ : ١) ولو سألنا اليهود :

هل تعتقدون أن المسيا مولود حقيقة قبل آدم ؟ لأجابوا بالنفى . وصرحوا : بأن أول الخلق البشرى هو آدم . إذ مكتوب فى التوراة : « وجبل الرب الإله آدم ترابا من الارض ونفخ فى انفه نسمة حياة ، فصار آدم نفسا حية » (تكوين ٢ : ٧)

ولم يشر اليهود فى كتبهم الى حياة للمسيا ، من قبل أن يوجد على الأرض . فى أى مكان عاش ؟ وكيف كان يأكل أو يشرب ؟ وهكذا . فدل سكوتهم عن هذا : **على أن خلق المسيا أزلا هو من قبيل المجاز اى خلق فكر وتقدير . بمعنى** : أن الله سبق فى علمه أزلا : خلق آدم وذريته ، وسبق فى علمه أزلا : ارسال المسيا لتظل شريعته الى نهاية الزمان ، فأوجد آدم فى حينه . ويوجد المسيا فى حينه أيضا .

وتجد صدى هذه الفكرة اليهودية عند كتاب الاناجيل ، فقد قال متى عن أصحاب ملكوت السموات الذى هو ملكوت المسيا : « رثو الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » (متى ٢٥ : ٣٤) ويقول يوحنا عن المسيا : « كان انسان مرسل من الله اسمه يوحنا ، هذا جاء للشهادة ليشهد للنور ، لكى يؤمن الكل بواسطته ، لم يكن هو النور ، بل ليشهد للنور ، **كان النور الحقيقى الذى ينير كل انسان آتيا (٨) الى العالم** . كان فى العالم وكون العالم به ، ولم يعرفه العالم » (يو ١ : ٦ — ٩)

غير أن النصارى من أجل التحريف المتعمد ، شطوا فى المبالغة شططا كبيرا وذلك بجعلهم التعبير المجازى تعبيرا حقيقيا ، متجاهلين القرينة الصارفة عن المعنى الحقيقى وهى خلق آدم أول الجنس البشرى كما تنص التوراة ، وقالوا : ان خلق المسيا — الذى هو عيسى عليه السلام فى نظرهم — هو خلق حقيقى قبل انشاء العالم . لانه هو الله الذى يخلق الكل

فى مذهب الارثوذكس . وهو اله من آلهة ثلاثة فى مذهب الكاثوليك . والبروتستانت .

---

(٨) يقصد المسيا ، الذى هو محمد ﷺ .

أى أن الله تعالى هو المسيا نفسه عندهم ، وهو النبى الذى وعد به موسى نفسه ، وهو شيلون نفسه ، وهو ابن الانسان نفسه ، وهو المبارك الآتى نفسه ، أى أن المسيح بن مريم جعل هو الله وهو المسيا وتلك محاولة يائسة منهم لقفل باب النبوة فى وجه محمد الآتى من اسماعيل عليه السلام .

... ...

ولردهم الى الصواب نبين : أن فكرة تصوير المعنوى بصورة الحسى مبالغة في ابراز الفكرة وتقريرها في الأذهان ، موجودة فى كتب اليهود والنصارى والمسلمين . على حد قول الشاعر :

ولو شئت أن ابكى دما لبكيته   عليه . ولكن ساحة الصبر أوسع

مثال ذلك فى التوراة : « حمل تعبا ، وولد كذبا » (مزمور ٧ : ١٤) فقد شبه التعب وهو صفة معنوية بشئ محسوس يحمل على الظهر وشبه الكذب وهو صفة معنوية بمخلوق متجسد يولد من البطن .

ومثال ذلك فى الانجيل : « ويل لكم أيها الناموسيون لانكم أخذتم مفتاح المعرفة ما دخلتم انتم والداخلون منعتموهم » (لوقا ١١ : ٥٢) فقد شبه المعرفة وهى صفة معنوية بباب له مفتاح .

ومثال ذلك فى القرآن الكريم : « لباس الجوع والخوف » (النحل ١١٢) شبه الجوع والخوف وهما صفتان معنويتان بشىء محسوس يلزمه ستر .

***

وفى كتاب التلمود مبالغات وصلت الى حد الخرافة ، ودخلت فى باب الأساطير . نذكر منها من سفر سنهدرين .

١ ـ أن الله أخذ ترابا من جميع بقاع الأرض ، وكونه كتلة وخلقهما جسما ذا وجهين ، ثم شطره نصفين فصار أحدهما آدم والثانى حواء .

وكان آدم طويلا جدا ، فكانت رجلاه فى الأرض ورأسه فى السماء . واذا نام كانت رأسه فى المشرق ورجلاه فى المغرب . وصنع الله لآدم طاقة ينظر منها الدنيا من أولها لآخرها . ولما عصى آدم نقص طوله حتى صار كباقى الناس .

٢ — أن النعيم مأوى الأرواح الزكية . وقد وضع « الياس » يوما ما جبة أحد الحاخامات هناك ، فتعطرت من أوراق الأشجار ، وبقيت فيها تلك الرائحة العطرية ، ويقدم لهم أيضا على المائدة لحم ثور برى كبير جدا ، كان يتغذى بالعشب الذى ينبت فى مائة جبل ، ويأكلون أيضا لحم طير كبير لذيذ الطعم جدا ولحم أوز سمين للغاية . أما الشراب فهو من النبيذ اللذيذ القديم ، المعصور يوم خليقة العالم .

٣ — اذا لم يخلق الله اليهود ، لانعدمت البركة من الأرض ، ولما خلقت الأمطار والشمس ، ولما أمكن لباقى المخلوقات أن تعيش . أهـ

واذا كان اليهود قد كتبوا فى التلمود أنه اذا لم يخلقهم الله ، لانعدمت البركة من الأرض ، فما الذى يمكن أن نتصوره عن المسيا المنتظر فى كتاباتهم ؟ انهم سيكتبون عنه بأنه لولاه ما خلق الله الأفلاك ، ولولاه ما أوجد الله العالم ، ولولاه ما كانت الدنيا وما تكون الآخرة . وسيقولون كلاما كثيرا مثل هذا مبالغة فى تعظيمه ، وفى وصف أيامه بالرخاء والأمن ، وسيقولون : طوبى لمن يأكل خبزا فى عهده . وكلام مثل ذلك كثير .

***

وقد تصور الفكرة المستقرة فى العقل ، ولو لم تكن موجودة بالفعل ، تصويرا يجعلها كالموجود المدرك سواء بسواء . كما فى القرآن الكريم عن رؤوس الشياطين : « انها شجرة تخرج فى أصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين » (الصافات ٦٤ — ٦٥) يقول الامام فخر الدين الرازى فى تفسيرها : « وأما تشبيه هذا الطلع برؤوس الشياطين ففيه سؤال . لانه قيل انا ما رأينا رؤوس الشياطين فكيف يمكن تشبيه شىء بها ؟ وأجابوا عنه من وجوه (الاول) وهو الصحيح : أن الناس لما اعتقدوا فى

الشياطين نهاية القبح والتشويه فى الصورة والسيرة ، فكما حسن التشبيه بالملك عند ارادة تقرير الكمال والفضيلة فى قوله : « ان هـذا الا ملك كريم » فكذلك وجب أن يحسن التشبيه برؤوس الشـياطين فى القبح وتشويه الخلقة ، **والحاصل : أن هذا من باب التشبيه لا بالمحسوس ، بل بالتخيل** . كأنه قيل : ان أقبح الاشياء فى الوهم والخيال هو رؤوس الشياطين .

فهذه الشجرة تشبهها فى قبح المنظر وتشويه الصورة ، والذى يؤكد هذا : أن العقلاء اذا رأوا شيئا شديد الاضطراب ، منكر الصورة ، قبيح الخلقة ، قالوا : انه شيطان ، واذا رأوا شيئا حسن الصورة والسيرة ، قالوا : انه ملك . وقال امرؤ القيس :

ايقتلنى والمشرفى مضـاجعى ومسنونة زرق كأنياب أغوال ؟»(٩)

وكما تحدث القرآن أيضا عن عهد الله لبنى آدم فى قوله تعالى : « واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، شهدنا . أن تقولوا يوم القيامة : انا كنا عن هذا غافلين ، أو تقولوا : انما أشرك آباؤنا من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم . أفتهلكنا بما فعل المبطلون ؟ » (الاعراف ١٧٢ — ١٧٣)

يقول الامام الزمخشرى فى تفسيرها : « ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم : اخراجهم من أصلابهم نسلا واشهادهم على أنفسهم . وقوله « ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا » **من باب التمثيل والتخيل** . ومعنى ذلك : أنه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته ، وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى . فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم . وقال لهم : « ألست بربكم » ؟ وكأنهم قالوا : « بلى » أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك . وباب التمثيل واسع فى كلام الله تعالى ، ورسوله عليه السلام ، وفى كلام العرب . ونظيره

---

(٩) ص ٦٦ — جـ ٧ تفسير فخر الدين الرازى .

قوله تعالى : « انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له : كن فيكون » — « فقال لها وللارض : ائتيا طوعا أو كرها . قالتا : أتينا طائعين » وقوله :

اذا قالت الانساع للبطن : الحقى   قالت له ريح الصبا : قرقار
ومعلوم انه لاقول ثم ، وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى » (١٠)

وعلى هذا النحو تحدث داود عن المسيا ، واستشهد عيسى بكلام داود فيما رواه عنه برنابا وهو : « تبارك اسم الله القدوس الذى خلق نور جميع القديسين والانبياء قبل كل الاشياء ليرسله لخلاص العالم ، كما تكلم بواسطة عبده داود قائلا : قبل كوكب الصبح في ضياء القديسين خلقتك » (١٢ : ٧) يقصد بنور جميع القديسين والانبياء : نور المسيا . مبالغة فى تعظيمه وتوقيره (١١)

وعلى هذا النحو أيضا ورد فى التوراة : استنطاق الجمادات التى لا تعقل حتى يخيل الى السامع أنها اناسى على الحقيقة .. ومثال ذلك : قول يوثام ليهود السامرة : « اسمعوا الى يا أهل شكيم يسمع لكم الله . مرة ذهبت الاشجار لتمسح عليها ملكا ، فقالت للزيتونة : املكى علينا . فقالت لها الزيتونة : أأترك دهنى الذى به يكرمون بى : الله والناس وأذهب لكى أملك على الاشجار ؟ ثم قالت جميع الاشجار للتينة : تعالى أنت واملكى علينا . فقالت لها التينة : أأترك حلاوتى وثمرى الطيب ، وأذهب لكى أملك على الاشجار ؟ فقالت الاشجار للكرمة : تعالى أنت واملكى علينا . فقالت لها الكرمة : أأترك مسطارى (١٢) الذى يفرح الله والناس وأذهب لكى أملك على الأشجار ؟ ثم قالت جميع الأشجار للعوسج تعالى أنت وأملك علينا . فقال العوسج للاشجار : ان كنتم بالحق

---

(١٠) ص ٥٨٦ — ٥٨٧ جـ ١ الكشاف .

(١١) قال الآلوسى فى تفسيره روح المعانى : « وكان ﷺ مبتدأ وجود العالم عقلا ونفسا . فيه بدء الوجود باطنا ، وبه ختم المقام ظاهرا فى عالم التخطيط . فقال : لا رسول بعدى » وله كلام كثير فى قوله : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين »

(١٢) لمسطار بالكسر ضرب من الشراب فيه (مختار الصحاح) .

تمسحوننى عليكم ملكا ، فتعالوا واحتموا تحت ظلى ، والا فتخرج نار من العوسج وتأكل أرز لبنان » (قض ٩ : ٧ — ١٥) والكلام الذى قلناه قال به النصارى فى تفسير آية من سفر رؤيا يوحنا اللاهوتى . وهى : « وسيسجد له جميع سكان الأرض الذين لم تكتب أسماؤهم فى سفر الحياة للحمل المذبوح منذ انشاء العالم » (رؤ ١٣ : ٨)

يقول الكاثوليك فى معناها : « للحمل المذبوح منذ انشاء العالم » : ان الله فى أحكامه الازلية ، كان قد رتب أن المسيح يتألم ويموت على الصليب فداء عن البشر أجمعين ، فعمت استحقاقات المسيح آدم وقديسى العهد العتيق جميعا ، منذ انشاء العالم . وبهذا الاعتبار قيل : ان المسيح قد ذبح منذ انشاء العالم » (١٣)

وهم بهذا الشرح — وان كنا لا نوافق عليه — يعتقدون بالمبالغة فى التعبير ، وما كان سيوجد يعبرون عنه كأنه كائن بالفعل . دلالة على تحقق وقوعه . والا يقرون بالمبالغة ، يلزمهم ذبح المسيح حقيقة قبل انشاء العالم ، وعليه ما كان يأتى ويمشى ويتحدث الى اليهود ، ويجرى عليه ما يجرى على سائر البشر .

... ...

وشاع فى نبوءات التوراة عن المسيا المنتظر أنه سيكون متألما من أعراض الناس عن دعوته ، وصد الحاسدين عن سبيل الله من آمن به . ففى المزمور الثانى والعشرين عن آلام المسيا : « كل الذين يروننى يستهزئون بى . يفغرون الشفاة ، وينغضون الرأس ، قائلين : اتكل على الرب فلينجه ، لينقذه . لانه سر به » (مزمور ٢٢ : ٧ — ٨) وتقول النبوءات ان المسيا بعد ما يتألم ينتصر على أعدائه ويغلبهم . ففى المزمور الثانى والعشرين بعد ما تحدث المسيا عن آلامه قال : « أما أنت يارب فلا تبعد . ياقوتى أسرع الى نصرتى . أنقذ من السيف نفسى . من يد الكلب وحيدتى ، خلصنى من فم الاسد ، ومن قرون بقر الوحش . استجب لى .

---

(١٣) ص ٥٠٤ حواشى على الكتاب المقدس للكاثوليك المجلد الثالث

أخبر باسمك اخوتى . فى وسط الجماعة اسبحك . يا خائفى الرب سبحوه . مجدوه يا معشر ذرية يعقوب . واخشوه يازرع اسرائيل جميعا . لانه لم يحتقر ولم يرذل مسكنة المسكين ولم يحجب وجهه عنه ، بل عند صراخه ، اليه استمع » (مزمور ٢٢ : ١٩ — ٢٤)

ولما أشيع من تألم المسيا وانتصاره بعد الآلام ، ادعى النصارى أن عيسى — عليه السلام — قد تألم بالقتل والصلب . ثم قام من القبر بعد ثلاثة أيام منتصرا على الموت . وهم بهذا الادعاء يريدون أن يقولوا : أنه هو المسيا المتألم . مع أن النبوءات لا تبالغ فى آلام المسيا الى حد أنه سيقتل ويصلب . فقد جاء فى سفر التثنية : أن المسيا لا يقتل فى هذا النص : « وأى نبى تجبر فقال باسمى قولا لم آمره أن يقوله ، أو تنبأ باسم آلهة أخرى . فليقتل ذلك النبى » (تث ١٨ : ٢٠) أى يقتل الكاذب ولا يقتل النبى الصادق . والمزامير التى تحدثت عن آلام المسيا الذى تفسيره المسيح ، بينت أنه لن يقتل . ففى المزمور العشرين « الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه ، يستجيبه من سماء قدسه ، بجبروت خلاص يمينه . هؤلاء بالمركبات وهؤلاء بالخيل . أما نحن فاسم الرب الهنا نذكر ، هم جثوا وسقطوا . أما نحن فقمنا وانتصبنا . يارب خلص . ليستجب لنا الملك فى يوم دعائنا » (مز ٢٠ : ٦ — ٩)

وفى المزمور الثامن عشر يتحدث داود عن نجاته من يد شاول ، ويرمز بحديثه الى المسيا المنتظر فيقول : « الاله المنتقم لى والذى يخضع الشعوب تحتى ، منجى من أعدائى ، رافعى أيضا فوق القائمين على . من الرجل الظالم تنقذنى . لذلك أحمدك يارب فى الامم وأرنم لاسمك . برج خلاص لملكه والصانع رحمة لمسيحه » (مز ١٨ : ٤٧ — ٥٠)

وفى المزمور الرابع والثمانين : « يارب اله الجنود ، اسمع صلاتى واصغ يا اله يعقوب . سلاه . يامجننا . انظر يا ألله والتفت الى وجه مسيحك . لان يوما واحدا فى ديارك ، خير من الف » (مز ٨٤ : ٨ — ١٠)

وفى المزمور التاسع والثمانين تجد مقارنة بين المسيا المسيح الذى سيأتى ،

وبين المسيا المسيح الذى كان رمزا الملك بنى اسرائيل . لأن ملكوت الله كان معهم من زمان موسى . فعن المسيا الآتى يقول : « نسله الى الدهر يكـــون وكرسيه كالشمس امامى . مثل القمر يثبت الى الدهر . والشاهد فى السماء أمين » (مز ٨٩ : ٣٦ ـــ ٣٧) وعن المسيا الماضى يقول : « لكنك رفضت ورذلت . غضبت على مسيحك . نقضت عهد عبدك . نجست تاجه فى التراب . هدمت كل جدرانه . جعلت حصونه خرابا ، أفسده كل عابرى الطريق . صـــار عارا عند جيرانه ، رفعت يمين مضايقيه . فرحت جميع أعدائه . أيضا : رددت حد ســيفه ولم تنصره فى القتال . ابطلت بهاءه والقيت كرسيه الى الارض . قصرت أيام شبابه ، غطيته بالخـــزى » (مز ٨٩ : ٣٨ ـــ ٤٥) وفى آخر المزمور عن المسيا الآتى : « الذى به عير أعداؤك . يارب الذين عيروا آثار مسيحك . مبارك الرب الى الدهر . آمين فآمين » وفى ترجمة اليسوعيين : « الذى عير به أعداؤك . يارب عيروا بابطاء مسيحك . تبارك الرب الى الابد . آمين ثم آمين » (مـــز ٨٨ : ٥٢ ـــ ٥٣) .

وواضح من القرآن الكريم : أن النبى ـــ ﷺ ـــ قد تحمل آلاما فى ســـبيل الدعوة . وانه كان يحزن لعدم ايمان الكافرين . وانه انتصر على أعدائه . ومن آيات القرآن الكريم فى هذا الشأن : « فلعلك باخع نفسك على آثارهم . ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » (الكهف ٦) « لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين » (الشعراء ٣)

والقرآن الكريم يحدثنا أيضا عن آلام لاتباع النبى ﷺ فيقـــول : « هذا بيان لناس ، وهدى وموعظة للمتقين ، ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الاعلون ان كنتم مؤمنين . أن يمسسكم قرح فقـــد مس القوم قـــرح مثله . وتلك الايام نداولها بين الناس . وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء . والله لا يحب الظالمين . وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين . أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم

ويعلم الصابرين . ولقد كنتم تمنون الموت من قبل أن تلقوه . فقد رأيتموه وأنتم تنظرون .

وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا . وسيجزى الله الشاكرين . وما كان لنفس أن تموت الا باذن الله كتابا مؤجــلا . ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزى الشاكرين . وكأين من نبى قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصــابهم فى سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا . والله يحب الصابرين . وما كان قولهم الا أن قالوا : ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا فى أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين . فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين » (آل عمران ١٣٨ ـــ ١٤٨)

***

وللمسيا ألقاب فى كتب أهل الكتاب . ومن هذه الألقاب :

١ ـــ الملك . ففى المزمور التاسع والأربعين بعد المائة : « ليفرح اسرائيل بخالقه ، ليبتهج بنو صهيون بملكهم ... ليبتهج الأتقياء بمجد ، ليرنموا على مضاجعهم . تنويهات الله فى أفواههم ، وسيف ذو حدين فى يدهم ، ليصنعوا نقمة فى الأمم ، وتأديبات فى الشعوب »

٢ ـــ المسيح . ففى المزمور الخامس والأربعين : « من أجل ذلك مسحك الله الهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك »

٣ـــ الرب بمعنى السيد . ففى المزمور المائة والعاشر : « قال الرب لربى : اجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك »

٤ ـــ ابن الله . ففى المزمور الثانى : « انى أخبر من جهة قضــاء الرب . قال لى : أنت ابنى »

٥ ـــ اله بمعنى سيد . ففى الأصحاح التاسع من سفر أشعياء :

« الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا عظيما . الجالسون فى أرض ظلال الموت ، أشرق عليهم نور ... لأنه يولد لنا ولد ونعطي ابنا ، وتكون الرياسة على كتفه ، ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا ، أنا أبديا ، رئيس السلام »

٦ — ابن الانسان . ففى الأصحاح السابع من سفر دانيال : « كنت أرى فى رؤى الليل واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان ، أتى وجاء الى القديم الأيام ، فقربوه قدامه فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا »

٧ — المعزى . ففى الأصحاح الرابع عشر من انجيل يوحنا ، يقول عيسى عليه السلام لتلاميذه : « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى . وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر » يقول متى هنرى : « كان أحد أسماء المسيا بين اليهود « مناهيم » أى « المعزى » وكان اليهود يسمون يوم المسيا ، سنوات التعزية »

٨ — كلمة الرب . يقول متى هنرى فى تفسيره للأصحاح الأول من انجيل يوحنا : « التفسير الكلدانى كثيرا ما دعا المسيا « ممرا » أى كلمة الرب »

٩ — نبى البر . ففى الأصحاح التاسع من سفر دانيال : « تأمل الكلام وافهم الرؤيا . سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة ، لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم ، وليؤتى بالبر الأبدى ، ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القديسين »

١٠ — ابن داود . ففى الأصحاح التاسع من سفر أشعياء : « لأنه يولد لنا ولد ونعطى ابنا وتكون الرياسة على كتفه . ويدعى اسمه عجيبا مشيرا الها قديرا أبا أبديا رئيس السلام لنمو رياسة وللسلام ، لا نهاية على كرسى داود وعلى مملكته ، ليثبتها ويعضدها بالحق والبر . من الآن الى الأبد »

وغرض اليهود من هذا اللقب : أن يوهموا العالم بأن المسيا سيكون من بنى اسرائيل العبرانيين ، وليس من بنى اسرائيل السامريين .

ولسوف نوضح هذا باذن الله وعونه فى كتاب « المسيا المنتظر نبى الاسلام ﷺ »

• • •　　　• • •　　　• • •

وبعدما انتهينا من عرض أفكار اليهود القدماء والنصارى عن المسيا ، نذكر تصورات اليهود فى هذه الايام عن المسيا . فنقول : ان من الاسباب الرئيسية التى حببت اليهود فى فلسطين ودفعتهم الى احتلالها بالقوة سنة ١٩٤٨ وسنة ١٩٥٦ وسنة ١٩٦٧ ميلادية . ما اشاعه الاحبار عن المسيا من أنه سوف يأتى (١٤) اذا ما تحقق لليهود وطن قومى ، ووجود مستقل فى فلسطين — التى هى أرض الميعاد فى زعمهم — .

يقول بن جوريون : « ان ما ضمن بقاء الشعب اليهودى على مر الأجيال ، وأدى الى خلق الدولة هو تلك الرؤيا المسيائية لدى أنبياء اسرائيل ، رؤيا خلاص الشعب اليهودى والانسانية جمعاء . ان دولة اسرائيل هى اداة لتحقيق هذه الرؤيا المسيانية »

ويقول الدكتور أسعد رزوق عن موزس هس : « وربما كانت عقيده المسيا فى صبغتها التلمودية من أهم العناصر التى تمثلها (هس) فى فكرته الصهيونية . فهو يربط بين خلاص بنى اسرائيل والرسالة التى سوف يؤدونها للعالم ضمن اطار نظرية عضوية الى تاريخ الانسانية ويجعل مصير الخليقة وتحقيق مبتغاها رهنا بمجىء المسيا وقيام مملكته فى العالم . لذا نجده يستشهد بقول واحد من كبار الاموراثيم ، الرابى يوحنان فى سفر سنهدرين (٩٨ أ) بأن الخلق لن يحقق غايته الا عند مجىء المسيا وأقامة المملكة المسيانية »

---

(١٤) زعم موسى بن ميمون فى صفحة ٤٠٠ — ٤٠١ من دلالة الحائرين بأن النبى المنتظر الذى هو المسيا كان مع بنى اسرائيل من قبل أن يفتحوا أرض فلسطين على يد طالوت وداود عليهما السلام . وتصريحات زعماء بنى اسرائيل تكذبه ، والنصوص أيضا تكذبه . فقد قال : ان الله وعد بنى اسرائيل بملاك من ملائكة السماء يسير أمامهم ليدلهم على طريق أرض فلسطين . وهذا الملاك هو النبى الذى وعد به موسى مماثلا له فى سفر التثنية . وقوله باطل . فان الملاك شىء والنبى شىء آخر .

ويقول تيودور هرتزل : انه رأى المسيا فى حلم ، وانه أى المسيا كان يصلى من أجله ، يقول : « ظهر لى المسيا الملك على صورة شيخ مسن فى عظمته وجلاله ، فطوقنى بذراعيه ، وحملنى بعيدا على أجنحة الريح ، والتقينا على واحد من تلك الغيوم التزحية بصورة موسى ، كانت ملامحه هى تلك الملامح التى عرفتها فى حداثتى لدى تمثال (ميكال أنجلو) والتفت المسيا الى موسى مخاطبا اياه بقوله : من أجل هذا الصبى كنت أصلى . لكنه خاطبنى قائلا : اذهب وأعلن لليهود بأنى سوف آتى عما قريب لاجترح المعجزات العظيمة ، وأسدى عظائم الاعمال لشعبى وللعالم كله » (١٥)

وبعض اليهود بعد ما تم لهم تكوين دولة اسرائيل بغير رضا من أهل فلسطين واعترف بها كثيرون من دول العالم ، خاصة الدولتين العظيمتين : روسيا وأمريكا ، لا يقرون هذا المفهوم ، ويعتبرون أن قيام الدولة قبل مجىء المسيا ضلال مبين واثم عظيم . فقد « أعلن متحدث باسم طائفة « ناتورى كارتا » اليهودية أن الطائفة ستطلب من الرئيس الامريكى (نيكسون) فى « واشنطون » بحث طلبها الخاص بعودة مدينة القدس الى العرب . والجدير بالذكر أن أعضاء طائفة ناتورى كارتا (٦٠ ألفا) لا يعترفون بدولة اسرائيل على أساس أن دولة ما تحمل هذا الاسم . لا يمكن أن تنشأ الا مع عودة المسيح (١٦) » أى المسيا المنتظر

... ...

ويقول النصارى : ان من نصوص التوراة على المسيا ، قول موسى عليه السلام : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون »
وأن المسيا يجب أن يكون ١ ــ نبيا ٢ ــ وكاهنا ٣ ــ وملكا . ويقولون : ان قول التوراة منطبق على عيسى ، وفيه الاوصاف الثلاثة يقول أ.م. هودجكن : « مسيا الموعود : ان سفر التثنية يبلغ الى ذروة المجد حينما انعكس على موسى بهاء جلال المسيا ، بأن يأتى على مثاله «يقيم لك الرب الهك

---

(١٥) التلمود والصهيونية ص ٢٣٦ ، ٢١٦ ، ٢٢٤ .
(١٦) جريدة الاهرام المصرية ١٩٧٤/٧/٥م والاخبار ١٩٧٤/٧/٦م

نبيا من وسطك ، من اخوتك ، مثلى ، له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥)
نرى هنا : ضرورة التجسد لكل وظيفة من وظائف المسيح الثلاث : نبى
وكاهن وملك . لانه ينبغى لكل خدمة من هذه الخدمات الثلاث واحد من
اخوتنا بشر مثلنا جسدا ودما (١٧) »

وقبل أن نسترسل فى الحديث للمقارنة بين عيسى ومحمد — عليهما
السلام — حسب كلام هودجكن نبين : أن أوصاف المسيا فى التوراة
تعنى : ١ — نبى ٢ — كاهن ٣ — وملك كما قال « هودجكن »

أ — والنبى عندهم هو كما يقول « ابن كمونة » : « من يؤدى أخبارا
عن الله تعالى من غير أن يكون بينه وبينه واسطة هى غير انسان آخر
كملك من الملائكة ، أو نفس من النفوس السماوية أو عقل من العقول ، وقد
تطلق لفظة النبى ، وكذا لفظة الرسول على معنى هو أخص من ذلك
وهو أنه المخاطب من جهة الله تعالى لاصلاح نوع البشر . وهذا انما يصدق
على نبى مبعوث بشريعة عامة ، وما كل نبى كذلك ، بل من الأنبياء من
بعث للاخبار بنزول عقاب على أمة مخصوصة أو شخص معين ، أو انه
بعث ليخبر بأمر يتجدد فى المستقبل أو وقع فى الماضى أو غير ذلك .
**كما يحكى عن كثير من انبياء بنى اسرائيل بعد موسى — عليه السلام —
فانهم كانوا على شريعة موسى ، ولم يبعثوا بشريعة تخصهم ،
بل بعثوا فى قضايا مخصوصة بأهل زمانهم أو ببعضهم » (١٨)**

ب — والكاهن عندهم : هو من يكون من ذرية هارون — عليه السلام
— وعمله : هو أن يدخل قدس الاقداس ، ويتقبل صدقات اليهود وتبرعاتهم ،
ويدعو الله لهم بالبركة فى الاعمال وصلاح الاحوال . ولا يخطر على
البال : أن الكهانة عندهم بمعنى السحر والشعوذة . فانه مكتوب فى
توراة موسى : « لا يوجد فيك من يجيز ابنه أو ابنته فى النار ، ولا من

---

(١٧) ص ٧٦ المسيح فى جميع الكتب .
(١٨) تنقيح الابحاث فى الملل الثلاث ص ٣ — ٤ .

يعرف عرافة ولا عائف ولا متفائل ، ولا ساحر ، ولا من يرقى رقية ، ولا من يسأل جانا أو تابعة ، ولا من يستشير الموتى ، لان كل من يفعل ذلك يكون مكروها عند الرب(١٩)» (تث١٨: ١٠ـ١٢) وسفر اللاويين الذى هو سفر (الاحبار) فى التوراة يتحدث عن واجبات الكهنة حديثا مفصلا ويذكر أن موسى علم هارون أخيه ماذا يفعل هو وأولاده بعد تقبل صدقات اليهود وتبرعاتهم . وفى هذا السفر : « ثم رفع هارون يده نحو الشعب وباركهم . ودخل موسى وهارون الى خيمة الاجتماع ، ثم خرجا وباركا الشعب » (لا ٩ : ٢٢ ـ ٢٣)

ت ـ والملك عندهم لابد وأن يكون من وسط اخوتهم . ففى التوراة : « متى أتيت الى الارض التى يعطيك الرب الهك ، وامتلكتها وسكنت فيها . فان قلت : اجعل على ملكا ، كجميع الامم الذين حولى ، فانك تجعل عليك ملكا الذى يختاره الرب الهك . من وسط اخوتك تجعل عليك ملكا ، لا يحل أن تجعل عليك رجلا أجنبيا ليس هو اخاك » (تث ١٧ : ١٤ ـ ١٥) وعبارة « وسط اخوتك » كما تنطبق على نسل اسحق ، تنطبق على نسل اسماعيل . فقد عبرت التوراة عنهم بأنهم أخوة لبنى اسحق . تقول التوراة عن اسماعيل ـ عليه السلام ـ « وأمام جميع اخوته يسكن » (التكوين ١٦ : ١٢)

ومن حق المسلم أن يكون ملكا على اليهود . لأن العرب واليهود اخوة . والمؤمنون اخوة . لقوله تعالى : « انما المؤمنون اخوة » (الحجرات ١٠)

وعلى أوصاف المسيا هذه عندهم ، نجد أن موسى ـ عليه السلام ـ اجتمعت فيه كل صفات المسيا الثلاثة فقد كان : نبيا ، وكان كاهنا أى متقبلا لصدقات اليهود ، وداعيا لهم بالبركة ، وكان ملكا ورئيسا مطاعا ، وكان هارون يجمع صفتين اثنتين فقط . لانه كان كاهنا ، وكان نبيا ،

---

(١٩) لاحظ قوله تعالى عن السحر « ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق » (البقرة ١٠٢)

وكان شاول (طالوت) يتميز بصفة واحدة عندهم ، وهى الملك فقط (٢٠)

ونجد داود وسليمان يجتمع فيهما صفتين اثنتين ، هما صفتى : النبوه والملك . وليست لهما صفة الكهانة . لانها من اختصاص نسل هارون ، وهما من سبط يهوذا ، ونجد اليهود يطلقون لقب المسيا على قورش الفارسى على أنه ملك . لا كاهنا ولا نبيا (أشعياء ٤٥ — ١) ونجد زكريا وابنه يحيى — عليهما السلام — لهما صفتى الكهانة والنبوة دون صفة الملك لانهما من نسل هارون (لوقا ١ : ٥) — وقد كانا من الأنبياء —

ونجد عيسى مسيحا للنبوة والكهانة وليس للملك ، لانه نبى ، ولانه من نسل الكهنة أبناء هارون . ومع انه من نسل الكهنة أبناء هارون ، فانه لم يكن الكاهن الاعظم فى عصره ، فالكاهن الاعظم المعاصر لعيسى كان « حنان » ومن بعد حنان قيافا (يوحنا ١٨ : ١٣ — ١٤)

... ...

واذا نظرنا فى الاناجيل . نرى فيهم بوضوح أن عيسى لم يعترف أبدا بأنه هو المسيا الرئيس ، ولم يسمح لاحد أن يقول عنه ذلك قط . وانجيل مرقس فيه شواهد كثيرة على هذا . فهو يذكر ان عيسى أخرس الارواح النجسة ، ثم أوصاها ان لا تتكلم عنه ، ونص عبارته : « وأوصاهم كثيرا أن لا يظهروه » (١ : ٢٥ و ٣٤ ، ٢ : ١١ و ١٢) ولو كان هو المسيا ما أوصى بكتمان ما يتعلق به . ويذكر معجزات عظيمة عملها عيسى ثم يذكر أن عيسى نبه على اخفاء اسمه فقال : « انظر لا تقل لاحد شيئا » (١ : ٤٤/٥ ، ٤٣ ، ٧ : ٣٦ ، ٨ : ٢٦) ويذكر أن بطرس « قال له : أنت المسيح . فانتهرهم كى لا يقولوا لاحد عنه » (٨ : ٢٩ — ٣٠) ويذكر بعد النزول من على الجبل « أوصاهم أن لا يحدثوا أحدا بما أبصروا » ٩:٩) ولم يتوقف الامر الى حد الامر بعدم اعلانه للناس ، بل لقد اتسمت كثيرا من أعماله العظمى بالسرية . فهو يذكر أن عيسى — عليه السلام —

---

(٢٠) مفسرو القرآن متفقون على كونه ملكا . ومختلفون فى نبوته (القرطبى فى البقرة ٢٤٧ — ٢٤٩)

ذهب فى رحلات سرية بعيدة عن الناس « وهو يريد أن لا يعلم أحـــد » (٧ : ٣٠/٩/٢٤)

وتحدث لليهود عن ملكوت السموات بأمثال . وكان على انفراد يوضح لتلاميذه كل شيء (٤ : ١٠ — ١٢) . وتحدث عن مجيء المسيا من بعده فى الاصحاح الثالث عشر (١٣ : ٣ — ٣٧) لكن النصارى يفسرون ذلك بالمجيء الثانى للمسيح . وسوف نناقش هذا فى فصل ملكوت السموات وفى فصل ابن الانسان .

❀ ❀ ❀

وفى انجيل برنابا ومتى . ما يدل على أن بنى اسرائيل ، قـــد تضايقوا من عيسى عليه السلام لقوله : بأن النبى المسيا ، سيأتى من بنى اسماعيل ، لان لاسماعيل بركة . وذهبوا الى الوالى عليهم من قبل

الرومان . وقالوا : ان عيسى لا يبشر بنبى من بعده ، هو محمد كما يدعى ، بل يدعى أنه هو النبى المسيا الذى أخبر عن مجيئه موسى من بعـــده ، ليقيم الدين ويطرد المحتلين . وهو قد كون له أنصارا وأتباعا . وجعل نفسه عليهم ملكا . وهم يشيعون فى الناس : بأن يسوع ليس مســيحا عالما ، بل هو مسيح ملك ، ويمنعون الناس من دفع الجزية ، ويساعدونهم على التمرد والثورة .

ولما مثل عيسى أمام الوالى وسأله : هل أنت ملك اليهود الذى أخبر عن مجيئه موسى ليقيم لهم الدين ؟ قال له : أنت تقول . أما أنا فلم أقل (٢١)

---

(٢١) يظن البعض : أن قول المسيح للوالى أنت تقول ، هــو اعتراف من المسيح بأنه على الصفة التى نطق بها الوالى . أى انت نفسك قلت اننى مسيح ملك . وهذا الظن خاطىء لانه لو كان قد أيد الوالى على ظنه ، ما كان الوالى يغسل يديه قدام الجميع ويقول اننى برىء من دم هذا البار . ولو كان المسيح يؤيد ظن الوالى لما قال له مملكتى ليســت من هذا العالم وكيف يؤيده ، وهو يقول له ان ابن الانسان سوف تبصرونه آتيا ؟ كما سنبين فى فصل وجاهة بنى اسماعيل .

وسيأتى « ابن الانسان » من بعدى مؤيدا بنصر من الله . وعندئذ علم الوالى أنهم وشوا به زورا ، وأسلموه حسدا . وعرف أنه ليس هو المسيا من قوله : **((وايضا : أقول لكم : من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء)) (مت ٢٦ : ٦٤)**

وفى انجيل يوحنا نجد أن عيسى ينفى بصراحة كونه ملكا بقوله « مملكتى ليست من هذا العالم » (١٨ : ٣٦) واذا نفى أنه ملك فانه لا يكون هو المسيا وتلاميذه لم يعرفوا أنه كان ملكا (١٢ : ١٥ — ١٦) وقد هرب من الذين أرادوا أن يجعلوه ملكا يقول يوحنا : « وأما يسوع فاذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضا الى الجبل وحده » (٦ : ١٥)

وروى يوحنا أيضا : أن اليهود الذين آمنوا به لم يعتقدوا قط أنه هو المسيا . ففى انجيل يوحنا : « قال قوم من أورشليم : أليس هذا هو الذى يطلبون أن يقتلوه ، وها هو يتكلم جهارا ولا يقولون له شيئا . ألعل الرؤساء عرفوا يقينا : أن هذا هو المسيح حقا ؟ ولكن هـــذا نعلم من أين هو ؟ وأما المسيح فمتى جاء لا يعرف أحد من أين هو . فنادى يسوع ، **وهو يعلم فى الهيكل . قائلا :** تعرفوننى وتعرفون من أين أنا . ومن نفسى لم آت ، بل الذى أرسلنى هو حق ، الذى أنتم لستم تعرفونه . أنا أعرفه ، لانى منه . وهو أرسلنى . فطلبوا أن يمسكوه ، ولم يلق أحد يدا عليه لان ساعته لم تكن قد جاءت بعد ، فآمن به كثيرون من الجمع وقالوا : ألعل المسيح متى جاء يعمل آيات أكثر من هذه التى عملها هذا » ؟ (يوحنا ٧ : ٢٥ — ٣١)

فلو كان الذين آمنوا به آمنوا به على أنه هو المسيح الذى ينتظروه لما قالوا « ألعل المسيح متى جاء ... الخ ؟ »

ولو كان عيسى هو نفسه المسيح الذى ينتظروه ، لصرح بهذا فى هذا الموضـــع بالذات ، لانه نبى ، ومن شأن النبى أن لا يلبس على الناس دينهم . وقد أجاب بما يفيد انه رسول ولم يجب بما يفيد أنه المسيا . رغم ان حوار الناس كان من أجل أنه هو المسيا ، أم ليس هو .

وفى اللحظات الاخيرة من حياة عيسى ـ عليه السلام ـ مثل للمحاكمة أما الوالى الرومانى بيلاطوس ـ كما يقولون ـ وكانت التهمة الموجهة اليه من اليهود : « اننا وجدنا هذا يفسد الامة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا : انه هو مسيح ملك . فسأله بيلاطوس قائلا : أنت ملك اليهود ؟ فأجابه وقال : أنت تقول . فقال بيلاطوس لرؤساء الكهنة والجموع : انى لا أجد علة فى هذا الانسان » (لوقا ٢٣ : ٢ ـ ٤)

فقول عيسى : « أنت تقول » معناه : أن ذلك قول منك أنت ، لاقول منى أنا ، أنت تقول . أما انا فلم أقل . وتبرئة بيلاطوس له من دعوى « مسيح ملك » دليل على أن عيسى أقنعه بأنه ليس مسيحا ملكا ، وأنها اشاعة كاذبة وتهمة باطلة .

ويوضح متى فى هذه اللحظات : أنه كان من عادة الوالى أن يطلق لهم أسيرا واحدا فى العيد ، فقال : « قال لهم بيلاطس : من تريدون أن أطلق لكم ؟ باراباس . أم يسوع الذى يدعى المسيح ؟ لانه علم أنهم أسلموه حسدا ... فقالوا : باراباس . قال لهم بيلاطس : فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح » ؟ (متى ٢٧ : ١٥ ـ ٢٢)وهذا يدل على براءة عيسى من التهم المنسوبة اليه زورا . **وانه كان يدعى المسيح ، وما كان لقبه الحقيقى هو : المسيح** . وليس هدفه من حياته أن يكون هو المسيح الملك . بل ليدعو الناس الى الايمان بالمسيح الملك .

... ...

وقد وضح لنا مما تقدم أن عيسى لم تجتمع فيه الصفات الثلاثة على حد تعبير (هودجكن) وانما اجتمعت فيه صفتين اثنتين ، هما صفة الكهانة وصفة النبوة ، ولم يكن ملكا ، ولم يكن كاهنا عظيما .

وما كان يمكن أن يكون كاهنا عظيما ، لان الكاهن العظيم عندهم يكون الابن الاكبر لكاهن من نسل هارون ـ عليه السلام ـ كما فى تولية

هارون لابنه اليعازار وتولية اليعازار لابنه فينحاس وهكذا (أخبار الايام الاولى ٦ : ٤) وعيسى — عليه السلام — ابن بكر لامرأة عذراء ، لا ابن كاهن ، فكيف يمكن أن يكون كاهنا عظيما ؟ انما يمكن أن يكون كاهنا عاديا كأى فرد من أبناء هارون — عليه السلام — وبذلك يكون لقب المسيح الذى أطلق عليه واشتهر به ، يعنى : انه مماثل لمن سبقه من أنبياء بنى اسرائيل . فقد كان كل واحد منهم يطلق عليه لقب مسيح ويدعى به . وكما بينا من قبل كان هارون — عليه السلام — مسيحا فى اعتقادهم . وكان داود ، وكان سليمان ، وكان الياس ، وكان اليسع — عليهم السلام —

ولقب (المسيح) كلقب (نبى) يشترك فيه الجميع بلا استثناء . لكن اذا قيل « المسيح » علما أو « النبى » علما فانه ينصرف الى شخص معين لدى جميع السامعين فكرة عنه وعلم به . فانه يقال مثلا : موسى النبى ، وهارون النبى ، وداود النبى ، وسليمان النبى ، والياس النبى ، واليسع النبى ، وزكريا النبى ، وهكذا . أما اذا قيل (النبى) كلفظ علم مجرد عن الاضافة ، فانه لا ينصرف الا الى شخص معين . لا يتعداه الى غيره .

ولقد عبر القرآن الكريم عن نبى الاسلام — ﷺ — بقوله : (النبى الامى) (الاعراف ١٥٧) بصيغة الالف واللام ، ليشير الى أنه هو النبى المخبر عنه فى التوراة وفى الانجيل ، واذا أطلق علما لا ينصرف الا عليه وحده ، وكذلك لفظ (الاسلام) يطلق بالاشتراك على دين نوح وموسى ومحمد — عليهم السلام — لكن اذا أطلق علما لا ينصرف الا على دين نبى الاسلام وحده .

وعلى ما قدمنا فى شأن عيسى — عليه السلام — وأنه يدعى مسيحا على صفة النبوة هذه التى منحها الله اياه ، وعلى صفة العلم لأنه من أبناء هارون ، نجد فى القرآن الكريم آيات كثيرة منها :

« اذ قالت الملائكة : يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه ، اسمه : المسيح عيسى ابن مريم . وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » (آل عمران ٤٥ — ٤٦)

« انما المسيح عيسى بن مريم . رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا : ثلاثة . انتهوا خيرا لكم . انما الله اله واحد ، سبحانه أن يكون له ولد ، له ما فى السموات وما فى الارض . وكفى بالله وكيلا . لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون » (النساء ١٧١ — ١٧٢)

ونجد المفسرين يفسرون لقب (المسيح) هذا بما يليق بمنصب النبوة ، لا بمنصب الملك . يقول الامام الزمخشرى : « المسيح لقب من الألقاب المشرفة كالصديق والفاروق ، وأصله مشيحا (٢٢) بالعبرانية ومعناه : المبارك كقوله : « وجعلني مباركا اينما كنت » (مريم ٣١) ويقول الامام القرطبى نقلا عن ابراهيم النخعى وابن فارس وابن الاعرابى : « والمسيح لقب لعيسى ومعناه الصديق (٢٣) »

ويزيد المفسرون الامر أيضا حا . فيقولون : ان « المسيح عيسى ابن مريم » هو بحسب ما اشتهر به وعرف به بين الناس ، لأن الاسم الحقيقى هو « عيسى » وأما « المسيح » فلقب أطلق عليه كما اطلق على غيره ، وأما « ابن مريم » فكنية وصفة يقول الامام الزمخشرى فى تفسير آية آل عمران : « فان قلت : لم قيل : « اسمه المسيح عيسى ابن مريم » وهذه ثلاثة اشياء : الاسم منها عيسى . وأما المسيح والابن فلقب وصفة ؟ قلت : الاسم للمسمى علامة يعرف بها ويتميز من غيره . فكأنه قيل : الذى يعرف به ويتميز عمن سواه ، مجموع هذه الثلاثة »

ولم يأت فى القرآن الكريم لفظ « المسيح » علما خاصا بعيسى لا يتعداه الى غيره ، بل أتى دائما مضافا الى « عيسى » أو « ابن مريم » وذلك على عكس الذى أتى فى القرآن الكريم فى لفظ « النبى » فقد أتى علما خاصا على نبى الاسلام وحده ﷺ فى (الاحزاب ٦)

---

(٢٢) قلنا سابقا : همشيح هى العبرانية . اما مشيح فآرامية .
(٢٣) ص ٨٨ — ٨٩ جـ ٤ القرطبى .

والذى أتى فى الانجيل فى لفظ « المسيح » فقد أتى علما خاصا على النبى الذى وعد به موسى فى رواية يوحنا وهو : « ألعل المسيح متى جاء ... الخ »

وذكر « المسيح » هنا فى الآية الاخيرة وهي « لن يستنكف المسيح » بدون اضافة : سببه أنه هو المتحدث عنه فى الآية السابقة . وفيها « المسيح عيسى بن مريم » . وذلك من ايجاز القرآن فى دلالة الأول على الحذف . وهذا يدل على أن عيسى — عليه السلام — ليس هو المسيح المعهود ، المسيح المعروف للناس ، المسيح الملك المعين من الله نبيا مثل موسى ، المسيح الذى قال عنه دانيال النبى : « المسيح الرئيس » وانما هو « مسيح » نبى كسائر الانبياء الممسحاء عندهم ، الذين قال الله عنهم فى التوراة : « لا تمسوا مسحائى ولا تؤذوا أنبيائى » (أخبار الأيام الأول ١٦ : ٢٢)

والدارسون المتضلعون فى علوم الاديان يقررون ما قرره القرآن الكريم فى شأن عيسى — عليه السلام — يقررون : أن عيسى كان مسيحا نبيا ، وما كان هو المسيح الملك المماثل لموسى . وأنقل هنا شواهد يسيرة للتوضيح والبيان :

١ — ظهر باللغة العربية انجيل بعد غياب طويل ، هو انجيل برنابا وفيه فصول طويلة عن المسيا ، وكيفية مجيئه ومن نسل من يكون ؟ وبين برنابا : أن اسمه المبارك هو محمد . فقال : « ولما جاء النهار صعد يسوع الى الهيكل مع جم غفير من الشعب فاقترب منه رئيس الكهنة قائلا : قل لى يا يسوع : أنسيت كل ما كنت قد اعترفت به . من أنك لست الله ، ولا ابن الله ولا مسيا ؟ أجاب يسوع : لا البتة لم أنس لان هذا هو الاعتراف الذى أشهد به أمام كرسى دينونة الله فى يوم الدينونة .

أجاب رئيس الكهنة : انما أسألك هذا ، ولا أطلب قتلك ، فقل لنا : من كان ابن ابراهيم هذا ؟ أجاب يسوع : ان غيرة شرفك يا الله تؤججنى ، ولا أقدر أن أسكت . الحق أقول : ان ابن ابراهيم هو اسماعيل

الذى يجب أن يأتى من سلالته مسيا الموعود به ابراهيم أن به تتبارك كل قبائل الأرض » (برنابا ٢٠٨/٢٠٧/٧٠٦ : ١ — ٢١٠/١٠ : ١ — ٨)

ويذكر برنابا أن اليهود طلبوا من عيسى عليه السلام أن يبين لهم اسم المسيا . فيقول : « فقال حينئذ الكاهن : ماذا يسمى مسيا ؟ وما هى العلامة التى تعلن عن مجيئه ؟ أجاب يسوع : ان اسم مسيا عجيب ان اسمه المبارك : محمد ، حينئذ رفع الجمهور أصواتهم قائلين : يا ألله أرسل لنا رسولك ، يا محمد تعالى سريعا لخلاص العالم » (برنابا ٩٦/٩٧)

٢ — ويقول العلامة محمد مجدى مرجان (٢٤) : « حاول كتاب الاناجيل أن يلقوا فى روع الناس أن عيسى هو المسيح المنتظر ، المسيح الجديد الذى أتى ليخلصهم من عبودية روما ويعيد اليهم مجدهم الضائع . وتهافت كتاب الاناجيل على استدعاء آيات العهد القديم ، واستنطاق أنبياءه قسرا (٢٥) وتحويل الروايات والكلمات التى تحدثت عن المسيح المنتظر ، ليكون المقصود بها عيسى ، وتعديل الاوصاف والاشكال التى قيلت عن المسيح ، لتصدق على عيسى نفسه ، ليوضع فى قالب المسيح المخلص (٢٦) »

٣ — وينقل الدكتور أحمد شلبى عن (برى) قوله : « بنى عيسى تعاليمه على الثقافات اليهودية القديمة والمعاصرة ، والجديد الذى جاء به ، هو أنه كان يتكلم كانسان فى يده نفوذ أكثر من أن يقنع بأن يكــون مفسرا وشارحا ، واستطاع بفصاحته أن يجذب له كثيرا من أتباعه (الذين هم فى الأصل يهود ينتظرون المسيح) وهم منحوه هذا اللقب (٢٧) »

٤ — وينقل الدكتور فردريك .و. فارار عن « أرنست رينان » قوله عن

---

(٢٤) مسيحى معاصر قد اسلم وألف كتابين هما : الله واحد أم ثالوث ؟ والمسيح اله أم انسان .

(٢٥) يقصد عبارات من كتب الانبياء مثل اشعياء وغيره .

(٢٦) المسيح اله أم انسان ؟ صفحة ٣٠ — ٣١

(٢٧) المسيحية — شلبى ص ٥٨ .

عيسى — عليه السلام — : « وأنه أعلن أن يأتى مسيا بعده » (٢٨)

٥ — وينقل القس الدكتور فهيم عزيز عميد كلية اللاهوت للبروتستانت بمصر عن علماء الغرب : « ان كثيرين من علماء الغرب ينكرون أن يسوع كان يتصرف ويتكلم كمسيح اليهود أو المسيا الذى كان ينتظره العهد القديم » (٢٩)

... ...

وبعد ما وضح لنا أن عيسى — عليه السلام — ليس هو المسيا المنتظر ، وأن المسيا ما كان قد أتى قبله . ننتقل الى نبى الاسلام — ﷺ — لنطبق عليه الأوصاف الثلاثة .

وقبل أن نطبق الأوصاف . نذكر باننا قلنا : ان نبوءات الأسفار الخمسة التى تدل على مجىء المسيا قال علماء كثيرون من أهل الاسلام وأهل الكتاب بانها تنطبق على نبى الاسلام ﷺ فيكون هو المسيا . ونقول : بأن لقب المسيا هو لقب محترم عند اليهود ، وليس شائنا ، فانه كان من الالقاب المعظمة التى يحملها العظماء ، ويتفاخرون بحملها ، فقد جاء فى التوراة أن داود — عليه السلام — كان يطلب من الله النصر ويستعطفه بمثل قوله : « انظر ياألله ، والتفت الى وجه مسيحك » (مز ٨٤ : ٩) وجاء فيها أن يهوذا المكابى كتب خطابا « الى أرسطو بولس مؤدب بطلماوس الملك الذى من ذرية الكهنة المسحاء » (٢ مك ١ : ١٠) وكان الشخص الذى يحمل لقب المسيح تكون ذاته مصونة مقدسة ولا يعتدى عليها أحد بسوء ، حتى ولو كان مخطئا ، تقول التوراة : ان أحد رجال داود — عليه السلام — اراد قتل شاول فمنعه داود قائلا : « لا تهلكه فمن ذا الذى يمد يده الى مسيح الرب ويتبرأ ؟ » (١ صم ٢٦ : ٩)

---

(٢٨) حياة المسيح ص ٨٣١ فردريك .و. فارار

(٢٩) ١٦٠ ملكوت الله .

• • •   • • •   • • •

والاوصاف التى وردت فى التوراة عن المسيا خلاصتها : انه يكون مماثلا لموسى — عليه السلام — وفى القرآن الكريم عن نبى الاسلام — ﷺ — : « انا أرسلنا اليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا الى فرعون رسولا » (المزمل ١٥) فقد صرح القرآن بالمثلية ، بين موسى ومحمد — عليهما السلام — ولم تصرح الاناجيل الاربعة بما يفيد مثلية عيسى بموسى . ففى يوحنا يقول عيسى لليهود : « لا تظنوا أنى أشكوكم الى الآب ، يوجد الذى يشكوكم ، وهو موسى الذى عليه رجاؤكم » (يوحنا ٥ : ٤٥)

وصفات المماثلة : محددة بالملك الذى يتمثل فى الرئاسة ، ومحددة بالكهانة التى تتمثل فى الشريعة ، والدعاء للمؤمنين بالبركة فى الاعمال والأرزاق ، ومحددة بالنبوة التى من مستلزماتها : المعجزات .

اما عن الرئاسة . ففى القرآن الكريم عن النبى ﷺ : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » (النساء ٦٥) وفى الاناجيل عن عيسى - عليه السلام — : « قال له واحد من الجمع : يا معلم قل لأخى أن يقاسمنى الميراث . فقال له : يا انسان من أقامنى عليكما قاضيا أو مقسما ؟ » (لو ١٢ — ١٣ — ١٤) وقد هرب من الذين أرادوا أن يجعلوه ملكا . كما فى الاصحاح السادس من انجيل يوحنا .

وأما عن المماثلة فى الشريعة والنبوة . ففى القرآن الكريم عن هيمنة القرآن على التوراة : « وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه » (المائدة ٤٨) وفى القرآن الكريم يقرن الله عز وجل بين شريعة موسى وشريعة النبى فيقول : « ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة . وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا » (الأحقاف ١٢) والانجيل كتاب خالى من تشريع الا من مواعظ وحكم وأمثال وتنبؤات عن نبى الاسلام ﷺ . وقد أحال أتباعه الى تشريعات التوراة .

وأما عن المماثلة فى الدعاة للمؤمنين بالبركة فى الاعمال والارزاق بعد تقبل الصـــدقات والتبرعات . ففى القرآن الكريم عن النبى ﷺ : « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها ، وصل عليهم ان صـــلاتك سكن لهم . والله سميع عليهم » (التوبة ١٠٣) والمعنى : أن الرسول ﷺ يأخذ من الاغنياء صدقة تدل على صحة ايمانهم وصدق باطنهم مع ظاهره . وهذه الصدقة تكون مطهرة لقلوبهم ، ومزكية لنفوسهم « وصـــل عليهم » معناها : اعطف عليهم بالدعاء لهم ، وترحم . ومعنى : « ان صلاتك سكن لهم » يســـكنون اليه وتطمئن قلوبهم ، وأن الله قـــد تاب عليهم . وفى الانجيل عن عيسى ـــ عليه الســـلام ـــ أنه شـــفى رجلا من البرص . ثم قال له : « اذهب ار نفسك للكاهن ، وقدم القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم » (متى ٨ : ٤) أى ليس له من الامر شيء .

***

وإذا رجعنا الى فكرة اليهود العامة عن المسيا وهو أنه ســـيكون محاربا عظيما ، وقائدا منتصرا ، وأنه سيخلص أورشليم من الاحتلال الاجنبى نجد أن هذه **الفكرة لا تنطبق تمام الانطباق الا على نبى الاسلام** ـــ ﷺ ـــ فقد ظهر فى مكة ، وليس له حول ولا طول وما هى الا سنوات معدودات حتى أصبح الرئيس الحاكم على شبه الجزيرة العربية بسيفه ورمحه ، ليحق الحق ويبطل الباطل ، كما حارب موسى من قبل ثم وجه الجيوش لغزو الروم لتحرير أورشليم وسائر بلاد فلسطين . وقال قبل رحيله بقليل : « انفذوا بعث أسامة » قائد الجيش المتوجه لهذا الغزو . وبالفعل تم النصر ، وتحررت البلاد ، وظل علم الاسلام يرفرف عليها الى يومنا هذا ، وسيظل الى الأبد . وتحقق عنه كلام داود : **« عوضا عن آبائك يكون بنوك ، تقيمهم رؤساء فى كل الأرض »** (مز ٤٥ : ١٦)

***

(**تم الجزء الاول** من كتاب « البشارة بنبى الاسلام فى التـــوراة والانجيل » **ويليه الجزء الثانى** وموضوعه : نبى الاسلام فى الانجيل)



الدكتور أحمد حجازي السقا

البشارة بنبي الإسلام في التوراة والإنجيل

الجزء الثاني

ملتزم الطبع والنشر
دار البيان العربي بمصر
درب الأتراك - خلف جامع الأزهر


بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الثانى

فى

نبى الاسلام فى الانجيل

الفصل الأول

فى
المسيح عيسى بن مريم
حياته ودعوته

١ ــ أرض فلسطين :

كانت « فلسطين » زمن ظهور عيسى ــ عليه السلام ــ واقعة تحت احتلال دولة الروم . وكانت تنقسم اداريا الىسبعة أقسام . منها أربعة غربى نهر الأردن هى : ١ ــ الجليل شمالا . ٢ ــ والسامرة جنوب منطقة الجليل ٣ ــ واليهودية . ٤ ــ وأيدومية ، وثلاثة أقسام شرقى نهر الأردن ١ ــ قسم فىالشمال الشرقى ويضم خمس دوائر صغيرة تقع بين جبل حرمون ، ونهر اليرموك هى : ايطورية ، وتراخونيتس وبتانية ، وأورنيتس ، وجولانيتس . ٢ ــ وقسم أوسط . وكان يسمى العشر مدن ٣ ــ وبيريه .

ولما ولد عيسى عليه السلام كان « هيرودس الكبير » يملك على كل « فلسطين » واليا من قبل الروم ، عدا دائرة العشر مدن ، فقد كانت تتبع فى الحكم ولاية « سوريا » . وبعد وفاة « هيرودس » اقتسم مملكته ثلاثة من أبنائه بناء على وصيته ، فملك « أرخيلاوس » على « السامرة » و « اليهودية » و « أيدومية » ، وفيلبس على الجزء الشمالى الشرقى من نهر الأردن ، وهيرودس انتيپاس على « الجليل » و « بيريه » ، وابان نبوة عيسى ــ عليه السلام ــ كان « فيلبس » و « هيرودس انتيپاس » لا يزالان على كرسيهما ، أما اليهودية والسامرة ، وشمالى أيدومية فكان عليهم « بيلاطس البنطى » (١) .

٢ ــ الحالة الدينية لبنى اسرائيل :

كان بنو اسرائيل كثيرين جدا فى ذلك الوقت ، وكان يوجد عداء لا يطاق

---

(١) ص ٣٤ انجيل متى للأنبا اثناسيوس .

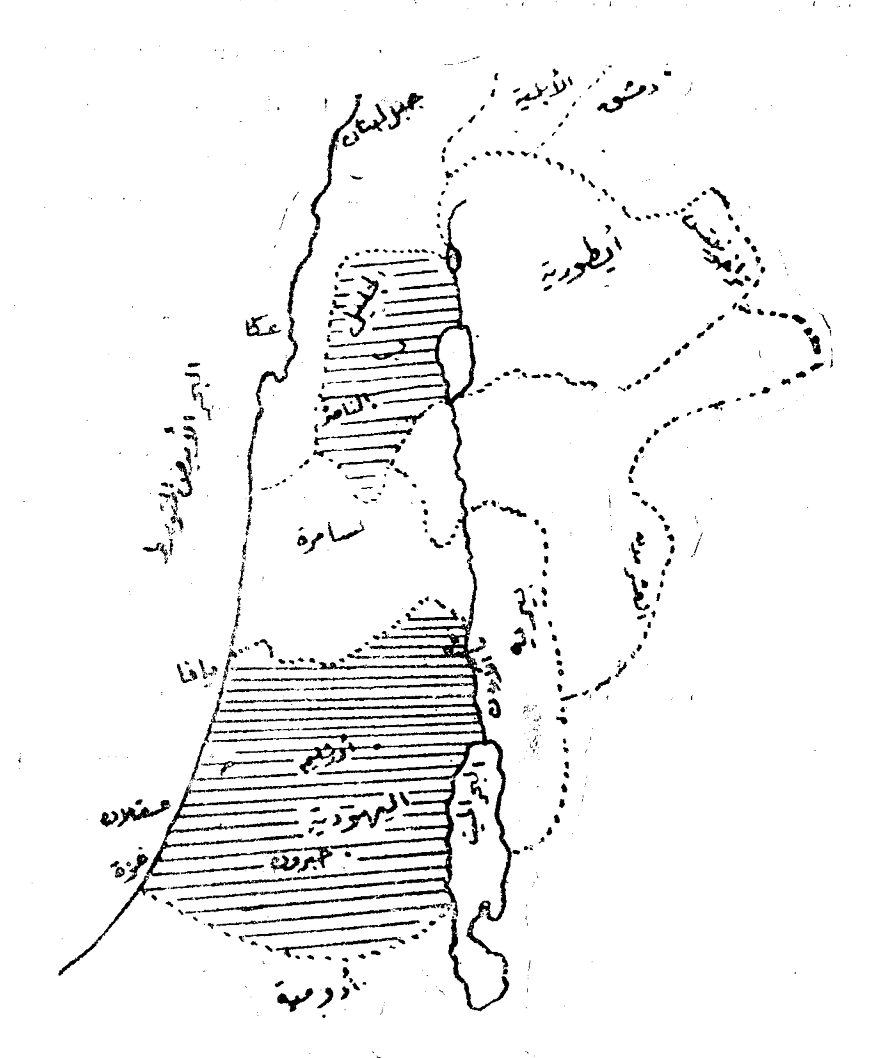
بين اليهود السامريين واليهود العبرانيين ، لدرجة أن اليهود العبرانيين ، فى يوم من الأيام قالوا لعيسى — عليه السلام — : « انك سامرى وبك شيطان » (يوحنا ٨ : ٤٨) وكان كل فريق منهم يمارس شعائره الدينية فى ظل احتلال دولة الروم . وكا يوجد عند اليهود العبرانيين هيكل سليمان وبجواره أروقة يسكن فيها طلاب العلم ، ويتربى فيها صغار الأولاد من ذكور واناث ، الأولاد الذين نذرهم أهلوهم للعلم والدين .

مريم فى هيكل سليمان بالقدس :

وفى ذلك الزمان كانت امرأة عمران ، تحس بحمل فى بطنها ، وتقربا الى الله عز وجل قالت امرأة عمران : « رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا، فتقبل منى ، انك أنت السميع العليم . فلما وضعتها قالت : رب انى وضعتها أنثى . والله أعلم بما وضعت ، وليس الذكر كالأنثى ، وانى سميتها مريم ، وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم ، فتقبلها ربها بقبول حسن ، وأنبتها نباتا حسنا ، وكفلها زكريا ، كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله ، ان الله يرزق من يشاء بغير حساب » (آل عمران ٢٥ — ٢٧) كانت تتمنى أن يكون ذكرا ليقوم بواجب الوعظ والارشاد فى مجامع بنى اسرائيل طول عمره ، ويتصدر مجالس الدرس والافتاء ، لأن الأنثى لا يسمح لها بذلك . وبعد ما صلحت للذهاب الى الهيكل واستطاعت أن تعى ما يلقى اليها ، انطلقت بها أمها الى الهيكل فتنافس الأحبار « أيهم يكفل مريم » وكل يدلى بحجته فى كونه أحق بها وأولى . وكانت من نصيب زكريا النبى عليه السلام. وكان كلما زارها فى الهيكل وناقشها فى العلم والدين يجد عندها سعة اطلاع ، وقوة فهم ، فيسألها وهو مغتبط بحالها : « يا مريم أنى لك هذا ؟ قالت : هو من عند الله » .

٤ — الحمل بعيسى عليه السلام :

وبعدما اتمت معرفة مقاصد الشريعة وآدابها ، وصح جسمها وعقلها ، جاءها فى الهيكل ملاك الله جبرائيل ، متمثلا فى هيئة بشر سوى الخلقة حسن المنظر « قالت : انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا ، قال انما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا ، قالت أنى يكون لى غلام ، ولم يمسسنى بشر ،



خريطة تبين أرض اليهودية التي ولد فيها يوحنا المعمدان ويسوع
وتبين تقسيم أرض فلسطين بين ولاة وحكام تابعين للروم

ولم اك بغيا ؟ قال : كذلك قال ربك : هو على هين ، ولنجعله آية للناس ، ورحمة منا . وكان أمرا مقضيا » (مريم ١٧ — ٢١) والمعنى : أنها لما استبعدت ذلك من جهة العادة ، أحالها الى قدرة الله عز وجل التى لا تحد ، وبين لها انه سيكون آية دالة على قدرته ، وسيكون سبب رحمة للذين يؤمنون بدعوته من بنى اسرائيل وغيرهم . وهذا أمر لا جدال فيه ، لأنه تم بقضاء الله وقدره . ومن ذلك الحين أصبحت مريم حاملا . بعيسى النبى عليه الســـلام .

٥ — ولادة عيسى عليه السلام :

ولما شعرت بدنو الوضع بعد تسعة اشهر ، انصرفت من الهيكل الى مدينة الخليل — التى تسمى قديما بحبرون — حيث أهلها يقيمون . وفى الطريق فاجأها المخاض فى بيت لحم . ففى القرآن الكريم : « فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ، فاجاءها المخاض الى جذع النخلة ، قالت يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا ، فناداها من تحتها : ألا تحزنى قد جعل ربك تحتك سريا ، وهزى اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ، فكلى وأشربى وقرى عينا ، فاما ترين من البشر أحدا فقولى : انى نذرت للرحمن صوما . فلن اكلم اليوم انسيا » (مريم ٢٢ — ٢٦) .

٦ — مناقشـــة :

ان النصارى يقولون : ان أهل مريم كانوا يسكنون فى منطقة الجليل فى قرية تسمى « الناصرة » ومريم أتت مع خطيبها يوســـف النجار الى « بيت لحم » ليسجلا أسميهما فى تعداد السكان ، الذى كان فى عهـــد « أوغسطس » قيصر الرومان ، وقالوا ان مجيئهما الى « بيت لحم » بالذات لأنهما من عشيرة داود عليه السلام ، ولما لم يجدا فندقا يقيمان فيه ، نزلا فى نزل ، جعل مأوى للرعاة . وفى حظيرة للبقر ولد يسوع المسيح (لوقا ٢ : ١ — ٧) والذى دفعهم الى هذا القول أمران :

الأمر الأول : زعمهم : أن فى التوراة نبوءة تدل على أن عيسى سيدعى ناصريا .

والأمر الثانى : أن اليهود كتبوا فى التوراة انه سيخرج من بيت لحم مدبر يرعى شعب اسرائيل .

والحقيقة غير هذا .

أما عن الأمر الأول : فيقول متى : « سكن فى مدينة يقال لها ناصرة لكى يتم ما قيل بالأنبياء : أنه سيدعى ناصريا » (متى ٢ : ٢٣) ولا يوجد فى اى كتاب من كتب الأنبياء هذه العبارة . يقول الأنبا اثناسيوس « لا توجد فى العهد القديم — أى التوراة — نبوءة بهذا النص » (٢) ويقول متى هنرى « هذه التسمية بالذات لم يتنبأ بها أى نبى » (٣) وأضيف الى ذلك : أن مدينة الناصرة كانت من نصيب سبط زبولون بن يعقوب ، وعيسى من سبط لاوى . وأبناء هارون الذين منهم عيسى ، سكناهم كان فى أرض اليهودية ، مع سبط يهوذا . فمن الذى أسكنه «الناصرة» وأخرجه من ارض عشيرته ، وبين المكانين آلاف الأميال وسفر أيام ؟ وأضيف أيضا : ان « الناصرة » فى قرى الجليل ، وأهل الجليل كلهم من يهود السامرة ، والعداء مستحكم بين السامرة ويهود أورشليم ، والاتصال بينهم ممنوع . ولئن قبل يهود أورشليم نبيا من سكان السامرة ، فكيف سمحوا لسامرى من صغره بالمقام فى هيكل سليمان ؟

وأما عن الأمر الثانى : فيقول متى : « هكذا مكتوب بالنبى : وأنت يا بيت لحم ارض يهوذا لست الصغرى بين رءوساء يهوذا ، لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى اسرائيل » (متى ٢ : ٥ — ٦) يشير بالنبى الى (ميخا ٥ : ٢) وهذا مردود بأن سفر ميخا من الأسفار المحذوفة عند السامريين ، وبأن عيسى لم يكن ملكا على شعب اسرائيل . وفوق ما تقدم نجد تعداد السكان هذا الذى أشار اليه لوقا مشكوكا فيه من النصارى أنفسهم . (كما فى ترجمة الكاثوليك والبروتستانت فى لو ٢ : ٢) فالحق هو الذى أشار اليه القرآن الكريم فى هذا الأمر وهو : انها لما خرجت من هيكل سليمان ذاهبة الى أهلها فى مكان سكناهم فى حبرون فاجأها المخاض الى جذع النخلة ، وهو مكان بين أورشليم وحبرون (٤) فقالت

---

(٢) ص ١٠٧ تفسير انجيل متى للأنبا اثناسيوس .

(٣) ص ٧٧ تفسير انجيل متى لمتى هنرى ج ١ .

(٤) يقول الدكتور « فردريك فارار » منكرا ولادة عيسى فى بيت لحم « ليس من النادر فى فلسطين أن يكون الخان (حظيرة البقر) جميعه —

فى نفسها : بماذا أقابل أهلى ، وكيف أقنعهم بأمر الله ؟ وعلى سنة الطبيعة البشرية فى كل انسان — كما خاف موسى من سحر آل فرعون — قالت : « يا ليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا » أى شيئا هينا ، لهوانه لا يذكره الناس ولا يتألمون لفقده . ولقد طمأنها الله عز وجل بنطق الغلام الذى ولدته ، فناداها قائلا : « ألا تحزنى . قد جعل ربك تحتك سريا » أى غلاما سيكون سيدا عظيما (٥) .

٧ — نسب عيسى — عليه السلام — :

ويقص القرآن الكريم خبر وصولها الى أهلها هكذا : « فأتت به قومها تحمله ، قالوا : يا مريم لقد جئت شيئا فريا ، يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا . فأشارت اليه ، قالوا : كيف نكلم من كان فى المهد صبيا ؟ قال : انى عبد الله ، آتنى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة مادمت حيا ، وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ، ويوم أموت ، ويوم أبعث حيا » (مريم ٢٧ — ٣٣) وقد أشار القرآن الكريم بعبارة : « يا أخت هرون » الى نسب عيسى الى هارون النبى أخى موسى عليهما السلام . لنقض ادعاء النصارى : انه ينتسب الى داود النبى عليه السلام .

أو على الأقل الجزء الذى تبيت فيه الحيوانات — احدى المغارات التى يكثر وجودها فى التلال الجيرية . والظاهر أن هذا ما كان فى بيت لحم الصغرى فى افراتة اليهودية . ويقرر جوستاف مارتير الذى ولد فى شكيم فشب خبيرا بفلسطين ، والذى عاش فى الجيل الأول بعد الميلاد (ولد سنة ١١٣م ومات فى سنة ١٦٦م) ان مولد المسيح قد تم فى احدى المغارات أو الكهوف . وهذا هو التقليد القديم فى جميع الكنائس الشرقية والمغربية ، وهو أيضا احدى الحقائق التى وان لم تكن مسجلة فى الانجيل الا انها مرجحه » (حياة المسيح ص ٢١) .

(٥) يقول القرطبى : « والسرى من الرجال : العظيم الخصال السيد . قال الحسن : كان والله سريا من الرجال . ويقال : سرى فلان على فلان ، أى تكرم ، وفلان سرى من قوم سراة » [القرطبى فى مريم ٢٤] .

وبيان هذا النسب فى القرآن ، وفى الانجيل هكذا :

أولا — نسب عيسى فى القرآن الكريم :

جاء فى التوراة أن أولاد يعقوب عليه السلام كانوا اثنى عشر ولدا وثالثهم يسمى بـ « لاوى » ، وقد اختص الله ذرية لاوى للعلم والتعليم . واختص نسل هارون من سبط لاوى ليكون منهم الكهنة المقربين للذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية ، وليكون منهم القائمين بخدمة الاحتفالات وتطهير الآنية المقدسة فى الهيكل ، والتصويت بالأبواق ، والقضاء ، وتقدير المال للافتداء ، وتفسير التوراة للشعب (الخروج ٢٨ ، أخبار الأيام الأول ٢٤ : ٤ ، أخبار الأيام الثانى ٢٦ : ١٨) .

وقد أنجب لاوى : قهات ، وأنجب قهات : عمرام ، وأنجب عمرام : هرون وموسى عليهما السلام ، وابنة تسمى مريم . على اسمها تسمت مريم أم عيسى عليه السلام ، وبينهما نحو ١٥٧١ سنة بحساب النصارى . (أخبار الأيام الأول ٦ : ١ — ١٥)

ومن نسل هارون عليه السلام جاءت مريم رضى الله عنها ، خلافا لما يزعم النصارى أن مريم من نسل داود من سبط يهوذا . وقد أشار القرآن الكريم الى ذلك فى قوله تعالى عن مريم « يا أخت هرون ما كان أبوك امرأ سوء ، وما كانت أمك بغيا » (مريم ٢٨) وفى قوله تعالى « ومريم ابنة عمران » (التحريم ١٢) وفى آية الاصطفاء « ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم ، اذ قالت امرأة عمران : رب انى نذرت لك ما فى بطنى محررا ، فتقبل منى . انك أنت السميع العليم » (آل عمران ٣٣)

أما عن « يا أخت هرون » : فيقول الزمخشرى : « قيل هو أخو موسى صلوات الله عليهما ، وعن النبى ﷺ : « انما عنوا هرون النبى ، وكانت من أعقابه فى طبقة الأخوة ، وبينهما وبينه ألف سنة وأكثر » وعن السدى : كانت من أولاده ، وانما قيل : « يا أخت هرون » ، كما يقال يا أخا همدان ، أى يا واحدا منهم » ويقول القرطبى : « قيل : هو هارون أخو موسى ، والمراد من كنا نظنها مثل هارون فى العبادة ، تأتى بمثل هذا ؟

قيل على هذا : كانت مريم من ولد هارون أخى موسى ، فنسبت اليه بالأخوة لأنها من ولده . كما يقال للتميمى : يا أخا تميم ، وللعربى يا أخا العرب ... ومنه قوله عليه الصلاة والسلام : « ان أخا صداء قد أذن . فمن أذن فهو يقيم » .

وأما عن « ابنة عمران » و « آل عمران » و « امرأة عمران » فنقول :

(أ) لا جدال مطلقا فى أن « آل عمران » هم المتفرعون من ذرية عمرام ابن قهات بن لاوى بن اسحق بن ابراهيم ، وآخر ذريته فيمن اشتهر : مريم رضى الله عنها ، ولا يعقل أن يكون المراد بآل عمران : من جاء من عمران ، الأب المباشر لمريم . لأن الآل عبارة عن ذرية تتشعب من الأصل ، ولم يتشعب من مريم نسل الا عيسى ، وهو لم يتزوج فيقيم نسلا ، ولم يذكر فى الكتب . أن مريم كان لها اخوة من الذكور منتسبين لأبيها عمران .

(ب) ولا خلاف فى اللغة أن الابن ينسب الى أبيه المباشر ، وينسب الى الجد الكبير رب الأسرة . وعلى ذلك يجوز فى « ومريم ابنة عمران » أن تكون النسبة الى أب حقيقى مباشر ، اسمه عمران ، ويجوز أن تكون النسبة الى أب مجازى ، غير مباشر ، هو الجد الأعلى الذى هو عمرام بن قهات بن لاوى ، ومن ذريته مريم رضى الله عنها .

(جـ) ولا خلاف فى اللغة : أن النسبة فى « امرأة عمران » تصح على الحقيقة لزوج اسمه عمران ، وتصح النسبة مجازا ، لامرأة من نسل عمران الجد الكبير رب الأسرة الذى هو عمرام بن قهات . اذ يقال مثلا : رجل قريشى وابنة قريش . وامرأة قريش . ويقال : ابن مصر ، وابنة مصر ، وامرأة مصر . ويقال : فتى غسان ، وفتاة غسان ، وامرأة غسان ، وهذا على طريق الاضافة التى بمعنى اللام ، والمعنى : رجل لقريش ، أى منسوب الى قريش . وهكذا . ويجوز أن تكون الاضافة بمعنى من . أى رجل من قريش ، وابنة من قريش . وامرأة من قريش . وهكذا . ويجوز فى اللغة : نسبة الذكر والانثى . الى الأب الروحى الذى يسترشد برأيه أتباعه ، فيقال مثلا : رجل موسى أى منتسب الى شريعة موسى ، ورجل عيسى ، ورجل نبى الاسلام وامرأة موسى ، أى منتسبة الى شريعته ،

وهكذا . ويقال أيضا : ابن موسى وابن عيسى وابن نبى الاسلام لمن ينتمى الى موسى وعيسى والنبى . وابنة موسى لمن تنتمى الى شريعته ، وابنة عيسى ، وابنة نبى الاسلام . وبناء على ما تقدم فى عرف اللغة : فانه يجوز : ابن عمران ، وفتى عمران ، وفتاة عمران ، ورجل عمران ، وامرأة عمران . منتسبين الى رأس الأسرة : عمرام بن قهات .

وقصد القرآن فى نظرنا هو نسبة مريم الى الجد الأعلى ، عمرام بن قهات لا الى الأب المباشر :

(أ) لأن آية الاصطفاء ذكرت آدم أبو البشر عليه السلام ، ثم ذكرت منه نوح عليه السلام أب البشرية الثانى ، وهذا تخصيص من عام ، ثم ذكرت آل ابراهيم عليه السلام ، وهم من ذرية نوح ، ثم ذكر من آل ابراهيم : آل عمران : « ذرية بعضها من بعض » « يعنى : أن الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض » ــ كما يقول الزمخشرى ــ ومريم رضى الله عنها : من هذه الذرية المتشعب بعضها من بعض .

(ب) ولأن آية الاصطفاء ذكرت عمرانا واحدا « وآل عمران » فيكون قوله تعالى « ابنة عمران » هو المشار اليه فى آية الاصطفاء للعهد الذكرى ، ولو كان هو عمران آخر لوجدت قرينة تشير الى ذلك الآخر . وعليه قال بعض المفسرين : « المراد : عمران والد موسى وهرون . وهو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم ، فيكون المراد من آل عمران : موسى وهارون وأتباعهما من الأنبياء » (٦) .

(جـ) ولأن اللغة العربية كما أشرنا لا تمنع من هذه النسبة .

ثانيا ــ نسب عيسى فى الانجيل :

ونستدل من الأناجيل الأربعة على نسبة عيسى الى هرون بما يلى :

(أ) جاء فى انجيل لوقا ما نصه : « كان فى أيام هيرودس ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا ، من فرقة أبيا ، وامرأته من بنات هرون ، واسمها « اليصابات » (لوقا ١ : ٥ ــ ٦) وهــذا النص يبين : أن

---

(٦) ص ٢٤ جـ ٨ التفسير الكبير لفخر الدين الرازى .

أليصابات امرأة زكريا من بنات هرون ، ويبين : أن زكريا من فرقة أبيا وهي من أولاد هارون (أخبـــار الأيام الأول ٢٤ : ١ — ١٠) وهذا الزواج شرعي ، بحسب نصوص التوراة التي تحتم على كل رجل يهودي ان اراد الزواج من يهودية ، أن يتزوج من سبطه ، وكل امرأة تتزوج في سبطها من اجل وحدة كل سبط وتميزه عن غيره .

تقول التوراة : « وكل بنت ورثت نصيبا من أسباط بني اسرائيل تكون امرأة لواحد من عشيرة سبط أبيها ، لكي يرث بنو اسرائيل كل واحد نصيب آبائه ، فلا يتحول نصيب من سبط الى سبط آخر ، بل يلازم أسباط بني اسرائيل ، كل واحد نصيبه » (العدد ٣٦ : ٨ — ٩)

وفي انجيل لوقا : أن مريم نسيبة لأليصابات في هذا النص : « وهو ذا اليصابات نسيبتك » (لوقا ١ : ٣٤) قال لها الملاك ذلك ، وهو يحدثها عن الحمل بعيسى بدون بشر .

فقول الملاك ان أليصابات نسيبة لمريم ، يدل على أن مريم من النسل الذي منه اليصـــابات . وهو نسل هرون . لأن النسب عندهم بمعنى القرابة . يقول بولس : « اني كنت أود لو أكون أنا نفسي محروما من المسيح ، لأجل اخوتي أنسبائي ، حسب الجسد ، الذين هم اسرائيليون ولهم التبني والمجد والعهود والاشتراع ... الخ » (رومية ٩ : ٣—٥) ويقول بولس ايضا : « أيها الأمم : بما أني رسول للأمم ، أمجد خدمتي ، لعلي أغير أنسبائي وأخلص اناسا منهم » (رومية ١١ : ١٣ — ١٤) يقصــد تخليص اليهود من الكفر بعيسى ، ويقـــول الدكتور فردريك فارار : « النسب : القرابة » (٧)

(ب) اتفقت الأناجيل الأربعة على أن عيسى عليه السلام كان يدخل مجامع اليهود الدينية ويعظ الناس ، وكان يخطب كثيرا في هيكل سليمان . وكان تلاميذه ينادونه بلقب الربي أو المعلم الصالح . ولا يقوم بهذا العمل الا من كان من نسل لاوي . ولا ينادى بالربي الا من يكون من نســـل هرون عليه السلام .

---

(٧) حياة بولس ص ٦٢ جـ ١ .

٨ ـــ أرض الأسرة :

فى التوراة أن يشوع بن نون لما احتل أجزاء من أرض فلســـطين، قسمها بالقرعة على أسباط بن اسرائيل دون سبط لاوى ، الذى جعله بناء على وصية موسى ـــ عليه السلام ـــ متفرقا وســـط الأسباط ، وجعل ذرية هارون من سبط لاوى فى ثلاث عشرة مدينة . تسع مدن من أرض يهوذا وشمعون ، وأربع مدن من أرض بنيامين (يشوع ٢١ : ١ ـــ ١٩) ومن مدن أبناء هارون التى سكنوها من أرض يهوذا : (قرية أربع هى حبرون (٨)) وبجوار هذه القرية على مســـافة قليلة : أرض يوطاة . التى عاش فيها زكريا ـــ عليه السلام ـــ وفيها ولد يحيى ـــ عليه السلام ـــ وفى حبرون كانت أسرة عيسى ـــ عليه السلام ـــ لأنهم جميعا من أبنـــاء هارون .

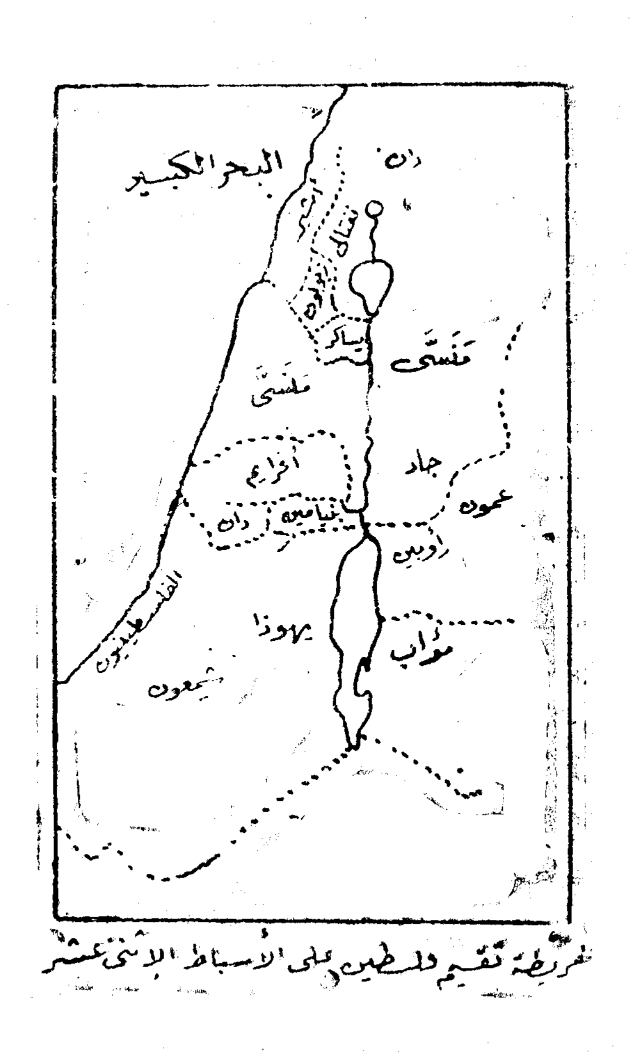
يقول الدكتور جورج بوست فى قاموس الكتاب المقدس : « يوطه : مدينة فى جبال يهوذا بقرب معول وكرمل (يشوع ١٥ : ٥٥) أعطيت للكهنة (يشوع ٢١ : ١٦) وهى هنا مكتوبة يطة . وقال « أوسبيوس » : انها قرية كبيرة على بعد ١٩ ميلا جنوبى اليوثر وبولس . وظن « ريلاند » : أنها مدينة يهوذا (لوقا ١ : ٣٩) التى سكنها زكريا أبو يوحنا ، وهى يطة ، على بعد خمسة أميال جنوبى الخليل » يقصد « ريلاند » فى (لوقا ١ : ٣٩) ان الملاك لما بشر مريم فى الهيكل بالحمل بدون بشر ، ومضى من عندها الملاك « قامت مريم فى تلك الأيام وذهبت بسرعة الى الجبال الى مدينة يهوذا » فذهابها الى مدينة يهوذا ، عقب الحمل مباشرة : دليل على أن قومها يسكنون فى الأرض المخصصة للكهنة من سبط يهوذا . وليس فى الناصرة احدى قرى الجليل . كما يزعم النصارى .

٩ ـــ الاســـم واللقب :

ولما ولد عيسى عليه السلام سمته أمه حسب قول الملاك لها : يسوع (لوقا ١ : ٣١) وهو اسم عبرى كان يسمى به بابدال السين شينا ويقول النصارى : ان معناه : مخلص ولقد تسمى به من قبل : يشوع بن نون ،

---

(٨) مدينة الخليل .



خريطة تقسيم فلسطين على الأسباط الاثني عشر

فتى موسى ، ولم يكن يوم أن سمى به مخلصا ، وتسمى به يشـــوع بن يهوصاداق الكاهن الذى رجع مع اليهود من سبى « بابل » ولم يكن يوم أن سمى به مخلصا ، أما اسم عيسى الذى أورده القرآن الكريم ، فقد جاء عنه فى كتب النصارى مانصه : (أما كلمة عيسى : فالراجح أنها معربة عن الكلمة اليونانية : ايسا ، والتى تنطلق فى حالة الرفع : أيسوس(٩)) وفى كتاب حياة المسيح للدكتور فردريك . و. فارار : صورة لعيسى عليه السلام مكتوب تحتها ما نصه : (صـــورة للسيد : هذه صورة نصفية مكبرة مرتين عن الأصل . مأخوذة عن زمردة خضراء ، وتظهر بوضوح فن القرن السادس ، وتمثل السيد بوجه كامل ، مرتديا قميصا وعباءة ، ويده اليمنى كالعـــادة مرفوعة بالبركة ويساره تحمل كرة ، رمزا لسلطانه على كل الأرض ، والحروف الجانبية : اختصار : ايسوس بخرستوس . أى يسوع المسيح (١٠) » والاسم العبرى يشوع ، ينطقه اليهود : أيشوع . وقد جاء هكذا بحسب النطق فى كتب المسلمين القدماء ، وفى التراجم القديمة للأناجيل ، التى اكتشفت فى دير سانت كاترين بسيناء .

أما كلمة «المسيح» فهى أصلا فى العبرية : همشيح . بمد الهاء والميم مفتوحتين مفخمتين ، ومعناها الممسوح . وفى الآرامية : مشـــيح . وفى اليونانية : مسيح . وفى بعض اللغات التى لا يوجد فيها حاء ، جاءت الكلمة : مسيا . وهى الآن شائعة فى التراجم العربية الحالية . يقولون : « مسيا الذى تفسيره المسيح » (يوحنا ١ : ٤١) . وكلمة ممسوح : على الحقيقة من المسح بالدهن المقدس ، أو صب الزيت على الرأس ، لمن يعينه الله نبيا أو كاهنا أو ملكا . وهى على المجاز تعنى المعين من الله ، حتى ولو لم يمسح .

وكلمة المسيح لقب لعيسى ، لا اسم . وهو لقب يطلق عند اليهود على النبى والكاهن والملك وقد أطلق هنا على عيسى بحسب ما اشتهر به بين الناس وعرف به مستقبلا . فبشارة الملائكة لمريم وهى فى الهيكل : « ان الله يبشرك بكلمة منه : اسمه المسيح عيسى بن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ، ويكلم الناس فى المهد وكهلا ، ومن الصـــالحين »

---

(٩) ص ٦٩ انجيل برنابا فى ضوء التاريخ والعقل والدين .
(١٠) ص ٥٦٦ حياة المسيح لفردريك .

معناها ستحملين بولد من غير بشر ، لأن الله اذا قال لشيء كن يكون .
وهذا الذى سيكون منك بكلمة : كن . سيكون اسمه فى المستقبل الذى يشتهر به بين الناس فى جميع أنحاء العالم الى يوم القيامة ، سيكون اسمه (المسيح عيسى بن مريم) وأنه سيكون بعد ولادته بمدة : وجيها فى الدنيا . لأنه سيكون فى نظر الناس نبيا عظيما ، وسيكون فى الآخرة أيضا وجيها . لأنه لم يزد ولم ينقص من شرع الله شيئا ، وسيكون من المقربين ، لأمانته ونزاهته ، وسيكلم الناس صغيرا وكبيرا ، وسيكون صالحا . وكل هذه الأوصاف الطيبة عنه ، ليست حال الولادة ، بل منها ما سيحدث بعد مدة من الزمان . ويؤكد هذا : أنه استطرد فى الحديث عن معجزاته ودعوته وقال : « انى قد جئتكم بآية من ربكم ... الخ » فى سياق الحديث المتصل بالبشارة ، وما كان قد ولد بعد .

ودليلنا على ذلك أيضا : أن مريم لما أتت به قومها تحمله ، واستنكروا منها حالها الذى يدل على ريبة ، أشارت اليه أن يتحدثوا معه « قال : انى عبد الله . آتانى الكتاب ، وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت ، وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا ، وبرا بوالدتى ، ولم يجعلنى جبارا شقيا ، والسلام على يوم ولدت ، ويوم أموت ويوم أبعث حيا » فقوله : انه أوتى الكتاب ، وانه نبى ... الخ هذه الأوصاف التى كانت له مستقبلا ، لا ساعة الكلام . يدل على أن المقصود بتعبير البشارة : هو ما سيكون فى المستقبل . اشارة الى تحقق وقوعه . يقول الزمخشرى رحمه الله : « واختلفوا فى نبوته . فقيل : أعطيها فى طفوليته ، وأكمل الله عقله ، واستنبأه طفلا ، نظرا فى ظاهر الآية . وقيل : معناه أن ذلك سبق فى قضائه ، أو جعل الآتى لا محالة ، كأنه قد وجد » (١١) ويضعف القرطبى الرأى الأول ، ويصحح الرأى الثانى فيقول : « حكم لى بايتاء الكتاب والنبوة فى الأزل ، وان لم يكن الكتاب منزلا فى الحال ، وهذا أصح » ويؤكد القرطبى رأيه بقوله : « لم ينقل أنه دام نطقه ، ولا أنه كان يصلى ، وهو ابن يوم أو شهر ، ولو كان يدوم نطقه ، وتسبيحه ووعظه وصلاته فى صغره ، من

(١١) انظر تفسيره الكشاف فى مريم ٢٩ — ٣٣

وقت الولادة لكان مثله مما لا ينكتم ، وهذا كله مما يدل على فساد القول الأول ويصرح بجهالة قائله » (١٢)

١٠ — ثقافته في كتب النصارى :

في الاصحاح الثلاثين من سفر العدد عن النذر لله تعالى : « اذا نذر رجل نذرا للرب ، أو أقسم قسما : أن يلزم نفسه بلازم ، فلا ينقض كلامه ، حسب كل ما خرج من فمه يفعل . وأما المرأة فاذا نذرت نذرا للرب والتزمت بلازم في بيت أبيها في صباها ، وسمع أبوها نذرها ، واللازم الذي ألزمت نفسها به ، فان سكت أبوها لها ، ثبتت كل نذورها ، وكل لوازمها التي ألزمت نفسها بها : تثبت .. الخ » . وفي الاصحاح السادس من سفر العدد : « اذا انفرز رجل أو امرأة ، لينذر النذير ، لينتذر للرب . فعن الخمر والمسكر يفترز ، ولا يشرب خل الخمر ، ولا خل المسكر ، ولا يشرب من نقيع العنب ، ولا يأكل عنبا ، رطبا ولا يابسا . كل أيام نذره . لا يأكل من كل ما يعمل من جفنة الخمر ، من العجم حتى القشر . كل أيام نذر افترازه ، لا يمر موسى على رأسه . الى كمال الأيام التي انتذر فيها للرب . يكون مقدسا ويربي خصل شعر رأسه ... الخ »

وعلى سنة هذه الشريعة : كانت مريم رضي الله عنها نذيرة لله من البطن الى يوم موتها [قضاة ١٣ : ٧] ولم تتزوج — لا قبل ولادة عيسى ولا بعد ولادته — وكان عيسى ويحيى عليهما السـلام معطيان للرب كل أيام حياتهما [صموئيل الأول ١ : ١١] ولم يتزوجا . و « بعض المؤرخين يحسب السيد المسيح من النذيرين » (١٣) وهذا الحسـبان هو حقيقة ، لأن صورته في الكنائس تدل على نذره ، لطول شعره وانسداله على كتفيه . ويفسر الأستاذ العقاد — رحمة الله عليه — « حصورا » التي وردت في القرآن عن يحيى عليه السلام بقوله : « وقد نشـأ الطفل منذورا للبتولية . وذلك معنى وصفه في القرآن الكريم بالحصور » .

والمنذور في شريعة بني اسرائيل يعطى لله كل أيام حياته ، فيتعلم

(١٢) انظر تفسير الجامع لأحكام القرآن في مريم ٢٩ — ٣٣

(١٣) ص ٣٩ عبقرية المسيح للعقاد .

العلم ان كان من اللاويين ويقوم بواجب الشريعة بين الناس ، وان كان من غير اللاويين فللجهاد فى سبيل الله . ولما انتذر يحيى وعيسى لله عز وجل دخلا هيكل سليمان فى أورشليم للسماع من علماء بنى اسرائيل . يقول لوقا عن عيسى : وفى سن الثانية عشرة : كان « فى الهيكل جالسا فى وسط المعلمين ، يسمعهم ويسألهم . وكل الذين سمعوه ، بهتوا من فهمه وأجوبته » [لوقا ٢ : ٤١ — ٤٩] .

ويقول الدكتور فردريك . فارار : « كانت اللغة الآرامية هى التى يتحدث بها السيد عادة ، ومع أن اللغة العبرانية فى أيامه كانت لغة قديمة ، لا يعرفها سوى المتعلمين ، ولا تحفظ الا بجهد ، غير أن يسوع كان يتحدث بها ، وهذا ظاهر من الاقتباسات التى أخذها رأسا من العبرانية . وكذلك كان يتكلم باليونانية . ويحتمل أيضا : أنه تحدث باللاتينية . لأن الرومان كانوا كثيرين فى اليهودية » (١٤) ولا شك أن من يعرف هذه اللغات يعرف أيضا شيئا من آدابها وفلسفاتها .

١١ — معجزاته :

لما كبر فى السن آتاه الله النبوة . ويقول النصارى : ان ذلك كان فى نحو الثلاثين من العمر . وهو عندهم على سبيل الظن (لوقا ٣ : ٢٣) واستمر فى النبوة سنتين وشهورا ، ثم رفع الى السماء ، والقرآن صرح بأنه كان نبيا حالة كونه كهلا . والكهل : هو الشيخ الكبير فى السن (١٥). وصرح بأن الله أيده بمعجزات فى قوله تعالى « اذ قال الله يا عيسى ابن مريم : اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك . اذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس فى المهد وكهلا ، واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ، واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى ، فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى ، وتبرىء الأكمه والأبرص باذنى ، واذ تخرج الموتى باذنى . واذ كففت بنى اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات . فقال الذين كفروا منهم : ان هذا الا سحر مبين ،

---

(١٤) ص ٩٠ — ٩١ حياة المسيح لفردريك .

(١٥) فى تفسير القرطبى (فى آل عمران ٤٦) : « قال المهدوى : وفائدة الآية : انه اعلمهم أن عيسى عليه السلام يكلمهم فى المهد ، ويعيش الى أن يكلمهم كهلا » ، وروى عن النحاس الكهل « عندأهل اللغة من ناهز الأربعين»

واذ أوحيت الى الحواريين : أن آمنوا بى وبرسولى . قالوا : آمنا . وأشهد بأننا مسلمون » (المائدة ١١٠ — ١١١) ويقول تعالى : « ورسولا الى بنى اسرائيل : أنى قد جئتكم بآية من ربكم : أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص ، وأحيى الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم . ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين . ومصدقا لما بين يدى من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وجئتكم بآية من ربكم . فاتقوا الله وأطيعون . ان الله ربى وربكم فاعبدوه . هذا صراط مستقيم » (آل عمران ٤٩ — ٥١)

ومن هذه الآيات الكريمات . نرى معجزات حسية . هى :

١ — الكلام فى المهد .

٢ — خلقه من الطين طيرا .

٣ — ابــراء الأكمه .

٤ — شــفاء الأبرص .

٥ — احيــاء الموتى .

٦ — التنبؤ بالغيب .

ومعجزات معنوية أيده الله بها ، كنجاته من اليهود ، وايمان بعضــهم به ، ومعرفته العميقة بالكتاب والحكمة ، وفوق ذلك : آتاه الله الانجيل فيه هدى ونور ، وأرسله الى بنى اسرائيل ليعرفهم ، وليعرفوا الأمم بمجيىء محمد ﷺ . وذلك الذى أشار اليه القرآن الكريم موجود فى الأناجيل . صريحا وضمنا .

أما عن نجاته : فيقول يوحنا عن اليهود : « رفعوا حجارة ليرجموا يأكلون
أما يسوع فاختفى وخرج من الهيكل مجتازا فى وسطهم ومضى » عنى ، أوردها
٥٩) . آخرون لطموه .
٦٧ — ٦٨) فقوله :
وأما عن قوله « ان الله ربى وربكم فاعبدوه » : فه
عبارات الانجيل . ومن هذه العبارات : قول عيسى أحيانا بالغيب ، والا
المجدلية : « يا مريم . فالتفتت تلك ، وقالت له فى ٧٩ المسيح عيسى بن مريم
يا معلم ، قال لها يسوع : لا تلمسينى . لأنى

«ولكن اذهبى الى اخوتى . وقولى لهم : انى أصعد الى أبى وأبيكم ، والهى والهكم » (يوحنا ٢٠ : ١٦ — ١٧) والبنوة مجازية عن أن الله ولى النعم ، وكلمة : ربونى أو ربى أو رابى ، تعنى أستاذا معلما كما يقول يوحنا : « ربى الذى تفسيره يا معلم » (يو ١ : ٣٨) ويقول متى هنرى : « ان كلمة ربون ، كانت لقبا أكثر توقيرا من ربى »

وأما عن الكلام فى المهد : فهذه المعجزة لم تذكر فى كتب النصارى المعتمدة . لكن **شريعة التوراة تجيز حرق الزانية بالنار** ، اذا كانت ابنة كاهن . ومريم ابنة كاهن وقد رآها الناس تحمل ولدا وما تزوجت . فلماذا لم تحرق ؟ فى التوراة : « واذا تدنست ابنة كاهن بالزنى فقد دنست اباها . بالنار تحرق » (لاويين ٢١ : ٩) ان عدم حرقها دليل على نطق ابنها . ويقول برنابا : انه تكلم فى المهد (برنابا ٧ : ١٠) وكلامه كهلا فى الحياة الدنيا قبل رفعه الى السماء : أشار اليه انجيل يوحنا . حين قال اليهود لعيسى عليه السلام « قال له اليهود : ليس لك خمسون سنة بعد » (يو ٨ : ٥٧) ويعلق على هذه الفقرة الدكتور فردريك . فارار بقوله : « فى بعض الكتب الزائفة التى لا قيمة لها ، وردت كلمة « أربعون » بدل « خمسون » ومن المدهش حقا : أن أحد الكتاب الحديثين مثل « جروفر » يحيى الخطأ القديم الذى وقع فيه « ايرينوس » ويقول : انه يستخلص من هذه الآية : أن المسيح عاش خمسين سنة على الأرض » (١٦) ويقول متى هنرى فى تفسيره : « يقول القديس « ايريناوس » — أحد الآباء الأولين — : ان هذه العبارة (ليس لك خمسون سنة بعد) تؤيد التقليد الذى استلمه من بعض الذين عاشروا يوحنا الانجيلى : أن مخلصنا عاش خمسين

الأكمه وا(١٧) .

عنك اذ جئتهم، **خلقه من الطين طيرا** : فلم ترد هذه المعجزة فى كتب

ـها وردت فى انجيل توما ، وانجيل الطفولية . ورد فيهما

(١٤) ص ٩٠ ـطعة من الطين وشكلها على هيئة الطير ، ثم نفخ فى

(١٥) فى تفسير ا.

الآية : انه أعلمهم أن عيد ٥.٥ حياة المسيح لفردريك .

بكلمهم كهلا » ، وروى عن ا. تفسير انجيل يوحنا .

الطين ، فدبت الروح فيه ، وطار فى الجو ، وعيون الناس معلقة به (١٨)).

وأما عن ابراء الأكمه : فيقول يوحنا : « وفيما هو مجتاز رأى انسانا أعمى منذ ولادته ، فسأله تلاميذه قائلين : يا معلم . من أخطأ ؟ هذا أم أبواه حتى ولد أعمى ؟ أجاب يسوع : لا هذا أخطأ ، ولا أبواه لكن لتظهر أعمال الله فيه ... قال هذا وتفل على الأرض ، وصنع من التفل طينا ، وطلى بالطين عينى الأعمى ، وقال له : اذهب واغتسل فى بركة سلوام . الذى تفسيره مرسل ، فمضى واغتسل وأتى بصيرا » (يو ٩ : ١ — ٧)

وأما عن ابراء الأبرص : فقد ورد فى انجيل مرقس : « أتى اليه أبرص يطلب اليه جاثيا . وقائلا له : ان أردت . تقدر أن تطهرنى ، فتحنن يسوع ، ومد يده ، ولمسه . وقال له : أريد فاطهر . فللوقت وهو يتكلم ، ذهب عنه البرص وطهر » (مرقس ١ : ٤٠ — ٤١)

وأما عن احياء الموتى : فقد ورد فى انجيل يوحنا : « جاء الى القبر ، وكان مغارة ، وقد وضع عليه حجر . قال يسوع ارفعوا الحجر . قالت له مرثا أخت الميت : يا سيد قد أنتن ، لأن له أربعة أيام ، قال لها يسوع : ألم أقل لك : ان آمنت ترين مجد الله . فرفعوا الحجر ، حيث كان الميت موضوعا ، ورفع يسوع عينيه الى فوق ، وقال :أيها الآب أشكرك لأنك سمعت لى . وأنا علمت أنك فى كل حين تسمع لى ، ولكن لأجل هذا الجمع الواقف . قلت : ليؤمنوا أنك أرسلتنى ، ولما قال هذا صرخ بصوت عظيم : لعازر هلم خارجا . فخرج الميت ويداه ورجلاه مربوطات بأقمطة ، ووجهه ملفوف بمنديل . فقال لهم يسوع : حلوه ودعوه يذهب » (يو ١١ : ٣٨ — ٤٤)

وأما عن التنبؤ بالغيب : فلم يأت فى الأناجيل المعتمدة أنه نبأ بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم . ولكن وردت عبارة فى مثل هذا المعنى ، أوردها متى فى سياق محاكمة عيسى عليه السلام وهى : « وآخرون لطموه . قائلين : تنبأ لنا أيها المسيح . من ضربك ؟ » (متى ٢٦ : ٦٧ — ٦٨) فقوله : « تنبأ لنا أيها المسيح » يفهم منها أنه كان ينبؤ أحيانا بالغيب ، والا

---

(١٨) ترجمة الأستاذ جودة السحار فى ص ٧٩ المسيح عيسى بن مريم

ما سخروا منه بهذا التعبير . وجاء فى برنابا شبها بهذا المعنى أيضا (برنابا ١٣٨ : ١ ــ ١٤)

وأما عن مائدة من السماء : فقد أشار القرآن الكريم الى مائدة من السماء . طلبها الحواريون فى قوله تعالى : « اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم : هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين . قالوا : نريد أن نأكل منها ، وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا . ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا . وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين ، قال الله : انى منزلها عليكم . فمن يكفر بعد منكم . فانى أعذبه عذابا ، لا أعذبه أحدا من العالمين » (المائدة ١١٢ ــ ١١٥) . وفى انجيل يوحنا هذه العبارات : « مضى يسوع الى عبر بحر الجليل وهو بحر طبرية ، وتبعه جمع كثير ، لأنهم أبصروا آياته التى كان يصنعها فى المرضى ... فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعا كثيرا مقبل اليه . فقال لفيلبس : من أين نبتاع خبزا ليأكل هؤلاء ؟ ... فقال له واحد من تلاميذه : وهو أندراوس أخو سمعان بطرس : هنا غلام له خمسة أرغفة شعير وسمكتان . ولكن ما هذا لمثل هؤلاء ؟ فقال يسوع : اجعلوا الناس يتكئون . وكان فى المكان عشب كثير . فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف . وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ووزع على التلاميذ ، والتلاميذ أعطوا المتكئين ، وكذلك من السمكتين . بقدر ما شاءوا . فلما شبعوا . قال لتلاميذه : اجمعوا الكسر الفاضلة . لكى لا يضيع شىء ، فجمعوا وملأوا اثنتى عشرة قفة من الكسر ، من الخمسة أرغفة الشعير التى فضلت عن الآكلين ...

وجاءوا الى كفر ناحوم . يطلبون يسوع ولما وجدوه فى عبر البحر ، قالوا له : يا معلم . متى صرت هنا ؟ أجابهم يسوع وقال : الحق الحق أقول لكم : انتم تطلبوننى . ليس لأنكم رأيتم آيات . بل لأنكم أكلتم الخبز فشبعتم . اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى . للحياة الأبدية التى يعطيكم ابن الانسان (١٩) ، لأن هذا ، الله الآب قد ختمه ، فقالوا

---

(١٩) الحياة الأبدية = ملكوت السموات ، وابن الانسان : هو نبى الاسلام صاحب الملكوت .

له : ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله : أن تؤمنوا بالذى هو أرسله ، فقالوا له : فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟ آباؤنا أكلوا المن فى البرية . كما هو مكتوب : أنه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا . فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء ، بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء . لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم . فقالوا له : يا سيد . أعطنا فى كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع : أنا هو خبز الحياة . من يقبل الى فلا يجوع ، ومن يؤمن بى فلا يعطش أبدا » (يوحنا ٦)

لقد اختار صاحب « قصص الأنبياء » وهو الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار ، قصة الأرغفة الخمسة والسمكتين . موضوع المائدة . اذ ذكر عبارات متى (١٤ : ١٤ — ٢١) ثم علق عليها بقوله : « وقد ذكر باقى أصحاب الأناجيل هذه الحكاية مع بعض التخالف . وهنا أقول : ان هذه المسألة : هى مسألة المائدة السماوية . ومعنى كونها سماوية : أن الله تعالى بارك فى الطعام بطريقة غير معروفة ولا مألوفة » (٢٠) هذا كلامه بنصه . ولقد ذكر هذه القصة : متى : ١٤ ومرقس : ٦ ولوقا : ٩ ويوحنا : ٦ وانفرد يوحنا بتكملة على هذه القصة ، لم يذكرها أصحاب الأناجيل الثلاثة . والتكملة التى زادها يوحنا هى التى يشير اليها القرآن الكريم — فى نظرنا — التكملة التى تبدأ من قول يوحنا : « وجاءوا الى كفر ناحوم يطلبون يسوع ... الخ » فانهم لما جاءوا بعدما رأوا المعجزة . قال لهم عيسى عليه السلام : قد جئتم ليس لتروا معجزات ، فتؤمنوا — كما تزعمون — بل لأنكم اكلتم من الخبز فشبعتم ، وتريدون خبزا . ثم خاطبهم قائلا : « اعملوا للطعام الباقى ، للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الانسان » يقصد : أن يستعدوا بتوبة نصوح لمجىء نبى الاسلام ﷺ المعبر عنه فى التوراة وفى الانجيل بابن الانسان « **فقالوا له : ماذا نفعل ؟** » قال لهم : **أن تؤمنوا برسالتى ، قالوا له أية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا تعمل ؟**

---

(٢٠) ص ٤١٢ — ٤١٨ قصص الأنبياء — واعلم : أن الاناجيل لا تراعى ترتيب الحوادث . وقد نزلت المائدة . والنزول هو البركة فى الطعام الذى كان مع الغلام أو البركة فى طعام آخر .

ولأنهم كانوا يريدون طعاما . قالوا : انه فى عهد النبى موسى عليه السلام أكل آباؤنا الأوائل خبزا من السماء هو المن والسلوى ، ونريد منك — كما تزعم أنك آخر نبى يظهر من جنسنا — خبزا كالذى قدمه الينا موسى .

قال لهم عيسى عليه السلام : ليس موسى هو الذى أعطى ، بل الله هو الذى أعطى ويعطى . قالوا : اذن أعطنا الخبز دائما . قال لهم : الخبز الذى أنا أعطيه أن تؤمنوا برسـالتى ، وتقبلوا النبى الآتى وأنتم لا تجوعون أبدا ولا تظمأون . ومراده بذلك أن يحيوا بالايمان حياة طيبة فى الدنيا . ولهم فى الآخرة ثواب عظيم . كما فى الاصحاح الثامن من سـفر التثنية : « ليس بالخبز وحده يحيا الانسان ، بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الانسان »

وقول اليهود للمسيح عليه السلام : « أية آية تصنع لنرى ، ونؤمن بك ؟ » أشارت اليه الكلمات الكريمات « ونكون عليها من الشاهدين » وقولهم : « آباؤنا أكلوا المن فى البرية » أشارت اليه الكلمتين الكريمتين : « عيدا لأولنا » ، فان الشريعة بادئه بموسى وهو من سبط لاوى ، وخاتمة بعيسى . وهو من سبط لاوى أيضا — وسيأتى البيان — .

١٢ — تلاميـــذه :

كان من عـادة المعلمين من بنى اسرائيل أن يتخـذوا لهم تلاميذ ، ليساعدوهم فى نشر آرائهم . وتحدثنا التوراة عن التفاف كثيرين من أبناء الكهنة نسل هرون ، حول الياس النبى — عليه السلام — فى كل مكان يذهب اليه ، وانضمامهم الى اليسع عليه السلام بعد صعود الياس الى السماء (الملوك الأول ٢) ويحدثنا الانجيل عن تلاميذ ليوحنا المعمدان ، وتلاميذ لعيسى كانوا قبلا تلاميذ ليوحنا المعمدان (يوحنا ١) وآخرين غيرهم . وتلاميذ عيسى — عليه السلام — كانوا من نسل لاوى حملة الشريعة الموسوية ، ولم يكونوا من صيادى السمك وجباة الضرائب وعامة الشعب كما يزعم النصارى (لوقا ٥ : ٤ — ٧) والذى دفعهم الى هذا الزعم : هو تبريرهم للاخطاء الكثيرة الموجودة فى الأناجيل عمدا .

وقد اختلفت الأناجيل فى أسماء الاثنى عشر تلميذا . يقول متى

ويتفق معه مرقس . ١ — سمعان الذى يقال له بطرس ٢ — اندراوس أخوه ٣ — يعقوب بن زبدى ٤ — يوحنا أخوه ٥ — فيلبس ٦ — برثولماوس ٧ — توما ٨ — متى العشار ٩ — يعقوب بن حلفى ١٠ — لباوس الملقب تداوس ١١ — سمعان القانوى ١٢ — يهوذا الاسخريوطى (متى ١٠ : ٢ — ٤) ويقول لوقا : ١ — سمعان بطرس ٢ — أندراوس أخوه ٣ — يعقوب ٤ — يوحنا ٥ — فيلبس ٦ — برثولماوس ٧ — متى ٨ — توما ٩ — يعقوب بن حلفى ١٠ — سمعان الذى يدعى الغيور ١١ — يهوذا أخا يعقوب ١٢ — يهوذا الاسخريوطى (لوقا ٦ : ١٤ — ١٦) ويلاحظ أن لوقا اختلف مع متى ومرقس . فلم يذكر « تداوس » الذى سماه متى « لباوس الملقب تداوس » وذكر بدله : « يهوذا أخا يعقوب » وذكر لوقا : « سمعان الغيور » الذى قال عنه متى ومرقس : « سمعان القانوى » وذكر لوقا : يعقوبين . ذكر متى أحدهما باسم يعقوب بن حلفى ، وسكت عن الآخر . وفى انجيل يوحنا لم يذكر أسماء التلاميذ كلهم ، وذكر من البعض تلميذ اسمه « نثنائيل » (يوحنا ١ : ٤٧) وعلى ذلك . فان أربعة من التلاميذ ليسوا محل اتفاق وهم ١ — يهوذا أخا يعقوب ٢ — وسمعان الغيور ٣ — ونثنائيل ٤ — ويعقوب . وليس من التلاميذ مرقس كاتب الانجيل ، ولا لوقا . وقد ذكر القديس برنابا أسماءهم واستبعد منهم توما وسمعان الغيور . واستبدل بهما برنابا وتداوس (برنابا ١٤ : ١١ — ١٩)

وقد نقل الدكتور فردريك . فارار (٢١) عن النصارى الأوائل : أن بعضا من التلاميذ الاثنى عشر كانوا أولاد خئولة لعيسى — عليه السلام — واذا كانوا أولاد خئولة له ، فانهم يكونون من سبط الكهنة اللاويين ، المخصصون للشريعة . وهم : ١ — متى ٢ — يهوذا ٣ — سمعان ٤ — يهوذا الاسخريوطى ٥ — يعقوب الكبير . وربما هو الذى أشار اليه متى ولوقا باسم يعقوب مفردا ٦ — وواحد آخر يسمى توما ، يقال : انه توأم للتلميذ متى . فاذا أضفنا اليهم ٧ — يوحنا كاتب الانجيل . وهو أيضا من سبط الكهنة ، وأضفنا برنابا وهو الآخر من سبط لاوى (أعمال الرسل ٤ : ٣٦ — ٣٧) يكن عندنا ثمانية من سبط الكهنة . وهناك تلميذ

---

(٢١) ص ٢٢٩ حياة المسيح .

أشارت اليه الكتب باسم ٩ ــ يعقوب العادل . لا أدرى ما اذا كان هو يعقوب الكبير أو غيره . ويعقوب العادل لبس هو ويوحنا التلميذ فى مدينة « أفسوس » الاكليل الذى يلبسه من هو من سبط الكهنوت على العمامة (خروج ٢٩ : ٥ ــ ٦) فيكون أيضا من نسل الكهنة .

ويقول النصارى : ان عيسى ــ عليه السلام ــ اتخذ سبعين تلميذا آخرين ، غير هؤلاء الاثنى عشر ، وأرسلهم مبشرين ومنذرين فى بلاد بنى اسرائيل . وقال برنابا : انهم اثنان وسبعون تلميذا . ولأنهم ساعدوه فى نشر الدعوة وتحملوا الآلام فى سبيل الله أمر الله المسلمين بأن يكونوا مثل الحواريين فى قوله تعالى : « كونوا أنصار الله ، كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصارى الى الله » (الصف ١٤)

١٢ ــ نهاية حياته على الأرض :

قال الله عز وجل عن بنى اسرائيل : « وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ، وقولهم : انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله . وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفى شك منه . ما لهم به من علم الا اتباع الظن . وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله اليه . وكان الله عزيزا حكيما . وان من أهل الكتاب الا ليؤمن به قبل موته ، ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا » (النساء ١٥٦ ــ ١٥٩)

واليهود والنصارى متفقون على أن عيسى قتل وصلب . اليهود قالوا : « انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله » والنصارى أمنوا على كلامهم وصدقوا . ونقلوا عن اليهود قولهم : « دمه علينا ، وعلى أولادنا » (متى ٢٧ : ٢٥) والحقيقة : أن عيسى لم يقتل ولم يصلب . والذى دفع النصارى الى هذا القول : هو أنهم لما صاغوا عقائدهم على مثال عقائد كريشنا وبوذا . وغيرهما . وفى هذه العقائد قتل الاله وصلبه للتكفير عن الآثام البشرية . وفى التوراة نبوءات تقول : ان المسيا سيكون متألما من الأعداء . وبعد التألم ينتصر على أعدائه . بالغ النصارى فى نسبة التألم الى عيسى الى حد القتل ، للتمويه الشديد على الناس ، بأنه هو المسيا المتألم . ثم قالوا بقيامته من الأموات ليشيروا الى انتصاره على

الأعداء . ذلك لأن من أوصاف « المسيا » أن يكون محاربا منتصرا . ولما أرادوا زورا جعل عيسى هو « المسيا » ورأوه لم يحارب ولم ينتصر ، لجأوا الى تلك الحيلة . وبذلك جمعوا بين العقائد المقتبسة من الذين كفروا من قبل ، وبين نبوءات التوراة عن النبى المنتظر الذى هو « المسيا »

وفى انجيل القديس برنابا انه لم يقتل ولم يصلب ، وحينما توجه جند الرومان بمساعدة تلميذ عيسى الذى خانه ، ويدعى يهوذا الاسخريوطى للقبض على عيسى ، ألقى الله عز وجل القادر على كل شىء شبه عيسى على ذلك التلميذ ، فأخذوه مستيقنين أنه عيسى ، وقتلوه وصلبوه

يقول برنابا : « ودخل يهوذا بعنف الى الغرفة التى أصعد منها يسوع ، وكان التلاميذ كلهم نياما ، فأتى الله العجيب بأمر عجيب ، فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه ، فصار شبها بيسوع . حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ؟ لذلك تعجبنا وأجبنا . أنت هو يا سيد ، هو معلمنا . أنسيتنا الآن ؟ أما هو فقال مبتسما : هل أنتم أغبياء حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطى ؟ وبينما كان يقول هذا . دخلت الجنود وألقوا بأيديهم على يهوذا ، لأنه كان شبيها بيسوع من كل وجه » (برنابا ٢١٦ : ١ — ٩)

وفى الأناجيل الأربعة ما يوحى بالقاء شبه عيسى على شخص آخر ، لأنهم سوف يشكون فيه . هل هو هو أم لا ؟ « قال لهم يسوع : كلكم تشكون فى هذه الليلة » (متى ٢٦ : ٣١ مرقس ١٤ : ٢٧) ففى هذا الشك ما يدل على القاء الشبه على غيره

ويقول القديس الفونسوس ماريا دى ليكورى فى الجزء الخاص ببدع القرن الأول المسيحى فى كتابه (تاريخ الأرطقات مع دحضها) : « ان « باسيليدى » كما كتب « فلورى » نفسه ، يقول : « ان نوس هذا الذى هو يسوع المسيح كان قوة غير هيولية وكان يتشح ما شاء من الهيآت ، ولذا لما أراد اليهود صلبه ، أخذ صورة سمعان القروى وأعطاه صورته فصلب سمعان ، لا يسوع الذى كان يسخر باليهود ، ثم عاد غير منظور

وصعد الى السماء (٢٢) » وأياما كان الاختلاف بين برنابا وباسيليدى عن الشخص المصلوب ، فهما متفقان على عدم صلب عيسى وقتله

وذكر (جورج سايل) الذى ترجم القرآن الى الانجليزية فى سورة آل عمران صفحة ٣٨ : « ان السيرنثيين والكربوكراتيين ، وهما من أقدم فرق النصارى قالوا : ان المسيح نفسه لم يصلب ولم يقتل وانما صلب واحد آخر من تلاميذه يشبهه شبها تاما . وهناك الباسيليدون يعتقدون أن شخصا آخر صلب بدل المسيح (٢٣) »

ويقول جورجى زيدان : « الخياليون : يقولون : ان المسيح لم يصلب حقيقة ، وانما صلب رجل آخر مكانه (٢٤) »

ولما كان عيسى لم يقتل ولم يصلب بصريح القرآن ، وبما جاء فى التواريخ المسيحية القديمة وبعض الأناجيل ، فأين ذهب بعد حادثة القتل والصلب ؟

يقول برنابا فى انجيله : « ولما دنت الجنود من المحل الذى كان فيه يسوع ، سمع يسوع دنو جم غفير . فلذلك انسحب الى البيت خائفا ، وكان الأحد عشر نياما ، فلما رأى الله الخطر على عبده أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل (٢٥) سفراءه أن يأخذوا يسوع من العالم ، فجاء الملائكة الأطهار ، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب . فحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة فى صحبة الملائكة التى تسبح الله الى الأبد » (برنابا ٢١٥ : ١ — ٨) ثم يقول برنابا : انه نزل من السماء بعد أيام قليلة ليعزى أمه ثلاثة أيام متوالية وصعد الملائكة الذين كانوا حراسا على مريم الى السماء الثالثة ، حيث كان يسوع فى صحبة الملائكة ، وقصوا عليه كل شىء . لذلك ضرع يسوع الى الله أن يأذن له بأن يرى أمه وتلاميذه ، فأمر حينئذ الرحمن ملائكته الأربعة المقربين ، الذين هم جبريل ورفائيل وأوريل أن يحملوا يسوع الى بيت أمه ، وأن يحرسوه هناك

---

(٢٢) ص ١٧ تاريخ الأرطقات مع دحضها المعنون : انتصار الديانة .
(٢٣) نقلا عن ص ٢٩٩ المسيح عيسى بن مريم .
(٢٤) تاريخ التمدن الاسلامى جـ ١ ص٥٤ طبعة دار الهلال بمصر .
(٢٥) فى النسخة الأسبانية : عزريل .

مدة ثلاثة أيام متوالية ، وأن لا يسمحوا لأحد أن يراه خلا الذين آمنوا بتعليمه . فجاء يسوع محفوفا بالسناء الى الغرفة التى أقامت فيها مريم العذراء مع أختيها . ومرثا ، ومريم المجدلية ، وألعازر ، والذى يكتب ، ويوحنا ، ويعقوب ، وبطرس . فخروا من الهلع كأنهم أموات . فانهض يسوع أمه والآخرين عن الأرض قائلا : لا تخافوا لأنى أنا يسوع ، ولا تبكوا فانى حى لا ميت ، فلبث كل منهم زمنا طويلا كالمخبول ، لحضور يسوع لأنهم اعتقدوا اعتقادا تاما بأن يسوع مات ، فقالت حينئذ العذراء باكية : قل لى يا بنى لماذا سمح الله بموتك ملحقا العار بأقربائك وأخلائك ، وملحقا العار بتعليمك ؟ وقد أعطاك قوة على احياء الموتى . فان كل من يحبك كان كميت . أجاب يسوع معانقا أمه : صدقينى يا أماه لأنى أقول لك الحق . انى لم أمت قط . لأن الله قد حفظنى الى قرب انقضاء العالم . ولما قال هذا رغب الى الملائكة الأربعة أن يظهروا ويشهدوا كيف كان الأمر . . . فقال حينئذ الذى يكتب : يا معلم اذا كان الله رحيما ، فلماذا عذبنا بهذا المقدار ، بما جعلنا نعتقد أنك كنت ميتا ؟ ولقد بكتك أمك حتى أشرفت على الموت ، وسمح الله أن يقع عليك عار القتل بين اللصوص على جبل الجمجمة ، وأنت قدوس الله ؟

أجاب يسوع : صدقنى يا برنابا . ان الله يعاقب على كل خطيئة مهما كانت طفيفة عقابا عظيما ، لأن الله يغضب من الخطيئة . فلذلك لما كانت أمى وتلاميذى الأمناء الذين كانوا معى ، أحبونى قليلا حبا عالميا ، أراد الله البر أن يعاقب على هذا الحب بالحزن الحاضر ، حتى لا يعاقب عليه بلهب الجحيم ، فلما كان الناس قد دعونى الله وابن الله ، على انى كنت بريئا فى العالم ، أراد الله أن يهزأ الناس بى فى هذا العالم بموت يهوذا ، معتقدين أننى أنا الذى مت على الصليب ، لكيلا تهزأ الشياطين بى يوم الدينونة ، **وسيبقى هذا الى أن يأتى محمد رسول الله ، الذى متى جاء كشف هذا الخداع للذين يؤمنون بشريعة الله** . . . وبعد أن قال هذا صلى لله ، لأجل خلاص المؤمنين وتجديد الخطأة . فلما انتهت الصلاة عانق أمه قائلا : سلام لك يا أمى . توكلى على الله الذى خلقك وخلقنى . وبعد أن قال هذا التفت الى تلاميذه قائلا : لتكن نعمة الله ورحمته معكم .

ثم حملته الملائكة الأربعة أمام أعينهم الى السماء » (برنابا ۲۱۹/۲۲۰/۲۲۱)

وخلاصة هذا الكلام : ۱ ـــ أن عيسى رفع الى السماء بروحه وجسده ولم يقتل ولم يصلب ، ثم نزل ثلاثة أيام ، ثم رفع ثانية بروحه وجسده ۲ ـــ أن الله قد حفظه الى قرب انقضاء العالم .

والأناجيل الأربعة تقول برفع عيسى الى السماء بروحه وجسده ـــ بعد القتل والصلب ـــ ونزوله الى الأرض مدة أربعين يوما ، واجتماعه بالتلاميذ (اعمال ۱ : ۳) وأنه بعد ذلك رفع الى السماء بروحه وجسده . ولم تصرح بنزوله الى الأرض آخر الزمان . وعلماء النصارى مجمعون على نزوله اما نزولا أرضيا لمدة ألف عام واما نزولا روحيا . مع قول المسيح فى الانجيل : « ولست أنا بعد فى العالم » (يو ۱۷ : ۱۱)

وفى القرآن الكريم : أن عيسى بن مريم ـــ عليه السلام ـــ لم يقتل ولم يصلب « ولكن شبه لهم » أنه قتل وصلب . والتشـــبيه الوارد فى القرآن بصيغة المبنى للمجهول يحتمل معنيين . الأول : أن الله تعـــالى ألقى شبه عيسى على غيره من الخائنين . والثانى : أن الذين صاغوا النصرانية على مثل عقائد الكفار فى بوذا وكريشنا وايزووريس وغيرهم . قالوا بقتل عيسى وصلبه تشبيها له بقتل آلهة الكفار ، لمحو خطايا العالم . فاشتبه على الناس أمره مما أشيع عنه . والمعنى الأول ورد فى بعض كتب النصارى التى كتبت من قبل ظهور الاسلام ـــ كما بينا من قبل ـــ .

وقوله تعالى : « بل رفعه الله اليه » يفيد ظاهره : أن الله تعالى رفع عيسى اليه . بالجسد وبالروح عقب الحادثة ، وقبل أن يموت . وهـــذا المعنى الظاهرى معارض بقوله تعـــالى فى سورة آل عمران : « يا عيسى . انى متوفيك ورافعك الى » فقد أثبت له الموت قبل الرفع . وقد أجاب بعض العلمـــاء عن موهم التعارض هـــذا بقولهم : ان معنى « متوفيك » أى معطيك حقك من الأجر ، جزاء على ما عملت من الأعمال فى الدنيا ، كما قال فى حق المؤمنين : « فنوفيهم أجورهم » فيكون رفعه من الدنيا بعد ختم صحيفة أعماله ، وليس من بعد الموت . ومن العلمـــاء من يرى أن معنى « متوفيك » هو أنه يموت قبل أن يرفع الى الســـماء .

وقد استوفى أجره ، كما قال فى حقه : « فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم » أى أنه بعد موته لا يعلم ما يحدث فى الدنيا .

وقوله تعالى : « وإن من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته » يحتمل معنيين :

الأول : أن يؤمن العالم بعيسى قبل موت عيسى — عليه السلام — وعلى هذا المعنى ينزل عيسى آخر الزمان ، لأن أهل الكتاب سيعيشون فى الدنيا الى يوم القيامة .

والثانى : أن يؤمن العالم بعيسى قبل موته ، أى قبل موت العالم من بنى اسرائيل ، وقبل موت العالم من الذين قالوا انا نصارى فى الوقت الذى زال فيه من قلبه حب الدنيا . وعلى هذا المعنى : لن ينزل عيسى فى آخر الزمان . لأن تعاليمه فى الكتب — الموجودة والتى ستوجد — تغنى عن وجوده بالجسد — وهذا المعنى هو الصحيح —

فلقد ورد الرفع فى القرآن مجازا على رفع الدرجة والمنزلة فى قوله تعالى : « نرفع درجات من نشاء » .

ولما قدمنا . نجد علماء المسلمين مختلفون فى الرفع والتوفى . ويستقيم على الرأى القائل بموته قبل رفع منزلته : ما حكى أن فى « الهند » قبر ، يقال له : قبر عيسى . قد دفن فيه بعد الهرب من بلاد اليهود .

وجمهور المسلمين يفسرون قول الله تعالى : « وجعلنا ابن مريم وأمه آية ، وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » (المؤمنون ٥٠) بأن الله تعالى آوى عيسى وأمه الى أرض مستوية منبسطة ، ذات ثمار ، وماء جار على وجه الأرض. وهذه الأرض اما مصر ، أو ايلياء — التى هى أورشليم القدس — أو دمشق أو فلسطين أو الرملة ، وهذا الايواء كان فى الدنيا قبل رفعه الى السماء ، كما قال الله تعالى فى حق نبى الاسلام ﷺ : « ألم يجدك يتيما فآوى » ومنهم من يرى أن الايواء كان فى أيام طفولته ، ومنهم من يرى أن الايواء كان بعد هربهما من اليهود . لما أرادوا قتل عيسى وصلبه . وأن الايواء كان فى « مصر » وهذا الرأى له سند من التاريخ . الا أن النصارى

- على أحد الآراء - يقولون بأن ذلك قد كان فى أيام طفولته (٢٦) .

والصحيح أنه كان فى الكبر . لأن لوقا أثبت وجوده فى الصغر فى الهيكل مع المعلمين يسمعهم ويسألهم (لو ٢ : ٤١ - ٥٠)

١٤ - مريم فى كتب النصارى :

يقول متى هنرى : أن « معنى الاسم : مرتفعة (٢٧) » ويقول القس سيداروس عبد المسيح : « اسم مريم يعنى سيده » (٢٨) . ويذكر أن أباها يدعى يواقيم ، وأمها تسمى حنة ، وقد بلغا من العمر عتيا ، ولم يرزقا بذرية ، وبينما كانت حنة تناجى ربها أبصرت عش عصافير فوق غصن شجرة ، وقد أخذت العصافير الكبار تطعم صغارها ، فأيقظ فيها هذا المنظر عاطفة الأمومة ، فطلبت من الله ولدا . ثم يقول : « دخلت العذراء مريم الهيكل طفلة نذيرة . كانت تتمتع بحضانة الأبوين وحياتهما ، وخرجت منه وقد تركاها الى حيث ستلحقهم هى فيما بعد ، الى الدار الآخرة . ولم تكن العذراء هى أول من دخلت الهيكل نذيرة للعبادة والخدمة ، فلم يكن الهيكل قاصرا فى خدمته على الرجال فقط ، بل حتى النساء قد نالهن جزء من هذه الخدمة ، واشتركن فى خدمة الهيكل ... ويقرر المؤرخون : أن العذراء مريم دخلت الهيكل فى عامها الثالث من عمرها . ولا يسمح لها أن تبقى فى الهيكل بعد سن الرابعة عشرة » ثم يتحدث عن خطبة مريم ليوسف النجار بعد هذا السن فيذكر : « أن رؤساء الكهنة تشاوروا معا على الزواج منها . وفى الحال ظهر ملاك الرب لزكريا ، وقال له : يا زكريا اخرج واجمع خلقا عظيما من شيوخ وشبان ، وخذ بعضهم واكتب أسماءهم عليها ، فيختار الرب من بينهم من يصلح لأمته مريم . فأخذوا عصيهم ووضعوها داخل الهيكل ، فخرجت حمامة من العصا التى كانت ليوسف النجار ،

---

(٢٦) انظر الفتاوى للشيخ محمود شلتوت ، ومحاضرات فى النصرانية للشيخ محمد أبو زهرة ، وعبقرية المسيح للأستاذ عباس العقاد . وقد تحدث الشيخ محمود عن موت المسيح ودفنه وبين أنه لن ينزل فى آخر الزمان وأن رفعه هو رفع درجته . وهذا هو الصحيح .

(٢٧) ص ٣٩ جـ ١ تفسير لوقا .

(٢٨) ص ٥٢ مريم العذراء فى التاريخ والطقس والعقيدة .

واستقرت على رأسه . فعقد الكهنة خطبتها على يوسف ، وعاشت » (٢٩)
ويذكر : أن يوسف النجار كان من السبط الذى كانت منه العذراء . وقد
بينا من قبل : أنها من سبط لاوى، من نسل هارون عليه السلام . يقول القس
سيداروس : « ولابد أن يكون يوسف — كما يقرر يوسابيوس القيصرى
المؤرخ — والعذراء من سبط واحد . فاذا تتبعنا نسب يوسف هكذا ،
فانه يتبين فعلا أن مريم أيضا من نفس السبط ، لأنه طبقا للناموس
الموسوى ، لم يكن مسموحا الزواج من سبط آخر . فالأمر الصادر
هو أن يتزوج المرء من نفس العشيرة ، ومن نفس السبط ، ومن نفس
السلالة ، لكى لا ينتقل الميراث من سبط الى آخر (عدد ٣٦ : ٦ — ٧) (٣٠)»
وعلى قول هذا القس يكون القرآن صادقا فى نسبة مريم الى هرون —
كما بينا سابقا —

والقرآن الكريم يذكر أن هذا الاقتراع كان من أجل كفالة مريم فى
الصغر : « وما كنت لديهم اذ يلقون أقلامهم . أيهم يكفل مريم ؟ وما كنت
لديهم اذ يختصمون » (آل عمران ٤٤) وهذا هو الحق . لأن التشاور على
الزواج ، يسبقه تشاور على كفالتها وتربيتها . ولأن يوسف النجار
كان من سبط يهوذا ، وهى من سبط لاوى . فكيف يجتمعان ؟ وكثيرون
من النصارى يقولون : — وقولهم هذا هو الحق — انها ظلت بلا زواج طول
حياتها . وشذ منهم من قال بزواجها من يوسف بعد ولادة المسيح وهى
عذراء . وأنجبت منه أربعة ذكور وبنتين . أسماؤهم على الترتيب : يعقوب
ويوسى ويهوذا وسمعان . وأستر وثامار . وان يوسف قد مات وللمسيح
عيسى تسعة عشر عاما (٣١). ويذكر القس سيداروس : أن اليصابات امرأة
زكريا هى أخت لحنة أم مريم . وعليه : تكون «اليصابات» خالتها وأن يوسف
ابن عم العذراء . ويقول : انها انتقلت الى جوار الله بعد ابنها بخمسة عشر
عاما (٣٢) . وعلى قول هذا القس بأن اليصابات امرأة زكريا خالة لمريم ،

---

(٢٩) المرجع السابق ص ١٤ — ١٥ .
(٣٠) المرجع السابق ص ١٤ — ١٥ .
(٣١) انظر حياة المسيح لفردريك ص ٩٥ . وقد ذكر أن جميع
النصارى متفقون على ولادة المسيح وأمه عذراء لم يمسسها بشر .
(٣٢) ص ٢٠ مريم العذراء فى التاريخ والطقس والعقيدة .

تكون مريم من نسل هرون من سبط لاوى ، لأن اليصابات بنص انجيل لوقا من نسل هرون . وعلى ذلك لا يكون يوسف خطيبا لمريم لأنه من نسل داود من سبط يهوذا بنص انجيل متى . وفى الانجيل : ان المسيح ساعة صلبه ، طلب من تلميذه يوحنا ، أن يضمها اليه . ويذكر متى هنرى فى تفسيره : « قال نيسيفوروس فى التاريخ الكنسى : أن العذراء مريم عاشت مع يوحنا فى أورشليم احدى عشرة سنة ثم ماتت . وقال آخرون : انها عاشت معه الى أن انتقلت الى أفسس » (٣٣) .

١٥ — لماذا سموا نصارى ؟

كلمة « ناصرى » وكلمة « نذير » فى الانجليزية قريبتان . وقد لقب اليهود المسيح — عليه السلام — بلقب ناصرى وهذا اللقب ١ — قد يعتبر لقبا للمجد والكرامة . لأن كلمة ناصرى بمعنى أ — الغصن ب — أو بمعنى نذير الله . أى هو رجل صالح . ٢ — وهذا اللقب قد يعتبر لقبا للازدراء والتحقير والتعيير ، أى الرجل الذى لا يرجى منه أى شىء صالح ، والذى لا يليق بأن يقدم له أى اكرام . يقول متى هنرى بعد ذكر ما قدمنا : « الصق الشيطان هذا الاسم بالمسيح فى بداية الأمر لتحقيره ولتنفير الشعب منه ، فلصق به وبأتباعه ، كعلامة على الازدراء » (٣٤) ويقول الدكتور فردريك : « الى يومنا هذا نجد كلمة « نصرانى » تعبير محتقر ، ويسمى التلموديون المسيح (هانصرى) استهزاء » (٣٥) .

١٦ — ألوهية المسيح :

يعتقد النصارى الأرثوذكس : أن المسيح هو الله نفسه ، ويعتقد الكاثوليك والبروتستانت : أن المسيح اله ثان من آلهة ثلاثة منفصلة . ومنشأ فكرة ألوهية المسيح كانت فى حياة المسيح نفسه . ذلك أن جنود الرومان — وكانوا منتشرين وقتئذ فى فلسطين — أثاروا شغبا وسط العامة لما أحيا عيسى ابن الأرملة فى مدينة « نايين » وقالوا : « هو الله جاء ليفتقدهم » وقد ذكر ذلك برنابا بتفصيل ، وبين أن عيسى عليه السلام

---

(٣٣) ص٢٨٤ جـ ٤ تفسير انجيل يوحنا لمتى هنرى .
(٣٤) ص ٧٦ — ٧٧ تفسير متى ج ١
(٣٥) ص ٦٩ حياة المسيح .

خطب فى الجماهير تسكينا لهذه الفتنة ، وكان حاضرا وقت الخطاب : هيرودس الوالى ، ورئيس كهنة اليهود . واستشهد بنصوص من التوراة على أن الله واحد وليس كمثله شىء . ومنها قول أشعياء : « حقا أنت اله محتجب يا اله اسرائيل المخلص » واذا كان الله محتجبا فكيف يكون عيسى هو الاله وهو لم يكن محتجبا عن أعين الناس ؟ (برنابا ٩١/٩٣) وقد اقرت العقائد النصرانية الحالية رسميا فى العالم بمساعدة الرومان أيام القيصر الرومانى « قسطنطين » سنة ٣٢٥ ميلادية . وقد بينا ذلك فى كتابنا « أقانيم النصارى » .

والأرثوذكس والكاثوليك يقولون بأن المسيح هو « نور العالم » ويعظمون ذلك النور . ويقولون : ان مريم العذراء هى « أم النور » ويعظمونها كتعظيم النور . بل أشد . لأنها أمه واذا كان النور فى زعمهم الها ، فأمه الهة من باب أولى . وهذا هو المراد — فى نظرنا — من قوله تعالى : « أأنت قلت للناس : اتخذونى وأمى الهين من دون الله ؟ قال : سبحانك . ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق . ان كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما فى نفسى ، ولا أعلم ما فى نفسك . انك أنت علام الغيوب . ما قلت لهم الا ما أمرتنى به . أن اعبدوا الله ربى وربكم » .

١٧ — رأى اليهود فيه :

يقول التلمود : « ان المسيح كان مجنونا . وهذا مطابق لما كان يعامله به « هيرودس » ومعاصروه الذين وصفوه بأنه ساحر » ووصف التلمود المسيح أيضا بأنه كافر لا يعرف الله ، فيكون المسيحيون كفرة مثله . وجاء فى التلمود : أن المسيحيين من عابدى الأصنام غير انه يجوز أن يعاملهم الانسان فى يوم عيدهم — وهو أول يوم فى الأسبوع — وأن القداس والقسيسين والشموع والكئوس كلها من عبادة الأصنام ... ويسمى التلمود ايضا المسيح : يهوديا مرتدا . وجاء أيضا فى التلمود الجديد : أن تعاليم يسوع كفر ، وتلميذه يعقوب كافر ، والأناجيل كتب الكفار . وقال الحاخام « أباربانيل » أن المسيحيين كفار ، لأنهم يعتقدون أن الله لحم ودم (٣٦) .

---

(٣٦) ص ٤٧ — ٤٨ التلمود شريعة اسرائيل .

ويقول عنه يهود السامرة : ــ حكاية عن المؤرخ اليهودى السامرى الدنفى ــ : « وتولى بعد الامام نثنال : الامام يهيقيم ، وقام فى الامامة الكبرى اثنين وثلاثين سنة . فى أيامه ولد همشيح ابن مريم . من هرون عم ... وكانت ولادته فى بيت لحم ، وادعى النبوة فى النصارى ، وكانت له أتباع ، فأنفذهم فى البلاد . فمنهم بطرس أنفذه الى رومية ، وأنفذ اندراوس الى الأساود ، وتوماس الى أرض بابل ، وفيلفس الى القروان وافريقية ، ويعقوبس الى ايلياء ، وسمن الى أرض البربر . وقصد هيرودس قتل همشيح ، فهرب من بين يديه . وتولى بعده الامام يهونثن فى الامامة الكبرى ، وأقام سبعة وعشرين سنة . فى أيام يهونثن عوقب همشيح . قتله المقدم فى أيام طبريوس الملك وصلب » (٣٧) .

لقد اعترف السامرى بأنه قتل وصلب ، كما حكى القرآن عنهم . واعترف السامرى بأنه ابن مريم . وهى من هرون عليه السلام كما حكى القرآن أيضا .

١٨ ــ دعوة عيسى عليه السلام :

لما قال موسى بن عمران ــ عليه السلام ــ لبنى اسرائيل : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث ١٨:١٥) وعلماء بنى اسرائيل عرفوا الناس بأنه سيكون سبب رحمة لمن يؤمن به من أمم الأرض ، فرح الناس به ، واشتد شوقهم الى مجيئه . ومن أجل ذلك أرسل الله عيسى بن مريم ــ عليه السلام ــ ليبشر الناس باقتراب زمان هذا النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى ، والذى قال عنه العلماء أنه سيكون سبب رحمة لمن يؤمن به . فموسى أخبر ، وعيسى بشر باقتراب زمان الخبر . وهذا هو معنى الانجيل . ويجمع النصارى على أن كلمة «الانجيل» معربة عن الكلمة اليونانية « افانجليوس » ومعناها : البشارة أو الخبر المفرح . لكنهم يقولون : ان الخبر المفرح هو تبشير الناس بموت المسيح كفارة عن خطايا بنى آدم . وقولهم هذا باطل . لأن التوراة نصت على أنه : « لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء . كل انسان

---

(٣٧) ص ١٠٧ التاريخ مما تقدم من الأباء . ولاحظ أن السامرى موافق لابن كمونة العبرانى فى نسبة مريم الى هرون .

بخطيته يقتل » (تث ٢٤ : ١٦) ولأن الانجيل نص على تحمل كل انسان نتيجة عمله كما نصت التوراة ، ففيه يقول عيسى عليه السلام : « وصلوا لأجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم . لكى تكونوا أبناء أبيكم الذى فى السموات . فانه يشرق شمسه على الأبرار والصالحين ، ويمطر على الأشرار والظالمين » (مت ٥ : ٤٤ ــ ٤٥) فكيف يكون موت المسيح اذن كفارة عن الخطاة ؟

ويقول النصارى : ان المسيح ما ترك انجيلا مكتوبا فى أوراق ، بل ترك وعظا شفهيا ، وهذا الوعظ الشفهى أنزله الله على قلب عيسى نفسه ، بواسطة الالهام من روح القدس . وقولهم هذا لما رواه مرقس فى بدء انجيله . وهو :«جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله . ويقول:قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مرقس ١ : ١٤ ــ ١٥) .

ويقول النصارى : ان المسيح ما قال رأيا من تلقاء نفسه . وكل ما قاله لعلماء بنى اسرائيل وعوامهم ، ولغيرهم ، كان له عليه دليل من توراة موسى وأسفار الأنبياء . والذين كتبوا الاناجيل كانوا على طريقة عيسى نفسه فى تدوينها . فانهم اذا أرادوا الزام الناس بشىء قاله عيسى عليه السلام . أتوا بدليل من التوراة وأسفار الأنبياء على صحة هذا الشىء .

ومثال ذلك : لما قال المسيح لبنى اسرائيل : « قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله » استدل المسيح على اقتراب ملكوت الله بآيات من الاصحاح الثانى والسابع من سفر النبى المعظم دانيال . ومن هذه الآيات : « وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض أبدا ، وملكها لا يترك لشعب آخر ، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك ، وهى تثبت الى الأبد » (دانيال ٢ ــ ٤٢) فقول المسيح « اقترب ملكوت الله » هو تفسير لما فى سفر دانيال عن المملكة التى لن تنقرض أبدا . ومثال ذلك أيضا : أن مرقس ابتدأ انجيله بقوله : « كما هو مكتوب فى الأنبياء » وذكر آيات من سفر النبى أشعياء ــ وهو سفر من أسفار الأنبياء ــ ثم استدل مرقس بالآيات التى ذكرها على أن المعمدان كان يهيىء الطريق للنبى الآتى رحمة للعالم . ويقول النصارى : ان غرض عيسى من دعوته هو ذكر

نبوءات التوراة وأسفار الأنبياء عن النبى المنتظر ، الملقب بلقب « المسيا » وتطبيقها عليه . فلو أن انجيله قد فقد — كما نتهم بذلك — لأغنى عنه معرفتنا للنبوءات كلها ، وتفسيره لنبوءة واحدة كتفسيره للنبوءات كلها .

ويقول النصارى : ان دعوة عيسى كانت لبنى اسرائيل أولا ، وبعدما يفهم بنو اسرائيل كلامه ، ينطلق علماء بنى اسرائيل بكلامه الى أمم الأرض . ففى انجيل متى : « هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : الى طريق أمم لا تمضوا ، والى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالجرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة . وفيما أنتم ذاهبون ، اكرزوا قائلين : انه قد اقترب ملكوت السموات » (متى ١٠ : ٥ — ٧) ولما ذهبوا بالضرورة الى خراف بيت اسرائيل ، وفهموا كلامه ، أمرهم أن ينطلقوا الى الأمم بقوله : « اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » (مت ٢٨ : ١٩) . وطاف تلاميذه فى البلاد يخبرون الناس باقتراب ملكوت السموات .

وقول النصارى ان دعوة المسيح كانت لبنى اسرائيل ، ثم للأمم من من بعدهم . هو قول صحيح . اذا كان مقصودهم منه أنها عالمية بالخبر ، لا بالديانة التى أسسها بولس وشيعته ، ذلك لأن النبى الذى يبشر المسيح بمقدمه ، هو نبى لبنى اسماعيل وللأمم ، وكان بنو اسرائيل يستفتحون به على الذين كفروا من الأمم . وسماع الأمم بمقدمه من علماء بنى اسرائيل ، يسهل عليهم الايمان به .

فدعوة المسيح عالمية بالخبر ، المفرح السار ، لا بالديانة التى اسسها النصارى من بعد رفع المسيح الى السماء . لأن الله أمره أن يعرف العالم بظهور نبى من بنى اسماعيل ، اذا جاء يؤمنون به ، ويتركون ما هم عليه من العقائد والعبادات ، فعرف العالم بظهوره ، وأمره الله أن يوضح للناس نبوءات التوراة عنه ، فوضح للناس النبوءات . ورفع الى السماء بعدما ذاعت تعاليمه ، وعرفها القاصى والدانى . به وبتلاميذه الأمناء .

وقد أشاع النصارى : أن المسيح أسس ديانة ناسخة لديانة موسى ابن عمران . وهذا باطل . فان المسيح ما جاء لنقض الناموس وانما جاء لاصلاح الناموس . ففى انجيل متى يقول المسيح عليه السلام : « ما جئت

لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض ، بل لأكمل » (مت ٥ : ١٧) يقول متى هنرى المفسر فى معناها : « الانجيل هو وقت الاصلاح . ولم يقصد به نقض أو نسخ الناموس ، بل اصلاحه » وفى انجيل برنابا يقول المسيح عليه السلام : « أتظنون أنى جئت لأحل الشريعة والأنبياء ؟ الحق أقول لكم : لعمر الله . انى لم آت لأبطلها ، ولكن لأحفظها » (بر ٣٨ : ٢ — ٣) .

والموجود الآن مع النصارى مما يسمونه تشريعا ، ليس من ارشادات عيسى عليه السلام وانما هو من ابتداع « بولس » وشيعته . فان الدكتور « لورانس براون » ينقل عن « دين انج » : « آمن التلاميذ الأولون ان سيدهم أمرهم أن يترقبوا نهاية العالم الحاضر فى حياتهم . وســواء فهموا قصده ، أم لم يفهموه ، فانه ما كان لهم أن يتمسكوا بهذه الفكرة ، لو أنهم تلقوا عنه تعليمات عن انشاء كنيسة » (٣٨) ويقول الدكتور « لورانس براون » : « ان موقف المسيحيين الأولين فى نشر الدعوة بين اليونان والرومان بل بين برابرة ليكونيه ، يبدو لنا تقدما وارتقاء ، اذا قيس بموقف يسوع ، الذى نصح تلاميذه بألا يذهبوا الى قرى السامرة . والذى تردد هو نفسه بمد يد المعونة الى امرأة فينيقية غريبة عن رعوية اسرائيل . وهذا الفارق الصارخ بين الموقفين قد حمل كثيرين على التساؤل : أيهما مؤسس المسيحية ؟ بولس أم يسوع ؟ وهم يقولون : ألم يستخدم بولس اسم يسوع ونفوذه فى اذاعة آرائه ، كما فعل أفلاطون فى اســتخدام اسم سقراط ؟ وهو بينما يضع يسوع فى مرتبة الكرامة العليا ، نراه يعلو الى مرتبة أرقى من سيده ؟ فهل كان يسوع سيد بولس حقا ؟ ومعروف ان بولس : لم يعرف يسوع بالجسد » (٣٩) .

ويقول الدكتور « جورج ماثيسون » : « من الفريد أن نلاحظ : أن أول خدمة جمهورية طبق فيها يسوع برنامجه الذى نادى به فى مجمع الناصرة . حدثت — ليس فى نواحى الجليل — فى أثناء قيامه بزيارة ثانية للعاصمة . كان الفصح على الأبواب ، وصعد أسباط اسرائيل الى المدينة المقدسة ،

---

(٣٨) ص ٤٣ تفسير سفر الاعمال .

(٣٩) ص ٢٦ — ٢٧ المرجع السابق .

وانضم يسوع أيضا الى جمهور السياح المتعبدين ، ولم يكن يراود خاطره تأسيس ديانة جديدة ، لا فى تلك الآونة ولا فى وقت آخر . فعنده أن الايمان اليهودى هو البرعمة التى تتفتح اكمامها عن كل الزهور الممكنة ، وهكذا انخرط فى سلك جمهور العابدين فى طريقه الى الاحتفال العظيم بذلك العيد الدينى » (٤٠) .

ويعلق معرب كتابه الأستاذ عزت زكى على هذا الرأى فيقول : « هذا تعليل عصرى . نحا منحاه فردريك . فارار ، وغيره »

ولقد كان معاصرا لعيسى عليه السلام مدرستان لتفسير التوراة : مدرسة (الربان شماع) وقد عاش قبل المسيحية وبعدها ، ومدرسة (الربان هلليل) وقد مات قبل المسيحية بقليل وكانوا يختلفون فى بعض المسائل ، ولما جاء عيسى عليه السلام كان أحيانا يضم صوته لاحدى المدرستين بأن يبين التفسير الصحيح برأى مستقل (٤١) كما جاء فى القرآن الكريم : « ولما جاء عيسى بالبينات . قال : قد جئتكم بالحكمة ، ولأبين لكم بعض الذى تختلفون فيه » (الزخرف ٦٣) .

ومن أمثلة اختلافهم :

١ — جاء فى التوراة : « اذا أخذ رجل امرأة وتزوج بها ، فان لم تجد نعمة فى عينيه ، لأنه وجد فيها عيب شىء . وكتب لها كتاب طلاق ، ودفعه الى يدها ، وأطلقها من بيته ، ومتى خرجت من بيته ، ذهبت وصارت لرجل آخر » (التثنية ٢٤ : ١ — ٢) كلمة « عيب شىء » باللغة العبرانية « أرفت دابهور » أى مسألة عرى . يقول الدكتور فردريك : « يتوقف كل شىء فى تفسير هذا القانون على معنى « أرفت دابهور » أو على الأصح على تفسير الكلمة الواحدة « أرفت » المعنى الشائع هو : وصمة أو دنس أو نجاسة . ولكن (هلليل) ومدرسته فسرها بأن الرجل يمكنه تطليق امرأته لأى كراهية يشعر بها نحوها ، أو كما تجرأ الحاخام (عقيبة) فقال : ان رأى امرأة تسره أكثر . أما (شماى) ومدرسته فقد فسرها بعدم جواز

---

(٤٠) دراسات فى صور من حياة المسيح جـ ١ ص ٦٨ .
(٤١) ص ٢١١ تفسير متى للأنبيا اثناسيوس .

الطلاق الا لعلة فضيحة عدم الأمانة ، ولذا كان ينطبق فى هذه المسألة كما فى كثير غيرها : المثل الذائع بين اليهود : « يحل هلليل ما يربطه شماى » (٤٢) ويحكى متى على لسان عيسى عليه السلام أنه بين لهم ما اختلفوا فيه ، وضم رأيه الى رأى (شماى) ومدرسته « قال لهم : أما قرأتم : أن الذى خلق من البدء . خلقهما ذكرا وأنثى ، وقال : من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ، ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا . اذن ليسا بعد اثنين بل جسد واحد ، فالذى جمعه الله ، لا يفرقه انسان . قالوا له : فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق . فتطلق ؟ قال لهم : ان موسى من أجل قساوة قلوبكم ، أذن لكم أن تطلقوا نساءكم . ولكن من البدء لم يكن هكذا ، وأقول لكم : أن من طلق امرأته ، الا لسبب الزنى ويتزوج بأخرى : يزنى ، والذى يتزوج بمطلقة يزنى » (متى ١٩ : ٤ — ٩) وهذا على سبيل النصيحة ، لا على سبيل التشريع ، لأنه قال : « من استطاع أن يقبل فليقبل » فى آخر النص على هذه النصيحة .

٢ — جاء فى التوراة : أن الله تعالى سيرسل رسولا من بعد موسى عليه السلام . فى هذا النص : « أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به» (التثنية١٨:١٨) وقد ظن عوام يهود اورشليم أن هذا النبى سيكون من ذرية داود عليه السلام من سبط يهوذا ، وظن عوام يهود السامرة أن هذا النبى سيكون من سبط يوسف الصديق عليه السلام ، ولما جاء عيسى عليه السلام خاطب يهود أورشليم قائلا : « ماذا تظنون فى المسيح — أى هذا النبى المنتظر الذى تلقبونه بلقب المسيح — ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود . قال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربا . قائلا : قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك ، فان كان داود يدعوه ربا ، فكيف يكون ابنه ؟ » (متى ٢٢ : ٤١ — ٤٥) والمعنى : لو كان المسيح المنتظر من آل داود ، ما كان داود يشير اليه بظهر الغيب بأنه سيده . كما فى ترجمة الكاثوليك « قال الله لسيدى . . » (مزمور ١١٠) لأنه على هذا يكون سيدا لأبيه داود . والابن عرفا وشرعا

---

(٤٢) ص ٥٦٨ حياة المسيح ، وانظر تفسير متى للأنبا اثناسيوس ٢١٢ .

لا يكون سيدا لأبيه . فاذن النبى الآتى من غير داود . وتعبير داود عن النبى الآتى بسيدى ، هو من قبيل الاحترام والتعظيم . كما قال عنه يوحنا المعمدان « الذى يأتى من بعدى هـو أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه » (متى ٣ : ١١) .

٣ — فى التوراة أن العمل على بنى اسرائيل محرم فى يوم السبت تحريما مؤكدا .

وجاء فى التوراة : « اذا دخلت زرع صاحبك ... الخ » (التثنية ٢٣ : ٢٥) وتصادف أن « ذهب يسوع فى السبت بين الزروع فجاع تلاميذه ، وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون . فالفريسيون لما نظروا قالوا لـه : هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت » (متى ١٢ : ١ — ٢) لأن السبت لا يصنع فيه عمل ما . فلفت عيسى عليه السلام انظارهم الى أن الضرورات تبيح المحظورات « قال لهم : أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه ، كيف دخل بيت الله ، وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ، ولا للذين معه ، بل للكهنة فقط » (متى ١٢ : ٣ — ٤) يشير بذلك الى ما ورد فى (سفر صموئيل الأول ٢١ : ١ — ٦) ثم يبين لهم : أن عمل الخير مباح فى يوم السبت ، والمحرم فى يوم السبت هو العمل اليومى المعتاد فى أمور المعاش ، كفتح المحلات التجارية والذهاب الى الحقول ، وما شابه ذلك . وضرب لهم مثلا وهو : أى انسان منكم يكون له خروف واحد ، فان سقط هذا فى السبت فى حفرة . أفما يمسكه ويقيمه ؟ فالانسان كم هو أفضل من الخروف . اذن يحل فعل الخير فى السبوت » (متى ١٢ : ١١ — ١٢) .

لقد حرم علماء بنى اسرائيل على الناس بتفسيراتهم ما لم يحـرمه الله . ولما جاء عيسى عليه السلام أحل لهم بعض ما حرموه على الناس ، بسبب هذه التفاسير ، وليس ما أحله كان محرما بنص فى التوراة . وهذا هو المقصود من قوله تعالى : « ولأحل لكم بعض الذى حرم عيلكم » (آل عمران ٥٠) لأن القرآن الكريم يقول عنه فى نفس الآية « ومصدقا لما بين يدى من التوراة» فكيف يكون مصدقا غير ، ويأتى بشرع يناقض أحكام التوراة؟ ولذلك قال القرطبى فى تفسيره : « قيل : انما أحل لهم اشياء حرمتها عليهم

الأحبار ، ولم تكن فى التوراة محرمة عليهم » وقال صاحب الكشـــاف : « قيل : أن عيسى عليه السلام كان متعبدا بما فى التوراة من الأحكام . لأن الانجيل مواعظ وزواجر ، والأحكام فيه قليلة . وظاهر قوله : « وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه » يرد ذلك ، وكذلك قوله : « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا » وان ساغ لقائل أن يقول : معناه : « وليحكموا بما أنزل الله فيه من ايجاب العمل بأحكام التوراة »

... ...

وقد صحح المسـيح اعتقادات لبنى اسرائيل ، قد أفسدت عليهم حياتهم . منها :

أ ــ انهم كانوا يعتقدون أن القريب لهم هو قريب النسـب من اللحم والدم . ولهذا الاعتقاد منعوا دخول الأمم فى شريعة موسى عليه السلام ، حتى لا يتساووا معهم فى رحمة الله ، وأباحوا لأنفسهم أخـذ الربا منهم (٤٣) . فبين المسيح أن القريب هو قريب المنفعة سـواء كان من بنى اسرائيل أو كان من الأمم . ففى انجيل لوقا أن عالما من علماء بنى اسرائيل « قال ليسوع : ومن هو قريبى ؟ فأجاب يسوع وقال : انسان كان نازلا من أورشليم الى أريحا ، فوقع بين لصوص ، فعروه وجرحوه ومضوا وتركوه بين حى وميت . فعرض أن كاهنا نزل فى تلك الطـريق فرآه وجاز مقابله . وكذلك لاوى أيضا ، اذ صار عند المكان جاء ونظر وجاز مقابله . ولكن سامريا مسافرا جاء اليه ، ولما رآه تحنن ، فتقـدم وضمد جراحاته وصـب عليها زيتا وخمرا وأركبه على دابته وأتى به الى فندق واعتنى به . وفى الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصـاحب الفندق ، وقال لـه : اعتن به ومهما أنفقت أكثـر فعند رجوعى أوفيك . **فأى هؤلاء الثلاثة ترى صار قريبا للذى وقع بين اللصوص ؟ فقال : الذى صنع معه الرحمة ؟ فقال له يسوع : اذهب أنت أيضا واصـنع هكذا »** (لو ١٠ : ٢٩ ــ ٣٧)

ب ــ وكان العالم من بنى اسرائيل يظهر أمام الناس بمظهر التقى

---

(٤٣) فى التوراة قد كتب اليهود : « لا تقرض أخاك بربا ، ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شىء مما يقرض بربا ، للأجنبى تقرض بربا . ولكن لأخيك لا تقرض بربا » (تث ٢٣ : ١٩ ــ ٢٠)

الورع ، ويبالغ فى مظهره بامتناعه عن مخالطة المذنبين والتعرض لهم .
فنصح المسيح تلاميذه بمخالطة المذنبين والتعرض لهم ، ليتوبوا الى بارئهم .
ففى انجيل متى : « وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى انسانا جالسا عند مكان الجباية ، اسمه متى . فقال له : اتبعنى . فقام وتبعه . وبينما هو متكىء فى البيت اذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه . فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه : لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة ؟ فلما سمع يسوع قال : لا يحتاج الأصحاء الى طبيب ، بل المرضى .فاذهبوا وتعلموا ما هو : انى أريد رحمة لا ذبيحة **لأنى لم آت لأدعو أبرارا بل خطاة الى التوبة** » (مت ٩ : ٩ — ١٣)

ت — وكان علماء بنى اسرائيل يعلمون الناس أحكام الشريعة وما يترتب على الفعل من جزاء ، فيقولون : « من ضرب انسانا فمات ، يقتل قتلا ، ولكن الذى لم يتعمد بل أوقع اله فى يده ، فأنا أجعل لك مكانا تهرب اليه » (خر ٢١ : ١٢ — ١٣) فوافقهم المسيح على هذا التعليم ، وعاب عليهم أنهم لم يحثوا الناس على أن يبتعدوا عن التفكير فى القتل حتى لا يقع القتل . أى أنهم فى نظره كان يجب عليهم أمران : أحدهما : أن ينصحوا المرء بأن لا يفكر فى الشر . وثانيهما : أنه اذا وقع الشر فلابد أن يقع على المرء الجزاء المناسب لفعله . يقول متى على لسان المسيح عليه السلام : « **قد سمعتم أنه قيل للقدماء : لا تقتل . ومن قتل يكون مستوجب الحكم . وأما أنا فأقول لكم : ان كل من يغضب على أخيه باطلا ، يكون مستوجب الحكم (٤٤)** » (مت ٥ : ٢١ — ٢٢)

* * *

وقد نصح المسيح بنى اسرائيل وتلاميذه بنصائح قيمة . نذكر منها قوله لتلاميذه : « **أنتم ملح الأرض**. ولكن ان أفسد الملح فبماذا يملح ؟ لا يصلح بعد لشىء ، الا لأن يطرح خارجا ويداس من الناس .

---

(٤٤) وعلى ما قدمنا فى دعوة المسيح ينتفى الزعم بأن ديانته روحية وديانة موسى مادية . فلم يأت المسيح بجديد عما تركه موسى بن عمران — عليهما السلام — .

أنتم نور العالم . لا يمكن أن تخفى مدينة موضوعة على جبل ، ولا يوقدون سراجا ويضعونه تحت المكيال ، بل على المنارة ، فيضيء لجميع الذين فى البيت . فليضيء نوركم هكذا قدام الناس ، لكى يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذى فى السموات » (مت ٥ : ١٣ — ١٦)

« لا يقدر أحد أن يخدم سيدين . لأنه اما أن يبغض الواحد ويحب الآخر ، أو يلازم الواحد ويحتقر الآخر . **لا تقدرون أن تخدموا الله والمال** . لذلك أقول لكم : لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون . ولا لأجسادكم بما تلبسون . أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس ؟ انظروا الى طيور السماء . انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن . وأبوكم السماوى يقوتها . ألستم أنتم بالحرى أفضل منها ؟

ومن منكم اذ اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدا ؟ ولماذا تهتمون باللباس ؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ؟ لا تتعب ولا تغزل . ولكن أقول لكم : انه ولا سليمان فى كل مجده ، كان يلبس كواحدة منها . فان كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غدا فى التنور ، يلبسه الله هكذا . أفليس بالحرى جدا يلبسكم أنتم يا قليلى الايمان ؟

فلا تهتموا قائلين : ماذا نأكل ؟ أو ماذا نشرب ؟ أو ماذا نلبس ؟ فان هذه كلها تطلبها الأمم ، لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون الى هذه كلها . **لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزاد لكم** . فلا تهتموا للغد . لأن الغد يهتم بما لنفسه . يكفى اليوم شره » (مت ٦ : ٢٤ — ٣٤)

والآن . الى ملكوت الله وبره .

الفصل الثانى

فى

ملكوت السموات

ملكوت **السموات** تعبير ورد فى التوراة وفى الانجيل ، للدلالة على حكم الله فى الأرض ، تمييزا لجماعة المؤمنين بالله والعاملين بشريعته ، عن جماعة الكافرين الذين لا يؤمنون بالله ، ويحكمون أنفسهم بقوانين قد تعارفوا فيما بينهم على الحكم بها .

فلو أن جماعة من البشر حكموا أنفسهم بقوانين بشرية قد تعارفوا فيما بينهم على الحكم بها ، فانه لا يطلق على مملكتهم ملكوت السموات . لأنهم لا يأخذون قوانينهم من اله السموات . أما الذين يأخذون قوانينهم من اله السموات ، ويؤمنون بأنه رب العالمين ، فهم الذين يطلق على مملكتهم ملكوت السموات . **والذى أطلق ملكوت السموات على حكم الله فى الأرض ، هو النبى المعظم دانيال ، أثناء سبى بنى اسرائيل ، فى بابل** . ذلك أن ملك بابل واسمه نبوخذ ناصر — وكان وثنيا — رأى فى حلم الليل أحلاما أفزعته ، وأطارت عنه نومه . وطلب تفسيرها من المجوس والسحرة والعرافين والكلدانيين . فقالوا له لا يفسرها « **غير الآلهة الذين ليست سكناهم مع البشر** » حينئذ تقدم النبى دانيال ، وبارك « **اله السموات** » بقوله : « ليكن اسم الله مباركا من الأزل والى الأبد ، لأن له الحكمة والجبروت . وهو يغير الأوقات والأزمنة ، يعزل ملوكا وينصب ملوكا . يعطى الحكماء حكمة ، ويعلم العارفين فهما . هو يكشف العمائق والأسرار ، يعلم ما هو فى الظلمة وعنده يسكن النور » ثم قال للملك الوثنى نبوخذ ناصر : « السر الذى طلبه الملك ، لا تقدر الحكماء ولا السحرة ولا المجوس

ولا المنجمون على أن يبينوه للملك . **لكن يوجد اله فى السموات كاشف الأسرار »** ثم ان دانيال قص الحلم على الملك ، وعبّره له . ولأن الملك كان وثنيا كافرا ، خاطبه دانيال عن الله عز وجل بانه **« اله السموات »** تمييزا عن الآلهة الأرضية التى يعبدها نبوخذ ناصر ، مع الحكماء والسحرة والمجوس والمنجمين والكلدانيين . ولقد قال نبوخذ ناصر لدانيال بعدما أخبره دانيال بالحلم والتعبير : **« حقا ان الهكم اله الآلهة ، ورب الملوك ، وكاشف الأسرار »** **وهذا هو نص الحلم كما يرويه دانيال فى الاصحاح الثانى من سفره :** « أنت أيها الملك كنت تنظر ، واذا بتمثال عظيم . هذا التمثال العظيم البهى جدا ، وقف قبالتك ، ومنظره هائل . رأس هذا التمثال من ذهب جيد ، صدره وذراعاه من فضة . بطنه وفخذاه من نحاس . ساقاه من حديد . قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف . كنت تنظر الى أن قطع حجر بغير يدين ، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما ، فانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب معا ، وصارت كعصافة البيدر فى الصيف ، فحملتها الريح . فلم يوجد لها مكان . **أما الحجر** الذى ضرب التمثال : فصار جبلا كبيرا ، وملأ الأرض كلها » أ. هـ.

يلاحظ فى هذا الحلم ما يلى :

١ ــ رأس التمثال ٢ ــ صدره وذراعاه ٣ ــ بطنه وفخذاه ٤ ــ ساقاه ٥ ــ الحجر الذى ضرب التمثال . وقد عبر دانيال الحلم بأن التمثال كله رمز لممالك تقوم على الأرض . وأن رأس التمثال يشير الى مملكة بابل التى يرأسها نبوخذ ناصر . والصدر يشير الى مملكة ثانية . والبطن يشير الى مملكة ثالثة . والساق يشير الى مملكة رابعة . وبعد المملكة الرابعة يقول دانيال عن الحجر : « يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض أبدا ، وملكها لا يترك لشعب آخر ، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك . وهى تثبت الى الأبد » ومفسرو النصارى يقولون : ان المملكة الثانية هى مملكة أهل فارس ، والثالثة هى مملكة اليونانيين التى أسسها الاسكندر ذو القرنين ، والرابعة هى مملكة الروم التى أسسها « بومبيوس » قبل ميلاد المسيح بثلاثة وستين

عاما . وأما الحجر الذى ضرب التمثال ، وصار جبلا كبيرا ، وملأ الأرض كلها فهو رمز لملكوت السموات الذى نادى المسيح مع يوحنا المعمدان باقترابه بعد زوال مملكة الروم .

وهذا هو تعبير الحلم كما يرويه دانيال نفسه : « أنت أيها الملك ملك ملوك . لأن اله السموات أعطاك مملكة واقتدارا وسلطانا وفخرا . وحيثما يسكن بنو البشر ، ووحوش البر وطيور السماء ، دفعها ليدك ، وسلطك عليها جميعها . فأنت هذا الرأس من ذهب . وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك ومملكة ثالثة أخرى من نحاس ، فتتسلط على كل الأرض ، وتكــون مملكة رابعة صلبة كالحديد . لأن الحديد يدق ويسحق كل شىء . وكالحديد الذى يكسر ، تسحق وتكسر هؤلاء . وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض من حديد . فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث انك رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين ، وأصابع القدمين بعضها من حديد ، والبعض من خزف . فبعض المملكة يكون قويا والبعض قصما . وبما رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين فانهم يختلطون بنسل الناس . ولكن لا يتلاصق هذا بذاك ، كما أن الحديد لا يختلط بالخزف .

وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض أبدا ، وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفنى كل هذه الممالك ، وهى تثبت الى الأبد » (دانيال ٢ : ٣٧ — ٤٤) .

... ...

وقد بينت التوراة أن ملكوت السموات يطلق على عهدين : **العهد الأول :** يبدأ من ظهور موسى بن عمران بالتوراة . **والعهد الثانى :** يبدأ من ظهور النبى الذى أخبر عن ظهوره موسى لينسخ شريعته . ففى سفر الخروج عن ملكوت العهد الأول : « وأما موسى فصعد الى الله . فناداه الرب من الجبل قائلا هكذا : تقول لبيت يعقوب وتخبر بنى اسرائيل : أنتم رأيتم ما صنعت بالمصريين . وأنا حملتكم على أجنحة النسور ، وجئت بكم الى . فالآن ان سمعتم لصوتى وحفظتم عهدى ، تكونون لى خاصة من بين جميع

الشعوب . فان لى كل الأرض . وأنتم تكونون لى : مملكة كهنة وأمة مقدسة » (خر ١٩ : ٣ — ٦) .

وفى سفر التثنية عن ملكوت العهد الثانى : « أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك واجعل كلامى فى فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به » (تث ١٨ — ١٨)

وفى سفر حزقيال عن نزع ملكوت العهد الأول من بنى اسرائيل ، لى النبى الذى له الحكم فى ملكوت العهد الثانى : « وأنت أيها النجس الشرير رئيس اسرائيل الذى قد جاء يومه فى زمان اثم النهاية . هكذا قال السيد الرب . انزع العمامة . ارفع التاج . هذه لا تلك . ارفع الوضيع وضع الرفيع . منقلبا منقلبا منقلبا أجعله . هذا أيضا لا يكون حتى يأتى الذى له الحكم فأعطيه اياه » (حز ٢ : ٢٥ — ٢٧)

وفى سفر دانيال عن زمان تأسيس ملكوت السموات فى العهد الثانى : « **وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض أبدا ، وملكها لا يترك لشعب آخر ، وتسحق وتفنى كل هذه الممالك . وهى تثبت الى الأبد** » (دا ٢ : ٤٤) .

ويطلق علماء بنى اسرائيل على عهد التوراة « الدهر الحاضر » فى مقابلة « الدهر الآتى » دهر الشريعة الجديدة التى ستكون مع النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى فى سفر التثنية . ويعبرون عن الدهر الآتى بمملكة الله الآتية ، أو ملكوت السموات . **ويقولون بدوام الدهر** الآتى الى يوم القيامة يوم يقوم الناس لرب العالمين .

وقد بينت الأناجيل الأربعة المقدسة عند النصارى : أن المسيح ابن مريم عليه السلام قال لبنى اسرائيل قد كمل زمان ملكوت العهد الأول ، واقترب زمان ملكوت العهد الثانى . وأنا أبشركم بالنبى الذى أخبر عن مجيئه موسى فى سفر التثنية ليقيم مملكة العهد الثانى الذى لن ينقرض ملكوته أبدا . فقد حكى مرقس ما نصه : « **جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله . ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالانجيل** » (مر ١ : ١٤) .

ويقول متى : « ابتدأ يسوع يكرز ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (مت ٤ : ١٧) ويقول : « وكان يسوع يطوف كل الجليل ، يعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت » (مت ٤ : ٢٣) ويقول : ان المسيح قال لتلاميذه : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء . ما جئت لأنقض ، بل لأكمل . فانى الحق أقول لكم الى أن تزول السماء والأرض ، لا يزول حرف واحد ، أو نقطة واحدة من الناموس ، حتى يكون الكل . فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات ، وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات . فانى أقول لكم : انكم ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين ، لن تدخلوا ملكوت السموات » (مت ٥ : ١٧ — ٢٠) ويقول : ان المسيح علمهم أن يقولوا فى الصلاة : « أبانا الذى فى السموات . ليتقدس أسمك ، ليأت ملكوتك » (مت ٦ : ٩ — ١٠) .

ويقول : ان المسيح أوصى تلاميذه أن لا يهتموا بهموم الرزق . فان الله يرزق من يشاء بغير حساب وأن يطلبوا « أولا ملكوت الله وبـره » (مت ٦ : ٣٣) .

ويقول : ان المسيح أوصى تلاميذه بقوله : « اكرزوا قائلين : انه قد اقترب ملكوت السموات » (مت ١٠ : ٧) .

ويقول متى : ان المسيح قال لعلماء بنى اسرائيل : « ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (مت ٢١ : ٤٣) .

وقد بينت الأناجيل الأربعة المقدسة عند النصارى : أن يحيى بن زكريا عليه السلام ، نادى باقتراب ملكوت السموات كما نادى عيسى عليه السلام . فقد حكى متى عنه : « جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (مت ٣ : ١—٢) وقد شرح النصارى ما حكاه عنه بما نصه : « لنذكر بايجاز الأغراض الرئيسية من كرازة المعمدان « قد اقترب ملكوت السموات » كان اليهودى يفهم من هـذه العبارة عودة حكم رجال الدين . ألم يتنبأ دانيال أنه فى آخر الامبراطوريات العظيمة الممثلة فى حلم نبوخذ ناصر ، يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض

أبدا ، وتسحق وتفنى كل الممالك . وهي تثبت الى الأبد ؟ ألم ير مقدما ذلك العصر الذى فيه يأتى ذاك الذى قيل بأنه مثل ابن انسان الى القديم الأيام ، لكى يأخذ منه سلطانا أبديا لن يزول ، وملكوتا لا ينقرض (دانيال ٧ : ١٣ ـ ١٤) ؟ اذن فقد كانت كل هذه التنبوءات على وشك الاتمام . كان المسيا الذى طال انتظاره قد اقترب » (١) أ. هـ.

يريدون أن يقولوا : أن ملكوت السموات معناه سيادة شريعة الله فى الأرض . وأن ملكوت السموات سيظهر عقب فناء الممالك الأربعة التى تحدث عنها النبى دانيال فى الاصحاح الثانى والسابع من سفره ، وأن ملكوت السموات سيتأسس على يد المسيا المنتظر ، وهو النبى الذى أخبر عن ظهوره موسى فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . وأن ملكوت السموات قد دعا يوحنا الى اقتراب زمانه .

... ...

وابراهيم النبى عليه السلام لما حطم الأصنام تحطيما ، وجاد بابنه الوحيد البكر ذبيحة لله ، باركه الله ووعده بمباركة الأمم فى ولديه اسماعيل واسحق . ففى التوراة عن ابراهيم : « وتتبارك فيك جميع قبائل الأرض » (تك ١٢ : ٣) وفى التوراة عن اسماعيل : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه » (تك ١٧ : ٢٠) وفى التوراة عن اسحق : « باسحق يدعى لك نسل ، وابن الجارية أيضا سأجعله أمة لأنه نسلك » (تك ٢١ : ١٢ ـ ١٣) وبركة اسحق خصصتها التوراة فى ابنه اسرائيل وحده . فقد باركه أبوه بقوله : « ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل » (تك ٢٧ : ٢٩) وبهذا التخصيص صار اسرائيل هو المقابل لاسماعيل فى البركة . التى تعنى رئاسة أبنائهما على الشعوب والقبائل للحكم بينهم بما أنزل الله .

ولقد اصطفى الله موسى بن عمران من آل اسرائيل بن اسحق للنبوة والكتاب . وبه بدأت بركة بنى اسحق فى الأمم . اذ يحدثنا التاريخ أن

---

(١) ص ٥٦ يوحنا المعمدان ـ الدكتور ف. ب. ماير

(٢) لاحظ ما كتبناه فى بركة اسماعيل عليه السلام فى الجزء الأول من هذا الكتاب .

موسى خرج ببنى اسرائيل من مصر ، وأمرهم بدخول الأرض المقدسة فدخلوها فاتحين ، وحكموا أهل الأرض بشرع الله . وساروا فى البلاد هادين الى الله حقبة طويلة من الزمان . وتحقق على يدى علماء بنى اسرائيل معنى ملكوت الله فى الأرض . ثم خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، وأهملوا الشريعة ، وحرفوها عن مواضعها . واتفقوا على أن يكفوا عن دعوة الأمم ، وعلى أن تكون التوراة لهم الى يوم الدين . ولما اتفقوا على ذلك نسوا التواضع وأظهروا الكبر ، واعتبروا أنفسهم سادة العالم ، وترفعوا عن مخالطة الأمم .

ومن اجل ذلك ضل العالم وزاغ وفسد ، واختلط الحق بالباطل . حتى أن النبى المنتظر لو ظهر فى العالم ، فان العالم لن يعرفه ، لاختلاط الحق بالباطل ، ولن يؤمن به العلماء الذين أفسدوا الشريعة ، لأنهم افسدوها ليكفروا به اذا جاء ، كما كفروا بآيات الله عز وجل .

وشاءت ارادة الله عز وجل أن يكون النبى عيسى بن مريم والنبى يحيى بن زكريا عليهما السلام شاهدين على علماء بنى اسرائيل ، وأن يكونا موضحين لما أخفوه من الحق . فأرسلهما يدعونهم الى التوبة والاستعداد للدخول فى ملكوت السموات الذى سيبدأ قريبا فى بنى اسماعيل . والا يتوبوا ويدخلوا فانهم هالكون لا محالة ، على يد النبى الآتى رحمة للعالم .

... ...

ويقول علماء النصارى : ان الملكوت الذى دعا المسيح الى اقترابه مع يوحنا المعمدان ، هو الملكوت الذي عبر عنه النبى المعظم دانيال فى الاصحاح الثانى من سفره بالحجر الهائل ، وهو يفسر التمثال الذى رآه نبوخذ ناصر فى حلم الليل . وهو أيضا الملكوت الذى أخبر النبى المعظم دانيال عن تأسيسه فى الاصحاح السابع من سفره ، بعد هلاك الحيوانات الأربعة التى ترمز الى ممالك أربعة تقوم على الأرض .

فملكوت السموات ويعبر عنه أيضا بملكوت الله ، أو الحياة الأبدية ، أو الحياة . هو ملكوت المسيا (المسيح) الذى كان ينتظره بنو اسرائيل ،

حتى زمان النبيين الكريمين : يحيى وعيسى — عليهما السلام — والمسيا هو النبى الذى وعد به موسى عليه السلام فى قوله : « يقيم لك الرب الهك : نبيا . من وسطك . من اخوتك . مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) ولما جاء دانيال النبى — وهو من الأنبياء الذين ظهروا أثناء السبى فى بابل سنة ٥٨٦ ق‌م — أخبر اليهود بحوادث مستقبلة . أخبرهم بأمم تأتى اثر أمم ، ثم يأتى من يؤسس ملكوت السموات . لقد أخبرهم بأربع ممالك تنشأ على الأرض ، وفى نهاية المملكة الرابعة يؤسس ملكوت السموات . واجماع المفسرين من النصارى نقلا عن اليهود : أن المملكة الرابعة هى الدولة الرومانية .

يقول دانيال فى الاصحاح السابع من سفره « ١ — فى السنة الأولى لبيلشاصر ملك بابل ، رأى دانيال حلما . ورؤى رأسه على مضجعه . مكتب الحلم وأخبر بجملة الكلام ٢ — أخبر دانيال وقال : رأيت فى رؤياى ليلا فاذا بأربع رياح السماء قد هجمت على البحر الكبير ٣ — فطلع من البحر أربعة حيوانات عظيمة يخالف بعضها بعضا ٤ — الأول مثل الاسد وله جناحا نسر ، وبين كنت أرى اذ اقتلع جناحاه ثم ارتفع على الأرض وقام على رجليه كانسان وأوتى قلب انسان ٥ — واذا بحيوان آخر شبيه بالدب فقام على جنب واحد ، وفى فمه ثلاث أضلع بين أسنانه . فقيل له : قم فكل لحما كثيرا ٦ — وبعد ذلك رأيت ، فاذا بآخر مثل النمر ، وله أربعة أجنحة طائر على ظهره . وكان للحيوان أربعة أرؤس وأوتى سلطانا ٧ — وبعد ذلك رأيت فى رؤيا الليل فاذا بحيوان رابع هائل شديد قوى جدا ، وله أسنان كبيرة من حديد ، فكان يأكل ويسحق ويدوس الباقى برجليه ، وهو يخالف سائر الحيوانات التى قبله ، وله عشرة قرون . ٨ — فتأملت القرون فاذا بقرن آخـــر صغير قد طلع بينهما ، وقلعت ثلاثة من القرون الأول من أمامى . واذا بعيون فى هـــذا القرن كعيون انسان ، وفم ينطق بعظائم ٩ — وبينا كنت أرى اذ نصبت عروش ، فجلس القديم الأيام ، وكان لباسه أبيض كالثلج وشعر رأسه كالصوف النقى ، وعرشه لهيب نار ، وعجلاته نار مضطرمة ١٠ — ومن أمامه يجرى ويخرج

نهر من نار . وتخدمه ألوف ألوف وتقف بين يديه ربوات ربوات ، فجلس أهل القضاء وفتحت الأسفار ١١ — وكنت أرى ماذا يكون عن صوت الأقوال العظيمة التى ينطق بها القرن . وبين كنت أرى اذ قتل الحيوان وتلف جسمه وجعل وقودا للنار ١٢ — أما باقى الحيوانات فأزيل سلطانها لكنها أوتيت طول حياة الى زمان ووقت **١٣ — ورأيت فى رؤى الليل : فاذا بمثل ابن البشر آتيا على سحاب السماء فبلغ الى القديم الأيام وقرب الى أمامه ١٤ — وأوتى سلطانا ومجدا وملكا . فجميع الشعوب والأمم والألسنة يعبدونه ، وسلطانه سلطان أبدى لا يزول . وملكه لا ينقرض ١٥** — فتروع روحى انا دانيال فى وسط جسمى وأقلقتنى رؤى رأسى ١٦ — فاقتربت الى أحد الواقفين وسألت عن حقيقة ذلك كله . فأخبرنى وأعلمنى بتعبير الكلام ١٧ — وهو أن هذه الحيوانات الأربعة العظيمة هى أربعة ملوك يقومون من الأرض ١٨ — لكن قديسى العلى يأخذون الملك ويحوزونه الى الأبد والى أبد الآباد ١٩ — فرغبت فى الاطلاع على حقيقة الحيوان الرابع الذى كان مخالفا بسائرها وهائلا جدا الذى أسنانه من حديد وأظفاره من نحاس ، وقد أكل وسحق وداس الباقى برجليه ٢٠ — وعلى القرون العشرة التى فى رأسه وعلى الآخر الذى طلع فسقطت من أمامه ثلاثة . ذلك القرن الذى له عيون وفم ينطق بعظائم ومنظره أعظم من أصحابه ٢١ — وقد رأيت فاذا بهذا القرن يحارب القديسين فغلبهم ٢٢ — حتى جاء القديم الأيام فأوتى قديسو العلى : القضاء وبلغ الزمان وحاز القديسون الملك ٢٣ — فقال هكذا : ان الحيوان الرابع يكون المملكة الرابعة على الأرض وتكون مخالفة لسائر الممالك ، فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها ٢٤ — والقرون العشرة التى من هذه المملكة هى عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدهم آخر ، وهذا يخالف الأولين ويخضع ثلاثة ملوك ٢٥ — وينطق بأقوال ضد العلى ويبتلى قديسى العلى ، ويخال أنه يغير الأزمنة والشريعة وسيدفعون الى يده الى زمان وزمانين ونصف زمان ٢٦ — ثم يجلس أهل القضاء فيزول سلطانه ويدمر ويباد على الدوام ٢٧ — ويعطى الملك والسلطان وعظمة الملك تحت السماء بأسرها لشعب قديسى العلى ، وسيكون ملكه ملك أبدى ويعبده جميع السلاطين ويطيعونه ٢٨ — الى هنا نهاية الكلام » (دانيال الاصحاح السابع — ترجمة اليسوعيين)

يقول الكاثوليك فى التعليق على هذا الكلام : (٢ — المراد بالبحر هنا العالم . والرياح الأربع رمز الى الفتن التى تثيرها فيه الممالك الأربع التى يشير اليها النبى ٣ — يرمز بالحيوان الى السلطان الأرضى . فالحيوانات الأربعة تشير الى الممالك الأربع الممثلة بتمثال الذهب المذكور فى الفصل الثانى . الا أن هنا كلام على المملكة الرابعة أطول مما هناك ٤ — أشار باقتلاع جناحى النسر الى انكسار الكلدانيين أمام الفرس وانتزاع الفرس القوة الحيوانية أى قوة السلطان من مملكة بابل . ثم ذكر أنه بعد ذلك حل فيها قلب انسان ، أى استبدل ذلك السلطان بسلطان آخر يحكم بالرفق والانسانية ٥ — الدب من البهائم : ذات البطش . الا أنه ليس فى قوة الأسد وهكذا كانت مملكة مادای وفارس بالنسبة الى الكلدانيين من قبل . وقوله : « فقام على جنب واحد وفى فمه ثلاث أضلع » : يحتمل أن يكون المراد به ما طرأ فى هذه المملكة الثانية من استعلاء الفرس على الماديين واستئثارهم بالقوة دونهم ، ثم ما ولى ذلك من اتحاد الأمم الثلاث : فارس ومادای والكلدان فى مملكة واحدة ٦ — هذا الحيوان هو مملكة اليونانيين التى انقسمت بعد موت الاسكندر الكبير الى أربع ممالك ٧ — **هذا الحيوان الرابع هو المملكة الرومانية والعشرة قرون التى له هى الممالك العشر التى تفرعت اليها هـذه المملكة فى عاقبة أمرها** ٨ — هذه المملكة التى تنشأ من الممالك العشر والممثلة هنا بقرن صغير هى كما ذهب اليه أكثر المفسرين : مملكة الدجال ١٢ — المعنى أنه بعد ما انحلت الممالك الثلاث الأولى وزال عنها الملك عادت شعوبها فتألفت ممالك صغيرة واستمر فيها الحكم ما شاء الله الى أن بلغ أجلها الموقوت ٢٥ — الى زمان وزمانين ونصف زمان ، أى الى ثلاث سنين ونصف سنة . وذلك وفاقا لرأى جمهور المفسرين الذين يحملون هذا الموضع على اضطهاد الدجال (انظر الرؤيا ١٢ : ٦ ، ١٣ : ٥) أ. هـ

الرد عليهم :

لا يعنينا أن نطيل فى كل جزئية من جزئيات تعليقهم على النص ، وانما الذى يعنينا هو تفسيرهم المملكة الرابعة بمملكة روما . اذ مجمل

قولهم : ان المملكة الأولى : هى مملكة الكلدانيين ، ويرمز لها بالأسد . والمملكة الثانية : هى مملكة الفرس وتغلبها على الكلدانيين ، ويرمز لها بالدب . والمملكة الثالثة : هى مملكة اليونان ، ويرمز لها بالنمر : والمملكة الربعة : هى مملكة الرومان ويرمز لها بحيوان هائل شديد قوى جدا ، وله أسنان كبيرة من حديد . ويلاحظ أن دانيال أطال الكلام عن المملكة الرابعة وقال بعدها مباشرة قبل تفسير الحلم : « **كنت أرى فى رؤى الليل واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان — وفى ترجمة الكاثوليك : « ابن البشر » — أتى وجاء الى القديم الأيام — وهو الله عز وجل — فقربوه قدامه فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض** » وهذا يعنى : أن مملكة ابن الانسان شبيهة بالممالك السابقة وتكون بعد مملكة روما . ويؤيد هذا قول دانيال وهو يفسر الحلم : « هؤلاء الحيوانات العظيمة ، التى هى أربعة ملوك يقومون على الأرض . أما قديسو العلى فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة الى الأبد والى أبد الآبدين » فقوله « يقومون على الأرض » يدل على أن الملكوت أرضى لا روحى .

والتاريخ ينبئنا : أن الذى أزال سلطان روما نهائيا هو نبى الاسلام ﷺ فيكون هو المقصود بملكوت السموات فى عبارات دانيال . ولا يكون هو عيسى ، لأن عيسى ولد فى بدء احتلال الرومان لاورشليم ، فانهم احتلوها لأول مرة فى سنة ٦٣ ق . م وعيسى كان يدفع الجزية للدولة الرومانية (متى ١٧ : ٢٧) وقال لليهود : « أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » (مرقس ١٢ : ١٧) ولم يعط الله لعيسى الملك والسلطان على جميع أمم الأرض والتعبير بقوله : « لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة » معناه : الطاعة التامة والخضوع للشريعة . وذلك مثل ما جاء فى التوراة عن اطاعة اليهود لملك بابل فى هذا النص : « فحلف جدليا لهم ولرجالهم وقال لهم : لا تخافوا من عبودية الكلدانيين . اسكنوا فى الأرض وتعبدوا لملك بابل . فيكون لكم خير » (الملوك الثانى ٢٥ : ٢٤) يريد بقوله « وتعبدوا لملك بابل » الخضوع لحكمه وهم فى ذل الأسر .

وما الذى يقوله النصارى فى ملكوت السموات ؟ يقولون : انه ملكوت عيسى ابن مريم عليه السلام . ويقولون : انه ملكوت روحى على قلوب من يؤمن

به ، كولاء التلميذ لمعلمه . ويقولون : ان الملكوت الذى نادى عيسى باقترابه هو الملكوت الذى أشار اليه دانيال عن ابن الانسان ، فى قوله فى النص المتقدم : « كنت أرى فى رؤى الليل واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء الى القديم الأيام فقربوه قدامه ، فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا ، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة ، سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض » (دانيال ٧ : ١٣ — ١٤) .

يقول الدكتور فردريك . فارار معلقا على لقب « ابن الانسان » : « هذا هو اللقب الذى يثير أقل عداوة ، وفى الوقت ذاته يفهم أنه يطلق على المسيا (قارن دا ٧ : ١٣ ويو ٧ : ٣٤ (٣) » .

ويقول متى هنرى فى بيان حالة عيسى ساعة المحاكمة : « وبالرغم من أنهم كانوا يرونه وقتئذ فى موقف المتهم فأنهم سوف يرونه قريبا جالسا فوق العرش « آتيا على سحاب السماء » وهذه تشير الى نبوة أخرى قيلت عن ابن الانسان (دانيال ٧ : ١٣ — ١٤) وطبقت على المسيح (لوقا ١ : ٣٣) » (٤).

ولئن قيل لهم : ان اشارات دانيال عن هذا الملكوت تشير الى أنه أرضى لشبهه بالممالك الأرضية الأربعة السابقة عليه ، ولما جاء عيسى عليه والسلام وقلتم : انه المقصود بكلام دانيال فكيف كانت مملكته ؟ وما تقولون فى ما جاء فى الأناجيل من أنه هرب من القوم الذين أرادوا أن يجعلوه ملكا عليهم ؟ (يو ٦ : ١٥) يقولون : ان ملكوت عيسى الذى نادى باقترابه : هو ملكوت روحى على قلوب المؤمنين به . بمعنى أن كل من يؤمن بالانجيل فهو تحت سلطان الولاء الأدبى لعيسى عليه السلام ، وعيسى يملك عليه ملكا روحيا . وهذا الملكوت الروحى يتحدث عنه الدكتور وليم أدى الامريكانى فيقول : « ملكوت السموات : ملكوت السماء أى ملكوت المسيح الروحانى يسمى أيضا ملكوت الله . ويستعمل متى هذه اللفظة ويكررها ثلاثين مرة فى بشارته . ويحتمل أنه نقل هذه الكلمات من : دانيال ٧ : ١٣ و ١٤ و ٢٧ و ٢ : ٤٤ ويسمى ملكوت السموات

---

(٣) ص ٢٩٢ حياة المسيح لفردريك .

(٤) ص ٣٢٨ ج ٤ تفسير انجيل متى لمتى هنرى .

لأنه ليس من العالم ، ولو كان فى العالم فمصدره وصفاته ونتائجه كلها سماوية ، ولأن ملكه المسيح أتى من السماء . ولكن اليهود ظنوا أنه يكون ملكوتا أرضيا . ولذلك رفضـــوا مخلصا متواضـــعا . فسماه متى سماويا ، ليصلح هذا الغلط ، ولم يسلم الرســـل من هذا الخطأ الا بعد يـــوم الخمسين ، ويوحنا المعمدان لم يرد بذلك ملكا مستقبلا محضا ، بل ملك المسيح من بدء مجيئه الى هذه الأرض ، الى مجيئه الثانى ، وتكميله ملكوته فى السماء . وكانت أكثر آراء يوحنا فى هذا الملكوت روحية ، ولكن لـــم تخل أفكاره من آراء اليهود الشائعة فى أمر المسيح » (٥) .

ويتحدث عنه متى هنرى فيقول فى تفسير قول متى عن المســـيح : « توبوا : لأنه قد اقترب ملكوت السموات » يقول : « توبوا لأنه قد اقترب ملكوت الســـموات » : أي عصر الانجيل لعهد النعمة . افتتاح ملكوت السموات لكل المؤمنين بموت يسوع المسيح وقيامته ، انه « ملكوت » يملك عليه المسيح ويجب أن نكون نحن الرعية المخلصة الأمينة . انه « ملكوت السموات » وليس ملكوت العالم . ملكوت روحى أصله من السماء واتجاهه نحو السماء . ويوحنا المعمدان نادى بهذا الملكوت باعتباره « قد اقترب » : اذن فقد كان على الأبواب ، الينا نحن قـــد جـــاء ، بانسكاب الروح القدس ، واستعلان غنى نعمة الانجيل » (٦) .

والمعنى : أن فى مسألة بدء الملكوت رأيان بارزان :

الأول : أن ملكوت السموات يبدأ من مجيء عيسى بالدعوة الى زمان رفعه الى السماء ، ثم يأتى عيسى ثانية فى نهاية الزمان ليكمل هـــذا الملكوت فى السماء .

والثانى : « أن ملكوت السموات لا يبدأ من مجيىء عيسى بالدعوة ، ولا من بعد رفعه ، ولكن من اليوم الخمسين بعد الرفع ، وهو يوم انسكاب الروح القدس على التلاميذ ، وبلبلة ألسنتهم .

---

(٥) ص ٢٥ ـــ ٢٦ ج الكنز الجليل فى تفسير الانجيل .
(٦) ص ٨٤ ج ١ تفسير انجيل متى لمتى هنرى .

ونرد عليهم بما يلى :

١ ـــ انه ورد فى أصل فكرة الملكوت : أنه أرضى لا روحى ، لشبهه بسائر الممالك السابقة عليه . كما دعا يوحنا المعمدان الذى لم تخل أفكاره عنه من آراء اليهود ـــ كما يقولون عنه ـــ واذا كان روحيا وتأسس بعد الخمسين ، فانه يلزم عليه أن من آمن بعيسى فى حياته ، ومن آمن به قبل يوم الخمسين ، لا يكون داخلا فى الملكوت . وقد آمنت به قرى بأسرها ، وآمن به ألوف من بنى اسرائيل رجالا ونساء . ومن اعجابهم به أرادوا أن يجعلوه ملكا ـــ كما تقول الأناجيل ـــ .

٢ ـــ انهم يقولون : أن المسيا صاحب الملكوت ، سيكون من ذرية داود ، وأن عيسى هو المسيا ، وسوف « يعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه ، ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ، ولا يكون لملكه نهاية » (لو ١ : ٣٢ ـــ ٣٣) فيلزم على هذا القول : أن يكون ملك عيسى : ملكا أرضيا لا روحيا ، لأن ملك داود فى الزمن القديم كان ملكا أرضيا . وهذا على حد قولهم فى نسب المسيح . وقد بينا من قبل أنه من نسل هارون من سبط لاوى ، ولم يكن ملكا على كرسى داود .

٣ ـــ الأمثال : التى وردت فى الاناجيل عن ملكوت السموات ، تشير الى ملك أرضى يشبه الملك الأرضى القديم ، من حيث الأرض والناس والشريعة السماوية : ففى نهاية أحد الأمثال عن الملكوت يقول المسيح : « ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (متى ٢١ : ٤٣) ويقول فى نهاية مثل آخر : « هكذا يكون الآخرون اولين ، والأولون آخرين . لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون » (متى ٢٠ : ١٦) .

٤ ـــ نقل النصارى عن علماء اليهود : أن ملكوت السموات ، هو ملكوت أرضى . واليهود أعرف الناس بلغة كتابهم . وما قالوه عن الملكوت مشابه لما جاء فى عبارات الأناجيل ، وأمثال الأناجيل . وينطبق تمام الانطباق على نبى الاسلام ﷺ . يقول متى هنرى : « كانت صلاة اليهود يوميا ، الى الله هكذا : « ليملك ملكوته ، ليزدهر فداؤه ،

وليأت مسياه ، ويخلص شعبه » (٧) فهل أتى عيسى ، وملك ، وخلص شعبه ، ونعم اليهود فى عهده بالرخاء ؟

٥ — واذا كان الملكوت هو عصر الانجيل وقد كرز وبشر به عيسى مع بدء نبوته ، فلماذا يعبر عيسى باقترب ؟ ولماذا يوصى التلاميذ بأن يقولوا لليهود : انه « اقترب » ؟ واذا كان الملكوت قد أسس فعلا فى يوم الخمسين ، فلماذا يقول النصارى الآن فى صلواتهم : « أبانا الذى فى السموات . ليتقدس أسمك . ليأت ملكوتك » (متى ٦ : ٩ — ١٠) لماذا يقولون : « ليأت » اذا كان هو قد أتى ؟ ولماذا يقول عيسى فى الانجيل أن من علم الناس بغير ما علمت به ، يكون محتقرا فى ملكوت السموات . يقول : « فمن نقض احدى هذه الوصايا الصغرى ، وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيما فى ملكوت السموات . فأنى أقول لكم : انكم أن لم يزد بركم على الكتبة والفريسين ، لن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ٥ : ١٩ — ٢٠) من الذى يحكم بالصغر أو الكبر فى ملكوت السموات ، اذا كان الملكوت هو عصر الانجيل ؟

٦ — وتلاميذ عيسى كانوا يفهمون أن الملكوت أرضى . ولذلك سألوه بعد قيامته من الأموات وظهوره على الأرض : « هل فى هذا الوقت ترد الملك الى اسرائيل ؟ » (أعمال ١ : ٦) يقول الدكتور وليم أدى الأميريكانى فى تفسير هذه العبارة : « هذا السؤال نتيجة ما اعتقده اليهود عامة من أن المسيح يكون ملكا أرضيا يحرر أمة الاسرائيليين من سلطة الرومانيين ، ويرد عظمتها التى كانت لها فى أيام داود وسليمان على وفق المواعيد (أ ش ١ : ٢٦ ودا ٧ : ٢٧) فاجتهد المسيح أن ينفى هذا الوهم ، وأن يعلم تلاميذه أن ملكوته روحى ، ليس من هذا العالم » (٨) واذا كان فهم التلاميذ هكذا الى ما بعد صلبه وقتله ورفعه ونزوله وظهوره — كما يزعمون — فما الذى علمه عيسى لهم وهو على قيد الحياة ؟

... ...

---

(٧) ص ٢٧٥ — ٢٧٦ ج ١ انجيل متى ، لمتى هنرى .
(٨) ص ٨ ج ٣ الكنز الجليل .

وفى آخر الزمان فى نهاية الدنيا . يقول النصارى : سينزل عيسى من السماء . وفى نزوله يقوى ايمان المؤمنين ويشتد ، ويتلاشى الشر من الأرض بهلاك الأشرار ، ولا يبقى فيها الا المؤمنون . ثم تقوم القيامة ، وعند نزول عيسى ينتهى عصر الملكوت الروحى ، ويبدأ عصر جديد يسمى « المجىء الثانى للمسيح » وفيه دينونة الخلائق . وليس نزول عيسى على الأرض كما نمشى نحن عليها ، وكما يحكم ملوكها . بل هو نزول روحى أيضا يسيطر فيه على قلوب الناس . وهذا هو رأى الطوائف العظمى . ونورد هنا آراءهم بايجاز . لأنهم يفسرون بعض الأمثال التى تدل على مجىء نبى الاسلام محمد صاحب الملكوت بأنها تشير الى مجىء المسيح فى آخر الزمان .

الرأى الأول : (الملك الأرضى) :

من النصارى من يقول : سيأتى ليملك عيسى على الأرض ملكا ظاهريا ألف سنة فقط ، ويرتبون الحوادث على النحو الآتى :

(أ) مرحلة الاختطاف أو الرجاء المبارك ، ويوم حدوثها يسمى : يوم المسيح .

(ب) مرحلة ظهور المجىء أو مرحلة الاستعلان ، ويوم حدوثها يسمى : يوم الرب .

ومرحلة الاختطاف معناها : أن كل الأموات الذين اعترفوا بعيسى عليه السلام سيقومون قرب انتهاء الدنيا من القبور ، والأحياء المعترفون بعيسى الذين لم يذوقوا الموت بعد ، ستتغير أجسادهم فيشبهون الأموات الذين قاموا من الموت . وهؤلاء جميعا الأموات والأحياء يختطفون جميعا لملاقاة عيسى فى السماء . وقد تحدث بولس عن مرحلة الاختطاف هذه فقال : « فأننا نقول لكم هذا بكلمة الرب : أننا نحن الأحياء الباقين الى مجىء الرب ، لا نسبق الراقدين . لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس ملائكة وبوق الله ، سوف ينزل من السماء ، والأموات فى المسيح سيقومون أولا ، ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعا معهم فى السحب لملاقاة الرب فى الهواء . وهكذا نكون كل حين مع الرب » (الرسالة الأولى الى أهل تسالونيكى ٤ : ١٥ — ١٧) .

ومرحلة ظهور المجيء معناها : أنه بعد مدة ينزل عيسى من السماء بصحبة الأبرار الذين اختطفهم فى الهواء ، وتقف قدماه فى ذلك اليوم على جبل الزيتون ، الذى كان قد صعد منه الى السماء ، ويبصره جميع الناس . يقول بولس لأهل تسالونيكى : « لكى يثبت قلوبكم بلا لوم فى القداسة ، أمام الله أبينا فى مجيء ربنا يسوع المسيح مع جميع قديسيه » (الأولى ٣ : ١٣) ويقتبسون عن هذا الظهور من التوراة عبارة من سفر زكريا هذا نصها : « وتقف قدماه فى ذلك اليوم على جبل الزيتون ، الذى قدام أورشليم من الشرق ... ويأتى الرب الهى وجميع القديسين » (زكريا ١٤ : ٤ — ٥) وفى مرحلة ظهور المجيء يكون عيسى عليه السلام آتيا للمجد الدنيوى ويستمر ملكه ألف عام على الأرض ظاهرا .

وقبل مرحلة ظهور المجيء هذه ، ينزل موسى وايليا عليهما السلام من السماء ، ليشهدا أمام الناس بظهور ملك عيسى — عليه السلام — (٩).

الرأى الثانى : (الملك الروحى) :

ومن النصارى من يقول : أن ملك الألف سنة سيكون ملكا روحيا ، وأن نزول عيسى آخر الزمان سيكون نزولا روحيا . وقبل نزوله بقليل ، ينزل ايلياء من السماء لمقاومة الدجال (١٠) ويرتبون الحوادث على النحو الآتى :

(أ) القيامة الأولى : ومعناها : أن الأبرار الذين استشهدوا من أجل الايمان بعيسى عليه السلام ، والذين ماتوا على صلاح وتقوى ، سوف تظهر أرواحهم فى المؤمنين بعيسى ، الذين لم يموتوا بعد فى آخر الزمان ، ليجعلوهم أهل غيرة وقداسة كالشهداء . وفى الوقت الذى تقوى فيه الغيرة وتشتد ، يبدأ ملك المسيح مع شعبه ملكا روحيا على قلوب المؤمنين . وليس بالمجد والسلطان الظاهر . واذا بدأت المملكة الروحية . منهم من

---

(٩) انظر تفصيل هذا الرأى فى : ص ٩٨ و ١٠٣ و ١٣٩ و ١٤٧ — ١٤٨ المجيء الثانى للمسيح والأحداث العالمية .

(١٠) ص ٨٦ حواشى على المجلد الأول من الكتاب المقدس للكاثوليك .

يقول بمجيء المسيح في بدئها ، ومنهم من يقول في نهاية ألف سنة من بدء المملكة .

(ب) الموت الثاني : وفي الوقت الذي تظهر فيه أرواح الشهداء لتقوية المؤمنين ، يفني جميع الأشرار بالنفس والجسد . يقول الدكتور وليم أدى الأمريكاني في شرحه لعبارة الانجيل : « وأما بقية الأموات فلم تعش حتى تتم الألف سنة . هذه هي القيامة الأولى » (رؤيا يوحنا ٢٠ : ٥) ويقول : « القيامة الأولى : روحية لا حقيقية . ومعناها : أن الشهداء يقومون بالروح لا بالجسد ، أي أن روحهم يظهر في كل المؤمنين فيكون كلهم أهل غيرة وقداسة ، كالشهداء . ووجود مثل ذلك الروح في الكنيسة ، يستحق أن يسمى بالقيامة الأولى. وهو وصف لحال الكنيسة ، لا لعملها . ولا مقابلة للقيامة الأولى بقيامة ثانية ، بل بالموت الثاني » (١١) ويقول في شرحه لعبارة « مبارك ومقدس من له نصيب في القيامة الأولى . هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم ، بل سيكونون كهنة الله والمسيح ، وسيملكون معه الف سنة » (رؤية ١٠ : ٦) يقول : « ان غبطة ذلك النصيب تقوم بملك المسيح مع شعبه ملكا روحيا . وهذا يكون وقت نيل زيادة المعرفة والقداسة ، وامتلاء الأرض من معرفة مجد الرب . كما تغطي المياه البحر » (حبقوق ٢ : ١٤) وهذا الوقت الذي فيه « لا يعلم بعد كل واحد صاحبه وكل واحد أخاه . قائلين : أعرفوا الرب ، لأنهم كلهم سيعرفونه من صغيرهم الى كبيرهم » (ارميا ٣١ : ٣٤) أنظر أيضا (يوحنا ١٠ : ٢٧و٢٨ ،١١ : ٢٦) ويكون كل المؤمنين يومئذ مقدسين (ص ١٨ : ٢٠ و ١٩ : ٨) ويصيرون كهنة الله . فاذن ذلك غير مقصور على الشهداء « هؤلاء ليس للموت الثاني سلطان عليهم » وهؤلاء القديسون أجيال متوالية يملكون في عصور متوالية ، ويحيون حياة مقدسة ، ويشبهون الشهداء في الروح ، ويملكون مع المسيح ملكا روحيا ، ألف سنة . والمراد بالموت الثاني : هلاك النفس والجسد معا (متى ٢٥ : ٣٦) « سيكونون كهنة الله وللمسيح » : ص ١ : ٦ هذا الوعد لكل المؤمنين لا للشهداء

---

(١١) ص ١٤١ جـ ٥ الكنز الجليل .

فقط ، وهو الى الأبد ، لا الى نهاية ألف سنة ص ١٣ : ٢ » (١٢) .

ثم يقول الدكتور وليم بشأن الألف سنة : « يتضح من التفسير السابق كثرة الآراء فى الألف سنة ، واختلاف المفسرين فى زمان مجىء المسيح الثانى . فأن البعض يقولون : أنه فى أول مدة الألف سنة بناء على ما جاء فى ص ١٩ (من سفر الرؤيا) . ويقول غيرهم : انه يكون فى آخر المدة المذكورة بناء على أقوال كثيرة فى البشائر والرسائل (الأناجيل ورسائل الرسل) ولعل الروح القدس : لم يقصد أن يوضح لنا تفاصيل هذه الرؤيا ، بل أننا نفهم جوهريا فقط . فيكفينا أن نعرف أن المسيح يأتى ثانية ، وتكون مدة طويلة يستريح فيها العالم من ابليس بعض الراحة ، غير أنه يبقى غير مؤمنين يقومون للمقاومة فى آخر المدة ، وأخيرا ينتصر المسيح على كل أعدائه ، ويكون يوم لدينونة العالم الأبرار والأشرار . فيجب أن لا نصدق الذين يدعون بأنهم يقدرون أن يفسروا كل شىء بالتفصيل ويعينو الأوقات تماما (١٣) »

***

وعامة النصارى على الرأى الثانى . ويسمون أصحاب الرأى الأول هراطقة . أى ملحدون . يقول علماء الكاثوليك فى حواشيهم على عبارة سفر الرؤيا وهى : « سعيد ومقدس من له نصيب فى القيامة الأولى : أن هؤلاء لا يكون عليهم للموت الثانى سلطان . بل يكونون كهنة لله وللمسيح ، ويملكون معه ألف سنة » (٢٠ : ٦) يقولون : « المراد بالألف سنة المذكورة هنا : الزمان الذى ما بين صعود المسيح الى السماء ، الى رجوعه الى الأرض فى يوم الدينونة . والمراد بالقيامة الأولى : نهوض النفس من الخطيئة ودخولها دون جسد فى السعادة الأبدية ، وتليها القيامة الثانية ، وهى قيامة الأجساد . فتتم حينئذ غبطة الانسان نفسا وجسما . والمراد بالموت الثانى : هلاك الجسد والنفس

---

(١٢) ص ١٤١ جـ ٥ الكنز الجليل .
(١٣) ص ١٤٤ جـ ٥ الكنز الجليل .

معا فى نار جهنم ، كما يفهم بالموت الأول سقوط النفس فى الخطيئة وهلاكها فى جهنم بدون الجسد . فليس المعنى كما زعم قوم من الهراطقة : أن المسيح يعود الى الأرض قبل الدينونة ويملك ألف سنة على وجه الأرض مع القديسيين فى اللذات الأرضية والرفاهية والتنعم » (١٤) .

***

ومع اختلافهم فى ملك عيسى — عليه السلام — هل هو أرضى أم سماوى ؟ يختلفون أيضا فى يوم ظهوره :

١ — ففريق يرى أنه عند المجىء تنحل الكواكب وتتفتت السموات ، استنادا على قول بطرس : « سيأتى كلص فى الليل ، يوم الرب الذى فيه تزول السماء بضجيج ، وتنحل العناصر محترقة ، وتحترق الأرض والمصنوعات التى فيها » (٢ بط ٣ : ١٠)

٢ — وفريق يرى أن ما ورد فى الانجيل عن نهاية العالم عند المجىء ، ما هو الا تصوير روحى للضعف الذى يسبقه « فيقولون : ان المقصود بأن الشمس تظلم ، هو ضعف الحياة الروحية فى الكنيسة ، فلا يرى الناس نور الرب واضحا » (١٥) .

... ...

وبعد هذا العرض الموجز عن ملكوت السموات ، نذكر الأمثال التى ضربها عيسى عليه السلام لملكوت السموات ، لنعرف مغزاها ومرماها .

---

(١٤) ص ٥٥ حواش على المجلد الثالث من الكتاب المقدس للكاثوليك
(١٥) ص ٢٤٢ — ٢٤٣ انجيل متى للأنبا اثناسيوس .

أمثال ملكوت السموات

١ — مثل الزارع

النص « خرج يسوع من البيت ، وجلس عند البحر ، فاجتمع اليه جموع كثيرة . حتى انه دخل السفينة وجلس . والجمع كله وقف على الشاطىء . فكلمهم كثيرا بأمثال ، قائلا : هو ذا الزارع خرج ليزرع . وفيما هو يزرع ، سقط بعض على الطريق . فجاءت الطيور وأكلته . وسقط آخر على الأماكن المحجرة ، حيث لم تكن له تربة كثيرة ، فنبت حالا ، اذ لم يكن له عمق أرض ، ولكن لما أشرقت الشمس احترق . واذ لم يكن له أصل جف . وسقط آخر على الشوك ، فطلع الشوك ، وخنقه . وسقط آخر على الأرض الجيدة ، فأعطى ثمرا . بعض مئه وآخر ستين ، وآخر ثلاثين . من له أذنان للسمع فليسمع » . (متى ١٣ : ١ — ٩) ثم فسر المسيح عليه السلام المثل بقوله : « فاسمعوا أنتم مثل الزارع : كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم ، فيأتي الشرير ويخطف ما قد زرع فى قلبه . هذا هو المزروع على الطريق . والمزروع على الأماكن المحجرة هو الذى يسمع الكلمة وحالا يقبلها بفرح ، ولكن ليس له أصل فى ذاته ، بل هو الى حين . فاذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالا يعثر . والمزروع بين الشوك هو الذى يسمع الكلمة . وهم هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر . وأما المزروع على الأرض الجيدة ، فهو الذى يسمع الكلمة ويفهم (١) ، وهو الذى يأتى بثمر . فيصنع بعض

---

(١) يحكى برنابا ما نصه : « أجاب يعقوب : يا معلم لو فرضنا أن أتى نبى دعى ، ومعلم كذاب مدعيا أنه يهذبنا . فماذا يجب أن نفعل ؟ أجاب يسوع بمثل : يذهب رجل ليصطاد بشبكة ، فيمسك فيها سمكا كثيرا ، والردىء منه يطرحه . ذهب رجل ليزرع . وانما الحبة التى تقع ، على أرض صالحة هى التى تحمل بذورا . فهكذا يجب عليكم أن تفعلوا مصغين الى الجميع ، وقابلين الحق فقط ، لأن الحق وحده يحمل للحياة الأبدية » (برنابا ١٢٣ : ١٩ و ١٢٤ : ١ — ٣) .

مئة ، وآخر ستين ، وآخر ثلاثين » (متى ١٣ : ١٨ — ٢٣ مرقس ٤ : ٣ — ٢٥ لوقا ٨ : ٤ — ١٨ برنابا ١٣٢ : ١ — ٨) .

الشرح والبيان

الهدف من هذا المثل : الناس تجاه ملكوت السموات وانتشاره ، وتقبلهم للقرآن الكريم كتاب الملكوت .

التفسير : أنواع الأرض الأربعة تمثل أنواعا من الناس : ١ — أرض الطريق وهى لا تصلح لنماء البذور ، فهى أرض جامدة ، والبذور التى تسقط عليها تبقى على سطح الأرض تطؤها أقدام المارة ، وتلتقطها الطيور . وبعض الناس أشبه بهذا النوع ، يهملون تعاليم الدين ، فتقسوا قلوبهم ، فلا يستفيدون من المواعظ ، كما لا يستفيد الزارع من الحب ، الذى يسقط فى الطريق . ٢ — الأرض الحجرية : حيث تكون الصخور قريبة من سطح الأرض ، ولا تغطيها الا طبقة رقيقة جدا من الطمى وهذه الأرض تنمو فيها البذور ، ولكن ليس لها عمق ، ولذلك تجف بسرعة وتحترق اذا أشرقت عليها الشمس . وهذا يمثل من يتأثر بكلام الله حين يسمعه ويتحمس له حماسا وقتيا ، ثم تخمد جذوة هذا الحماس ، اذا صادفته الصعاب . ٣ — أرض الشوك : وفيها ينبت الشوك حول الزرع ، ويخنقه بعد أن يمتص غذاءه ويجعله بلا ثمرة . وهذا ما يحدث عندما تطغى مشاغل الحياة على تأثير كلام الله ، فيصبح كلام الله بلا فائدة . ٤ — الأرض الجيدة . وهى الأرض التى تعطى الحصاد الوفير ، حسب جودة الأرض ودرجة خصوبتها . وهى تشبه من يسمع كلمة الله عز وجل ، ويعمل بها ، ويدعو غيره الى العمل بها . وعندما تصيبه المحن والشدائد ، يكون ثابتا على ايمانه ، ولا تزل قدمه عن طاعة الله .

وهذا المثل قال فى معناه ، رسول الله ﷺ : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم ، كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا . فكان منها نقية قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير ، وكانت منها أجادب أمسكت الماء ، فنفع الله بها الناس ، فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة

أخرى ، انما هى قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ . فذلك مثل من فقه فى دين الله ،ونفعه ما بعثنى الله به ، فعلم وعلم . ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ، ولم يقبل هدى الله الذى أرسلت به » (٢) .

وهذا المثل فسره المسيح نفسه فى رواية برنابا هكذا : « ان الرجل الذى يزرع البذور على الطريق أو على الحجارة أو على الشوك أو على الأرض الجيدة ، هو من يعلم كلمة الله ، التى تسقط على عدد غفير من الناس . تقع على الطريق متى جاءت الى آذان البحارة والتجار الذين أزال الشيطان كلمة الله من ذاكرتهم ، بسبب الأسفار الشاسعة التى يزمعونها وتعدد الأمم التى يتجرون معها . وتقع على الحجارة متى جاءت الى آذان رجال البلاط ، لأنه بسبب شغفهم بخدمة شخص حاكم لا تنفذ اليهم كلمة الله . على أنهم وان كان لهم شىء من تذكرها ، فحالما تصيبهم شدة تخرج كلمة الله من ذاكرتهم . لأنهم وهم لم يخدموا الله ، لا يقدرون أن يرجوا معونة من الله . وتقع على الشوك متى جاءت الى آذان الذين يحبون حياتهم ، لأنهم وان نمت كلمة الله فيهم . اذا نمت الأهواء الجسدية خنقت البذور الجيدة من كلمة الله ، رغد العيش الجسدى يبعث على هجران كلمة الله .

أما الذى يقع على الأرض الجيدة فهو ما جاء من كلمة الله الى اذنى من يخاف الله . حيث تثمر الحياة الأبدية . الحق أقول لكم : ان كلمة الله تثمر فى كل حال ، متى خاف الانسان من الله » (برنابا ١٣٣ : ٣ — ١٢).

وجهة نظر النصارى : يقولون : ان « البذار المزروع هو كلمة الله التى دعيت هنا « كلمة الملكوت » والمقصود بالملكوت هنا : « ملكوت السموات » أما ممالك العالم فلا يليق تسميتها « بالملكوت » اذا ما قورنت بملكوت السموات . كلمة الانجيل هى كلمة الملكوت » (٣) .

الرد عليهم :

ما المراد بكلمة الملكوت ؟

---

(٢) البخارى باب فضل من علم وعلم .

(٣) ص ٣١٣ جـ ٢ تفسير انجيل متى — لمتى هنرى .

اما أن يراد بها الانجيل الداعى الى مجىء الملكوت ، واما أن يراد بها الكتاب الذى سيأتى به صاحب الملكوت ، الكتاب الذى قال المسيح عن صاحبه : « فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يو١٤: ٢٦) وأى دعوة لنبى أو لصاحب دعوة فان الناس تجاهها على أربعة أنواع ــ كما هو مبين فى مثل الزارع ــ ولذلك قال النبى ﷺ عن كتابه ، كما قال المسيح عليه السلام فقد قال ﷺ : « مثل ما بعثنى الله به من الهدى والعلم ... الخ »

ولا خلاف بيننا وبين النصارى فى أن البذار المزروع هو « كلمة الله » التى دعيت هنا « كلمة الملكوت » وانما الخلاف بيننا وبينهم فى أنهم يقولون : ان ملكوت السموات الذى نادى المسيح باقترابه هو ملكوت المسيح نفسه ، ونحن نقول : ان ملكوت السموات الذى نادى المسيح باقترابه هو ملكوت محمد ﷺ ، وعلى ذلك فكلمة الملكوت معناها ــ على الرأى الصحيح ــ الكلمة التى تبشر بمجىء الملكوت ، وتلزم بنى اسرائيل والأمم بالدخول فيه . وقبولها صعب ، لأن اليهود يضطهدون من يعترف بمحمد ﷺ .

وهذا الملكوت هو ملكوت محمد ﷺ ، لأن عيسى بدأ دعوته بقوله : « اقترب ملكوت السموات » (مت ٤ : ١٧)

ويوحنا المعمدان المعاصر لعيسى قال نفس القول . قال : « اقترب ملكوت السموات » (متى ٣ : ١) وأوصى عيسى تلاميذه أن يقولوا فى صلواتهم : « ليأت ملكوتك » . ولأنه لو كان المقصود بهذا الملكوت عصر الانجيل ، ما كان المسيح يعبر باقترب ، فانها تدل على مجىء آخر ، وما كان يضرب الأمثال لعلماء بنى اسرائيل . فان المثل لا يضرب الا لتوضيح ما كان خافيا . وكان يكفيه بدل ضرب الأمثال ، أن يقول : انى أنا المقصود بملكوت السموات ، الذى ينتظره اليهود ، ولا نبى بعدى . وما كان يسكت حتى يقول له اليهود : « الى متى تعلق أنفسنا ؟ ان كنت أنت المسيح ، فقل لنا جهرا» (يو ١٠ : ٢٤) وعبارة « من له أذنان للسمع فليسمع »

تدل على اثارة الانتباه لدى السامعين ، وحملهم على كد الذهن فى المقصود بالمثل . ولو كان عيسى هو صـــاحب الملكوت لكان جديرا به أن يقول : « من له عينان للرؤيا فليرى » أو ما اشبه ذلك . **والعبارات الزائدة عند مرقس ولوقا ، تؤكد ما أشرنا اليه** . يقول مرقس فى نهاية المثل : « ثم قال لهم : هل يؤتى بسراج ليوضع تحت المكيال أو تحت السرير » ؟ لا . لا يمكن أن يوضع مصباح تحت غطاء يحجب ضوءه « أليس ليوضـــع على المنارة » ؟ أجل . فان من شأن المصابيح اذا أوقدت أن توضع فى مكان مرتفع ، ليعم المكان ضوؤها ، وينتفع به . ومعنى كلامه : أن الله الذى سيرسل نبيه نورا للعالم ، لن يمكن أعداءه من اخفاء حقيقته . ويذكـــر مرقس ولوقا : أن عيسى صرح بنزع الملكوت من غير أهله ، واعطـــائه لمستحقيه فى قوله عليه السلام : « فانظروا كيف تسمعون ؟ لأن من لـــــه سيعطى ، ومن ليس له ، فالذى يظنه له ، يؤخذ منه » وقد أخـــذه أبناء اسماعيل عليه السلام . فلا الملك أصبح فى نسل يهوذا ، ولا الشريعة اصبحت فى نسل لاوى .

٢ ـــ مثل الحبوب التى تنمو فى الخفاء

النص : « وقال : هكذا ملكوت الله كأن انسانا يلقى البذار عـــلى الأرض وينام ويقوم ليلا ونهارا ، والبذار يطلع وينمو ، وهو لا يعلم كيف . لأن الأرض من ذاتها تأتى بثمر ، أولا نباتا ثم سنبلا ، ثم قمحا ملآن فى السنبل ، وأما متى أدرك الثمر ، فللوقت يرسل المنجل لأن الحصاد قـــد حضر » (مرقس ٤ : ٢٦ : ٢٩) .

الشرح والبيان

الغرض من هذا المثل : كالغرض من مثل حبة الخردل ـــ الآتى ذكره ـــ عند متى ومرقس ولوقا . وهو أن الاسلام ينتشر رويدا رويدا . وبعدما يقوى المسلمون يؤدبون أعداء الله بالرمح والسيف .

٣ ـــ مثل حبة الخردل

(وهو مثل الأمة الاسلامية فى الانجيل)

النص : يروى متى : « قدم لهم مثلا آخر قائلا : يشبه ملكوت السموات

حبة خردل ، أخذها انسان وزرعها فى حقله ، وهى أصغر جميع البذور ، ولكن متى نمت ، فهى أكبر البقول . وتصير شجرة . حتى أن طيور السماء تأتى ، وتتآوى فى أغصانها » (متى ١٣ : ٣١ — ٣٢) .

ويروى مرقس : « وقال : بماذا نشبه ملكوت الله ؟ أو بأى مثل نمثله ؟ مثل حبة خردل : متى زرعت فى الأرض ، فهى أصغر جميع البذور التى على الأرض ، ولكن متى زرعت تطلع ، وتصير أكبر جميع البقول ، وتصنع أغصانا كبيرة ، حتى تستطيع طيور السماء أن تتأوى تحت ظلها » (مرقس ٤ : ٣٠ — ٣٢) .

ويروى لوقا « فقال : ماذا يشبه ملكوت الله ؟ وبماذا أشبهه ؟ يشبه حبة خردل ، أخذها انسان وألقاها فى بستانه ، فنمت وصارت شجرة كبيرة ، وتآوت طيور السماء فى أغصانها » (لوقا ١٣ : ١٨ — ١٩) .

الشرح والبيان

الغرض من هذا المثل : انتشار الملكوت .

وجهة نظر النصارى : يعرضها متى هنرى هكذا : « الغرض من هذا المثل : أن يبين بداءة الانجيل . ولكن نهايته الأخيرة عظيمة جدا » (٤) .

الرد عليهم : قال الله تعالى فى القرآن الكريم : « محمد رسول الله . والذين معه ، أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود . ذلك مثلهم فى التوراة . ومثلهم فى الانجيل : كزرع أخرج شطئه ، فآزره ، فاستغلظ ، فاستوى على سوقه (٥) . يعجب الزراع ، ليغيظ بهم الكفار .

---

(٤) ص ٣٣٧ جـ ٢ تفسير انجيل متى — لمتى هنرى .

(٥) قال ابن عباس : « هما مثلان . أحدهما فى التوراة والآخر فى الانجيل » .

ويقول القرطبى : « وهذا مثل ضربه الله تعالى لأصحاب النبى ﷺ . يعنى : أنهم يكونون قليلا ، ثم يزدادون ويكثرون . فكان النبى حين بدأ بالدعاء الى دينه ضعيفا . فأجابه الواحد بعد الواحد ، حتى قوى أمره » وآزره : قواه الله حتى استغلظ واستوى على سوقه أى على عوده .

وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم : مغفرة وأجرا عظيما »
(الفتح ٢٩) ويؤكد أن هذا المثل لنبى الاسلام صلى الله عليه وسلم والذين معه : تعبير عيسى ويحيى عليهما السلام بأن الملكوت قد اقترب ، وأنه أصبح عتيدا أن يظهر فى الحال . وهذا المثل ضربه عيسى ليؤكد أن الاسلام سينتشر انتشارا كبيرا ، على سبيل التدريج . ولن تفلح جهود اليهود فى الصد عنه .

(مثل الأمة الاسلامية فى التوراة) :

وأما مثل الأمة الاسلامية فى التوراة فنصه هكذا : « غنوا للرب ترنيمة جديدة ، تسبيحته فى جماعة الأتقياء . ليفرح اسرائيل بخالقه ، ليبتهج بنو صهيون بملكهم ، ليسبحوا اسمه برقص ، بدف وعود . ليرنموا على مضاجعهم . تنويهات الله فى أفواههم ، وسيف ذو حدين فى يدهم ، ليصنعوا نقمة فى الأمم ، وتأديبات فى الشعوب ، لأسر ملكوهم بقيود ، وشرفائهم بكبول من حديد ، ليجروا بهم الحكم المكتوب ، كرامة هذا لجميع أتقيائه » (مزمور ١٤٩) .

وفى ترجمة الكاثوليك هكذا : « رنموا للرب ترنيما جديدا ، أقيموا تسبيحته فى مجمع الأصفياء ، ليفرح اسرائيل بصانعه ، ليبتهج بنو صهيون بملكهم . ليسبحوا اسمه بالرقص ، ليشيدوا له بالدف والكنارة . فان الرب يرضى عن شعبه ، يجمل الودعاء بخلاصه ، يبتهج الأصفياء فى المجد ، يرنمون على أسرتهم . تعظيم الله فى أفواههم ، وبأيديهم سيف ذو حدين . لاجراء الانتقام على الأمم ، والتأديب على الشعوب ، لايثاق الملوك بالقيود ، وشرفائهم بكبول من حديد ، ليمضوا عليهم القضاء المكتوب . هذا فخر يكون لجميع أصفيائه » (مزمور ١٤٩) والمعنى : ليفرح الأتقياء برضاء الله عنهم وتطمئن قلوبهم بذكره ، وترتاح نفوسهم لحكمه « يذكرون الله قياما وقعودا ، وعلى جنوبهم » وفى الليل والناس نيام ، يقومون لله بالتسبيح والتهليل « تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، يدعون ربهم خوفا وطمعا » وهؤلاء الأتقياء يرحم بعضهم بعضا ، ويتعاطفون ويتساندون فيما بينهم ، لأن ذكر الله دائما فى أفواههم . وهؤلاء الأتقياء فى نفس الوقت

أشداء على الكفار ، يأخذون حذرهم دائما من عدوهم ، وسيف ذو حدين في يدهم ، لا لمجد دنيوى أو لغرض شخصى ، وانما يؤدبون الشعوب ، وينتقمون من الأمم الظالمة . وهدفهم من ذلك : اعلاء كلمة الله ، بانصاف المظلوم ، والعطف على المساكين ، واعطاء كل ذى حق حقه . ليجروا بهم الحكم الذى سبق من الله عز وجل .

٤ — مثل زوان الحقل

النص : « قدم لهم مثلا آخر . قائلا : يشبه ملكوت السموات ، انسانا زرع زرعا جيدا فى حقله . وفيما الناس نيام ، جاء عدوه وزرع زوانا فى وسط الحنطة ومضى . فلما طلع النبات وصنع ثمرا ، حينئذ ظهر الزوان أيضا . فجاء عبيد رب البيت ، وقالوا له : يا سيد أليس زرعا جيدا ، زرعت فى حقلك ؟ فمن أين له زوان ؟ فقال لهم : انسان عدو فعل هذا . فقال له العبيد : أتريد أن نذهب ونجمعه ؟ فقال لا : لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه . دعوهما ينميان كلاهما معا ، الى الحصاد . وفى وقت الحصاد أقول للحصادين : اجمعوا أولا الزوان واحزموه حزما ليحرق . وأما الحنطة فاجمعوها الى مخزنى » (متى ١٣ : ٢٤ — ٣٠ برنابا ١٣٢ : ٩ — ١٦) .

« حينئذ صرف يسوع الجموع ، وجاء الى البيت ، فتقدم اليه تلاميذه قائلين : فسر لنا مثل زوان الحقل : فأجاب وقال لهم : الزارع الزرع الجيد هو ابن الانسان . والحقل هو العالم . والزرع الجيد هو بنو الملكوت . والزوان هو بنو الشرير . والعدو الذى زرعه هو ابليس . والحصاد هو انقضاء العالم . والحصادون هم الملائكة . فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار ، هكذا يكون فى انقضاء هذا العالم . يرسل ابن الانسان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الاثم . ويطرحونهم فى أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . حينئذ يضىء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم . من له أذنان للسمع فليسمع » (متى ١٣ : ٣٦ — ٤٣) .

هذا تفسير المسيح حسب رواية متى . **وقد فسره المسيح حسب رواية برنابا هكذا :**

« وأما ما يختص بأبى الأسرة . فالحق أقول لكم : أنه الله ربنا رب كل الأشياء ، لأنه خلق الأشياء كلها . ولكنه ليس أبا على طريقة الطبيعة ، لأنه غير قادر على الحركة التى لا يمكن التناسل بدونها . فهو اذن الهنا الذى يخصه هذا العالم . والحقل الذى يزرع فيه هو الجنس البشرى . والبذار هو كلمة الله . فمتى اهمل المعلمون التبشير بكلمة الله ، لانشغالهم بتشاغل العالم ، زرع الشيطان ضلالا فى قلب البشر ، ينشأ عنه شفيع لا يحصى من التعليم البشرى . فيصرخ الأطهار والأنبياء : يا سيد . الم نعط تعليما صالحا للبشر ؟ فمن أين اذن الأضاليل الكثيرة ؟ فيجيب الله : انى أعطيت البشر تعليما صالحا . ولكن بينما كان البشر منقطعين الى الباطل ، زرع الشيطان ضلالا يبطل شريعتى . فيقول الأطهار : يا سيد . اننا نبدد هذه الأضاليل باهلاك البشر . فيجيب الله : لا تفعلوا هذا . لأن المؤمنين متحدون بالكافرين اتحادا شديدا بالقرابة ، حتى أن المؤمنين يهلكون مع الكافرين . ولكن تمهلوا الى الدينونة لأنه فى ذلك الوقت ستجمع ملائكتى (٦) الكفار ، فيقعون مع الشيطان فى الجحيم ، والمؤمنون يأتون الى مملكتى . ومما لا ريب فيه : أن كثيرين من الآباء الكفار ، يلدون أبناء مؤمنين ، لأجلهم أمهل الله العالم ليتوب » (برنابا ١٣٣ : ١٣ ــ ٢٥) .

الشرح والبيان

١ ــ الغرض من المثل : حروب العدو لأبناء الملكوت ، وهلاك الأشرار .

٢ ــ وفى هذا المثل تأكيد حقيقة الملكوت ، وبيان حروب العدو ، وهلاك الأشرار . وذلك بتشبيه يحتوى على النقاط الآتية :

١ ــ الزارع ٢ ــ الحقل ٣ ــ الزرع الجيد ٤ ــ الزوان

٥ ــ العدو الذى أفسد الزرع ٦ ــ وقت الحصاد ٧ ــ الحصادون

---

(٦) كلمة الملائكة على الحقيقة تطلق على الأجسام اللطيفة النورانية . وعلى المجاز تطلق على الأتباع والأعوان . فقوله تعالى عن عن الملائكة انهم « عباد مكرمون » يشير به الى الملائكة بمعنى الأجسام اللطيفة النورانية . وقوله تعالى : « واذا قلنا للملائكة : اسجدوا لآدم » يقصد بالملائكة : الأتباع والأعوان . وأتباعه وأعوانه وقتئذهم الملائكة الحقيقيون والجن والشياطين . فعصى الأمر جنس الشياطين ولم يسجد كبيرهم الذى هو ابليس ، فطرد من رحمة الله .

واعلم : أن « ابن الانسان » فى هذا المثل اتى لقبا للمسيح على أنه الزارع الزرع الجيد ، واتى لقبا لصاحب الملكوت على انه هو الذى سيرسل أتباعه الشبيهين بالملائكة لتطهير الأرض من الاشرار المنافقين .

١ ــ أما الزارع الزرع الجيد فهو ابن الانسان ، والمقصود به : المسيح عيسى بن مريم عليه السلام . وزرعه هو تنبيه بنى اسرائيل والأمم الى ملكوت السموات الذى أخبر عن مجيئه دانيال بعد الممالك الأربعة .

٢ ــ والحقل هو العالم . اى بنى اسرائيل والأمم . فان المسيح شرح حقيقة الملكوت هو وتلاميذه لبنى اسرائيل والأمم .

٣ ــ والزرع الجيد : هم الذين قبلوا كلام المسيح عن الملكوت واستعدوا للدخول فيه مع ابن الانسان وأتباعه .

٤ ــ والزوان الذى نبت وسط الحنطة . هو بنو الشرير ــ كما فسره عيسى عليه السلام ــ هم البشر الذين يعملون بارشادات ابليس وذريته .

٥ ــ والعدو الذى زرع الزوان هو ابليس ــ كما فسره عيسى عليه السلام ــ انه يوسوس فى صدور الناس ، بأن يفسدوا تعاليم الله .

٦ ــ ووقت الحصاد هو انقضاء العالم ــ كما فسره عيسى عليه السلام ــ لكن ما المقصود بانقضاء العالم ؟ هل هو هذه الحياة الدنيا ؟ أم انتهاء الزمن الذى كانت النبوة والشريعة فيه مع اليهود ؟ يقول النصارى بالمعنى الأول ، ويقول المسلمون بالمعنى الثانى . يقول متى هنرى : « والحصاد هو انقضاء العالم هذا العالم له انقضاء . ان بقى طويلا فلن يدوم الى الأبد ، والزمن سوف يبتلع فى الأبدية ، عن قريب عند انقضاء العالم يكون هناك يوم عظيم للحصاد ، يوم الدينونة »(٧) وقولهم غير سديد : لأن عيسى عليه السلام يتحدث عن الملكوت الأرضى الذى ينتظره اليهود . ملكوت المسيا . الذى هم فى غاية الشوق اليه ، والأمثال

---

(٧) ص ٣٣٣ جـ ٢ تفسير انجيل متى ــ لمتى هنرى .

تضرب من أجله ، وهو قد قال فى بدء دعوته : « اقترب ملكوت السموات » ، وحين يعبر « باقترب » يكون الاقتراب علامة على بدء عهد ، وانتهاء عهد . بدء عهد ملكوت النبى الآتى ، وانتهاء الزمن الذى قبله . وهذا الزمن الذى قبل العهد الجديد ــ عهد ملكوت النبى الآتى ــ هو مراد عيسى عليه السلام بانقضاء هذا العالم . والقرينة على هذا :

(أ) تفسير عيسى نفسه للعالم ، بقوله فى نفس العبارة : « هكذا يكون فى انقضاء هذا العالم » فقد وضع لفظ الاشارة « هذا » فى اعادة الجملة ، ليبين أن المقصود بانقضاء العالم ليس هو انتهاء الدنيا كما قد يتوهم ، بل هذا العالم الذى يعيش فيه اليهود بنفوذ وسلطان ، ويترقبون فيه مجىء « **المسيا** » بملكوته .

(ب) انه « فى انقضاء هذا العالم » كما يقول المسيح : « يرسل ابن الانسان » صاحب الملكوت فى كلام دانيال ، يرسل « ملائكته » اى أتباعه الشبيهين بالملائكة فى الطهر والصلاح . فاذا كان المقصود بانقضاء العالم ، هو آخر الدهر . فما فائدة أن يرسل ابن الانسان ملائكته لجمع الأشرار واهلاكهم . لأن هذا لا يكون الا من اختصاص الله وحده فى يوم القيامة ، كما هو المفهوم من التوراة والانجيل ؟ ففى التوراة يقول تعالى : « لى النقمة والجزاء فى وقت تزل أقدامهم ... انظروا الآن . أنا أنا هو ، وليس اله معى ، أنا أميت وأحى ... انى أرفع الى السماء يدى ، وأقول حى أنا الى الأبد »(التثنية ٣٢ : ٣٥ ــ ٤٠) وفى الانجيل يقول عيسى لليهود : « أنا لست أطلب مجدى ، يوجد من يطلب ويدين » (يوحنا ٨ : ٥٠) فقوله « يوجد » بالبناء للمجهول ، يفيد أن غيره هو الذى يطلب ، وهو الذى يدين .

(ت) فى آخر المثل يقول عيسى عليه السلام « حينئذ يضىء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم » وقوله « فى ملكوت أبيهم » مع قوله فى أول المثل « يشبه ملكوت السموات » يشير الى أن هذا الملكوت الذى يضىء فيه الأبرار كالشمس ، هو نفسه ملكوت السموات . ولما كان ملكوت السموات يراد به الملكوت الذى يأتى فى المستقبل على الأرض ، اذا يكون .

ملكوت أبيهم هو الآتي في المستقبل على الأرض ، ويكون قوله « في انقضاء هذا العالم » المقصود به ما قبل عصر الملكوت الآتي .

(ث) وفي مثل الحبوب التي تنمو في الخفاء الذي ذكره مرقس وحده اشار الى المنجل ، الذي يحصد بعد نمو البذار . وادراك الثمر اشارة الى هلاك اليهود بعد أن يكتمل للاسلام مجده ، ويكثر أتباعه . وهذا يدل على انقضاء العالم القديم ، عالم اليهود بالعنف والشدة .

٧ — والحصادون كما فسرهم عيسى عليه السلام هم الملائكة الذين يأتون مع ابن انسان . لكن هل لفظ الملائكة على حقيقته ، وذلك الحصاد يكون يوم القيامة ؟ أم لفظ الملائكة ليس على حقيقته ، ويكون هو تعبيرا عن أتباع ابن الانسان ، ويكون الحصاد في هذه الحياة الدنيا ؟ يقول النصارى بالمعنى الأول ، ونقول نحن بالمعنى الثاني . يقول متى هنرى : « والحصادون هم الملائكة » : سوف يستخدمون في اليوم العظيم لتنفيذ أحكام المسيح العادلة . . .

ولعل ما ورد هنا يشير الى ما جاء في (صف ١ : ٣) « انزع المعاثر مع الأشرار » (٨) .

وقولهم غير سديد : لأن المسيح لا يدين أحدا بأحكام عادلة أو غير عادلة . بقوله هو نفسه : « يوجد من يطلب ويدين » ولما أسلفنا : أن عيسى يشير الى ملكوت دانيال الآتي في هذه الحياة الدنيا . ولفظ الملائكة مقصود به : أتباع نبي الاسلام ، الذين هم أشداء على الكفار ، رحماء بينهم . على طريق الاستعارة التصريحية ، شبه الأتباع بالملائكة ، وحذف الأتباع وتناسي التشبيه ، وادعى أن المشبه فرد من أفراد المشبه به ، وداخل تحت جنسه مباشرة . والقرينة :

(أ) مجيء الملائكة مع ابن الانسان للقصاص . وابن الانسان بشر ، فالذين معه يكونون بشرا مثله ، ظاهرين أمام الناس . ولفظ « يرسل ابن الانسان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر ... الخ » يشبه لفظ « يرسل القائد أسوده ، الى أرض المعركة » فكما ان المقصود

---

(٨) ص ٣٣٣ — ٣٣٤ جـ ٢ تفسير انجيل متى — لمتى هنرى .

بالأسود : الأبطال لا الأسود الحقيقيون ، كذلك المقصود بالملائكة أتباع نبى الاسلام الأبرار .

(ب) « ملكوته » الذين يجمعون منه المعاثر والأشرار ، هو نفسه الملكوت المعبر عنه فى صدر المثل « يشبه ملكوت السموات » .

(ت) عبارة « من له أذنان للسمع فليسمع » التى تفيد اثارة الانتباه ، واعمال الفكر الواردة فى نهاية المثل ، تفيد أن الملكوت الآتى فى المستقبل ، هو ملكوت أرضى على غير مراد اليهود فيه . وليس هو يوم القيامة .

(ث) وقد قدمنا أن لذلك نظير فى التوراة وفى الانجيل . ونذكر هنا : أن من عادة كتاب الأناجيل أن يضيفوا اللفظ الذى يكون مجازيا ، كما يكون حقيقيا : الى ما يوضح المراد منه ، لتتميز الحقيقة عن المجاز . ومثال ذلك : قول متى : « أبانا الذى فى السموات » (٦ : ٩) لئلا يتوهم الأب على الحقيقة . وقول لوقا : « يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب » (١٥ : ١٠) فقد نسب الملائكة لله على الحقيقة ، لئلا يتوهم أحد أنهم ملائكة بمعنى الأصحاب ، لأى كائن من كان .

٨ — وعبارة « حينئذ يضىء الأبرار كالشمس فى ملكوت أبيهم » معناها : أن أتباع نبى الاسلام سيفرحون فرحا عظيما بملكوت الله ورضاه عنهم . وهذا هو أسلوبهم فى التعبير . كما قدمنا .

❋ ❋ ❋

وأخيرا . نتف وقفة بسيطة مع متى هنرى المفسر ، فى قــوله : « لعل ما ورد هنا يشير الى ما جاء فى (صف ١ : ٣) « انزع المعاثر مع الأشرار » .

نقول : بالرجوع الى الاصحاح الأول من سفر صفنيا ، وجــدنا النص المشار اليه هكذا : « انزع الانسان والحيوان ، انزع طيور السماء وسمك البحر ، والمعاثر مع الأشرار ، وأقطع الانسان عن وجه الأرض . يقول الرب . وأمد يدى على يهوذا ، وعلى كل سكان أورشليم ، وأقطع من هذا المكان بقية البعل ، اسم الكماريم . مع الكهنة . والساجدين على السطوح لجند السماء ، والساجدين الحالفين بالرب ، والحالفين بملكوم ، والمرتدين من وراء الرب ، والذين لم يطلبوا الرب ولا سألوا عنه . اسكت قدام السيد الرب لأن يوم الرب قريب ، لأن الرب قد أعد ذبيحة ، قدس

مدعويه ، ويكون فى يوم ذبيحة الرب أنى أعاقب الرؤساء ، وبنى الملك ، وجميع اللابسين لباسا غريبا » (١ : ٣ — ٨) ومعنى هذا : أن هـذا اليوم يوم انتقام فى الحياة الدنيا ، انتقام على الخصوص من يهود مملكة يهوذا وسكان أورشليم ، ثم يأتى عهد جديد أيضا فى الحياة الدنيا بعد الانتقام . كما هو النص فى آخر سفر صفنيا : وهو « ترنمى يا ابنة صهيون ، اهتف يا اسرائيل ، افرحى وابتهجى بكل قلبك . يا ابنة أورشليم ، قـد نزع الرب الأقضية عليك . أزال عدوك . ملك اسرائيل الرب فى وسطك . لا تنظرين بعد شرا » (٣ : ١٤ — ١٥) .

وهنا نقول للمفسر هنرى ، وجميع النصارى : لما أتى عيسى عليه السلام ، وعاش على هذه الأرض . هل كان قد أنتقم من اليهود وعاقب مملكة يهوذا وسكان أورشليم ؟ لم يحدث .

فان قالوا : سوف يأتى عيسى مرة ثانية ، وفى مجيئه الثانى سيتم هذا . نقول لهم : أنتم تقولون بمجىء روحى . أى بملك روحى على قلوب المؤمنين ، وهذا يخالف النص . فان النص يوضح مجيئا ظاهرا بمجد وسلطان لينتقم الآتى بسيفه ورمحه من الأشرار وفاعلى الاثم . وبالحقيقة لم يأت بمجد ظاهر وملك كبير من بعده ، وانتقم من يهوذا وسكان أورشليم . ومن الأشرار ، غير نبى الاسلام ﷺ . وفى وقت مجىء المسيح بالملك الروحى ، لن يكون هذا الوقت عقب زوال دولة الروم — كما قال دانيال — لأن دولة الروم قد زالت على يد المسلمين ، فى الوقت الذى عينه الله على لسان نبيه دانيال .

٥ — مثل الخميرة

النص : « قال لهم مثلا آخر : يشبه ملكوت السموات ، خميرة أخذتها امرأة ، وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق ، حتى اختمر الجميع » (متى ١٣ : ٢٣ لوقا ١٣ : ١٠ — ٢١) .

الشرح والبيـــان

الغرض من هذا المثل : انتشار الملكوت .

وجهة نظر النصارى : يعرضها متى هنرى هكذا : « الغرض من المثل يشبه تماما ما قصد بمثل حبة الخردل ، وهو أن يبين بأن الانجيل يجب

أن يسود ، وأن ينجح تدريجيا . ولكن بهدوء ، ودون أن يشـــعر أحد .
فتعاليم الانجيل تشبه الخميرة ، وتعمل كالخميرة فى قلوب الذين يقبلونها »(٩)

الرد عليهم : المتأمل فى تاريخ المسلمين يجد أن للقرآن الكريم تأثيرا عظيما فى قلوب الناس . بسببه انتشر الاسلام فى أقصر وقت ، عـــرفه التاريخ لأصحاب الدعوات ، وارتفعت رايته . لقد كان تأثير القرآن فى القلوب ، أشبه بتأثير الخميرة فى الدقيق . وكما أنه فى أسرع وقت تحقق الخميرة أغراضها وفى هدوء تام ، كذلك القرآن بأسلوبه الرائع ومعانيه السامية ، خشعت له القلوب وأذعنت له النفوس . كما جاء فى القرآن الكريم : (الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ، ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء) (الزمر ٢٠٢) .

٦ — مثل الكنز المخفى

النص : « أيضا : يشبه ملكوت السموات كنزا مخفيا ، فى حقل . وجده انسان فأخفاه ، ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له ، واشترى ذلك الحقل « (متى ١٣ : ٤٤ ، برنابا ٢٦ : ١ — ٢) .

الشرح والبيـــان

الغرض من هذا المثل : استبدال الشريعة القديمة ، وهى شريعة التوراة ، بالشريعة الجديدة ، وهى شريعة القرآن الكريم . ويشرح متى هنرى وجهة نظر النصارى فى فهم المثل هكذا :

١ — « يسوع المسيح هو الكنز الحقيقى . فيه نجد وفرة ، من كل ما هو نفيس ونافع ، مما يمكن أن يكون نصيبا لنا .

٢ — والانجيل هو الحقل المخفى فيه هذا الكنز ، وهو مخفى فى كلمة الانجيل » (١٠) .

---

(٩) ص ٣٣٩ ج ٢ تفسير انجيل متى — متى هنرى .
(١٠) ص ٣٣٤ ج ٢ انجيل متى — متى هنرى .

ونرد عليهم : ان هذا المثل مضروب للفصل بين عهد قديم ، فيه أشياء قليلة القيمة ، اذا ما قورنت بالعهد الجديد — عهد المسيا صاحب الملكوت — الذى فيه كل شىء ثمين ونفيس . ولا يمكن أن يكون الانجيل هو المراد بالعهد الجديد . لأن الانجيل الحقيقى مفقود . والموجود بدله سير شخصية كتبها بعض تلاميذ عيسى عليه السلام . والشك قائم فى نسبتها لهــؤلاء الكاتبين . ولأن المعانى الموجودة فى الأناجيل الأربعة ينقض بعضها بعضا . ولأن الانجيل اصلاح للعهد القديم ، كما قال عيسى عليه السلام : « ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء » أما القرآن الكريم كتاب الملكوت ، فهو بعيد عن مستوى الشبهات ، ومصون عن التحريف والتبديل كما قال تعالى : « أفلا يتدبرون القرآن ؟ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا » (النساء ٨٢) .

٧ — مثل اللؤلؤة الغالية الثمن

النص : « أيضا يشبه ملكوت السموات انسانا تاجرا يطلب لآلىء حسنة ، فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى وباع كل ما كان لــه واشتراها » (متى ١٣ : ٤٥ — ٤٦) .

الشرح والبيــان

الهدف من هذا المثل : استبدال الشريعة القديمة بالشريعة الجديدة .

يقول متى هنرى : « هذا يتفق فى مرماه مــع مثل الكنز المخفى . والمسيحى الحقيقى تاجر روحى ، يطلب فيجد هذه اللؤلؤة الكثيرة الثمن ، لا يقنع بأى شىء الا بطلب يسوع والتلذذ بعشرته » (١١) .

والرد عليه : كالرد على المثل السابق : وهو أن هذا المثل كسابقه ، يوضح ملكا قديما ، وملكا جديدا . تاجر باع القديم الذى كان يملكه ، لما اشترى اللؤلؤة الكثيرة الثمن . والقديم الذى كان يملكه ، كناية عن الشريعة

---

(١١) ص ٣٤٥ جـ ٢ انجيل متى — متى هنرى .

القديمة — شريعة التوراة — والجديد الذى اشتراه ، هو الشريعة الجديدة — شريعة القرآن الكريم — الذى ينبه عيسى على مجىء صاحبها بقوله : « اقتربت » ولا يمكن أن يكون الانجيل هو الجديد ، لأن الانجيل اصلاح للتوراة ، وليس هو شريعة مستقلة . ومن ينظر فى التوراة بأدنى نظر ، يجد تراثا مهلهلا ، ينقض بعضه بعضا . **كما ذكرنا فى كتابنا (نقد التوراة)** حتى أن الذى يطلب الحكمة لذات الحكمة ، لا يمكن أن يجد فى التوراة ضالته المنشودة ، ومن ينظر فى القرآن نظرة فاحصة يجد تراثا نفيسا ، يأخذ بعضه بحجز بعض ، حتى أن الذى يطلب الحكمة لذات الحكمة ، يلقى عصا التسيار ، حين يعثر على القرآن الكريم .

٨ — مثل الشبكة المطروحة فى البحر

النص : « أيضا : يشبه ملكوت السموات ، شبكة مطروحة فى البحر ، وجامعة من كل نوع ، فلما امتلأت أصعدوها على الشاطئ ، وجلسوا وجمعوا الجياد الى أوعية ، وأما الأردياء فطرحوها خارجا . هكذا يكون فى انقضاء العالم ، يخرج الملائكة ، ويفرزون الأشرار من بين الأبرار ، ويطرحونهم فى أتون النار ، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (مت ١٣ : ٤٧ — ٥٠)

الشرح والبيان

الغرض من هذا المثل : هلاك اليهود على يد ابن الانسان صاحب ملكوت السموات .

ويعرض متى هنرى المفسر **وجهة نظر النصارى** فى هذا المثل فيقول :

« أمامنا المثل نفسه وفيه نلاحظ :

١ — أن العالم أشبه ببحر متسع .

٢ — والكرازة بالانجيل أشبه بطرح الشبكة فى البحر ، لاصطياد شىء منه ، لمجد ذاك الذى له السلطان على البحر ، والخدام هم صيادو الناس ، الذين يستخدمون لطرح هذه الشبكة وجذبها . وعندما يلقون

الشبكة اعتمادا على كلمة المسيح ، فانهم حينئذ يفلحون ، والا فمصيرهم الفشل ، يتعبون ، ولا يمسكون شيئا .

٣ — وهذه الشبكة جامعة من كل نوع ، كما يحصل عادة عند طرح الشباك الكبيرة فى البحر . فى الكنيسة المنظورة توجد الأسماك كما توجد الأعشاب والأقذار .

٤ — يأتى وقت تمتلىء فيه الشبكة وتجذب الى الشاطىء « فلما امتلأت أصعدوها على الشاطىء » يأتى وقت يتمم الانجيل الغاية التى أرسل من أجلها . ونحن واثقون أنه لا يرجع فارغا (أش ٥٥ : ١٠ — ١١) ان الشبكة فى دور الامتلاء الآن ، هى فى بعض الأحيان تمسك سمكا أسرع من بعض الأوقات الأخرى ، ولكنها على أى حال لازالت فى دور الامتلاء ، وستجذب الى الشاطىء عندما « يتم سر الله » (رؤ ١٠ : ٧) .

٥ — وعند امتلاء الشبكة واصعادها الى الشاطىء ، تتم عملية الفرز بين الجياد والأردياء التى جمعت فيها « فلما امتلأت أصعدوها على الشاطىء ، وجلسوا وجمعوا الجياد الى أوعية ، وأما الأردياء فطرحوها خارجا » عندئذ يفرز بين المسيحيين المرائين ، والمسيحيين الحقيقيين . يجمع الجياد الى أوعية كشىء ثمين ، ولذلك يحفظون بكل حرص . أما الأردياء فيطرحون خارجا كشىء غث هزيل رذيل ، لا قيمة له ، ولا نفع . وبئست هى حالة من يطرحون خارجا فى ذلك اليوم .

٦ — « أما الجزء الأخير فيشير الى المستقبل . ولذلك فسره المسيح بأكثر تدقيق « هكذا يكون فى انقضاء العالم » عندئذ ، وعندئذ فقط يكون الفرز والكشف ، يجب ألا نتوقع أن يكون كل ما فى الشبكة سمكا جيدا ، ستكون السفينة ممتلئة بالسمك الجيد ، أما الشبكة فالسمك فيها مختلط .

لاحظ هنا :

١ — تمييز الأشرار من الأبرار ، يخرج ملائكة السماء ليفعلوا ما لم يستطع فعله ملائكة الكنائس « يفرزون الأشرار من بين الأبرار » ولا داعى

للسؤال عن كيفية الفرز ، طالما كانوا قد تلقوا المهمة والتعليمات، من ذاك الذى يعرف كل البشر ، ويعرف بنوع خاص الذين هم له ، والذين ليسوا له ، ويكفى أن نكون واثقين بأنه لن يحصل خطأ أو تعثر ، فى أية ناحية من الناحيتين .

٢ — مصير الأشرار عندما يفرزون على هذا النحو « يطرحونهم فى أتون النار » أ. هـ.

والرد عليهم : هذا المثل يشبه مثل زوان الحقل . والشبكة المطروحة هى تعاليم الانجيل عن مجىء الملكوت . وقد اجتذبت اليها الصالح والشرير . ثم يأتى ابن الانسان بملكوته فيميز بين الأخيار والأشرار .

ولا يمكن أن ينطبق هذا المثل على عيسى عليه السلام . لأن الانجيل خال من ذكر حروب له بينه وبين أعدائه ، بل ذكر الانجيل أن اليهود صلبوه وقتلوه . وقول المثل : « هكذا يكون فى انقضاء العالم ، يخرج الملائكة ، ويفرزون الأشرار من بين الأبرار » هذا اشارة الى انقضاء ملك اليهود وقتئذ ، وزوال النبوة منهم ، لا الى المجيىء الثانى للمسيح . كما يقول النصارى . والقرينة المبينة لهذا المعنى : أن عيسى عليه السلام يتحدث عن ملكوت السموات . هذا الملكوت الأرضى الذى وعد بمجيئه دانيال ، وعبر عنه يوحنا المعمدان وعيسى نفسه وتلاميذه بقولهم : « اقترب ملكوت السموات » وحدد دانيال زمان تأسيسه بممالك أربعة ، ولم يأت نبى بعد عيسى عليه السلام صاحب ملك وسلطان وصاحب شريعة مستقلة ، ودان له العالم ، وقال انى أنا خاتم النبيين ، غير نبى الاسلام ﷺ .

والمراد بـ « الملائكة » الذين يفرزون الأشرار ويطرحونهم فى أتون النار : أصحاب نبى الاسلام ﷺ ، الذين وصفهم الله بقوله : « أشداء على الكفار رحماء بينهم » والقرينة المبينة لهذا المعنى : ما سبق أن قلناه من أن عيسى يتحدث عن الملكوت الآتى . ومن أن لفظة الملائكة وردت للصالحين

من البشر أحيانا . وقد فهم هذا متى هنرى نفسه فقال : « يخرج ملائكة السماء ليفعلوا ما لم يستطع فعله ملائكة الكنائس » ، ثم لما وقع فى الحرج ولم يعرف أن يتخلص من دلالة اللفظ ، قال : « لا داعى للسؤال عن كيفية الفرز » .

٩ ــ مثل التين الردىء

تمهيـــــد :

لما كان المسيح ماشيا على شاطىء بحر الجليل ، وأحاط به جمهور غفير من الناس ، ركب سفينة صغيرة منفردة كانت على بعد قليل من الشاطىء ، ورست على مقربة من البر ، بحيث يمكن سماع صوته . ثم نطق بمثل الزارع ، ومثل زوان الحقل ، ومثل التين الردىء ، ومثل الينبوع ، ومثل بائعى التفاح . فأما مثل الزارع ومثل زوان الحقل فقد ذكرهما برنابا كما ذكرهما متى . وأما مثل التين الردىء والينبوع وبائعى التفاح ، فانفرد برنابا بذكرهم ، وذكر تفسير المسيح للأمثال .

النص :

« خرج أناس كثيرون ليبيعوا تينا ، فلما بلغوا السوق اذا بالناس لا يطلبون تينا بل ورقا جميلا ، فلم يتمكن القوم من بيع تينهم . فلما رأى ذلك أحد الأهالى الأشرار ، قال : انى لقادر على أن أصير غنيا . فدعا ابنيه وقال : اذهبا الى واجمعا مقدارا كبيرا من الورق ، مع تين ردىء . فباعوها بزنتها ذهبا . لأن الناس سروا كثيرا بالورق . فلما أكل الناس التين ، مرضوا مرضا خطرا » (برنابا ١٣٢ : ١٧ ــ ٢٢) .

الشرح والبيان

تفسير المثل : يحكى برنابا أن المسيح نفسه فسر المثل بقوله : « أما الذين يثمرون تينا حسنا ، فهم المعلمون الحقيقيون ، الذين يبشرون بالتعليم الصالح . ولكن العالم الذى يسر بالكذب ، يطلب من المعلمين أوراقا من

انكلام والمداهنة المزوقين . فمتى رأى الشيطان ذلك أضاف نفسه مع الجسد والحس ، وأتى بمقدار وافر من الأوراق . أى مقدار من الأشياء الأرضية ، التى يعطى بها الخطيئة . فمتى أخذها الانسان اعتل وأمسى على وشك الموت الأبدى » (برنابا ١٣٤ : ١ — ٤) .

١٠ — مثل الينبوع

النص :

« وقال أيضا يسوع : **ها هو ذا ينبوع لأحد الأهالى ، يأخذ منه** الجيران ماء ، ليزيلوا به وسخهم . ولكن صاحب الماء يترك ثيابه تنتن » (برنابا ١٣٢ : ٢٣ — ٢٤) .

الشرح والبيان

تفسير المثل : يحكى برنابا أن المسيح نفسه فسر المثل بقوله : « أما أحد الأهالى الذى عنده ماء ويعطى ماءه للآخرين ، ليغسلوا وسخهم ويترك ثيابه تنتن . فهو المعلم الذى يبشر الآخرين بالتوبة ، أما هو نفسه ، فيلبث فى الخطيئة » (برنابا ١٣٤ : ٥) .

١١ — مثل بائعى التفاح

النص :

« ذهب رجلان ليبيعا تفاحا . فأراد أحدهما أن يبيع قشر التفاح بزنته ذهبا ، غير مبال بجوهر التفاح . أما الآخر فأحب أن يهب التفاح ويأخذ قليلا من الخبز لسفره فقط . ولكن الناس اشتروا قشر التفاح بزنته ذهبا ، ولم يبالوا بالذى أحب أن يهبهم ، بل احتقروه » (برنابا ١٣٢ : ٢٥ — ٢٧) .

الشرح والبيان

تفسير المثل : يحكى برنابا أن المسيح نفسه فسر المثل بقوله : « أما الرجلان بائعا التفاح فأحدهما من يبشر لأجل محبة الله . فهو لذلك لا يداهن

احدا ، بل يبشر بالحق طالبا معيشة فقط . لعمر الله الذى تقف نفسى فى حضرته ، ان العالم لا يقبل رجلا كهذا ، بل هو حرى . بأن يحتقره . ولكن من يبيع القشر بزنته ذهبا ويهب التفاحة فانما هو من يبشر ليرضى الناس . وهكذا متى داهن العالم أتلف النفس التى تتبع مداهنته . آه . كم ، وكم من أناس هلكوا لهذا السبب » (برنابا ١٣٤ : ١٠ — ٥) .

تعقيب :

وبعد أن فرغ عيسى عليه السلام فى رواية متى ، من ضرب الأمثال سالفة الذكر عن ملكوت السموات . قال لتلاميذه : « أفهمتهم هذا كله ؟ فقالوا : نعم يا سيد . فقال لهم : من أجل ذلك كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات ، يشبه رجلا رب بيت ، يخرج من كنزه جددا وعتقاء » (متى ١٣ : ٥١ — ٥٣) .

الشرح والبيان

الكتبة : هم علماء من اليهود عملهم أن ينسخوا الكتب المقدسة ويفسروها للشعب ، وكان عملهم هاما جدا فى ذلك الزمن الذى لم تكن فيه الطباعة معروفة ، وكل من أراد نسخة من سفر مقدس ، طلبها من أحد هؤلاء الكتبة المتخصصين فى كتابتها ، بدقة فى النص ، وجمال فى الكتابة والزخرفة . ولقد دقق أولئك الكتبة فى عملهم وأكرموه ، حتى كانت لهم تقاليد . منها : أن يكتب اسم الله تعالى بلون مغاير للون الحبر ، الذى ينسخون به ، وكانوا يكتبونه بقلم خاص به ، ولا يستعمل فى كتابة غيره . وغير ذلك من التحفظات والعادات الدالة على التدقيق والتقدير للعمل (١٢) . ومن ثم أتقن هؤلاء الكتبة : الكتب المقدسة وتفسيرها ، وتخصصوا فى تعليم مبادئها ، وتحمسوا لتطبيقها . وأول من نعرف فى التوراة من الكتبة المعلمين هو عزرا ، المسمى : بعزرا الوراق « عزرا هذا صعد من بابل ، وهو كاتب ما هو فى شريعة موسى التى أعطاها الرب اله اسرائيل » (عزرا ٧ : ٦) —

---

(١٢) انظر تفسير متى للأنبا اثناسيوس . ص ٤٠

« لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب ، والعمل بها ، وليعلم اسرائيل فريضة وقضاء » (عزرا ٧ : ١) ولقد ازداد عدد هؤلاء الكتبة على التدريج ، وخصوصا كلما استقرت الأمور للشعب اليهودى . وعظم نفوذهم . فنقرأ عنهم في عصر المكابيين : « واجتمعت الى الكيمس ويكيديس : جماعة الكتبة يسألون حقوقا » (المكابيين الأول ٧ : ١٢) ومنذ انقطاع الأنبياء فى اسرائيل ، كان قواد الشعب هم كتبة الناموس ومعلموه ومفسروه . وأيام عيسى عليه السلام كان منهم كثيرون أعضاء فى مجمع السهندرين (مجمع معلمى الشعب ورؤسائه وعدد أعضائه سبعون) والغالبية منهم كانوا ضده ، وكان لهم ضلع كبير فى تدبير قتله لولا أن كف الله أيديهم عنه « حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة ، وشيوخ الشعب الى دار رئيس الكهنة ... وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه » (متى ٢٦ : ٣ — ٤) ولقد قال عيسى عليه السلام عن هؤلاء الكتبة ، ومن شابههم من الفريسيين وبقية المعلمين : انهم معلمون غير صالحين ، ونفهم من كلامه عنهم فى الأناجيل أربع صفات رديئة فيهم :

(أ) ان أعمالهم تخالف أقوالهم . فيقولون الصلاح ولا يعملون به « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون » (متى ٢٣ : ٢ — ٣)

(ب) انهم يكثرون الارشادات والتعاليم والتقاليد والقيود ، حتى جعلوها تخفى روح الديانة وتثقل كواهل الناس ، وتنفرهم من الدين « فانهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ، ويضعونها على أكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم » (متى ٢٣ : ٤)

(ت) وكانوا يتظاهرون أمام الناس بالتقوى ، بينما تمتلىء قلوبهم بالشر ، انهم ينظفون الخارج ولا يهتمون بالداخل « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراءون ، لأنكم تشبهون قبورا مبيضة تظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات ، وكل نجاسة ، هكذا أنتم من

خارج تظهرون للناس أبرارا ، ولكنكم من داخل مشحونون رياء واثما »
(متى ٢٣ : ٢٨ — ٢٩)

(ث) وانهم متكبرون « يحبون المتكأ الأول فى الولائم ، والمجالس الأولى فى المجامع والتحيات الأولى فى الأسواق ، وأن يدعوهم الناس : سيدى » (متى ٢٣ : ٦ — ٧)

ويعرض متى هنرى وجهة نظر النصارى فيقول : « كان المعلمون بين اليهود هم الكتبة فعزرا الذى « هيأ قلبه ليعلم اسرائيل » قيل عنه بأنه « كاتب ماهر » (عز ٧ : ٦ — ١٠) وخادم الانجيل الحكيم الأمين الآن يدعى كاتبا أيضا ، ولكنه للتمييز يدعى « كاتبا متعلما فى ملكوت السموات » خبيرا بحقائق الانجيل وقديرا علـى تعليمها ... وشبههم برب بيت صالح « يخرج من كنزه جددا وعتقاء » ثمار العالم الماضى والعالم الحاضر ... من الحقائق الجديدة والعتيقة ، من العهد القديم والعهد الجديد ، من العلوم العصرية (١٣) »

الرد عليهم : انهم نسوا أن كتبة الملكوت الآتى يختلفون عن كتبة الملكوت السابق . ودعاة الانجيل لا يختلفون عن كتبة اليهود ، فانهم سواء . فى أنهم أصحاب شريعة واحدة . وقد قال لهم عيسى عليه السلام : « الى أن تزول السماء والأرض لايزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس ، حتى يكون الكل » (متى ٥ : ١٩) فقوله : « لا يزول حرف واحد أو نقطة واحدة من الناموس » أى التوراة « حتى يكون الكل » معناه : أن عيسى عليه السلام لا ينقض وصايا التوراة ، ولا يخرج عن تعاليمها قيد أنملة « حتى يكون الكل » أى حتى مجىء ملكوت السموات ، ويؤسس النبى الآتى نبى الاسلام ديانة مستقلة عن الديانة القديمة . وفيها الصحيح من سير القدماء ، والجديد من سيرة نبى الاسلام والذين معه .

---

(١٣) ص ٣٥٠ جـ ٢ تفسير انجيل متى — لمتى هنرى .

١٢ — مثل العبد الذى لم يغفر لزميله

النص : « يشبه ملكوت السموات ، انسانا ملكا ، أراد أن يحاسب عبيده ، فلما ابتدأ فى المحاسبة ، قدم اليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة . واذ لم يكن له ما يوفى ، أمر سيده أن يباع هو وامرأته وأولاده وكل ما له ، ويوفى الدين . فخر العبد وسجد له قائلا : يا سيد تمهل على فأوفيك الجميع . فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه ، وترك له الدين . ولما خرج ذلك العبد ، وجد واحدا من العبيد رفقائه ، كان مديونا له بمائة دينار . فأمسكه وأخذ بعنقه قائلا : أوفنى مالى عليك فخر العبد رفيقه على قدميه ، وطلب اليه قائلا : تمهل على فأوفيك الجميع . فلم يرد . بل مضى والقاه فى سجن حتى يوفى الدين . فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان ، حزنوا جدا ، وأتوا وقصوا على سيدهم كل ما جرى . فدعاه حينئذ سيده ، وقال له : أيها العبد الشرير ، كل ذلك الدين تركته لك ، لأنك طلبت الى . أفما كان ينبغى أنك أنت أيضا ترحم العبد رفيقك ، كما رحمتك أنا ؟ وغضب سيده وسلمه الى المعذبين ، حتى يوفى كل ما كان له عليه . فهكذا أبى السماوى يفعل بكم ، ان لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه ، زلاته » (متى ١٨ : ٢٣ — ٣٥)

الشرح والبيان

بعد سبى بابل سنة ٥٨٦ ق.م قصر علماء بنى اسرائيل شريعة التوراة على بنى اسرائيل . وتركوا دعوة الأمم واحتقروهم . فبين عيسى عليه السلام بهذا المثل : أن ملكوت السموات الآتى مع بنى اسماعيل سيكون لبنى اسرائيل ولبنى اسماعيل ولجميع أمم الأرض . وهذا المثل شــبيه بمثل الخروف الضال ، والابن الضال والدرهم المفقود . وسيأتى الحديث عنهم فيما بعد .

١٣ — مثل فعلة الكرم

النص : « فان ملكوت السموات ، يشبه رجلا رب بيت خرج مــع

الصبح ، ليستأجر فعلة لكرمه . فاتفق مع الفعلة على دينار فى اليوم ، وأرسلهم الى كرمه . ثم خرج نحو الساعة الثالثة ، ورأى آخرين قياما فى السوق بطالين . فقال لهم : اذهبوا انتم أيضا الى الكرم ، فأعطيكم ما يحق لكم . فمضوا . وخرج أيضا نحو الساعة السادسة والتاسعة ، وفعل كذلك . ثم نحو الساعة الحادية عشرة ، خرج ووجد آخرين قياما بطالين . فقال لهم : لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين ؟ قالوا له : لأنه لم يستأجرنا أحد . قال لهم : اذهبوا انتم أيضا الى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم . فلما كان المساء ، قال صاحب الكرم لوكيله : ادع الفعلة واعطهم الأجرة ، مبتدئا من الآخرين الى الأولين . جاء أصحاب الساعة الحادية عشرة ، وأخذوا دينارا دينارا . فلما جاء الأولون ظنوا انهم يأخذون أكثر . فأخذوا هم أيضا دينارا دينارا . وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت . قائلين : هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة ، وقد ساويتهم بنا ، نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر . فأجاب ، وقال لواحد منهم : يا صاحب ما ظلمتك . أما اتفقت معى على دينار . فخذ الذى لك واذهب . فانى أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك . أو ما يحل لى أن أفعل ما اريد بمالى ، أم عينك شريرة لأنى أنا صالح ؟ هكذا يكون الآخرون : أولين ، والأولون : آخرين . لأن كثيرين يدعون ، وقليلين ينتخبون » (متى ٢٠ : ١ — ١٦) .

الشرح والبيان

الغرض من هذا المثل : هو دعوة الأمم . للدخول فى الملكوت الآتى مع أبناء اسماعيل واعطائهم من فضل الله تعالى أكثر مما يستحقون .

يقول الأنبا أثناسيوس : « لكل مثل من أمثلة السيد المسيح : درس . فمثل الزوان ، يعلمنا عن حروب العدو لأبناء الملكوت (متى ١٣ : ٢٤ — ٣٠) وحبة الخردل يعلمنا عن نمو الملكوت (متى ١٣ : ٣١ — ٣٢) وهكذا . ولا يليق أن نحمل مثلا من الأمثال معنى لا يقصده . فمثل الفعلة هذا ، لا يقصد به المكافأة على الجهاد ، بل قبول التائبين (١٤) »

---

(١٤) ص ٢١٨ تفسير متى للأنبا أثناسيوس .

الرد عليهم : الغرض من المثل : عند النصارى هو قبول التائبين ومكافأة الذين أرادهم صاحب الكرم — وهذا صحيح — والذين أرادهم : هم رمز لعلماء الملكوت الآتى . وقد أرادهم ليعملوا أخيرا فى حلقه . وليست مكافأته لهم بما يستحقون فقط ، بل لحبه لهم أعطاهم أكثر مما يستحقون ، تفضلا منه وكرما . وفى هذا المثل : نجد الأوائل يتذمرون على صاحب البيت . والأوائل **رمزا للأمة اليهودية — والنصارى منهم** — وصاحب البيت رمز لله عز وجل . والأواخر رمز للأمة الاسلامية . ولما تذمر اليهود من عدم المكافأة ، رد على تذمرهم صاحب البيت بقوله : انه حر فى ماله ، يهب لمن يشاء ما يشاء ، ووصف اليهود بالشر . وهكذا يمتاز الآخرون عند صاحب البيت بالعطاء الجزيل ، وهم رمز للأمة الاسلامية ، أصحاب الملكوت . لأن صدر المثل : « فان ملكوت السموات يشبه ... الخ » ولأن نبى الاسلام ﷺ يقول : « نحن الآخرون السابقون يوم القيامة » ويقول : « انما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم ، ما بين صلاة العصر الى مغرب الشمس ، وانما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا . فقال : من يعمل لى الى نصف النهار على قيراط قيراط ؟ فعملت اليهود الى نصف النهار على قيراط قيراط ، ثم قال : من يعمل لى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ؟ فعملت النصارى من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ، ثم قال : من يعمل لى من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين ؟ ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر الى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين . الا لكم الأجر مرتين . فغضبت اليهود والنصارى . فقالوا : نحن أكثر عملا وأقل عطاء ؟ قال الله : هل ظلمتكم من حقكم شيئا ؟ فقالوا : لا . قال : فانه فضلى أعطيه من شئت » (١٥)

١٤ — مثل الابنان

النص : « ماذا تظنون ؟ كان لانسان ابنان . فجاء الى الأول ، وقال : يا بنى اذهب اليوم ، اعمل فى كرمى . فأجاب وقال : ما أريد . ولكنه

---

(١٥) البخارى باب ما ذكر عن بنى اسرائيل

ندم أخيرا ومضى . وجاء الى الثانى ، وقال كذلك . فأجاب وقـال : ها انـا يا سـيدى . ولـم يمضى . فأى الاثنين عمـل ارادة الأب ؟ قالوا له : الأول . قال لهم يسوع : الحق أقول لكم : ان العشارين والزوانى يسبقونكم الى ملكوت الله . لأن يوحنا جاءكم فى طريق الحق فلم تؤمنوا به . وأما العشارون والزوانى فآمنوا به . وأنتم اذ رأيتم ، لم تندموا أخيرا لتؤمنوا به » (متى ٢١ : ٢٨ — ٣٢)

الشرح والبيان

الغرض من المثل : دعوة الأمم للدخول فى ملكوت السموات مع أبناء ابراهيم . وتغيير الشريعة اليهودية بالشريعة الاسلامية .

يقول الأنبا اثناسيوس : « ضرب مثل ابنين لرجل ، أمرهما أن يذهبا للعمل فى الكرم ، فرفض أحدهما . ثم عاد وندم ، وذهب وعمل ماطلب منه ، والثانى أظهر بالكلام انه أطاع ، ولكنه لم يذهب . وكان هـذا المثل عليهم وعلى الأمم . فأمتهم أطاعت الشريعة بالاسم ، ولكنها خالفت . وها هى ترفضه فعلا . أما الأمم فلم يطيعوا الشريعة أصلا ، ولكنهم هنا يقبلون (١٦) »

والرد عليهم : ان دعوة الأمم من اختصاص نبى الاسلام ﷺ لأن الانجيل ليس شريعة منفصلة عن شريعة التوراة .

والمثل يبين : أن الأمم ستطيع الله تعالى أكثر من اطاعة اليهود له . وأن الملكوت سيكون فيهم . وحيث ان النصارى من اليهود ، والمسيح من اليهود ، فان الملكوت لا يكون لعيسى ولا لأمته .

١٥ — مثل الكرامين الأردياء

النص : « اسمعوا مثلا آخر : كان انسان رب بيت غرس كرما وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجا ، وسلمه الى كرامين وسافر . ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده الى الكرامين ، ليأخذ أثماره . فأخذ الكرامون عبيده ، وجلدوا بعضا ، وقتلوا بعضا ، ورجموا بعضا . ثم

---

(١٦) ص ٢٢٨ تفسير متى للأنبا أثناسيوس

أرسل أيضا عبيدا آخرين أكثر من الأولين . ففعلوا بهم كذلك . فأخيرا أرسل اليهم ابنه قائلا يهابون ابنى . وأما الكرامون فلما رأوا الابن ، قالوا فيما بينهم : هذا هو الوارث . هلموا نقتله ونأخذ ميراثه . فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم وقتلوه . فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالوا له : أولئك الأردياء يهلكهم هلاكا رديا ويسلم الكرم الى كرامين آخرين ، يعطونه الأثمار فى أوقاتها . قال لهم يسوع : أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا ؟ لذلك أقول لكم : ان ملكوت الله ينزع منكم ، ويعطى لأمة تعمل اثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه .

ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم . واذ كانو يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع ، لأنه كان عندهم مثل نبى » (متى ٢١ : ٣٣ — ٤٦ ، مرقس ١٢ : ١ — ١٢ ، لوقا ٢٠ : ٩ — ٢٠ ، برنابا ٤٦ : ١ — ١٣)

الشرح والبيان

١ — **الغرض من هذا المثل** : انتقال الملكوت من نسل اسحق ، الى نسل اسماعيل — عليهما السلام — وتغيير شريعة التوراة بشريعة القرآن الكريم . يقول النبى ﷺ : « ان مثلى ومثل الأنبياء من قبلى ، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين (١٧) »

٢ — **التفسير** : اتفق متى ومرقس ولوقا على أن عيسى ضرب هذا المثل لليهود ، وهو يعلم فى هيكل سليمان بأورشليم . واتفقوا على أن هذا المثل ضربه عيسى بعد دخوله أورشليم للمرة الأخيرة ، وقد استقبله الشعب فى هذا الدخول استقبالا عظيما « ولما دخل أورشليم ارتجت

---

(١٧) البخارى باب خاتم النبيين .

المدينة كلها ، قائلة : من هذا ؟ فقالت الجموع : هذا يسوع النبى » (متى ٢١ : ١٠ — ١١) ولما بدأ يعلم فى الهيكل أن المسيا سيأتى من بعدى ، وأن الشريعة ستنتقل الى بنى اسماعيل « تقدم رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، وهو يعلم قائلين : بأى سلطان تفعل هذا ؟ » (متى ٢١ : ٢٣) عندئذ نطق بأمثال ثلاثة ، يوضح بها انتقال الشريعة ، وزوال الملك من اليهود . وقد ذكر متى هذه الأمثال الثلاثة فى حديث متصل . وهذه الأمثال هى : مثل الأبنين ، ومثل الكرامين الأردياء هذا ، ومثل عرس ابن الملك . وفى نهاية الأمثال ، قال لليهود الذين استنكروا حديثه ، لأنهم كانوا يفهمون أن المسيا سيكون من ذرية داود ، لا من بنى اسماعيل قال لهم : « ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود فقال لهم : فكيف يدعوه داود بالروح ربا . قائلا : قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى أضع أعدائك موطئا لقدميك ، فان كان داود يدعوه ربا ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة » (متى ٢٢ : ٤٢ — ٤٦)

٣ — وهذا المثل يحتوى على مجموعة من المعانى الرمزية اكثر من أى مثل آخر ، وهذه معانيها :

(أ) الكرام : رمز الله عز وجل كما فى الانجيل عن عيسى « وأبى الكرام » (يو ١ : ١)

(ب) الكرمة : كانت رمزا ابتكره أنبياء بنى اسرائيل للدلالة على الأمة اليهودية ، كما ذكر أشعياء وارمياء وداود ، يقول أشعياء : « والآن يا سكان أورشليم ورجال يهوذا ، احكموا بينى وبين كرمى ، ماذا يُصنع أيضا لكرمى ، وأنا لم أصنعه له ؟ لماذا اذ انتظرت أن يصنع عنبا ، صنع عنبا رديئا ؟ فالآن أعرفكم ماذا أصنع بكرمى ؟ انزع سياجه فيصير للرعى ، أهدم جدرانه فيصير للدوس . وأجعله خرابا لا يقضب ولا ينقب ، فيطلع شوك وحسك ، وأوصى الغيم أن لا يمطر عليه مطرا . ان كرم رب الجنود (الله) هوبيت اسرائيل ، وغرس لذته رجال يهوذا ، فانتظر حقا ، فاذا سفك دم ، وعدلا ، فاذا صراخ » (أشعياء ٥ : ٣ — ٧) ويقول

ارمياء عن الله عز وجل يخاطب الأمة اليهودية : « وانا قد غرستك كرمة » (ار ٢ : ٢١) ويقول داود : « يا اله الجنود أطلع من السماء ، وانظر وتعهد هذه الكرمة » (مز ٨٠ : ١٤) .

(ت) الكرامون : هم رؤساء كهنة اليهود ، والعلماء المؤتمنون على رعاية ذلك الشعب ، والمطالبون أمام الله بأن يقدموا أثمار الرعاية .

(ث) السياج والمعصرة والبرج : تشير الى مدى عناية الله ويقظته التامة فى رعاية هذا الشعب ، والمحافظة عليه .

(ج) العبيد الذين أرسلهم ، واحدا بعد الآخر : هم أنبياء العهد القديم مثل موسى ومن أتى بعده كداود وسليمان والياس واليسع ، وزكريا ويحيى وعيسى بن مريم عليهم الصلاة والسلام .

(ح) يسلم الكرم الى كرامين آخرين : يعطى الله الملك والسلطان الى قوم غير يهود ، ويسلم الشريعة الى قوم آخرين غيرهم .

(خ) حجر الزاوية : هذا يشير الى ما جاء فى كلام داود عن نبى الاسلام فى مزاميره . وهو : « الحجر الذى رفضه البناؤون ، قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا » (١١٨ : ٢٢ ـ ٢٣) ولا ينطبق على عيسى لأنه من اليهود ، فكيف يكون عجيبا ؟

٤ ـ **والمعنى العام** : ان الله عز وجل أحسن الى اليهود احسانا عظيما ، وأعطاهم ملكا ومجدا ، وأنزل لهم شريعة من السماء ، وجعل فيهم أنبياء كثيرين ، ولكنهم كفروا بهذه النعم كلها ، وعثوا فى الأرض فسادا ، وحرفوا الشريعة ، ومنعوا هداية الله عن عباده ، وقتلوا الأنبياء . لذلك أخذ منهم الملك والمجد والشريعة والنبوة ، وأعطاهم لقوم آخرين . كصاحب بستان يصلحه وينفقه ، ثم يؤجره لمزارعين ، لكن المزارعين لم يعطوا لصاحب البستان شيئا فأرسل اليهم عبيده ، فلم يعطوهم شيئا . واذ لم يعطوهم شيئا ، كان يجب عليهم أن يردوهم الى صاحب البستان سالمين ، لكنهم مع عدم العطاء أوسعوا فريقا من العبيد لكما وضربا ، وفريقا قتلوهم ، وهم فى طريقهم الى الهرب

اسألوا دماءهم بالحجارة . وان هذا لشيء يثير سخط صاحب البستان حقا . ومع ذلك اعطاهم الفرصة الأخيرة فى ارساله أعز رجل عنده ، وهو ابنه الحبيب ، علهم يصنعون معه معروفا . ويخزون ان فعلوا به سوءا . لكنه لم يسلم هو أيضا من أذاهم ، وكان من الواجب أن تكون منزلة الابن عندهم غير منزلة العبيد . لذلك ماذا ينتظر من صاحب البستان لو وصل الى هؤلاء المزارعين ، وقد نفد صـــبره ؟ ان أى عاقل ينطق قائلا : انه يهلكهم . ان لم يكن من أجل العبيد ، فمن أجل ابنه . واذا أهلكهم . فانه لن يترك بستانه بدون زارع ، لئلا يصير أرضا قاحلة . ولكى لا يفسد سيسلمه الى مزارعين آخرين . وهذا ما حدث فعلا — ولله المثل الأعلى —

٥ — **وجهة نظر النصارى** : من هم القوم الآخرون ؟ يقول النصارى : انهم المعنيون بالقوم الآخرين ، وعيسى هو صاحب الملكوت ، وهو المراد بالابن . يقول متى هنرى : « قال المسيح هذا المثل على من اعتزموا عدم الاعتراف بسلطانه ، مع أن الدليل عليه كان واضحا كل الوضوح ومقنعا ، وكان عدلا أن الذين تساءلوا عن سلطانه ، يفقدون سلطانهم .. وهدفه هنا : أن يبين بأن الأمة اليهودية باضطهادها للانبياء ، ثم للمسيح نفسه أخيرا ، قد أثارت غضب الله ، ليحرمهم م كل امتيازاتهم الكنســـية ، ويتركهم للهلاك »

٦ — الرد عليهم :

١ — ان عيسى عليه السلام من أنبياء بنى اسرائيل ، انه ابن مريم ابنة عمران ، من نسل لاوى ابن يعقوب ابن اسحق ابن ابراهيم . ودعوته كانت فى بلاد بنى اسرائيل . وقال : « لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة » (متى ١٥ : ٢٤) والمثل يبين أن الانتقال سيكون من بنى اسرائيل الى غيرهم . وعلى سبيل الفرض : اذا لم يسلموا بأن الغير ، هو نسل اسماعيل فيلسلموا حتما بأن أمة عيسى ليست هى المقصودة . والدليل على أن الغير هو نسل اسماعيل : أن التوراة نصت على بركة لآل اسماعيل .

٢ — أن اليهود لما سمعوا المثل ، عرفوا يقينا مغزى المثل . ولذلك

هموا بقتله ، وفى رواية لوقا : استبعدوا هلاكهم « فلما سمعوا قالوا حاشا » ولما رأى عيسى استنكارهم كيف يكون هذا ؟ استشهد بكلام التوراة ، ليلزمهم الحجة ، فقال : « اذا ما هو هذا المكتوب : « الحجر الذى رفضه البناؤون ، هو قد صار رأس الزاوية ؟ » والحجر المرفوض كناية عن نسل هاجر المصرية جارية ابراهيم ، وهو مرفوض من اليهود ، لأن اليهود من نسل سارة الحرة ، وهى أخت ابراهيم لأبيه (تك ٢٠ : ١٢) ولانهم من نسل الحرة سارة ، احتقروا بنى اسماعيل ، ووصفوهم بالأمة الغبية الجاهلة (تث ٣٢ : ٢١) ولو كان المقصود برمز الحجر عيسى عليه السلام ، فأى عجب فى أعين اليهود وهو منهم ؟

٣ — لو نظرنا فى أوصاف صاحب الملكوت نجدها لا تنطبق على عيسى عليه السلام ، بأى حال من الأحوال ، بل تنطبق على نبى الاسلام ﷺ . فلقد وصفه عيسى بوصفين :

(أ) « من سقط على هذا الحجر يترضض » والمعنى : من يهجم على هذا النبى ليقتله ، فسوف يتحطم المهاجم . كما اذا سقط انسان من أعلى جبل فارتطم فى أسفله بحجر ، فانه مع موته تكون جثته مختلطة الأعضاء غير متماسكة .

(ب) « ومن سقط هو عليه يسحقه » والمعنى : اذا هاجم هذا النبى قوما ، فانه يغلبهم ويهزمهم ، غلبة وهزيمة لا صحوة بعدهما . كما تدق الحبوب وتسحق . فانه اذا دقت الحبوب وسحقت ، فمن المستحيل أن ترجع صحيحة كما كانت . وهذان الوصفان مع المفهوم مما سبق ، لا ينطبقان على عيسى وأصحابه . بدليل ما جاء فى الأناجيل : أن عيسى لم يحارب ، ولم يكن له نفوذ فى قومه . وأصحابه كانوا يتركونه وقت الشدة ، وبعضهم كفر بتعاليمه . وأصحابه من بعده قد اضطهدوا اضطهادا بشعا ، لم يسمع بمثله فى التاريخ ، وظلوا مضطهدين ومعذبين ، الى القرن السادس الميلادى . الى أن جاء نبى الاسلام فحررهم من الخوف ومنع الأذى عنهم . جاء فى كتب النصارى : « وفى القرن الرابع ارتقى العرش

ـالرومانى تاودوسيوس الكبير (١٨) فأبطل عبادة الأوثان وصـــارت المسيحية الديانة الرسمية فى سنة ٣٧٩م . وقد انقسـم المسـيحيون فى الدولة الرومانية الى مذاهب متعددة ،. وحاول أباطرة الروم ، اكراه أقباط مصر الأرثوذكس على قبول مذهبهم ، فرفضـوا ذلك . وهنا بدأت اضطهادات الرومان من جديد للمسيحيين المصريين . فلما رأى أنبا بنيامين بطريرك الأقباط ذلك ، جمع رجال الدين الارثوذكس ، وحضهم عـلى الثبات فى العقيدة حتى الموت ، وطلب الى الأسـاقفة الاختفاء فى الأديرة حتى تزول هذه المحنة ، واختفى أنبا بنيامين نفسه فى أحد الأديرة فى الصعيد ، وظل مختفيا ثلاث عشرة سنة ، وفى هذه الأثناء فتح العـرب مصر ، على يد عمرو بن العاص سنة ٦٤٠م فماذا فعل القائد العربى ؟ بعد أن تم لعمرو ، فتح مصر ، بعث الى البابا « بنيامين » بكتاب أمان ، يدعوه الى العودة الى كرسيه ، ويؤمنه على حياته ، ونشر عمرو هـذا الكتاب فى أنحاء البلاد ، وجـاء فيه ما يلى : « أينما كان بطريق القبط «بنيامين» نعده بالحماية ، وعهد الله . فليأت البطريق الى ههنا فى أمان واطمئنان ، ليلى أمر ديانته فخرج «بنيامين» من «الدير» وذهب الى «عمرو» فاحتفى به ، ورده الى مركزه عزيز الجانب موفور الكرامة (١٩) »

٤ ــ وأخيرا نقول : ما المراد بالابن الذى أرسله صاحب الكـرم وقتله الكرامون ؟ لا شك أن هذه العبارة زائدة للتحريف ، ليدللوا بها على أن عيسى هو الابن وقد قتل . وبيان ذلك :

---

(١٨) وفى عهده أحيا الله أهل الكهف والتقى بهم هذا الامبراطور فى أفسوس (انظر كتاب : الأساطير الذهبية)

«Jacques de Veragine, La Légende Dorée traduite du latin — Paris, 1929»

أسماؤهم . Maximien, Malchus, Martuen, Denis, Jean Serapion, Constantin.

(١٩) ص ١٣٨ التربية الدينية المسـيحية وزارة التربية والتعليم بمصر ١٩٧٣ .

(أ) لو كان عيسى هو الابن — والابن هو المسيا — ما كان قتل . لأن داود حينما عبر عن المسيا بالابن ، عبر فى نفس الحديث أنه لن يقتل : يقول داود : « لماذا ارتجت الأمم ، وتفكر الشعوب فى الباطل ؟ قام ملوك الأرض وتآمر الرؤساء معا ، على الرب وعلى مسيحه ، قائلين : لنقطع قيودهما ، ولنطرح عنا ربطهما . الساكن فى السموات يضحك . الرب يستهزىء بهم » (مزمور ٢ : ١ — ٤) ومعنى ضحك الله واستهزاؤه بالمتآمرين : أنه لن يسلم المسيا المنتظر الى يد أعدائه ليقتلوه . ولما عبر داود عن المسيا بالابن ، قال فى حديثه : انه سيملك على اقصى الأرض ملكا ظاهرا . قال داود : « انى أخبر من جهه قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك(٢٠)اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصى الأرض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل اناء خزاف تكسرهم » (مزمور ٢ : ٧ — ٩). فكيف يقولون بقتل الابن — والمراد به المسيا — وهو لم يملك على شعوب الأرض بعد ، والملكوت على آرائهم لم يؤسس بعد ؟

(ب) أيا ما كان الأمر على زعمهم هذا . فان الملكوت ينتقل حتما بعد موت الابن الى غيره . ولو أصروا على قولهم بأن الابن هو عيسى وقد قتل ، فانه يكون فى عداد العبيد الذين قتلوا ولا ميزة له عن سائر الأنبياء السابقين عليه . ويكون انتقال الملكوت الى غيره لازم — أيا كان هذا الغير — ولا يكون هو صاحب الملكوت .

(ت) ذكر برنابا فى انجيله هذا المثل : على النحو الذى ذكره متى ومرقس ولوقا ، ولنفس الغرض . ولم يذكر فيه عبارة الابن . ولم يشر اليه قط . لا بموت ولا بحياة . فهو لذلك صادق . لأنه سلم من الاعتراض الذى أبديناه . **وهذا نص كلامه :** « وتكلم يسوع أيضا قائلا . أضرب لكم مثلا . غرس رب بيت كرما ، وجعل له سياجا ، لكى لا تدوسه الحيوانات ،

---

(٢٠) قوله : « أنت ابنى ، أنا اليوم ولدتك » وقوله فى المزمور الثانى والسبعين : « يكون اسمه الى الدهر . قدام الشمس يمتد اسمه ويتباركون به . كل أمم الأرض يطوبونه » عبر عنهما المسيح فى رواية برنابا بقوله : قبل كوكب الصبح فى ضياء القديسين خلقتك يشير به الى نبى الاسلام ﷺ .

وبنى فى وسطه معصرة للخمر ، وأجره للكرامين . ولما حان الوقت ليجمع الخمر أرسل عبيده ، فلما رآهم الكرامون رجموا بعضبا ، وأحرقوا بعضا وبقروا الآخرين بمدية ، وفعلوا هذا مرارا عديدة ، فقولوا لي : ماذا يفعل صاحب الكرم بالكرامين ؟ فأجاب كل واحد : انه ليهلكنهم شر هلكة ، ويسلم الكرم لكرامين آخرين . لذلك قال يسوع : ألا تعلمون أن الكرم هو بيت اسرائيل ، والكرامين شعب يهوذا وأورشليم . ويل لكم لأن الله غاضب عليكم ، لأنكم بقرتم كثيرين من أنبياء الله ، حتى أنه لم يوجد فى زمن أخآب واحد يدفن قديسى الله . ولما قال هذا ، أراد رؤساء الكهنة أن يمسكوه ، ولكنهم خافوا العامة الذين عظموه » (برنابا ٤٦ : ١ — ١٣)

١٦ — مثل عرس ابن الملك

النص : « يشبه ملكوت السموات انسانا ملكا ، صنع عرسا لابنه . وأرسل عبيده ليدعو المدعوين الى العرس ، فلم يريدوا أن يأتوا . فأرسل أيضا عبيدا آخرين ، قائلا : قولوا للمدعوين : هوذا غدائى ، أعددته . ثيرانى ومسمناتى قد ذبحت ، وكل شىء معد . تعالوا الى العرس . ولكنهم تهاونوا ، ومضوا . واحد الى حقله ، وآخر الى تجارته ، والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم . فلما سمع الملك غضب ، وأرسل جنوده ، وأهلك أولئك القاتلين ، وأحرق مدينتهم . ثم قال لعبيده : أما العرس فمستعد ، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين . فاذهبوا الى مفارق الطرق ، وكل من وجدتموه فادعوه الى العرس ، فخرج أولئك العبيد الى الطرق ، وجمعوا كل الذين وجدوهم ، أشرارا وصالحين . فامتلأ العرس من المتكئين . فلما دخل الملك لينظر المتكئين ، رأى هناك انسانا لم يكن لابسا لباس العرس . فقال له : يا صاحب كيف دخلت الى هنا ، وليس عليك لباس العرس ؟ فسكت حينئذ . قال الملك للخدام : اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه فى الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . لان كثيرين يدعون ، وقليلين ينتخبون » (متى ٢٢ : ١ — ١٤)

الشرح والبيان

الغرض من هذا المثل : تغيير شريعة التوراة بالقرآن الكريم .

ويلاحظ فى هذا المثل : ١ ـ الملك الذى صنع العرس ٢ ـ الابن الذى صنع العرس منأجله . ٣ ـ العبيد الذين ذهبوا من قبل الملك لدعوة الناس ٤ ـ المدعوون الى وليمة العرس . ٥ ـ الغذاء الذى أعد فى الوليمة . ٦ ـ اكتفاء بعض الناس بالانصراف عن دعوة الملك ، بسبب انشغالهم بالحياة . ٧ ـ انصراف بعض الناس عن دعوة الملك ، وقتلهم عبيده . ٨ ـ قتل الملك للذين قتلوا العبيد ، واحراق مدينتهم . ٩ ـ تجديد الدعوة لقوم آخرين ١٠ ـ قبول كل الناس للدعوة الثانية ، الصالحين منهم والأشرار . ١١ ـ الرجل الغريب الذى وجده الملك ، ضمن المدعوين ، ولم يكن لابسا لباسا ، يليق بحفل العرس . ١٢ ـ معاقبة الملك لهذاالرجل الغريب (مع ملاحظة أن لوقا لم يذكر الرجل الغريب ، ولا معاقبة الملك له فى مثل العشاء العظيم)

ويعرض متى هنرى وجهة نظر النصارى فى هذا المثل . فيقول :

١ ـ الملك : هو الله . ٢ ـ الابن العريس : هو المسيح . والكنيسة : هي العروس . ويوم الانجيل : هو يوم عرسه ٣ ـ العبيد : هم خدام الله ، رسله وأنبياؤه ٤ ـ ضيوف الله : هم بنو البشر . وكان الضيوف الذين دعوا أولا هم اليهود ٥ ـ الغذاء : الانجيل ٦ ـ الذين انصرفوا عن الدعوة بدون قتل لعبيد الملك : هم الفلاحون والتجار ٧ ـ الذين انصرفوا وقتلوا : هم رجال الدين اليهودى ٨ ـ قتل الملك لهؤلاء اليهود : كان على يد الرومانيين بعد عيسى بأربعين سنة ، أى فى خراب تيطس عام ٧٠ م ٩ ـ تجديد الدعوة بعد خراب أورشليم سنة ٧٠م : كان للأمم . ١٠ ـ قبول كل الناس للدعوة الجديدة : اعتناق الأمم لشريعة الانجيل . ١١ ـ الرجل الغريب : كناية عن المنافقين ، اذ وبخه على جرأته على الدخول ، وهو يعلم أن قلبه غير مستقيم . ١٢ ـ « ثم صدر الأمر بطرحه فى سجن مروع » اطرحوه فى الظلمة الخارجية « وهنا نرى مخلصنا ، ينتقل بطريقة غير محسوسة من المثل ، الى ما يشير اليه ، الى هلاك المرائين فى العالم الآخر » .

ونرد عليهم : ان رمز الملك : هـو الله عز وجل ، ورمز الابن : لنبى الاسلام ﷺ . ورمز الغداء : للقرآن الكريم ، ورمز الناس الذين انصرفوا عن الدعوة ولم يقتلوا ، والذين انصرفوا وقتلوا : يشير الى الأمة اليهودية كلها . منهم من كان ينغمس فى شهوات الدنيا معرضا عن شريعة الله ، ومنهم من كان يتظاهر بالعمل بالشريعة ويدعى الغيرة عليها ، الى حد قتل الأنبياء . وقتل الملك لهؤلاء الذين أساءوا : كان على يد نبى الاسلام . وتجديد الدعوة لغير اليهود من الأمم على يد نبى الاســلام . والرجل الغريب : رمز للمنافقين فى الاسلام من اليهود الذين أسلموا بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم . والتعبير باطرحوه فى الظلمة الخارجية : يشير الى عقاب اليهود على يد نبى الاسلام ، وليس فى العالم الآخر ، الذى هو يوم القيامة . لأن المثل مضروب للملكوت الذى يعبر عنه عيسى مع يوحنا المعمدان باقترب ، ولأن عيسى لم يدع الى غير التوراة ، ولم يحـارب فى نشر دعوته لتأديب العصاة والمنافقين والكافرين . فقد جاء فى الانجيل أنه قال للمرأة الخاطئة : « ولا أنا أدينك أيضا » ولما طلبه بعض الناس للملك انصرف الى الجبل ورفض الملك وقال : « مملكتى ليست من هذا العالم » . كما هو مكتوب فى انجيل يوحنا .

١٧ ــ مثل العذارى العشر

النص : « يشـبه ملكوت السموات عشر عذارى ، أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس . وكان خمس منهن حكيمات ، وخمس جاهلات . أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ، ولم يأخذن معهن زيتا . وأما الحكيمات فأخذن زيتا فى آنيتهن مع مصابيحهن . وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن ، ففى نصف الليل صار صراخ ، هوذا العريس مقبل ، فأخرجن للقائه ، فقامت جميع أولئك العذارى ، وأصلحن مصابيحهن . فقـالت الجاهلات للحكيمات : اعطيننا من زيتكن ، فان مصابيحنا تنطفىء . فأجابت الحكيمـات قائـلات : لعله لا يكفى لنا ، ولكن اذهبن الى البـاعة ، وابتعن لكن . وفيما هن ذاهبات ليبتعن ، جاء العريس . والمستعدات دخلن معه الى العرس ، واغلق الباب . أخيرا جـاءت بقية العذارى أيضا ، قائلات : يا سيد يا سيد . افتح لنا . فأجاب وقال : الحق أقول لكن :

انى ما أعرفكن . فاسهروا اذا . لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الانسان » (متى ٢٥ : ١ ــ ١٣)

الشرح والبيان

الغرض من هذا المثل : الاستعداد لمعرفة الملكوت والدخول فيه .

والدليل على أنه الاستعداد : قول متى صاحب الانجيل :

بينما عيسى عليه السلام جالس على جبل الزيتون ، بعد ما بين العلامات الدالة على زمن نبى الاسلام « تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا : متى يكون هذا ؟ وما هى العلامة عندما يصير هذا » ؟ « وقال لهم : انظروا لا يضلكم أحد ، وكونوا أنتم أيضا مستعدين ، لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الانسان » ثم ساق هذا التشبيه لملكوت السموات ليستعد أتباعه للدخول فيه .

ويعرض متى هنرى . وجهة نظر النصارى . فيقول : « فى هذا المثل نرى : ١ ــ أن العريس هو ربنا يسوع المسيح . هذا ما وضحه المزمور ٤٥ ٢ ــ والعذارى هن المسيحيون ، أعضاء الكنيسة ٣ ــ ومهمة هؤلاء العذارى هى ملاقاة العريس ٤ ــ واهتمامهن الرئيسى أن تكون فى أيديهن أنوار ، عند لقائهن للعريس لا كرامه وخدمته »

ونقول : ان العريس ليس عيسى عليه السلام ، بل هو رمز لنبى الاسلام ﷺ .

أولا : لأنه صاحب ملكوت السموات الذى يدعو عيسى الى اقترابه ، ويضرب هذا المثل للاستعداد للقائه .

وثانيا : لأن المزمور ٤٥ الذى استشهد به « متى هنرى » من مزامير داود عليه السلام لا ينطبق الا على نبى الاسلام ﷺ .

وهذا نص المزمور رقم ٤٥ فى ترجمة البروتستانت و ٤٤ فى ترجمة الكاثوليك : « فاض قلبى بكلام صالح ، متكلم أنا بانشائى للملك . لسانى

قلم كاتب ماهر أنت أبرع جمالا من بنى للبشر انسكبت النعمة على شفتيك
لذلك باركك الله الى الأبد . تقلد سيفك على فخذك أيها الجبار جلالك
وبهاءك ، وبجلالك اقتحم . اركب من أجل الحق والدعة والبر فتريك
يمينك مخاوف نبلك المسنونة فى قلب أعداء الملك شعوب تحتك يسقطون .
كرسيك يا الله الى دهر الدهور . قضيب استقامة قضيب ملكك أحببت
البر . وأبغضت الاثم من أجل ذلك مسحك الله الهك بدهن الابتهاج أكثر
من رفقائك ، كل ثيابك ، مر ، وعود وسليخة . من قصور العاج سرتك الأوتار
بنات ملوك بين حظياتك . جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير . اسمعى
يا بنت وانظرى وأميلى أذنك ، وانسى شعبك وبيت أبيك فيشتهى الملك
حسنك لأنه هو سيدك فاسجدى له ، وبنت صور أغنى الشعوب تترضى
وجهك بهدية . كلها مجد ابنة الملك فى خدرها منسوجة بذهب ملابسها
بملابس مطرزة تحضر الى الملك . فى اثرها عذارى صاحباتها . مقدمات اليك
يحضرن بفرح وابتهاج يدخلن الى قصر الملك . عوضا عن آبائك يكون بنوك
تقيمهم رؤساء فى كل الأرض . اذكر اسمك فى كل دور فدور . من أجل
ذلك تحمدك الشعوب الى الدهر والأبد »

ويعلق علماء الكاثوليك على هذا المزمور فيقولون : « فى هذا المزمور
احتفال زفاف الكنيسة الطاهرة الى السيد المسيح . فعبر عن المسيح
بالملك ، وعن الكنيسة بالملكة ، والمراد بها : الكنيسة الجامعة ، والعذارى
هن الكنائس الخاصة اللاتى غدون بالمعمودية (٢١) قرائن محبوبات
للملك العظيم »

الشرح والبيان

١ ــ « فاض قلبى بكلام صالح » تصح أن تنطبق على عيسى عليه
السلام ، وعلى نبى الاسلام ﷺ . لأن كلا منهما فاض قلبه بكلام صالح .
وهو الانجيل الصحيح ، والقرآن .

---

(٢١) المعمودية : هى تعميد الأطفال برش الماء أو التغطيس . كما
كان يفعل يوحنا المعمدان وعيسى . وفى المخطوطات التى ظهرت فى قمران
تبين أن المعمودية ما كان يمارسها المعمدان ولا عيسى . وانما كان اليهود
يمارسون الوضوء (ص ٨٢ مخطوطات البحر الميت)

٢ — « **متكلم أنا بانشــائى للملك ، لســانى قلم كاتب ماهــر** » هذه صفة خاصة بنبى الاسلام . لأنه كان أميا لا يقرأ ولا يكتب . وجــاء بالقرآن الكريم بلسان عربى مبين . أما عيسى عليه السلام فقد كان قارئا كاتبا ، يقول لوقا : انه « دخل المجمع حسب عادته يوم الســبت ، وقام ليقرأ » (٤ : ١٦) ويقول يوحنا : « أما يسوع فانحنى الى أســفل وكان يكتب باصبعه على الأرض » (٨ : ٦) ومع أنه كان قارئا وكاتبا ، لا يوجد انجيله الصحيح حتى نحكم على أسلوبه ومعانيه .

٣ — « **أنت أبرع جمالا من بنى البشر** » هذه صفة خاصة بنبى الاسلام . وعيسى — باعترافهم — لم يكن جميل الوجه « قال اكليمنضدس الاسكندرى : « ان جماله كان فى روحه ،وفى أعماله ، أما منظره فكان حقيرا » ووصفه جوستان مارتير قائلا : « انه كان بلا جمال ولا مجد ولا مهابة » وقــــال آوريجانوس : « كان جسمه ضئيلا خاليا من الجمال » وقال ترتليان : « أما شكله فكان عديم الحسن الجسمانى . وبالحرى كان بعيدا عن أى مجد جسدى (٢٢) »

٤ — « **انسكبت النعمة على شفتيك** » هذا الوصف جدير بالقرآن الكريم ففيه : « اليوم اكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الاسلام دينا » (المائدة ٣)

٥ — « **تقلد سيفك على فخذك . أيها الجبار ، جلالك ، وبهائك . وبجلالك اقتحم** » عيسى عليه السلام لم يتقلد سيفا ، ولم يضرب عنق كافر ، بل هو استسلم لاعدائه ، فأهانوه شر اهانة ، وقتلوه شر قتلة — كما يزعمون — فلا تنطبق هذه العبارة اذا الا على نبى الاسلام ﷺ .

٦ — « **اركب من أجل الحق والدعة والبر** » ونبى الاسلام حارب ، بالفعل ، من أجل الحق والأمن والسلام . وعيسى عليه السلام لم يحارب .

---

(٢٢) نقلا عن حياة المسيح . لفردريك ص ١٣٩ — ١٤٠

٧ — « **نبلك المسنونة في قلب أعداء الملك ، شعوب تحتك يسقطون** » انتصر نبى الاسلام على أعداء الله ، الملك القهار ، ومحا الوثنية من شبه جزيرة العرب ، وسقط اليهود تحت قدميه ، ووضع أساس القضاء على الفرس والرومان . وتم القضاء عليهم بالفعل ، ودانوا له .

٨ — « **كرسيك يا الله الى دهر الدهور** » معناها : الرسالة التى أعطاها الله تعالى لنبى الاسلام تبقى خالدة الى يوم القيامة ، فالكرسى اشارة الى الرسالة .

٩ — «**القضيب استقامة قضيب ملكك**» الشريعة التى جاء بها نبى الاسلام هى شريعة عادلة . أما عيسى فما كان معه شريعة مستقلة عن شريعة موسى بن عمران .

١٠ — **أحببت البر وأبغضت الاثم ، من أجل ذلك مسحك الله الهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك** » نبى الاسلام دعا الى الخير ، ونهى عن الشر ، وفضله الله على سائر الرسل ، وجعله سيد بنى آدم .

١١ — « **كل ثيابك مر وعود وسليخة** » المراد بالمر : المسك . والعود والسليخة : نوعان من الطيب لهما رائحة ذكية . والعود : النبات المعروف ، الطيب الرائحة . وهذا اشارة الى أنه صاحب دين يدعوا الى الطيبات من الرزق .

١٢ — « **من قصور العاج سرتك الأوتار** » اشارة الى أن نبى الاسلام ستأتيه جوارى القصور ، بعد هزيمة الملوك الكافرين وسيغنم أموالا طائلة .

١٣ — « **بنات ملوك بين حظياتك** » اشارة الى زواج الرسول ﷺ من نساء بنات الملوك وقد تزوج من السيدة صفية بنت حيى ، فانها كانت بنت سيد بنى النضير وملكهم . والسيدة جويرية بنت الحارث وأبوها كان سيد بنى المصطلق وملكهم .

١٤ ــ « جعلت الملكة عن يمينك بذهب أوفير » منطقة « أوفير » منطقة غنية بالذهب ، قرب خليج العقبة . وهذه اشارة الى ما يفتحه الله لنبى الاسلام من الممالك ، وما يغنمه المسلمون من الأموال .

١٥ ــ « اسمعى يا بنت وانظرى ، وأميلى أذنك ، وانسى شعبك وبيت أبيك ، فيشتهى الملك حسنك . لأنه هو سيدك . فاسجدى له » اشارة الى أن الممالك التى سيدخلها المسلمون فاتحين ، تكون سعيدة بدخولها فى حوزة المسلمين . وينسون بعد الفتح عادات الآباء ، وتقاليد المجتمع الضارة ، ويكتفون بشعائر الاسلام وعاداته . ومعنى السجود : الخضوع للأوامر .

١٦ ــ « وبنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهك بهدية » تحققت هذه النبوءة فى نبى الاسلام . فقد كان فى ملوك العالم من يترضاه ويهدى اليه . ومنهم النجاشى ملك الحبشة والمقوقس عزيز مصر .

١٧ ــ « كلها مجد ابنة الملك فى خدرها . منسوجة بذهب ملابسها » اشارة الى ما فتحه الله لنبى الاسلام من البلدان .

١٨ ــ بملابس مطرزة تحضر الى الملك . فى اثرها عذارى صاحباتها . مقدمات اليك . يحضرن بفرح وابتهاج ، يدخلن الى قصر الملك » اشارة الى الأمم التى تدخل فى حظيرة الاسلام فتقر عينها به .

١٩ ــ « عوضا عن آبائك يكون بنوك ، تقيمهم رؤساء فى كل الأرض » أتباع نبى الاسلام صاروا حكاما على البلاد . كالدولة الأموية والعباسية . والى هذا اليوم أتباع نبى الاسلام رؤساء فى أكثر بقاع الأرض . والعرب قبل الاسلام لم يكن منهم رؤساء على غير العرب .

٢٠ ــ « أذكر اسمك فى كل دور فدور » ذكر نبى الاسلام مرفوع فى أنحاء العالم ، بين الأحباب والأعداء . وكلما ارتقى الفكر وتقدم العلم

يزداد ذكره . لأن الله تعالى على يديه قد أخرج الناس من الظلمات الى النــور .

٢١ ــ **« من أجل ذلك تحمدك الشعوب الى الدهر والأبد »** وفى نسخة الكاثوليك : « لذلك يعترف لك الشعوب الى الدهر والأبد » .

ان لم يكن اشارة خفية على اسمه المبارك ، بدليل اختلاف الترجمة . فهو اشارة واضحة على بقاء شريعته ، ودوام مجده الى يوم الدين . مصداقا لقوله تعالى : « ان الله وملائكته يصلون على النبى ، ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما » فألوف الألوف من أمته يصلون ويباركون عليه فى الصلوات الخمس دائما وأبدا ، الى انتهاء الدنيا .

والعذارى ــ كما يقول متى هنرى ــ أتباع عيسى عليه السلام ، لأن المثل مضروب فى بيان الاستعداد لمجىء ملكوت السموات ، وهو ينبههم أن يكونوا متيقظين لمعرفة الملكوت . وهنا نجد : خمس عذارى أخــذن مصابيحهن ، ومع المصابيح زيت ، يساعد على استمرار نور المصابيح ، وهذا يشبه النصارى الأوائل . فقد كتبوا كتبا فى سيرة عيسى عليه السلام وبيان دعوته ، سموها الأناجيل ، وكانوا لا يؤلهون عيسى ، ولا يعترفون بصلبه ، ويعملون بالتوراة وينتظرون (البيرقليط) الذى وعد بمجيئه عيسى الذى هو « أحمد » نبى الاسلام ﷺ . ولما جاء نبى الاسلام هرع اليه هؤلاء النصارى الحقيقيون ، وأسلموا على يديه . وأبرز شاهد على ذلك : فتح العرب لمصر ، فقد رحب بمقدم العرب القبط ، وســاعدوهم عــلى فتحها .

ومهمة هؤلاء العذارى : هى ملاقاة العريس ــ كما يقول متى هنرى ــ وقد حدث هذا لنبى الاسلام . فقد استقبله عقلاء أهل الكتاب استقبالا حسنا ، ومنهم من اتى اليه فى المدينة وصــدق بنبوته . يقــول المؤرخ اليهودى أبو الحسن السامرى عن بدء ظهور الاسلام : « وكان فى ذلك الوقت ثلاثة رجال منجمين ماهرين فى صناعتهم ، الأول سامرى (من اليهود السامرين)

واسمه صرماصة من عسكر ، والثانى يهودى ، واسمه كعب الأحبـــار ، والثالث نصرانى راهب ، واســـمه عبد الســـلام . فنظروا فى صناعتهم وتنجيمهم أن ملك الروم قد زال ، وأن ملك الاسماعيلية ابتدأ على يد رجل من أولاد اسماعيل من بنى هاشم ، وعلامة فى ظهره ، بين كتفيه شـــامة بيضاء بدور الكف ، وقيل : صفراء . فلما سمعوا بظهوره اجتمعوا ثلاثتهم ، وقالوا : نسير وننظر هذا الرجل . فانه هو الذى حكمنا على ظهوره ، وأسرنا معه أمرا من جهة أرباب الكتب والمذاهب . لئلا يلحقنا منه ما لحقنا من الذين تقدموا . فساروا الثلاثة وجاءوا حتى وصـــلوا الى المدينة التى هو فيها . وقالوا لبعضهم بعض : من يتقدم أولا ؟ فقال كعب الأحبار : أنا . فتقدم اليه وسلم عليه ، فرد عليه السلام . وقال له : « من أنت من أولاد اليهود ؟ » فقال له : أنا رجل من مقدمى اليهود ، وجدت فى توراتى أن يقوم ملك من نسل اسماعيل ويملك الدنيا ولا يقف بين يديه أحد . فتقدم عبد السلام بعده ، وقال : هكذا وجدت فى الانجيل . وتقدم اليه صرماصة ، وقال له : أنت تدين بدين وسيعة ، وتملك رقاب العالم ، ولنا فيك علامة ، وهى بين كتفيك . ففرح محمد بكلامهم ، ونزع ثيابه عن بدنه واذا بشامة بيضاء كبيرة بين كتفيه ، فأسلم كعب الأحبار وعبد السلام ، وفرح بهما فرحا عظيما ، وأجلسهما الى جانبه (٢٣) » وهذه شهادة من مؤرخ يهودى سامرى ، لم يسلم ، ترينا مبلغ استعداد العقلاء من اليهود والنصارى لمجىء نبى الاسلام ، فضلا عما استفاضت به كتب المؤرخين عن اســـــلام الكثيرين منهم .

١٨ — الوزنات العشر

النص : يقول متى « وكأنما انسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله . فأعطى واحدا خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة . كل واحد على قدر طاقته وسافر للوقت فمضى الذى أخذ الخمس وزنات وتاجر بها فربح

---

(٢٣) ص ٢٠ التاريخ مما تقدم عن الآباء .

خمس وزنات اخرى وهكذا الذي أخذ الوزنتين ربح أيضـــا وزنتين أخريين وأما الذى أخذ الوزنة فمضى وحفر فى الأرض وإخفى فضة سيده وبعـــد زمان طويل أتى سيد أولئك العبيد وحاسبهم فجاء الذي أخذ الخمس وزنات وقدم خمس وزنات أخرى قائلا يا سيد خمس وزنات سلمتنى هوذا خمس وزنات أخر ربحتها فوقها فقال له سيده : نعما أيها العبد الصالح والأمين كنت أمينا فى القليل فأقيمك على الكثير ادخل الى فرح سيدك ، ثم جاء الذى أخذ الوزنتين وقال يا سيد وزنتين سلمتنى هوذا وزنتان أخـــريان ربحتهما فوقهما . قال له سيده : نعما أيها العبد الصالح الأمين . كنت أمينا فى القليل فأقيمك على الكثير ادخل الى فرح سيدك ، ثم جاء أيضا الذى اخذ الوزنة الواحدة وقال يا سيد عرفت أنك انسان قاس تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر ، فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك فى الأرض هوذا الذى لك ، فأجاب سيده وقال له أيها العبد الشرير والكسلان عرفت انى أحصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبزر ، فكان ينبغى ان تضع فضتى عند الصيارفة فعند مجىء كنت آخذ الذى لى مع ربا . فخذوا منه الوزنة وأعطوها للذى له العشر وزنات لأن كل من له يعطى فيزداد ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه ، والعبد البطـــال اطرحوه الى الظلمـــة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الاسنان » (٢٥ : ١٤ ــ ٣٠)

الشرح والبيان

مفزى المثل : هو الاستعداد والترقب لملكوت السموات ، وقد ضربه عيسى بعد مثل عرس ابن الملك ، وقال بعده : « ومتى جاء ابن الانســـان فى مجده ، وجميع الملائكة القديسين معه ، فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضـــهم من بعض ، كما يميـــز الراعى الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف على يمينه ، والجداء عـــلى يساره ، ثم يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا يا مباركى أبى ، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » (متى ٢٥ : ٣١ ــ ٣٤) وهـــذا يدل بوضوح على أن ابن الانسان الذى أشار اليه دانيال النبى ، متى

جاء فى عظمته وبصحبته أتباعه الأطهار الشبيهين بالملائكة ، ويتم له السلطان على الأرض : سيميز الأخيار من الأشرار ، كما يميز الراعى الخراف من الجداء ، وسوف يهلك الأشرار ، وأما الأخيار فسيجلسهم معه ، ويقول لهم : رثوا الملكوت المعد لكم من قديم الزمان .

وينوب عنه من بعده أتباعه ، السائرين على سنته ، والعاملين بشريعته .

ويعرض متى هنرى وجهة نظر النصارى . فيقول : « فى هذا المثل نرى : ١ — أن السيد هو المسيح ، الذى هو صاحب حق الملك المطلق ، لكل الأشخاص والنفوس ، سيما لكنيسته ، فكل الأشياء سلمت ليديه ٢ — والعبيد هم المسيحيون »

ونرد عليه : ان السيد رمز لله عز وجل ، وعيسى عبد من عباده الصالحين . والعبيد رمز للأمم قبل عيسى . وقوله : ان العبيد هم المسيحيون : قول ظاهر الخطأ . لأن المثل مضروب لما قبل عيسى ، ومغزاه : لمن يأتى من بعده . والعبيد منهم ١ — من أخذ خمس وزنات ، وربح مثلهن ٢ — ومن أخذ وزنتين ، وربح مثليهما ٣ — ومن أخذ وزنة واحدة ، وأخفاها . أما صاحب الخمس وصاحب الوزنتين : فرمز للأمم من قبل اليهود ، ففى القرآن الكريم : « وان من أمة الا خلا فيها نذير » والعبد الذى أخذ الوزنة وأخفاها : فرمز لليهود ، فقد أنزل الله عليهم التوراة ، وأمرهم أن يعملوا بها وأن يهدوا بتعاليمها . فقصرها اليهود على أنفسهم ، بالرغم من أنه مكتوب فيها : « واذا نزل عندك غريب فى أرضكم فلا تظلموه ، كالوطنى منكم ، يكون لكم ، الغريب النازل عندكم ، وتحبه كنفسك ، لأنكم كنتم غرباء فى أرض مصر » (لاويين ١٩ : ٣٣ — ٣٤) ومعنى وضعها عند الصيارفة : اشارة الى أن يضع اليهود علمهم الالهى فى أماكن العلم لدى المشتغلين به ، كسائر الكتب التى تدرس .

ونجد فى محاسبة العبد الكسول ما ينم عن طباع اليهود : أ — فهو قد اعتذر عن نفسه . وهذا الاعتذار ينم عن عواطف عدو ، واليهود أعداء الله . والدليل على ذلك من المثل : قول العبد الشرير : « عرفت أنك انسان

قاس » وهذا يشبه القول السيء الذى صرح به بيت اسرائيل فقد جاء فى التوراة : « وبيت اسرائيل يقول : ليست طريق الرب مستوية . أطرقى غير مستقيمة يا بيت اسرائيل ؟ أليست طرقكم غير مستقيمة ؟ من أجل ذلك اقضى عليكم يا بيت اسرائيل . كل واحد كطرقه ، يقول السيد الرب » (حزقيال ١٨ : ٢٩ — ٣٠) ب — وأنه تكلم بجرأة ووقاحة على الله : اذ قال : « عرفت أنك ... » ولذلك نظير فى التوراة . يقول الله لليهود على لسان ارمياء : « ماذا وجد فى آباؤكم من جور ، حتى ابتعدوا عنى وساروا وراء الباطل ، وصاروا باطلا ... الكهنة لم يقولوا أين هو الرب ؟ واهل الشريعة لم يعرفونى » (ارمياء ٢ : ٥ — ٧)

ولقد وجهت اليه تهمتان : أ — الكسل « أيها العبد الشرير والكسلان » ب — اهانته الله واتهامه اياه ، بأنه يأخذ ما ليس له . ويرد الله عليه بما يشاكل تفكيره — ولله المثل الأعلى — فيقول : « عرفت أنى أحصد حيث لم أزرع ... فكان ينبغى أن تضع فضتى عند الصيارفة » ويمكن فهم هذه العبارة على ثلاثة أوجه حسب ظاهر النص الذى يظهر تقاليد اليهود فى المعاملة . **الأول** : هب اننى سيد قاسى . أما كان ينبغى من أجل هذا أن تكون أكثر اجتهادا ، وأوفر حرصا على ارضائى . ان لم يكن لأنك تحبنى ، فعلى الأقل لأنك تخشانى . ومن أجل هذا أفما كان ينبغى أن تلتفت الى عملك ؟ **الثانى** : ان كنت تظن أننى سيد قاس ، ولذلك لم تجرؤ على المتاجرة بأموالى ، خشية أن تخسر فيها ، ثم تطالب بتعويض الخسارة . فانه كان فى امكانك أن تضعها عند الصيارفة أو فى المصارف ، وعند مجيىء كنت آخذ أقل ربح من تشغيلها عند الصيارفة ، وبذا آخذ الذى لى مع ربا ، ان لم يكن ممكنا أن أحصل على أكبر ربح بتشغيلها فى التجارة ، كما كان الحال فى أمر الوزنات الأخرى . **الثالث** : هب اننى حصدت ما لم أزرع ، ولكن هذا لا يعنيك ، فاننى زرعت فيك ، والوزنة التى أؤتمنت عليها ، هى ملكى ، وأنت لم تأخذها لكى تحفظها ، بل لكى تنميها .

والغرض من العبارة : هو وضع التوراة عند المشتغلين بالعلم من الأمم كالفلاسفة والمصلحين وغيرهم ليتداولوا معانيها كتداول الصيارفة للنقود ، اذا لم يريدوا دعوة الأمم بها .

ولقد حكم على العبد الكسلان — وهو رمز لليهود — بحكمين :

الأول : الحرمان من وزنته . لقد قال : « فخذوا منه الوزنة » ان الله عز وجل له مطلق التصرف فى الكون ، وقد أخذ الوزنة من العبد الكسلان ، كمالك حر التصرف فى ملكه ، وليس أخذها منه ظلم للعبد ، فهو لم يؤد بها الحق المطلوب ، الذى ينبغى أن يكون . وهذا ينطبق على اليهود ، فان الله أعطى الشريعة لهم ، ليس ليقصروها على أنفسهم ويحرموا غيرهم من الفوز برضوان الله . بل أعطاها لهم ليكونوا معلمين فى الأرض ، ولما أخذ الوزنة من العبد الكسلان أعطاها لغيره ، أعطاها للمجد النشيط ، وهذا ما حدث : فان الله عز وجل سلب الشريعة من بنى اسرائيل ، وسلمها لبنى اسماعيل عليه السلام كما فى الانجيل : « هكذا يكون الآخرون أولين ، والأولون آخرين ، لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون » (متى ٢٠ : ١٦)

وجاء فى حيثيات الحكم : « كل من له يعطى فيزداد ، ومن ليس له ، فالذى عنده يؤخذ منه » أي : من سيدعى أنه صاحب الملكوت سيؤخذ منه رغم أنفه ، ويعطى لصاحبه . ثم يزيده الله من فضله ، وقد ادعى النصارى أنهم أصحاب الملكوت . وهم ليسوا بأصحابه لأن عيسى عليه السلام من اليهود وهو يضرب المثل بالعبد الكسلان لسلب الملكوت من اليهود ، **والحكم الثانى على العبد الكسلان** : هو « اطرحوه الى الظلمة الخارجية » وهذا التعبير كناية عن العذاب الذى يصيب اليهود فى نهاية مجدهم على يد نبى الاسلام ﷺ والتاريخ يقول : انه لما جاء حارب اليهود فى شبه الجزيرة العربية وانتصر عليهم ، وفى خلافة عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — استولى المسلمون على بلاد الشام وأقاموا المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين .

١٩ — مثل العشاء العظيم

مقدمة المثل :

يروى لوقا : « وقال أيضا للذى دعاه : اذا صنعت غداء أو عشاء ، فلا تدع أصدقائك ولا اخوتك ولا أقرباءك ولا الجيران الأغنياء ، لئلا يدعوك هم أيضا . فتكون لك مكافاة . بل اذا صنعت ضيافة فادع المساكين ، الجدع العرج العمى . فيكون لك الطوبى ، اذ ليس لهم حتى يكافؤك . لأنك تكافىء فى قيامة الأبرار .

فلما سمع ذلك واحد من المتكئين ، قال له : طوبى لمن يأكل خبزا فى ملكوت الله . فقال له : انسان صنع عشاء عظيما ودعا كثيرين »

النص : « انسان صنع عشاء عظيما ودعا كثيرين وأرسل عبده فى ساعة العشاء ليقول للمدعوين : تعالوا لأن كل شىء قد أعد . فابتدأ الجميع برأى واحد يستعفون . قال له الأول : انى اشتريت حقلا وأنا مضطر أن أخرج وانظره . أسألك أن تعفينى . وقال آخر : انى اشتريت خمسة أزواج بقر ، وأنا ماض لأمتحنها . أسألك أن تعفينى . وقال آخر : انى تزوجت بامرأة فلذلك لا أقدر أن أجيىء . فأتى ذلك العبد وأخبر سيده بذلك . حينئذ غضب رب البيت وقال لعبده : أخرج عاجلا الى شوارع المدينة وأزقتها وأدخل الى هنا ، المساكين والجدع والعرج والعمى . فقال العبد : يا سيد قد صار كما أمرت ، ويوجد أيضا مكان . فقال السيد للعبد : أخرج الى الطريق والسياجات ، وألزمهم بالدخول حتى يمتلىء بيتى . لأنى أقول لكم : انه ليس واحد من أولئك الرجال المدعوين يذوق عشائى » (لوقا ١٤ : ١٢ — ٢٤)

الشرح والبيان

هذا المثل يشبه مثل عرس ابن الملك . والغرض منه : تغيير الشريعة ، وانتقالها الى بنى اسماعيل عليه السلام ، وهذا المثل ذكره لوقا وحده على غرار ما ذكره متى فى عرس ابن الملك . الا أنه أنقص منه حال الرجل الذى دخل العرس بغير ملابس تليق به وتوبيخ الملك اياه بسبب ملابسه .

٢٠ — مثل الخروف الضال

النص :

يروى متى عن المسيح عليه السلام أنه قال : « انظروا لا تحتقروا احد هؤلاء الصغار . لأنى أقول لكم : ان ملائكتهم فى السموات كل حين ، ينظرون وجه أبى الذى فى السموات . لأن ابن الانسان قد جاء لكى

يخلص ما قد هلك . ماذا تظنون ؟ إن كان لانسان مئة خروف ، وضل واحد منها . أفلا يترك التسعة والتسعين على الجبال ، التى لم تضل ؟ هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات ، أن يهلك أحد هؤلاء الصغار » (متى ١٨ : ١٠ — ١٤ ، لوقا ١٥ : ١ — ٧ ، برنابا ٢٠١ : ١٤ — ١٧)

الشرح والبيان

الغرض من هذا المثل : هو فرح الله عز وجل بتوبة الخاطىء . وسياق المثل عند متى ، يختلف عما ذكره لوقا . فهو عند متي ورد بعد سؤال تلاميذه له : « من هو أعظم فى ملكوت السموات ؟ فدعا يسوع اليه ولدا واقامه فى وسطهم ، وقال : الحق اقول لكم : ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات ، فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم فى ملكوت السموات » (متى ١٨ : ١ — ٤) انه يحث على التواضع ثم يبين أن الملكوت للآتين فى المستقبل ، وأن الله يفرح بالداخل فيه ، سواء كان بارا أو خاطئا ، وسواء كان عبدا أو حرا ، وسواء كان يهوديا أو غير يهودى ، بشرط التوبة والاستعداد للعمل بالشريعة . وهذا المثل عند لوقا ، ورد أثناء اقتراب جمع من جباة الضرائب — وهم خطاة فى نظر اليهود — وقد تذمر علماء اليهود الفريسيين من عيسى عليه السلام . لما اقتربوا منه « قائلين : هذا يقبل خطاة ويأكل معهم » (لوقا ١٥) وعندئذ نطق بالمثل ، وذكره بعده لوقا : مثل الدرهم المفقود ، ومثل الابن الضال ، فى نفس الأصحاح ، لنفس الغرض والهدف بينما ذكر متى مثلا واحدا هو مثل العبد الذى لم يغفر لزميله ، وصدره بقوله : « يشبه ملكوت السموات » وهذا يدل على أن هذه الأمثلة تهدف الى الملكوت ، الذى سيسلب من بنى اسرائيل ، على يد نبى الاسلام ﷺ .

ويعرض متى هنرى وجهة نظر النصارى فى الأمثال الثلاثة التى ذكرها لوقا بترتيب . وهى : مثل الخروف الضال ، ومثل الدرهم المفقود ، ومثل الابن الضال . فيقول : « نجد فى هذا الاصحاح : أن تذمر الكتبة والفريسيين

على نعمة المسيح ، وعلى العطف الذي أظهره نحو العشارين والخطاة ، أعطى فرصة لكشف تلك النعمة بأجلى وضوح . الأمر الذي ربما لم يكن ممكنا أن يتم بغير هذه الأمثال الثلاثة ، التى نجدها فى هذا الاصحاح . التى تهدف الى هدف واحد ، وتبين ليس فقط ما قاله الله ، وحلف به فى العهد القديم ، أنه لا يسر بموت وهلاك الخطاة ، بل انه يسر جدا برجوعهم وتوبتهم (٢٤) »

وليس من إعتراض على وجهة نظر النصارى هذه ، فان جميع الناس عباد لله ، كلهم لآدم ، وآدم من تراب . لكن الإعتراض موجه الى زعمهم : أن دعوة الأمم تكون بالانجيل ، وعبادة الأمم تكون بما فى الإنجيل لما بينا من قبل ، ولما سنتبين فى الأمثلة التالية . أن الدعوة تكون بما فى القرآن والعبادة تكون بما فى القرآن .

٢١ — مثل الابن الضـــال

النص :

يروى لوقا : « انسان كان له ابنان . فقال أصغرهما لأبيه : يا أبى أعطنى القسم الذى يصيبنى من المال . فقسم لهما معيشته . وبعد أيام ليست بكثيرة جمع الابن الأصغر كل شىء وسافر الى كورة بعيدة . وهناك بذر ماله بعيش مسرف . فلما أنفق كل شىء ، حدث جوع شـــديد فى تلك الكورة ، فابتدأ يحتاج . فمضى . والتصق بواحد من أهل تلك الكورة فأرسله الى حقوله ليرعى خنازير ، وكان يشتهى أن يملأ بطنه من الخرنوب الذى كانت الخنازير تأكله . فلم يعطه أحد . فرجع الى نفسه وقال : كم من أجير لأبى يفضـــل عنه الخبز ، وأنا أهلك جوعا . أقوم وأذهب الى أبى وأقول له : يا أبى أخطأت الى السماء وقدامك ، ولســـت مستحقا بعد أن أدعى لك ابنا . اجعلنى كأحد أجراك . فقام وجـــاء الى أبيه . واذ كان لم يزل بعيدا رآه أبوه ، فتحنن وركض ووقع على عنقه وقبله . فقال له الابن : يا أبى أخطأت الى السماء وقدامك ، ولســـــت

(٢٤) ص ٢٧٠ تفسير لوقا جـ ٢

مستحقا بعد أن أدعى لك ابنا . فقال الأب لعبيده : أخرجوا الحلة الأولى وألبسوه ، واجعلوا خاتما فى يده ، وحذاء فى رجليه ، وقدموا العجل المسمن واذبحوه فنأكل ونفرح ، لأن ابنى هذا كان ميتا فعاش ، وكان ضالا فوجد . فابتدأوا يفرحون .

وكان ابنه الأكبر فى الحقل . فلما جاء وقرب من البيت سمع صوت آلات طرب ، ورقصا . فدعا واحدا من الغلمان ، وسأله : ما عسى أن يكون هذا ؟ فقال له أخوك جاء ، فذبح أبوك العجل المسمن . لأنه قبله سالما . فغضب ، ولم يرد أن يدخل . فخرج أبوه يطلب اليه . فأجاب ، وقال لأبيه : ها أنا أخدمك سنين ، هذا عددها ، وقط لم أتجاوز وصيتك ، وجديا لم تعطنى قط ، لأفرح مع أصدقائى . ولكن لما جاء ابنك هذا ، الذى أكل معيشتك مع الزوانى ذبحت له العجل المسمن . فقال له : يابنى أنت معى فى كل حين ، وكل مالى فهو لك ، ولكن كان ينبغى أن نفرح ونسر لأن أخاك هذا ، كان ميتا فعاش ، وكان ضالا فوجد » (لوقا ١٥ : ١١ ــ ٣٢ ، برنابا ١٤٦ و ١٤٧)

الشرح والبيان

الغرض من هذا المثل ــ كسابقه ــ وهو أن الله يقبل الأمم فى ملكوت السموات ، ويرحب بهم عند توبتهم . وهذا المثل نلاحظ فيه ملاحظتين هامتين :

الأولى : ان هذا المثل يمثل الله عز وجل ــ ولله المثل الأعلى ــ أبا عاما لكل البشرية ، أبا لكل بنى آدم ــ كما فى التوراة ــ ففى سفر ملاخى : « أليس أب واحد لكلنا ؟ أليس اله واحد خلقنا » (ملا ٢ : ١٠) ويشير عيسى بذلك للفريسيين المتكبرين الذين يأنفون من مخالطة الأمم ، مبينا لهم : أنهم أخوة لهؤلاء الخطاة من الأمم . فليس الله الها لليهود فقط بل للأمم أيضا .

والثانية : ان هذا المثل يظهر بنى البشر مختلفى الصفات . فقد كان

لذلك الأب ابنان : أحدهما : شاب متحفظ عبوس ، لا يحسن معاملة الذين حوله وهذا الابن يشير الى اليهود . **وثانيهما** : شاب متقلب ، فرار ، لا يمكن كبح جماحه ، وهذا الابن يشير الى الأمم . هذا تفسير . وقد يكون التفسير هكذا : الأب رمز لابراهيم عيله السلام . والابنان : رمز عن اسـماعيل واسحق عليهما السلام : ليس لهما أنفسهما ، بل لنسليهما . وهما العرب واليهود . وهذا التفسير أرجح من التفسير الأول ، لان الملكوت كان أولا فى نسل اسحق ، والمسيح يقول : انه سينتقل الى نسـل اسـماعيل . وهو نسل ما جاءهم من نذير قبل محمد ﷺ . وجاءهم بعد فترة من الزمن ، عم فيها الظلم والفساد لدرجة الحزن الشديد لانجاب البنات . كما جاء فى القرآن الكريم : « واذا بشر أحدهم بالأنثى ، ظل وجهه مسودا وهـو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ؟ الاساء ما يحكمون » (النحل ٥٨ — ٥٩)

والتاريخ ينبئنا : أن من نسل اسماعيل منقد شبع من الاثم ، وافتخر به . ثم فر منه الى طلب الحق . ومن نسله من كان يبحث عن الدين الصحيح ، وهم الحنفاء . وكان النبى ﷺ من الضالين . فهداه الله عز وجل . ومن عليه بقوله : «ووجدك ضالا فهدى » (الضحى ٧)

والمثل يبين أن الابن الأصغر رمز للأمم ، وان الابن الاكبر رمز لليهود الذين قصدهم عيسى بعدم التكبر عن دخولهم الملكوت مع الأمم . وهم الأكبر لأن الشريعة بدات بهم وظلت معهم حقبة طويلة من الزمان.يقول **متى هنرى**: « هنا نجد تذمر وحسد الابن الأكبر . الأمر الذى قصد به توبيخ الكتبة والفريسيين ، واظهار حماقتهم وشرهم ، بسبب تذمرهم من أجل توبة وتجديد العشارين والخطاة» ويستطرد قائلا : «اننى أعتقد بأن هذا الابن الأكبر لم يكن صادقا فيما قاله ، حينما افتخر بأنه لم يتجاوز وصية أبيه قط ، والا لما وقف موقف العناد أمام توسـل أبيه » ثم يقول فى نهاية شرحه : « أما الكتبة والفريسيون ، الذين قيل هذا المثل لاقناعهم بصفة مبدئية ، فالأرجح جـدا

أنهم استمروا فى كراهيتهم للخطاة من الأمم (٢٥) » وهكذا نجد ما ذكره عيسى عن تكبر علماء اليهود ، متطابقا مع الواقع التاريخى ، فانه لما جاءت النبوة لبنى اسماعيل واستيقنوا بنبوة نبى الاسلام « لما جاءهم ما عرفوا كفروا به » كما فى القرآن و « غضب ولم يرد أن يدخل » كما فى الانجيل .

٢٢ — مثل الدرهم المفقود

النص :

يقول لوقا : « أو أية امرأة لها عشرة دراهم ، ان اضاعت درهما واحدا ، الا توقد سراجا وتكنس البيت وتفتش باجتهاد حتى تجده ، واذا وجدته تدعو الصديقات والجارات قائلة : افرحن معى ، لأنى وجدت الدرهم الذى اضعته . هكذا أقول لكم : يكون فرح قدام ملائكة الله بخاطىء واحد يتوب » (لوقا ١٥ : ٨ — ١٠)

الشرح والبيان

هذا المثل ذكره لوقا ، بعد مثل الخروف الضال ، وذكر بعده مثل الابنين . والغرض واحد وهو قبول الأمم فى ملكوت السموات ، مع أبناء ابراهيم عليه السلام .

٢٣ — مثل الغنى والعازر

تمهيد : قال المسيح : « كان الناموس والأنبياء الى يوحنا . ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله ، وكل واحد يغتصب نفسه اليه » (لوقا ١٦ : ١٦) ثم ضرب مثل الغنى والعازر ، ليبين به أن الحق واضح ومع وضوحه لا يقبله السفهاء من الناس . وان العقلاء يجب عليهم تقديم مرضاة الله على مطالب الجسد .

يقول لوقا : « كان انسان غنى . وكان يلبس الأرجوان والبزّ ، وهو يتنعم كل يوم مترفها ، وكان مسكين اسمه لعازر ، الذى طرح عند

---

(٢٥) ص ٣٠٦ — ٣٢٥ جـ ٢ تفسير لوقا .

بابه ، مضروبا بالقروح ، ويشتهى أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغنى ، بل كانت الكلاب تأتى وتلحس قروحه . فمات المسكين وحملته الملائكة الى حضن ابراهيم ، ومات الغنى أيضا ودفن . فرفع عينيه فى الهاوية وهو فى العذاب ورأى ابراهيم من بعيد ، ولعازر فى حضنه . فنادى وقال : يا أبى ابراهيم ارحمنى ، وأرسل لعازر ، ليبل طرف اصبعه بماء ويبرد لسانى ، لأنى معذب فى هذا اللهيب . فقال ابراهيم : يا ابنى اذكر انك استوفيت خيراتك فى حياتك ، وكذلك لعازر البلايا ، والآن هو يتعزى وأنت تتعذب . وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة قد اثبتت . حتى أن الذين يريدون العبور من ههنا اليكم لا يقدرون ، ولا الذين من هناك يجتازون الينا . فقال أسألك اذا يا أبت أن ترسله الى بيت أبى ، لأن لى خمسة اخوة ، حتى يشهد لهم ، لكى لا يأتواهم أيضا الى موضع العذاب هذا . قال له ابراهيم : عندهم موسى والأنبياء ليسمعوا منهم . فقال : لا يا أبى ابراهيم . بل اذا مضى اليهم واحد من الأموات يتوبون ، فقال له : ان كانوا لا يسمعون من موسى والأنبياء ، ولا ان قام واحد من الأموات يصدقون » (لوقا ١٦ : ١٩ — ٣١ ، برنابا ٢٤ : ٣ — ١٨)

الشرح والبيان

ذكر برنابا فى انجيله هذا المثل ، على النحو الذى ذكره لوقا . وذكر برنابا قبله أن المسيح قال : « ان الروح فى كثيرين نشيط فى خدمة الله . أما الجسد فضعيف ، فيجب على من يخاف الله أن يتأمل ما هو الجسد ؟ وأين كان أصله ؟ وأين مصيره ؟ من طين الأرض خلق الله الجسد ، وفيه نفخ نسمة الحياة ، بنفخة فيه . فمتى اعترض الجسد خدمة الله ، يجب أن يمتهن ويداس كالطين . لأن من يبغض نفسه فى هذا العالم ، يجدها فى الحياة الأبدية . أما ماهية الجسد الآن ، فواضح من رغائبه : أنه العدو الألد ، لكل صلاح . فانه وحده يتوق الى الخطيئة . أيجب اذن على الانسان مرضاة لأحد أعدائه أن يترك مرضاة الله خالقه ؟ تأملوا هذه : ان كل القديسين والأنبياء كانوا أعداء جسدهم لخدمة الله ،

لذلك جروا بطيب خاطر الى حتفهم ، لكى لا يتعدوا شريعة الله المعطاة لموسى عبده ، ويخدموا الالهة الباطلة الكاذبة »

ثم نطق المسيح بالمثل وقال عقبه : « انظروا . اليس الفقراء الصابرون : مباركين . الذين يشتهون ما هو ضرورى فقط ، كارهين الجسد . ما أشقى الذين يحملون الآخرين للدفن ، ليعطوا أجسادهم طعاما للدود ، ولا يتعلمون الحق »

وما ذكره برنابا قبل نص المثل عن المسيح ، وما ذكره عقبه ، مثل ما يقوله النصارى فى مغزى المثل . ولكن بوضوح .

انهم يقولون « كما اظهر أمامنا مثل الابن الضال نعمة الانجيل المشجعة لنا أجمعين . هكذا يظهر أمامنا هذا المثل ، موضوع تأملنا الآن ، وهو الغضب الآتى . وقد قصد به أن يوقظنا (٢٦) » وحديث المسيح عن امتهان الجسد ، يوقظ به ضمائر علماء بنى اسرائيل . قائلا : اذا جاءكم صاحب الملكوت وأنتم فى رفاهية من العيش ، فلا تحملنكم الرفاهية على التخلى عنه . بل آمنوا به وجاهدوا معه فى سبيل الله . والا تفعلوا فسيحل عليكم غضب من ربكم .

٢٤ ــ مثل العبد المطيع

النص :

يقول لوقا : « من منكم له عبد يحرث أو يرعى . يقول له اذا دخل من الحقل : تقدم سريعا واتكىء ؟ بل ألا يقول له : أعدد ما أتعشى به وتمنطق حتى آكل وأشرب ، وبعد ذلك تأكل وتشرب أنت . فهل لذلك العبد فضل لأنه فعل ما أمر به ؟ لا أظن . كذلك انتم أيضا متى فعلتم كل ما أمرتم به ، فقولوا : اننا عبيد بطالون . لأننا انما عملنا ما كان يجب علينا » (١٧ : ٧ ــ ١٠)

---

(٢٦) ص ٤٢ ج ٣ تفسير لوقا .

الشرح والبيـــان

ذكر لوقا هذا المثل بعد قوله عليه السلام : « وان أخطأ اليك أخوك فوبخه ، وان تاب فاغفر له ، وان أخطأ اليك سبع مرات فى اليوم ، ورجع اليك سبع مرات فى اليوم ، قائلا : أنا تائب فأغفر له » وعند متى بعد هذا القول : مثل العبد الذى لم يغفر لزميله . والغرض من هذا المثل : هو أداء الواجب ، والاجتهاد فى أدائه ، نحو أهل الملكوت ، بدون مقابل منهم .

يقول متى هنرى « اهتمامنا الرئيسى هنا ، هو أن نؤدى الواجب الذى تفرضه علينا علاقتنا بسيدنا ، ونترك له أن يمتعنا ببركات اتمام هذا الواجب ، بالكيفية التى يراها هو (٢٧) »

ونقول : ان ذلك الاجتهاد من عيسى وأتباعه هو للدعوة الى مجىء نبى الاسلام صاحب الملكوت الذى تحدث عنه دانيال . وهذا الملكوت هو الذى يحث عيسى أتباعه على التبشير به باجتهاد كما كان يبشر .

٢٥ ــ مثل الغنى الغبى

النص :

يقول لوقا : « وقال لهم : انظروا وتحفظوا من الطمع ، فانه متى كان لأحد كثير ، فليست حياته من أمواله . وضرب لهم مثلا قائلا : انسان غنى أخصـــبت كورته . ففكر فى نفسه . قائلا : ماذا أفعل ؟ لأن ليس لى موضع أجمع فيه أثمارى . وقال : أعمل هذا : أهدم مخازنى ، وابنى أعظم واجمع هناك جميع غلاتى وخيراتى . وأقول لنفسى : يا نفس لك خيرات كثيرة موضوعه لسنين كثيرة . استريحى واشربى وأفرحى . فقال له الله : يا غبى هذه الليلة تطلب نفسك منك . فهذه التى أعددتها . لمن تكون ؟ هكذا الذى يكنز لنفسه وليس هو غنيا لله » (لوقا ١٢ : ١٥ ــ ٢١)

---

(٢٧) ص ٩ ج ٣ انجيل لوقا .

الشرح والبيان

هذا المثل ضربه المسيح لليهود . ليبين لهم أن استغنائهم عن الملكوت الآتى بما استعدوا به للصد عنه ، لن يفيدهم شيئا . وقد أشار بقوله : « هكذا الذى يكنز لنفسه ، وليس هو غنيا لله » الى هلاكهم على يد صاحب الملكوت .

والدليل على أن هذا المثل لملكوت السموات : هو : أن المثل مسوق وسط حديث طويل لعيسى عليه السلام عن الملكوت أمام جموع اليهود والتلاميذ . وفى نهاية الحديث يقول للتلاميذ : « لا تطلبوا أنتم ما تأكلون وما تشربون ، ولا تقلقوا . فان هذه كلها تطلبها أمم العالم ، وأما أنتم فأبوكم يعلم أنكم تحتاجون الى هذه ، بل أطلبوا ملكوت الله . وهذه كلها تزاد لكم . لاتخف أيها القطيع الصغير ، لأن أباكم قد سر أن يعطيكم الملكوت بيعوا ما لكم وأعطوه صدقة . اعملوا لكم أكياسا لا تفنى ، وكنزا لا ينفد فى السموات ، حيث لايقرب سارق ، ولايبلى سوس ، لأنه حيث يكون كنزكم ، هناك يكون قلبكم أيضا » (لو ١٢ : ٢٩ — ٣٤) يريد أن يقول لأتباعه : لاتهتموا بالسعى الحثيث فى طلب الرزق . بل اهتموا بالدعوة الى اقتراب ملكوت السموات وعرفوا الناس بصاحبه . فان الله يرزق من يشاء بغير حساب . والنص اليونانى لعبارة « هذه الليلة تطلب نفسك منك » هكذا « يطلبون نفسك منك » (٢٨) ومعناها : أن هناك جيوشا مهيأة لمعاقبة علماء اليهود بالقتل ، بسبب استغنائهم بمالهم ، عن اجابة داعى الله . ولقد تحقق هذا المثل فى مجىء نبى الاسلام ﷺ فان علماء اليهود لما منعوا هداية الله عن الناس ، وأنكروا النبوءات الدالة على صدق نبى الاسلام من التوراة ، وحرضوا كفار مكة على قتل النبى ﷺ ، لما فعلوا ذلك حاربهم نبى الاسلام ﷺ وانتصر عليهم . ولم تمنعهم منه الحصون ولا الأموال .

وكانوا قد ظنوا **« أنهم مانعتهم حصونهم من الله ، فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا ، وقذف فى قلوبهم الرعب . يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين »** .

---

(٢٨) ص ١٨١ جـ ٢ تفسير لوقا .

٢٦ — مثل شجرة التين الجدباء

تمهيـــــد :

يذكر لوقا أن عيسى عليه السلام قال لليهود وهو يبين لهم اقتراب ملكوت السموات : « اذا رأيتم السحاب تطلع من المغارب ، فللوقت تقولون : انه يأتي مطر . فيكون هكذا . واذا رأيتم ريح الجنوب تهب ، تقولون : انه سيكون حر ، فيكون . يا مراؤون تعرفون أن تميزوا وجـــه الأرض والسماء ، وأما هذا الزمان فكيف لا تميزونه ؟ ولماذا لا تحكمون بالحـــق من قبل نفوسكم ؟ ... وكان حاضرا فى ذلك الوقت قوم يخبرونه عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم . فأجاب يسوع ، وقال لهم : أتظنون أن هؤلاء الجليليين كانوا خطاة أكثر من كل الجليليين ، لأنهم كابدوا مثل هذا ؟ كلا أقول لكم : بل ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون . أو أولئك الثمانية عشر الذين سقط عليهم البرج فى سلوام وقتلهم . أتظنون أن هؤلاء كانوا مذنبين أكثر من جميع الناس الساكنين فى أورشليم ؟ كلا أقـــول لكم . بل ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون . وقال هذا المثل » :

النص :

« كانت لواحد شجرة تين مغروسة فى كرمه ، فأتى يطلب فيها ثمرا ، ولم يجد فقال للكرام : هو ذا ثلاث سنين اتي أطلب ثمرا فى هذه التينة ولم أجد ؟ اقطعها . لماذا تبطل الأرض أيضا ؟ فأجاب وقال له : يا ســـيد اتركها هذه السنة أيضا ، حتى أنقب حولها وأضع زبلا . فان صـــنعت ثمرا ، والا ففيما بعد نقطعها » (لوقا ١٢ : ٥٤ — ١٣/٥٧ : ٦ — ٩ برنابا ١١٣ : ٨ — ٢٨)

الشرح والبيان

ذكر برنابا هذا المثل ، كما ذكره لوقا . وذكر برنابا فى نهايته أن تلاميذ المسيح طلبوا منه تفسير المثل . فأجاب بما نصه :

« الحق أقول لكم : ان صـــاحب الملك هو الله . والكرام شريعته . فكان عند الله اذن فى الجنة : النخل والبلسان . لأن الشيطان هو النخل ، والانسان الأول هو البلسان . فطردهما كليهما . لأنهما لم يحملا ثمرا من الأعمال الصالحة ، بل فاها بألفاظ غير صـــالحة ، كانت قضـــاء على ملائكة وأناس كثيرين . ولما كان الله قد وضع الانسان فى وسط خلائقه التى تعبده كلها بحسب أمره ، فاذا كان كما قلت لا يحمل ثمرا فان الله يقطعه ويدفعه الى الجحيم ، لأنه لم يعف عن الملاك ، والانسان الأول ، فنكل بالملاك تنكيلا أبديا وبالانسان الى حين .

فتقول من ثم شريعة الله : ان للانسان طيبات أكثر مما يجب فى هذه الحياة . فوجب عليه اذن أن يحتمل الضيق ويحرم من الطيبات العالمية ، ليعمل أعمالا صالحة . وعليه : فان الله يمهل الانسان ليتوب . الحـــق أقول لكم : ان الهنا قضى على الانسان بالعمل ، للغرض الذى قـــاله أيوب خليل الله ونبيه : كما أن الطير مولود للطيران ، والسمك للسياحة . هكذا الانسان مولود للعمل » (برنابا ١١٤ : ١ ــ ٩)

والغرض من المثل : هو هلاك اليهود ، لأنهم لم يعملوا فى حقل الدعوة الى الله . ويقول النصارى بذلك . ثم يزعمون ان الملكوت الآتى سيكون مع عيسى وأتباعه من اليهود والأمم . ويزعمون أيضـــا أن هلاك اليهود كان على يد تيطوس الرومانى سنة ٧٠ ميلادية . وتأسس الملكوت فى العالم من ذلك الحين . وفاتهم أن تيطوس لم يكن على دين المســـيح ولا على دين اليهود .

يقول متى هنرى : « قصد بهذا المثل : تعزيز كلمة التحذير ، التى قيلت قبل ذلك مباشرة « ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » ان لم تغيروا حياتكم هلكتم كشجرة التين التى ان لم تعط ثمرا قطعت . ويشير هذا المثل بصفة مبدئية الى أمة وشعب اليهود . لقد اختارهم الله ليكونوا خاصته ، جعلهم شعبا قريبا له ، وأعطاهم امتيازات لمعرفته وعبادته أكثر من الشعوب الأخرى ، وكان يتوقع منهم نظير هذه ، الطاعة التى اذ تؤدى الى سبحه

وكرامته ، حسبها ثمرا . لكنهم خيبوا آماله ، فلم يؤدوا واجبهم ، وصاروا عارا على ديانتهم ، بدلا من أن يشرفوها . وبناء على هذا قرر عدلا أن يتركهم ويقطعهم ويحرمهم من امتيازاتهم ، ويخرجهم من دائرة كنيسته وشعبه . لكن بشفاعة المسيح كما قبل الله قديما شفاعة موسى ، تحنن فأعطاهم فرصة أخرى ورحمة أخرى . وكأنه جربهم سنة أخرى بارسال رسله بينهم لكى يدعوهم الى التوبة ، ويقدموا اليهم باسم المسيح ، الغفران لدى توبتهم ولقد تأثر البعض فتابوا ، وأعطوا ثمرا ، وكان كل شىء حسنا معهم . لكن مجموع الأمة استمروا غير تائبين وغير مثمرين ، فحل عليهم الهلاك بلا علاج ، وبعد حوالى أربعين سنة قطعوا والقوا فى النار (٢٩) »

ونقول : ان هذا المثل متفق مع الهدف من دعوة عيسى عليه السلام لقد بدأ دعوته بقوله لليهود : « توبوا فقد اقترب ملكوت السموات » وهو فى هذا المثل يؤكد دعوته فيقول : ان لم تتوبوا وتعملوا الصالحات استعدادا للدخول فى ملكوت السموات ، فانكم لا محالة تهلكون . كما أن شجرة التين لما لم تؤت أكلها . كان وجودها فى الكرمة عبثا . وهذا المثل يدين النصارى أبلغ ادانة لأن أخذ الملك من اليهود وقطع دابرهم لم يكن على يد عيسى عليه السلام لأنه منهم ، ولا على يد تيطوس الرومانى سنة ٧٠ بعد الميلاد ، لأن دعوة المسيح لم تكن قد عمت البلاد بعد . ولم يكن تيطوس مؤمنا بما جاء به المسيح . وكما تمهل الرجل على شجرة التين سنة أخرى ، تمهل الله على اليهود بالعقاب ، فى زمن عيسى ، رجاء أن يفيئوا الى أمره ، ولما جاء نبى الاسلام ﷺ وهو ليس من الأمة اليهودية ، وفاتت المدة الموقوتة للاستعداد والتوبة ، ولم يتوبوا : كان العقاب شديدا جدا . فقد أخذت الشريعة منهم ، وسلمت الى نبى الاسلام ، وأخذ الملك منهم وسلم الى نبى الاسلام . وانطلق المسلمون بالدعوة فى كل مكان ، واثمرت دعوتهم ، بدل اليهود الذين قصروا الدين عليهم ، وتعالوا

---

(٢٩) ص ٢٠٦ — ٢٠٧ ج ٢ تفسير لوقا

على بقية الشعوب ، ويا ليتهم قصروا الدين عليهم وعملوا به ، بل كما يقول عيسى عليه السلام لعلمائهم :

« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون أنتم ، ولا تدعون الداخلين يدخلون » (متى ٢٣ : ١٣)

* * *

وأما عن الجليليين الذين خلط بيلاطس دمهم بذبائحهم ، والذين سقط عليهم برج سلوام .

فنقـــــول :

بيلاطس : كان واليا على منطقة اليهودية من قبل الرومان ، وهيرودس كان واليا على منطقة الجليل ، ويقول متى هنرى : « كانت هناك عداوة بينهما . ربما بسبب قتل بيلاطس للجليليين ، الذين كانوا من رعايا هيرودس » (٣٠) وبيلاطس هذا هو الذى طلب منه اليهود قتل عيسى عليه السلام ، الا أنه أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا : « انى برىء من دم هذا البار ، أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا ... فجلده وأسلمه ليصلب » (متى ٢٧ : ٢٤ — ٢٦)

وقتل بيلاطس للجليليين ذكره لوقا وحده بايجاز شديد دون سائر كتاب الأناجيل المقدسة ، ولم يشر الى هذه الحادثة واحد من مؤرخى ذلك العصر ، حتى يوسيفوس المؤرخ اليهودى المشهور ، والمعاصر لهذه الأحداث ، تجاوز عن ذكر هذا الحادث . يقول الدكتور فردريك فارار : « هذه الأمور تكررت فى حصار أورشليم ، ولكنه واضح أنه ينقصنا تفصيلات فى هذه الحادثة بالذات لنفهم حقيقتها » (٣١)

ويقول الدكتور فردريك فارار ، عن برج سلوام ، الذى يسميه برج أنطونيا : « ان تعصب اليهود الملتهب فى ذلك الوقت ، والآمال الجامحة

---

(٣٠) ص ٢١٣ ج ٢ تفسير لوقا .
(٣١) ص٥١٨ حياة المسيح لفردريك .

التى كانت دائما تشعل غضبهم ضد الحاكم الرومانى ، والتى جعلتهم مطية ذلول لكل مدع كذاب ، الزم ضرورة برج أنطونيا ، الذى كان يرمى ظله الطويل على الهيكل ذاته ، بل كان يتصل بسلم على الهيكل ، ليتنسى للقوات الرومانية التدخل السريع ، وايقاف الشغب الذى كان وللآن يهدد سلامة أورشليم من حين لآخر ، فى فرصة الأعياد » (٣٢) ويقول متى هنرى : « يظن بعض المفسرين : أن هذا البرج كان مجاورا لبركة سلوام التى هى بركة بيت حسدا ، والتى كان بجوارها خمسة أروقة يضطجع فيها جموع المرضى منتظرين تحريك الماء (يو ٥ : ٣) وأن الذين قتلوا كانوا من هؤلاء المرضى أو ممن يتطهرون فى تلك الأروقة استعدادا لخدمة الهيكل ، لأن البركة كانت قريبة من الهيكل » (٣٣)

٢٧ ــ مثل الكيس الضائع

تمهيــــــد :

لما قال المسيح لعلماء بنى اسرائيل : « توبوا فقد اقترب ملكــوت السموات » (متى ٤ : ١٧) وقال لهم : « ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون » (لوقا ١٣ : ٥) ضرب مثلا بشجرة تين استحقت القطع من الكرم لأنها لا تثمر (لوقا ١٣ : ٦ ــ ٩) يشير به الى هلاك علماء بنى اسرائيل لتقصيرهم فى الدعوة . ثم ضرب مثلا عن الطريقة التى يجب بها اظهار التوبة . وهو :

النص :

« اذا اضاع رجل كيسا . أيدير عينه ليراه أو يده ليأخذه ، أو لسانه ليسأل فقط ؟ كلا ثم كلا . يلتفت بكل جسمه ، ويستعمل كل قوة فى نفسه ، ليجده . أصحيح هذا ؟ » (برنابا ١٠٠ : ١٠ ــ ١١)

---

(٣٢) ص ٥١٧ حياة المسيح لفرديك

(٣٣) جـ ٢ ص ٢٠٣ انجيل لوقا ــ متى هنرى

٢٨ — مثل الثمار الشهية

تمهيد : نصح عيسى عليه السلام أتباعه بقوله — فى رواية متى — :
« لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ، ولا لأجسامكم بما تلبسون . أليست الحياة أفضل من الطعام ، والجسد أفضل من اللباس ؟ انظروا الى طيور السماء . انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع الى مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها ، الستم أنتم بالحرى أفضل منها ؟ ومن منكم اذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعا واحدة ؟ ولماذا تهتمون باللباس ؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو ؟ لا تتعب ولا تغزل . ولكن أقول لكم : انه ولا سليمان فى كل مجده ، كان يلبس كواحدة منها . فان كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غدا فى التنور يلبسه الله هكذا . أفليس بالحرى جدا يلبسكم أنتم يا قليلى الايمان ؟

فلا تهتموا قائلين : ماذا نأكل ؟ أو ماذا نشرب ؟ أو ماذا نلبس ؟ فان هذه كلها تطلبها الأمم . لأن أباكم السماوى يعلم أنكم تحتاجون الى هذه كلها . لكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزاد لكم » (متى ٦ : ٢٥ — ٣٣)

النص :

« كان لرجل أملاك كثيرة . وكان من أملاكه أرض قاحلة لم تنبت الا أشياء لا ثمر لها . وبينما كان سائرا ذات يوم وسط هذه الأرض القاحلة ، عثر بين هذه الأنبتة ، غير المثمرة على نبات ذى ثمار شهية . فقال هذا الانسان حينئذ : كيف تأتى لهذا البيت أن يحمل هذه الثمار الشهية هنا ؟ انى لا أريد أن يقطع فى النار مع البقية . ثم دعا خدمه وأمرهم بقلعه ووضعه فى بستانه . انى أقول لكم : هكذا يحفظ الهنا من لهب الجحيم من يفعلون برا ، اينما كانوا » (برنابا ٧٩ : ١١ — ١٦)

الشرح والبيان

يقول المسيح لعلماء بنى اسرائيل : لا تخافوا من الفقر اذا قلتم الحق . فان من يطلب ملكوت الله ويدعو اليه ، يحفظه الله أينما كان ، ويرزقه من حيث لا يحتسب .

والغرض من المثل : واضح من قول المسيح : « هكذا يحفظ الهنا من لهب الجحيم من يفعلون برا ، أينما كانوا » ومن قوله : « اطلبوا أولا ملكوت الله وبره ، وهذه كلها تزاد لكم » .

٢٩ ــ مثل المدينين

النص :

يقول لوقا « كان لداين مديونان . على الواحد خمسمئة دينار ، وعلى الآخر خمسون . واذ لم يكن لهما ما يوفيان ، سامحهما جميعا . فقل . أيهما يكون أكثر حبا له ؟ » (لوقا ٧ : ٣١ ــ ٤٢ ، برنابا ١٣٠ : ١ ــ ٢) .

الشرح والبيان

الغرض من هذا المثل : دعوة الأمم الى الدخول فى ملكوت السموات مع اليهود . فانه لما أخبر عيسى عليه السلام : أن ملكوت السموات لليهود وللأمم أيضا ، الذين يترفع اليهود عن مخالطتهم ، أراد أن يبين ذلك عمليا بجلوسه مع الخطاة ، الذين يعتقدون فى أنفسهم النقص ، كما جلس مع الفريسيين الذين يعتقدون فى أنفسهم الكمال ، ليكون قدوة لهم . فيتأسون به ، ولا يأنفون من الدخول فى الملكوت بسبب مشاركة الخطاة لهم .

يقول متى هنرى : « لا يعلم متى وأين حدثت هذه الرواية ، فان البشير لوقا لا يراعى ترتيب الزمن فى كتاباته كالانجيليين الآخرين . لكن هذه الرواية دونت هنا بمناسبة تعيير المسيح بأنه « محب للعشارين

والخطاة ، لكى يبين أن المسيح انما اختلط بهم لخيرهم ولكى يأتى بهم الى التوبة » (٣٤)

ورموز المثل: الغنى الكريم : رمز لله عز وجل . والمدين بالمبلغ الصغير : رمز لليهود . والمدين بالمبلغ الكبير : رمز للأمم . والكل فى حاجة الى عفو الله فليستعد الجميع للدخول فى الملكوت .

٣٠ — مثل السامرى الصالح

تمهيـــد :

« واذا ناموسى قام يجربه قائلا : يا معلم ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية ؟ فقال له : ما هو مكتوب فى الناموس ؟ فأجاب وقال : تحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل قدرتك ، ومن كل فكرك . وقريبك مثل نفسك . فقال له : بالصواب أجبت . افعل هذا فتحيا . وأما هو فاذ أراد أن يبرر نفسه ، قال ليسوع : ومن هو قريبى ؟ »

النص :

فأجاب يسوع وقال : « انسان كان نازلا من أورشليم الى أريحا ، فوقع بين لصوص ، فعروه وجرحوه ، ومضوا وتركوه بين حى وميت . فعرض أن كاهنا نزل فى تلك الطريق فرآه وجاز مقابله . وكذلك لاوى أيضا اذ صار عند المكان ، جاء ونظر وجاز مقابله . ولكن سامريا مسافرا جاء اليه ، ولما رآه تحنن فتقدم وضمد جراحاته ، وصب عليها زيتا وخمرا وأركبه على دابته وأتى به الى فندق واعتنى به ، وفى الغد لما مضى أخرج دينارين وأعطاهما لصاحب الفندق ، وقال له : اعتن به ومهما أنفقت أكثر فعند رجوعى أوفيك . فأى هؤلاء الثلاثة ، ترى صـــار قريبا للذى وقع بين اللصوص ؟ فقال : الذى صنع معه الرحمة فقال له يسوع : اذهب أنت أيضا واصنع هكذا » (لوقا ١٠ : ٢٥ — ٣٧)

---

(٣٤) ص ٢٨٣ جـ ١ تفسير لوقا — متى هنرى . واعلم أن هذه الرواية حدثت فى بيت سمعان بطرس ، لما دخلت مريم المجدلية لتتوب عـلى يد المسيح (برنابا ١٢٩ ، لوقا ٧ ، يوحنا ١٣ يوحنا ٨) .

الناموسيون والكتبة والفريسيـــيون فئات ثلاث . هدفهم تعليم الدين لليهود . يقول الأنبا أثناسيوس : « ان تلك الفئات الثلاث كانت متشابهة فى كونها تضم معلمى الدين ، ولم يكن الفصل بينها تاما ، الا أن الكتبة كانوا معلمين للاهوت — وهو الدين — والناموسيين كانوا معلمين للقانون ، والفريسيين كانوا أصحاب مذهب حرفى خاص ومعلمى طقوس متزمتين (٣٥)»

وهذا المثل يبين أن القريبين من الله هم العابدون له . واليهود يدعون أنهم هم القريبون منه وخدمه من دون الناس . فرد عليهم المسيح بأن قريب اللحم والدم اذا لم ينفع وقت الحاجة اليه ، فليس بقريب .

والغرض من المثل : ان ملكوت السموات سيكون فى أبناء اسماعيل ، — لأنهم من الأمم فى نظر اليهود — وفى الأمم استعداد طيب لبذل الخير ، واصطناع المعروف .

ويقول النصارى : ان الغرض منه هو دعوة الأمم — مع أن نبيهم من اليهود — والفرق بيننا وبينهم : أنهم يزعمون أنهم أصحاب الحـــق فى دعوة الأمم الى العمل بالانجيل ، ونحن نقول بالحق : اننا أصحاب الحق فى دعوة الأمم الى العمل بالقرآن . لأن المسيح نادى قائلا : « اقترب ملكوت السموات » ويضرب الأمثال لايضاح أحواله . ونبينا من الأمم على حسب مفهوم اليهود عن الملكوت .

ورموز المثل : الكاهن وهو الذي يكون من نسل هارون عليه السلام ، واللاوي : رمز للدين الذى كان فى علماء اليهود مراسيم وطقوس خالية من الروح . والسامري : رمز للامم الغرباء عن اليهود العبرانيين لأن اليهود كانوا يحتقرون السامريين ، كما فى الاصحاح الرابع من انجيل يوحنا .

---

(٣٥) ص ٤٤ تفسير متى للأنبا اثناسيوس .

٣١ ــ مثل الجريح الكنود

تمهيـــد :

ان الله تعالى لما أعطى الشريعة لبنى اسرائيل ، أمرهم أن يقولوا للناس حسنا . وبعد زمان طويل من موت موسى عليه السلام ، امتنع علماء بنى اسرائيل عن مخالطة الأمم ، وابتعدوا عن مخالطة الآثمين من اليهود . مخالفين بالامتناع وبالبعد أوامر الله ، التى تجبرهم على هداية الناس . وأشاعوا : أن شريعة موسى لبنى اسرائيل ، وأن ملكوت السموات الآتى سيكون لبنى اسرائيل ، وليس للامم نصيب معهم فى شريعة الله . وقد وضح المسيح لعلماء بنى اسرائيل أن أشاعتهم كاذبة ، لأن هوشع يقول فى سفره على لسان الله تعالى : « انى أدعو الشعب غير المختار : مختارا » (هو ٢ : ٣٢) أى أن الملكوت الآتى سيكون للأمم فيه نصيب . وكان علمـــاء بنى اســـرائيل يشـــيعون أن بنى اســـماعيل من الأمم فوضح المسيح أن ملكوت السموات الآتى سيكون فيهم . لثبوت بركة فى آل اسماعيل . وضرب مثل الجريح الكنود ليبين به أن علماء اليهود قصروا فى الدعوة ـــ فلذلك يجب عليهم أن يتوبوا ـــ وأن علماء غيرهم سيقومون بها ، **كما بين فى مثل الكرامين الأردياء وغيره .**

النص :

« انى أضرب لكم مثلا ، لتفهموا . كان ملك عثر فى الطريق على رجل جردته اللصوص ، الذين أثخنوه جراحا ، حتى الموت ، فتحنن عليه ، وأمر عبيده أن يحملوا ذلك الرجل الى المدينة ويعتنوا به . ففعلوا هذا بكل جد . وأحب الملك الجريح حبا عظيما ، حتى أنه زوجه من ابنته وجعله وريثه . فلا مراء فى أن هذا الملك كان رءوفا جدا .

ولكن الرجل ضرب العبيد واستهان بالأدوية وامتهن امرأته وتكلم بالسوء فى الملك ، وحمل عماله على عصيانه . وكان اذا طلب الملك منه خدمة ، قال : ما هو الجزاء الذى يعطينى اياه الملك ؟ فماذا فعل الملك بمثل هذا الكنود عندما سمع هذا ؟ فأجاب الجميع : ويل له . لأن الملك نزع منه كل شىء . ونكل به تنكيلا . فقال حينئذ يسوع : أيها الكهنة

والكتبة والفريسيون ، وأنت يا رئيس الكهنة الذى تسمع صوتى ، انى أعلن لكم ما قال الله على لسان نبيه أشعياء : ربيت عبيدا ، ورفعت شأنهم . أما هم فامتهنونى .

ان الملك لهو الهنا ، الذى وجد اسرائيل فى هذا العالم مفعما شقاء ، فأعطاه لعبيده يوسف وموسى وهرون ، الذين اعتنوا به ، وأحبه الهنا حبا شديدا ، حتى أنه لأجل شعب اسرائيل ، ضرب مصر ، وأغرق فرعون ، وهزم مئة وعشرين ملكا من الكنعانيين والمدينيين ، وأعطاه شرائعه جاعلا اياه وارثا لكل تلك البلاد التى يقيم فيها شعبنا .

ولكن كيف تصرف اسرائيل ؟ كم قتل من الأنبياء ؟ كم نجس نبوة ؟ كيف عصى شريعة الله ؟ كم وكم تحول أناس عن الله لذلك السبب ، وذهبوا ليعبدوا الأوثان بذنبكم أيها الكهنة ؟ فلكم تمتهنون الله بسلوككم ، والآن تسألوننى : ماذا يعطينا الله فى الجنة ؟ فكان يجب عليكم أن تسألونى : أى قصاص يعطيكم الله اياه فى الجحيم ؟ وماذا يجب عليكم فعله ، لأجل التوبة الصادقة ، ليرحمكم الله ؟ فهذا ما أقوله لكم ، ولهذه الغاية أرسلت اليكم » (برنابا ٦٨ : ٧ — ٢٧)

الشرح والبيان

هذا المثل يبين به المسيح أن علماء بنى اسرائيل قد أساءوا الى الأمم بتخليهم عن دعوتهم ، والتخلى عن دعوة الأمم هو جحود لنعمة الله عليهم .

وكلام المسيح فى بدء دعوته كما جاء فى الاناجيل المقدسة كان لعلماء بنى اسرائيل بالتوبة ، لأنهم مصرون على الخطايا التى ورثوها عن آبائهم ، ومنها أنهم يعتبرون الأمم كالكلاب النجسة لا تجوز مخالطتهم ، ولا تجوز دعوتهم الى شريعة الله . ولو ظهر ملكوت السموات وهم على هذا الحال ، فانهم لن يدخلوا فيه . لأن الملكوت سيكون فى بنى اسماعيل . وبنو اسماعيل فى نظر اليهود من الأمم . وفى هذا المثل يقول المسيح : انه مرسل الى اليهود لأجل التوبة الصادقة . لأنه قد اقترب ملكوت السموات (متى ٤ : ١٧) . واذا لم يدخلوا فيه مع الداخلين ، فلن يكون لهم نصيب من رحمة الله ، لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

٣٢ ـ مثل : صاحب البيت وخدمه

تمهيـــــد :

بعدما شرح عيسى عليه السلام لتلاميذه كيفية مجىء ابن الانســـان فى ملكوته ، الذى هو نبى الاسلام ﷺ ومعه اتباعه الأطهار الشبيهيين بالملائكة ، ووصف الحروب والأوبئة التى ستكون قبل مجيئه مباشرة ، وضح لهم ان يوم مجيئه لا يعلمه أحد ، ولا الملائكة الذين فى الســماء ، ولا النبى نفسه ، وانما يعلمه الله وحده . ثم قال لتلاميذه : « انظروا . اسهروا وصلوا . لأنكم لا تعلمون متى يكون الوقت ؟ » ثم ضرب لهم هذا المثل من أجل الاستعداد .

نص المثل : « كأنما انسان مسافر ترك بيته ، وأعطى عبيده السلطان ، ولكل واحد عمله ، وأوصى البواب أن يســهر . أسهروا اذا لأنكم لا تعلمون متى يأتى رب البيت ؟ امساء أو نصف الليل ؟ أم صياح الديك أم صباحا ؟ لئلا يأتى بغتة فيجدكم نياما . وما أقول لكم ، أقوله للجميع . اسهروا » (مرقس ١٣ : ٣٤ ـــ ٣٧) . وفى رواية لوقا : « لتكن أحقاؤكم ممنطقة ، وسرجكم موقدة . وأنتم مثل اناس ينتظرون سيدهم متى يرجع من العرس . حتى اذا جاء وقرع ، يفتحون له للوقت . طوبى لأولئك العبيد الذين اذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين . الحق أقول لكم : انه يتمنطق ويتكئهم ويتقدم ويخدمهم ، وان أتى فى الهزيع الثانى ، أو أتى فى الهزيع الثالث ووجدهم هكذا ، فطوبى لأولئك العبيد . وانما اعلموا هذا : أنه لو عرف رب البيت فى أية ساعة يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب ، فكونوا أنتم اذا مستعدين لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الانسان » (لو ١٢ : ٣٥ ـــ ٤٠)

الشرح والبيان

مغزى المثل والغرض منه : هو الاستعداد لمجىء ملكوت السموات ، ووجهة نظر النصارى فى هذا المثل وردت فى تفسير متى هنرى هكذا : « ١ ـــ المسيح هو سيدنا ، ونحن عبيده . لسنا فقط عبيدا يشتغلون ،

بل عبيدا لنكون منتظرين أيامه لخدمته ٢ - ومع أن المسيح سيدنا قد ذهب عنا الآن . الا أنه سوف يرجع »

الرد عليهم : بينا من قبل : أن النصارى مختلفون فى المجيء الثانى للمسيح ، وأغلب الآراء على أنه مجيء روحى غير منظور ، وهذا المثل يبين ان الملكوت الآتى ملكوت أرضى منظور . وصاحبه سيضرب بيد من حديد على أيدى الكافرين والمنافقين . يضاف الى ذلك : ان هذا المثل ليس مضروبا للمجيء الثانى ، بل هو مضروب للملكوت القريب الذى عبر عنه عيسى باقترب . والذى حدد زمانه دانيال بزوال دولة الروم .

٣٢ - مثل : الوكيل الأمين الحكيم

بعدما ذكر لوقا مثل : صاحب البيت وخدمه ، ذكر محاورة بطرس لعيسى عليه السلام فى شأن هذا المثل . فقال :

« قال له بطرس : يارب النا تقول هذا المثل ؟ أم للجميع أيضا ؟ فقال الرب : فمن هو الوكيل الأمين الحكيم الذى يقيمه سيده على خدمه ليعطيهم العلوفة فى حينها ؟ طوبى لذلك العبد الذى اذا جاء سيده يجده يفعل هكذا . بالحق أقول لكم : انه يقيمه على جميع أمواله ، ولكن ان قال ذلك العبد فى قلبه : سيدى يبطىء قدومه . فيبتدىء يضرب الغلمان والجوارى ويأكل ويسكر ، يأتى سيد ذلك العبد في يوم لا ينتظره ، وفى ساعة لا يعرفها ، فيقطعه ويجعل نصيبه مع الخائنين . وأما ذلك العبد الذى يعلم ارادة سيده ولا يستعد ولا يفعل بحسب ارادته ، فيضرب كثيرا . ولكن الذى لا يعلم ويفعل ما يستحق : ضربات يضرب قليلا . فكل من أعطى كثيرا يطلب منه كثيرا ، ومن يودعونه كثيرا يطالبونه بأكثر » (لوقا ١٢ : ٤١ - ٤٨)

وذكر متى هذا المثل هكذا : « اسهروا اذا . لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم ؟ واعلموا هذا : أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب . لذلك كونوا انتم أيضا مستعدين ، لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الانسان ، فمن هو العبد الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام فى حينه . طوبى لذلك العبد الذى

اذا جاء سيده يجده يفعل هكذا . الحق أقول لكم : انه يقيمه على جميع أمواله . ولكن ان قال ذلك العبد الردىء فى قلبه : سيدى يبطىء قدومه فيبتدىء يضرب العبيد رفقاءه ، ويأكل ويشرب مع السكارى ، يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفها ، فيقطعه ويجعل نصيبه مع المرائين . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (متى ٢٤ : ٤٢ — ٥١)

الشرح والبيان

هذا المثل مضروب للاستعداد لملكوت السموات ، ويبين أن صاحب الملكوت سيكون محاربا عظيما ، لاحقاق الحق وازهاق الباطل . وينصح عيسى تلاميذه بالاستعداد والترقب لمجيئه ، قائلا ما معناه : متى جاء تظهرون نصوص التوراة والانجيل التى تدل عليه وتنضوون تحت لوائه ، لئلا تهلكوا . وعبر عيسى عن نبى الاسلام صاحب الملكوت بالسيد . وهذا يدل على أن نبى الاسلام يجب أن يخضع له النصارى ويدينون له بالولاء . وهذا المثل ذكر بعده لوقا : توبيخا من عيسى لليهود على انهم لم يفهموا الزمن الذى سيأتى فيه نبى الاسلام ، بالرغم من توضيح التوراة لهذا الزمن ونص التوبيخ هو : « وقال أيضا للجموع : اذا رأيتم سحابة تطلع من المغارب ، قلتم للوقت : ان المطر يأتى ، فيكون كذلك . واذا هبت من الجنوب : قلتم : سيكون حر ، فيكون . يامراؤون تعرفون أن تميزوا وجه الأرض والسماء ، فكيف لا تميزون هذا الزمان ؟ ولماذا لا تحكمون بالعدل من تلقاء أنفسكم ؟ » (لوقا ١٢ : ٥٧)

ويقول متى هنرى فى مغزى هذا المثل : « ان تطلعنا الى مجىء المسيح الثانى كأمر بعيد ، هو سبب كل هذا الاختلال ، الذى يجعل التفكير فيه مرعبا لنا . انه « يقول فى قلبه سيدى يبطىء قدومه » كثيرا ما أسىء فهم صبر المسيح ، واعتبر بأنه ابطاء » (٣٦) ويقول فى معنى كلمات التوبيخ : « يا مراؤون : يا من تدعون الحكمة . لكنكم فى الواقع لستم حكماء ، يا من

---

(٣٦) ص ١٨٨ جـ ٢ تفسير لوقا .

تدعون أنكم تنتظرون المسيا وملكوته ، لأنه هكذا كانت أغلبية اليهود تنتظر ، ومع ذلك فانكم لا تظهرون أقل ميل أو استعداد لانتظاره . تعرفون أن تميزوا وجه الأرض والسماء ، وأما هذا الزمان فكيف لا تميزونه . لا تدركون بأن هذا هو الزمان الذى حددته نبوءات العهد القديم لظهور المسيا ، لماذا لاتميزون بأن لديكم الآن فرصة سوف لا تطول وقد لا تعود ، فيها تنالون نصيبا فى ملكوت الله ، وتتمتعون بامتيازات ذلك الملكوت ؟ (٣٧) »

والرد عليهم : ان الملكوت ليس لمجىء المسيح الثانى آخر الزمان . بل لمجىء الملكوت القريب وهو ملكوت نبى الاسلام ﷺ ، وقد أحال عيسى أتباعه على التوراة ليعرفوا منها زمن مجىء المسيا ، الذى هو صاحب الملكوت الأرضى . وذلك واضح جليا من سفر دانيال . فقد وضح أن مجيئه سيكون فى أعقاب الدولة الرومانية ، المعبر عنها بالمملكة الرابعة .

والعجب من النصارى : أنهم لا يجعلون أمثلة ملكوت السموات أو ملكوت الله تدل على عصر واحد ، بل يجزأونها لتدل على عصور مختلفة ، مع أن الأمثلة كلها تهدف الى توضيح حقائق عصر واحد معين . هـو عصر مجىء المسيا صاحب الملكوت (*)

٣٤ — التينة المورقـة

لما تحدث عيسى عليه السلام عن رجسة خراب دانيال ، والتى ذكرها دانيال فى الأصحاح التاسع من سفره وفى حدوثها يظهر ابن الانسان صاحب الملكوت وهو محمد ﷺ ضرب مثلا .

هذا نصـه :

« فمن شجرة التين تعلموا المثل ، متى صار غصنها رخصا ، وأخرجت أوراقها تعلمون ان الصيف قريب . هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذا كله ، فاعلموا أنه قريب على الأبواب » (متى ٢٤ : ٣٢ — ٣٣)

ويقول لوقـا : « وقال لهم مثلا : انظروا الى شجرة التين وكل

(٣٧) ص ١٩٦ — ١٩٧ المرجع السابق .

الأشجار ، متى أفرخت تنظرون وتعلمون من أنفسكم : أن الصيف قد قريب . هكذا أنتم أيضا متى رأيتم هذه الأشياء صائرة ، فاعلموا أن ملكوت الله قريب » (لوقا ٢١ : ٢٩ — ٣١)

الشرح والبيان

مغزى المثل : الاستعداد

وقد اختلف النصارى في هذا المثل على رأيين :

الأول : يحكيه متى هنرى هكذا :

« لم يقل هنا ما هو القريب . ولكنه هو الذي كانت قلوب تلاميذه محصورة فيه ، وما كانوا يتوقون الى معرفته بشغف عظيم . قال عنه لوقا : « فاعلموا أن ملكوت الله قريب » ، اذا بدأت أشجار البر والقداسة أن تزدهر . اذا بدأت ثمارا النعمة أن تظهر في شعب الله . كان هذا . بشيرا بالأوقات السعيدة » يعني اذا انتشرت النصرانية في العالم ، وكان الخير أكثر من الشر . فانه يأتي الملكوت .

والثاني : يحكيه الأنبا اثناسيوس هكذا :

« أن يتيقظوا لعلامة خراب أورشليم ، لأنه وشيك الحدوث . فمثلما يأتي الصيف عقب اخضرار شجرة التين ، سيأتي الخراب عقب العلامة التي أعطاهم . ويكون ذلك في جيلهم »

ونرد عليهم : أما عن الرأى الأول فهو يشير الى الملكوت الروحى . وقد بينا ضعف هذا الرأى . بقولنا : أن أوصاف الملكوت أوصاف ظاهرة ، لشيء يكون ظاهرا . وأما عن الرأى الثانى : فهو ضعيف أيضا . لأن أورشليم قد خربت في سنة ٧٠م . ولم يتأسس ملكوت النصارى من قبل ولا من بعد ، وما كانت الأوصاف التى ذكرها عيسى قبل ظهور الملكوت . وهى حروب الأمم ، واضطهاد التلاميذ ، ووقوفهم أمام الملوك والولاة ، والمجاعات والأوبئة ورجسة خراب دانيال . لم يكن من هذه الأوصاف شيء قد حدث .

٣٥ — مثل وكيل الظلم

النص :

يقول لوقا : « وقال أيضا لتلاميذه : كان انسان غنى له وكيل ، فوشى به اليه بأنه يبذر أمواله . فدعاه . وقال له : ما هذا الذى أسمع عنك ؟ أعط حساب وكالتك . لأنك لا تقدر أن تكون وكيلا بعد . فقال الوكيل فى نفسه : ماذا أفعل . لأن سيدي يأخذ منى الوكالة . لست أستطيع أن أنقب واستحى أن استعطى . قد علمت ماذا أفعل حتى اذا عزلت عن الوكالة يقبلونى فى بيوتهم . فدعا كل واحد من مديونى سيده . وقال للاول : كم عليك لسيدى ؟ ٦ — فقال : مئة بث زيت . فقال له : خذ صكك واجلس عاجلا واكتب خمسين ٧ — ثم قال لآخر : وأنت كم عليك ؟ فقال : مئة كر قمح . فقال له : خذ صكك واكتب ثمانين ٨ — فمدح السيد وكيل الظلم اذ بحكمة فعل . لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور فى جيلهم (٩ — وأنا أقول لكم : اصنعوا لكم أصدقاء بمال الظلم ، حتى اذا فنيتم يقبلونكم فى المظال الأبدية ١٠ — الامين فى القليل أمين أيضا فى الكثير ، والظالم فى القليل ، ظالم فى الكثير ١١ — فان لم تكونوا أمناء فى مال الظلم ، فمن يأتمنكم على الحق ؟ ١٢ — وان لم تكونوا أمناء فى ما هو للغير ، فمن يعطيكم ما هو لكم ؟ ١٣ — لايقدر خادم أن يخدم سيدين . لأنه اما أن يبغض الواحد ، ويحب الآخر أو يلازم الواحد ، ويحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال (٣٨) »)

١٤ — وكان الفريسيون أيضا يسمعون هذا كله ، وهم محبون للمال ، فاستهزأوا به ١٥ — فقال لهم : أنتم الذين تبررون أنفسكم قدام الناس ، ولكن الله يعرف قلوبكم : ان المستعلى عند الناس ، هو رجس قدام الله .

١٦ — كان الناموس والأنبياء الى يوحنا . ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله ، وكل واحد يغتصب نفسه اليه . ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس » (لوقا ١٦ : ١ — ١٧)

---

(٣٨) ما بين القوسين هو الغرض من المثل . من الآية التاسعة الى الثالثة عشر .

الشرح والبيان

الغرض من هذا المثل : وضحه عيسى نفسه فى الآيات من ٩ — ١٣ بمعنى أن اليهود الذين يحملون شريعة الله ، يجب عليهم أن يدعو الأمم الى معرفة الله ، ومعرفة صاحب الملكوت ، بدلا من قصر الدعوة على جنسهم واهمال الأمم ليكون لهم فضل لدى الأمم اذا ظهر ملكوت السموات . « قال الربى كمشى : هذا العالم بيت ، والسماء سقفه والنجوم أنواره ، والأرض بثمارها مائدة مبسوطة ، ورب البيت هو الله القدوس المبارك ، والانسان هو الوكيل الذى سلم اليه كل ما فى هذا البيت . فان تصرف حسنا وجد نعمة فى عينى ربه ، والا عزل عن وكالته (٣٩) »

وتفسير المثل : السيد : رمز لله عز وجل ، والوكيل رمز لعلماء اليهود . لقد أعطاهم الله النبوة والكتاب ، فأسرفوا على أنفسهم فى المعاصى، ولم يعلموا الأمم ، ولما علم الوكيل . بأخذ الوكالة منه ، أراد أن يحتاط لنفسه باتخاذ أصدقاء ، كانوا يتعاملون مع سيده ، فترك لهم بعض أموالهم ، حتى اذا عزل عن وكالته ، استطاع أن يلجأ اليهم ، لما سبق لهم من معروفه وفضله . وهنا يشير عيسى عليه السلام لعلماء بنى اسرائيل : الى أنه من الحكمة : أن تنطلقوا بالدعوة الى الأمم ، حتى اذا جاء نبى الاسلام وأخذ النبوة والكتاب منكم ، ولم يعد لكم نفوذ وسلطان فى الأرض ، تكونون مشكورين من الأمم . لانكم ساعدتموهم على قبول الايمان .

وعبر عن عالم بنى اسرائيل بوكيل الظلم ، لأنه وكيل فى زمانه بتوراة محرفة .

يقول متى هنرى فى تفسير آية : « فمدح السيد وكيل الظلم ، اذ بحكمة فعل » : قد تعنى سيده ، أى سيد ذلك الوكيل ، الذى وان كان قد تضايق جدا من خبثه ومكره ، الا أنه سر بذكائه وتدبيره لشئون نفسه . لكن اذا فسرناها على هذا الوجه ، فان الجزء الأخير من الآية لابد أن يكون من أقوال الرب يسوع المسيح . ولذلك فانى اعتقد أن الآية كلها تعنيه هو ،

---

(٣٩) نقلا عن ص ٣١٩ « تفسير لوقا لمتى هنرى جـ ٢ »

كأن المسيح قد قال : انني امتدح رجلا كهذا ، عرف أن يصنع خيرا لنفسه ، ويحسن استخدام الفرص الراهنة الآن ، ويحتاط لضيقاته ، فى المستقبل ، انه لم يمتدحه لأنه تصرف بغدر مع سيده ، بل لأنه تصرف بحكمة مع نفسه (٤٠) »

وعبارة : « لأن أبناء هذا الدهر أحكم من أبناء النور فى جيلهم » هذه العبارة يقول النصارى فى تفسيرها : « كل أبناء هذا العالم يتصرفون بحكمة وتعقل ، ويراعون مصالحهم الدنيوية ، أفضل من أبناء النور الذين يتمتعون بالانجيل ولا ينظرون الى شهوات الدنيا ، بل ينظرون الى الآخرة (٤١) » وهذا خطأ لأن المقابلة ليست بين اليهود والنصارى ، وانما المقابلة بين اليهود أصحاب الملكوت القديم وبين المسلمين أصحاب الملكوت الآتى . لأن النصارى هم من اليهود ، والملكوت سينزع من اليهود ، ويعطى لغيرهم . وعبر بأحكم فى جانب اليهود ، اشارة الى خبثهم ، وأنهم يتصرفون كالحيات والأفاعى . وأما أبناء النور فانهم أهل الله ولا يفكرون بمكر .

وعبارة : « اصنعوا أصدقاء بمال الظلم حتى اذا فنيتم يقبلونكم فى المظال الأبدية » وفى ترجمة الآباء اليسوعيين : **«حتى اذا حل بكم الاضمحلال»** معناها : أن التوراة وان كانت محرفة ومبدلة . الا أن فيها نور يضيىء للناس الطريق حتى يأتى النور الكامل . فعلموا بما فيها حتى اذا أوشك ملككم على الزوال ، يقبلكم القوم الآتين فى ملكهم الدائم الى الأبد .

وعبر عن التوراة بمال الظلم ، لأن علماء بنى اسرائيل خانوا الله فى بابل ، وجرأوا على تحريفها .

ونلاحظ فى نهاية المثل : استهزاء الفريسيين بكلام عيسى عليه السلام ، ورده على استهزائهم ، ببيان أن الملكوت صائر الى أهله لا محالة فى قوله عليه السلام : « كان الناموس والأنبياء الى يوحنا . ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله ، وكل واحد يغتصب نفسه اليه ، ولكن زوال السماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس »

---

(٤٠) ص ٣٢٣ ج ٢ المرجع السابق

(٤١) ص ٣٢٤ ج ٢ المرجع السابق

٣٦ ــ مثل القاضى والأرملة

تمهيـــــد :

بعد أن تحدث عيسى عليه السلام طويلا عن ملكوت السموات « **سأله الفريسيون : متى يأتى ملكوت الله ؟ أجابهم وقال : لا يأتى بمراقبة** » ثم بين لهم السبب فى مجيئه ، وكيف يستعدون له ؟ ويبين أن السبب فى مجىء الملكوت هو : كثرة الظلم وصراخ المظلومين ، وكيفية الاستعداد تكون بالصلاة كل حين ، وبدون ملل .

النص : يقول لوقا : « وقال لهم أيضا مثلا ، فى أنه ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل . قائلا : كان فى مدينة قاض لا يخاف الله ولا يهاب انسانا ، وكان فى تلك المدينة أرملة . وكانت تأتى اليه قائلة أنصفنى من خصمى ، وكان لا يشاء الى زمان . ولكن بعد ذلك قال فى نفسه : وان كنت لا أخافه الله ولا أهاب انسانا ، فانى لأجل أن هذه الأرملة تزعجنى ، أنصــفها . لئلا تأتى دائما فتقمعنى . وقال الرب : اسمعوا ما يقول قاضى الظلم . أفلا ينصف الله مختاريه الصارخين اليه نهارا وليلا وهو متمهل عليهم ؟ أقول لكم : انه ينصفهم سريعا . ولكن متى جاء ابن الانسان . ألعله يجد الايمان على الأرض ؟ » (لوقا ١٨ : ١ ــ ٨)

الشرح والبيان

الغرض من هذا المثل : مثل الغرض من مثل صديق نصف الليل ، وهو الدعاء الى الله بلجاجة ليأتى الملكوت وهم له مستعدون .

وقول عيسى عليه السلام : « متى جاء ابن الانسان . ألعله يجــد الايمان على الأرض ؟ » من هو ابن الانسان هذا ، الذى اذا جاء لعله يجد الايمان على الأرض ؟ يقول النصارى : انه عيسى عليه السلام ، ونقــول نحن المسلمين : انه نبى الاسلام ﷺ . يقول متى هنرى : « سوف يأتى ابن الانسان لينصف مختاريه ، ليدافع عن قضية المسيحيين المضطهدين ، ازاء

اليهود مضطهديهم ، وعندما يجيء (ألعله يجد الايمان على الأرض) ان السؤال استنكارى ، ويشير ضمنا الى انه لا يجد . وهو نفسه يرى هذا تقدما (٤٢) »

ونقول : ان المقصود بابن الانسان هو نبى الاسلام صاحب الملكوت الذى تحدث عنه دانيال بعد زوال المملكة الرابعة ، وهى دولة الروم . وهو لما جاء أنصف المظلومين . أما عيسى ففى حياته لم ينصف المظلومين ، بل ظلم هو . لقد اقتبس النصارى عنه قول اشعيا : « ظلم أما هو فتذلل ولم يفتح فاه ، كشاة تساق الى الذبح ، وكنعجة صامتة أمام جازيها ، فلم يفتح فاه » (٥٣ : ٧) ولو كان مراد عيسى أنه هو ابن الانسان لقال : (ولكن متى جئت لعلى أجد الايمان على الأرض) فدل أسلوب الكلام على مجيء غيره والتعبير بقوله : ألعله يجد الايمان على الأرض ، يدل على أن الملكوت أرضى لا روحى ، كما يزعم النصارى . ثم ان النصارى مجمعون على أن عيسى قتل وصلب من أجل فداء البشر من خطية آدم ، فعلى أى أساس ، سيعاقب الظالمين على اثمهم ؟

٣٧ – مثل صديق نصف الليل

النص :

يقول لوقا : « ثم قال لهم : من منكم يكون له صديق ويمضى اليه نصف الليل ، ويقول له : يا صديق اقرضنى ثلاثة أرغفة ، لأن صديقا لى جاءنى من سفر ، وليس لى ما أقدمه له . فيجيب ذلك من داخل ، ويقول : لا تزعجنى . الباب مغلق الآن ، وأولادى معى فى الفراش . لا أقدر أن أقوم وأعطيك ؟ أقول لكم : وان كان لا يقوم ويعطيه لكونه صديقه ، فانه من أجل لجاجته يقوم ويعطيه قدر ما يحتاجه . وأنا أقول لكم : اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يفتح لكم . لأن كل من يسأل يأخذ ، ومن يطلب يجد ، ومن يقرع يفتح له » (لوقا ١١ : ٥ – ٩)

(٤٢) ص ٣٩ جـ ٣ تفسير لوقا .

الشرح والبيان

ذكر لوقا هذا المثل عقب قوله : « فقال لهم : متى صليتم . فقولوا : أبانا الذى فى السموات ، ليتقدس اسمك ، ليأت ملكوتك » وهذا يدل أن هذا المثل مضروب لمجيىء ملكوت السموات ، والغرض منه مثل الغرض من مثل القاضى والأرملة الذى يقول فيه : « ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل » (لوقا ١٨ : ١) حتى يأتى ملكوت السموات . وهم مستعدون للدخول فيه (٤٣)

٣٨ — مثل الفريسى والعشار

يقول لوقا : « وقال لقوم واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ، ويحتقرون الآخرين : هذا المثل » :

النص : انسانان صعدا الى الهيكل ليصليا . واحد فريسى ، والآخر عشار . أما الفريسى فوقف يصلى فى نفسه هكذا : اللهم أنا أشكرك انى لست مثل باقى الناس الخاطفين الظالمين الزناة . ولا مثل هذا العشار أصوم مرتين فى الأسبوع ، وأعشر كل ما أقتنيه . وأما العشار فوقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء ، بل قرع على صدره قائلا : اللهم ارحمنى أنا الخاطىء . أقول لكم : ان هذا نزل الى بيته مبررا دون ذاك . لأن كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع . فقدموا اليه الأطفال أيضا ليلمسهم . فلما رآهم التلاميذ انتهروهم . أما يسوع فدعاهم وقال : دعوا الأولاد يأتون الى ، ولا تمنعوهم ، لأن لمثل هؤلاء ملكوت الله . الحق أقول لكم : من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله » (لوقا ١٨ : ٩ — ١٧ ، برنابا ١٢٨ : ١١ — ١٨)

---

(٤٣) ليس المراد استعداد المعاصرين للمسيح ، بل المراد استعداد المعاصرين لنبى الاسلام ﷺ . لأن المسيح يخاطب كل اتباعه فى كل زمان ومكان بما تركه من النصائح التى دونت فى زمانه ومن بعد زمانه ، والتى يتناقلها الناس فيما بينهم خلفا عن سلف .

مغزى المثل : ألا يتكبر اليهود عن الدخول فى ملكوت السموات ، اذا رأوا الأمم يدخلون فيه . يقول متى هنرى : « ان مـدى هذا المثل مبين فى مقدمته وهى تخبرنا عمن وجه اليهم . لقد قصد به أن يدين قوما واثقين بأنفسهم أنهم أبرار ، ويحتقرون الآخرين »

ونقول كما قال : انه أراد أن يوبخ علماء اليهود ، ويبين أن عبادتهم غير مقبولة ، لأنهم ظنوا ببرهم المصطنع ، أنهم جعلوا الله مدينا لهم ، ويمكنهم أن يطالبوه بأى شىء . وكانوا يحتقرون الخطاة ويعتبرونهم من الأمم ، فى حين أن الخطأة والأمم عندهم استعداد فطرى للايمان والعمل الصالح ولا ينقصهم الا تذكير وتنبيه . وفى هذا اشـــارة الى أن الملكوت الآتى سيدخل فيه الأمم . وقوله بعد : « كل من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » وقوله : « من لا يقبل ملكوت الله مثل ولد فلن يدخله » يريد بهما ألا يتكبر اليهود عن الدخول فى الملكوت ، اذا ما رأوا الأمم يدخلون فيه .

٣٩ — مثل العشرة أمنـــاء

يقول لوقا : « قال مثلا ، لأنه كان قريبا من أورشليم ، وكانوا يظنون ان ملكوت الله عتيد أن يظهر فى الحال . فقال » :

النص : « انســـــان شـــــريف الجنس ذهب الى كـــــورة بعيدة ليأخـــــذ لنفســـــه ملكـــا ويرجـــع ، فدعـــــا عشرة عبيـــد لـــه ، وأعطاهم عشرة أمناء . وقـــال لهم : تاجروا حتى آتى . واما أهل مدينته فكانوا يبغضـــونه فارســـلوا وراءه سفارة قائلين : لا نريد أن هذا يملك علينا ، ولما رجع بعد ما أخذ الملك ، أمر أن يدعى اليه أولئك العبيد ، الذين أعطاهم الفضة ، ليعرف بم تاجر كل واحد ؟ فجاء الأول قائلا : يا ســيد مناك ربح عشرة أمناء . فقال له : نعما أيها العبد الصالح . لأنك كنت أمينا فى القليل ، فليكن لك سلطان على عشر مدن ، ثم جاء الثانى قائلا : يا سيد مناك عمل خمسة أمناء . فقال لهذا أيضا : وكن انت على خمس مدن ،

ثم جاء آخر قائلا : يا سيد هو ذا مناك الذى كان عندى موضوعا فى منديل ، لأنى كنت أخاف منك ، اذ أنت انسان صارم ، تأخذ ما لم تضع ، وتحصد ما لم تزرع . فقال له : من فمك أدينك أيها العبد الشرير . عرفت أنى انسان صارم آخذ ما لم أضع ، وأحصد ما لم أزرع . فلماذا لم تضع فضتى على مائدة الصيارفة فكنت متى جئت أستوفيها مع ربا ؟ ثم قال للحاضرين : خذوا منه المنا ، وأعطوه للذى عنده العشرة الأمناء ، فقالوا له : يا سيد عنده عشرة أمناء . لأنى أقول لكم : ان كل من له يعطى ، ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه ، أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم ، فأتوا بهم الى هنا ، واذبحوهم قدامى » (لوقا ١٩ : ١١ ــ ٢٧)

الشرح والبيان

هذا المثل ذكره لوقا وحده ، ولم يذكره الثلاثة الآخرون . وهو يشبه مثل الوزنات العشر ، الذى ذكره متى . **ويهدف الى** : أن اليهود امتنعوا عن دعوة الأمم ، واستكبروا عن مخالطتهم وهدايتهم .

٤٠ ــ مثل الكروم الثلاث

النص :

« انى أضرب لكم مثلا : كان لرجل ثلاث كروم ، آجرها لثلاثة كرامين . ولما لم يعرف الأول كيف يحرث الكرم ، لم يخرج الكرم سوى أوراق . أما الثانى فعلم الثالث كيف يجب أن تحرث الكروم . فأصغى لكلماته ، وحرث كرمه كما أرشده . فأتى كرم الثالث بثمر كثير . ولكن الثانى أهمل حراثة كرمه ، صارفا وقته فى التكلم فقط . فلما حان الوقت لدفع الأجرة ، لصاحب الكرم . قال الأول : يا سيد انى لا أعرف كيف يحرث كرمك . لذلك لم يكن لى ثمر هذه السنة . فأجاب السيد : يا غبى . هل تسكن العالم وحدك ، حتى أنك لم تستشر كرامى الثانى ، الذى يعرف جيدا ، كيف تحرث الأرض ؟ فيتحتم عليك أداء حقى . ولما قال هذا حكم عليه بالاشتغال فى

السجن ، الى أن يدفع لسيده الذى رحم غرارته . فأطلقه قائلا : انصرف فانى لا أريد أن تشتغل بعد فى كرمى ، ويكفيك أنى أعطيك دينك .

وجاء الثانى . الذى قال له السيد : مرحبا بكرامى . أين الثمار التى أنت مديون لى بها ؟ ومن المؤكد أنك لما كنت تعلم جيدا كيف تهذب الكروم ، فلابد أن يكون الكرم الذى أجرتك اياه ، قد أتى بثمار كثيرة . فأجاب الثانى : يا سيد ان كرمك آخذ فى الانحطاط . لأنى لم أشذب الشجر ، ولا حرثت الأرض . والكرم لم يأت بثمر . فلذلك لا أقدر أن أدفع لك .

ثم دعا السيد الثالث . وقال له باندهال : لقد قلت لى : ان هذا الرجل الذى أجرته الكرم الثانى ، قد أتم تعليمك حراثة الكرم ، الذى أجرتك اياه . فكيف يمكن أن لا يأتى الكرم الذى أجرته اياه هو ، بثمر ، مع أن التربة واحدة ؟ أجاب الثالث : يا سيد ان الكرم لا يحرث بالكلام فقط ، بل على من يريد استئجاره أن ينضح منه كل يوم عرق قميص . وكيف يأتى أيها السيد كرم كرامك بثمر ، وهو لا يفعل سوى اضاعة الوقت بالكلام ؟ ولا ريب أيها السيد فى انه لو عمل بما قال لأعطاك أجرة الكرم لخمس سنين . لأنى أنا الذى لا أقدر على الكلام كثيرا ، أعطيتك أجرة سنتين .

فحنق السيد ، وقال للكرام بازدراء : اذن أنت قد عملت عملا عظيما بعدم زبر الأشجار وتمهيد الكرم . فلك اذن على جزاء عظيم . ثم دعا خدمه وأمر بضربه بدون رحمة ، ثم وضعه فى السجن تحت سيطرة خادم جاف ، كان يضربه كل يوم ، ولم يرد مطلقا أن يطلقه لأجل شفاعة أصدقائه » (برنابا ٧٦ : ١ — ٢١)

الشرح والبيان

ان هذا المثل شبيه بمثل العشرة الأمناء الذى ذكره لوقا وحده فى الاصحاح التاسع عشر من انجيله . وشبيه بمثل الوزنات العشرة الذى ذكره متى وحده فى الاصحاح الخامس والعشرين من انجيله . والغرض منه : أن يقول الانسان

ويفعل . لا أن يقول فقط كعلماء بنى إسرائيل الذين يتحدثون عن شريعة الله ، وليس عندهم أدنى استعداد للعمل بها . كما قال المسيح عليه السلام فى انجيل متى : « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون . فانهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها باصبعهم ، وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس » (متى ٢٣ : ٢ — ٥)

وفى هذا اشارة الى نزع الملكوت من اليهود الذين لا يعملون به الى أمة أخرى تعمل به . كما عبر المسيح فى مثل الكرامين الأردياء .

تمت أمثال ملكوت السموات

تعقيب :

لماذا أمر المسيح علماء بنى اسرائيل بالتوبة ؟ ولماذا حثهم على التواضع ؟ ولماذا وبخهم على الكبر ؟

لأن علماء بنى اسرائيل اعتقدوا أنهم أبناء الله وأحباؤه . وأن الله خصهم بشريعته ليكسبوا بها عزا وجاها بين بنى جنسهم . وخصهم بملكوت السموات الذى سيظهر فيهم بعد زمان . هذا هو اعتقادهم . ولهذا الاعتقاد نظروا الى بنى اسماعيل كما ينظرون الى سائر الأمم الذين يعتبرونهم كالكلاب النجسة ، وتكبروا عليهم وترفعوا عن مخالطتهم . ونصوص التوراة التى تدل على نبى سيظهر فى آل اسماعيل : حرفوها عن مواضعها لتشير الى هذا النبى بصعوبة . ولقد ظهر فيهم المسيح عيسى بن مريم وهم على هذا الحال . فحثهم على التوبة ، وعلى التواضع مع خلق الله ، وعرفهم بأنهم قد أخطأوا فى اعتقادهم أن الشريعة لهم من دون العالمين ، وقد أخطأوا أيضا فى اعتقادهم بأن الملكوت الآتى سيكون فيهم . وبين لهم أنهم سيحملون اثم الأمم التى ضلت بسبب تهاونهم فى الدعوة . وأنهم اذا لم يتركوا الكبر فلن يدخلوا فى الملكوت الآتى . لأن الملكوت الآتى سيكون فى الأمم ، الذين يأنفون من مخالطتهم . وقد بالغ المسيح فى حثهم على التواضع ، لدرجة أن قال لهم : « الحق أقول لكم : ان لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد ، فلن تدخلوا ملكوت السموات » (متى ١٨ : ٣) قال لهم أيضا : **« ان كان احد لا يولد من فوق ، لا يقدر أن يرى ملكوت الله »** (يوحنا ٣ : ٣) يريد ان يقول : من لا يكون قلبه فارغا من التعاليم الكاذبة ، فلن يفهم حقيقة الملكوت بسهولة ، ولن يدخل فيه بيسر .

***

ولقد جرت محاورة بين المسيح وبين « نيقوديموس » فى هذا الشأن . هذا نصها :

النص : « كان انسان من الفريسيين اسمه نيقود يموس رئيس لليهود. هذا جاء الى يسوع ليلا . وقال له يا معلم : نعلم أنك قد أتيت من الله معلما ، لأن ليس أحد يقدر أن يعمل هذه الآيات التى أنت تعمل ان لم يكن الله معه . اجاب يسوع : وقال له : الحق الحق أقول لك : ان كان أحد لا يولد من فوق ، لا يقدر أن يرى ملكوت الله . فقال له : نيقوديموس : كيف يمكن الانسان أن يولد وهو شيخ ؟ ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد ؟ أجاب يسوع : الحق الحق أقول لك : ان كان أحد لا يولد من الماء والروح ، لا يقدر أن يدخل ملكوت الله . المولود من الجسد : جسد هو . والمولود من الروح : هو روح . لا تتعجب أنى قلت لك : ينبغى أن تولدوا من فوق . الروح تهب حيث تشاء ، وتسمع صوتها . لكنك لا تعلم : من أين تأتى ؟ ولا الى أين تذهب ؟ هكذا كل من ولد من الروح . أجاب نيقوديموس . وقال له : كيف يمكن أن يكون هذا ؟ أجاب يسوع : وقال له : أنت معلم اسرائيل ولست تعلم هذا ؟ » (يوحنا ٣ : ١ — ١٠)

الشرح والبيان

نلاحظ هنا :

١ — أن نيقوديموس ، وكان رئيسا لليهود ، وكان من علمائهم . ينادى عيسى باللقب الذى يناديه به تلاميذه وهو « يا معلم » أو «أيها الربى» حسب الترجمة الانجليزية وقال له : « نعلم أنك أتيت من الله معلما » لم تتعلم من البشر ، ولم ترسل من البشر كالمعلمين الآخرين . ولم يقل له : نعلم أنك أتيت من الله الها ، أو نعلم أنك الله . فدل ذلك على أن عيسى كان فى نظر رؤساء اليهود كما كان فى نظر تلاميذه انسانا عاديا كسائر البشر ، الا أنه مكرم بالنبوة . وعيسى لم يقرر للناس غير نبوته وأنه يبشر برسول الله ﷺ وأنه مصدق للتوراة . والا كان يجادل نيقوديموس لما ناداه « يا معلم » وكان يراجعه . كما جادله وراجعه بل ووبخه فى بقية الحوار المذكور فى النص .

٢ — المعجزات التى أظهرها عيسى ، اعترف نيقوديموس أنه يعملها بتأييد الله وعونه ، ولم ينكر عيسى عليه ذلك .

٣ — قول عيسى : « ان كان أحد لا يولد من فوق ، لا يقدر أن يرى ملكوت الله » وفى ترجمة الكاثوليك « ان لم يولد أحـد ثانية ، فلا يقـدر أن يعاين ملكوت الله » والولادة من فوق أو الولادة الثانية تعنى : التوبـة وقطع كل صلة بالماضى الأثيم ، والتهيؤ النفسى لاستقبال الوضـع الجديد للدخول فى شريعة النبى الآتى ، وترك التعصب للشريعة القديمة . وعبر بالولادة لأن الولادة سبب الحياة وبدايتها . وهنا يعترض نيقوديموس على كلمة الولادة ، اما لأنه فهم المعنى الحرفى وهو الولادة الطبيعية ، واما لأنه استبعد تقبل اليهود للدخول فى ملك بنى اسماعيل عليه السـلام -- وهو الصحيح — وعبر عن فهمه الحرفى أو استبعاده بقوله : « كيف يمكن الانسان أن يولد وهو شيخ ؟ ألعله يقدر أن يدخل بطن أمه ثانية ويولد»؟ لقد دار فى خلده كما يقول متى هنرى : « أيمكن أن يولد ويتربى ولادة أفضل وتربية أفضل من ولادته وتربيته كاسرائيلى ؟ وهل يمكن أن ينال مكانا أفضل فى ملكوت المسيا بأية ولادة أخرى ؟ صحيح أنهم كانوا يعتبرون الدخيل من الوثنية كأنه ولد ثانية ، أو ولد من جديد ، لكنه لم يستطع أن يدرك كيف يمكن لليهودى الفريسى أن يحسـن نفسه بولادته أولا . ان الذين يفتخرون بولادتهم الأولى يعسر عليهم أن يولدوا ولادة جديدة » (٤٤) ويجيب عيسى على فهمه الحرفى للولادة أو استبعاده بقوله : « ان كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت الله » يعنى : الرجـوع الى أصل الانسان فانه فى الأصل مخلوق من الماء ، ونفخ الله فيه من روحه ولما انتصب آدم وقت أن صار نفسا حية كان خالى الذهن عن ضروريات الجسـد وشهوات النفس ، وكان فى وضع استعداد لتقبل ما يلقى عليه من معلومات لمواجهة الحياة على علاتها . وهنا يقول عيسى لنيقوديموس واليهود من ورائه : يجب أن ترجعوا كأصل الخلقة وتنسوا التعاليم الفاسدة التى زرعها العلماء فى قلوبكم ، وتنسوا التعصب لجدكم وشريعتكم ، حتى يسـهل عليكم تقبل الشريعة الجديدة والاندماج فى ملكوت السموات .

٤ — وفى النص توبيخ من عيسى — عليه السلام — لنيقوديموس على

---

(٤٤) تفسير انجيل يوحنا لمتى هنرى ص ١٥٩ جـ ١ .

غباوته وجهله فقد قال له : « أنت معلم اسرائيل ولست تعلم هذا ؟ »
وفى ترجمة الكاثوليك : « أتكون معلما فى اسرائيل ولا تعلم هذا ؟ »

وهـــذا التوبيخ لأنـــه يقيم فى أورشـــليم مقـــر الدراســـات الدينية ، ولأن الحياة الجديدة فى ملكوت المسيا تحدث عنها أنبياء العهـــد القديم لليهود . مثال ذلك ما جاء فى حزقيال : « اطرحوا عنكم كل معاصيكم التى عصيتم بها ، واعملوا لأنفسكم قلبا جديدا وروحا جديدا » (١٨ : ٣١) ومن كلام حزقيال لليهود على لسان الله عز وجل : « وأعطيكم قلبا جديدا ، واجعل روحا جديدا فى داخلكم ، وأنزع قلب الحجر من لحمكم (٤٥) وأعطيكم قلب لحم ، واجعل روحى فى داخلكم واجعلكم تسلكون فى فرائضى وتحفظون أحكامى وتعملون بها » (٣٦ : ٢٦ ــ ٢٧)

وأخيرا نسأل : ما هو السبب الذي جعل نيقوديموس يتودد الى عيسى ويذهب اليه ليلا خوفا من اليهود ؟ ويجيب على ذلك متى هنري المفسر بقوله : « واضح أنه كان ينتظر ملكوت السموات ، ملكوت المسيا الذى كان مزمعا أن يظهر قريبا . لقد أحس فى الوقت المناسب باشراق ذلك اليوم . ووفقا لفكرة اليهود العامة توقع أن يظهر الملكوت فى مجـــد خارجي وعظمة عالية ، لم يشك في أن يسوع هذا الذي يعمل هذه المعجزات اما أن يكون هو المسيا أو نبيه . لذلك تودد اليه وحياه . وبهذا كان يرجو أن يضمن لنفسه نصيبا في امتيازات وبركات ذلك الملكوت (٤٦) »

***

وذكر برنابا هذه المحـــاورة التى جرت بين عيسى ونيقوديموس من الفصل ١٨٠ الى ١٩٢ وفى نهايتها : سأل عيسى نيقوديموس : **« قل لى ايها الأخ وأنت الفقيه المتضلع من الشريعة : باى ضرب موعد مسيا لأبينا ابراهيم ؟ أبة اسحق أم باسماعيل ؟ أجاب الكاتب : يا معلم اخشى أن**

---

(٤٥) فى القرآن الكريم عن اليهود « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهى كالحجارة أو أشد قسوة »
(٤٦) ج ١ تفسير انجيل يوحنا لمتى هنرى ص ١٥٥

أخبرك عن هـذا بسبب عقاب الموت . حينئذ قال يسوع : انى آسف أيها الأخ انى اتيت لآكل خبزا فى بيتك . لأنك تحب هذه الحياة الحاضرة أكثر من الله خالقك . ولهذا السبب تخشى أن تخسر حياتك ، ولكن لا تخشى أن تخسر الايمان والحياة الأبدية التى تضيع متى تكلم اللسان عكس ما يعرف القلب من شريعة الله . حينئذ بكى الكاتب الصالح . وقال : يا معلم لو عرفت كيف أثمر ، لكنت قد بشرت مرارا كثيرة بما أعرضت عن ذكره لئلا يحصل شغب فى الشعب أجاب يسوع : يجب عليك أن لا تحترم الشعب ، ولا العالم كله ولا الأطهار كلهم ولا الملائكة كلهم ، اذا أغضبوا الله . فخير أن يهلك العالم كله من أن تغضب الله خالقك . ولا تحفظه فى الخطيئة ، لأن الخطيئة تهلك ولا تحفظ . أما الله فقدير على خلق عوالم عدد رمال البحر بل أكثر . حينئذ قال الكاتب : عفوا يا معلم لأنى قد أخطأت . قال يسوع : الله يغفر لك لأنك اليه قد أخطأت فقال من ثم الكاتب : لقد رأيت كتيبا قديما مكتوبا بيد موسى ويشوع (الذى أوقف الشمس كما قد فعلت) خادمى ونبيى الله ، وهو كتاب موسى الحقيقى . ففيه مكتوب : أن اسماعيل هو أب لمسيا ، واسحق أب لرسول مسيا ... فقال حينئذ يسوع : أنظر أن لا تعود أبدا فتحجز الحق ، لأنه بالايمان بمسيا سيعطى الله الخلاص للبشر ، ولن يخلص أحد بدونه . وأتم هنا يسوع حديثه ، وبينما كانوا على الطعام اذا بمريم التى بكت عند قدمى يسوع قد دخلت الى بيت نيقوديموس ، وهذا هو اسم الكاتب » (برنابا ١٩٠ — ١٩١ — ١٩٢) .

الفصل الثالث

في

ابن الانسان

تمهيد :

قال دانيال : « كنت أرى فى رؤى الليل واذا مع سحب السماء **مثل ابن انسان** أتى وجاء الى القديم الأيام فقربوه قدامه فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول وملكوته ما لا ينقرض » (دانيال ٧ : ١٣ — ١٤)

وقال المسيح لتلاميذه :

١ — « ومتى طردوكم فى هذه المدينة ، فاهربوا الى الأخرى . فانى الحق أقول لكم : **لا تكملون مدن اسرائيل ، حتى يأتى ابن الانسان »** (متى ١٠ : ٢٣)

٢ — « اعملوا لا للطعام البائد . بل للطعام الباقى . للحياة الأبدية **الذى يعطيكم ابن الانسان »** (يوحنا ٦ : ٢٧)

٣ — « كونوا أنتم أيضا مستعدين ، لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الانسان » (متى ٢٤ : ٤٤)

٤ — « **حينئذ يشبه ملكوت السموات** ، عشر عذارى ، أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس . وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات . أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ، ولم يأخذن معهن زيتا . وأما الحكيمات فأخذن زيتا فى آنيتهن مع مصابيحهن . وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن . ففى نصف الليل صار صراخ : هو ذا العريس مقبل ، فاخرجن للقائه .

فقامت جميع أولئك العذارى وأصلحن مصابيحهن . فقالت الجاهلات للحكيمات : اعطيننا من زيتكن فان مصابيحنا تنطفىء . فأجابت الحكيمات قائلات : لعله لا يكفى لنا . ولكن بل اذهبن الى الباعة وابتعن لكن . وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس ، والمستعدات دخلن معه الى العرس ، وأغلق الباب .

أخيرا . جاءت بقية العذارى أيضا قائلات : يا سيد . يا سيد افتح لنا . فأجاب وقال : الحق أقول لكم : انى ما أعرفكن .

فاسهروا اذن لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التى يأتى فيها ابن الانسان » (متى ٢٥ : ١ — ١٣)

٥ — وقال المسيح لعلماء بنى اسرائيل أثناء المحاكمة :

« من الآن تبصرون ابن الانسان ، جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء » (متى ٢٦ : ٦٤)

* * *

وقد بينا من قبل : أن ملكوت الله فى الأرض ، يعنى سيادة أمره على المؤمنين به . وأن الملكوت يطلق على عهدين . عهد بنى اسرائيل ، وعهد بنى اسماعيل . وأن النبى دانيال بين فى سفره أن ملكوت بنى اسماعيل سيظهر عقب مملكة الرومان . وفى ظهوره ينتهى الملكوت من بنى اسرائيل . وأن النبى دانيال لقب الآتى من بنى اسماعيل ليتيم الملكوت ، بلقب ابن الانسان . وان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام نادى فى بنى اسرائيل باقتراب ملكوت السموات ، الذى تحدث عنه دانيال ، وضرب الأمثال لمجيئه .

* * *

وهنا نبين أحاديث المسيح عيسى عليه السلام التى تحدث فيها عن ابن الانسان ، ونذكر وجهة نظر النصارى فيها ، مع الشرح والبيان .

الحديث الأول

حتى يأتى ابن الانسان

النص :

١ — يقول متى عن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام « ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر وأعطاهم سلطانا على أرواح نجسة حتى يخرجوها . ويشفوا كل مرض وكل ضعف . وأما أسماء الاثنى عشر رسولا فهى هذه . الأول سمعان الذى يقال له بطرس . واندراوس أخوه . يعقوب بن زبدى . ويوحنا أخوه . فيلبس . وبرثولماوس . توما . ومتى العشار . يعقوب ابن حلفى . ولباوس الملقب تداوس . سمعان القانوى . ويهوذا الأسخريوطى الذى أسلمه (١)

هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلا : الى طريق أمم (٢) لا تمضوا والى مدينة للسامريين (٣) لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل الضالة وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا (٤) قائلين : أنه قد اقترب ملكوت السموات .

اشفوا مرضى . طهروا برصا . اقيموا موتى . أخرجوا شياطين . مجانا أخذتم مجانا أعطوا ، لا تقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا فى مناطقكم . ولا مزودا للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا (٥) لأن الفاعل مستحق طعامه .

---

(١) هو الذى أسلمه الى الرومان ليقتلوه .
(٢) لا تجعلوا الدعوة عالمية الا بعد نشرها أولا بين اليهود .
(٣) اليهود السامريون .
(٤) بشروا الناس .
(٥) فى رواية مرقس أمرهم بأخذ العصا .

وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق . وأقيموا هناك حتى تخرجوا وحين تدخلون البيت سلموا عليه . فان كان البيت مستحقا فليأت سلامكم عليه . ولكن ان لم يكن مستحقا فليرجع سلامكم اليكم . ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجا من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم . الحق أقول لكم : ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالا مما لتلك المدينة .

ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب . فكونوا حكماء كالحيات . وبسطاء كالحمام . ولكن احذروا من الناس . لأنهم سيسلمونكم الى مجالس . وفى مجامعهم يجلدونكم . وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم وللأمم . فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون ؟ لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به . لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم . وسيسلم الأخ أخاه الى الموت والأب ولده . ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم . وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى . ولكن الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص . ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا الى الأخرى . فانى الحق أقول لكم : لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان .

ليس التلميذ أفضل من المعلم ولا العبد أفضل من سيده . يكفى التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده . ان كانوا قد لقبوا رب البيت بعلزبول (٦) فكم بالحرى أهل بيته . فلا تخافوهم لأن ليس مكتوم لن يستعلن ولا خفى لن يعرف . الذى أقوله لكم فى الظلمة قولوه فى النور . والذى تسمعونه فى الأذن نادوا به على السطوح . ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها . بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم .

---

(٦) رب البيت : يقصد الله تعالى صاحب هيكل سليمان فى نظرهم . وكان علماء اليهود يقولون للمسيح انك تخرج الشياطين بواسطة بعلزبول فى حين أنه كان يعرفهم أنه كان باذن الله . فلذلك فى رأيه قالوا عن الله : بعلزبول .

أليس عصفوران يباعان بفلس . وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم (٧) وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم جميعها محصاة . أنتم أفضل من عصافير كثيرة فكل من يعترف بى قدام الناس أعترف به أنا أيضا قدام أبى الذى فى السموات . ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبى الذى فى السموات .

لا تظنوا أنى جئت لألقى سلاما على الارض . ما جئت لألقى سلاما . بل سيفا . فانى جئت لأفرق الانسان ضد أبيه . والابنة ضد أمها . والكنة ضد حماتها . وأعداء الانسان أهل بيته . من أحب أبا أو أما أكثر منى . فلا يستحقنى ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى . ومن لا يأخذ صليبه (٨) ويتبعنى فلا يستحقنى . من وجد حياته يضيعها . ومن اضاع حياته من أجلى يجدها . من يقبلكم يقبلنى . ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى . من يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى يأخذ . ومن يقبل بارا باسم بار فأجر بار يأخذ ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم : انه لا يضيع أجره .

« ولما أكمل يسوع أمره لتلاميذه الاثنى عشر انصرف من هناك ليعلم ويكرز فى مدنهم » (متى ١٠ و ١١ : ١ ومرقس ٦ : ٧ — ١٣ ولوقا ٩ : ١ — ٦) .

***

٢ — وزاد لوقا فى روايته عن عيسى عليه السلام أنه أرسل سبعين آخرين(٩)وأوصاهم بما أوصى به الاثنى عشر . ومن كلامه : «ثم أرسل « سبعين آخرين أيضا وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه الى كل مدينة وموضع حيث كان هو مزمعا أن يأتى» ومما أوصاهم به :«وأية مدينة دخلتموها وقبلوكم فكلوا مما يقدم لكم واشفوا المرضى الذين فيها . وقولوا لهم :

---

(٧) يقصد البنوة المجازية .

(٨) كان من عادة الرومان أن يعلقوا من يستحق الموت فى نظرهم على الصليب .

(٩) وقد ذكر برنابا أن عددهم ٧٢ (انظر ٩٩ : ١ — ٢)

قد اقترب منكم ملكوت الله . وأية مدينة دخلتموها ولم يقبلوكم فاخرجوا الى شوارعها وقولوا حتى الغبار الذى لصق بنا من مدينتكم ننفضه لكم . ولكن اعلموا هذا انه قد اقترب منكم ملكوت الله » (لوقا ١٠ : ١ — ١٦)

المعنى العام للنص :

١ — هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم عيسى عليه السلام ليساعدوه فى مهمة التبشير التى من أجلها قد جاء وأوصاهم أن يقصروا دعوتهم على اليهود بالضرورة ، وأن يقولوا « قد اقترب ملكوت السموات » والمعجزات التى عملها باذن الله يوصى تلاميذه أن يعملوها « اشفوا المرضى ، طهروا برصا ، أقيموا موتى ، اخرجوا شياطين » وهذه المعجزات يجب أن يصنعها التلاميذ بدون ثمن ، لأن الله منحها لهم بدون ثمن ، وهم فى طريقهم الى مدن بنى اسرائيل . يجب أن يتخففوا من حمل المؤونة التى ينبغى أن يتزودوا بها فى أسفارهم ، لا يقتنوا ذهبا ولا فضة ولا نحاسا فى مناطقهم لأن الله سيعولهم .

٢ — ولما كان التلاميذ مزمعين أن يخرجوا الى حيث لا يعلمون ما يخبأه لهم القدر . لأن الناس ذوى عقول متفاوتة . منهم من سيقبل الدعوة ، ومنهم من سيرفضها . ومنهم متردد بين بين . فقد أرشدهم عيسى عليه السلام كيف يتصرفون؟ بقوله: « أية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق واقيموا هناك حتى تخرجوا » ابحثوا عن أفضل الرجال المتدينين فى المكان وتعرفوا بهم . وأقيموا معهم . وألقوا التحية أولا . فان قوبلت تحياتكم ببشر وسرور . فأقيموا واشرحوا دعوتكم وان قوبلت بعبوس فانصرفوا بعدما تحملوهم تبعة انصرافهم عن الدعوة ، فانه ما على الرسول الا البلاغ .

٣ — ويتنبأ عيسى عليه السلام بقلة المؤمنين من بنى اسرائيل ولذلك فان الأشرار منهم هالكون فى الدنيا والآخرة وأن قريتى سدوم وعمورة اللتين هلكتا فى الدنيا بسبب عصيانهما للوط عليه السلام . هاتان القريتان أخف

وطأة يوم القيامة من عذاب أورشليم عاصمة ملك بنى اسرائيل (١٠)

٤ — ثم يبين عيسى ما سوف يلقاه هؤلاء التلاميذ من آلام وأوجاع ، وانهم سيكونون بين الناس كغنم وسط ذئاب ، وأوصاهم أن يتحملوا العذاب فى سبيل عملهم لأن هذه سنة الحياة ، صراع بين الحق والباطل ، ولن تجد لسنة الله تبديلا ونصحهم بقوله :«كونوا حكماء كالحيات ، وبسطاء كالحمام » لا حكماء كالثعالب التى تنصب حكمتها على تضليل الآخرين ، بل كالحيات التى تنحصر حكمتها فى الدفاع عن نفسها وطلب النجاة . « وبسطاء كالحمام » فى اللطف والوداعة . ونصحهم أيضا : اذا اشتد عليهم الأذى أن ينتقلوا من مدينة لاخرى « ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا الى الأخرى »

وبين أن الأذى سيشتد عليهم ، فانهم سيسلمونهم الى مجالس القضاء التى تعنى بحفظ الأمن العام ، ويجب عليهم أن لا يتوقعوا الاضطهاد من الولاة الأصاغر فى مجالس القضاء فقط ، بل أيضا من كبار الولاة والملوك « وتساقون أمام أمم وملوك »

ثم يبين لهم أن فريقا من الناس سيؤمن بهم ، وهؤلاء الذين سيؤمنون سيضطهدون من أقاربهم . سوف يؤذون من الكافرين فيضطرون الى الدفاع عن أنفسهم لذلك ستقام حروب وانقسامات بين البيت الواحد وبين مدينة وأخرى .

وقد أعطاهم القدوة بنفسه . انه كان يشفى المرضى باذن الله ، فكان يتهمه علماء اليهود بأنه يستخدم « بعلزبول » رئيس الشياطين ، ويقسم ويعزم عليه،ويسخره فىشفاء الأمراض،فاذا كانوا قد أطلقوا على الله — الذى كان يطلب منه عيسى باسم الله — رئيس الشياطين . تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . فانهم سيطلقون على التلاميذ « بعلزبول » أيضا « ان كانوا قد لقبوا رب البيت ، بعلزبول ، فكم بالحرى أهل بيته »

---

(١٠) انظر (التكوين ١٣ : ١٢ — ١٣)

٥ — ويضرب لهم عيسى مثلا بنفسه فى انه لقى عذابا ، ومهما كانت الآلام التى يلقاها التلاميذ فانها لا تزيد عما لقيه عيسى بصفته معلمهم ومرشدهم « ليس التلميذ أفضل من المعلم » ومهما يطل الزمن على الحقائق المخفية ، فسوف يأتى اليوم الذى تظهر فيه هذه الحقائق « ليس مكتوم لن يستعلن ، ولا خفى لن يعرف » ثم يبين لهم عيسى أن أقل شىء فى الوجود تلحظه عناية الله . وإذا كان هذا كذلك فالدعاة الى الله ، تلحظهم عناية الله من باب أولى.

٦ — ثم انه يرهب الذين لا يسمعون لقوله « من يعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضا به قدام ابى الذى فى السموات . ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضا قدام أبى الذى فى السموات » لأنه سيكون شاهدا عليهم يوم القيامة أمام الله . ويبين لهم أن الجنة تنال بالصبر على الدعوة « من أحب أبا أو أما أكثر منى فلا يستحقنى ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر منى فلا يستحقنى » وكان من عادة الرومان أن يعلقوا من يستحق الموت فى نظرهم على الصليب ، وأن يحمل المذنب صليبه ليصلب عليه وهنا يذكرهم عيسى بالاستعداد للموت ويكونون كمن يحمل صليبه ليصلب عليه . لأن دعوتهم ستجلب عليهم هذا العقاب « ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى » ثم يذكر أن من يحفظ حياته فى العالم الحاضر من أذى الناس بعدم تبليغ الدعوة فسوف يخسرها يوم القيامة « من أضاع حياته من أجلى يجدها » ثم يذكر أنه هو والتلاميذ واحد فى الهدف « من يقبلكم يقبلنى ، ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى »

وفى النهاية يشير عيسى عليه السلام الى مجىء نبى من بعده ، والى أبرار فى قوله : **«ومن يقبل نبيا باسم نبى فأجر نبى يأخذ** ، ومن يقبل بارا باسم بار ، فأجر بار يأخذ » ويؤكد عيسى على أهمية عمل التلاميذ ، وانه يشبه عمله تماما فيقول « ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ ، فالحق أقول لكم : انه لا يضيع أجره »

موضع الشاهد :

وموضع الشاهد فى هذه الوصية قول عيسى عليه السلام لتلاميذه « فانى

الحق اقول لكم : لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان » من هو ابن الانسان هذا الذى أشار الى مجيئه عيسى عليه السلام عقب فراغ التلاميذ من التبشير بمجيئه فى مدن بنى اسرائيل ؟

يقول النصارى : انه عيسى عليه السلام ونقول نحن : انه نبى الاسلام ﷺ يقولون : ١ — ان ابن الانسان هو صاحب ملكوت السموات الذى تحدث عنه دانيال بعد المملكة الرابعة (مملكة الروم) ٢ — وان ابن الانسان هو عيسى عليه السلام صاحب الملكوت . ثم انهم اختلفوا فى مفهوم عبارة « لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان » على ثلاثة أقوال :

الأول : حتى يفرغ التلاميذ من الدعوة فى مدن اسرائيل . يكون المسيح قد قتل وصعد الى السماء . وينزل فى اليوم الخمسين الروح القدس الاله الثالث فى الثالوث المقدس ليغير السنة التلاميذ الى لغات العالم حينئذ وحينئذ يتأسس ملكوت السموات (ملكوت ابن الانسان) يقول متى هنرى ما نصه : « الحق أقول لكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان » كان عليهم أن يكرزوا بأن ملكوت ابن الانسان المسيا قد اقترب وكان عليهم أن يصلوا ليأت ملكوتك والآن يخبرهم بأنهم لا يكملون مدن اسرائيل مصلين وكارزين هكذا حتى يكون هذا الملكوت قد أتى برفعة المسيح وسكب الروح القدس » (١٢)

وهذا القول باطل لأن دولة الروم لم تزل يوم الخمسين . والأصح : أن التعبير كناية عن سرعة زمن نبى الاسلام ﷺ وأن هذا الزمن قريب جدا . مقدار الوقت الذى تصل فيه الدعوة الى اليهود المقيمين فى الأرض .

والقول الثانى والثالث يحكيهما الأنبا اثناسيوس هكذا :

يقول الأنبا اثناسيوس « لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان » لها أحد معنيين :

---

(١١) ص ١٦٥ — ١٦٦ ج ٢ تفسير متى .

(أ) أن الرب يصل الى أورشليم حتى يكون الرسل قد انتهوا من نشر دعوته فى جميع مدن اسرائيل .

(ب) أن الدينونة لا تجىء قبل أن تتم الكرازة لجميع اسرائيل الجديد الذى هو الكنيسة وتخلص آخر نفس من أولاد الله » (١٣)

يريد الأنبا اثناسيوس أن يقول :

(أ) أن التلاميذ يفرغون من الدعوة وبعد الفراغ يدخل عيسى أورشليم قبل رفعه .

(ب) أن التلاميذ ينطلقون الى العالم بالدعوة بعد الرفع ليكسبوا أنصارا بديلين لليهود والأنصار الجدد يسمون ببنى اسرائيل مجازا لأنهم عوض عن بنى اسرائيل القدامى الذين رفضوا ملكوت عيسى . وفى يوم القيامة ، يوم الدينونة يأتى ابن الانسان عيسى عليه السلام .

والمعنيان سقيمان . وغرضه منهما : تحريف الكلم عن مواضعه .

فبالنسبة للقول الثانى نسألهم هل سينزل المسيح فى آخر الزمان نزولا روحيا على قلوب المؤمنين . أم سينزل نزولا ارضيا ؟ وأيا ما كان نزوله روحيا أم ارضيا فان نصوص الانجيل مصرحة بعدم نزوله مطلقا بدليل قول المسيح عليه السلام « لست أنا بعد فى العالم » (يوحنا ١٧ : ١١)

وتقول الطوائف العظمى انه نزول روحى . وفى نزوله يقوى ايمان المؤمنين ويشتد ويتلاشى الشر من الأرض بهلاك الاشرار ولا يبقى فيها الا المؤمنين ثم تقوم القيامة وعند نزوله ينتهى عصر الملكوت ويبدأ عصر جديد يسمى « المجىء الثانى للمسيح » وفيه دينونة الخلائق وقبل نزوله ينزل

---

(١٣) ص ١٦٠ تفسير متى .

الياس عليه السلام « ايليا » لمقاومة الدجال (١٤) ويرتبون الحوادث على النحو الآتى :

١ — القيامة الأولى : ومعناها ان الابرار الذين استشهدوا من أجل الايمان بعيسى عليه السلام والذين ماتوا على صلاح وتقوى سوف تظهر أرواحهم فى المؤمنين بعيسى الذين لم يموتوا بعد فى آخر الزمان ليجعلوهم أهل غيرة وقداسة كالشهداء وفى الوقت الذى تقوى فيه الغيرة وتشتد ، يبدأ ملك المسيح مع شعبه ملكا روحيا على قلوب المؤمنين . وليس بالمجد والسلطان الظاهر واذا بدات المملكة الروحية . منهم من يقول بمجىء المسيح فى بدئها . ومنهم من يقول فى نهاية الف سنة من بدء المملكة(١٥) .

٢ — الموت الثانى : وفى الوقت الذى تظهر فيه أرواح الشهداء لتقوية المؤمنين يفنى جميع الاشرار بالنفس والجسد (١٦) .

وتقول الأقلية : سيأتى عيسى ليملك على الارض ملكا ظاهريا كملك داود وسليمان عليهما السلام ألف سنة . ويرتبون الحوادث على النحو الآتى :

١ — مرحلة الاختطاف أو الرجاء المبارك ويوم حدوثها يسمى « يوم المسيح » ومعنى الاختطاف أن كل الأموات الذين اعترفوا بعيسى عليه السلام سيقومون قرب انتهاء الدنيا من القبور والاحياء المعترفون بعيسى الذين لم يذوقوا الموت بعد ستتغير أجسادهم فيشبهون الأموات الذين قاموا من الموت . وهؤلاء جميعا الأموات والأحياء يختطفون جميعا لملاقاة عيسى فى السماء (١٧)

---

(١٤) ص ٨٦ حواشى على المجلد الأول من الكتاب المقدس اليسوعيين .
(١٥) انظر تفسير الكنز الجليل فى رؤيا يوحنا ٢٠ : ٥ .
(١٦) انظر تفسير الكنز الجليل فى رؤيا يوحنا ١ : ٦ .
(١٧) انظر رسالة بولس الأولى لأهل تسالونيكى ٤ : ١٥ — ١٧ فى كتاب المجىء الثانى للمسيح والأحداث العالمية .

٣ ــ مرحلة ظهور المجىء : بعد مدة ينزل عيسى من السماء بصحبة الأبرار الذين اختطفهم فى الهواء وتقف قدماه فى ذلك اليوم على جبــل الزيتون . الذى كان قد صعد منه الى السماء ويبصره جميع الناس (١٨)

وفى مرحلة ظهور المجىء يكون عيسى عليه السلام آتيا للمجد الدنيوى. ويستمر ملكه ألف عام على الأرض ملكا ظاهرا . وقبل مرحلة ظهور المجىء هــذه ينزل موسى وايلياء من السماء ليشهدا أمام الناس بظهور ملك عيسى ومجده (١٩)

* * *

والقول الثانى كما بينا ، وكما سنبين ، يكفى فى رده اضــطراب أقوالهم .

ويكفى فيه اعتراف المسيح عليه السلام بعدم نزوله . وأنه عبر عن ملكوت ابن الانسان ملكوت السموات بقوله « اقترب » وأن الأمثال التى ضربها عن الملكوت لا تشير الى ذلك . وأن دانيال قد وضــح فى سـفره أن الملكوت سيتأسس بعد زوال المملكة الرابعة دولة الرومان .

لماذا اذا يجهدون أنفسهم فى تحريف الكلم عن مواضــعه ؟ خاصة وقد قال المسيح لبنى اسرائيل : أن ملكوت الله ينزع منكم وهو وأتباعه من بنى اسرائيل .

وبالنســبة **للقــول الأول** : وهو دخول المســيح أورشــليم عقب فراغ التلاميذ من الدعوة فى حياته قبل رفعه الى السماء فانه أيضا مردود . بدليلين :

الدليل الأول :

أنه يعنى بابن الانسان . صــاحب ملكوت السموات الذى تحــدث عنه دانيال والذى يأمر تلاميذه بأن يدعوا اليه . ولم يتأسس الملكوت فى حياته .

---

(١٨) انظر : (تسالونيكى الاولى ٣ : ١٣) .

(١٩) انظر رأى الأقانية بالتفصيل فى كتاب المجىء الثانى للمســيح والأحداث العالمية من ص ٩٨ ــ ١٤٨ .

الدليل الثانى :

وصية المسيح للتلاميذ تدل نفسها على أحداث تحدث بعد رفعه الى السماء . وبعد حدوث الأحداث يتأسس ملكوت السموات .

انه يقول للتلاميذ « احذروا من الناس لأنهم سيسلمونكم الى مجالس . وفى مجامعهم يجلدونكم وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم وللأمم . فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون ؟ وسيسلم الأخ أخاه الى الموت والأب ولده . ويقوم الأولاد على والديهم ويقتلونهم وتكونون مبغضين من الجميع من أجل أســمى . ولكن الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص » ولم يحدث للتلاميذ أذى قبل دخول عيسى عليه السلام أورشليم للمرة الأخيرة . بل انه بعد رفعه الى السماء كان تلاميذه واليهود عــلى صفاء وود . يقول كاتب سفر أعمال الرسل « وجميع الذين آمنوا كانوا معا . وكان عندهم كل شىء مشتركا . والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها ويقســمونها بين الجميع . كما يكون لكل واحد احتياج . وكانوا كل يوم يواظبون فى الهيكل بنفس واحدة واذا هم يكسرون الخبز فى البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبســاطة قلب مسبحين الله . ولهم نعمة لدى جميع الشعب » (أعمال ٢ : ٤٤ ــ ٤٧)

والتاريخ ينبئنا عن اضطهادات حدثت فعلا للنصارى بعد رفع المسيح الى السماء ولم ترفع عنهم الاضطهادات الا على يد المسلمين (٢٠) ومن ذلك :

---

(٢٠) سبب الاضطهادات للنصــارى الأوائل : انهم كانوا يبشرون بمجىء النبى محمد ﷺ ، ويقولون للناس : ان أتباعه سيهزمون الروم ويطردونهم من بلاد الشام ومصر وسائر البلاد . وهذا كان يجرىء الناس على الروم المحتلين ، ويتسبب عنه اضطراب الأحوال فى سائر الولايات . ومن أجل ذلك قام الروم بأذيتهم حتى لا تضطرب الأحوال .

والنصارى يقولون : ان سبب الاضطهاد هو أن الأوائل كانوا يقولون بأن ملكوت السموات أوشك على المجىء وأن دولة روما ستزول . ولكنهم يفسرون الملكوت بملكوت المسيح عليه السلام . وأما الاضطهادات التى حدثت من بعد القيصر قسطنطين الرومانى سنة ٣٢٥ م فسببها الخلاف فى الرأى ــ وسيأتى البيان ــ

اضطهاد نيرون سنة ٦٤ ميلادية ــ اضطهاد تراجان سنة ١٠٦ م ــ اضطهاد دقلديانوس سنة ٢٨٤م .

١ ــ اضطهاد نيرون سنة ٦٤ ميلادية :

اقدم الطاغية نيرون على اشعال النار فى روما ، ثم اتهم المسيحيين باحراقها ، وصب عليها جام نقمته وجنونه . وشن عليهم حملة شعواء فى كل أنحاء المملكة الرومانية . متعنتا فى تعذيبهم مبتدعا أبشع الوسائل فى الفتك بهم . وقد قال تاسوس المؤرخ الرومانى الوثنى : أن نيرون كان يضع بعض المسيحيين وهم أحياء فى جلود الحيوانات ويطرحهم للكلاب تنهشهم ، ويطلى بعضهم الآخر بالقار ويعلقهم على مشانق ، ثم يضرم فيهم النار ، ليجعل منهم مشاعل يستضىء بها وهو يمر بالليل وكان يمتع نفسه بمنظر أطفالهم والوحوش تمزقهم وتلتهم أشلاءهم .

٢ ــ اضطهاد تراجان سنة ١٠٦ ميلادية :

أصدر تراجان سنة ١٠٦ ميلادية أمره الى ولاته فى كل أنحاء المملكة بأن يقضوا على المسيحيين ويمنعوا اجتماعاتهم التى كانوا يعقدونها فى الخفاء ليقيموا صلواتهم ، ويحتفوا بأعيادهم فسامهم الولاة أبشع أنواع العذاب والتنكيل وقتلوا منهم آلافا مؤلفة ، وقد استخدم هذا الامبراطور ساحة الملعب الرومانى ، المسمى بالكلوسيوم فى اعدام المسيحيين بالقائهم هنالك الى الوحوش تمزقهم شر ممزق وهو يتلهى بمنظرهم ، وهم يتحولون بين الأنياب المفترسة الى أشلاء ، وكان ممن ذهبوا ضحية هذه الوحشية البشعة البابا كرذونوس البطريرك القبطى الرابع والقديس أغناطيوس اسقف أنطاكية وكثيرون غيرهما .

٣ ــ اضطهاد دقلديانوس ٢٨٤ ميلادية :

وقد كان أقسى الجميع على المسيحيين هو الامبراطور دقلديانوس الذى جلس على العرش سنة ٢٨٤ ميلادية فقد صمم هذا الامبراطور على أن لا يكف عن قتل المسيحيين حتى تصل دماؤهم الى ركبة فرسه ، وفعلا نفذ عزمه ، وراح يطوف بفرسه فى بحر من دماء الشهداء وقد هد مكنائس المسيحيين

وأحرق كتبهم وقبض على أســاقفتهم وأذاقهم كل صنوف العذاب وأغرقهم في مذابح دامية لم يسبق لها نظير في التاريخ (٢١) .

وظلت الاضطهادات قائمة حتى جاء نبى الاسلام ﷺ فأنقذ النصارى من الذل . فلقد جاء فى كتب النصارى ما نصه :

« وفى القرن الرابع ارتقى العرش الرومانى ثاودوسيوس الكبير . فأبطل عبادة الأوثان وصارت المسيحية الديانة الرسمية فى سنة ٣٧٩م . وقد انقسم المسيحيون فى الدولة الرومانية الى مذاهب متعددة وحـاول أباطرة الروم اكراه اقباط مصر الارثوذكس على قبول مذهبهم فرفضـوا ذلك وهنا بدأت اضطهادات الرومان من جديد للمسيحيين المصريين فلما رأى أنبا بنيامين بطريرك الأقباط ذلك جمع رجال الدين الارثوذكسى وحضهم على الثبات فى العقيدة حتى الموت وطلب الى الأساقفة الاختفاء فى الاديرة حتى تزول هــذه المحنة واختفى أنبا « بنيامين » نفسه فى أحد الأديرة فى الصعيد ، وظل مختفيا ثلاث عشرة سنة وفى هذه الاثناء فتح العـرب مصر على يد عمرو بن العاص سنة ٦٤٠م فماذا فعل القائد العربى ؟ .

بعد أن تم لعمرو فتح مصر بعث الى البابا بنيامين بكتاب أمان يدعوه الى العودة الى كرسيه ويؤمنه على حياته . ونشر عمرو هذا الكتاب فى أنحاء البلاد وجاء فيه ما يلى :

« أينما كان بطريق القبط بنيامين نعده بالحماية ، وعهد الله ، فليأت البطريق الى ههنا فى أمان واطمئنان ليلى أمر ديانته » فخرج بنيامين من الدير . وذهب الى « عمرو » فاحتفى به ، ورده الى مركزه عزيز الجانب موفور الكرامة » (٢٢)

---

(٢١) تاريخ الأقباط لزكى شنوده جـ ١ ص ١٠١ — ١٠٨ .
(٢٢) ص ١٣٨ التربية الدينية المسيحية طبعة وزارة التربية والتعليم بمصر سنة ١٩٧٣م .

الحديث الثانى

طعام ابن الانسان

مائدة من السماء

تمهيـــــد :

١ ــ أ ــ قال دانيال النبى عن ملك نبى الاسلام وشريعته : « كنت أرى فى رؤى الليل . واذا مع سحب السماء **مثل ابن انسان** ، أتى وجـاء الى القديم الأيام ، فقربوه قدامه . فأعطى سلطانا ومجدا **وملكوتا** . لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه ، سلطان أبدى ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض » (دانيال ٧ : ١٣ ــ ١٤) ب ــ وقال أيضـــا : « وفى أيام هؤلاء الملوك يقيم اله السموات مملكة لن تنقرض أبدا وملكها لا يترك لشعب آخر ، وتسـحق وتفنى كل هذه الممالك . **وهى تثبت الى الأبد** » (دا ٢ : ٤٤)

٢ ــ أ ــ وقال المسيح عيسى بن مريم : **يا بنى اسرائيل** : « توبوا . فقد اقترب ملكوت السموات » (متى ٤ : ١٧) أى الملكوت الذى أخبر عن ظهوره دانيال ، عقب زوال دولة الروم ، ولقب صاحبه بلقب ابن الانسان . ب ــ وفى الأناجيل الاربعة : أن المسيح فى « موضع خلاء لمدينة تسـمى صيدا » شرح لآلاف من الناس **حقيقة ملكوت الله** الذى أخبر عن ظهـوره دانيال . ولما أمسى المساء أخذ سمكتين وخمسة أرغفة ودعا الله عز وجل أن يبارك فى السمكتين والخمسة الأرغفة ، فاستجاب الله دعاءه ، وأكل نحو خمسة آلاف رجل ، وفضل من كسر الأرغفة ما يملأ اثنتى عشر قفة . ت ــ وفى انجيل يوحنا : أن اليهود الذين أكلوا من الطعام المبارك فيه ، ذهبوا الى مدينة « كفر ناحوم » للقاء المسيح فيها . فقال لهم المسيح :

« انكم تطلبونني ليس لأنكم رأيتم آيات . بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم. اعملوا لا للطعام البائد . بل للطعام الباقي للحياة الأبدية ، الذى يعطيكم ابن الانسان » ولم يطلب لهم مائدة من السماء .

النص :

١ — في انجيل لوقا : « ولما رجع الرسل أخبروه بجميع ما فعلوا . فأخذهم وانصرف منفردا الى موضع خلاء لمدينة تسمى صيدا . فالجموع اذ علموا تبعوه فقبلهم . **وكلمهم عن ملكوت الله** (١) . والمحتاجون الى الشفاء شفاهم . فابتدأ النهار يميل . فتقدم الاثنا عشر وقالوا له : اصرف الجمع ليذهبوا الى القرى والضياع حوالينا فيبيتوا ويجدوا طعاما لأننا ههنا فى موضع خلاء . فقال لهم أعطوهم أنتم ليأكلوا . فقالوا : ليس عندنا أكثر من خمسة أرغفة وسمكتين الا أن نذهب ونبتاع طعاما لهذا الشعب كله . لأنهم كانوا نحو خمسة آلاف رجل فقال لتلاميذه أتكئوهم فرقا خمسين خمسين . ففعلوا هكذا ، واتكأوا الجميع . فأخذوا الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء وباركهن ثم كسر وأعطى التلاميذ ليقدموا للجمع ، فأكلوا وشبعوا جميعا ، ثم رفع ما فضل عنهم من الكسر اثنتا عشرة قفة ، وفيما هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه » (٩ : ١٠ — ١٨ متى ١٤ : ١٤ — ٢٣ ، مرقس ٦ : ٣٤ — ٤٦ ، مرقس ٨ : ١ — ٢١).

٢ — **أولا فى** انجيل يوحنا : « بعد هذا مضى يسوع الى عبر بحر الجليل ، وهى بحر طبرية ، وتبعه جمع كثير لأنهم أبصروا آياته التى كان

---

(١) فى تفسير الكتاب المقدس لدافد سن وآخرين : « ملكوت السموات » هذا تعبير خاص ، بمتى ، الذى يستعمله ، حيث يستعمل بقية البشيرين القول « ملكوت الله » والتغيير ينسب الى الوضع والنظرة اليهوديين ، لمتى . اذ كان يعتبر بين اليهود ، تجديفا : أن يشار الى الله بالاسم . ولذا استبدلوه باصطلاح مثل السموات . وملكوت الله معناه : سيادة أو حكم الله الذى انتظرت التوقعات المسيانية أن يتنزل سائدا على اسرائيل » (ص ١٩ جـ ٥)

يصنعها فى المرضى ، فصعد يسوع الى جبل وجلس هناك مع تلاميذه ، وكان الفصح عيد اليهود قريبا ، فرفع يسوع عينيه ونظر أن جمعا كثيرا مقبل اليه فقال لفيلبس من أين نبتاع خبزا ليأكل هؤلاء ؟ وانما قال هذا ليمتحنه ، لأنه هو علم ما هو مزمع أن يفعل . أجابه فيلبس لا يكفيهم خبز بمائتى دينار . ليأخذ كل واحد منهم شيئا يسيرا . قال له واحد من تلاميذه وهو اندراوس أخو سمعان بطرس : هنا غلام له خمسة أرغفة شعير وسمكتان ، ولكن ما هذا لمثل هؤلاء . فقال يسوع : اجعلوا الناس يتكئون . وكان فى المكان عشب كثير فاتكأ الرجال وعددهم نحو خمسة آلاف ، وأخذ يسوع الأرغفة وشكر ، ووزع على التلاميذ ، والتلاميذ أعطوا المتكئين . وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا . فلما شبعوا قال لتلاميذه : اجمعوا الكسر الفاضلة لكيلا يضيع شىء . فجمعوا وملأوا اثنتى عشرة قفة من الكسر من خمسة أرغفة الشعير التى فضلت عن الآكلين . فلما رأى الناس الآية التى صنعها يسوع قالوا : ان هذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم . وأما يسوع فاذ علم انهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكا انصرف أيضا الى الجبل وحده » (يوحنا ٦ : ١ — ١٥)

ثانيا : فى انجيل يوحنا : « فلما رأى الجمع أن يسوع ليس هو هناك ولا تلاميذه دخلوا هم أيضا السفن ، وجاءوا الى كفر ناحوم يطلبون يسوع ولما وجدوه فى عبر البحر قالوا له يا معلم متى صرت هنا ؟ أجابهم يسوع وقال : الحق الحق أقول لكم أنتم تطلبوننى ليس لأنكم رأيتم آيات بل لأنكم أكلتم من الخبز فشبعتم . اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى للحياة الأبدية الذى يعطيكم ابن الانسان لأن هذا الله الآب قد ختمه . فقالوا له : ماذا نفعل حتى نعمل أعمال الله ؟ أجاب يسوع وقال لهم : هذا هو عمل الله . أن تؤمنوا بالذى هو أرسله . فقالوا له : فأية آية تصنع لنرى ونؤمن بك ؟ ماذا نعمل ؟ آباؤنا أكلوا المن فى البرية كما هو مكتوب انه أعطاهم خبزا من السماء ليأكلوا . فقال لهم يسوع : الحق الحق أقول لكم : ليس موسى أعطاكم الخبز من السماء بل أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء لأن خبز الله هو النازل من السماء الواهب حياة للعالم . فقالوا له : يا سيد .

أعطنا فى كل حين هذا الخبز . فقال لهم يسوع : انا هو خبز الحياة من يقبل الى فلا يجوع . ومن يؤمن بى فلا يعطش ابدا . ولكنى قلت لكم : انكم قد رأيتمونى ولستم تؤمنون . كل ما يعطينى الآب فالى يقبل . ومن يقبل الى لا اخرجه خارجا . لأنى قد نزلت من السماء ليس لأعمل مشيئتى ، بل مشيئة الذى أرسلنى . وهذه مشيئة الآب الذى أرسلنى : أن كل ما أعطانى لا أتلف منه شيئا بل أقيمه فى اليوم الأخير ، لان هذه هى مشيئة الـــذى أرسلنى : أن كل من يرى الابن ويؤمن به ، تكون له حياة أبدية . وأنا أقيمه فى اليوم الأخير ..

قال هذا فى المجمع ، وهو يعلم فى كفر ناحوم . فقال كثيرون من تلاميذه ، اذ سمعوا : ان هذا الكلام صعب . من يقدر أن يسمعه ؟

من هذا الوقت رجع كثيرون من تلاميذه الى الوراء ، ولم يعودوا يمشون معه . فقال يسوع للاثنى عشر : العلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا ؟ فأجابه سمعان بطرس : ياربب الى من نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية عندك » (يوحنا ٦ : ٢٤ — ٦٨)

الشرح والبيان

يقول تعالى فى القرآن الكريم : « اذ قال الحواريون ، يا عيسى ابن مريم : هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ؟ قال : اتقوا الله ان كنتم مؤمنين .

قالوا : نريد أن نأكل منها . وتطمئن قلوبنا ، ونعلم أن قد صدقتنا ، ونكون عليها من الشاهدين . قال عيسى ابن مريم : اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء . تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك ، وارزقنا وأنت خير الرازقين .

قال الله : انى منزلها عليكم . فمن يكفر بعد منكم فانى أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين » (المائدة ١١٢ — ١١٥)

وقد اختلف مفسرو القرآن الكريم (٢) فى نزول المائدة على رايين .
الأول : أنها نزلت « قال الله انى منزلها عليكم » هذا وعد من الله تعالى أجاب به سؤال عيسى عليه السلام ، كما كان سؤال عيسى اجابة للحواريين ، وهذا يوجب أنه قد أنزلها ، ووعده الحق ، فجحد القوم ، وكفروا بعد نزولها . والرأى الثانى : ما نزلت ، ا — وانما هو ضرب مثل ضربه الله تعالى لخلقه فنهاهم عن مسألة الآيات لأنبيائه ب — وقيل : وعدهم بالاجابة فلما قال لهم : « فمن يكفر بعد منكم » الآية — استعفوا منها ، واستغفروا الله . وقالوا : لا نريدها .

وقد اختلفوا فى تفسير « هل يستطيع ربك » ؟ على أقوال منها :

ان القوم لم يشكوا فى استطاعة البارى سبحانه ، لأنهم كانوا مؤمنين عارفين عالمين ، وانما هو كقولك للرجل : هل يستطيع فلان أن يأتى ؟ وقد علمت أنه يستطيع . فالمعنى : هل يفعل ذلك ؟ وهل يجيبنى الى ذلك أم لا ؟ وقد كانوا عالمين باستطاعة الله تعالى لذلك ولغيره ، علم دلالة وخبر ونظر . فأرادوا علم معاينة كذلك . كما قال ابراهيم ﷺ : « رب أرنى كيف تحيى الموتى ؟ » وقد كان ابراهيم علم ذلك ، علم خبر ونظر ، ولكن أراد المعاينة التى لا يدخلها ريب ولا شبهة . لأن علم النظر والخبر قد تدخله الشبهة والاعتراضات ، وعلم المعاينة لا يدخله شىء من ذلك . ولذلك قال الحواريون : « وتطمئن قلوبنا » كما قال ابراهيم : « ولكن ليطمئن قلبى » ثم أن المفسرين رووا فى كتبهم فقرات مما ورد فى الأناجيل .

فى تفسير القرطبى من هذه الفقرات :

١ — « ان عيسى عليه السلام كان اذا خرج اتبعه خمسة آلاف أو اكثر ، بعضهم كانوا أصحابه ، وبعضهم كانوا يطلبون منه أن يدعو لهم لمرض كان بهم أو علة اذ كانوا زمنى أو عميانا ، وبعضهم كانوا ينظرون ويستهزئون فخرج يوما الى موضع فوقعوا فى مفازة ، ولم يكن معهم نفقة فجاعوا » .

---

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبى فى تفسير هذه الآيات .

٢ — « أقبلت الملائكة بمائدة يحملونها ، عليها سبعة أرغفة ، وسبعة أحوات » .

٣ — « أنزل الله تعالى أقرصة من شعير وحيتانا »

وفى قصص الأنبياء لأبى اسـحق أحمد بن محمد بن ابراهيم النيسابورى الثعلبى : « قال وهب : أنزل الله أقرصة من شعير وحيتانا . فقيل لوهب : ما كان ذلك يغنى عنهم من شىء . قال بلى ولكن الله ضاعف لهم البركة ، فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ، ويجىء آخرون فيأكلون حتى أكلوا بأجمعهم ... وقال مقاتل والكلبى استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال : انى منزلها عليكم كما سألتنى . فمن أكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلا ولعنة وعبرة لمن بعدهم . قالوا قد رضينا . فدعا شمعون الصفا (٣) . وكان أفضل الحواريين . فقال هل معك طعام ؟ فقال معى سمكتان صغيرتان وستة أرغفة فقال على بها . فقطعها عيسى قطعا صغارا وقال اقعدوا فى روضة وترافقوا رفاقا كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وأنزل فيها البركة فصار خبزا صحاحا وسمكا صحاحا .ثم قام عيسى يمشى فجعل يلقى فى كل رفقة ما حملت أصابعه . ثم قال كلوا باسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ما شاء الله ، وفضل . والناس خمسة آلاف ونيف . وقال الناس جميعا : شهدنا أنك عبد الله . ثم سألوه مرة أخرى فأنزل الله خمسة أرغفة وسمكتين فصنع ما صنع فى المرة الأولى » .

وأما قوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : « تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا » فمعناه : أنه لما خرج بنو اسرائيل من أرض مصر الى صحراء سيناء مع موسى عليه السلام : أنزل الله عليهم « المن والسلوى » وموسى هو أول نبى فى بنى اسرائيل صاحب شريعة ، وعيسى هو آخر نبى فى بنى اسرائيل على شريعة موسى . ولما قال لبنى اسرائيل : لا نبى بعدى

---

(٣) سمعان بطرس

منكم ، وانما من بنى اسماعيل يكون ، لثبوت بركة فى نسله ، طلبوا منه مائدة كمائدة موسى ، تذكارا لأول نبى وآخر نبى .

وقد تغنى داود عليه السلام فى مزاميره بالمن والسلوى وسماهما مائدة من السماء فى البرية . لأن السماء هى جهة العلو . ولأن الشىء الذى لا يعرفون له سببا ، ينسبونه الى السماء . والذين قد شهدوا مائدة عيسى ليس لهم عذر ان كفروا وقالوا : كما قال بنو اسرائيل الأوائل : « هل يقدر الله أن يرتب مائدة فى البرية » (مزمور ٧٨ : ١٩) يقول داود : « اصغ يا شعبى الى شريعتى . أميلوا آذانكم الى كلام فمى ، أفتح بمثل فمى ، أذيع ألغازا منذ القدم ، التى سمعناها وعرفناها وآباؤنا أخبرونا . لا نخفى عن بنيهم الى الجيل الآخر ...

ثم عادوا أيضا ليخطئوا اليه لعصيان العلى فى الأرض الناشفة ، وجربوا الله فى قلوبهم بسؤالهم طعاما لشهوتهم فوقعوا فى الله . قالوا هل يقدر الله أن يرتب مائدة فى البرية ؟ هو ذا ضرب الصخرة فجرت المياه ، وفاضت الأودية . هل يقدر أيضا أن يعطى خبزا أو يهىء لحما لشعبه ؟ لذلك سمع الرب فغضب ، واشتعلت نار فى يعقوب ، وسخط أيضا صعد على اسرائيل لأنهم لم يؤمنوا بالله ، ولم يتكلوا على خلاصه . فأمر السحاب من فوق ، وفتح مصاريع السموات ، وأمطر عليهم منا للأكل ، وبر السماء أعطاهم . أكل الانسان خبز الملائكة أرسل عليهم زادا للشبع ، أهاج شرقية فى السماء ، وساق بقوته جنوبية ، وأمطر عليهم لحما مثل التراب ، وكرمل البحر طيورا ذوات أجنحة ، وأسقطها فى وسط محلتهم حوالى مساكنهم ، فأكلوا وشبعوا جدا وأتاهم بشهوتهم » (مزمور ٧٨ : ١ — ٢٩)

ومن هذا الذى قدمته . يتبين : أن معجزة نزول المائدة من السماء من أبرز معجزات المسيح عيسى عليه السلام لأنها هى المعجزة الوحيدة التى اتفق الانجيليون الأربعة على تدوينها ، ويوحنا الذى اعتاد أن لا يذكر شيئا مما دونه الذين كتبوا قبله . قد ذكر هذه المعجزة .

وعلماء المسلمين الذين قالوا بنزولها ، استدلوا بأن الله وعد بنزولها ثم اختلفوا فى كيفية النزول . فمنهم من قال : أنها مائدة حقيقية من السماء . ومنهم من قال هى البركة فى الخمسة الأرغفة والسمكتين (٤) . والذين قالوا لم تنزل ، استدلوا بأن الله شرط هلاكهم اذا لم يؤمنوا بعد نزول المائدة ، وأن بنى اسرائيل لما سمعوا الشرط ، قالوا : لا نريدها . **وعبارات الأناجيل تدل على أن المائدة المطلوبة لم تنزل** . ذلك أن البركة فى السمكتين والأرغفة الخمسة . كانت من المسيح نفسه من غير طلب منه . فانه لما امسى المساء ، وطلب من تلاميذه ، صرف الجموع الى القرى : سألهم هل مع أحد من طعام ؟ ثم أخذ وبارك وأطعم الجموع من تلقاء نفسه . وهذا كان فى نواحى « صيدا » ولما جاءوا الى « كفر ناحوم » وطلبوا منه « آية » ليؤمنوا به ، وحددوا الآية بأن تكون خبزا كالمن والسلوى ، وطلبوا منه أن لا يكون الخبز مرة واحدة ، بل « فى كل حين » لما طلبوا منه ذلك ، لم يجبهم المسيح الى طلبهم .

والبركة فى الطعام هى من السماء مائدة . واذا قلنا بأن كتاب الأناجيل قد نسوا حظا مما ذكروا به ، وأنهم لا يراعون ترتيب الحوادث ، يكون النص على المائدة واردا فى الأناجيل بغير ترتيب على أنه البركة فى الطعام ويكون قول الله تعالى فى القرآن الكريم : « انى منزلها عليكم » نص فى نزولها بالفعل . ويكون النص على المائدة هو من أول قول يوحنا : « وجاءوا الى كفر ناحوم يطلبون يسوع ... » الخ — وهذا هو الصحيح — .

وفى حديث يوحنا الثانى عن المائدة :

قال المسيح عليه السلام :

١ — « اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى للحياة الأبدية »

ان قصد المسيح من هذا الحديث : هو أن يخفف من غلوائهم فى الاهتمام بأمور العالم ، مبينا لهم أن لا يجعلوا أشياء هذا العالم موضع اهتمامهم الرئيسى . **لأن أشياء العالم من الثروة والأمجاد والملذات : طعام بائد .** أما ما يخص النفس والروح من الاقبال على الله والعمل بأوامره فهذا هو

---

(٤) انظر قصص الأنبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٤١٢ — ٤١٨

الطعام الباقى والخبز الأسمى لأن الحياة الآخرة اطول مدة من الحيـاة الأولى .

٢ ـ « الذى يعطيكم ابن الانسان ، لأن هذا الله الآب قد ختمه » يريد أن يقول : استعدوا لأن تتبلوا تعاليم ابن الانسان صاحب ملكوت السموات الذى أخبر عن ظهوره النبى المعظم دانيال ، لأنها التعاليم الالهية التى يريدها الله للبشر وبها تحيون حياة أبدية فى الدنيا والآخرة . وقـد عبر بقوله : « الله الآب قد ختمه » على طريقة اليهود فى التعبير . فقد كان من عاداتهم أن يختموا الرسائل بخاتم . دليل على أن كل ما فيها صحيح ، ولا يزاد عليه ولا ينقص منه (الملوك الأول ٢١ : ٨ وأستير ٣ : ١٢) فكأنه يريد أن يقول : ان الله عز وجل سيكتب التعاليم التى سيقولها لكم نبى الاسلام ، وقد ختم عليها بحيث لن يزاد عليها . ولن ينقص منها ، وكل ما فيها معتمد وموثوق بصحته .

٣ ـ « أبى يعطيكم الخبز الحقيقى من السماء ، لأن خبز الله هـو النازل من السماء الواهب حياة للعالم » كلمة « أبى » لا تدل على أن عيسى ابن الله على الحقيقة ، بل هى أبوة روحية كما قال لتلاميذه : « انى أصعد الى أبى وأبيكم ، والهى والهكم » (يوحنا ٢٠ : ١٧) ويقول متى هنرى فى تفسيره ان الخبز الحقيقى هو الانجيل « وعلى قدر ما يسموا مجد الله على سـحب السماء ، يسمو طعام الروح ـ الذى للانجيل الأبدى ـ على المن » (٥) والحق : أنه يقصد بالخبز الشريعة الآتية مع النبى الأمى الآتى . لأن الانجيل ليس شريعة مستقلة عن شريعة موسى . والتعبير بخبز الله الحقيقى ، يراد به التعاليم التى تحيى الروح وتزكى النفس وتطهر القلب . كما جاء فى التوراة : « فأذلك وأجاعك وأطعمك المن ، الذى لم تكن تعرفه ولا عرفه آباؤك ، لكى يعلمك أنه ليس بالخبز وحده يحيا الانسان . بل بكل ما يخرج من فم الرب يحيا الانسان » (تث ٨ : ٣) وليس فى الانجيل شىء مختلف عما فى التوراة حتى نقول بأن الانجيل خبز .

٤ ـ « لأنى قد نزلت من السماء » أى أتيت من الله لأخبركم عن ابن الانسان ، لا من تلقاء نفسى ، وهذا مثل قوله : « أنتم من أسفل أما أنا

---

(٥) ص ٤٩ جـ ٢ تفسير يوحنا لمتى هنرى

فمن فوق . أنتم من هذا العالم . أما أنا فلست من هذا العالم » (يوحنا ٨ : ٢٣) وقد قال هذا القول ذاته عن تلاميذه : « لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته . ولكن انكم لستم من العالم ، بل أنا أخترتكم من العالم . لذلك يبغضكم العالم » (يوحنا ١٥ : ١٩) والمعنى : أن اليهود يطلبون الدنيا ، وأما عيسى فانه يطلب رضا الله والدار الآخرة .

٥ ــ « وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » أى أن تعاليم الانجيل التى تفصح عن ابن الانسان ، تجعل المرء حرا فى اختيار الطريق الذى يسلكه . فمن سلك طريق ابن الانسان فكأننى أنا الذى اقمته وأصلحت حاله . لأن تعاليمى تنوب عنى وهى التى تهديه وترشده فى اليوم الأخير . وهو يوم انتهاء الزمن الذى كان فيه الملك والنبوة مع بنى اسرائيل . وهذا المعنى هو الذى يستفاد من كلمة « يرى » فانها . لا تدل على الرؤية البصرية بل على المعرفة والايمان . يقول متى هنرى فى تفسيره : « ان كلمة « يرى » فى النص اليونانى لا تفيد رؤية العين ، بل رؤية البصيرة « كل من يرى الابن » يراه بعين الايمان (٦) »

والدليل على أن « اليوم الأخير » هو نهاية ملك بنى اسرائيل وشريعتهم، وبدء ملك بنى اسماعيل وشريعتهم : قول مفسرى الانجيل فى تفسير اليوم الأخير : « كانت فكرة مألوفة عند اليهود عن الأمور الأخيرة وهى تشير الى الوقت الذى فيه يتزكى المسيا ويتمجد الى التمام » (٧)

٦ ــ « فقال يسوع للاثنى عشر : ألعلكم انتم أيضا تريدون أن تمضوا ؟ فأجابه سمعان بطرس : يارب الى من نذهب ؟ كلام الحياة الأبدية عندك »

لقد اجابه بطرس نيابة عن الآخرين ، اجابة مقترنة بالايمان ، لقد قال له بطرس : « يارب » أى يا سيدنا وهذا احترام منه . وقال له : « كلام الحياة الأبدية عندك » أى الكلام الصحيح عن ملكوت السموات عندك ، لا عند علماء بنى اسرائيل . الفريسيين المرائين . ولقد وجه عيسى اليهم هذا السؤال : « ألعلكم أنتم أيضا تريدون أن تمضوا ؟ » كما وجهه

---

(٦) ص ٥٨ ج ٢ تفسير يوحنا .

(٧) ص ٢٥٧ ج ٥ تفسير الكتاب المقدس . دافدسن .

يشوع بن نون فتى موسى لبنى اسرائيل لكى يختاروا من يعبدون ، قاصدا الحصول منهم على وعد بالالتصاق به . ولقد أجاب بنو اسرائيل يشوع ابن نون ، كما اجاب بطرس نيابة عن التلاميذ . ففي سفر يشوع : « فقال يشوع للشعب : لا تقدرون أن تعبدوا الرب لانه اله قدوس واله غيور هو . لا يغفر ذنوبكم وخطاياكم . واذا تركتم الرب وعبدتم آلهة غريبة يرجع فيسىء اليكم ويفنيكم بعد أن أحسن اليكم . فقال الشعب ليشوع : لا . بل الرب نعبد ، فقال يشوع للشعب : أنتم شهود على أنفسكم ، أنكم قد اخترتم لأنفسكم الرب لتعبدوه . فقالوا : نحن شهود » (يشوع ٢٤ : ١٩ — ٢٣)

يقول متى هنرى فى تفسيره : « كان ما قاله بطرس جميلا . بل جميلا جدا ، والأرجح انه قاله بارشاد زملائه التلاميذ ومصادقتهم التامة »

ويعلق على « الى اين نذهب ؟ » فيقول : « الى أين نذهب ؟ هل ترتمى فى أحضان العالم ؟ يقينا أنه يخدعنا . هل نرجع الى الخطيئة ؟ يقينا انها تهلكنا . هل نترك ينبوع المياه الحية وننقر لأنفسنا آبارا مشققة ؟ لقد اعتزم التلاميذ على مواصلة سعيهم نحو الحياة والسعادة والالتصاق بالمسيح كمرشد لهم فى سعيهم لأنهم لن يجدوا له بديلا .

هل نذهب الى الفلاسفة الأممين ونتتلمذ لهم ؟ لقد حمقوا فى أفكارهم . واذا ادعوا أنهم حكماء فى نواح أخرى صاروا جهلاء فى الناحية الدينية . هل نذهب الى الكتبة والفريسيين ونتتلمذ لهم ؟ أى خير نناله ممن أبطلوا وصية الله بتقليدهم ؟ أنذهب الى موسى ؟ سوف يعيدنا مرة ثانية اليك . لذلك ان أردنا البحث عن طريق السعادة وجب أن يكون فى اتباعنا اياك »

٧ — وقول اليهود : « ان هـذا الكلام » عن النبى الآتى الى العالم « صعب من يقدر أن يسمعه » ؟ يدل على أنهم لن يؤمنوا به اذا جاء من بنى اسماعيل ، ويدل على أن علماء بنى اسرائيل يؤذون من يعترف به من بنى اسرائيل .

***

وموضـــع الشـــاهد فى هـــذا النص ، هو :

(أ) قول المسيح لبنى اسرائيل : « اعملوا . لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى ، للحياة الأبدية ، الذى يعطيكم ابن الانسان »

(ب) وقول المســـيح لبنى اسرائيل : « **مشيئة الذى أرســلنى : أن كل من يرى الابن ، ويؤمن به ، تكون له حياة أبدية** ، وأنا أقيمه فى اليوم الأخير »

ووجهة نظر النصارى يحكيها يوحنا فم الذهب . هكذا :

« ان الله الآب عين المسيح منذ الأزل لكى يعطى الطعام الذى للحياة الأبدية . وذلك باعلانه واشهاره عند اعتماده بصوته من السماء قائلا : هذا هو ابنى الحبيب فكأن الآب قد ختم بذلك وأقر أن يسوع هو ابنه ، وأنه المسيح الموعود به منذ الأزل . وهذا القول مأخوذ من أعمال الناس العادية اذ أنهم يتخذون الختم للتثبيت » (٨)

والرد عليهم :

أولا : ان الناس بعدما رأوا معجزة الأرغفة الخمسة ، والسمكتين . « قالوا : ان هذا هو بالحقيقة النبى الآتى الى العالم . وأما يسوع . فاذ علم أنهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ، ليجعلوه ملكا ، انصرف الى الجبل وحده » (يوحنا ٦ : ١٤ ــ ١٥) **لقد ظنوا أنه النبى الآتى الى العالم** . وهذا يدل على أن النبى الآتى الى العالم لم يكن قد جاء الى العالم ، حتى زمان المسيح . ولو كان المسيح هو النبى الآتى الى العالم ، لقال لهم : انى أنا هو . وما كان ينصرف الى الجبل ، زاهدا فى الملك . لأن من أوصـــاف النبى الآتى الى العالم أن يكون ملكا ، أى رئيســـا مطاعا . وهم قد ظنوا أنه النبى الآتى الى العالم ، المكتوب عنه فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، لأن علماء بنى اسرائيل من زمان ســبى بابل ، يوهمون الناس أنه سيظهر فى بنى اسرائيل ، لا فى بنى اسماعيل . ولما ظنوا هذا الظن ، انصرف الى الجبل ليبين لهم بتصرفه أنه ليس هو . وانما هو من بنى اسماعيل لثبوت بركة فى نسله .

---

(٨) نقلا عن ص ٣٩ جـ ٢ تفسير يوحنا لمتى هنرى

ثانيا : قول المسيح : « ان كل من يرى الابن ويؤمن به ، تكون له حياة أبدية . وأنا أقيمه فى اليوم الأخير » يدل على المغايرة بينه وبين الابن . لأنه سيقيم فى اليوم الأخير : من يرى الابن ، ويؤمن بالابن . لا من يراه هو . ويؤمن به هو . فمن هو هـذا الابن الذى هو غير المسيح ؟ يقول النصارى : ان الابن هو المسيح .. وهذا غير صحيح . لأن سياق العبارات تدل على أن الابن شىء ، والمسيح عيسى شىء آخر . فمن هو هذا الابن ؟

ان الله تعالى وعد ابراهيم عليه السلام بمباركة الأمم فى نسل اسماعيل عليه السلام . وعرف علماء بنى اسرائيل أن نبيا من اسماعيل سيظهر ، لتبدأ من وجوده بركة اسماعيل فى الأمم ، ولما أرادوا أن يخفوا هذا الخبر عن الأميين منهم ، لكرههم لأبناء اسماعيل ، ادعوا أن النبى الذى سيظهر من بعد موسى ، سيكون من بنى اسرائيل . وأكدوا هذا الادعاء باعطاء النبى الذى سيظهر ، الألقاب التى يلقبون بها أنبياءهم وعلماءهم وملوكهم . ومن هذه الألقاب : لقب «ابن الله» أى مقرب اليه(٩) ولقب «مسيح» أى مصطفى منه . ففى التوراة قالوا : « أنت يارب أبونا » (أشعياء ٦٣ : ١٦) وفى التوراة مكتوب : « أنتم أولاد للرب الهكم » (تثنية ١٤ : ١) ومع ذلك يقول علماء بنى اسرائيل استنادا على المكتوب فى التوراة : ان الله لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . ففى التوراة : « الرب الهنا رب واحد » (تث ٦ : ٤) وفى التوراة : « ليس مثل الله » (تث ٣٣ : ٢٦)

ومن النبوءات التى فى التوراة عن النبى الآتى الى العالم ، المماثل

---

(٩) يعلق ابن تيمية — وهو من شيوخ الاسلام المشهورين بالعلم وبالورع — على هذا اللقب فيقول : « انه اذا كان الأب فى لغتهم هو الرب ، الذى يربى عبده ، أعظم مما يربى الأب ابنه ، كان معنى لفظ الولادة مما يناسب معنى هذه الأبوة . فيكون المعنى : اليوم جعلتك مرحوما مصطفى مختارا » وقال أيضا : « وحينئذ فلا يكون تسميته ابنا ، لكون الرب ، أو صفته ، اتحدت به ، بل كان سمى داود : ابنا ، وكما سمى اسرائيل : ابنا . فقال : « أنت ابنى بكرى » وهذا فى كتبهم » (جـ ٢ ص٢٣٨ — ٢٣٩ الجواب الصحيح)

لموسى : نبوءة فى المزمور الثانى لداود عليه السلام ، صاغها الكاتب على عادة اليهود مع أنبيائهم وعلمائهم وملوكهم ، ولقبه فيها بلقب « ابن الله » وبلقب « مسيح » ونص النبوءة :

« لماذا ارتجت الأمم ، وتفكر الشعوب فى الباطل . قام ملوك الأرض ، وتآمر الرؤساء معا على الرب وعلى مسيحه ، قائلين : لنقطع قيودهما ولنطرح عنها ربطهما . الساكن فى السموات يضحك . الرب يستهزىء بهم ، حينئذ يتكلم عليهم بغضبه ، ويرجفهم بغيظه . أما أنا فقد مسحت ملكى على صهيون جبل قدسى . انى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك . اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد . مثل اناء خزاف تكسرهم . فالآن يا أيها الملوك تعقلوا . تأدبوا يا قضاة الأرض . اعبدوا الرب بخوف ، واهتفوا برعدة . قبلوا الابن لئلا يغضب ، فتبيدوا من الطريق . لأنه عن قليل يتقد غضبه . طوبى لجميع المتكلين عليه » (١٠) أ. هـ.

فى هذه النبوءة . لقبت التوراة النبى الآتى الى العالم ، بلقب «ابن الله» والمسيح عليه السلام يقول : « ان كل من يرى الابن ويؤمن به تكون له حياة أبدية » وعلى قوله هذا لا يكون المسيح عيسى : « ابن الله » الذى يتحدث عنه داود فى هذه النبوءة .

---

(١٠) قال الامام أحمد بن ادريس القرافى المالكى — وهو من الفقهاء العظام — ان نبوءة التوراة هذه تدل على نبى الاسلام ﷺ — وقوله صحيح لأن عيسى لم يحطم بقضيب من حديد ولم يحارب ولم ينتصر — يقول الامام : « قال داود عليه السلام فى المزامير : « انت ابنى وأنا اليوم ولدتك . سلنى أعطيك الشعوب ميراثك ، وسلطانك الى أقصى الأرض ، ترعاهم بقضيب من حديد ، ومثل آنية الفخار تسحقهم » ومحمد — عليه السلام — هو الذى ورث وبلغ سلطانه أقطار الأرض ، وحاط الأمم ، وسامهم بسيفه . ولم يتفق هذا لداود ، ولا لأحد من بعده . فيكون هو المبشر به . وسمى ابنا ، على العادة القديمة فى تسمية المطيع والنبى ابنا ، كما قال فى التوراة فى اسرائل — عليه السلام — : « ابنى بكرى » (ص ٢٤٨ الأجوبة الفاخرة) .

والنصارى يقولون : ان المسيح عيسى عليه السلام هو الابن . ويعلقون على نبوءة داود بما نصه : « القول القائل : « قال لى أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك » يشير الى أن يسوع المسيح هو ابن الله الآب ، وان ولادته من الآب هو منذ الأزل . اذ أن اليوم فى هذا القول هو الأزل » (١١)

وقد حرفوا نص الانجيل فى نبوءة المائدة على النحو التالى :

١ ــ كتبوا أن بطرس قال للمسيح عليه السلام : « أنت المسيح ابن الله الحى » (يو ٦ : ٦٩) أى « المسيا » الذى ينتظره العالم ، والذى لقبه داود فى سفر الزبور بلقب « ابن الله »

٢ ــ كتبوا أن المسيح قال : « أنا هو الخبز الحى ، الذى نزل من السماء . ان أكل أحد من هذا الخبز يحيا الى الأبد . والخبز الذى أنا أعطى ، هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم » (يو ٦ : ٥١)

أما عن أن عيسى عليه السلام هو المسيا (المسيح) المعهود للعالم ، المنبأ عنه فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . فليس هو . لأنه نفسه اعترف بأنه ليس هو . وأما عن أن عيسى عليه السلام هو « ابن الله » الذى تنبأ عنه داود فى المزمور الثانى . فليس هو . لأن علماء بنى اسرائيل وعلماء النصارى متفقون على ان نبوءة داود هذه ، تشير الى المسيا . وحيث أن عيسى عليه السلام قد اعترف بأنه ليس هو المسيا ، اذن لا يكون هو المراد من نبوءة داود . وكيف يكون هو ، وهو لم يحطم الأعداء بقضيب من حديد ؟

وأما عن قوله : « والخبز الذى أنا أعطى هو جسدى الذى أبذله من أجل حياة العالم » فالنصارى يقولون : ان المسيح يشير بهذا القول الى العشاء الربانى . وهو سر من أسرار الكنيسة المقدسة . وهذا باطل . فان المسيح لم يقتل ولم يصلب من أجل خطايا العالم . فكل امرىء بما كسب رهين .

---

(١١) يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته ص ٩٤

الحديث الثالث

علامات ابن الانسان

تمهيـــــــد :

بعد ما وضح عيسى عليه السلام فى هيكل سليمان أن المسيا لن يكون من نسل داود عليه السلام ، ولم يستطع أحد من الفريسيين والصدوقيين أن يجيبه بكلمة ، وحـــدث اليهود عن خـــراب الهيكل ، وخاطبهم بقوله :
« انكم لا تروننى من الآن ، حتى تقولوا : مبـــارك الآتى باســـم الرب »
خرج من الهيكل فتقدم تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل . فقال لهم يســـوع : أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم : انه لا يترك ههنا حجر عـــلى حجر ، لا ينقض . وفيما هو جالس على جبل الزيتون ، تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين ... الخ

النص :

« تقدم تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل . فقال لهم يسوع : أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم : أنه لا يترك ههنا حجر على حجر . لا ينقض . وفيما هو جالس على جبل الزيتون . تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا : متى يكون هذا ؟ وما هى علامة مجيئك ؟ وانقضاء الدهر ؟ فأجاب يسوع . وقال لهم : انظروا لا يضلكم أحد . فان كثيرين سيأتون قائلين : أنا هو المسيح . ويضلون كثيرين . وسوف تسمعون بحروب واخبـــار حروب . انظروا لا ترتاعوا . لأنه لابد أن تكون هذه كلها ، ولـــكن ليس المنتهى بعد . لأنه تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن ، ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع . حينئذ يسلمونكم الى ضيق ويقتلونكم ، وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمى ، وحينئذ يعثر كثيرون ، ويسلمون بعضهم بعضا ، ويبغضون بعضهم بعضا ،

ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ، ويضلون كثيرين ، ولكثرة الاثم تبرد محبة الكثيرين ، ولكن الذى يصبر الى المنتهى ، فهذا يخلص ، **ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة : شهادة لجميع الأمم ، ثم يأتى المنتهى .**

فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس ، ليفهم القارىء . فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية الى الجبال ، والذى على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا ، والذى فى الحقل ، فلا يرجع الى ورائه ليأخذ ثيابه . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام . وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ، ولا فى سبت ، لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الى الآن ، **ولن يكون .** ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد ، ولكن لاجل المختارين تقصر تلك الأيام . حينئذ ان قال لكم أحد : هو ذا المسيح هنا ، أو هناك . فلا تصدقوا . لأنه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة وعجائب ، حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضا ، ها أنا قد سبقت وأخبرتكم . فان قالوا لكم : ها هو فى البرية فلا تخرجوا . ها هو فى المخادع فلا تصدقوا . لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ، ويظهر الى المغارب ، **هكذا يكون أيضا مجىء ابن الانسان ، لأنه حيثما** تكن الجثة ، فهناك تجتمع النسور .

وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تسقط من السماء ، وقوات السموات تتزعزع ، **وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان فى السماء** ، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، **ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير** ، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت ، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح ، من أقصاء السموات الى أقصائها . فمن شجرة التين تعلموا المثل ، متى صار غصنها رخصا ، وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب . هكذا انتم أيضا : متى رأيتم هذا كله ، فاعلموا أنه قريب على الأبواب . الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله ، السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامى لا يزول . وأما ذلك اليوم ، وتلك الساعة فلا يعلم

بهما أحد ، ولاملائكة السموات ، الا أبى وحده . وكما كانت أيام نوح ، **كذلك يكون أيضا مجىء ابن الانسان** ، لأنه كما كانوا فى الأيام التى قبل الطوفان ، يأكلون ويشربون ، ويتزوجون ، الى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك . ولم يعلموا حتى جاء الطوفان ، وأخذ الجميع . **كذلك يكون مجىء ابن الانسان** . حينئذ يكون اثنان فى الحقل ، يؤخذ الواحد ويترك الآخر ، أثنتان تطحنان على الرحى ، تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى .

اسهروا اذا . لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم ، واعلموا هذا : أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق ، لسهر ولم يدع بيته ينقب . لذلك كونوا أنتم أيضا مستعدين ، **لأنه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الانسان** .

(وهنا يضرب مثلين للاستعداد لمجىء ملكوت السموات وهما : — مثل العذارى العشر ٢ — ومثل الوزنات الخمس ، وقد سبق الحديث عنهما) .

ومتى جاء ابن الانسان فى مجده ، وجميع الملائكة القديسين معه ، فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب ، فيميز بعضهم من بعض ، كما يميز الراعى الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف عن يمينه ، والجداء عن اليسار ، ثم يقول الملك للذين عن يمينه : تعالوا يا مباركى أبى : رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم ، لأنى جعت فأطعمتمونى ، عطشت فسقيتمونى ، كنت غريبا فآويتمونى ، عريانا فكسوتمونى ، مريضا فزرتمونى ، محبوسا فأتيتم الى . فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يارب متى رأيناك جائعا فأطعمناك ، أو عطشانا فسقيناك ، ومتى رأيناك غريبا فآويناك ، أو عريانا فكسوناك ، ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتينا اليك ؟ فيجيب الملك ، ويقول لهم : الحق أقول لكم : بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر فبى فعلتم .

ثم يقول أيضا ، للذين عن اليسار : اذهبوا عنى يا ملاعين الى النار الأبدية ، المعدة لابليس وملائكته ، لأنى جعت فلم تطعمونى ، عطشت فلم تسقونى ، كنت غريبا فلم تأوونى ، عريانا فلم تكسونى . مريضا ومحبوسا فلم تزورونى ، حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين : يارب متى رأيناك

جائعا أو عطشانا أو غريبا أو عريانا ، أو مريضـــا أو محبوسا ، ولم نخدمك ؟ فيجيبهم قائلا : الحق أقول لكم : بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر فبى لم تفعلوا . فميضى هؤلاء الى عذاب أبدى ، والأبرار الى حيـــاة أبدية » (متى ٢٤ : ١ ــ ١ ــ ٤٤ ، ٢٥ : ٣١ ــ ٤٦ ، مرقس ١٣ لوقا ٢١ : ٥ ــ ٣٦)

الشرح والبيان

هذا آخر حديث لعيسى عليه السلام مع تلاميذه ، قبل رحيله عن هذه الحياة الدنيا . وقد رواه متى ومرقس ولوقا بعبارات متشابهة . والغرض منه : مجىء ابن الانسان صـــاحب ملكوت السموات الذى أشار اليه النبى المعظم دانيال ، بعد حدوث علامات ظاهرة على الأرض هى : ١ ــ هدم هيكل سليمان . ٢ــ ظهور أنبياء كذبة ٣ــ قيام حروب بين الأمم . ٤ــ حدوث مجاعات ، وأوبئة ، وزلازل ، وبراكين . ٥ ــ اضطهاد الأمم لتلاميذ المسيح عيسى عليه السلام وأتباعه . ٦ ــ تحريف الانجيل . ٧ ــ انتشار الانجيل فى العالم . ٨ ــ حدوث رجسة الخراب التى أنبأ عن حدوثها النبى دانيال فى مدينة القدس (أورشليم) فى الأصحاح التاسع من سفره . وستكون فى وقت ظهور ابن الانســـان صـــاحب ملكوت السموات ، وأتباعه الأطهار الشبيهين بالملائكة . ويبين لهم : أن صاحب الملكوت مع كونه محاربا عظيما وبطلا منتصرا ، سيميز بين الأخيار والأشرار ، وسيتمتع الأخيـــار فى ملكه بخير وفير . فقد وصـــف المسيح ابن الانسان فى هذا النص بأنه : ١ ــ سيكون ملكا ٢ ــ أتباعه أطهار ٣ ــ محارب منتصر ٤ ــ صـــــاحب شريعة من السماء ٥ ــ فقير ٦ ــ غريب ٧ ــ مضطهد من الناس .

وهذا الحديث واضح تمام الوضوح فى أن المراد منه : مجىء نبى الاسلام ﷺ ودخول اتباعه أرض فلسطين ، ليزيلوا آثار بنى اسرائيل فيها ، ولينشروا الاسلام . وهو واضح فى أن المراد منه مجىء نبى الاسلام ﷺ . لأن دانيال أخبر عن تأسيس ملكوت السموات بعد زوال دولة الروم ، ولقب صاحب الملكوت بلقب ابن الانسان . والمسيح عليه السلام نادى باقتراب هذا الملكوت ، وبتأسيسه من بعده . وهنا يوضح علامات تتم فى

العالم من قبل تأسيس الملكوت . والنصـــارى يقولون : ان ابن الانسان الذى يتحدث عنه المســيح هنا ويبين علامات مجيئه هو صاحب الملكوت الذى أخبر عن ظهوره دانيال ، ويقولون : انه يسوع المسيح ويقولون : ان تأسيس الملكوت كان بعد خمسين يوما من ارتفاع المسيح الى السماء .

ويقول النصارى : ان هذا الحديث من أوله الى آخره ، لا تفهم له معنى . وهم قد قالوا بذلك . لأنهم لم يهتدوا فيه الى كلام يحرفون به الكلم عن مواضعه . وكيف لا يفهمون له معنى ، وفى الانجيل أن المسيح كان يفسر لتلاميذه كل شـــىء (مرقـــــس ٤ : ٣٤) وكيف لا يفهمـــون له معنـــى وأصله فى الأصحاح الثانى والسابع من سفر دانيال ؟ وهم يعرفون أصله نصـــا ومعنى .

وهذا الحديث قد ورد فى متى ومرقس ولوقا . والعبارات التى وضعوها لتحريف النص لم يضـــعوها فى كل انجيل . ومثال ذلك : قول متى عن المسيح : « فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس . ليفهم القارىء » فقوله : « ليفهم القارىء » موضوع للتحريف فى متى ومرقس ، وساقط من لوقا ، لأنه لو كان القائل هـــــو المسيح نفسه ، لقال : ليفهم السامع . ومفسرو النصارى اعترفوا بأن هذا القول من كلام الكاتب ، لا من كلام المسيح (١). ومثال ذلك أيضا : قول متى : ان التلاميذ سألوا المسيح على انفراد « ما هى علامة مجيئك » وفى لوقا ما نصه : « واذ كان قوم يقولون عن الهيكل : انه مزين بحجارة حســـنة ، وتحف . قال : هذه التى ترونها ، ستأتى أيام لا يترك فيها حجر على حجر لا ينقض . فسألوه قائلين : يا معلم . متى يكون هذا ؟ وما هى العلامة عندما يصير هذا ؟ » فعلامة مجيئك عند متى ومرقس موضوعه للبس الحق بالباطل . لأن المسيح يتحدث عن غيره . ولأن المسيح قال : « لست أنا بعد فى العالم » (يو ١٧ : ١١)

---

(١) ٣٣٦ جـ ١ الكنز الجليل .

والنصارى يقولون : لا نفهم لهذا الحديث معنى . لأن المسيح صاغه بعبارات مجازية تشبيهية لا نفهمها . يقول الدكتور فردريك . و. فارار . فى معنى هذا الحديث الذى أورده متى ومرقس ولوقا : « بشىء من الخوف تقدم اليه تلاميذه المقربين المعززين : بطرس ، ويعقوب ويوحنا وأندراوس . وعندما رأوا عينيه مثبتتين على الهيكل ، سألوه على انفراد : (قل لنا : متى يكون هذا ؟ وما هى علامة مجيئك وانقضـــاء هذا الدهر ؟) أما سؤالهم (متى) ؟ فقد ظل فى الحاضر بدون اجابة : وكانت هذه عادة يســوع عندما يسأله أحد سؤالا جهولا ، أو عديم الاحترام ، أو غير لائق . لا يوبخه مباشرة ، وانما يمر عليه مر الكرام ، ويبدل الاجابة بتعليم أدبى عظيم يمت اليه بصلة ، ويجعل للسؤال قيمته ، ولذلك اتخذ من هذا السؤال سبيلا الى حديثه العظيم عن نهاية العالم ، الحديث الذى كان له أربعة مفاتيح : (احترسوا) و (اسهروا) و (اصبروا) و (صلوا) قامت صعوبات كبيرة عن هذا الحديث ، وألفت كتب برمتها لازالتها . وحقيقته : أن اللغــة التشبيهية التي اكتسى بها ، والخفاء المقصود الذى شاءت ارادة الله أن يلبسه لتفاصيل المستقبل ، والذى قد تؤدى معرفته الى استغراب كسول ، أو خوف مهول ، سيجعلان الى الأبد اجزاء منه عسرة الفهم .

(ولكن لا يكون المنتهى سريعا) فى هذا الحديث قد حذرهم يســوع من المسحاء الكذبة ، والأنبياء الكذبة ، واخبرهم أن الحروب القاسية بين الأمم والاضطرابات ، والمصائب التى تتوافت مع أزمان التاريخ العظمى : ما هى الا مبتدأ الأوجاع ، وأول علائم الزمان الآتى . فلا يرتاعوا . وتنبأ عن الاضطهادات المريرة ، وزيادة الاثم ، ونقص الايمان ، والكرازة العامة ، كعلامات على اقتراب النهاية .

والجزء الثانى من هذا الحديث انصب جليا على المستقبل القريب ، تنبأ بوضوح على خراب المدينة المقدسة ، فأعطاهم الآن العلامات المنذرة باقترابه ، كى يطلبوا السلامة لذواتهم . فاذا رأوا المدينة قد أحاط بهــا أعداؤها ، ودامت الرجسة المؤدية للخراب فى المكان المقدس ، فحتى الذين

في الحقول ، والذين على السطوح فليهربوا من اليهودية ، وليلجأوا الى التلال ، التى فى عبر الاردن من البلايا التى لا يعبر عنها والتى ستتبع بعد ذلك ، ولا يجب حتى ذلك الوقت أن يحملوا بخداع كذاب بسبب حدة الاشتياق للآمال المسياوية (٢) . وسيقول لهم البعض : انه هنا وانه هناك ، فلا يجب أن يصدقوا ، لأن مجيئه سيكون مثل البرق الذى يضىء من المشارق الى المغارب ، وسيكون ظاهرا ، ولا يخطئه العالم (٣) »

وفى هذا الحديث مباحث :

(٢) معنى هذا أن المسيا سيأتى من بعد عيسى عليه السلام .
(٣) ص ٦٦٠ — ٦٦٣ حياة المسيح

المبحث الأول : العلامات

العلامة الأولى

هدم هيكل سليمان

« لا يترك ههنا حجر على حجر ، لا ينقض » وقد هدم « أدريانوس » الرومانى هيكل سليمان سنة ١٣٢ أو ١٣٥ ميلادية . مع ملاحظة أن بدء التاريخ الميلادى غير مضبوط . فقد قال الأنبا اثناسيوس : « ان العلماء المحدثين يرون أن السنة التى ولد فيها يسوع المســيح هى قبل سنة ١ م بحوالى أربعة أو خمسة أعوام » (١) وهذه أول علامة تدين النصــارى أبلغ ادانة فى قولهم بأن الملكوت قد تأسس فى اليوم الخمسين لصــعود المسيح الى السماء . لأن الهيكل لم يكن قد هدم ، حتى يأتى ابن الانسان . وماذا يعنى عيسى بهدم الهيكل ؟ يقول النصارى : « هذه النبوءة عن خراب الهيكل النهائى الذى لا اصلاح له : تتضمن نبوءة عن انقضاء عهد الكهنوت اللاوى ، والناموس الطقسى (٢) » ونقول لهم : اذا كان خراب الهيكل يعنى انقضاء عهد الكهنوت فى أبناء لاوى بن يعقوب ، وينهى العمل بالتوراة . فلماذا أنتم متمسكون بالتوراة ؟ ولماذا أنتم متمسكون بعيسى على أنه مشرع منفصل عن موسى ، مع أنه من سبط لاوى ؟ واذا كان خراب الهيكل يعنى : انتهاء عهد ، وبدء عهد . فالذى أسس ملكوته الأرضى بعد خراب الهيكل ، وعلى أنقاض الهيكل ، يكون أولى بالاتباع ، خاصة وأنه ليس من سبط لاوى . بل من نسل اسماعيل الذى بارك الله فى ذريته .

والسؤلان اللذان تقدم بهما التلاميذ ، لما أروه أبنية الهيكل ، وتنبأ لهم بهدمه ، وهما : ١ ــ متى يكون هذا ؟ ٢ ــ وما هى علامة مجيئك ، وانقضاء الدهر ؟ ؟ هما لغرض واحد ، وهو بدء تأسيس ملكوت السموات ،

---

(١) ص ٥٥ تفسير متى ــ أثناسيوس .

(٢)ص ١١٧ ــ ١١٨ تفسير متى ــ متى هنرى جـ ٤

الذى أخبر دانيال عن تأسيسه ، بعد هدم هيكل سليمان فى أورشـــليم (القدس) وقد حذف مرقس ولوقا : « ما هى علامة مجيئك ؟ » فى ذكرهما لهذا النص ، وحذف مرقس ولوقا : « انقضاء الدهر » أيضا فى هـــذا النص . يقول مرقس : « متى يكون هذا ؟ وما هى العلامة عندما يتم جميع هذا » ؟ ويقول لوقا : « يا معلم . متى يكون هذا ؟ وما هى العـــلامة عندما يصير هذا ؟ » وعلى ذلك . فالمراد من « مجيئك » : هو مجىء الآتى من بعده ، على نهجه ، من باب الاحترام والتقدير . والمراد من انقضـــاء الدهر : هو انقضاء الملك ونسخ الشريعة فى بنى اسرائيل . واذا لم يكن هذا هو المراد . فان « علامة مجيئك » تكون موضوعة للبس الحق بالباطل ، لأنها لم ترد عند مرقس ولوقا ، ولأن يوحنا لم يذكر الحديث برمته ولأن المسيح نفســـه قد قال : « لست أنا بعد فى العالم » (يو ١٧ : ١١)

وتفسير النصارى لهذين السؤالين يذكره متى هنرى هكذا :

١ ـــ « يظن البعض أن هذه الأسئلة كلها تشـــير الى أمر واحد ، أى خراب الهيكل ، وانقضاء عهد الكنيسة اليهودية والأمة اليهودية . الامر الذى قال عنه المسيح « فان ابن الانسان سوف يأتى فى مجد أبيه مـــع ملائكته ، وحينئذ يجازى كل واحد حسب عمله ، الحق أقول لكم : ان من القيام ههنا قوما ، لا يذوقون الموت ، حتى يروا ابن الانسان آتيا فى ملكوته » (متى ١٦ : ٢٧ ـــ ٢٨)

٢ ـــ ويظن الآخرون أن سؤالهم « متى يكون هذا ؟ » يشير الى خراب أورشليم ، أما السؤالان الأخيران فيشيران الى نهاية العالم .

٣ ـــ أو أن مجىء المسيح يشير الى تأسيس ملكوته ، وأن انقضاء العالم يشير الى يوم الدينونة (القيامة)

٤ ـــ أو أنهم ظنوا : أن خراب الهيكل لابد أن يكون هو نهاية العالم . فان خرب الهيكل لا يمكن أن يبقى العالم » ثم يقول متى هنرى بعد سرد هذه الآراء : « ليس من السهل تحديد تفسير معين لسؤالهم » (٣)

---

(٣) ص ١١٩ جـ ٤ تفسير متى ـــ لمتى هنرى

وقوله ان من القيامة ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان : هذا القول كناية عن سرعة مجىء زمن ابن الانسان .

ونقول : ان الرأى الأول — الذى ذكره متى هنرى — هو الصواب . لأن المسيح عيسى — عليه السلام — يتحدث عن خراب الهيكل وخراب أورشليم ، لغرض انقضاء عهد الملك والنبوة فى بنى اسرائيل ، وبدء عهد الملك والنبوة فى بنى اسماعيل . وقول البعض منهم : ان عيسى سيأتى بعد انقضاء ذلك العهد ، وانتهاء ذلك العصر اليهودى ، ليحكم فى الأرض حكما روحيا . فان الانجيل يرده ، كما ذكرنا . ومجيئه فى النص — ان كان النص صحيحا — يعنى مجىء الآتى باسمه ، كما عبر لوقا عنه فى قوله حكاية عن المسيح : « ان كثيرين سيأتون باسمى قائلين : انى أنا هو ، والزمان قد قرب » (لوقا ٢١ : ٨) أى سيظهر انبياء كذبة . يدعى كل واحد منهم أنه الذى بشر به المسيح ، ويقول : انى أنا هو الذى بشر به المسيح . والذى يأتى باسم عيسى — صادقا — يكون كأنه هو ، من باب الاحترام والتقدير ، كما قال النبى ﷺ لسلمان الفارسى — رضى الله عنه — « لئن كنت صدقتنى يا سلمان ، لقد لقيت عيسى بن مريم (٤) » وتعبير لوقا : « الزمان قد قرب » هو كناية عن سرعة مجىء الملكوت وصاحبه . وان لا يعترف النصارى بهذا المعنى الكنائى ، ويصرون على أن ابن الانسان هو يسوع المسيح ، يلزمهم كذب الانجيل . فان المعاصرين لعيسى عليه السلام ، ماتوا من قبل أن يرى أحد منهم ابن الانسان قد أتى فى ملكوته . واذا قالوا : ان الملكوت روحى ، وقد تأسس فى عيد الخمسين بعد رفع المسيح الى السماء . نقول لهم : ان الأحداث التى اشار اليها عيسى عليه السلام ، ما كان شىء منها قد حدث بالفعل . فلم تظهر الأنبياء الكذبة ، ولم تقم الحروب بين الأمم ولم تحدث المجاعات والأوبئة ، ولم يكن الانجيل قد انتشر فى العالم الى آخر العلامات الواردة فى هذا الحديث .

العلامة الثانية

ظهور الأنبياء الكذبة

« سيقوم مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة » وفى الفترة ما بين عيسى ، ونبى الاسلام — عليهما السلام — ظهر كثيرون من أدعيا النبوة « يحدثنا

---

(٤) السيرة النبوية لابن كثير ص ٣٠٤ جـ ١

يوسيفوس عن كثيرين من هؤلاء المدعين ، الذين ظهروا بين ذلك الوقت ، وخراب أورشليم أحدهم (ثوداس) الذى هزم أمام (كوسبيوس فاروس) وآخر غلب على أمره أمام (فليكس) وغيرهما أمام (فستوس) وقـــال (دوستيوس) : انه هو المسيح الذى تنبأ عنه موسى (٥) ... وفى الأجيال المتعاقبة وجد أمثال هؤلاء المدعين ، ظهر واحد بعد المسيح بمئة سنة دعا نفسه (باركو كوباس) أى ابن نجم (٦) » وقد تحدث لوقا فى سفر الأعمال عن (ثوداس) الذى تحدث عنه يوسيفوس ، وعن رجل آخر اســـمه (يهوذا) الجليلى فقال : « قبل هذه الأيام قام ثوداس قائلا عن نفســـه انه شىء . الذى التصق به عدد من الرجال نحو أربعمائة ، الذى قتل وجميع الذين انقادوا اليه تبددوا وصاروا لا شىء . بعد هذا قام يهوذا الجليلى ... الخ » (أعمال ٥ : ٣٦ ـــ ٣٧) ولقد كتب لوقا سفرالأعمال كما يقول النصارى حوالى سنة ٦٠ ـــ ٦٢ بعد الميلاد . وكتب يوسيفوس المؤرخ العبرى تاريخه بعد سنة ٩٤ ميلادية (٧) . الأمر الذى يثبت ان الملكوت لم يتأسس يوم الخمسين . كما يقول النصارى . بل بعد ذلك فى مجىء الاسلام . وقد ظهر بعد كتابة لوقا لسفر الأعمال (مونتانوس) و (مانى) الفارسى وادعى كل منهما أنه « بيرقليط » الذى وعد به عيسى عليه السلام .

العلامة الثالثة

حروب تقوم بين الأمم

« تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة » يفسر النصارى هذه العبارة بقولهم : « يقوم جزء أو مقاطعة من الأمة اليهودية على الجزء الآخر . تقوم مدينة على أخرى . وفى المقاطعة الواحدة أو المدينة الواحدة يقوم حزب على الآخر فيحطم بعضهم بعضا ، ويلتهم بعضهم بعضا » (٨)

---

(٥) هذا يدل على أن المسيح الحقيقى ما كان قد أتى بعد .
(٦) نقلا عن تفسير متى هنرى لمتى ص ١٢٤ ـــ ١٢٥ جـ ٤ .
(٧) ص ٩٢ شرح سفر أعمال الرسل ـــ براون .
(٨) تفسير متى هنرى جـ ٤ ص ١٢٨ .

وهذا غير سديد . لأن النص يوضح أمة فى مقابل أمة ، لا احزاب يقتل بعضهم بعضا من الأمة الواحدة . ولماذا لا تتعدى الحروب منطقة اسرائيل الى أمم العالم وممالك العالم ؟

لقد أحدث اليهود شغبا فى الأرض فأدبتهم روما سنة ٧٠ من الميلاد بقيادة تيطس ، ثم لما عادوا بالثورة جاءهم ادريانوس سنة ١٣٥ من الميلاد فحطمهم تحطيما . وكانت الدولة الرومانية دولة شاسعة الأطراف . فانقسمت الى شرقية وغربية . « وكان آخر قياصرة الغرب الامبراطور (روملو أوجسطولو) وتقتصر سلطته على ايطاليا وحدها . الذى عزله القائد (ادوكو) فى عام ٤٧٦ م وأعلن انتهاء الدولة فى الغرب ، والاكتفاء بالامبراطور الحاكم فى القسطنطينية » (٩) ثم ان دولة فارس غلبت الدولة الرومانية الشرقية ، ثم هزمت الدولة الرومانية الشرقية دولة فارس . — كما هو مشهور من كتب التواريخ — فهذه العلامة لا تنطبق على تأسيس ملكوت السموات يوم الخمسين . بل تنطبق على زمن نبى الاسلام ﷺ .

ومع أن عيسى يتنبىء بقيام أمة على أمة ، يقول مع هذا : « ليس المنتهى بعد » أى أنه مع وجود الحروب لابد من فترة انتظار بعد الحروب ، وهذا لا ينطبق على يوم الخمسين .

وهذه الحروب التى أشار اليها عيسى قبل مجىء المسيح (المسيا) الذى هو نبى الاسلام ﷺ نجد لها صدى فى كتب اليهود . فبعضهم يؤمن بأن الحروب والكوارث لابد أن تسبق مجىء المسيا يقول الدكتور اسعد رزوق : « ان الربانيين فى التلمود ، لا يجمعون على رأى واحد حول كيفية الاستعداد لمجىء المسيا ، فهو تارة يأتى متى شاء ، وطورا تسبقه الحروب والكوارث التى ترافق آلام المخاض ، وطلقات الولادة (١٠) »

---

(٩) ص ١٥ دورة روما الأولبية ١٩٦٠م
(١٠) ص ٢٤٧ التلمود والصهيونية

العلامة الرابعة

المجاعات والأوبئة والزلازل

« وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن » وأول مجاعة نقرأ عنها فى الانجيل كانت فى فلسطين بين سنة ٤٥ و ٤٨ ب . م وحدثت مجاعة فى روما بين سنة ٤١ — ٤٥ ب . م فى عصر كلوديوس قيصر فكيف يقول النصارى بتأسيس الملكوت ومجىء ابن الانسان فى يوم الخمسين ؟ يقول لوقا فى سفر الأعمال : « وفى تلك الايام انحدر أنبياء (١١) من أورشليم الى أنطاكية ، وقام واحد منهم اسمه أغابوس ، وأشار بالروح أن جوعا عظيما كان عتيدا أن يصير على جميع المسكونة ، الذى صار أيضا فى أيام كلوديوس قيصر ، فحتم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم . أن يرسل كل واحد شيئا ، خدمة الى الأخوة الساكنين فى اليهودية ، ففعلوا ذلك مرسلين الى المشايخ بيد برنابا وشاول » (أعمال ١١ : ٢٧ — ٣٠) . يقول الدكتور لورانس براون فى تفسيره : « ألهم أحد الأنبياء — واسمه أغابوس — أن يعلن نبأ وقوع مجاعة فى العالم . ويقول لنا لوقا : ان المجاعة حدثت فعلا فى عصر كلوديوس ، ويشير المؤرخون الى وقوع مجاعات محلية كثيرة فى أنحاء الامبراطورية الرومانية . لا مجاعة واحدة فى حكم كلوديوس (٤١ — ٤٥ ب . م) ولعل لوقا اتخذ من هذا كله دليلا كافيا على تحقيق النبوة . وقد وقعت المجاعة الفعلية فى فلسطين بين سنة ٤٥ و ٤٨ ب . م وربما كانت النبوة بين سنة ٤٣ و ٤٤ ب . م وان كانت أنباء المجاعات فى انحاء العالم الأخرى ، قد بلغت اليهودية ، فمن المحتمل أن يكون المسيحيون اليهود فى أورشليم ، راحوا يفكرون فى أمرهم اذا داهمتهم المجاعة فى عقر دارهم (١٢) »

هذا عن المجاعات ، وأما عن الأوبئة . فانها تحل بالعالم نتيجة المجاعات والمجاعات تأتى عقب الحروب غالبا . وأما عن الزلازل فالمراد بها الشدائد

---

(١١) أنبياء = علماء

(١٢) ص ١٥٣ شرح سفر أعمال الرسل — براون

المروعة . ففى سفر أشعياء : « ليدخل فى نقر الصخور ، وفى شقوقه المعاقل من أمام هيبة الرب ، ومن بهاء عظمته عند قيامه ليرعب الأرض » (أشعياء ٢ : ٢١) « ليرعب الأرض » تترجم عند الآباء اليسوعيين « تزلزل » أو « يهز » حسب الترجمة الانجليزية .

وهذه المجاعات والأوبئة والزلازل اذا حدثت لا يأتى ابن الانسان بعدها مباشرة . بل ذلك كله هو كما عبر المسيح : « مبتدأ الأوجاع » وكلمة « الأوجاع » تدل فى أصلها اليونانى على الأوجاع التى تسبق الولادة ؛ ولذا ترجمت فى كل من ترجمة اليسوعيين والترجمة القبطية : بكلمة « المخاض » (١٣)

العلامة الخامسة

الاضطهادات

« حينئذ يسلمونكم الى ضيق ويقتلونكم ، وتكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسمى » وقد حدث هذا بعنف قبل مجىء نبى الاسلام ﷺ . اما قبل يوم الخمسين فقد كان التلاميذ « لهم نعمة لدى جميع الشعب » (أعمال الرسل ٢ : ٤٧) ومن هذه الاضطهادات (١٤) :

١ ــ اضطهاد نيرون سنة ٦٤ ميلادية ٢ ــ اضطهاد دومنيانوس سنة ٩٠ ميلادية ٣ ــ اضطهاد تراجان سنة ١٠٦ ميلادية ٤ ــ اضطهاد دقلديانوس سنة ٢٨٤ ميلادية .

العلامة السادسة

تحريف الانجيل

« وحينئذ يعثر كثيرون ، ويسلمون بعضهم بعضا ، ويبغضون

---

(١٣) ص ١٣٢ جـ ٤ متى ــ هنرى

(١٤) انظر تاريخ الأقباط جـ ١ ص ١٠١ ــ ١٠٨

بعضهم بعضا ، ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ، ويضلون كثيرين ، ولكثرة الاثم تبرد محبة الكثيرين » بعدما تحدث المسيح عن الاضطهادات ، بدأ يتحدث عن نتائج الاضطهادات . فأورد ثلاث نتائج :

الأولى : ارتداد البعض . يتعثرون أولا فى نصرانيتهم ، ثم يعثرون عنها . يبدأون بالتذمر ، ثم تفتر محبتهم فيها ، ثم يملونها . وأخيرا يتمردون عليها .

الثانية : خبث الآخرين . أى أن الخائنين الذين تركوا دينهم يسلمون الى الولاة والحكام ، من كان لا يزال متمسكا بالنصرانية . ومن يدعون صداقته .

الثالثة : الفتور العام والبرود الشامل بين الأغلبية . وهذان الأمران — الفتور والبرود — يتوقعان فى أوقات الضلالات عند قيام الأنبياء الكذبة ، وفى أوقات الاضطهادات ، عندما يبغض الصالحون .

وقد تحدث الانجيل عن قوم آمنوا بالمسيح ثم ارتدوا . يقول يوحنا فى الرسالة الأولى « وكما سمعتم أن ضد المسيح يأتى ، قد صار الآن أضداد للمسيح كثيرون . من هنا نعلم انها الساعة الأخيرة . مناخرجوا . لكنهم لم يكونوا منا . لأنهم لو كانوا منا ، لبقوا معنا » (يوحنا الأولى ٢ : ١٨ — ١٩) وهذا يعنى على أقل تقدير أن الملكوت لم يتأسس فى يوم الخمسين .

وقد اتفقت كلمة المؤرخين على أن النصرانية الحالية قد اعترف بها القيصر الرومانى قسطنطين فى سنة ٣٢٥ ميلادية . ولا شك أنها تختلف كثيرا عما نادى به المسيح عيسى عليه السلام . وعلى سبيل المثال : تقول التوراة بوحدانية الله وأنه لا يرى ، ولا يمكن لأحد أن يراه ، وليس مثل الله . والمسيح الذى جاء مصدقا للتوراة يقول بعضهم انه هو الله ظهر فى الجسد . وتقول التوراة ان لا نبى من بنى اسرائيل كموسى ، وهم يقولون ان عيسى هو النبى المماثل لموسى الذى وعد به فى سفر التثنية .

العلامة السابعة

انتشار الانجيل فى العالم

ويتنبأ عيسى عليه السلام عن التبشير بالانجيل فى كل العالم قبل مجىء المسيا وملكوته . ولم يحدث هذا الا قبل مجىء نبى الاسلام ﷺ « ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة ، شهادة لجميع الأمم ثم يأتى المنتهى » ويلاحظ فى هذا النص : أن الانجيل دعى بشارة الملكوت ، وليس هو كتاب الملكوت . هو أولا . وكتاب الملكوت ثانيا . فبشارة الملكوت هى الانجيل ، وكتاب الملكوت هو القرآن . وهذا يبطل قول النصارى : ان الانجيل هو كتاب الملكوت نفسه ، ويبطل قول النصارى أيضا : ان الملكوت هو عصر الانجيل وقد تأسس فى يوم الخمسين بعد حلول الروح القدس . لأن قوله : « ثم يأتي المنتهى » اشارة الى الوقت الذى ينتهى فيه عصر الشريعة اليهودية ، وهدم الهيكل ، وتأسيس ملكوت السموات بعد حدوث العلامات كلها . بدليل سؤال التلاميذ : « متى يكون هذا ؟ وما هى العلامة عندما يصير هذا ؟ » لما أروه أبنية الهيكل ، وقال لهم : « لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض » فالكلام كله منصب على انقضاء الأمة اليهودية بطقوسها وشعائرها ، وهو الذى يعبر عنه عيسى عليه السلام بقوله : « ثم يأتى المنتهى » وبعد أن ينتشر الانجيل شهادة لجميع الأمم يأتى « مشتهى كل الأمم » ويتأسس ملكوت المسيح المنتظر ، الذى هو ملكوت نبى الاسلام ﷺ . لأن لاسماعيل بركة .

ويعرض متى هنرى وجهة نظر النصارى فى هذا التعبير فيقول :

١ ــ المفهوم ضمنا : أن الانجيل كان لابد أن يسمع ، أو على الأقل يسمع عنه ، فى كل العالم المعروف وقتئذ ، قبل خراب أورشليم ، وأن كنسية العهد القديم لا تنحل تمام الانحلال قبل استقرار كنيسة العهد الجديد . وتوطيد أساساتها . وبعد أربعين سنة من موت المسيح خرج صوت الانجيل الى كل الأرض (رو ١٠ : ١٨) وبولس الرسول أكمل التبشير بالانجيل من أورشليم ، وما حولها الى الليريكون (رو ١٥ : ١٩) والرسل الآخرون

لم يكونوا كسالى . لقد ساعد اضطهاد القديسين فى أورشليم على تشتيتهم حتى أنهم جالوا فى كل مكان مبشرين بالكلمة (١ ع ٨ : ١ — ٤) وعندما تصل أخبار الفادى الى اقصاء العالم حينئذ تزول دولة اليهود . وهكذا نرى أن ما ظن اليهود ان يتحاشوه بقتل المسيح ، قد تمموه هم بأنفسهم ، بنفس الوسيلة . فالجميع آمنوا به ، وأتى الرومانيون (١٥) وأخذوا موضعهم وامتهم (يو ١١ : ٤٨) وبولس يتحدث عن وصول الانجيل الى كل العالم ، والكرازة به في كل الخليقة (كو ١ : ٦ — ٣٢)

والمفهوم ضمنا أيضا : انه حتى فى أوقات التجارب والضيقات لابد من الكرازة ببشارة الملكوت وانتشارها ، ولابد أن يشق الانجيل طريقه وسط اشد المقاومات . سوف يكرز بالانجيل ، ولو اشتدت نيران أعداء الكنيسة ، وفترت محبة محبيها ، وحتى ان سقط الكثيرون بالسيف وباللهب . وفسد الكثيرون بالتملقات . فان الشعب الذين يعرفون الههم تشتد سواعدهم ، ليأتوا أجل الأعمال بتعليم الكثيرين (انظر دا ١١ : ٣٢ — ٣٣) وانظر دليلا على هذا فى (فى ١ : ١٢ — ١٤)

٣ — على أن المقصود هنا بصفة أخص : هو أن نهاية العالم سوف لا تأتى الا حينما يعمل الانجيل عمله فى العالم ، سوف يكرز بالانجيل ، ويتم هذا العمل حينما تكونوا أمواتا ، وهكذا يكون أمام كل الأمم ، أولا أو آخرا : اما أن تتمتع بالانجيل أو ترفضه « ثم يأتى المنتهى » — « متى سلم الملك لله الآب » (١ كو ١٥ : ٢٤) متى انتهى سر الله ، وكمل الجسد الرمزى وتغيرت الأمم ، وخلصت بالانجيل أو دينت ، وابكمت به « ثم يأتى المنتهى » الذى سبق أن تكلم عنه فى ع ٦ ، ٧ والذى لا يأتى الا بعد اتمام هذه الأحداث المتوسطة ، سوف يبقى العالم ، طالما بقى واحد من مختارى

---

(١٥) فى برنابا : الاسماعيليون بدل كلمة الرومانيين : وما فى برنابا صحيح ، لأن الرومانيين قد احتلوا فلسطين قبل ولادة المسيح ولم يطردهم منها الا نبى الاسلام ﷺ .

الله ، لم تصله الدعوة ، ولكن حينما يجمع الجميع ، فحينئذ يحرق العالم في الحال » (١٦)

الرد عليه :

ونرد على متى هنرى قوله : بأن هذا الحديث كله من أوله الى آخره ، يشير الى حدث واحد لا حوادث مجزأة ، حدث واحد يظهر بعد خراب الهيكل ، وظهور الأنبياء الكذبة ، والمجاعات والأوبئة والزلازل ، والاضطهادات ، وسماع بشارة الانجيل فى العالم المعروف وقتئذ . حدث واحد يأتى بعد هذا كله .. فبأى حق يقسم متى هنرى وغيره من المفسرين هذه الدلالات لتشير الى حوادث مجزأة ؟ قالوا مثلا : بعد خراب الهيكل توطد ملك عيسى الروحى على الأرض ، وكان قد تأسس يوم الخمسين لصعوده الى السماء ، فلماذا لا يقال عن بشارة الملكوت وهى انتشار الانجيل : انه بعد الانتشار الواسع يأتى شىء فى هذه الحياة الدنيا كنظيره فى الأحداث السابقة التى هى خراب الهيكل ، والأنبياء الكذبة ، وغيرهما ، بدل أن يقولوا : بعد انتشار الانجيل تقوم القيامة ، وتنتهى الدنيا ؟ يقول متى هنرى : « على أن المقصود هنا بصفة أخص : هو أن نهاية العالم سوف لا تأتى الا حينما يعمل الانجيل عمله فى العالم » ونسأله : هذه الصفة الأخص : من خصصها ؟ والحديث كله منصب على انقضاء الأمة اليهودية بطقوسها وشعائرها ، وهو الذى يعبر عنه عيسى بقوله : « ثم يأتى المنتهى » ثم ماذا يقول متى هنرى للنصارى الذين روى عنهم : « ان هذه الأسئلة تشير كلها الى أمر واحد ، أى خراب الهيكل ، وانقضاء عهد الكنيسة اليهودية والأمة اليهودية (١٧) » ؟

وعبارة « ثم يأتى المنتهى » يقصد منها متى هنرى : انه فى نهاية العالم وساعة حدوث يوم القيامة ، ينزل عيسى من السماء ويثبت الأبرار على برهم ، ويعاقب الفجار على اثمهم ، ثم يسلم الملكة وعظمة السلطان

---

(١٦) ص ١٣٩ — ١٤٠ ج ٤ تفسير انجيل متى .
(١٧) ص ١١٩ ج ٤ المرجع السابق .

الى الله عز وجل ، وعندئذ تنتهى مهمة عيسى عليه السلام . ومن ينظر منهم فى عقائدهم بأدنى نظر ، لا يسلم بقوله هذا . لأنه اذا سلم عيسى الملك لله عز وجل ، فقد ثبت أن هناك الهان أحدهما يقوم بعملية التسليم والثانى يقوم بعملية التسلم ، وهذا لا تقول به طائفة الأرثوذكس التى تعتقد أن عيسى نفسه هو الله ، والله هو عيسى — تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا —

العلامة الثامنة

حدوث رجسة خراب دانيال

ويظهر عيسى — عليه السلام — علامة مميزة للمسيا ، من التوراة نفسها . فيقول : « فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى ، قائمة فى المكان المقدس . ليفهم القارىء » ورجسة خراب دانيال ، مقترنة بمجىء المسيا ، الذى ينتظره أهل الكتاب ، ليزيل الدولة الرومانية . ولقد كان من أسباب الصراع بين الدولة الرومانية وبين النصارى : ايمان النصارى بأن « المملكة الوحيدة الخالدة ليست روما . ولا الامبراطورية الرومانية . وانما هى مملكة المسيح ، أى ملكوت الله ، وآمنت الكنيسة منذ بدايتها الأولى : أن نهاية العالم وشيكة الوقوع » (١)

والنصارى الى الآن : لا يجدون تبريرا لرجسة خراب دانيال . يقول الدكتور وليم أدى الأميركانى : « لا ريب أن الرسل — أى التلاميذ — عرفوا ما أراد المسيح برجسة الخراب ، لكن يعسر علينا الآن معرفته (٢) » ويقول الدكتور وليم : انها فى سفر دانيال ٩ : ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ١٢ ، ١١(٣) ويزيد عليه متى هنرى ما جاء فى سفر دانيال ١١ : ٣١ مع اتفاقه معه فى أن النصارى لا يجدون تبريرا للمراد من رجسة خراب دانيال (٤) وبالاضافة

(١) ص ٣٥ حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العالمى .
(٢) ص ٣٣٦ جـ ١ الكنز الجليل .
(٣) المرجع السابق .
(٤) ص ١٤٢ جـ ٤ تفسير انجيل متى لمتى هنرى .

الى ذلك : نجدهم مختلفين فى ترجمة هذه الفقرة : « وعلى جناح الأرجاس مخرب » أو « وفى الهيكل رجسة الخراب » حسب هامش الكتاب ، وهى الترجمة السبعينية أو « وفى جناح الهيكل تقوم رجسة الخراب » حسب ترجمة اليسوعيين أو « مع الجيوش الرجسة » حسب هامش الترجمة الانجليزية (٥) »

ورجسة خراب دانيال ليست محيرة الى هذا الحد ، ولكنهم من امام الحقائق يهربون ، ويتعللون بالابهام والغموض ، ان رجسة الخراب تعنى : ازالة بنى اسرائيل ، وسلطانهم من الأرض المقدسة ، أرض فلسطين على يد نبى الاسلام ﷺ ».

جاء فى كتاب تاريخ العرب المطول للدكتور فيليب حتى ، والدكتور ادورد جرجى ، والدكتور جبرائيل جبور ، ما نصه : « ولما سلمت القدس ، جاءها عمر زائرا وأنفذ صلح أهلها ، وكتب لهم به ، فاستقبله بطريرك أورشليم صفرونيوس ، الملقب بـ « حامى الكنيسة المعسول اللسان » وطاف به على أنحاء البلدة وأراه الأماكن المقدسة . وكان لهيئة الخليفة البسيطة ، ولباسه الرث ، أثر عظيم فى نفس صفرونيوس ، فالتفت الى أحد مرافقيه ، وكلمه باليونانية قائلا : حقا هذا رجس الخراب الذى تكلم عنه النبى دانيال ، ورآه قائما فى المقدس » وكتبوا فى الهامش هذا المرجع :

Theophores, P. 339 Coustantion Porphyrogenitus, « De administrando imperio» in I.P. migne, Patrologia Vol. ex. III (Paris, 1891) Col. 109 (٦)

ويقول الدكتور رياض باردى « فى شتاء سنة ٦٣٧ ميلادية حاصرت جيوش الخليفة عمر بن الخطاب القدس ، وبعد حصار قاس دام أربعة أشهر أبدى ممثل المدينة المطران سفرونيوس رغبته بالتسليم الى الخليفة

---

(٥) المرجع السابق .

(٦) ص ٢٠٨ القسم الثانى من تاريخ العرب المطول — بيروت — دار الكشاف ١٩٥٨ .

بذاته ، فحضر الخليفة ، ولما اقترب من باب المدينة استقبله المطران والشعب بحماسة شديدة ، وكان لها تأثير كبير على نفسه ، فمنح المسيحيين من حقوق العبادة وحرية التصرف ما لم يحلم به فاتح فى التاريخ ، ومنحهم حرية الاعتقاد والقول والتصرف ضمن الولاية ، ومشى مع المطران لزيارة كنيسة القيامة ، فلما دنا وقت الصلاة خرج الى السلم الشرقى ، وصلى خارجا كى لا يتخذ خلفاؤه ما عمله — لو بقى فى الداخل وصلى — حجة لمصادرة الكنيسة لصالح الاسلام .

وفى قاموس التوراة (صفحة ١٠١٦) أن الخليفة سأل المطران فى سياق حديثه رأيه فى مكان بناء مسجد اسلامى فأيد البناء على الصخرة النبى نام عليها يعقوب ورأى حلمه العجيب والواقعة ضمن بناء هيكل سليمان الذى كان حينئذ كومة خراب ، وكان أن بنى جامع عمر على أسس الهيكل (حائط المبكى) فى نحو السنة ٦٤٠م . وقد أثبت المؤرخ سدرنيوس فى كتابه (صفحة ٤٢٦) أن سفرونيوس مطران أورشليم صرح للمحيطين به حينئذ : أن المسجد الجديد يحقق نبوءة دانيال الواردة بشأن قيام البناء الغريب مكان الهيكل » (٧)

وقال يوسيفوس لعلماء بنى اسرائيل أثناء حرب تيطوس سنة سبعين من الميلاد : « انى لست أعجب من خراب هذا البيت ، وهذه المدينة ، لعلمى أن مدتهما قد انتهت . لكنى أعجب منكم ، وأنتم تقرأون كتاب النبى المعظم دانيال ، وتعلمون ما ذكره من ابطال القرابين ، وعدم الكاهن

---

(٧) ص ٨٠ — ٨١ اليهودية العالمية من زمن ابراهيم الى وقتنا الحاضر .

ولاحظ أنه يطلق اسم المسجد الأقصى قديما على ساحة الحرم الشريف فى القدس ، وهى ساحة كبيرة محاطة بسور ، يوجد بداخله مسجد قبة الصخرة والمسجد الأقصى المتميز الآن . والمسجد الاقصى المتميز الآن يقع داخل السور جنوبى مسجد قبة الصخرة . وجدار السور الغربى يسمى حائط المبكى وسمى كذلك لأن اليهود اعتادوا زيارته للبكاء على مجدهم الضائع (ص ٧٥ و ١١٤ — ١١٥ بيت المقدس فى الاسلام)

المسيح ، وزوال المسحة ، وترون ذلك قد صح وثبت ، وأنتم بعد ذلك لا تخضعون لله عز وجل ، ولا تستسلمون (٨) »

وهذا هو نص حديث دانيال الذى أشار علماء النصارى الى أنه هو المقصود برجسة الخراب . يقول دانيال : « ٢٠ — بينما أنا أتكلم وأصلى واعترف بخطيتى وخطية شعبى اسرائيل وأطرح تضرعى أمام الرب الهى ، عن جبل قدس الهى ٢١ — وأنا متكلم بعد بالصلاة اذا بالرجل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا فى الابتداء مطارا واغفا . لمسنى عند وقت تقدمة المساء ، ٢٢ — وفهمني وتكلم معى ، وقال يا دانيال انى خرجت الآن لأعلمك الفهم ، ٢٣ — فى ابتداء تضرعك خرج الأمر ، وأنا جئت لأخبرك ، بأنك انت محبوب . فتأمل الكلام وافهم الرؤيا ٢٤ — سبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ، ولكفارة الاثم وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ، ولمسح قدوس القدوسين ٢٥ — فاعلم وافهم أنه من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها الى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا يعود ويبنى سوق وخليج فى ضيق الأزمنة ، ٢٦ — وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له ، وشعب رئيس آت ، يخرب المدينة والقدس وانتهاؤه بغمارة ، والى النهاية حرب ، وخرب قضى بها ، ٢٧ — ويثبت عهدا مع كثيرين فى أسبوع واحد ، وفى وسط الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة وعلى جناح الأرجاس مخرب حتى يتم ويصب المقضى على المخرب » (دانيال ٩ : ٢٠ — ٢٧)

وفى ترجمة الكاثوليك نجد النص هكذا : « بينما كنت أتكلم وأصلى وأعترف بخطيئتى ، وخطيئة شعبى اسرائيل ، وألقى تضرعى أمام الرب الهى ، لأجل جبل قدس الهى . بينما كنت أتكلم بالصلاة . اذا بالرجل جبرائيل الذى رأيته فى الرؤيا عند البداءة قد طار سريعا ، ولمسنى فى وقت تقدمة المساء . وبين وتكلم معى . وقال يا دانيال : انى خرجت الآن : لأعلمك

(٨) انظر فصل شيلون من هذا الكتاب .

فتفهم : عند بداءة تضرعاتك خرجت الكلمة وأتيت أنا لأخبرك بأنك وجل رغائب . فتأمل الكلمة وافهم الرؤيا : ان سبعين أسبوعا حددت علـى شعبك ، وعلى مدينة قدسك ، لافناء المعصية ، وازالة الخطيئة ، وتكفير الاثم ، والاتيان بالبر الأبدى ، واختتام الرؤيا والنبوءة ، ومسح قدوس القديسين . فاعلم وافهم أنه من صدور الأمر باعادة بنـاء أورشـليم الى المسيح الرئيس سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا . فتعود تبنى السوق والسور فى ضيق الأوقات ، وبعد الاسابيع الاثنين والستين يقتل المسيح . والشعب الذى ينكره لا يكون له ، وشعب رئيس آت يدمر المدينة والقدس ، وكما بالطوفان يكون انقضاؤها . والى انقضاء القتال يكون التخريب المقضى . وفى أسبوع واحد يبت لكثيرين عهدا ثابتا ، وفى نصـف الأسبوع يبطل الذبيحة والتقدمة ، وفى جناح الهيكل تقوم رجاسة الخراب ، والى الفناء المقضى ينصب غضب الله على الخـراب » (دانيال ٩ : ٢٠ — ٢٧)

ويلاحظ فى هذا النص : ثلاثة أحداث : الأول : « سبعين أسبوعا حددت على شعبك وعلى مدينة قدسك » الثانى : « من صدور الأمر ، باعادة بناء أورشليم الى المسيح الرئيس سبعة أسابيع ، واثنان وستون أسبوعا » أو حسـب ترجمة البروتستانت : « من خروج الأمر لتجديد أورشليم وبنائها الى المسيح الرئيس : سبعة أسابيع واثنان وستون أسبوعا » الثالث : « وشعب رئيس آت ، يدمر المدينة والقدس ، وكما بالطوفان يكـون انقضاؤها ، والى انقضـاء القتال يكون التخريب المقضى »

يقول علماء الكاثوليك فى تعليقهم على كلام دانيال هذا : « ٢٤ — ٢٧ — هذه الآيات — يقصد من عبارة (سبعين أسبوعا قضيت على شعبك) الى آخر النص — تتضمن النبوءة العلنية التى فيها يعين النبى زمان مجىء المسيح ، ويحدده بما ينطبق انطباقا مدققا على الزمان الذى ظهر فيه يسوع الناصرى ، ولبيان ذلك نقول : أولا : أن المشار اليه فى هـذه النبوءة هو المسيح بغير أدنى شبهة ولا خلاف ، والأدلة على ذلك واضحة بنفسها

منها ما وعد به من ازالة الخطيئة . والاتيان بالبر الأبدى ، واختتام الرؤيا (٢٤) وكل ذلك لا يصح أن ينسب الا اليه ، ولا يتم الا عن يده . ومنها تسميته بقدوس القديسين (٢٤) والمسيح الرئيس (٢٥) أو المسيح على الاطلاق (٢٦) ، وهذه الألقاب لا تليق الا به . ومنها أنه يبت لكثيرين عهدا ثابتا . ويبطل الذبيحة والتقدمة (٢٧) وذلك لا يتحقق الا فيه . ثانيا : ان الزمان الذى يعينه النبى لدعوة المسيح وموته ، هو عين الزمان الذى شرع فيه يسوع الناصرى فى اعلان دعوته ، والذى مات فيه على الصليب ، ولاثبات ذلك : لا نحتاج الى أكثر من تدبر هذه النبوءة . بالنظر الدقيق ، ومقابلتها بما ورد فى التاريخ . ولكن قبل الشروع فى ذلك : لابد لنا من التنبيه على أن الأسابيع المذكورة هنا : **هى أسابيع سنين . لا أسابيع أيام** . لأنا اذا اعتبرناها أياما ، وتتبعنا التاريخ لانجد فيه شيئا يطابق الحوادث المشار اليها فى هذه النبوءة على عقب اصدار الأمر بتجديد بناء أورشليم فلم يبق الا أن نعتبرها أسابيع من السنين ، وهو الرأى المعول عليه حتى عند اليهود فضلا عن المسيحيين . **ثم أن مبدأ هذه الأسابيع هو كما نص عليه فى الآية (٢٥) من صدور الأمر بأعادة بناء أورشليم** . غير أننا نعلم : أنه قد صدر لليهود أربعة أوامر من ملوك فارس ، فى أربعة أزمنة مختلفة . فترتب علينا أن نعين المراد منها فى قول النبى ونجعله مبدأ لحساب هذه الأسابيع . الأمر الأول : من كورش (عزرا ١ : ٢ — ٤) وهو منحصر فى اعادة بناء الهيكل . ولا ذكر فيه للمدينة . والثانى من داريوس ابن هستساب (عزرا ٦ : ١ — ٢١) ولا يتضمن الا تقرير ما أمر به كورش ، والثالث : من ارتحشستا وهو ارتكزركسيس ، المعروف بالطويل اليد . اصدره الى عزرا فى السنة السابعة من ملكه (عزرا ٧ : ١٢ — ٢٦) وهو منحصر فى أمر الذبائح وحقوق أهل الكهنوت ، والرابع ، وهو الأخير من ارتحشستا أيضا . أصدره الى نحميا فى السنة العشرين من ملكه (نحميا ٢ : ١ — وما يليها) وهو يتعلق ببناء أسوار المدينة على الخصوص . وهو الذى أشار اليه النبى دون الأوامر الثلاثة الأولى لانه يتعلق ببناء المدينة كما هو نص النبوءة بخلاف ذلك لانحصارها فى أمر الهيكل والذبائح ومتعلقات

الكهنة ، ومن تاريخه ينبغى أن تحسب هذه الأسابيع من السنين الى المسيح الرئيس . الا أن قوله : « **الى المسيح** » : يحتمل أن يكون الى ميلاده ، أو الى معموديته التى منها كان شروعه فى دعوته ، والثانى هو المراد . وهو المتفق عليه بين المفسرين عامة ، وتقريره أن الأسابيع التى بين صدور الأمر المشار اليه وظهور المسيح هى تسعة وستون أسبوعا . فيكون ظهور المسيح عند منتهى الاسبوع التاسع والستين . وحينئذ فلا يبق بين وقت ظهوره ، هذا ونصف الأسبوع السبعين الذى فيه يقتل المسيح (٢٧) الا ثلاثة سنين ونصف . وهى لاتحتمل أن تكون مدة مابين ميلاده الى موته . فيتعين ان تكون هى المدة التى أقام فيها يباشر دعوته ، فتحصل من ذلك كله : ان التسعة والستين أسبوعا هى ٤٨٣ سنة ينبغى أن يكون مبتدأها من السنة العشرين للملك ارتحشستا ، ومنتهاها الى السنة التى اعتمد فيها يسوع المسيح على يد يوحنا المعمدان ، وهذه المدة هى التى تستفاد من علم التاريخ لأننا اذا استقرئنا حساب السنين نجد أن السنة العشرين لارتحشستا توافق السنة ٢٩٩ من تأسيس روميه ، وكان ظهور القديس يوحنا المعمدان ومعموديته للمسيح فى السنة الخامسة عشرة لطيباريوس قيصر ، كما نص عليه التديس لوقا (٣ : ١) وتلك السنة بحسب التاريخ هى السنة ٧٨٢ من تأسيس روميه وهذه السنة كان ٤٨٣ سنة وهى نفس المدة التى بين السنة العشرين من ارتحشستا والسنة التى اعتمد فيها يسوع ، ونفس السنين التى تتحصل من التسعة والستين أسبوعا ، المنصوص عليها فى هذه النبوءة (٩) »

ونقول : ان هذا الكلام ليس صوابا . وبيان ذلك :

١ — (أ) ان الكاثوليك فى تعليقهم ، لم يبينوا المراد من السبعين أسبوعا . وعددهم ٤٩٠ سنة . لأن الأسبوع عندهم سبع سنين . فلماذا سكتوا عن البيان ؟ ان ختم الرؤيا والنبوة فى بنى اسرائيل ، يتم بعد سبعين أسبوعا من زمان دانيال . ودانيال كان فى سبى بابل ، فى سنة ٥٨٦ أو ٥٨٨

---

(٩) ص ٧٨ — ٧٩ حواشى على المجلد الأول للكاثوليك .

ق . م . أى أن آخر نبى فى بنى اسرائيل ــ على ظاهر النص ــ يكون فى سنة ٩٦ أو ٩٨ قبل الميلاد . لأن ٥٨٨ ــ ٤٩٠ = ٩٨ سنة . وهذا التاريخ لا ينطبق على عيسى عليه السلام .

(ب) ولا يستطيع أى واحد فيهم أن يقول : ان السبعين أسبوعا ، هى مدة وجود اليهود فى مدينة بابل قبل أن يسمح لهم الفارسيون بالعودة الى فلسطين . لأنه على ظاهر النص تكون النبوة قد ختمت حال عودة اليهود من سبى بابل ، وعلى ظاهر النص لا يكون عيسى نبيا ولا يحيى ولا زكريا ، ولا غيرهم ممن ظهروا بعد عودة اليهود من سبى بابل . وعلى ظاهر النص أيضا : يكون النبى المنتظر الذى تحدث عن مجيئه موسى فى سفر التثنية قد ظهر من قبل ولادة عيسى بن مريم ، بمئات من السنين وهم لا يقرون بذلك .

هذا عن السبعين أسبوعا .

٢ ــ وأما عن السبعة الأسابيع ، والاثنين والستين أسبوعا ، ومجموعهم ٦٩ أسبوعا . فعلى تفسير النصارى لا تنطبق أى مدة على عيسى عليه السلام . وبيان ذلك :

اليهود سبوا الى بابل بعد خلع الملك صدقيا سنة ٥٨٨ ق.م ولما تولى الملك قورش ملك فارس سنة ٣٥٧ ق.م أصدر الأمر لليهود بالعودة الى أورشليم سنة ٥٣٦ ق.م وقد رجع اليهود فى عهد ارتكزركسيس الفارسى مع عزرا سنة ٤٥٨ ق.م وظل عزرا واليا على أورشليم الى سنة ٤٤٥ ق.م (١٠) وجاء بعده نحميا فبنى أسوار أورشليم وظل واليا الى سنة ٤٢٠ ق.م وبناء على هذه التواريخ لو أضفنا الى أى تاريخ منها ٤٨٣ سنة التى هى مدة التسعة والستين أسبوعا يكون الحساب هكذا (أ) ٥٣٦ ــ ٤٨٣ = ٥٣ وهذا لا ينطبق على ميلاد عيسى عليه السلام لانه قبل الميلاد بثلاث وخمسين

---

(١٠) التواريخ من كتاب تاريخ الاسرائيليين ــ شاهين مكاريوس .

سنة (ب) ٤٥٨ ــ ٤٨٣ = ٢٥ وهذا التاريخ لا ينطبق لانه بعد الميــلاد بخمس وعشرين سنة (ت) ٤٤٥ ــ ٤٨٣ = ٣٨ وهذا التاريخ أيضا لا ينطبق . لأنه بعد الميلاد بثمان وثلاثين سنة .

وعلى تفسير النصارى ينطبق تاريخ السبعة الأسابيع ، والاثنين وستين أسبوعا ، على نبى الاسلام هكذا :

«ومن صدور الأمر باعادة بناء أورشليم الى المسيح الرئيس سبعة أسابيع، واثنان وستون أسبوعا » : معناها : أنه من هدم الهيكل وخراب أورشليم الذى حدث نهائيا فى سنة ١٣٢م على يد أدريانوس الى بعثة نبى الاسلام مدة هى ٤٨٣ سنة ، فيكون الحساب هكذا ١٣٢ + ٤٨٣ = ٦١٥ سنة . ونبى الاسلام ﷺ ولد سنة ٥٧١ ميلادية وبعث على رأس الأربعين سنة ٦١١ ميلادية فانطباق التاريخ عليه ، أقرب من انطباقه على المسيح عيسى عليه الســلام .

وحددنا اعادة بناء أورشليم بهدم الهيكل ، على يد أدريانوس فى سنة ١٣٢م .

(أ) لأنه حرم على اليهود دخول أورشــليم ، وهدم الهيكل تماما ، وقتل جميع اليهود الذين كانوا قد بقوا بعد هزيمتهم على يد تيطوس وعلى ذلك . فقد خربت أورشــليم نهائيا ، وهى فى انتظار اعادة البناء .

(ب) ان علماء بنى اسرائيل المعاصرين لهدم الهيكل بعد عيسى عليه السلام ، ومنهم يوسيفوس : أخبروا أن ذلك هو ما أشار اليه دانيال . كما سبق بيانه .

(ت) ان النصارى الذين رأوا المسجد الأقصى يقام فى أرض الهيكل : أشاروا الى أن ذلك هو ما أخبر عنه دانيال . كما سبق بيانه .

(ث) أنه ورد فى كتب السيرة النبوية أن بعض علماء اليهود أخبروا العرب بقرب زمن النبى ، وحددوه تحديدا ولم يذكر تحديد الزمن الا فى

سفر دانيال ، وفى هذا النص . يقول أبو الحسن على بن محمد الماوردى فى أعلام النبوة : « روى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت : كان يهودى يسكن مكة . فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله ﷺ ، حضر مجلس قريش فقال : يا معشر قريش : هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقال القوم : والله ما نعلم . قال : الله أكبر أما اذا أخطأكم فلا بأس . انظروا واحفظوا ما أقول لكم : « ولد فى هذه الليلة نبى ... ذهبت والله النبوة من بنى اسرائيل يا معشر قريش . والله ليسطون بكم سطوة ، يخرج خبرها من المشرق الى المغرب (١١) » وهذا موافق لكلام دانيال . اذ حدد زمنه ، وبين أنه سيزيل مجد الدولة الرومانية . وقد تم ذلك فى حينه .

٣ — وقول دانيال : « وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح وليس له » ان لم يكن معناه : أن قطع المسيح الرئيس هو رفض اليهود الايمان به . فانه يكون قولا موضوعا للبس الحق بالباطل . والدليل على ذلك : أن نبوءات التوراة عن المسيح الرئيس تبين أنه يبقى الى الأبد . ففى انجيل يوحنا : « نحن سمعنا من الناموس : أن المسيح يبقى الى الأبد » (يوحنا ١٢ : ٣٤) والمراد بالبقاء الى الأبد ، بقاء الشريعة .

(٤) وقول دانيال : « وشعب رئيس آت يخرب المدينة » يشير الى عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فهو خليفة عن رسول الله ﷺ ، وقد حضر الى مدينة القدس ، وكتب العهدة العمرية مع « صفرنيوس » وفى حضرته صرح صفرنيوس . بأن هذا هو ما أشار اليه النبى المعظم دانيال .

وهذا الذى بينته هو على طريقة الكاثوليك فى البيان . فانهم لم يفسروا المراد بالسبعين أسبوعا ، ولم يفسروا المراد بشعب رئيس آت ليخرب المدينة التى هى القدس .

والتفسير الصحيح لكلام النبى دانيال : هو :

أولا : ان السبعين أسبوعا هى المدة التى حددها دانيال لمجىء النبى

---

(١١) ص ١٥٣ اعلام النبوة .

الذى تنتظره الأمم ، وبه تختم الرؤيا والنبوة . والنبى الذى تختم به النبوة لابد وأن يكون هو النبى الذى تحدثت التوراة عن مجيئه مماثلا لموسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية . وعلى اليهود والنصارى أن لا ينتظروا غيره اذا ما ظهر فى العالم . لأن النبوة قد ختمت به . فمن هو هذا النبى الخاتم ، الذى لقبوه بالمسيح الرئيس ، تمييزا عن سائر المسحاء . والذى لقبوه بقدوس القديسين ، تمييزا عن سائر القديسين ؟
لا يمكن أن يكون ختم النبوة بالمسيح عيسى بن مريم عليه السلام .

١ — لأن أوصاف التوراة عن المسيح الرئيس الذى هو المسيا خاتم النبيين لا تنطبق عليه .

٢ — ولأن عيسى عليه السلام وهو جالس على جبل الزيتون تحدث عن خراب الهيكل وتدمير أورشليم على يد غيره ، بعد علامات تظهر فى العالم . فقد حكى متى : « ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل ، فتقدم تلاميذه ، لكى يروه أبنية الهيكل . فقال لهم يسوع : أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم : انه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض . وفيما هو جالس على جبل الزيتون ، تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا : متى يكون هذا ؟ » وقد ذكر عيسى عليه السلام علامات . ثم قال بعد ذكر العلامات ، وهى : ١ — ظهور أنبياء كذبة ٢ — حروب تقوم بين الأمم ٣ — اضطهاد الأمم لتلاميذه ٤ — ارتداد بعض النصارى عن دينهم ٥ — انتشار الانجيل . قال بعد ذكر هذه العلامات : « فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبى قائمة فى المكان المقدس . ليفهم القارىء. فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية الى الجبال » وهذه العلامات التى تحدث عنها عيسى عليه السلام قبل رجسة خراب دانيال . تبين أن الرجسة تكون بعد ظهور العلامات . وعلى ذلك فقول النصارى ان الرجسة قد حدثت فى ولادة عيسى أو فى معموديته قول باطل . لأن النص يكذبه ، والتاريخ يكذبه . لأن العلامات لم تكن قد وقعت فى العالم .

ثانيا : ان السبعة الأسابيع مع الاثنين والستين أسبوعا — أى

التسعة والستون أسبوعا — هم أنفسهم مدة السبعين أسبوعا بنقص أسبوع واحد — وهذا الأسبوع الذى انقصه الكاتب للسفر ، قد أثبته فى نهاية النص لتثبيت المعهود مع كثيرين — والدليل على ذلك : أنه يقول فى نهاية السبعين أسبوعا : سيأتى قدوس القديسين . ويقول فى نهاية التسعة والستين أسبوعا : سيأتى المسيح الرئيس . وقدوس القديسين هو نفسه المسيح الرئيس باجماع الآراء .

وقد لحظ عيسى عليه السلام أن النص غير واضح فى تحديد السنة بالضبط . ولذلك قال : « وأما ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا يعلم بهما أحد ، ولا ملائكة السموات . الا ابى وحده » (متى ٢٤ : ٣٦) وفى رواية لوقا : « متى رأيتم هذه الأشياء صائرة فاعلموا أن ملكوت الله قريب . الحق أقول لكم : انه لا يمضى هذا الجيل ، حتى يكون الكل . السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول . فاحترزوا لأنفسكم لئلا تثقل قلوبكم فى خمار وسكر وهموم الحياة ، فيصادفكم ذلك اليوم بغتة . لأنه كالفخ يأتى على جميع الجالسين على وجه كل الارض . اسهروا اذا وتضرعوا فى كل حين ، لكى تحسبوا أهلا للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا قدام ابن الانسان » (لوقا ٢١ : ٣١ — ٣٦)

ثالثا : ان شعب الرئيس الآتى لخراب المدينة والقدس . هو شعب نبى الاسلام ﷺ من أبناء اسماعيل الذى جعل الله له بركة مساوية لبركة اسحق أخيه . وهذا الرئيس سيبطل الذبيحة والتقدمة . اى سينسخ شعائر التوراة ويبطل رسومها .

هذا هو التفسير الصحيح لكلام دانيال عن رجسة الخراب حسب الواقع .

وفى الامكان تفسير آخر . وهو :

ان سفر دانيال قد سلمه اليهود الى النصارى سنة تسعين من ميلاد عيسى عليه السلام فى مجمع « يمنية » أى بعد رفع عيسى عليه السلام . فلو كان هذا السفر منشورا فى العالم قبل ذلك التاريخ لما سلمه اليهود

الى النصارى فى ذلك الزمان . ولما اختلفت النصارى الى اليوم فى قدسية الأصحاحات الاخيرة منه . يقول الدكتور الياس مقار : « وقد استلمت الكنيسة المسيحية من اليهود ، أسفار العهد القديم ، التى قرر اليهود فى مجمع « يمنية » عام ٩٠م : قانونيتها » (١٣)

والأسبوع فى لغتهم قد يعنى سبع سنوات ، كما فى الاصحاح التاسع والعشرين من سفر التكوين . وقد ولد نبى الاسلام ﷺ فى سنة ٥٧٠ أو ٥٧١ ميلادية . ونحن نعلم أن اليهود يلبسون الحق بالباطل . وغير بعيد أن يجعلوا النص ملغزا . ولو أنك حسبت ٩٠ + ٤٨٣ = ٥٧٣ فالزمن قريب من نبى الاسلام صلى الله عليه وسلم وقد بقى من السبعين أسبوعا : أسبوعا واحدا ، هو المشار اليه بقوله : وفى أسبوع واحد يثبت عهدا مع كثيرين . أى أن المدة كلها سبعون أسبوعا ، منها أسبوع واحد للعهد وتسيير الجيوش لغزو بلاد الشام . وقوله : « وبعد اثنين وستين أسبوعا يقطع المسيح » أى أن عمر نبى الاسلام مقدر باثنين وستين سنة . لأن الاسبوع عندهم يأتى بمعنى السنة أيضا ، كما نص عليه ارمياء فى سفره ، ونقله مفسرو النصارى فى تفسير عبارات دانيال عن الأسابيع السبعين . وقوله : « يقطع المسيح وليس له » أى يموت المسيح المنتظر ، وهو النبى ﷺ — وقد لقبوه بألقابهم ليخفوا حقيقته عن الناس — وليس له أولاد من صلبه يملكون على مملكته (١٤) .

المبحث الثانى : أوصاف أيام الضيق العظيم

وفى وقت حدوث رجسة الخراب التى أخبر عن حدوثها دانيال النبى فى المكان المقدس ، أمر عيسى — عليه السلام — أتباعه بالاستسلام . لأن المقاومة عديمة الجدوى . ووصف أيام الضيق العظيم بالأوصاف التالية :

---

(١٣) ص ٢٥٤ — ٢٥٥ ايمانى وانظر أيضا ص ٩٣ الكنيسة المسيحية — الأنبا يوأنس مطبعة دار العالم العربى سنة ١٩٧٠ ط ٢

(١٤) انظر كتاب « فتح الملك العلام فى البشائر بدين الاسلام » ففيه تفسير يختلف عن تفسيرنا .

الوصف الأول

نجاة المختارين

لقد نصحهم بقوله : « ليهرب الذين فى اليهودية الى الجبال ، والذى على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئا ، والذى فى الحقل فلا يرجع الى ورائه ليأخذ ثيابه . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام ، وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت ، لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم ، لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الى الآن . ولن يكون . ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد . ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام » .

متى يبدأ الهرب ؟ أثناء خراب أورشليم الذى عبر عنه دانيال بقوله : « وشعب رئيس آت يدمر المدينة والقدس ، وكما بالطوفان يكون انقضاؤها ، والى انقضاء القتال يكون التخريب المقضى » (٩ : ٢٦) هذا الشعب **الآتى** : شعب نبى الاسلام ﷺ عبر عن مجيئه لوقا بقوله : « متى رأيتم أورشليم محاطة بجيوش ، فحينئذ أعلموا : انه قد اقترب خرابها » (لو ٢١ : ٢٠) وهذا لا ينطبق على أمة الرومان ، كما يفسر النصارى . يقول النصارى : « قد تمت هذه النبوة ، منذ فتح تيطس قيصر : أورشليم ، ولم تبرح الى أيامنا هذه » **وهذا لا ينطبق** . لأن الرومان كانوا يحتلون أورشليم من سنة ثلاث وستين من قبل الميلاد ، بقيادة القائد الرومانى « بومبيوس » ولم يتركوا أورشليم الا قسرا على يد المسلمين . واذا كانت لهم محاولات خلال احتلالهم لمعاقبة اليهود الثائرين ، فلا يقال فى كل محاولة : ان أورشليم محاطة بالجيوش . لأن الرومان يحيطونها دائما بالجيوش ، ولم يبرح الجيش الرومانى من أورشليم خلال مدة الاحتلال الطويلة . وهذا لا ينطبق أيضا على أمة الرومان . لأنه بعد هذه الحوادث المريرة ، يأتى المسيح المنتظر « المسيا » كما يقول متى على لسان المسيح بن مريم عليه السلام : « حينئذ ان قال لكم أحد : هو ذا المسيح هنا ، أو هناك فلا تصدقوا . لأنه سيقوم مسحاء كذبة » وبعد خراب أورشليم سنة سبعين من الميلاد على يد تيطس ، لم يظهر المسيح الصادق الذى ينتظره اليهود

ويتحدث عنه عيسى عليه السلام . وهو محمد ﷺ . لأن علامات ظهوره ما تمت بعد .

ولماذا أمرهم بالهرب ، وشأن الأنبياء أن يحرضوا أتباعهم على الثبات ، والوقوف فى وجه الطغاة بما أوتوا من قوة ، حتى آخر قطرة من دمائهم ؟ لماذا أمرهم بالهرب ، مع أنه قد أمرهم من قبل باقتناء السيوف ؟ « قال لهم : حين أرسلتكم بلا كيس ولا مزود ولا أحذية هل أعوزكم شىء ؟ فقالوا : لا . فقال لهم : لكن الآن من له كيس فليأخذه ، ومزود كذلك . ومن ليس له ، فليبع ثوبه ويشتر سيفا » (لو ٢٢ : ٣٥ — ٣٦)

والاجابة على ذلك : هى أن الشعب الآتى ليخرب المدينة ليس عدوا ، وانما هو حبيب . لايدعو لعبادة أوثان ، وانما يدعو الى الاله الواحد رب موسى وعيسى . ولا يقلل من شأن عيسى عليه السلام ، بل يعظمه ويرفع من قدره ، ولولا ذلك ما حرضهم عيسى على الهرب ، لأنه قبل ذلك أمرهم بالثبات أمام الولاة والملوك ، شهادة ضدهم وضد الأمم . وهذا الأمر بالهرب يشير الى أن الخراب نفسه لا يمكن مقاومته . اذ من المستحيل على أشجع الشجعان صد التيار ، ولكن الوسيلة هى اخلاء الطريق . وفى هذا ايحاء لأتباع عيسى عليه السلام أنهم لو فكروا فى الاحتماء بدولة تسندهم ، ضد شعب الرئيس الآتى ، فان تفكيرهم لا محالة ضائع . لأنه قضاء أزلى مبرم . ولا راد لقضاء الله . والى أين يهربون ؟ الذين فى فلسطين نفسها ، وفى أورشليم بالذات . يهربون الى الجبال القائمة فى أطراف البلاد ، والذى على السطح يتخذ اقرب طريق للنزول حتى ينجو بنفسه ، ولا يأخذ من بيته شيئا . والذى فى الحقل فليكن حكيما ، وليتخذ أقصر طريق ليركض فى الحال . ولا يرجع الى ورائه ليأخذ ثيابه ، أو ثروة بيته . وذلك لأن الوقت الذى يصرفه فى تحزيم أمتعته ، يؤخر هربه ، ولأن حمل ثيابه ومنقولاته وأشيائه الثمينة معه ، تكون عبئا عليه ، وتعرقل جريه . وهذه التعبيرات كلها تعبيرات مجازية عن عدم المقاومة ، والاستسلام للجيش الآتى .

« وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام » لأن الهروب يكون شاقا عليهن ، فالحامل لا تستطيع أن تسرع فى المسير ، ولا تستطيع أن تسير مسافات طويلة ، والرضع لا يمكن تركهم ، وان أمكن تركهم . فهل تنسى المرأة رضيعها ؟ وان حملوا عرقلوا الأمهات ، وعرضوا حياتهن للخطر . وهذا الارهاق أشار اليه عيسى فى خطابه للنساء فى قوله « يا بنات أورشليم : لا تبكين على بل ابكين على أنفسكن ، وعلى أولادكن ، لأنه هو ذا أيام تأتى يقولون فيها : طوبى للعواقر والبطون التى لم تلد ، والثدى التى لم ترضع » (لو ٢٣ : ٢٧ — ٢٩) وها قد أتت الأيام على يد أصحاب رسول الله ﷺ ، وأزالوا مجد اليهود وسلطانهم .

ومما تجدر الاشارة اليه . قول عيسى عليه السلام فى وصف تلك الأهوال : « وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت » أنه لا فائدة من التضرع الى الله لرفع غضبه ، فقد حم القضاء . بل اجتهدوا أن تنتفعوا بأحسن ما يمكن من الأمر الواقع . وان كان لا يمكن أن تصلوا لكى تعفوا من الهرب ، فصلوا لكى تكون ظروف الهرب مناسبة ، حتى تهدأ الأحوال ، ثم تظهرون أنفسكم للجيش الآتى آمنين مسالمين . وفى هذه الحالة سوف يقبلونكم . وصلوا « لكى لا يكون هربكم — ان كانت هى ارادة الله — **« فى شتاء »** حيث يكون النهار قصيرا ، والطقس باردا ، والطرق موحلة . وبالتالى حيث يكون السفر شاقا . سيما لعائلات برمتها . وصلوا أيضا : لكى لا يكون الهرب فى يوم **« السبت »** وهو يوم الراحة الأسبوعية عند بنى اسرائيل ، والأمم الذين دخلوا فى دين موسى عليه السلام . وقد أوصى الله فى التوراة بحفظ السبت فقال : « احفظ يوم السبت لتقدسه ، كما أوصاك الرب الهك . ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك . وأما اليوم السابع ، فسبت للرب الهك . لا تعمل فيه عملا ما . أنت وابنك وابنتك ، وعبدك وأمتك ، وثورك وحمارك ، وكل بهائمك ، ونزيلك الذى فى أبوابك . لكى يستريح عبدك وأمتك مثلك » (تث ٥ : ١٢ — ١٤) وقال عيسى عليه السلام : « لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء » (متى ٥ : ١٧) فلماذا

غير النصارى يوم السبت بيوم الأحد ؟ ان تغيير السبت بالأحد : خروج بمكابرة على أحكام التوراة الملزمون هم بالعمل بها ؟

ثم يقول عيسى — عليه السلام — معللا للهرب : « لأنه يكون حينئذ ضيق عظيم ، لم يكن مثله منذ ابتداء العالم الى الآن ، ولن يكون » حقا كان خرابا منقطع النظير ، خراب أمة بأسرها . زوال مجدها ، ونسخ كتابها . لقد خربت مدن وممالك كثيرة ، ولكن لم يكن خراب كهذا . لأن اليهود ظلموا ، وعندهم التوراة تنهى عن الظلم ، وزاغوا عن الله ، وهم يعرفون نقمته وغضبه على من يزغ منهم عن أمره . وكان عقاب الله أكثر ، لأنه عقاب مقرون بغضب شديد على شريعته ، التى اجترأوا على تحريفها ، ولم يبالوا بعقابه ، ولم يعملوا حسابا ليوم انتقامه .

وقوله « ولن يكون » ينطبق على أمة الاسلام . لأن الله علم أزلا أمانتهم على الشريعة ، وغيرتهم عليها . فحفظهم من الهلاك . يقول الله عز وجل لنبيه الكريم : « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » (الأنفال ٣٣) .

« ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد ، ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام » هنا لا نجد فرقا بين هلاك أمة نوح عليه السلام ، وبين أمة موسى عليه السلام . أمة نوح : هلك الضالون ونجا المؤمنون ، وأمة موسى نجا المؤمنون وهلك الضالون . والفرق كان فى وسائل النجاة فمع قوم نوح كانت السفينة التى حمل فيها المؤمنين ، ومن كل زوجين اثنين . ومع قوم موسى ما أودعه الله فى كتبهم من معرفة نبى الاسلام ﷺ باسمه وصفته . فـ « المختارون » اذن هم . الذين صلحت قلوبهم ، واذعنوا للحق ، واستعدوا لقبوله من أهل الكتاب . وقد جاء فى الانجيل أن مسحاء كذبة وانبياء كذبة سيظهرون **« حتى يضلوا لو أمكن المختارين »** ولكن رحمة الله لن تتخلى عن المختارين لصفاء قلوبهم . وسيكون المسيح الحقيقى الذى هو نبى الاسلام ﷺ ظاهرا كالشمس .

الوصـــف الثانى

هلاك الكافرين

وبين لهم عيسى — عليه السلام — انه فى أثناء الضيقات العظيمة التى تحل باليهود عند زوال ملكهم ، سيظهر من يدعى أنه المسيح المنتظر ، أى النبى الذى وعد به موسى (تث ١٨ : ١٥) وهو محمد ﷺ . وهنا يحذرهم عيسى عليه السلام من المسحاء الكذبة والأنبياء الكذبة فيقول : « حينئذ ان قال لكم أحد : هو ذا المسيح هنا ، أو هناك فلا تصدقوا ، لأنه سيقوم مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة ، ويعطون آيات عظيمة وعجائب ، حتى يضلوا لـــو أمكن المختارين أيضـــا . ها أنا قد سبقت وأخبرتكم . فان قالوا لكم : ها هو فى البرية فلا تخرجوا . ها هو فى المخادع فلا تصدقوا ، لأنه كما أن البرق يخرج من المشـــارق ويظهر الى المغارب ، هكذا يكون أيضـــا مجىء ابن الانسان . لأنه حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور ، وللوقت بعد ضيق تلك الأيام ، تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تســـقط من السماء ، وقوات السماء تتزعزع ، وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان »

وهنا نجد النصـــارى يضطربون اضطرابا شديدا . لماذا ؟ مع أن الأسلوب واضح تمام الوضوح . المفهوم من سياق العبارات : أن التلاميذ سألوا : متى يكون خراب الهيكل ؟ فقال : ان ملكوت السموات اقترب منكم ، وسوف تحدث حروب وأوبئة ، وسوف يقوم مسحاء كذبة ، وأنبياء كذبة من قبل مجيئه . ولكن المسيح الصادق — أى النبى الحقيقى — سيكون ظاهرا ، ولا يخطئه العالم . وهذا المسيح هو المسيح المعهود الذى قال عنه عيسى لتلاميذه فى رواية مرقس : «من سقاكم كأس ماء باسمى ، لأنكم للمسيح . فالحق أقول لكم : أنه لا يضيع أجره » (مر ٩ : ٤١) وهذا المسيح المعهود ليس هو المسيح عيسى عليه الســـلام ، لأن عيسى يتحدث عن غيره بقوله لأنكم تبشرون بالمسيح ، وتدعون له . وقال عنه عيسى للتلاميذ بحضرة جموع اليهود : « لا تدعوا — بضم التاء — سيدى لأن معلمكم واحد : المسيح ... ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد : المسيح » (متى ٢٣ : ٨ و ١٠)

أى لا تعلموا اذا ظهر المسيح المنتظر بتعاليم التوراة ، لأن المسيح المنتظر سيبطلها وينسخها .

ويقول المسيح عيسى عليه السلام : ان مجىء ابن الانسان بعد ظهور المسحاء الكذبة سيكون مثل البرق . فمن هو ابن الانسان هذا ؟ أليس هو المسيح الصادق الذى يتحدث عن مجيئه عيسى عليه السلام ؟ ولو كان الآتى هو عيسى نفسه لقال : « هكذا يكون أيضا مجيىء » ولكنه قال : « مجىء ابن الانسان » ابن الانسان هذا هو الذى أشارت اليه التوراة فى قول دانيال : « كنت أرى فى رؤى الليل ، واذا مع سحب السماء ، مثل ابن انســـان . أتى وجـــاء الى القـــديم الأيام ، فقربوه قـــدامه ، فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا ، لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض » (دا ٧ : ١٣ — ١٤) ولو كان هو مجىء عيسى نفسه ، لكان قد أتى بملك أرضى ، لا بملك روحى . كما يقول النصارى .

ويفسر الدكتور فردريك . فارار عبارة « حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور » بقوله : « أينما وجد شر شخصى ، وأينما وجد فساد شعبى ، وأينما وجد انحطاط عام ، فالى هناك تسرع نسور العدل الالهى للانتقام . وأورشليم ؟ نعم . وكل الأمة اليهودية كانت تنحدر سريعا الى الاضمحلال الناشىء من الفساد الداخلى . وقد بدأت أصوات أجنحة النقمة تضرب ، وحفيفها يسمع فى الهواء (١) » ومعنى هذا التفسير : أن مجىء ابن الانسان سيكون بحرب وقوة ، ليحق الحق ويزهق الباطل . وهذا لم ينطبق على عيسى عليه السلام . والذى أدب اليهود ، ووبخ سلوكهم ، ونزع الملك الأرضى من أيديهم ، هو نبى الاسلام ﷺ .

ومن النصارى من يفسر عبارة : « حيثما تكن الجثة فهناك تجتمـــع

---

(١) ص ٥٤٩ حياة المسيح .

النســـور » بقوله : « حيثما كرز بالمسيح ، اجتمعت اليه النفوس » وتفسيرهم هذا ملتوى .

أولا : لأن التوراة تشير الى طبيعة النسر الجارحة فى قول أيوب : « أيامى أسرع من عداء . تفر . ولا ترى خيرا . تمر مع سفن البردى ، كنسر ينقض الى قنصه » (أيوب ٩ : ٢٥ — ٢٦) وعيسى لم يكن محـــاربا . وثانيا : وجد من النصارى من ينكر هذا القول . يقول الدكتور فردريك فارار: « لا يمكن الأخذ بتفســـير يوحنا فم الذهب . ونيوكلافت : القائل : بأن الجثة هى المسيح ، والنسور المجتمعة هم القديسيون (٢) »

ويستفاد من هـــذه العبارات التى تدل على مظاهر العدل والقدره لله عز وجل : أن خراب أورشليم سوف يكون متوقعا بعدل ، كطيران النسر نحو الجثة ، ومهما أبعدوا عنهم اليوم الشرير — فى نظرهم — فلابد أن يأتى الخراب يقينا . كمجىء الطيور الجارحة نحو الجثة المكشوفة فى الخلاء . ومن غير أصحاب رسول الله ﷺ الذين قال الله عنهم : « أشداء عـــلى الكفار ، رحماء بينهم » (الفتح ٢٩) والذين قال عنهم داود : « تنويهات الله فى أفواههم ، وسيف ذو حدين فى يدهم » هم الذين كانوا نسور العدل الالهى لخراب أورشليم ؟ ومن الذى أتى بعدما قامت أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، واضطهد الصالحين من أتباع عيسى عليه السلام ، غير جند الله الذين أسسوا ملك الاسلام الى الآن والى الأبد ، وقضوا على كل نفوذ غير نفوذهم ؟

والعجب من النصارى : انهم يفرقون فى هذه العبارات بين أمرين . الأمر الأول : « هكذا يكون مجىء ابن الانسان » والأمر الثانى : « وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس ، والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجـــوم تسقط من السماء ، وقوات السماء تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان» فقالوا عن الأمر الأول : أنه بدء مجىء عيسى الروحى لينشر الآنجيل ، بعدما صعد عيسى الى السماء بفترة وجيزة . وقالوا عن الأمر الثانى : انه الملكوت

---

(٢) ص ٥٤٩ حياة المسيح .

الروحى للمسيح فى بدء مجيئه الثانى ، عند زوال هذه الحياة الدنيا (٣) .
وهذا لا يستقيم فى المعنى بأى حال من الأحوال . لأن العبارات كلها تتحدث عن أمر واحد . لا عن أمرين ، وعن مجىء واحد . لا عن مجيئين . وهذا الأمر الواحد هو ملكوت السموات الذى ضرب له عيسى أربعة أمثال فى هذا الحديث . وقوله : « وللوقت بعد ضيق تلك الأيام » يفيد : الأيام المشار اليها سابقا فى قوله : « وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام » وفى قوله : « ولو لم تقصر تلك الأيام » وفى قوله : « ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام » وفى قوله « وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان » وهى العلامة التى تجىء مع « مجىء ابن الانسان » فى عبارة الأمر الأول . فكيف يقول النصارى : ان الحديث من أول : « وللوقت بعد ضيق تلك الأيام » ... الخ . هو حديث عن مجىء عيسى للدينونة الأخيرة فى يوم القيامة ، وما قبله ليس مرتبطا به ؟

الوصـــف الثالث

هـــول القتال

ويستمر عيسى عليه السلام فى حديثه فيقول : « وللوقت بعد ضـــيق تلك الأيام ، تظلم الشمس . والقمر لا يعطى ضوءه ، والنجوم تســقط من السماء ، وقوات السماء تتزعزع ، **وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان فى السماء** ، وحينئذ تنوح جميع قبائل الأرض ، **ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء ، بقوة** ومجد كثير ، فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت . فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح . من أقصاء السموات الى أقصائها »

هذه العبارات : كناية عن هول ذلك اليوم ، الذى يأتى فيه المسلمون لتحرير أورشليم (القدس) يقول متى هنرى فى تفسيره : « يظن البعض : أن المقصود بهذه فقط : هو خراب أورشليم ، والأمة اليهودية ، وأن اظلام

(٣) ص ١٥٢ ــ ١٥٤ ج ٤ تفسير متى . وانظر حواشى على المجلد الثالث للكتاب المقدس للكاثوليك ص ٤٧٣

الشمس والقمر والنجوم : يرمز الى احتجاب مجد تلك الدولة وتقلصها ، والاضطراب العام الذى يقترن بذلك الخراب ... أو قد يكون المقصود بالشمس، والقمر ، والنجوم : الهيكل ، وأورشليم ، ومدن يهوذا . التى كان لابد أن تخرب . أما « علامة ابن الانسان » فالمقصود بها : ظهور واضح لقوة وعدل الرب يسوع المسيح ، للانتقام لدمه من أولئك الذين قبلوا جريمة سفكه على أنفسهم وعلى أولادهم . أما جمع مختاريه فيرمز الى انقاذ بقية من هذه الخطية وذلك الخراب (٤) » وقلنا : أن هذه العبارات : كناية عن هول اليوم الذى يأتى فيه المسلمون بنى اسماعيل لتحرير المقدس. لأن التعبير نفسه ورد فى التوراة كناية عن الهول والشدة . ومن ذلك قول أشعياء : « هو ذا يوم الرب قادم ، قاسيا ، بسخط ، وحمو غضب ، ليجعل الأرض خرابا ، ويبيد منها خطاتها . فان نجوم السموات وجبابرتها لا تبرز نورها . تظلم الشمس عند طلوعها ، والقمر لا يلمع بضوئه ، وأعاقب المسكونة على شرها ، والمنافقين على اثمهم ، وأبطل تعظم المستكبرين ، وأضع تجبر العتاة » (أش ١٣ : ٩ — ١١) والدليل على أن هذا العقاب فى الدنيا : قول أشعياء بعد ذلك : « ها أنذا أهيج عليهم الماديين الذين لا يعتدون بالفضة ، ولا يسرون بالذهب ، فتحطم القسى الفتيان ، ولا يرحمون ثمرة البطن ، لا تشفق عيونهم على الأولاد ، وتصير بابل بهاء للممالك ، وزينة فخر الكلدانيين : كتقليب الله سدوم وعمورة ، لا تعمر الى الأبد » (أش ١٣ : ١٧ — ١٩) .

وعلامات ابن الانسان الذى هو نبى الاسلام ﷺ : هى الأمارات التى أشار اليها عيسى عليه السلام فى هذا الحديث ، ووضحتها التوراة . وقوله: ويبصرون ابن الانسان آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير » كناية عن المجىء العظيم لنبى الاسلام ﷺ وهو محاط بعلو وارتفاع ومجد وسلطان ، ومؤيد بنصر الله وعونه . والنصارى يقولون : ان علامة ابن الانسان هو الصليب الذى صلب عليه عيسى عليه السلام (٥) وليس هذا هو المراد ، لأن عيسى عليه السلام كان يتحدث حال حياته ، ولم يكن يعلم أنه سيموت

---

(٤) ص ١٥٨ ج ٤ تفسير متى .
(٥) ص ٤٧٣ حواشى على المجلد الثالث من الكتاب المقدس للكاثوليك

على الصليب أم لا يموت، وفى هذه العبارات ينفى عن نفسه علم الغيب فيقول : « وأما تلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات الا أبى وحده » وقوله : « فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت ، فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح ، من أقصاء السموات الى أقصائها » معنى « فيرسل ملائكته » : أى جنوده واتباعه . وعبر عن جنود ابن الانسان الذى هو نبى الاسلام ﷺ بالملائكة . ليشبههم بهم فى السمع والطاعة والطهر والصلاح . **وقد ورد فى الانجيل : أن الملائكة بمعنى الأتباع** . فى قوله : « وحدثت حرب فى السماء . ميخائيل وملائكته ، حاربوا التنين ، وحاربه التنين وملائكته . ولم يقووا فلم يوجد مكانهم بعد ذلك فى السماء . فطرح التنين وطرحت معه ملائكته » (رؤية ١٢ : ٧ ـ ٩)

وذلك التعبير قد اقتبسه المسيح عيسى عليه السلام من قول موسى فى التوراة عن نبى الاسلام ﷺ : « جاء الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتلألأ من جبل فاران ، وأتى من ربوات القدس . . . الخ » يقول أصحاب تفسير الكتاب المقدس : « أتى من ربوات القدس » : تترجم السبعينية كلمة « القدس » الى ملائكة . وهذا غالبا هو المعنى الحقيقى » أى : يأتى النبى الآتى من فاران الى فلسطين ، مع جماعات طاهرين كالملائكة .

الوصف الرابع

بلاغ الدعوة

(مكاتبة النبى للملوك والأمراء)

وقوله « ببوق وصوت عظيم » كناية عن مكاتبة النبى ﷺ للملوك والأمراء حتى تعم الدعوة ، وتصل الى القلوب التى عظم شعورها . وبهذه المكاتبات ينتشر خبر نبى الاسلام ﷺ فى كل مكان ، فيعرفه اليهود والنصارى المختارون من الله لصفاء قلوبهم ، وطيب استعدادهم ، فيأتون من كل فج عميق . ويقدمون فروض الطاعة والولاء للدين الجديد . ولماذا عبر عيسى

عليه السلام بقوله : « ببوق وصوت عظيم » ؟ لأن الله عز وجل لما أعطى موسى عليه السلام الشريعة : أمره أن يجمع اليهود الى الجبل ، ويستخدم فى جمعهم البوق . وعند صوت البوق يصعدون الى الجبل ليسمعوا الله عز وجل وهو يكلم موسى عليه السلام ، فيؤمنوا به الى الأبد ، ولم تأت شريعة بعد موسى عليه السلام ، غير شريعة نبى الاسلام ﷺ . فعيسى عليه السلام ، استخدم التعبير المصاحب للشريعة القديمة ، على عاداتهم فى التعبير ، ليدل به على الشريعة الجديدة . تقول التوراة : « فى الشهر الثالث بعد خروج بنى اسرائيل من أرض مصر ، فىذلك اليوم جاءوا الىبرية سيناء ... فقال الرب لموسى : ها أنا آت اليك فى ظلام السحاب ، لكى يسمع الشعب حينما أتكلم معك ، فيؤمنوا بك أيضا الى الأبد ... وتقيم للشعب حدودا من كل ناحية قائلا : احترزوا من أن تصعدوا الى الجبل أو تمسوا طرفه ، كل من يمس الجبل يقتل قتلا ... فانحدر موسى من الجبل الى الشعب ، وقدس الشعب وغسلوا ثيابهم ، وقالوا للشعب : كونوا مستعدين لليوم الثالث . لا تقربوا امرأة . وحدث فى اليوم الثالث لما كان الصباح أنه صارت رعود وبروق وسحاب ثقيل على الجبل ، وصوت بوق شديد جدا ، فارتعد كل الشعب الذى فى المحلة ، وأخرج موسى الشعب من المحلة لملاقاة الله ، فوقفوا فى أسفل الجبل . وكان جبل سيناء كله يدخن من أجل أن الرب نزل عليه بالنار ، وصعد دخانه كدخان الأتون ، وارتجف كل الجبل جدا ، فكان صوت البوق يزداد اشتدادا جدا ، وموسى يتكلم ، والله يجيبه بصوت » (خروج ١٩ : ١ ــ ١٩)

وقول عيسى عليه السلام : « فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح ، من أقصاء السموات الى أقصائها » هو كناية عن انتشار الدعوة الاسلامية فى جميع أنحاء العالم . وقلنا : انه كناية . لأن من النصارى الذين يفسرون هذه العبارات لمجىء المسيح الثانى فى آخر الزمان ، من يقول : ان هذه التعبيرات ليست على حقيقتها . يقول الأنبا أثناسيوس : « وحين يأتى الرب من السماء تظهر علامة واضحة ، ويبصرونه آتيا على سحاب السماء بقوة ومجد كثير ، وتصير الدينونة ، للجميع ، فيرسل ملائكته ببوق عظيم

الصوت « فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح ، من أقصاء السموات الى أقصائها » على أن البعض يقول : ان ما ورد عن نهاية العالم هنا . ليس مجرد تصوير مادى لما يصاحب مجىء الرب ، ولكنه تصوير روحى أيضا للضعف الذى يسبقه . فيقولون ان المقصود بأن الشمس تظلم : هو ضعف الحياة الروحية فى الكنيسة ، فلا يرى الناس نور الرب واضحا » (٣)

الوصف الخامس

حتمية المعركة

« فمن شجرة التين تعلموا المثل : متى صار غصنها رخصا ، وأخرجت أوراقها . تعلمون أن الصيف قريب . هكذا انتم أيضا : متى رايتم هذا كله ، فاعلموا أنه قريب على الأبواب . الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله . السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامى لا يزول »

متى رأى اليهود شجرة التين صار غصنها مورقا ، بعد أن كان يابسا . يعلمون أن وقت الثمر قد حان . وأن الصيف قريب على الأبواب . هكذا يتأكد اليهود والنصارى متى حدثت العلامات التى أخبر بها عيسى عن المسيا ، يعلمون أن نبى الاسلام قد أظل زمانه . اذا حدثت الحروب بين الأمم ، والاضطهادات للمؤمنين ، والزلازل ، والأوبئة ، والمجاعات . واذا ظهر الفساد فى الأرض ، وعم ، يعلمون أن نصر الله قريب . يقول متى : « فاعلموا أنه قريب على الأبواب » ولم يوضح ما هو هذا القريب بعد تلك الأحداث ؟ ولوقا يبين أن هذا القريب هو ملكوت السموات . يقول بعد روايته هذه الأحداث : « متى رأيتم هذه الأشياء صائرة ، فاعلموا : أن ملكوت الله قريب » هذا الملكوت الذى بدأ به عيسى دعوته بقوله : « اقترب ملكوت السموات » وبدأ به يوحنا المعمدان . وهذا يؤكد أن الأحداث التى يتحدث عنها عيسى عليه السلام هى مصاحبة لمجىء ملكوت السموات ، ظاهرا فى

---

(٣) ص ٢٤٢ — ٢٤٣ تفسير متى .

هذه الحياة الدنيا . ومما يؤكد أن هذه الأحداث اشارة الى نبي سيأتي : ما رواه لوقا ايضـا عقب ذكره لهذه الأحداث . وهـو : أن عيسى قال لتلاميذه : « ومتى ابتدأت هذه تكون ، فانتصبوا وارفعوا رؤوسكم ، لأن نجاتكم تقترب » فهذا يدل على أن صاحب الملكوت الآتى : مؤيد لدعـوة عيسى عليه السلام . ولهذا التأييد سيجد أتباعه الحماية في سلطانه .

ومن كلام عيسى عليه السلام وهو « لا يمضى هذا الجيل ، حتى يكون هذا كله » : نفهم أن النبى الآتى بعد هذه الأحداث ، لن يطول زمنه بعد صـعود عيسى الى السـماء . والتعبير بهـذا الجيـل : كنـاية عن سرعة مجيئه . وهكذا فهم النصـارى الأوائل : أن ملكوت الله قريب ، وكانوا ينتظرونه بين آونة وأخرى . حتى اضطر بطرس فى رسالته أن يقول : « سيأتى فى آخر الأيام قوم مستهزئين سالكين بحسـب شهوات أنفسهم ، وقائلين : أين هو موعد مجيئه ، لأنه من حين رقد الآباء كل شيء هكذا من بدء الخليقة ؟ ... ولكننا بحسب وعده ننتظر سموات جديدة . وأرضـا جديدة يسكن فيها البر » (٢ بطرس ٢ : ٣ ــ ٤ ، ١٣) واضطر بولس أن يكتب الي أهل تسالونيكي : « ثم نسألكم أيها الأخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح ، واجتماعنا اليه ، أن لا تتزعزعوا سريعا عن ذهنكم ، ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا . أى ان يوم المسـيح قد حضر . لا يخدعنكم أحـد عـلى طريقة ما ، لأنه لا يأتى ان لم يأت الارتداد أولا » (٢ تس ٢ : ١ ــ ٣) ويؤكد عيسى عليه السلام على وعـده بمجيء النبيا من بعده فيقول : « السماء والأرض تزولان ، ولكن كلامى لا يزول » لأنه واثق من وحى الله .

الوصف السادس
سرية المعركة

ويشبه المسيح عيسى ــ عليه السـلام ــ دخول المسلمين أرض فلسطين ، لنشر الدين ، بالطوفان الذى كان فى أيام نوح ــ عليه السلام ــ

ويبين أن يوم المعركة مجهول ، لأنه لا يعلم الغيب الا الله وحده . فيقول :
« وكما كانت أيام نوح ، كذلك يكون أيضا مجيء ابن الانسان . لأنه كما كانوا فى الأيام التى قبل الطوفان ، يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون ، الى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك ، ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع ؛ كذلك يكون أيضا مجيء ابن الانسان . حينئذ يكون اثنان فى الحقل يؤخذ الواحد ويترك الآخر ، اثنتان تطحنان على الرحى ، تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى »

هذه العبارات مطابقة لعبارات دانيال التى تحدث فيها عن مجيء نبى الاسلام ﷺ بقوله : « وشعب رئيس آت يدمر المدينة والقدس ، وكما بالطوفان يكون انقضاؤها ، والى انقضاء القتال يكون التخريب المقضى » (دا ٩ : ٢٦) والتى عبر عنها عيسى فيما رواه متى ومرقس برجسة الخراب . وبحساب الأرقام وجدنا أنها قريبة الانطباق على زمن نبى الاسلام — كما أسلفنا — ووجه المشابهة بين طوفان نوح وبين مجيء نبى الاسلام عليهما السلام : أن طوفان نوح كان تطهيرا للارض من الكافرين ، اذ قد لبث فى قومه ألف سنة ، الا خمسين عاما ، ولم يؤمن به الا القليل . وكذلك يكون مجيء نبى الاسلام ، تطهير للأرض من رجس الذين كفروا من أهل الكتاب ، والمشركين .

ويحذر عيسى — عليه السلام — أتباعه ، لئلا يحملهم العناد على انكار نبى الاسلام ﷺ ، ويبين لهم : أن من لم يؤمن به ، سوف يهلك ، كما وقع العذاب بقوم نوح . فقد نجا المؤمن وهلك الكافر . وكذلك فى أرض فلسطين ، فى الحقل ، سيكون اثنان ، يقتل أحدهما ويترك الآخر ، ليفر هاربا مخبرا من وراءه بهول ما رأى ، فلا يقف أحد ليصد عن سبيل الله ، وستكون امرأتان تطحنان على الرحى . تؤخذ واحدة وتترك أخرى ، لتخبر النساء فى خدورهن . وهذه التعابير كناية عن هلاك الجاحدين ونجاة المختارين .

ويذكر متى هنرى وجهة نظر النصارى فى هذه التعابير فيقول :

« يمكن تطبيقها على نجاح الانجيل ، سيما فى بدء الكرازة ، فانه قسم العالم ، البعض آمنوا بما تحدث به ، وأخذوا للمسيح ، والآخرون لم يؤمنوا وتركوا ليهلكوا فى عدم ايمانهم . أولئك الذين كانوا فى عصر واحد ، وفى مكان واحد ، وفى قدرة واحدة ، وفى عمل واحد ، وفى ظروف واحدة فى العالم يطحنان معا على رحى واحدة »(٧) وان سألته ماجزاء الذين آمنوا بما تحدث به المسيح ، والذين لم يؤمنوا به فى هذه الحياة الدنيا ؟ يجيب : بأن ذلك الجزاء حدث فى خراب أورشليم سنة ٧٠م يقول : « لما جاء الخراب على أورشليم ميزت العناية الالهية من سبق أن ميزتهم النعمة الالهية . لأن جميع المسيحيين الذين كانوا بينهم نجوا من الهلاك فى تلك المصيبة . وذلك بعناية خاصة من السماء . ان كان هنالك اثنان يعملان فى الحقل معا ، وكان أحدهما مسيحيا ، فقد أخذ فى مكان أمين ، وأعطيت نفسه غنيمة ، أما الآخر فقد ترك لسيف العدو . بل ان وجدت امرأتان تطحنان على الرحى ، فان كانت احداهما للمسيح أخذت فى مكان أمين ، ولو كانت امرأة فقيرة ، خادمة . وتركت الأخرى » (٨)

ونقول : اذا أمكن تطبيقها على نجاح الانجيل فى بدء التبشير به ، فانه بالمثل يمكن تطبيقها على نجاح القرآن الكريم ، فى بدء التبشير به . واذا أمكن أن يكون الهلاك لليهود فى سنة ٧٠م بعد صعود عيسى الى السماء بمدة وجيزة ، فكذلك يمكن أن يكون هلاك اليهود فى حياة النبى ﷺ ، والقضاء على نفوذ اليهود والنصارى فى بلاد الشام بعد لحاقه بالرفيق الأعلى بمدة وجيزة . وانطباقها على نبى الاسلام هو الصواب . لما سبق أن قدمنا . وأين من ذلك عام ٧٠ من الميلاد ، والأناجيل لما تكتب بعد ؟ ومن يتدبر جليا قول متى — عن المسيح — : « كذلك يكون أيضا مجىء ابن الانسان » يجد أن هذا المجىء ليس لعيسى بأى حال من الأحوال ، لأنه لو كان المراد به مجيئه هو ، لقال : « كذلك يكون أيضا مجىء » لأنه هو

---

(٧) ص ١٧٥ جـ ٤ تفسير متى .
(٨) ص ١٧٥ المرجع السابق .

الذى يتحدث اليهم ، ويؤيد هذا المعنى : عبارة لوقا — عن المسيح — التى تقطع الريب وتزيل الشك وهى : « اسهروا اذا وتضرعوا فى كل حين ، لكى تحسبوا أهلا للنجاة من جميع هذا المزمع أن يكون ، وتقفوا قـــدام ابن الانســـان »

ان الذى سيقفون امامه فى وقت مجيئه الرهيب هو شخص غير عيسى ، والا ما كان يعبر عن السهر والتضرع الدائم ، لكى ينجوا من الهول الذى هو مزمع أن يكون . ولماذا يحذرهم من ابن الانسان ان كان هو نفســـه ابن الانسان . وهو من قبل قد قدر لهم مواهبهم وأعطاهم مفاتيح ملكوت السموات ؟ (متى ١٦ : ١٩) — كما يزعمون —

ويؤكد المسيح عيسى — عليه السلام — على سرية المعركة بقوله : « اسهروا اذا . لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم ؟ واعلموا هذا : أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق ، لسهر ولم يدع بيته ينقب . لذلك كونوا أنتم أيضـــا مستعدين ، لأنه فى ساعة لا تظنون ، يأتى ابن الانسان . فمن هو العبد الأمين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام فى حينه . طوبى لذلك العبد الذى اذا جاء سيده ، يجده يفعل هكذا ، الحق أقول لكم : انه يقيمه على جميع أمواله . ولكن ان قال ذلك العبد الردى فى قلبه : سيدى يبطىء قدومه ، فيبتدىء يضرب العبيد رفقاءه ، ويأكل ويشرب مع السكارى ، يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره ، وفى ساعة لا يعرفها . فيقطعه ، ويجعل نصيبه مع المرائين . هناك يكون البكاء وصرير الأنسان »

والحديث — كما هو مكتوب — متصل عن الاستعداد لملاقاة نبى الاسلام ورسالته . وفيه :«اسهروا لأنكم لاتعلمون فى اية ساعة يأتى ربكم ؟» من هو ربهم الذى سيأتى فى اية ساعة لا يعلمونها ؟ اما أن يكون الله عز وجل والمراد بمجيئه مجىء أمره ويكون المعنى : لأنكم لا تعلمون فى أية ســـاعة يأتى أمر ربكم ، فيرســـل لكم النبى الذى وعدكم به على لسان موسى عليه السلام (تث ١٨ : ١٥) واما أن يكون معنى « ربكم » : سيدكم . ويكون

المعنى : لأنكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى سيدكم الذى وعد الله به وحدثتكم عنه ، وهو نبى الاسلام ﷺ . وهذا المعنى مناسب لمثل العبد الشرير ، فانه يقول : « سيدى يبطىء قدومه » وهذا المعنى هو الذى أشار اليه داود عليه السلام ، بقوله عن المسيا : « قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى ، حتى أجعل أعداءك موطئا لقدميك » (مزمور ١١٠ : ١)

حينئذ يشبه ملكوت السموات

وبعد أن فرغ عيسى عليه السلام من كلامه عن مجىء ملكوت السموات وعلامات مجيئه ذكر مثلين بعد هذا الحديث مباشرة ، رواهما متى وحده فى هذا الموضع . والغرض منهما : الاستعداد والترقب لمجىء هذا الملكوت . وهما :

١ — حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى ، أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس ...

٢ — وكأنما انسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله ، فأعطى واحداً خمس وزنات وآخر وزنتين ، وآخر وزنة ..

وقد سبق الحديث عنهما فى أمثلة ملكوت السموات .

المبحث الثالث

أوصاف نبى الاسلام ﷺ

فى هذا الحديث

وقد ذكر متى وحده ، من بين كتاب الأناجيل ، عقب مثل العذارى العشر ، ومثل الوزنات . قول المسيح عيسى — عليه السلام — عن نبى الاسلام ﷺ : « متى جاء ابن الانسان فى مجده ، وجميع الملائكة القديسين معه ، فحينئذ يجلس على كرسى مجده ، ويجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض ، كما يميز الراعى الخراف من الجداء ، فيقيم الخراف عن يمينه ، والجداء عن اليسار . ثم يقول الملك للذى عن يمينه :

تعالوا يا مباركى أبى ، رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم . لأنى جعت فأطعمتمونى ، عطشت فسقيتمونى ، كنت غريبا فآويتمونى ، عريانا فكسوتمونى ، مريضا فزرتمونى . محبوسا فأتيتم الى ، فيجيبه الأبرار حينئذ قائلين : يارب متى رأيناك جائعا فأطعمناك أو عطشانا فسقيناك ، ومتى رأيناك غريبا فآويناك ، أو عريانا فكسوناك ، ومتى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتينا اليك ؟ فيجيب الملك ويقول لهم : الحق أقول لكم : بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر ، فبى فعلتم ، ثم يقول أيضا للذين عن اليسار : اذهبوا عنى يا ملاعين ، الى النار الأبدية ، المعدة لابليس وملائكته . لأنى جعت فلم تطعمونى عطشت فلم تسقونى ، كنت غريبا فلم تأوونى ، عريانا فلم تكسونى . مريضا ومحبوسا فلم تزورونى . حينئذ يجيبونه هم أيضا قائلين : يارب متى رأيناك جائعا ، أو عطشانا ، أو غريبا ، أو عريانا ، أو مريضا ، أو محبوسا ، ولم نخدمك ؟ فيجيبهم قائلا : الحق أقول لكم : بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الأصاغر ، فبى لم تفعلوه . فيمضى هؤلاء الى عذاب أبدى ، والأبرار الى حياة أبدية »

وهذا الجزء من الحديث لم يرد الا عند متى وحده . وهو كما يقول متى هنرى : « هنالك فقرات مجازية ، كتمييز الخراف عن الجداء ، والمحاورة بين الديان والمدانين . وهذا الجزء توضيح للأمثلة السابقة . أمثلة ملكوت السموات (١) » ونحن متفقون معه على أن هناك فقرات مجازية فى هذا الجزء ، وأن الحديث كله عن كيفية مجىء ملكوت السموات .

وبيان ذلك : أن « ابن الانسان » الذى يأتى ليدين العالم : هو نبى الاسلام ، وكذلك : هو « الملك » والمراد بالملائكة القديسين : أصحابه الأخيار ، والمراد بمباركى أبيه أصحابه : المباركون من الله عز وجل ، لأنه اصطفاهم فى سابق علمه . وليست الأبوة على الحقيقة ، بل على الأبوة الروحية ، كما هى العادة فى تعبيرات التوراة والانجيل . والمراد بتمييز الخراف من

---

(١) ص ٢٣١ جـ ٤ تفسير متى .

الجداء : كناية عن التمييز بين الأخيار والأشرار . وبين المؤمنين والمنافقين. والنصارى يقولون فى هذه الفقرات : « هنا نرى المسيح كما فى كل مناسبة أخرى عندما يتكلم عن الدينونة الأخيرة يدعو نفسه « ابن الانســـان » لأنه سوف يدين بنى البشر (٢) » ونرد عليهم : بأن عبارات الانجيل ، وهى مرجعنا الوحيد فى هذا الموضوع ، لا تثبت أن عيسى ديانا ، لا للأحياء ولا للأموات ، ولا لليهود . ولا للأمم . وهذه عبارات من الانجيل :

١ — قال عيسى لليهود : « أنتم حسب الجســـد تدينون ، أما أنا فلست أدين أحد » (يو ٨ : ١٥)

٢ — أنا لست أطلب مجدى ، يوجد من يطلب ويدين» (يو٨ : ٥٠)

٣ — « ان سمع أحد كلامى ولم يؤمن ، فأنا لا أدينه ، لأنى لم آت لأدين العالم ... من رذلنى ، ولم يقبل كلامى ، فله من يدينه » (يو ١٢ : ٤٧ — ٤٨) ومن هذه الأمثلة يتبين لنا : أن ابن الانسان الذى سيجىء ظاهرا بملك أرضى ، للتمييز بين الأخيار والأشرار ، ليس هو عيسى عليه السلام ، بل هو صاحب الملكوت الذى أخبر عن مجيئه عيسى ، وقال عنه فى ما رواه لوقا شبيها بهذا الموضع : « من استحى بى وبكلامى ، فبهذا يستحى ابن الانسان متى جاء بمجده ، ومجد الآب ، والملائكة القديسين . حقا أقول لكم : ان من القيام ههنا قوما لا يذوقون الموت حتى يروا ملكوت الله » (٩ : ٢٦ — ٢٧) ولو كان الآتى للدينونة هو نفسه ، لكان يقول : من استحى بى وبكلامى ، أستحى به أنا ، متى جئت بمجدى ومجد الآب والملائكة القديسين معى ، ولكنه بالتعبير الوارد فى الانجيل عنه ، يشير الى غيره .

والأوصاف التى تظهر من هذا النص . هى :

الوصف الأول

ملك

« ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركى أبى ، رثوا الملكوت

---

(٢) ص ٢٣١ المرجع السابق .

المعد لكم ، منذ تأسيس العالم » لقد عبر عيسى عليه السلام عن نبى الاسلام ﷺ بالملك ، على طريقتهم فى التعبير وعبر بالبنوة المجازية على طريقتهم أيضا . لأنه منهم ويخاطبهم بلغتهم على قدر عقولهم . فهم فى التوراة يطلقون على الله لفظ « الأب » وعلى جميع الناس لفظ « الأبناء » مجازا ، لا حقيقة . ففى سفر ملاخى هكذا : « اليس أب واحد لكلنا ؟ أليس اله واحد خلقنا ؟ » (ملاخى ٢ : ١٠) وقوله : ان الملكوت معد منذ تأسيس العالم ، أى أن الله قد رتب فى أحكامه الأزلية مجىء « محمد رسول الله والذين معه » ووصفهم فى التوراة والانجيل من قبل أن يكونوا .

الوصف الثانى

أتباعه أطهار

« ومتى جاء ابن الانسان فى مجده ، وجميع الملائكة القديسين معه » لما كان من المحتمل أن اتباع الملوك على دين ملوكهم . وقد يكون الملوك أشرارا ، وقد يكونون أخيارا ، عبر عيسى عليه السلام عن أتباع ابن الانسان بلقب القديسين الصالحين كما حكى الله عنهم فى القرآن بقوله : « أشداء على الكفار رحماء بينهم . تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم فى وجوههم من أثر السجود »

الوصف الثالث

محارب منتصر

« يجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض ، كما يميز الراعى الخراف من الجداء » انه لن يحارب كفار قومه فقط ، بل سيحارب كفار العالم . وسيميز الأخيار من الأشرار . ويتمتع الأخيار فى ملكه بسلام دائم . والأشرار سيهلكهم هلاكا رديا .

الوصف الرابع

صاحب شريعة الهية

« يميز بعضهم من بعض » لما كان ملكه باق الى يوم القيامة ، وأتباعه

على سنته وشريعته ، سيكون معه كتاب فيه تعاليم ، من يعمل بها ينجو ، ومن يهملها يضل . وفيه تعاليم يميز بها الأخيار من الأشرار ، ويميز أتباعه من بعده . ومن الآيات التى فى القرآن عن التمييز : « عفا الله عنك . لم أذنت لهم ؟ حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » (التوبة ٤٣)

الوصف الخامس

فقير

« جعت فأطعمتمونى . عطشت فسقيتمونى » ليس الوصف خاصا بنبى الاسلام وحده بل به وبأتباعه ، بدليل : أن الأبرار لما قالوا : « متى رأيناك جائعا فأطعمناك أو عطشانا فسقيناك ؟ ... الخ » رد عليهم بقوله : « الحق أقول لكم : بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتى هؤلاء الأصاغر ، فبى فعلتم » ومعنى ذلك : أن المؤمنين اخوة . والنصارى يطبقون هذا الوصف على تلاميذ عيسى عليه السلام . يقول متى هنرى : « أى جاع تلاميذى وأتباعى ، اما باضطهاد الأعداء لهم بسبب فعل الخير ، أو لأن الفقر كان نصيبهم » ويقولون : ان هذه التعابير مجازية يقول متى هنرى « ان التعبير مجازى . والقصد منه اظهار هذه الحقائق بشدة » وحيث أن التعابير مجازية ، والأوصاف السابقة كلها تتحدث عن أمر واحد هو مجىء ابن الانسان ، فان هذا الوصف لازم له . وفى القرآن الكريم فى سورة الضحى ، عن نبى الاسلام ﷺ : « ألم يجدك يتيما فآوى ؟ ووجدك ضالا فهدى ؟ ووجدك عائلا فأغنى ؟ »

الوصف السادس

غريب

« ومتى رأيناك غريبا فآويناك ؟ » لقد كان النبى ﷺ فى مكة ، فأصبح غريبا فى « يثرب » بعد الهجرة ، وكان أصحابه فى مكة فتغربوا فى أرض السود ويثرب ، وتفرقوا فى الأرض كما جاء فى القرآن الكريم : « واذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك ، أو يقتلوك ، أو يخرجوك . ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » (الأنفال ٣٠)

الوصف السابع

مضـــطهد

« متى رأيناك مريضا أو محبوسا فأتينا اليك ؟ » ولقد كان الرسول ﷺ وأصحابه فى بدء الدعوة ، فى غاية الشدة ، حتى أكلوا ورق الشـــجر من شدة الجوع ، وكانوا يستخفون من الكفار خوفا من الأذى . الى أن أتم الله عليهم نعمته ، وبدلهم من بعد خوفهم أمنا ، ومن بعد عسرهم يسرا . وفى نهاية الأوصـــاف يقول عيسى عليه الســـلام : ان الأشرار الى عذاب أبدى يمضون ، ويمضى الأبرار الى حياة أبدية « اى أنهم يرثون الملكوت » كما يفسرها متى هنرى . وهذا كله فى الحياة الدنيا ، وقت الحرب ، التى تحدث فى احتلال أورشليم (القدس) على يد المسلمين . والنصـــــارى يفسرون العذاب والنعيم فى المجىء الثانى للمسيح . وتفسيرهم خاطىء لأنهم يقولون بتأسيس الملكوت فى يوم الخمســـين ، ولأنهم يقولون بالمجىء الروحى . وهذه الأوصاف والعلامات لحدث واحد ، ونبى واحد ، يرى رأى العين فى هذه الحياة الدنيا ، بعد ظهور العلامات التى تحدث عنها المسيح عليه السلام فى هذا الحديث (*)

ولا يعترض أحـــد بأن النص يقصـــد ابن الانســـــان بنفســـه ، وهـــو بنفســـه لم يذهب الى فلســـــطين . أولا : لأن أبا بكـــر رضى الله عنـــه الذى ســـير الجيـــوش لأورشـــــليم (القـــدس) متبـــع لا مبتدع ، وثانى اثنين اذ هما فى الغار . وثانيا : لأن رسول الله ﷺ أعد الجيش قبل موته ، ووصى فى مرضه الذى مات فيه بقوله : « انفذوا بعث أسامة » فأبو بكر لما سير الجيش ، كان منفذا لخطة موضوعه من النبى نفسه . وثالثا : لأن الجيوش التى تغزو فى سبيل الاسلام ، كل فـــرد فى الجيش نائب عن رسول الله ﷺ فى نشر الدعوة . فكأنه هو . ورابعا : أن النصارى الذين رأوا فتح المسلمين لأورشليم ، قالوا : ان ذلك ما يشير

اليه دانيال النبى ، ولو كان المقصود النبى ما قالوا . وخامسا : أن الأتباع فى كل ملة يخاطبون بخطاب معلمهم ومرشدهم . ومن ذلك ما جاء فى التوراة « اسمع يا اسرائيل » والمراد بنو اسرائيل ، ومن يدخل فى شريعتهم من الأمم .

***

وقد وضح لنا مما سبق ذكره : أن المراد بالعالم : عالم الملك والشريعة فى بنى اسرائيل ، وليس المراد بالعالم انتهاء الحياة الدنيا ومجىء الآخرة . ووضح : أن خراب أورشليم وهدم الهيكل توطئة لمجىء ابن الانسان ، الآتى باسم الرب . وليس المراد : التوطئة لانتشار الانجيل ليحل محل التوراة ، ووضح : **أن خراب أورشليم وهدم الهيكل، هما توطئة لمجىء ابن الانسان** ، الآتى فى قوله : « ومتى جاء ابن الانسان فى مجده . . . الخ » هو نبى الاسلام ﷺ . ووضح : أن المسيح — عليه السلام — بين لتلاميذه أن يتيقظوا لعلامة خراب أورشليم ، ولا يجهدون أنفسهم فى التنبؤ عن ساعة مجىء ابن الانسان ، وأنه لن تتوقف عجلة الحياة من حركة وعمل ، وتوالد وموت ، الى مجىء ابن الانسان . ثم ذكر الأمثلة التالية للاستعداد لملكوت السموات الآتى قريبا :

١ — مثل العبد الأمين (متى ٢٤ : ٤٥ — ٥١)

٢ — مثل العذارى العشر (متى ٢٥ : ١ — ١٣)

٣ — مثل الوزنات العشر (متى ٢٥ : ١٤ — ٣٠)

٤ — ثم حديث المكافأة (متى ٢٥ : ٣١ — ٤٦)

الفصل الرابع

فى

مبارك الآتى باسم الرب

تمهيـــــد :

يذكر متى أن عيسى عليه السلام لما ضرب مثلا لملكوت السموات ، وهو مثل « عرس ابن الملك » والغرض منه : انتقال الملكوت الى الأمم ، بدل أن كان اليهود يحتكرونه لأنفسهم ، لما ضرب هذا المثل « ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة » (متى ٢٢ : ١٥) وبعد محادثة بين عيسى عليه السـلام وبين الفريسـيين « فى ذلك اليوم جاء اليه صدوقيون » (٢٢ : ٢٣) وسألوه أسئلة فأبكمهم ، فلما رأى الفريسـيون أنه أبكم الصدوقيين « اجتمعوا معا » وناقشوه فى مسائل دينية ، ثم ألزم عيسى الفريسيين بأن يسلموا بأن المسيح المنتظر ــ الذى هو المسيا ــ ليس من نسل داود ، لأن داود ــ عليه السلام ــ يدعوه سيده فى الزبور المئة والعاشر وليس من اللائق أن يكون الابن سيدا لأبيه ، ثم بعد ذلك مباشرة يقول متى :

النص :

« حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا : على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون ، فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه ، فاحفظوه وافعلوه ، ولكن **حسـب أعمـالهم لا تعملـوا ، لأنهم يقـولون ولا يفعلـون ،** فانهم يحـزمون احمـالا ثقيلة عسرة الحمـل ، ويضـعونها عـلى أكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصـبعهم ، وكـل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس ، فيعرضون عصائبهم ، ويعظمون اهـداب ثيابهم ، ويحبون المتكأ الأول فى الولائم ، والمجالس الأولى فى المجامع والتحيات

فى الأسواق ، وأن يدعوهم الناس سيدى سيدى . وأما أنتم فلا تدعوا سيدى ، لأن معلمكم واحد : المسيح . وأنتم جميعا اخوة ، ولا تدعوا لكم أبا على الأرض ، لأن أباكم واحد الذى فى السموات . ولا تدعوا معلمين لأن معلمكم واحد : المسيح . وأكبركم يكون خادما لكم ، فمن يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع . لكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، فلا تدخلون أنتم ، ولا تدعون الداخلين يدخلون ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تكلون بيوت الأرامل ، ولعلة تطيلون صلواتكم ، لذلك تأخذون ديونة أعظم ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تطوفون البحر والبر لتكسبوا دخيلا واحدا ومتى حصل تصنعونه ابنا لجهنم أكثر منكم مضاعفا ، ويل لكم أيها القادة العميان ، القائلون من حلف بالهيكل فليس بشىء ، ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم ، أيها الجهال والعميان ، أيما أعظم : الذهب أم الهيكل الذى يقدس الذهب ؟ ومن حلف بالمذبح فليس بشىء ، ولكن من حلف بالقربان الذى عليه يلتزم ، أيها الجهال والعميان ايما أعظم : القربان أم المذبح الذى يقدس القربان ؟ فان من حلف بالمذبح فقد حلف به ، وبكل ما عليه ، ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله . وبالجالس عليه . ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبث والكمون ، وتركتم أثقل الناموس : الحق والرحمة والايمان ، وكان ينبغى أن تعملوا هذه ، ولا تتركوا تلك . أيها القادة العميان الذين يصفون (١) عن البعوضة ويبلعون الجمل ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة ، وهما من داخل مملوءان اختطافا ودعارة أيها الفريسى الأعمى : نق أولا داخل الكأس والصحفة لكى يكون خارجهما أيضا نقيا ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبورا مبيضة ، تظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات ، وكل نجاسة .

---

(١) « يصفون الماء من البعوضة » ترجمة الأب صبحى قاوشجى ويوسف حبوى . والمعنى أن البعوضة اذا وقعت فى الماء يعتقد اليهود أن الماء غير صالح للطهارة منه ، كناية عن تظاهرهم بالتشدد فى الدين .

هكذا أنتم أيضا من خارج تظهرون للناس أبرارا ، ولكنكم من داخل مشحونون رياء واثما ، ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون ، لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين ، وتقولون : لو كنا في أيام آبائنا لما شاركناهم في دم الأنبياء فأنتم تشهدون على أنفسكم انكم أبناء قتلة الأنبياء ، فاملأوا أنتم مكيال آبائكم ، أيها الحيات أولاد الأفاعي ، كيف تهربون من دينونة جهنم ، لذلك ها أنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة ، فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون في مجامعكم ، وتطردون من مدينة الى مدينة لكي يأتي عليكم كل دم زكي سفك على الأرض من دم هابيل الصديق الى دم زكريا بن برخيا . الذي قتلتموه بين الهيكل والمذبح الحق أقول لكم : ان هذا كله يأتي على هذا الجيل .

يا أورشليم يا أورشليم ، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا . لأني أقول لكم : انكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب » (متى ٢٣) . (مرقس ١٢ : ٣٥ — ٤٠) . (لوقا ٢٠ : ٤١ — ٤٧) .

الشرح والبيان :

قبل أن نذكر موضع الشاهد في هذه العبارات ، وهو قول عيسى عليه السلام : « انكم لا ترونني من الآن ، حتى تقولوا : مبارك الآتي باسم الرب » والمقصود بالآتي المبارك : نبي الاسلام ﷺ نذكر شرحا موجزا لها مسترشدين بأقوال مفسريهم خاصة تفسير متى هنري :

١ — « على كرسي موسى جلس الكتبة والفريسيون » ، كمعلمين ومفسرين للتوراة فاسمعوا منهم واحفظوا كلامهم ، لأني ما جئت لأخالف تعاليم موسى عليه السلام (٢) ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون ، و « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون » وكانوا قساة

---

(٢) « قال يسوع : أتظنون أني جئت لأحل الشريعة والأنبياء ؟ الحق أقول لكم لعبر الله : اني لم آت لأبطلها ، ولكن لأحفظها » (بر ٣٨ : ٣ — ٣ مت ٥ : ١٧ — ١٩)

فى أن يفرضوا على غيرهم تلك الأمور التى لم يكونوا هم أنفسهم غير مستعدين للخضوع لها ، فهم يحزمون أحمالا ثقيلة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس ، وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم ، كناية عن تشددهم فى الشريعة مثل تشددهم فى العمل يوم السبت . وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس ، رياء وسمعة .

ثم يبين عيسى — عليه السلام — علامتين من علامات تظاهرهم :

(أ) فيعرضون عصائبهم : وهذه كما يقول متى هنرى : « كانت قطعا صغيرة من الورق ، كتب عليها بدقة الفقرات الأربع من الناموس (خر ١٣ : ٢ — ١١ ، ١٣ : ١١ — ١٦ ، تث ٦ : ٤ — ٩ ، ١١ : ١٣ — ٢١) كانت هذه تخاط على جلد ، وتوضع فوق الجبهة وعلى الذراع الأيسر ، وكان هذا أحد تقاليد الشيوخ . وكان يشير الى (خر ١٣ : ٩ ، أم ٧ : ٣)(٣)

(ب) وهم يعظمون أهداب ثيابهم : لقد أوصى الله اليهود بعمل أهداب على ثيابهم (عدد ١٥ : ٣٨) لتمييزهم عن سائر الأمم ، أما الفريسيون فلم يكتفوا بأن تكون لهم هذه الأهداب ، بل عظموها أكثر من المعتاد ، للفت نظر الناس اليهم ، كأنهم أكثر تدينا من غيرهم ، وتظاهروا كثيرا بالعظمة والرياسة . وكان من علامة كبريائهم طمعهم فى أماكن الصدارة والكرامة فى كل المظاهر العامة ، كالولائم وأماكن اجتماع الناس ، ويحبون التحيات فى الأسواق .

٢ — وكان معلمو اليهود — كما يقول متى هنرى — : « قد انتحلوا لأنفسهم قبل المسيح بوقت قصير ، لقب « ربى » وهذه تتضمن معنى المعظمة ، وترجمتها الحرفية : معلم أو سيدى . وقد أعطوا هذا اللقب أهمية عظمى ، حتى سرى بينهم هذا القول المأثور : أن من يحيى معلمه دون أن يقول له « ربى » يثير غضب العظمة الالهية ، ويسبب ابتعاد الله عن اسرائيل » وعيسى — عليه السلام — يحذر أتباعه من التشبه بهم ويحثهم على التواضع

---

(٣) جـ ٤ ص ٦٧ تفسير متى .

فيقول : « وأما أنتم فلا تدعوا سيدى . لأن معلمكم واحد : المسيح » المعهود (المسيا) « وأنتم جميعا أخوة ، ولا تدعوا لكم أبا على الأرض » لا تقولوا عن أى انسان انه أب الديانة أى مؤسسها ومنشؤها ، لأن الله وحده أب الجميع ، وهو صاحب الفضل . « لأن أباكم واحد الذى فى السموات ، وأكبركم يكون خادما لكم » تواضعا . فمن تواضع لله رفعه ، ثم يبين عيسى عليه السلام سبب التواضع فيقول : ان الله يعاقب المتكبرين ، ويرفع المتواضعين : « من يرفع نفسه يتضع ، ومن يضع نفسه يرتفع » .

ثم يوجه عيسى عليه السلام اللوم لهؤلاء العلماء ، ويدعو بالويل عليهم ، لأنهم يغلقون ملكوت السموات قدام الناس ، ويبذلون كل ما فى وسعهم لجعل الدين اليهودى مقصورا على اليهود وحدهم دون سائر الأمم ، ولحجب نور الايمان عن سائر الشعوب والملل ، ومع هذا لم يعملوا بالشريعة ، ولا تركوا غيرهم يعملون بها ، وكانت تصرفات هؤلاء العلماء مادية بحتة ، لدرجة أنهم يأكلون بيوت الأرامل ، وفى الترجمة الانجليزية : « يبتلعون بيوت الأرامل » اما بنزولهم فيها هم وأتباعهم لاضافتهم بما يليق بأناس فى مراكزهم ، أو بالتأثير على عقولهن وعواطفهن ، لكى يقمنهم وكلاء وأوصياء على ممتلكاتهن التى يسهل عليهم ابتلاعها ، لأنه من كان يجرؤ على مطالبة اشخاص كأولئك بتقديم حساب وكالتهم ؟

وكانوا يدارون هذه التصرفات الشريرة بتطويل صلواتهم ، ومن حبهم للمال كانوا يطوفون البحر والبر ، ليصطادوا غير يهودى الى الديانة اليهودية ، ليس تقربا الى الله به ، بل ليأخذوا من ورائه نذورا وهبات ، ومتى دخل فى الديانة يتشبع بآرائهم ويتشدد هو الآخر، فيكون مثلهم ابنا لجهنم اكثر منهم مضاعفا .

وقد وصفهم عيسى عليه السلام بعمى القلب وانطماس البصيرة ، وبرهن على ذلك بموضوع الحلف . فقد أباحوا الحلف بالمخلوقات على شرط أن تكون متصلة بتعظيم الله . ومن هذه المخلوقات : الهيكل والمذبح . مخالفين بذلك نص التوراة وهو : « الرب الهك تتقى ، واياه تعبد ، وباسمه

تحلف » (تث ٦ : ١٣) ولم يكتفوا بذلك بل ميزوا بين الحلف بالهيكل ، والحلف بذهب الهيكل ، فمن حلف بالذهب يلزمه اليمين ، ومن حلف بالهيكل لا يلزمه ، وميزوا بين الحلف بالمذبح والحلف بالقربان الذى على المذبح . فمن حلف بالقربان يلزمه اليمين ، ومن حلف بالمذبح لا يلزمه وفى ذلك تشجيع للناس على تقديم القربان الى المذبح ، وعلى تقديم الذهب لخزانة الهيكل ، وبذلك يغنمون مغانم كثيرة .

ويجادلهم عيسى — عليه السلام — بالعقل على فساد هذا الحلف . فيقول : ان الهيكل أقدس من الذهب ، لأنه لولا قداسة الهيكل فى نفوس اليهود ما قدموا الذهب هدايا الى الهيكل . ويقول : ان المذبح أقدس من القربان ، لأنه لولا قداسة المذبح فى نفوس اليهود ما وضعوا عليه القرابين . فكيف يقول العلماء : ان الأوانى الذهبية والزخارف والقرابين من البقر والغنم والابل والطيور التى تؤكل ، هى أفضل من الهيكل والمذبح ؟

ثم يبين لهم الحق فيقول : من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه ، ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه ، ومن حلف بالسماء فقد حلف بها وبعرش الله ، وبالله الجالس على العرش (٤) لأن المقصود بهذا كله : اسم الله تعالى .

ووصفهم عيسى عليه السلام بمحاباة الشريعة ، لأنهم كانوا يختارون منها ما يوافق أمزجتهم أو مصلحتهم ، وكانوا يهتمون بالواجبات الأصغر أهمية ، ويتركون الأمور الكبيرة ، فقد كانوا يعشرون النعنع والشبث والكمون ، وكانوا يأخذون العشور لأنفسهم ، وتركوا الحق والرحمة نحو الناس ، والايمان نحو الله وهذا هو الصالح الذى يطلبه الله من الناس . وهذا أيضا هو الثقيل الذى يأباه اليهود كل الاباء .

ولقد كانوا يصفون الماء من البعوضة ويبلعون الجمل : كناية عن تظاهرهم

---

(٤) يفسر علماء بنى اسرائيل والمسيح عليه السلام جلوس الله على العرش بأنه ليس جلوسا حقيقيا ، لأن الله ليس جسما ولا مكان له . وانما الله يتحدث عن ذاته بلغة بنى آدم على سبيل المشاكل (دلالة الحائرين — تنقيح الأبحاث — انجيل برنابا) .

بالخوف والرعب ، كأنهم يكرهون الخطية جدا ، ويفزعون منها في أتفه مظاهرها ، على أنهم كانوا لا يبالون بتلك الخطايا التى تعتبر بالنسبة اليها كالجمل بالنسبة للبعوضة . وكان اليهود يتمسكون بمظهر الديانة ولذلك شبههم عيسى عليه السلام بتشبيهين : شبههم باناء نظيف من الخارج ، ولكنه قذر من الداخل . وشبههم بالقبور المبيضة تظهر من خارج جميلة ، وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة .

٣ — وادعى اليهود الرفق بذكرى الأنبياء السابقين ، بينما أبغضوا واضطهدوا الذين كانوا بينهم ، لقد أكرموا آثار عظام الأنبياء ، وبنوا مقابرهم وزينوها ، واحتجوا ضد قاتليهم بقولهم : لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء ، وقد نقض عيسى عليه السلام دعواهم بقوله : لو كنتم تحتجون ضد قتل آبائكم لهم ، فلماذا تطلبون قتلى ؟ اذا أنتم بمحاولتكم قتلى تشهدون على أنفسكم بأنكم قتلة ، وأبناء قتلة .

٤ — وقوله : « لذلك ها أنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبه ... الخ » من كلام الله تعالى . وليست من كلام عيسى عليه السلام ، لأنه جاء بعدها : « يا أورشليم . يا أورشليم . يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا ... الخ » وعيسى لم يحاول جمع بنى اسرائيل أكثر من مرة . واذا حدث الانتقام الالهى من اليهود ، فسوف يأتى عليهم بسبب قتلهم الأنبياء : كل دم زكى سفك على الأرض من أول رجل وهو هابيل ابن آدم — عليه السلام — وفى الانجيل « أنه بار . اذ شهد الله لقرابينه » (عبر ١١ : ٤) الى آخر نبى أشار اليه عيسى بقوله : « زكريا بن برخيا » وقد اختلف مفسرو النصارى فى المقصود بزكريا بن برخيا . يقول الأنبا أثناسيوس : أ — لعله زكريا ابن يهوديا داع . ب — أو هو زكريا النبى بن براخيا بن عدو . جـ — أو هو زكريا أبو يوحنا (المعمدان) .

والدليل على أنها من كلام الله أيضا : قول لوقا : « لذلك قالت حكمة الله : انى أرسل اليهم أنبياء ورسلا ، فيقتلون منهم ويطردون . لكى يطلب

من هذا الجيل دم جميع الأنبياء المهرق منذ انشاء العالم من دم هابيل الى دم زكريا الذى أهلك بين المذبح والبيت » (لو ١١ : ٤٩ ــ ٥١)

وأخيرا يحكم عيسى عليه السلام على أورشليم بالخراب الأبدى .
أى بزوال الملك ونسخ الشريعة من بنى اسرائيل عليه السلام .

* * *

وموضع الشاهد فى هذا الكلام : « انكم لا تروننى من الآن حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب » ومبارك الآتى باسم الرب : اشارة الى نبوءة عن المسيا فى التوراة ، وهذا نص كلام التوراة ، يقول داود عليه السلام مشيرا الى نبى الاسلام ﷺ : « ١ ــ احمدوا الرب لأنه صالح . لأن الى الأبد رحمته ، ٢ ــ ليقل اسرائيل : ان الى الأبد رحمته ، ٣ ــ ليقل بيت هارون ان الى الأبد رحمته ، ٤ ــ ليقل متقو الرب : ان الى الأبد رحمته ، ٥ ــ من الضيق دعوت الرب فأجابنى من الرحب ، ٦ ــ الرب لى فلا أخاف . ماذا يصنع بى الانسان ؟ ٧ ــ الرب لى بين معينى وأنا سأرى بأعدائى ، ٨ ــ الاحتماء بالرب خير من التوكل على انسان . ٩ ــ الاحتماء بالرب خير من التوكل على الرؤساء ، ١٠ ــ كل الأمم أحاطوا بى ، باسم الرب أبيدهم ، ١١ ــ أحاطوا بى واكتنفونى ، باسم الرب أبيدهم ، ١٢ ــ أحاطوا بى مثل النحل ، انطفأوا كنار الشوك ، باسم الرب أبيدهم ، ١٣ ــ دحرتنى دحورا لأسقط . أما الرب فعضدنى ، ١٤ ــ قوتى وترنمى الرب ، وقدصار لى خلاصا ، ١٥ ــ صوت ترنم وخلاص فى خيام الصديقين ، يمين الرب صانعة ببأس ، ١٦ ــ يمين الرب مرتفعة ، يمين الرب صانعة ببأس ، ١٧ ــ لا أموت بل أحيا ، وأحدث بأعمال الرب . ١٨ ــ تأديبا أدبنى الرب ، والى الموت لم يسلمنى ، ١٩ ــ افتحوا لى أبواب البر ، أدخل فيها واحمد الرب ، ٢٠ ــ هذا الباب للرب . الصديقون يدخلون فيه ، ٢١ ــ أحمدك لأنك استجبت لى ، وصرت لى خلاصا . ٢٢ ــ الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية ، ٢٣ ــ من قبل الرب كان هذا ، وهو عجيب فى أعيننا ، ٢٤ ــ هذا هو اليوم الذى صنعه الرب نبتهج ونفرح فيه . ٢٥ ــ آه يارب خلص . آه يارب أنقذ . ٢٦ ــ مبارك الآتى باسم الرب ، باركناكم من بيت الرب . ٢٧ ــ الرب

هو الله ، وقد أنار لنا . أوثقوا الذبيحة بربط الى قرون المذبح ، ٢٨ ـــ الهى أنت فأحمدك الهى فأرفعك . ٢٩ أحمدوا الرب لأنه صالح ، لان الى الابد رحمته » (مز ١١٨)

وفى ترجمة الكاثوليك :

« اعترفوا للرب لأنه صالح لأن الى الأبد رحمته ، ليقل اسرائيل : ان الى الابد رحمته ، ليقل بيت هرون : ان الى الابد رحمته ، ليقل المتقون للرب : ان الى الابد رحمته ، من الضيق دعوت الرب فاستجاب الرب لى بالرحب ، الرب معى ، لا أخاف . وماذا يصنع بى البشر ؟ الرب معى بين ناصرى فأرى خيبة مبغضى . الاعتصام بالرب خير من الاتكال على البشر ، الاعتصام بالرب خير من الاتكال على العظماء . أحاطت بى جميع الأمم . باسم الرب أدمرهم ، أحاطوا بى ثم أحاطوا بى ، باسم الرب أدمرهم ، أحاطوا بى كالنحل ، ثم خمدوا كنار الشـــوك ، باســـم الرب أدمرهم . لقد دفعتنى لكى أسقط لكن الرب نصرنى ، الرب عزى وتسبيحى لقد كان لى خلاصـــا ، صـــوت ترنيم وخلاص فى أخبية الصديقين يمين الرب صـــنعت ببأس . يمين الرب ارتفعت . يمين الرب صـــنعت ببأس . لا أموت بل أحيا وأحدث بأعمال الرب ، قد أدبنى الرب تأديبا ، ولكن لم يســـلمنى الى الموت ، افتحوا لى أبواب البر فأدخل فيها واعترف للرب . هذا باب الرب فيه يدخل الصديقيون ، اعترف لك لأنك استجبتنى وكنت لى خلاصا ، الحجر الذى رذله البناؤون هو صار رأسا للزاوية . من عند الرب كان ذلك وهو عجيب فى أعيننا ، هـــذا هو اليوم الذى صنعه الرب فلنبتهج ونتهلل فيه ، يارب خلص يارب أنجح . **مبارك الآتى** باســـم الرب . باركناكم من بيت الرب . الرب هو الله ، وقد أنارنا فزينوا العيد بأغصان مشـــبكة الى قرون المذبح . أنت الهى فاعترف لك ، اللهم أنى أرفعك ، اعترفوا للرب ، لأنه صالح لان الى الابد رحمته » (مز ١١٧)

والنصارى يقولون : ان هذا المزمور ، اشارة الى « المسيا » الذى تفسيره المسيح ، ويقولون : ان الأوصاف التى فيه عن المسيا توجـــد فى عيسى ـــ عليه السلام ـــ

***

ووجهة نظر النصارى فى هذا المزمور ، يحكيها الكاثوليك هكـــذا :
« فى هذا المزمور تنويه باحتفال دخول السيد المسيح الى مملكته أى الى السمـــاء ، وقـــد وقع هذا الدخول على صـــفة غير تامة ، فى يوم صعوده له المجد ، حين ارتفع الى السماء محفوفا بجميع الأبرار من ذوى الناموس العتيق وسيرفع مرة أخرى مستوفيا جميع أوصـــاف البهاء والمجـــد فى اليوم الأخير ، وذلك بعد أن يستأصل السيد المسيح جميع أعدائه ، فيصعد مرة أخرى ، ومعه جميع المختارين . وهم جســـده السرى داخلا بهم الى السماء ، حيث الملائكة يفتحون له الأبواب وهم يشيدون بتسبيحه . وقد مثل ذلك تمثيلا محسوسا باحتفال دخول السيد الى أورشليم قبل موته بستة أيام ، وقد أورد له اليهود الآية ٢٥ و ٢٦ من هذا المزمور ، وأورد هو لنفسه الآية ٢٢ وأخيرا نقول : ان دخول المسيح هذا يتم فى كل نفس تصير مملكة له ، بقبول المعمودية ، أو بتوبة صادقة (٥) »

والآيتان ٢٥ و ٢٦ وهما : « يارب خلص يارب أنجح ــ مبارك الآتى باسم الرب . باركناكم من بيت الرب » والآية ٢٢ وهى : « الحجر الذى رذله البناؤون هو صار رأسا للزاوية » يقولون فيهم : أن اليهود قـــد استقبلوا عيسى عليه السلام وهو داخل أورشليم فى المرة الأخيرة راكبا على حمار وعلى جحش ابن أتان « قائلين : أوصنا (مرحبا) مبارك الآتى باســـم الرب ، مباركة مملكة أبينا داود الآتية باســـم الرب أوصنا فى الأعالى » (مرقس ١١ : ١٠) ويقولون أن عيسى ــ عليه السلام ــ وهو يحاج اليهود فى سبب رفضهم له ، قال لهم : لماذا ترفضوننى ؟ وأنا الحجر الذى رفضه البناؤون ، وقد صرت رأسا للزاوية .

ويقول النصارى فى تفسير « مبارك الآتى باسم الرب »

يقول الأنبا أثناسيوس : « لا شك أن من يرفض الرب : يرفض . الى أن يجىء وقت يعترف فيه بخطيئته . ويقول : مبارك الآتى باســـم الرب فينال الغفران . أو يخضع له مرغما فى يوم الدينونة » (٦) ومعنى هذا الكلام : أن عندهم رأيان فى تفسير هذه العبارة :

---

(٥) ص ٣٠ حواشى على المجلد الأول من الكتاب المقدس للكاثوليك .
(٦) ص ٢٣٩ تفسير متى للانبا اثناسيوس

الرأى الأول : هو أن كل مَن يتوب من اليهود ، ويعترف بأنه كان مخطئا فى رفضه الايمان بألوهية عيسى ، حين يتوب ينال الغفران ، واذا نال الغفران ، فلسان حاله يقول : مبارك الآتى باســم الرب ، وهذا الرأى يشير اليه « متى هنرى » ويضعفه بقوله : « يظن البعض أن هذه تشـــير الى تجديد اليهود ، وايمانهم بالمسيح فانهم عندئذ يرونه ، ويعترفون به . ويقولون : « مبارك الآتى » ولكنها على الأرجح تشير الى مدى أبعد ، لان اعلان المسيح الكامل ، وادانة الخطاة محفوظان ليكونا مجد اليوم الأخير (٧) » وقوله : « لان اعلان المســـيح الكامل ، وادانة الخطاة محفوظان ليكونا مجد اليوم الأخير » **اشارة الى الرأى الثانى** ، وهو مجىء المسيح الثانى فى انتهاء الزمان ، واذا أتى المسيح مرة ثانية فى انتهاء الزمان ، ونظـــره اليهـــود ورأوه رؤية روحية يقولون له : **« مبارك الآتى باسم الرب »** ثم يدين الخطاة منهم على خطئهم .

ونرد عليهم :

١ ــ بالنسبة للرأى الثانى : نقول : ان الانجيل صرح فى أكثر من آية بأن عيسى عليه السلام لن ينزل مرة ثانية الى الحياة الدنيا . ومن هذه الآيات قوله : « لست أنا بعد فى العالم » (يو ١٧ : ١١)

وبالنسبة للرأى الأول : وهو أن الذى يتوب من اليهود ، ويؤمن بعيسى ــ عليه السلام ــ فكأن لسان حاله يقول مبارك الآتى باسم الرب .

على حد قول الشاعر :

لو تعلم الدار من قد زارها ، فرحت
واستبشرت ، ثم باست موضع القدم

واعلنت بلســـان الحـــال قـــائله :
أهـــلا وســـهلا ، بأهل الجود والكـــرم

---

(٧) ص ١١٢ جـ ٤ تفسير متى

١ ــ **نقول** : هذا الرأى ينقضه سياق الحديث الذى خاطب عيسى فيه الجموع والتلاميذ ، وينقضه أيضا : كلام داود عليه السلام ، فانه يشير الى رجل ظاهر يرى رأى العين ، وتحاك المؤامرات ضده ولا يضره أحد ، لأن الله معه ، ويكون صاحب مجد وسلطان .

٢ ــ ان عيسى عليه السلام فى صدر كلامه : صحح اعتقاد اليهود فى المسيح المنتظر فبين لهم : أنه ليس من نسل داود عليه السلام لأنه يدعوه بظهر المغيب « سيدى » وقد جرت العادة بأن الابن لا يكون سيدا لأبيه ، ثم ابتدأ يوبخ اليهود ، ويندد بأفعالهم ، ويقول لهم : ان الزمان قد كمل وجرائم آبائكم وأجدادكم التى ارتكبوها الى اليوم ، سيضاف اليهـا جرائمكم أنتم ، وهذا كله سيأتى على هذا الجيل ، وستخرب أورشـليم ، وسيهدم الهيكل .

ولما كان الانجيل قد ذكر قبل ذلك الكلام تغيير الشريعة وانتقالها من اليهود الى أمة غيرهم فى هذا النص : « ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (متى ٢١ : ٤٣) يكون الآتى باسم الرب هو المراد لهـذا الخصوص ، خاصة وأن عيسى عليه السـلام يوبخ علماء اليهود عـلى تحريفهم الشريعة ، ويصفهم بالقادة العميان ، وأنهم يغلقون ملكـوت السموات قدام الناس فلا يدخلون ولا يدعون الداخلين يدخلون .

وقول عيسى عليه السلام « ان هذا كله يأتى على هذا الجيل » وهو اشارة الى سرعة الانتقام بعدما قال قبلا عن الله تعالى : « هاأنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة ، فمنهم تقتلون وتصلبون ، ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة الى مدينة » يدل على سلب كل امتيازات اليهود من ملك ونبوة ، لأن الأبناء على طول الزمان يتوارثون سنن الآباء .

وفى وقت لم يطل بعد نطق عيسى ــ عليه السلام ــ بهذا التهديد جـاء نبى الاسلام ﷺ بملكه ونبوته ، ولذلك هو أحق بانطباق هذا الكلام عليه .

دون غيره ، أما عيسى عليه السلام فالى إلآن وقد مضت أجيال وأجيال لم يأت ، ومن النصارى من ينكر مجيئه الظاهر الى الأبد .

٣ — ان تعبير الانجيل يدل على انتهاء ملك اليهود وزوال الشريعة منهم بعد هدم هيكل سليمان ، اذ أنه بعد ما انتهى من ذم علماء اليهود « تقدم تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل . فقال لهم يسوع : أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم : انه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض . وفيما هو جالس على جبل الزيتون ، تقدم اليه التلاميذ على انفراد قائلين : قل لنا : متى يكون هذا ؟ » وكانت اجابة عيسى حاسمة ، وهى بعدما « تقوم أمة على أمة ، ومملكة على مملكة ، وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن ، ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ، ويضلون كثيرين » ثم قال بصراحة : « متى رأيتم هذا كله ، فاعلموا أنه قريب على الأبواب . الحق أقول لكم : لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله ، السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول » والتاريخ شاهد على أنه قامت أمة على أمة ، ومملكة على مملكة بعد رفع عيسى الى السماء ، وكانت الحروب سجالاً بين الفرس والروم ، وادعى النبوة فى الفترة من عيسى الى محمد عليهما السلام كثيرون من الناس ، منهم « تيوداس الذى هزم أمام كوسبيوس فاروس ، وآخر غلب على أمره ، أمام فيلكس ، وغيرهما أمام فستوس ، وقال دوستيوس : أنه هو المسيح الذى تنبأ عنه موسى (٨) » وحيث ان نبى الاسلام ﷺ هو الذى جاء بعد عيسى عليه السلام ، وأسس دولة الاسلام ، وأزال نفوذ اليهود ، واستمر ملكه الى الآن ، فانه يكون هو النبى الحقيقى الذى اشار اليه عيسى عليه السلام . خاصة وأن لاسماعيل بركة .

---

(٨) ص ١٢٤ جـ ٤ تفسير متى — لمتى هنرى — وقد ذكر يوسيفوس اليهودى أسماء كثيرين من الذين زعموا بأنهم هم « المسيح » منهم «فرايورس» أخو هيرودوس . و « حزقيا » و « يهودا » ابنه ، و « مناحيم » ابنه . وذكر المؤرخون أن « ابن النجم » الذى هو « باركوخبا » ادعى أنه هو المسيح . وقد هزمه الرومان فى سنة ١٣٢م .

٤ ــ واذا نظرنا فى هذا المزمور بعين الانصاف ، نجد فيه : « الحجر الذى رفضه البناؤون قد صار رأس الزاوية ، من قبل الرب كان هــذا ، وهو عجيب فى أعيننا » وهى عبارة لا تنطبق الا على نسل هاجر جــارية ابراهيم عليه السلام ، ونسلها مبارك فيه بنص التوراة ، أى له ملك ونبوة ، مثل نسل سارة ، واليهود لأنهم من نســـل سارة زوجة ابراهيم ، وهى الحرة ، يعتبرون أنفســـهم أرقى من بنى اسماعيل ، ويحتقرونهم . فالهدف الذى يقصده عيسى من اقتباسه هذا المزمور هو مجىء غيره بعده ، ويكون من غير نسل سارة ، وحيث لاسماعيل بركة ، فانه يكون هو المرموز اليه بالحجر المرفوض من البنائين .

يضاف الى ذلك : أن هناك فروقا فى الترجمة فى هذا المزمور ، تؤكد تحريف معان كثيرة ، وأهم هذه الفروق :

أن بدء ترجمة البروتستانت : « احمدوا الرب » وفيها : « افتحوا لى أبواب البر ، ادخل فيها وأحمد الرب ـــ أحمدك لأنك استجبت لى ـــ الهى أنت فأحمدك ـــ احمدوا الرب لأنه صالح » ولفظ « الحمد » لا يوجد فى ترجمة الكاثوليك ، مع أن هذا المزمور يتحدث عن المسيا . ولا يستبعد أن يكون مرموزا اليه باسمه ، ان لم يكن بما يشبه اسمه .

وهذا المزمور يشير الى نسخ التوراة : بقوله فيه :

« أوثقوا الذبيحة بربط الى قرون المذبح » ونظيرها : « زينـــوا العيد بأغصـــان مشـــبكة الى قـــرون المذبح » وهـــذاالنص يعنى : أن الذبائح فى الشريعة اليهودية تربط الى قرون المذبح ، كناية عن انتهاء العمل بالشريعة اليهودية على يد المسيا المنتظر ، لأن فى أول المزمور : « ليقل بيت هرون : ان الى الأبد رحمته » وفى بيت هرون كانت الشريعة ، واختصاص عمل الكهنة .

وأبرز صفات هذا المزمور : أن المسيا ، لا يسـلم الى الموت بيـد أعدائه لقوله : « والى الموت لم يسلمنى » وأن الأمم تحيط به من كل جانب

للفتك به ، ولكن الله ينصره لقوله : « كل الأمم أحاطوا بى ، باسم الرب أبيدهم » وأين من هذا عيسى عليه السلام ؟ وهذا قد حدث لنبى الاسلام ﷺ فقد أحاط به الأعداء من كل جانب ، ولكنه جرد الجيوش لابادتهم ، ونجاه الله من شرورهم ، ونصره نصرا عزيزا ، ومات على فراشــــه عزيزا كريما وقد قال الله فى حقه : « يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك ، وان لم تفعل فما بلغت رسالته ، والله يعصمك من الناس ، ان الله لا يهدى القوم الكافرين » (المائدة ٦٧)

٥ ـــ وعبارة « باسم الرب » تفيد أن الآتى ليس آتيا من نفســـه ، بل آتيا باسم غيره ، باسم رب العالمين الذى هو مرسل للرسل ومنزل للكتب . وهذه العبارة تنطبق على نبى الاسلام ﷺ فانه يقول عن الله عز وجل : « ما كنت بدعا من الرسل » (الأحقاف ٩) والمسلمون يقولون فى نبيهم انه نبى معظم ورسول . والنصارى الأرثوذكس يقولون : ان عيسى هو الله نفســـه حل فى صورة بشرية . فاذا كان عيسى هو الله نفسه ـــ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ـــ فكيف باسم غيره يكون آتيا ؟ اذا يلزم على مذهبهم هذا أن يكون هناك اله غير عيسى الاله . وهم لا يقرون بذلك ، وعلى مذهب الكاثوليك والبروتستانت يلزم على مذهبهم أن يكون لاهوت عيسى أقل من لاهوت الله الذى سيأتى عيسى باسمه ، لأن المرسل أعلى من المرسل ؛ وهم يقولون بالمســـاواة التامة بين الأقانيم فى درجة اللاهوت مع أنها منفصلة (٩) .

٦ ـــ ولفظ « حتى » يفيد المغايرة بين القائل وبين الآتى . والمعنى :

---

(٩) اللاهوت : الروح . والناسوت : الجســـد ، ويفسرون حياة عيسى هكذا : حينما كان يأكل أو يشرب أو يظهر أمام الناس كان بالناسوت ، أما اللاهوت فكان متصلا بالعالم كله . و قولون : لم يفارق ناسوته لاهوته طرفة عين (خلاصة الأصـــول الايمانية : ـــ حواشى على الكتاب المقدس) ويلاحظ أن البروتستانت والكاثوليك فى العقيدة سواء ، ويقولون بانفصال الأقانيم وتميزها . والاقنوم هو الشخص المستغنى بذاته عن غيره وهو هكذا عند الكاثوليك والبروتستانت . وهو عند الارثوذكس يعنى مرحلة للاله الواحد . ويعبرون عن المرحلة بالخاصية أو الصفة .

لا ترونني من ذلك الوقت ، حتى يأتى المسـيا المبارك . فهو اذن غير المسـيا المبارك . والعبارة تنص على أنهم لن يروه حتى يأتى المسـيا ، وسواء كانت رؤياهم له قبل انتهاء الحياة الدنيا ، رؤية روحية ـــ كما يقولون ـــ أو كانت رؤياهم له يوم القيامة رؤية جسـدية كما يقـول المسلمون .. فانه يلزم من رؤيته على أية هيئة يكون فيها ، وفى أى وقت يظهر فيه ، أن تكون رؤيته من بعد ظهور المسـيا المبارك . وعلى أى تفسير فانه لا يكون هو المسيا المبارك . والمسـيا المبارك الآتى باسـم الرب ، هو محمد ﷺ ، لأن لاسماعيل بركة ، منصوص عليها فى سـفر التكوين .

الفصل الخامس

فى

پيراكليت

ملاحظات تمهيدية :

الأولى : قال للحواريين عيسى — عليه السلام — : « ان كنتم تحبوننى ، فاحفظوا وصاياى . وانا أطلب من الآب ، فيعطيكم معزيا » (يوحنا ١٤ : ١٥) وقال النصارى : ان كلمة « المعزى » تعنى العوض والبدليل عن عيسى عليه السلام . وقالوا : هى مترجمة عن الكلمة العبرانية « باراكليت » وقالوا : ان كلمة « پيراكليت » العبرانية تترجم فى اللغة العربية « أحمد »

ثم قالوا : ان المراد بالمعزى الذى وعد به عيسى — عليه السلام — هو « الأقنوم الثالث » الذى هو الاله الثالث فى الثالوث المقدس . وقد نزل من السماء وغير ألسنة المؤمنين فى عيد الخمسين ، أى بعد خمسين يوما من رفع عيسى الى السماء .

نريد أن نبين هنا : ١ — أن كلمة « المعزى » التى وضعت بدل « باراكليت » لا تعنى الأقنوم الثالث . بل تعنى شخصا بشريا آتيا من بعد عيسى — عليه السلام — برسالة الهية الى الناس ٢ — وأن عيسى عليه السلام **لم ينطق « پاراكليت » بل نطق « پيراكليت »** التى تترجم « أحمد »

وقبلما نبين نشير الى ما يلى :

١ — صرحت التوراة بأن الله واحد لا شريك له ، ولا شبيه له ولا مثيل ، ولا يقدر أحد أن يراه ، ففى سفر التثنية : « اسمع يا اسرائيل الرب الهنا رب واحد » (تث ٦ : ٤) وفى سفر التثنية : « ليس مثل الله »

(تث ٣٣ : ٢٦) وفى سفر الخروج أن الله قال لموسى عليه السلام : « لا تقدر أن ترى وجهى لأن الانسان لا يرانى ويعيش » (خر ٣٣ : ٢٠) وفى سفر أشعياء : « حقا أنت اله محتجب يا اله اسرائيل » (أش ٤٥ : ١٥) وفى انجيل يوحنا : « الله لم يره أحد قط » (يو ١ : ١٨)

٢ — ومن عادة بنى اسرائيل المبالغة فى التعبير ، وتفخيم الأساليب . فمثلا يقولون : ان موسى عليه السلام كان الها لفرعون . أى سيدا ، ففى سفر الخروج : « فقال الرب لموسى : انظر . أنا جعلتك الها لفرعون . وهرون أخوك يكون نبيك » (خر ٧ : ١) ويقولون : انهم جميعا آلهة . أى سادة . فان الله خاطبهم فى الزبور بقوله : « أنا قلت انكم آلهة وبنو العلى كلكم » (مزمور ٨٢ : ٦) ويخاطبون الله بقولهم : « أنت يارب أبونا » (أش ٦٣ : ١٦) ومع هذه المبالغة وهذا التفخيم ، لا يعترفون باله غير الله رب العالمين .

انهم يقولون بأن الله واحد ، وليس كمثله شىء ، ولا شريك له . وما ورد من ألفاظ الأبوة أو البنوة ، فهو على المجاز لا على الحقيقة . كما يقول شيخ لتلميذه : يا بنى ، وكما يقول التلميذ لشيخه : يا أبى . يقول يوحنا : « وأما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطانا أن يصيروا أولاد الله ، أى المؤمنون باسمه » (يو ١ : ١٢) فقد فسر أولاد الله بالمعنى المجازى ، لا بالمعنى الحقيقى . ولما ذكر يوحنا حديث عيسى عليه السلام عن المعزى ، ذكر أنه تحدث عنه باعتباره نبيا ، ومؤديا رسالة عن الله الواحد . الله الذى أرسل النبيين مبشرين ومنذرين . فقد قال لتلاميذه : « قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا . سيخرجونكم من المجامع بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله » (يو ١٦ : ١ — ٢) وقال يوحنا : ان عيسى عليه السلام قد اعترف بالله وتحدث عنه ، كما اعترف به الأنبياء السابقون وتحدثوا عنه . وفى ختام حديثه عن المعزى ، خاطب الله بقوله : « أيها الآب البار . ان العالم لم يعرفك . أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى » (يو ١٧ : ٢٥)

٣ — والمسيح بن مريم عليه السلام جاء مصدقا لما بين يديه من التوراة . غير ناقض لأحكامها . وكل ما فى التوراة ، بناء على هذا التصديق الذى

صرح به فى قوله : « ما جئت لأنقض الناموس » (متى ٥ : ١٧) ملزم للنصارى تمام الالزام . ويحق لهم اذا أشكلت عليهم آية من آيات الانجيل ، أن يرجعوا الى التوراة ، لمعرفة المحكم من المتشابه . فمثلا صرحت التوراة بوحدانية الله وحدانية مطلقة ، وصرح الانجيل أيضا . ولكنهم يجدون مع هذا التصريح آيات متشابهات ، وآيات فيها مبالغة وفيها تفخيم . وربما يلتبس عليهم أسلوب المجاز وأسلوب الحقيقة . لهذا كله وفى هذه الحالة يلزم أن تكون التوراة ميزان فاصل بين الحقيقة والمجاز . ويلزم النظر فى الأساليب المجازية المماثلة ، ورد المتشابه الى المحكم . وهذه أمثلة للايضاح :

(أ) يقول النصارى (١) : ان عيسى اله ، نزل من السماء وتجسد ، بناء على قوله فى انجيل يوحنا : « أنتم من أسفل . أما أنا فمن فوق . أنتم من هذا العالم . أما أنا فلست من هذا العالم » (يوحنا ٨ : ٢٣) ولا يمكن أن يكون هذا القول دالا عى ألوهية عيسى عليه السلام لتصريح التوراة التى جاء مصدقا لها بالوحدانية ، وأن الله لا يرى . ولما أثر عنه فى الانجيل ، من أنه رسول الله الى بنى اسرائيل ، ولما صرح به نفسه عن تلاميذه بمثل هذا القول ، فقد قال فى ما رواه يوحنا لتلاميذه : « لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ، ولكن لأنكم لستم من العالم . بل أنا اخترتكم من العالم . لذلك يبغضكم العالم » (يوحنا ١٥ : ١٩) فقد سوى بينه وبين تلاميذه فى عدم الكون من هذا العالم . ولو كان هذا مستلزما للألوهية ، للزم أن يكون التلاميذ كلهم آلهة .

(ب) يقولون أن عيسى متحد بالله . لقوله فى الانجيل : « أنا والآب واحد » (يوحنا ١٠ : ٣٠) وما هذا الا اتحاد مجازى أى اتحاد فى الهدف . لأنه قال هذا القول لتلاميذه ، ولم يقل أحد منهم بأن التلاميذ متحدون بالله اتحادا حقيقيا . يقول فى انجيل يوحنا : « ليكون الجميع واحدا . كما أنك أنت أيها الآب فى . وأنا فيك . ليكونوا هم أيضا واحدا فينا ، ليؤمن العالم أنك أرسلتنى . وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ، ليكونوا واحدا ،

---

(١) انظر كتاب : ايمانى أو قضايا المسيحية الكبرى .

كما أننا نحن واحد أنا فيهم وأنت فى . ليكونوا مكملين الى واحد ، وليعلم العالم أنك أرسلتنى » (يوحنا ١٧ : ٢١ — ٢٣)

(جـ) يقولون ان عيسى هو الله نفسه . لما جاء فى الانجيل انه قال : « الذى رآنى فقد رأى الآب » (يوحنا ١٤ : ٩) وهذه الآية معارضة لنص التوراة وهو : « لا تقدر أن ترى وجهى لأن الانسان لا يرانى ويعيش » ومعارضة لنص الانجيل وهو : « الله . لم يره أحد قط » فيلزم أن تؤول الرؤية بالمعرفة ، ويكون المعنى : الذى عرفنى فقد عرف الله .

٤ — وبناء على ما قدمنا : فان تفسير النصارى للمعزى بأنه الأقنوم الالهى الثالث ، هــو تفسير باطل ، لأول وهلة ، بنص التــوراة وبنص الانجيل .

الثانية : لما قال الله تعالى لابراهيم عليه السلام عن اسماعيل عليه السلام : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه » (تك ١٧ : ٢٠) ونبه موسى عليه السلام على نبى سيأتى من اســماعيل ، لتبدأ منه البركة فى نســل اسماعيل فى هذا النص : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) لما قال الله تعالى وموسى قد نبه ، أعطى علماء بنى اسرائيل لهذا النبى الآتى ، لقب « مسيا » الذى تفسيره المسيح .

وعيسى عليه الســلام بين اسم « المسيا » فى آخر وصــية لــه لتلاميذه ، وقال : ان اسمه « أحمد » باللغة العربية ، واسمه « بيراكليت » باللغة العبرانية ، و «بيراكليتوس » باللغة اليونانية . وقال النصــارى : ان من ألقاب « المسيا » لقب « مناهيم » أى « المعزى » والمعزى باللغة العربية ، تترجم فى اليونانية « باراكليتوس » وفى العبرانية « باراكليت »

والدليل على أن لقب المسيا من قول موسى : « يقيم لك الرب الهك ... الخ » : قول أ. م. هودجكن : « مسيا الموعود : ان سفر التثنية يبلغ

الى ذروة المجد ، حينما انعكس على موسى بهاء جلال المسيا ، بأن يأتي على مثاله « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) نرى هنا : ضرورة التجسد لكل وظيفة من وظائف المسيح الثلاث نبى وكاهن وملك ، لأنه ينبغى لكل خدمة من هذه الخدمات الثلاث واحد من اخوتنا ، بشر مثلنا ، جسد ودما (٢) » والنصارى يقولون — كما صرح « هودجكن » — بأن المسيا هو عيسى عليه السلام . وقد بينا من قبل بأن المسيا هو محمد ﷺ .

الثالثة : وفى دخول عيسى عليه السلام مدينة « أورشليم » للمرة الأخيرة ، خاطب اليهود بقوله : « الآن دينونة هذا العالم . الآن يطرح رئيس هذا العالم خارجا » (يو ١٢ : ٣١) وقال : « الذى يؤمن بى . ليس يؤمن بى ، بل بالذى أرسلنى ، والذى يرانى ، يرى الذى أرسلنى . أنا قد جئت نورا الى العالم ، حتى أن من يؤمن بى لا يمكث فى الظلمة ، وان سمع أحد كلامى ولم يؤمن ، فأنا لا أدينه . لأنى لم آت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم . من رذلنى ولم يقبل كلامى ، فله من يدينه . الكلام الذى تكلمت به ، هو يدينه فى اليوم الأخير ، لانى لم أتكلم من نفسى ، لكن الآب الذى أرسلنى هو أعطانى وصية : ماذا أقول ؟ وبماذا أتكلم ؟ وأنا أعلم أن وصيته هى حياة أبدية . فما أتكلم انا به ، فكما قال لى الآب هكذا أتكلم » ؟ (يو ١٢ : ٤٤ — ٥٠)

والمعنى :

١ — أنه قد حان الوقت لنزع الملك والنبوة من بنى اسرائيل ، وأن من يعاند منهم ويرفض أن يدخل فى ملكوت السموات الآتى مع بنى اسماعيل ، سوف يهلك هلاكا رديئا ، وأن قوى رئيس هذا العالم — الذى هو الشيطان ، المضل للناس — سوف تزول .

٢ — وما أورده يوحنا هنا ، وهو يمهد لمجىء « بيراكليت » أورده متى ومرقس ولوقا ، فى حديثهم عن دخول عيسى — عليه السلام — مدينة

(٢) ص ٧٦ المسيح فى جميع الكتب ، هودجكن ط ١٩٦٠

« أورشليم » فى المرة الأخيرة . وقد بين لليهود فى هذا الحديث أن ملكوت الله سينزع منهم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، وصاحب الملكوت هو المرموز اليه بالحجر المرفوض من البنائين فى نبوءة داود عليه السلام ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ، ومن سقط هو عليه يسحقه . وبين لهم أن المسيا الذى تفسيره **المسيح ، لن يكون من نسل داود** . لأن داود أخبر عنه بظهر الغيب : بأنه سيده ، والابن لا يكون سيدا لأبيه . وبين لهم أن الآتى الذى قال عنه داود عليه السلام : « مبارك الآتى باسم الرب » سيأتى من بعده . وذلك فى قوله : « يا أورشليم . يا أورشليم . يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين اليها . كم مرة أردت أن أجمع أولادك ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا . هو ذا بيتكم يترك لكم خرابا . لأنى أقول لكم : انكم لا تروننى من الآن ، حتى تقولوا : مبارك الآتى باسم الرب »

٣ — وقال لتلاميذه : أنا معلم وسيد . وأنتم تقرون بذلك . ثم قام وغسل أرجل التلاميذ بنفسه . وقال لهم : هل وجدتم المعلمون والسادة يتواضعون مع تلاميذهم ، الى حد أن يغسل المعلم أو السيد أرجل تلاميذه ؟ اننى خالفت عادة المعلمين والسادة وغسلت أرجلكم . لأكون لكم قدوة حسنة فى **التواضع** . وهو بهذا العمل يحثهم على أن لا يرفضوا الدخول فى ملكوت السموات ، الآتى مع بنى اسماعيل — عليه السلام — لأن اليهود يحتقرون بنى اسماعيل ويتكبرون عليهم . والدليل على ذلك قوله لهم فيما بعد : « **أقول لكم الآن ، قبل أن يكون ، حتى متى كان ، تؤمنون** »

يقول المسيح : « أنتم تدعوننى معلما وسيدا . وحسنا تقولون لأنى أنا كذلك . فان كنت وأنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم فأنتم يجب أن يغسل بعضكم أرجل بعض لأنى أعطيتكم مثالا حتى كما صنعت أنا بكم ، تصنعون أنتم أيضا . الحق الحق أقول لكم : انه ليس عبد أعظم من سيده ، ولا رسول أعظم من مرسله . ان علمتم هذا فطوباكم ان عملتموه ... أقول لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون أنى أنا هو ، الحق الحق أقول لكم : الذى يقبل من أرسله يقبلنى والذى يقبلنى يقبل الذى أرسلنى » (يو ١٣ : ١٢ — ٢٠)

٤ — ثم بين لهم أن واحدا من التلاميذ سيخونه ، ويدل اليهود على مكانه للقبض عليه ، وأنه اقترب رحيله عن هذه الأرض .. قال : « يا أولادى أنا معكم زمانا قليلا بعد ، ستطلبوننى وكما قلت لليهود : حيث أذهب لا تقدرون أنتم أن تأتوا . أقول لكم أنتم الآن . وصـــية جـديدة . أنه أعطيكم : أن تحبوا بعضكم بعضا ، كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضــا بعضكم بعضــا بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ان كان لكم حب بعضــا لبعض » (يو ١٣ : ٣٣ — ٣٥)

وعندئذ حزن التلاميذ حزنا شــديدا ، لما سمعو بنبأ رحيله . ولما علم بحزنهم ، قال لهم : « لا تضطرب قلوبكم . أنتم تؤمنون بالله فآمنوا بى » (يو ١٤ : ١) ثم حدثهم حديثا طويلا عن نبى الاســلام ﷺ وأنه خير لهم منه .

***

النص : « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى ، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد . روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم ....

ان أحبنى أحد يحفظ كلامى ، ويحبه أبى ، واليه نأتى وعنده نصنع منزلا . الذى لا يحبنى لا يحفظ كلامى . والكلام الذى تسمعونه ليس لى ، بل للآب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما المعزى الروح القدس الذى سيرســله الآب باسمى فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم ...

وقلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون » (يوحنا ١٤ : ١٥ —)

« ان كان العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضنى قبلكم . لو كنتم من العالم لكان العالم يحب خاصته ولكن لأنكم لستم من العالم ، بل أنا اخترتكم من العالم لذلك يبغضكم العالم . اذكروا الكلام الذى قلته لكم ،

ليس عبد أعظم من سيده . ان كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم ، وان كانوا قد حفظوا كلامى فسيحفظون كلامكم . لكنهم انما يفعلون بكم هـذا كله من أجل اسمى لأنهم لا يعرفون الذى أرسلنى . لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية . وأما الآن فليس لهم عذر فى خطيتهم . الذى يبغضنى يبغض أبى أيضا . لو لم أكن قد عملت بينهم أعمالا لم يعملها أحد غيرى لم تكن لهم خطية . وأما الآن فقد رأوا وأبغضونى أنا وأبى .

ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا اليكم من الآب روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء » (يوحنا ١٥ : ١٨) .

قد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا . سيخرجونكم من المجامع . بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله . وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى . لكنى قد كلمتكم بهذا حتى اذا جاءت الساعة تذكرون أنى أنا قلته لكم . ولم أقل لكم من البداية لأنى كنت معكم . وأما الآن فأنا ماض الى الذى أرسلنى وليس أحد منكم يسألنى أين تمضى . لكن لأنى قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم . لكنى أقول لكم الحق : انه خير لكم أن أنطلق ، لأنه ان لم أنطلق ، لا يأتيكم المعزى . ولكن ان ذهبت أرسله اليكم . ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة .

أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى ، وأما على بر فلأنى ذاهب الى أبى ولا تروننى أيضا وأما على دينونة فلأن رئيس هذا العالم قد دين .

ان لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم . ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية . ذاك يمجدنى لأنه يأخذ مما لى ويخبركم » (يوحنا ١٦ : ١ ــ)

الشرح والبيان :

ــ مما يقوله عيسى عليه السلام لتلاميذه : اننى سأطلب من الله ــ عز

وجل — أن يمنحكم نبيا من بعدى ، عوضا عنى ، ليعزى بنى اسرائيل فى فقدهم الملك والنبوة . وهذا النبى ستظل شريعته الى الأبد ، وسيستمد قوته من الله الحق ، وانتم وغيركم ستعرفونه اذا جاء ، اذا كنتم تفقهون العلامات التى بينتها لكم عنه .

والذين لم يدرسوا الكتب ، والذين لم يعترفوا برسالات الله لن يستطيعوا معرفته بسهولة . أما أنتم يا أهل الكتاب فتعرفونه .

ولست أتكلم عن هذا النبى من تلقاء نفسى . بل الله الذى أرسلنى هو الذى أمرنى أن أخبركم بمجيئه . وأخبرنى أن أعرفكم أن المعزى اذا جاء سيعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم . ولابد أن تؤمنوا به اذا جاء وتنصروه وتعزروه وتوقروه .

ان الناس قد اضطهدونى ، وانكروا نبوتى ، وسوف يضطهدكم الناس كما اضطهدونى ، وسيشكون فى كلامكم كما شكوا فى كلامى . واذا جاء النبى الآتى الى العالم فسوف يشهد بنبوتى ، وتشهدون أنتم أيضا بناء على ما عندكم من علم فى الانجيل .

سوف تضطهدون من الناس كما اضطهدت ، أؤكد لكم سوف تضطهدون ، وسوف تطردون من مراكزكم الدينية واذا ما حصل الاضطهاد والطرد من المراكز الدينية ، لا تشكون فى وجود الله ويقين الخبر . وقد كلمتكم بهذا لكى لا تعثروا .

سوف يأتى النبى الآتى الى العالم ليخزى العالم ويبكتهم على ١ — الخطايا ٢ — والبر ٣ — والدينونة . وسوف يرشدكم الى جميع الحق ويخبركم بأمور آتية فى المستقبل .

* * *

المباحث فى النص :

المبحث الأول : الروح القدس :

الكلمة العبرانية « رواه » تدل فى معناها الحقيقى على الريح كما يقول اليهود (٣) ثم تدل مجازا على معان كثيرة منها :

١ — (القدرة) يقول أيوب فى سفره « ولكن فى الناس روحا ، ونسمة القدير تعلقهم » (أيوب ٣٢ : ٨) أى أن لدى الناس قدرة قد تجمح بهم الى الهلاك ولكن الله يمنعهم .

٢ — (الرأى) فى سفر الأمثال « الحكمة تنادى فى الخارج قائلة : الى متى أيها الجهال تحبون الجهل والمستهزئون يسرون بالاستهزاء ، والحمقى يبغضون العلم ، ارجعوا عند توبيخى . ها أنذا أفيض لكم روحى . أعلمكم كلماتى » (أمثال ١ : ٢٠ — ٢٣) « أفيض لكم روحى » أى أعطيكم فكرى ورأيى .

٣ — (نفس الانسان) فى سفر الجامعة « فيرجع التراب الى الأرض كما كان ، وترجع الروح الى الله الذى أعطاها » (جامعة ١٢ : ٧) « ترجع الروح » أى نفس الانسان بعد الموت الى الله .

٤ — (الالهام) فى سفر حزقيال « حل على روح الرب وقال لى : قل هكذا قال الرب » (حزقيال ١١ : ٥) « روح الرب » أى الالهام من الله .

٥ — (قوة الله) يقول بولس فى رسالته الى أهل رومية « ان كان روح الذى أقام يسوع من الأموات ساكنا فيكم . فالذى أقام المسيح من الأموات سيحيى أجسادكم المائتة أيضا بروحه الساكن فيكم » (رومية ٨ : ١١) انه يقول : ان الله وحده هو الذى أحيا المسيح ، وهو وحده الذى سيحييكم كما أحيا المسيح .

* * *

(٣) ص ٢١ ج ٤ تفسير يوحنا لمتى هنرى

٦ — (الخلق والاحياء) يقول أيوب « روح الله صنعني ، ونسمة القدير أحيتنى » (أيوب ٣٣ : ٤) أى أن الله خلقنى بروحه وأحيانى .

٧ — (منزل الوحى على رسل الله) يقول بطرس « لم تأت نبوة قط بمشيئة انسان ، بل تكلم اناس الله القديسون ، مسوقين من الروح القدس » (بطرس الثانية ٢ : ٢١) أى أن الروح القدس حرك الأنبياء والرسل .

وفى نظر اليهود (٤) أن كل شيء يتعلق بالله يسمى اليها لأنه مثلا :

(أ) يتعلق بطبيعة الله كما تقول قدرة الله وارادة الله .

(ب) يكون فى قدرة الله أو يخضع لارادته وبهذا المعنى تسمى السموات فى الكتب المقدسة « سموات الله »

(جـ) يوهب لله مثل معبد الله — قربان الله — خبز الله .

(د) ينقله الأنبياء الى الناس مثل شريعة الله .

(هـ) يعبر عن أعلى الدرجات مثل جبال الله أى الجبال الشاهقة .

والله عز وجل له أسماء كثيرة حسنة منها : الرحمن — الرحيم — الملك — القدوس — السلام — الحق ... الخ . فاذا ما قلنا : روح الله أو روح الرحمن أو روح القدس أو روح الحق فان المعنى واحد وهو شيء مستمد من الله وله تعلق به وغرض شريف . وعلى العكس من ذلك اذا ما قلنا : روح الشيطان ، أو روح ابليس أو روح الشر فان المعنى واحد وهو شيء مستمد من الشيطان وله تعلق به وغرض خبيث .

وبناء على ما تقدم : فاننا اذا قلنا : ان عيسى بن مريم عليه السلام روح الله فان ذلك لا يعنى أكثر من نسبة عيسى الى الله نسبة فيها تشريف وتكريم كما يقال بيت الله وشريعة الله وجبال الله وناقة الله

---

(٤) ص ١٣٥ رسالة فى اللاهوت والسياسة

وبهذا المعنى عبر عيسى عن نبى الاسلام ﷺ بلغة بنى اسرائيل — كما قال الله تعالى فى القرآن « وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم » — عبر بقوله « بيريكليت الروح القدس » أى (أحمد) روح الله ، أى النبى المصطفى من الله ، والآتى بأمره ، والمنسوب اليه ، والمتعلق به . لا أنه آت من تلقاء نفسه ، أو آت للاضلال من قبل الشيطان . ويحمل هذا المعنى قوله تعالى : « وآتينا عيسى بن مريم البينات وأيدناه بروح القدس » (البقرة ٢٥٣) فان الله تعالى أيد المسيح عليه السلام بمحمد ﷺ على معنى أن الناس قد شكوا فى أمره فأظهر الله الحق فيه على يديه .

يقول سبينوزا الفيلسوف : « هذه العبارات ١ — كان روح الله فى النبى ٢ — أنزل الله روحه فى البشر ٣ — البشر ملىء بروح الله أو بالروح القدس . هذه العبارات لا تعنى سوى أنه كانت للانبياء فضيلة خاصة فوق المعتاد ، وأنهم كانوا يثابرون على التقوى دواما . وكانوا بالاضافة الى ذلك قادرين على ادراك فكر الله أو حكمه » (٥)

المبحث الثانى — المعزى :

١ — يقول متى هنرى فى تفسيره أن احد الآباء الأقدمين بين أن معنى المعزى هو « النائب عن المسيح » ويقول فى تفسيره : ان بعض العلماء يظن أن أحسن ترجمة لكلمة المعزى هى « نصير » يقول ما نصه : « عمل الروح القدس أن يكون نائبا عن المسيح ، وشفيعا لهم ولغيرهم للدفاع عن قضيته والدفاع عن مصالحه على الأرض . أن يكون « نائب المسيح » كما دعاه أحد الآباء الأقدمين ، وأن يكون مدافعا عنهم أمام مقاوميهم . . . يظن أحدهم أن أحسن ترجمة للكلمة هى « نصير » ليعلمهم ويحميهم » (٦) .

ويقول متى هنرى : « ان نفس كلمة « يعزى » فى الأصل اليونانى تعنى : يعظ أو ينصح » (٧) .

---

(٥) ص ١٤٢ رسالة فى اللاهوت والسياسة .
(٦) ص ٣٠٨ —٣٠٩ تفسير يوحنا — متى هنرى .
(٧) المرجع السابق .

٢ — ويقول يوسيفوس : ان « مناحيم بن حزقيا » ادعى انه « المسيا » فى السنة السادسة من بعد الميلاد ، وكان يقول اننى مناهيم ، أى المواسى والمعزى . وقد لقب يوسيفوس أباه « حزقيا » بلقب « نقيب السراق » لأنه ادعى أيضا انه هو « المسيا » الذى تنبأ عن مجيئه موسى فى الأصحاح الثامن عشر من سفر التثنية .

٣ — وقد ورد فى كتب النصارى أن اليهود كانوا يطلقون لفظ المعزى أيضا على المسيا الذى وعد بمجيئه موسى عليه السلام (تث ١٨ : ١٥) والذى أوضحنا من قبل أنه النبى ﷺ . يقول متى هنرى : « كان أحد أسماء المسيا بين اليهود (مناهيم) أى « المعزى » كان اليهود يسمون يوم المسيا سنوات التعزية (٨) »

٤ — والكلمة اليونانية التى وضع بدلها لفظ « المعزى » كما يقول الأب متى المسكين « كلمة يونانية قديمة مكونة من مقطعين الأول « بارا » ويفيد الملازمة والثانى « كليتوس » ويفيد الدعوة للمعونة (٩) » وهذا يعنى أن « المعزى » ملازم للدعوة ، ونبى الاسلام ﷺ ملازم للدعوة الى يوم القيامة . يقول تعالى فى خطاب النبى ﷺ : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن » (النحل ١٢٥) ويقول تعالى : « يا أيها النبى انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا » (الأحزاب ٤٥ — ٤٦)

٥ — وفى هامش كتاب انجيل برنابا تعليقات عربية فى النسخة الايطالية على اسم « محمد » الذى بشر به عيسى صريحا . وهذه التعليقات هى : « فى لسان عرب : أحمد فى لسان عمران : مسيى . فى لسان الانن (اللاتينى) كنسلاتر . فى لسان روم : باركل تس (١٠) » يعنى أن لفظ المعزى : فى اللغة العربية بدل أحمد ، وفى اللغة العبرية : المسيا وفى اللغة اللاتينية كنسولاتور ، وفى اللغة اليونانية باركلى توس . ومما لا شك فيه : أن كاتبها من أهل العلم .

---

(٨) تفسير انجيل يوحنا جـ ٣ ص ٣٠٨ .

(٩) الباراكليت الروح القدس فى حياة الناس ص١٩

(١٠) تعليق على برنابا ٤٤ : ١٩ صفحة ٦٩ .

٦ ــ ويقول الأنبا أثناسيوس ــ أسقف بنى سويف والبهنسا ــ : « ان لفظ بارقليط اذا حرف نطقه قليلا ، يصير بيريكليت . ومعناه : الحمد أو الشكر . وهو قريب من لفظ أحمد » (١١)

٧ ــ ويقول الشيخ رحمت الله الهندى : (وصلت الى رسالة صغيرة فى لسان أردو من رسائل القسيسين فى سنة ألف ومائتين وثمان وستين من الهجرة وكانت هذه الرسالة طبعت فى كلكته وكانت فى تحقيق لفظ فارقليط وادعى مؤلفها أن مقصوده أن ينبه المسلمين على سبب وقوعهم فى الغلط من لفظ فارقليط . وكان ملخص كلامه : أن هذا اللفظ معرب من لفظ يونانى وان قلنا : (ان هذا اللفظ اليونانى الأصل « بيركلوطوس » بمعنى المعزى والمعين والوكيل وان قلنا ان اللفظ الأصلى « بيركلو طوس » يكون قريبا من معنى محمد وأحمد فمن استدل من علماء الآسلام بهذه البشارة فهم أن اللفظ الأصلى بيركلوطوس . ومعناه : قريب من معنى محمد وأحمد ، فادعى أن عيسى عليه السلام أخبر بمحمد أو أحمد . لكن الصحيح أنه باراكلى طوس) (١٢)

وأقول : ان الخلاف بسيط للغاية بين (بارا) وبين (بير) فعلى الأول اسم من أسماء المسيا صفة ولقبا وهو المعزى . وعلى الثانى اسم من أسماء المسيا دلالة وهو أحمد . وكلاهما منطبق على نبى الاسلام ويدل عليه .

***

والمتأمل فى تراجم التوراة والانجيل يجد اختلافات كثيرة كهذه ، أو أشد . مما نعفى به من المؤاخذة لو قلنا انه بيركلوطوس ، وحرف عمدا الى باراكلى طوس ، لئلا يدل صراحة على الاسم المبارك . خاصة ولهم مواقف واضحة فى لبس الحق بالباطل .

يقول الأب يوسف قوشاقجى فى مقدمة كتابه « تعريب الأناجيل وأعمال الرسل » : « عرب الانجيل وطبع مرارا منذ أن وجدت الطباعة وقد طالعنا

---

(١١) ... ١١٩ تفسير يوحنا ــ الأنبا أثناسيوس .
(١٢) اظهار الحق جـ ٢ ص ١٦٥ ــ ١٦٦ .

تسع طبعات آية آية فوجدنا فى كل منها القليل أو الكثير من العبارات الجيدة فحفظناها ولكننا وجدنا أيضـــا أن الذين قاموا بها لم يحســنوا فهم المعنى أكثر من مرة . وخالفوا كثيرا من قواعد التعريب » ثم يقول : « أجمع الأدباء من مختلف اللغات فى كل مكان وزمان على أن الترجمة فن صعب والذين يجيدونها قلة من كثرة وذهب بعضهم الى القول أن كل مترجم خائن فليس من ترجمة مطابقة للاصل مطابقة تامة . ذلك بأن المعانى سميت بحق بنات فكر الانســـان فهى كالانسان روح وجسد يولد روحها وجسدها معا كما يولد روح الانسان وجســده معا ويحاول المترجم أن يســـتل الروح من جســد اللغة ليجعلها فى جســد آخر وكلا الأمرين عســير فاللغات يشــبه بعضــها بعضـــا على قدر ما يختلف بعضها عن بعض كما تشبه الأمم والاشخاص بعضها بعضا فى أمور وتختلف فى غيرها ومقياس نجـــاح المترجم فى عمله أن تكــون ترجمته أمينة على الجوهر وعلى أقل ما يكون من الخيانة للعرض (١٣) »

ويتكلم عن لغة عيسى التى تحدث بها فيقول : « السيد المسيح كلم الناس بالآرامية أى العبرية الشائعة بين العامة وقد تناقل المســيحيون الأوائل أقواله ورواية أعماله بتلك اللغة ثم دونوا كثيرا منها بتلك اللغة نفسها وترجمت بعدئذ الى اليونانية وضـــاع الأصل الآرامى (١٤) »

ويشير الى حيرة المترجم بين الآراء المتعارضـــة فيقول : « ان كانت الصعوبة فى ترجمة أكثر الكتب القديمة هى قلة ما يســهل للمترجم تفهم المعنى فالصعوبة الكبرى فى ترجمة الآنجيل هى كثرة الأبحاث وتشــعب آراء أهل الاختصـــاص فالمترجم يرى نفســه تجاه آراء مختلفة من أناس متصفين جميعا بالعلم الغزير هذا يؤيد رأيه بالحجج والبراهين وذلك يؤيد رأيه بما لا يقل قدرة عن ذلك الرأى فأنى للمترجم وهو أقل علما من الاثنين أن يرجح رأيا على رأى ؟ فهو يضطر أحيانا الى اثبات الرأيين أولهما فى المتن

(١٣) تعريب الاناجيل وأعمال الرسل ص ٧ ــ ٩ .
(١٤) ص ١٠ المرجع الســابق .

والآخر فى ذيل الصفحة هذا ما شاهدناه فى الترجمة الفرنسية للكتب المقدسة التى قام بنشرها الآباء الدومينكان فى القدس والغريب أن المترجم الواحد يبدل رأيه فيختار ترجمة يثبتها فى الطبعة الأولى ويتركها فى الطبعة الثانية (١٥) »

وكلام الأب يوسف قوشاقجى فى أن الآرامية لغة عيسى — عليه السلام — وبهذه اللغة كتبت فى الاناجيل معلومات ، وضاع الأصل الآرامى ، وبسبب ضياعه اختلفت معانى ، نذكر دليلا عليه من كلام « ابن هشام » فى السيرة النبوية . وهو أن الاسم الذى فاه به عيسى عليه السلام هو « المنحمنا » بضم الميم وفتح الحاء والميم وتشديد النون مفتوحة ، باللغة السريانية . ويترجم فى اللغة اليونانية « البرقليطس » وأورد عبارات قبل ذكر الاسم هى مذكورة فى التراجم الموجودة حاليا . قال ابن اسحق : (وقد كان فيما بلغنى عما كان وضع عيسى ابن مريم فيما جاء من الله فى الانجيل لأهل الانجيل ، من صفة رسول الله ﷺ ، مما أثبت يحنس الحوارى (يوحنا) لهم حين نسخ لهم الانجيل من عهد عيسى ابن مريم عليه السلام فى رسول الله ﷺ لهم أنه قال : « من أبغضنى فقد أبغض الرب ، ولولا انى صنعت بحضرتهم صنائع لم يصنعها أحد قبلى ، ما كانت لهم خطيئة ، ولكن من الآن بطروا وظنوا أنهم يعزوننى (يغلبوننى) وأيضا للرب ، ولكن لابد من أن تتم الكلمة التى فى الناموس : أنهم أبغضونى مجانا ، أى باطلا . فلو قد جاء المنحمنا هذا الذى يرسله الله اليكم من عند الرب ، روح القدس هذا الذى من عند الرب خرج ، فهو شهيد على . وأنتم أيضا ، لأنكم قديما كنتم معى فى هذا . قلت لكم لكيما لا تشكوا » والمنحمنا بالسريانية محمد . وهو بالرومية البرقليطس ﷺ (١٦)) .

ولم يختلف النصارى فى ترجمة اسم قدر اختلافهم فى ترجمة (المنحمنا) سواء فى التراجم العربية أو غيرها . **وهذه نماذج من التراجم العربية وغيرها لهذا الاسم :**

---

(١٥) ص ١٣ — ١٤ المرجع السابق .

(١٦) ص ٢٥١ جـ ١ سيرة ابن هشام طبعة مصر ١٩٣٧ .
والنص فى يوحنا ١٥ : ١٨ ، ١٦ : ١١

أولا : يقول الأب يوسف قوشاقجى : « حـار المعربون فى كلمة يونانية لقب السيد المسيح بها الروح القدس يوحنا ١٤ : ١٦ و ٢٦ و ١٥ : ٢٦ : ١٦ : ١٦ : ٧ فمنهم من ذكرها كما هى باليونانية ، مع بعض التحريف ، ومنهم من عربها :

١ ــ بارقليط ... ٢ ــ فارقليط (طبعة رومية ١٥٩١ وطبعة البروباغندا ١٦٧١ وطبعة دير يوحنا الصابغ ١٧٧٦) ٣ ــ المعزى وردت فى ميمر (مقال) لتاودروس أسقف حران المعروف بأبى قرة . عنوانه « فى وجود الخالق والدين القويم » نشر فى المشرق ١٩١٢ ــ ٤ ــ المحامى .

ولا تعجب من ذلك فقد اختلفت الترجمات الاجنبية أيضا فى تلك الكلمة. قالت الترجمة الانجليزية القديمة (Advocate) N.E.B. Comforter
أما الترجمة الفرنسية فاليك ما جاء فيها :

١ ــ حفظت بعضها الكلمة اليونانية فقالت :
Paraclet B.J., Bouyer : Le iveme Evangile, le

٢ ــ جاء فى الكتاب المقدس Le defenseur : Pirot

٣ ــ جاء فى الترجمة الفرنسية المعروفة باسم
Le consolateur : crampon

٤ ــ وقال الأب Le Defenseur : osty ثم قال فى ذيل الصحيفة
Ou bien Defenseur, Instercesseut, Consolateur

٥ ــ قال الأب Spicq L'Assitant : Agape

ذلك بأن هذه الكلمة تفيد جميع هذه المعانى ، وبعض هذه المعانى أصلح فى بعض الآيات منه فى الأخرى » (١٧)

ثانيا : ويقول المفسر متى هنرى : « ان نفس كلمة « يعزى » فى الأصل اليونانى تعنى يعظ أو ينصح » ثم يقول « لم تستخدم كلمة « بارقليط » الا فى أحاديث المسيح هنا وفى (١ يو ٢ : ١) حيث ترجمت بكلمة شفيع ، وترى

---

(١٧) ص ٦١ ــ ٦٢ تعريب الأناجيل وأعمال الرسل .

بعض الكنائس الاحتفاظ بالأصل اليونانى بارقليط » ويعلق فى الهامش على كلمة « شفيع » فيقول : محامى Advocate حسب الترجمة الانجليزية » (١٨)

ثالثا : ويقول الدكتور القس أ . ب سمبسون « الاسم المعزى : ليست الترجمة دقيقة جدا » (١٩)

* * *

والى هنا نكتفى فى ترجمة الاسم . ونقول : ان لفظ المعزى أو الباراكليت يدل دلالة واضحة على شخص بشرى ، قد نبه على مجيئه عيسى من بعده . والدليل على ذلك فوق ما تقدم :

١ — يقول الأب متى المسكين : « حسب مفهوم اللغة اليونانية القديمة واستعمالاتها كما وردت فى النصوص التفسيرية نجد المعنى ينحصر فى الصفة القضائية للشخص الذى يمكنه القانون من الدفاع والمحاماة والشفاعة عن آخر » (٢٠) وقد وردت فى اصطلاحات الربيين اليهود بهذا المعنى وبالذات فى كتابات العلامة فيلو اليهودى (٢١) وانما كانت تنطق باللغة العبرية (٢٢) هكذا : (البيرا ايطا) وهذا النطق عينه هو الذى اشتق منه نطق الكلمة باللغة العربية « البيراقليط » لأن اللغة العربية تميل الى الأخذ من اللغة العبرية القديمة ، أكثر من اللغة اليونانية ووردت أيضا بهذا المعنى فى كتابات الآباء الرسوليين ، وبالذات فى رسالة برناباس (برنابا) (٢٣) وتوجد وثيقة فى كنيسة فينا ليوسابيوس القيصرى ، وردت فيها كلمة الباراكليت كصفة ، أطلقت على شخص تبنى مسئولية الدفاع عن المسيحيين المتهمين بسيديهم ، وهى مقالة ممتعة ، فيها ينعت المسيحيون هذا الشخص

---

(١٨) ص ٣٠٦ — ٣٠٧ تفسير يوحنا .

(١٩) الروح القدس أو قوة من الأعالى ص ٢٠٦ جـ ٢ .

(٢٠) Bil Encycl

(٢١) Leisener, observ. ex. Phil, p. 493.

(٢٢) المسيح كان يتكلم العبرية والآرامية كما ذكرنا عن الدكتور فردريك . فارار .

(٢٣) Epistle of Barnabas N. and Pn. Fath. Ch 20

واسمه (فينوس ايب أجاتوس) بالبراكليتى ، لأنه حامى عنهم وتشفع لهم جهارا معرضا حياته للهلاك ... وهذه الوثيقة تصور كلمة الباراكليت تصويرا واقعيا حيا ، انما على مستوى بشرى (٢٤) »

٢ — ومما يدل أيضا على أن لفظ المعزى أو باركلى طوس أو فارقليط أو باراكليت ، يعنى شخصا بشريا : ما ورد فى كتب النصارى فى القرون المسيحية الأولى وهو أن كثيرا من مدعى النبوة ظهروا والتف حولهم أتباع . ومنهم من سمى نفسه بالباراكليت الذى وعد به عيسى عليه السلام . ونكتفى بالحديث عن اثنين منهم هما : مونتانوس ، ومانى .

يقول القديس الفونسوس ماريا دى ليكورى فى كتابه (تاريخ الأرطقات مع دحضها المعنون انتصار الديانة) وهو يعدد بدع الجيل المسيحى الثانى : « مونتانوس ولد كما أخبر أورسى (مجلد ٢ ك ٤ عدد ١٧) فى أردابا . وهى قرية صغيرة من مسيا ولتظاهره بأفعال خارجة قد شاع سيطه بالقداسة ولما كان هايما الى الولاية سلم ذاته الى الشيطان فتشيطن وطفق يهذو كغايب عن حسه بكلمات مهملة ويتنبأ ضد تقليدات الكنيسة فمن كانوا يسمعونه متكلما على هذا النحو ، بعضهم كان يعتبره معتريا من روح ضلاله وبعضهم يخاله نبيا فتركوا ذواتهم على هذا النحو ينخدعون محرضيه ليتكلم حتى لم يعد يكبح نفسه عن شيء .

ثم اتفق مع امرأتين نجستين اسم الواحدة برسيكا ، أو بريثيلا واسم الأخرى مكسيميلا وكان مستوليا عليهن روح الضلاله نفسه وكانتا تتكلمان كمونتانوس بهذيان وأنواع غير معتادة . وكان مونتانوس يقول انه وبنيته قد أخذوا ملء روح الله الذى كان مع الآخرين بنوع غير كامل معكسا ما كتبه الرسول الى قورنتيه (٢٥) اص١٣ عدد٩ « اننا نعلم قليلا من كثير

---

(٢٤) ص ١٢ — ١٣ الباراكليت الروح القدس فى حياة الناس .

(٢٥) يقصد بولس الرسول فى رسالته الأولى الى أهل كورنثوس ١٣ : ٩ ولاحظ الفرق بين قورنته المترجمة حاليا لدى البروتستانت كورنثوس لترى تحاملهم على لفظ باراكلى طوس ولفظ بيركليتوس .

ونتنبأ قليلا من كثير » ولذا كانوا يفضـــلوا أنفسهم على الرسل قايلين : انهم قبلوا بالتمام البارقليط الذى وعد به يسوع المسيح (٢٦) »

وقال عن رجل آخر اسمه مانى : « مانى كان أبا المانيين ودعى كذلك لأنه نسب الى ذاته لقب البارقليط كما فعل مونتانوس لكى يخفى دناءة حاله اذ كان أسيرا فى بلاد فارس ولما أعتق من هناك تبنى لعجوز فأرســلته يتهذب بالعلم حيث لم يستفد شيئا أو استفاد قليلا ولما كانت قحته أكثر من علمه ، طفق يبدع بدعة جديدة واستطاع ذلك ذكر ذلك بارونيس فى تاريخ سنة ٢٧٧ عدد ١ ونطاليس اسكندر مجلد ٧ رأس ٨ جزء ٩ فصل ١ » (٢٧)

وصاحب تاريخ الأقباط يؤيد هذا ، غير أنه يختلف معه فى السنة التى ظهر فيها مانى . فيقول : « ولد مانى سنة ٣٣٩ ميلادية وكان مجوسيا ثم اعتنق المسيحية ، فأراد أن يجمع بين معتقدات المجوس ومعتقدات المسيحية ، وأشاع بين الناس سنة ٢٦٨ ميلادية أن المسيح ترك عمل الخلاص ناقصا وأنه هو الذى سيتمه لأنه هو « الباراقليط » وتشبه بالمسيح فاتخذ لنفسه اثنى عشر تلميذا واثنين وسبعين أسقفا وأرسلهم الى بلاد الشرق ، حتى الهند والصين ليذيعوا تعاليمه ، فانخدع بأقواله وتبعه من الناس عدد عظيم » (٢٨)

٣ — ومما يدل على أن لفظ المعزى أو « الباراكليت » يعنى شخصا بشريا : الأوصاف التى وردت فى النص وسنشرحها فيما بعد .

* * *

وبعدما وضح لنا أن « الباراكليت » أو « المعزى » يعنى شـــخصا بشريا وكان اللائق أن ينطقوه «بيركليت» أو «بيركليتوس» . هل لنا أن نقول انه اســـم : أحمد نبى الاسلام ﷺ ، أم نكتفى بقولنا : انه يعنى لقبا

---

(٢٦) أشار اليه صـــاحب اظهار الحق باســـم منتس وحدد زمنه ترب سنة ١٧٧م .

(٢٧) ص ٣٤ تاريخ الأرطقات مع دحضها المعنون انتصار الديانة .

(٢٨) ص ١٤٨ جـ ١ تاريخ الأقباط .

لنبى الاسلام ﷺ كما يعنى لفظ المسيا لقبا ؟ الحق : أنه اسم أحمد الذى أشار اليه القرآن الكريم ، فى قوله تعالى : « واذ قال عيسى بن مريم يا بنى اسرائيل ، انى رسول الله اليكم ، مصدقا لما بين يدى من التوراة ، ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » (الصف ٦) وممن قال ذلك من علماء المسلمين :

١ ــ الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره لسورة الصف .

٢ ــ ان فريقا من النصارى الأوائل أشاروا الى أن لفظ «الباراكليت» يعنى : الحماد أو الحامد . ولما نقل ذلك عنهم « أبو الفضل المالكى المسعودى» قال ما نصه : « انظر ــ أرشدك الله ــ الى هذه الجمل ، وما فيها من «الفارقليط» الذى هو روح الحق وتارة روح القدس . المعلم كل شىء هو محمد رسول الله . لأن النصارى اختلفوا فى تفسيرها على أقوال فقيل : انه الحماد ، وقيل الحامد ، وقيل المخلص ، فان فرعنا عليه . فهو مخلص الأمم من العذاب ومن الكفر والمعاصى (٢٩) »

* * *

والكاثوليك فى تعليقهم على لفظ « الباراكليت » ينكرون على من قال من النصارى بمعنى الحمد فيقولون « ليس فى المتن الأصلى شىء من معنى الحمد » (٣٠) .

ونرد عليهم بما يلى :

أولا : فى عبارات يوحنا عن الروح القدس هذه العبارة « روح الحق الذى من عند الآب ينبثق » (يو ١٥ : ٢٦) وأنتم تقولون : لا نحترم النص ، لأنه منبثق ــ عندكم ــ من الآب والابن (٣١) فلماذا . مع أن النص واضح فى انبثاقه من الآب وحده كما يرى منه ؟ واذا كنتم تخالفون فى نص ظاهر

---

(٢٩) ص ١٤٦ ــ ١٤٧ المنتخب الجليل من تخجل من حرف الانجيل .
(٣٠) حواشى على الكتاب المقدس للكاثوليك المجلد الثالث ص٤٨٢ .
(٣١) حواشى على الكتاب المقدس للكاثوليك المجلد الثالث ص ٤٨٢ .

كهذا ، أفيستبعد عليكم التمويه والتشويش ؟ انهم حينما يقولون (باركليتوس) لا (بيركليتوس) والحروف متقاربة كما نرى ، يدل اللفظ الذى استبعدوه على ادانة لهم .

ثانيا : اسماء الأعلام نادرا ما تتفق التراجم فيها على لفظ واحد . مثال ذلك فى انجيل يوحنا نفسه اسم (بارباس) فى النسخة البروتستانتية ، وفى نسخة الكاثوليك (بارأبا) (يو ١٨ : ٤٠) والاسم (المسيا) فى البروتستانية ، وفى نسخة الكاثوليك (ماشيح) (يو ٤ : ٢٦) وفى التوراه الاسم (شيلون) فى البروتستانتية وفى نسخة الكاثوليك (شيلو) « (تك ٤٩ : ١٠) وفى نسخة البروتستانت « الى فيلمون كتبت من رومية » لا يوجد فى ترجمة الكاثوليك «فيلمون» — «كريسكيس» بروتستانت «كرسكاس» — كاثوليك (٢ تيمو ٤ : ١٠) « كلافدية » بروتستانت « كلودية » كاثوليك (بولس الثانية الى تيموثاوس ٤ : ٢١) « فيليتس » بروتستانت « فيلاتس » كاثوليك (بولس الثانية الى تيموثاوس ٢ : ١٧) « ينيس » — « يناس » ، « يمبريس » — « يمراس » ، « نيكوبوليس » — « نيكوبلس » وفى نسخة البروتستانت « خادم للملك » (يو ٤ : ٤٧) وفى اللاتينية « ملك صغير » وفى الكاثوليك « رئيس للملك » وفى القبطية « انسان ملكى » وفى الانجليزية « رجل نبيل » — وفى البروتستانت : « وأيضا : أقول لكم الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة » و « من الآن » تترجم فى اليونانية « بعد وقت قصير » و « أيضا » تترجم فى الانجليزية : « بالرغم من هذا » (متى ٢٦ : ٦٤)

ثالثا : اللفظ العبرى الذى نطق به عيسى عليه السلام هو كما ذكر الأب متى المسكين : « البيراقليط » وهو الذى يهمنا بيانه . وهو باعترافه مكسور الباء وبعدها ياء ، فلو ترجم الى اليونانية ستكون الترجمة : « بيركليتوس » وليست « باركليتوس » وهم يقولون : ان « بيركليتوس » تدل على الحمد ، وليست « باركليتوس » وعليه فان « پير » هى اللفظ الذى عليه الاشكال فى الترجمة .

رابعا : ان اللغة اليونانية تزيد حرف السين فى آخر كل اسم ، وتزيد حرفا يناسب هذا الحرف فى النطق لتحسينه . مثال ذلك : « بومبى » يقولون « بومبيوس » و « يوسف » المؤرخ اليهودى الشهير يقولون « يوسيفوس » فقد زادوا ياء قبل الفاء . ومع أن النصارى يقولون ان المسيح نطق باراكليتوس ، لئلا يعترفوا باسم « أحمد » تجد تراجمهم اليونانية الى الآن ، تترجم بزيادة السين على الكلمة . وهذا يدل على أن الكلمة فى الأصل : اسم . ولو كانت صفة ما زادوا السين على الكلمة . ومن التراجم الانجليزية عن اليونانية التى ذكرت باراكليتوس : بالسين ، ترجمة الكسندر ، المشار اليها فى المصادر والمراجع .

٣ — ويروى الشيخ عبد الوهاب النجار أنه سأل المستشرق التليانى « كارلونينو » الحاصل على الدكتوراه فى آداب اليهود اليونانية القديمة : « ما معنى بيريكلتوس » أجابه ان القسس يقولون : ان هذه الكلمة معناها المعزى . قال له انى أسأل الدكتور كارلونلينو ولا أسأل قسيسا . قال : ان معناها الذى له حمد كثير . فقال له : هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد ؟ قال : نعم » (٣٢) .

٤ — وقد ذكر أستاذنا الدكتور محمد أبو شهبه ، هذه المحاورة التى جرت بين الشيخ وكارلونلينو وعلق عليها بقوله : وصدق الله حيث قال : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » وذكر كلام يوحنا وعلق عليه بقوله : « هى بشارات تكاد تكون نصا فى الاخبار بنبوة خاتم الأنبياء ، ومع وضوح هذه البشارات ، فقد أرهق اللاهوتيون النصارى أنفسهم ، وما يزالون . ابتغاء العدول بها عن قصدها » (٣٣)

المبحث الثالث :

وجهة نظر النصارى فى المعزى :

يقول الكاثوليك : ان الروح القدس — وهو المعزى الذى هو باراكليت —

---

(٣٢) ص ٣٩٧ — ٣٩٨ قصص الأنبياء .

(٣٣) ص ٢٥٨ ج ١ السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة .

اله من آلهة ثلاثة منفصلة هى : الآب والابن والروح القدس (٣٤) وأن لفظ المعزى أو الباراكليت ، لفظ أطلق على الروح القدس الذى هو الاله الثالث . بمعنى : أن عيسى الاله الابن ، لما أراد أن يصعد الى السماء ليجلس بجوار الله الآب ، وعد بارسال الاله الثالث ليمكث فى الأرض .

ويقول الارثوذكس : ان الروح القدس هو « الباراكليت » وهو المعزى،وهو الله نفسه.ذلك أن تصوير مذهبهم فىالمعقيدة هكذا : الله عزوجل قد نزل من السماء ، ودخل بطن مريم العذراء ، وظل فى بطنها تسعة أشهر ، ثم خرج من المخرج الطبيعى للانثى ولدا ، اسمه عيسى . فعيسى هو الله عز وجل فى صورة بشرية ، ثم قتل وصلب وصعد الى السماء . وصار اسمه الروح القدس كما كان قبل انشاء العالم (٣٥) والى مذهب الكاثوليك يشير القرآن الكريم : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة » (المائدة ٧٣) والى مذهب الأرثوذكس يشير القرآن الكريم : « لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم » (المائدة ٧٢)

واذا سألنا الجميع : متى نزل الروح القدس الاله ، الذى يدعون أنه الباراكليت ؟ وفى أى مكان ؟ وماذا حدث منه فى نزوله ؟ لأجابوا بما يلى :

(أ) ظل عيسى فى القبر ثلاثة أيام ، ثم قام من الأموات ، وصعد الى السموات ، ثم نزل منها ، وظهر للتلاميذ ، وتحدث معهم عن ملكوت الله مدة أربعين يوما ، وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من « أورشليم . بل ينتظروا موعد الآب » (أ ع ١ : ٤) ثم صعد والى الآن لم ينزل .

---

(٣٤) يقول الكاثوليك فى شرح يوحنا ١ : ١ (والكلمة كان عند الله يعنى أن الكلمة متميز عمن ولده فالأب غير الابن : والابن غير الأب ، ومع ذلك فهما شىء واحد فى الطبيعة والذات والحكمة) (ص ٤٧٩ المجلد الثالث حواشى على الكتاب المقدس للكاثوليك) .

(٣٥) استنادا على نصوص من كلام بولس (عبرانيين ١ : ٣ أفسس ٣ : ٩ الأولى الى تيموثاوس ٣ : ١٦) « الله ظهر فى الجسد »

(ب) وبعد عشرة أيام من الصعود الأخير ، أى بعد خمسين يوما من قيام عيسى الاول من الاموات ، وحينما كان يجتمع نحو مئة وعشرين شخصا من النصارى فى منزل واحد فى أورشليم . ومعهم مريم العذراء رضى الله عنها يذكرون الله ويسبحونه ، يقول لوقا : « لما حضر يـــوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة وصار بغتة من السماء صــــوت كما من هبوب ريح عاصـــفة وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين ، وظهرت لهم السنة منقسمة كأنها من نار واستقرت على كل واحد منهم وامتلأ الجميع من الروح القدس وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا » (أ ع ٢ : ١ ــ ٤)

(جـ) هذا الصوت الفظيع مثل العاصفة الشديدة الذى جعل لهم السنة غير ألسنتهم ، ولغة غير لغتهم . هذا الصوت كان من تأثير الروح القدس الاله الثالث حال نزوله . وقد امتلأ الجميع من الروح القدس . وأصبحوا ينطقون بجميع لغات العالم . وهذا الروح القدس الاله هـــو الباراكليت الذى وعد به عيسى ــ عليه السلام ــ ويعبرون عنه بـــ « موعد الآب »

يقول الأنبا أثناسيوس : « البارقليط هو روح الله القدوس نفسه ، المعزى . البارقليط = المعزى « الروح القدس الذى يرسله الآب باسمى » (يوحنا ١٤ : ٢٦) وهو الذى نزل عليهم يوم الخمسين (أعمال ٢ : ١ ــ ٤) فامتلأوا به ، وخرجوا للتبشير وهو مع الكنيسة وفى المؤمنين ، وهو هبة ملازمة للايمان والعماد » (٣٦) .

المبحث الرابع :

الرد عليهم :

أولا : ليس فى الأناجيل الاربعة اشارة الى أن الروح القدس ، الاله ،

---

(٣٦) ص ١٢٠ تفسير يوحنا ــ الانبا اثناسيوس .

ينزل ويبلبل ألسنة التلاميذ ، والذى فيها عن الروح القدس هو الالهام والتأييد . يقول عيسى لتلاميذه : « وتساقون أمام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم وللامم فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف ؟ أو بما تتكلمون ؟ لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به ، لأن لستم أنتم المتكلمون ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم » (مت ١٠ : ١٨ — ٢٠) هذا الروح هو الهـام الله وتأييده ، لأن هذه العبارات أوردها لوقا هكذا : « وتسـاقون أمام ملوك وولاة لأجل اسمى ، فيؤول ذلك لكم شهادة ، فضعوا فى قلوبكم : أن لا تهتموا من قبل ، لكى تحتجوا . لأنى أنا أعطيكم فما وحكمة لا يقـدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها » (لوقا ٢١ : ١٢ — ١٥)

والتضليل فى حقيقة الروح القدس لم يكتب الا فى سفر الأعمال « وهو كتاب تاريخى ، لا تعليمى عقائدى (٣٧) » كما يقول الدكتور « لورانس براون » وكثير من المفسرين . واذا أمعنا النظر فى هذا السفر نجد أنه كتب لأغراض بولس العدائية لدين عيسى الصحيح . ودليلنا على ذلك :

١ — ان أقدم نسخة خطية اعتمدت لهذا السفر قد كتبت فى القرن الرابع الميلادى . يقول الدكتور لورانس براون : « وفيما يختص بسفر الأعمال يتبين لنا من مجموعات المخطوطات التى بأيدينا : أنه كان فى القرن الثانى بعد الميلاد نموذجان من النصوص تناوبتهما الأيدى . ومن الطبيعى : أن الأدلة المأخوذة من المخطوطات ذاتها ، لا تمدنا بأية معلومات الى ما قبل القرن الرابع . وهو التاريخ الذى كتبت فيه أقدم تلك المخطوطات » (٣٨) .

٢ — ان لوقا الذى يقولون انه كاتب سفر الأعمال ما كان يهوديا مقيما فى أورشليم « هو الوحيد بين كتبة الكتاب المقدس الذى لم يكن من نسـل اسرائيل ، بل كان يهوديا دخيلا ، وحسب راى البعض اعتنق المسـيحية عـلى يد بولس فى أنطـاكية وبعـد مجيئـه الى مقدونية (ع ١٦ : ١٠) صار رفيقة الملازم له ، وقد درس الطب ومارسه . ولهذا قال عنه الرسول بولس : لوقا الطبيب الحبيب (٣٩) » (كو ٤ : ١٤)

---

(٣٧) ص ٣٧ شرح سفر أعمال الرسل .

(٣٨) ص ٢٠ المرجع السابق .

(٣٩) جـ ١ ص ٥ تفسير انجيل لوقا — لمتى هنرى .

٣ — لما كان صديقا لبولس ولم يكن من أورشليم نفسها ولا مشاهدا الحادثة ، كتب هذا بالتأكيد ان كان هو الكاتب باملاء من بولس . ويؤكد هذا : أن بولس لما سجن وكتب رسائله وهو فى السجن ، قال فى احدى الرسائل : « لوقا وحده معى » (٢ تى ٤ : ١١) واذا علمنا أن بولس هذا ألغى دين موسى وعيسى بجرة قلم ، لا يكن لدينا شك فى هذا الاملاء للتضليل فى فهم حقيقة « البيركليت » يقول بولس : « فلا يحكم عليكم أحد فى أكل أو شرب أو من جهة عيد أو هلال أو سبت التى هى ظل الأمور العتيدة » (كو ٢ : ١٦ — ١٧) انه يقول كل ما تشاء واشرب ما لذ وطاب ، ولا تهتم بالأعياد اليهودية ، ولا تقدس يوم السبت . فى حين أن عيسى يقول « ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء » (متى ٥ : ١٧)

٤ — ان سفر الأعمال لم يهتم بابراز نشاط التلاميذ الاحد عشر ، ولم يشر الى شىء من أعمالهم . الا عن بطرس ، فقد كتب عنه بافاضة ، مما يدل على أن السفر موضوع ، لخدمة الكنائس الغربية ، لأنهم يعظمون بطرس ، وفى أحضانها أقرت العقائد النصرانية . ولم يشر هذا السفر الى نشاط المسيحيين الأوائل فى منطقة الجليل ، التى يدعون أن فيها كانت موعظة الجبل أول موعظة لعيسى فيما روى متى (٥/٦/٧) وفيها أشبع الألوف من الجياع (يو ٦) .

والمتأمل فى سفر الأعمال يجد من الاصحاح السادس الى الاخير وهو الثامن والعشرين ، حديثا مركزا عن نشاط بولس فى أسفاره ورحلاته التبشيرية ، حتى أنه ليخيل الى القارىء والى السامع أن هذا السفر قد كتب من أجله .

ثانيا : المتأمل فى نشاط النصارى الأولين ، يجد كثيرا من الناس قد قاوموا بدعة ألوهية عيسى عليه السلام و نكروها أنكارا تاما ، حتىأنه قد عقد مجمع « نيقية » لهذا الغرض فى سنة ٣٢٥م ووضع فيه جزء من قانون الايمان وقاوموا أيضا بدعة الوهية المعزى الروح القدس ، وأنكروها انكارا تاما . حتى أنه قد عقد مجمع « القسطنطينية » لهذا الغرض فى سنة ٣٧٣م ووضع فيه جزء من قنون الايمان . وفى هذا دليل على أن هاتين البدعتين لا أساس لهما من الصحة .

يقول القس الياس مقار : « والروح القدس هو ذات الله وشخصه والتاريخ الكنسي يؤكد أن اعتقاد الكنيسة في لاهوت الروح لم يتزعزع قط على الاطلاق وان كان قد وجدت تلك القلة الضئيلة التي زعمت مع آريوس انه دون الله ، أو ماكيدونيوس سنة ٣٦١م القائل بأنه قوة الله ، وليس شخص الله ذاته ، أو تلك التي لم تنكر لاهوته . وان كانت قد أنكرت أقنوميته في ذات الله كسباليوس وأشياعه وأذنابه من الموحدين ، ممن ينكرون فكرة وعقيدة الثالوث عند المسيحيين ولكن الرأى الثابت والدائم في الكنيسة المسيحية على مختلف العصور هو أن الروح القدس ذات الله ، وهو الأقنوم الثالث في شخص اللاهوت المعظيم » (٤٠) .

ويقول حبيب جرجس : « حدث في سنة ٣٧٣ م أن مكيدونيوس بطريرك القسطنطينية ألحد وهرطق ضد الروح القدس ، واعتقد أن الابن ليس مساويا للآب في الجوهر ، بل يشبهه في كل شيء ، وأن الروح القدس مخلوق وخادم للابن فأمر الملك تاودوسيوس الكبير باجتماع مجمع لادحاض هذه البدعة » (٤١) ... الخ .

ثالثا : لننظر في الأوصاف التي ذكرها عيسى عليه السلام عن « بريكليت » ونرى هل تنطبق على شخص بشرى أم على روح سماوى ؟ هل تنطبق على نبى الاسلام ﷺ أم على الروح القدس الاله ؟ وقبل أن نبدأ كلامنا عن هذا الأمر نشير الى أمر مهم وهو أن المخاطبين من التلاميذ ، ليس لهم الخطاب وحدهم ، بل الخطاب لهم ولكل أتباع عيسى ممن يؤمن به وبانجيله في كل زمان ومكان ، بدليل : انه قال عن تلاميذه مخاطبا الله عز وجل : « كما أرسلتنى الى العالم ، أرسلتهم أنا الى العالم . ولست أسأل من أجل هؤلاء فقط ، بل أيضا من أجل الذين يؤمنون بى بكلامهم ، ليكون الجميع واحدا » (يو ١٧ : ١٨ — ٢١)

---

(٣٩) جـ ١ ص ٥ تفسير انجيل لوقا لمتى هنرى .
(٤٠) ص ١٨١ ايمانى .
(٤١) ص ٩٩ — ١٠١ خلاصة الأصول الايمانية .

ثم نقول :

١ — لقد مهد عيسى لهذا الوعد بأنه يجب عليهم حفظ وصاياه والعمل بها ويجب أن يبوحوا بتعاليمه بأمانة وباخلاص . فقال : « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » وفى هذا اشارة الى أن « بيريكليت » سيكون آتيا للوعظ والنصح والارشاد مثلهم ، وهم يمهدون الطريق ، ليقبل الناس على دعوته . وقد رأينا سابقا أن من معنى « المعزى » النصح والارشاد والمحاماة والتأييد ، فكأن النبى الآتى مؤيد لدعوة عيسى الحقيقية ومثبتا لها ، وناصحا ومرشدا ومدافعا عن حق الناس فى معرفة الله معرفة صحيحة . وفى هـــذا اشارة بظهر الغيب على أن النصارى ربما يحملهم المال والجاه على أن ينكروا هذا النبى لمالهم ولجاههم .

٢ — انهم يقولون ان الروح القدس الاله مســـاو للآب والابن فى اللاهوت ، فاذا صعد عيسى ونزل الروح القدس ، يلزم أن يكون الروح القدس هو عيسى للاتحاد فى اللاهوت وبناء عليه : لاينصرف لفظ « آخر » الى الروح القدس ، بل ينصرف الى نبى الاسلام ﷺ لآنه شخص آخر غير شخص عيسى — عليه السلام — ولأن عمله يشبه عمل عيسى فى الدعوة الى الله — وقد مزمعا أن يغادرهم — فقد وعدهم بمن سيقوم بنفس المهمة ليعلمهم ويحميهم .

٣ — « ليمكث معكم الى الأبد » أى تظل شريعته الى يوم القيامة . وهذا الوصف متحقق فى نبى الاسلام ﷺ لانه أعلن انه خاتم النبيين . والى الآن لم يظهر ما يكذب هذا الاعلان . ولا ينطبق على الروح الاله ، لأن عيسى عندهم هو الاله وهو الروح القدس ، فكيف يصعد وينزل ليمكث معهم ؟ وما الداعى لأن يصعد . وينزل باسم آخر ؟ وهل تخلى الله عن البشرية من يوم أن خلقها ؟ أليس هو مع الناس بعلمه فى كل زمان ومكان ، قبل خلق عيسى ومن بعده ؟

٤ — « روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله ، لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه » هذا النبى الآتى سيأتى برسالة حقيقية ،

من الحق جل جلاله ، وسوف ينير أذهانكم بمعرفة الحـق الذى انحرف اليهود عنه ، وبانحرافهم ضـل العالم ، ولجأوا الى معتقدات بشرية . وكل يدعى أنه على حق ، لكن الحق الحقيقى مع هذا النبى « والعالم لن يقبله » : لأن العالم يموج فى الشر والفساد ، والناس يسعون الى الدنيا وشهواتها ، غير مبالين برسالات السماء ، ولكنكم أيها التلاميذ ستعرفونه بكلامى هذا ، **وبما قلت لكم عنه سابقا .**

وهذا الوصف لا ينطبق على الروح القدس الاله ، لأن أهل العالم .. واليهود من أهل العالم — يعرفون الله أكثر من معرفتهم لنبى الاسلام ﷺ وكان الصواب أن يقول : « وأما أنتم فترونه وتعرفونه » ولأنه قد حذف الرؤية ، يكون مقصوده بالمعرفة المعرفة الحقيقية ، لأتباعه الموجودين فى زمن ظهور النبى ﷺ لا الرؤيا البصرية . وهذا معناه : أن النبى اذا جاء لن يعرفه أهل العالم معرفة حقيقية ، وأتباعه سيعرفونه معرفة حقيقية ، لأن عندهم خبر عنه . من الانجيل .

وقد ورد فى الانجيل لفظ الرؤيا مرادا به المعرفة ، ولفظ المعرفة مرادا به الرؤيا . فقد روى يوحنا أن عيسى قال للتلاميذ : « لو كنتم قـد عرفتمونى لعرفتم أبى أيضا . ومن الآن رأيتموه . قال له فيلبس : يا سيد ارنا الآب وكفانا . قال له يسوع : أنا معكم زمانا هذه مدته ، ولم تعرفنى يا فيلبس ، الذى رآنى فقد رأى الآب » (يو ١٤ : ٧) فقوله « لو كنتم قد عرفتمونى » معناه : لو عرفتمونى معرفة حقيقية ، لأن الناس رأوه وعرفوه، واليهود كانوا يريدون قتله . وقوله :«ومن الآن تعرفونه» معناه : أنهميعرفونه حقيقية . وقوله : « وقد رأيتموه » معناه : عرفتموه من قبل . لأن رؤية الله مستحيلة . لقوله : « الله لم يره أحد قط » (يو ١ : ١٨) ولأنه فى التوراة يقول الله لموسى : « لا تقدر أن ترى وجهى ، لأن الانسان لا يرانى ويعيش » (خر ٣٣ : ٢٠) .

وقوله : « الذى رآنى فقد رأى الأب » معناه : الذى عرفنى معرفة حقيقية ، يعرف الله معرفة حقيقية ، لأنه أرسلنى .

٥ — وأما أنتم فتعرفونه ، لأنه ماكث معكم ويكون فيكم » قـوله «ماكث معكم» معناه : يمكث معكم بشريعته . وهذا لاينطبق على الروح الاله ، لأن الروح الاله — على زعمهم — لو كان هو ماكثا فلماذا يعدهم بنزوله عليهم ؟ ومن شأن الاله أن يكون من قبل المخلوقات ماكثا . ويكون معهم ماكثا الى الأبد ليعلم سرهم ونجواهم ، وهـذا القـول من أقـوى الاشـارات على بطلان قولهم بنزول الآله . والمعنى الصحيح لهذا القول تفسره الجملة التالية وهى : « ويكون فيكم » أى : يكون فيكم مستقبلا أيضا . على معنى أنه يمكث معكم بشريعته وعبر عيسى عليه السلام بصيغة الحال ولم يعبر بصيغة المستقبل ، ليدل على أن ذلك آت لا ريب فيه . ونظير ذلك قوله : « انه تأتى ساعة وهى الآن حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون » (يو ٥ : ٢٥) فقد دل بالآن على اقتراب مجيئها .

٦ — « الكلام الذى تسمعونه ليس لى ، بل للآب الذى أرسلنى » هذا تأكيد على أن نبى الاسلام ﷺ آت ، لأن الله هو الذى قال ذلك له . ولو كان ذلك للروح الاله ما كان من داع لهذا التأكيد و « الآب » كلمة عبرية بمد الهمزة تعنى الأب فى اللغة العربية . وليس هذا اعتراف من المسيح عيسى عليه السـلام بأن الله أبوه على الحقيقة . بل اعتراف بالبنوة المجازية . كما هى عادة بنى اسرائيل فى النطق والتعبير . فلقد كتبوا فى توراة موسى عليه السلام أن الله خاطبهم بقوله « أنتم أولاد الرب الهكم » (تثنية ١٤ : ١) وعلى عادتهم فى النطق والتعبير تحدث اليهم بلغتهم

٧ — « بهذا كلمتكم وأنا عندكم . وأما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شىء ، وذكركم بكل ما قلته لكم » وهنا نجد أن رسالة عيسى — عليه السلام — تنتهى عند مجىء المعزى . لأنه يشجعهم بأن ينتظروا معلما آخر ، ويخبرهم بأن هذا النبى الآخـر سيرسل من قبل الله ، بناء على طلب من عيسى نفسه . وذلك أدعى لاحترامه متى جاء ، لأنه دعوة لله من سيدهم ومعلمهم .

ويعرفهم بأن هذا النبى سيعلمهم كل شىء ويذكرهم بكل ما قاله عيسى

لهم ومجيء نبى الاسلام من الله باسم عيسى ، يلزم اتباع عيسى بشريعة هذا النبى والدخول معه فى دينه ، لأنه لم يأت من تلقاء نفســـه ، ولأنه عظم عيسى ودعوته الحقيقية ، وأشار الى نزاهته وبراءته هو وأمه من العيوب التى اختلقها اليهود زورا واثما . وقوله عن الأمر الاول « يعلمهم كل شىء » يلزمهم هذا القول بترك القديم الذى يعلمون به ، ويكتفون بكل شىء جاء به هذا النبى ، أى يتركون الشريعة القديمة ويتمســـكون بالشريعة الجديدة . والأمر الثانى وهو « يذكرهم بكل ما قـــاله لهم » فانه يفيد أنهم سينسون شيئا مما قاله عيسى عليه السلام . ولقد نســـوا أشياء كثيرة كما قال الله تعالى فى القرآن الكريم : « ومن الذين قالوا انا نصارى أخذنا ميثاقهم ، فنسوا حظا مما ذكروا به » (المائدة : ١٤) ولما جاء نبى الاسلام ﷺ كان معلما ومذكرا . وهذا الوصف بالتعليم والتذكير لا ينطبق على الروح الاله فى يوم الخمسين ، لأنه لم يعلم ولم يذكر ، بل بلبل ألسنة التلاميذ وانصرف ، ولم يفه بكلمة واحدة .

٨ — « وقلت لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون » هذه العبارة تفيد التعظيم للنبى الآتى ، لأنهم لو عرفوا لماذا يأتى وما فى دعوته من اليسر ، لفرحوا فرحا عظيما . وهذه العبارة تمهيد لما سيقوله بعد من وجوب ايمان أتباعه به واعتناق مبادئه . — أتباعه الذين يكونون حال ظهور هذا النبى العظيم — ولا ينطبق هذا القول على الايمان بالروح الاله . لأن الروح الاله هو نفسه عيسى ، وهم كانوا مؤمنين به كما فى اعتقادهم ، وانما هو ينطبق على صاحب شريعة يلزمهم عيسى باعتناقها . ويؤكد هذا قوله بعد : « كما أوصانى الآب هكذا أفعل » .

٩ — « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله انا اليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشـــهد لى . وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء » هذا الكلام لا يصـــح انطباقه على الروح الاله ، لأن الاله لا يرســـل الها مثله .

والمعنى : أن هذا « البيريكليت » سيأتى من عند الآب وحـــده ،.

وعيسى عليه السلام سيطلب من الله ارساله ، ليفيد تلاميذه أنه يجب عليهم احترامه وتوقيره ، لأنه تسبب فى ارساله اليهم من الله . وهذا كما يطلب الطالب من ولى الأمر أن يرسل رسولا او يولى نائبا أو يعطى أحدا . فيقول : أنا أرسلت هذا ووليته وأعطيته ، يعنى أنه كان سببا فى ذلك . والله سبحانه اذا قضى أن يكون شيئا ما ، فأنه يهيىء له أسبابا يكون بها . ومن تلك الأسباب : دعاء بعض عباده بأن يفعل ذلك ، فيكون .. ومن أمثلة ذلك : ان الله تعالى وعد نبى الاسلام ﷺ بالنصر فى غزوة بدر الكبرى . ومع ذلك كان النبى يدعو ويقول : « اللهم فنصرك الذى وعدتنى »

وهذا « البيريكليت » عبر عنه عيسى بأنه روح الحق ، وأنه سيظهر من قبل الله وحده ، وسيستمد شريعته ودعوته من الله وحده . وهـذا « البيريكليت » سوف يشهد لعيسى بالنبوة ، وأنه عبد الله ورسـوله . وهذه علامة نطق بها عيسى عليه السلام ليعرف بها صدق نبى الاسلام ﷺ على معنى : ان شـهد بفضـل عيسى ونبوته كان صادقا ، وان جاء ولم يشهد بنبوة عيسى ولم يعترف بفضله يكون كاذبا . وأنتم أيها التلاميذ — ومن يأتى من بعدكم — تشهدون معه بنبوتى وأنى كنت بشرا كسائر البشر ، لأنى أخبرتكم حين كنتم معى أول الأمر .

وهذه الشهادة لم تحدث من الروح الاله حين نزوله ، لأنه لم يزد عن بلبلة الألسنة شيئا . والتلاميذ فى ذلك الوقت كانوا يعرفون عيسى عليه السلام ولا حاجة لهم فى معرفته بشهادة الروح الاله .

والنص اليونانى هكذا : « يشهد لى وتستشهدون انتم أيضا (٤٢) » وهذا يعنى أن النصارى يضطرهم الناس الى هذه الشهادة . هل نبى الاسلام صادق أم لا ؟ وحسب هذا النص ، فان الروح الاله لما نزل يوم الخمسين لم يطلب منهم الشهادة ، ولم يضطرهم اليها . ولم يطالبه من الحاضرين أحـد بها .

---

(٤٢) ص ٦ جـ ٤ تفسير يوحنا لمتى هنرى .

١٠ — « لكنى أقول لكم الحق : انه خير لكم أن أنطلق : لأنه ان لم أنطلق ، لا يأتيكم المعزى . ولكن ان ذهبت ، أرسله اليكم » كان انطلاق عيسى عليه السلام هو لكى يأتى المعزى ، ولماذا الانطلاق للمجىء ؟ لأن هذا الأمر استقر هكذا فى ارادة الله عز وجل ولا تبديل لكلمات الله . وهذا لا ينطبق على الروح الاله . لأن عيسى هو الاله فى نظرهم ، فما فائدة صعوده ليأتى فى ثوب جديد ؟ واذا كان الأمر كذلك ، فلماذا حزن التلاميذ لفقده اذا كان هو هو ؟ ولماذا عبر بالخيرية اذا كان الروح هو نفسه عيسى ؟ وكيف يكون فى مجيئه الثانى ، أفضل منه فى مجيئه الأول ؟ وهذا الوصف متحقق فى نبى الاسلام ﷺ لأن رسالته سهلة وميسرة ، وباقية الى يوم القيامة ، ومصونة عن التحريف ، والتوراة كانت شريعة محرفة ، ولم يكن مع عيسى شريعة غيرها لقوله : « ما جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء » (مت ٥ : ١٧)

٩ — « سيخرجونكم من المجامع » المراد بالمجامع . أماكن العبادة لاجتماع الناس . ويعنى أن اليهود سيضطهدون التلاميذ ويحرمونهم من الوظائف الدينية الرسمية .

١٠ — « ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة » « يفحم » حسب ترجمة الأب جورج فاخورى البولسى بلبنان بدل يبكت ، يقال : « أفحمه » أسكته فى خصومه أو غيرها . والمعنى : أن النبى الأمى الآتى سيكون من شأنه توبيخ العالم ، بحيث يفحمهم عن الرد عليه ، ولا يستطيعون مع هذا التوبيخ مناقضة كلامه . وما المراد بالعالم ؟ يقول النصارى : « العالم اليهود والأمم (٤٣) » ونقول نحن أيضا : اليهود والأمم . فهل لما نزل الروح الاله وبخ اليهود والأمم ؟ بالتأكيد لا . لأنه لم يفتح فاه بكلمة واحدة . ولما جاء نبى الاسلام ﷺ وبخ العالم أجمع ، وبخ اليهود على تحريفهم لكتاب الله ونبذه وراءهم ظهريا ، ووبخ النصارى على مثل ذلك ، ووبخ الكفار لعبادتهم الأصنام من دون الله .

---

(٤٣) ص ١٧ ج ٤ تفسير يوحنا لمتى هنرى .

وسوف يكون توبيخه على جهة الخصوص فى مسائل ثلاثة وضحها عيسى بقوله : « على خطية » و « على بر » و « على دينونة »

١١ — « أما على خطية فلأنهم لا يؤمنون بى » وهذا لا ينطبق على الروح الاله . لأن التلاميذ ساعة نزوله على حد قولهم ، كانوا مؤمنين بعيسى نبيا ورسولا . وانما ينطبق على نبى الاسلام ﷺ لأنه وبخ اليهود لعدم ايمانهم برسالة عيسى عليه السلام .

١٢ — « وعلى بر » قال دانيال النبى فى سفره عن نبى الاسلام ان جبرائيل قال له « سبعون أسبوعا قضيت على شعبك ، وعلى مدينتك المقدسة لتكميل المعصية وتتميم الخطايا ولكفارة الاثم ، وليؤتى بالبر الأبدى ولختم الرؤيا والنبوة ولمسح قدوس القدوسين » (دانيال ٩ : ٢٤) ويريد المسيح عيسى أن يقول انه اذا جاء نبى الاسلام (نبى البر) فسوف يوبخ اليهود على رفضهم اياه لأنه هو البر الأبدى الذى كانوا ينتظروه . وأشارت اليه الكتب ولئلا يتوهم متوهم أن عيسى هو المقصود من عبارات دانيال صرح بقوله « انى ذاهب الى ابى ولا تروننى أيضا » أى أن المقصود بعبارات دانيال عن البر الأبدى شخص غيره .

١٣ — « وأما على دينونة ، فلأن رئيس هذا العالم قد دين » رئيس هـذا العالم فسره النصارى بالشيطان الرجيم .

يقول متى هنرى :«ان ابليس رئيس هذا العالم قد دين . قد تبين بأنه مضلل عظيم ومدمر عظيم ، ولذلك دين وبدأ تنفيذ الدينونة جزئيا . لقد طرد من العالم الوثنى عندما أسكتت تعاليمه وهجرت مذابحه » (٤٤) والمعنى : أن نبى الاسلام سيوبخ العالم على عدم ايمانهم به ، فى الوقت الذى فضحت دعوته أساليب الوثنية وأوامر الشيطان ، واذا كان هو قد ادان الشيطان وأخزاه ، فهو بالحرى يدين الناس ويخزيهم . وهذا الوصف أيضا لا ينطبق على الروح الاله ، لأنه لم يوبخ العالم على دينونة . واذا كان الشيطان لم يستطع صرف الناس عنه ، فكذلك لن يستطيع الحاقدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم .

---

(٤٤) ص ٢١ المرجع السابق .

ومما يلاحظ فى هذه العبارة : أن العالم كله حال نزول الروح الاله لم يسمع ولم ير . لأن الذين حضروا كانوا مائة وعشرين من النصارى فأين هؤلاء من العالم ؟ وعلى ذلك فانطباق توبيخ العالم على لسان نبي الاسلام ﷺ أحق وأولى من انطباقه على الروح الاله .

١٤ — يقول عيسى عليه السلام : « ان لى أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم . ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن » هذا عطف كبير منه على تلاميذه . وهذا العطف : لأن اليهود سيؤذونهم والعالم سيبغضهم . وهذه الأمور الكثيرة ربما هى توضيحات أكثر عن ملكوت السموات ، أو أوصاف أخرى عن هذا النبى . وهذه الأمور الكثيرة حينما نزل الروح الاله لم يظهر منها أمر واحد ، فدل ذلك على أنه غير المقصود بحديث عيسى عليه السلام .

١٥ — « وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق ، لانه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به » اذا جاء نبى الاسلام فهو يرشدكم الى جميع الحق . الحق الذى عرفتكم به وأنا معكم ، والحق الذى ستنسوه سيذكركم به ، وحق سيأتى به من عند الله . هذا كله سيخبركم به . لأن الله هو الذى سيوحى اليه . ولن يتكلم بشىء من تلقاء نفسه . والروح الاله لما نزل يوم الخمسين لم يتكلم بحق أو بباطل .

١٦ — « ويخبركم بأمور آتية » الروح الاله لما نزل يوم الخمسين لم يخبر بحق ولا بباطل ، فدل هذا على أن الآتى نبي لا اله .

١٧ — وفى النهاية يشهد عيسى عليه السلام شهادة قيمة لنبي الاسلام ﷺ . وهي : « ذاك يمجدنى » انه يعظم رسالتى ، ويعترف بفضلى . وعلى ذلك فلا تحتقروا رسالته ، ولا تنكروا فضله ، بل اتبعوه وعظموه ومجدوه كما يمجدنى .

١٨ — وهذا التمجيد منه لى ، لأنه « يأخذ مما لى ويخبركم » انه يأخذ من الله مما هو معد فى علم الله ، من نفس العلم الذى أخذت منه . ونسب

لى ، لأنى أنا الذى أتكلم معكم . فكلانا فى الهدف سواء . ومن مصدر واحد استقينا معلوماتنا . ومن هذا المصدر الذى أخذت منه سوف يأخذ ويخبركم .

ويلاحظ هنا : أن عيسى عليه السلام يقول : « يأخذ مما هو لى » وهذا معناه أن النبى الآتى يشبه عيسى فى صفة الحدوث والخلق ، وهما يأخذان من علم الله القديم الأزلى . ولو كان هذا الآخذ الجديد ، هو الروح الاله ، لكان حـادثا . وهم يقولون بقدم الروح الاله ، فيلزم التناقض والاضطراب فى التأويل .

* * *

رابعا : لننظر بعد ذلك فى القرآن الكريم لنرى هل هذه الأوصـاف التى ذكرها عيسى عليه السلام منطبقة على نبى الاسلام ﷺ أم القرآن لم يشر اليها ؟

١ ـ بدء سورة آل عمران يفيد ان الله واحد لا شريك له ، وأنه نزل القرآن بالحق « مصدقا لما بين يديه . وأنزل التوراة والانجيل » وبعد ذلك بقليل : « ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف الذين أوتو الكتاب (٤٥) الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم » « ثم توجيه من الله لأهل الكتاب وهم اليهود والنصارى مصدر بكلمة « قل » وهى تفيد الأمر للنبى ﷺ بتبليغ الأقوال « فا ن حاجوك فقل : أسلمت وجهى لله ومن اتبعنى . وقل للذين أوتو الكتاب والأميين : أأسلمتم » ؟ وبعد هذين القولين يشير الله الى أن اليهود كفروا بآياته ـ ولم يكفروا به ـ وقتلوا الأنبياء بغير حق . ولذلك حبطت أعمالهم فى الدنيا والآخرة ، ونزع منهم الملك وأخذ منهم الشريعة وسلم الملك والشريعة الى قوم آخرين « قل : اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء » ثم يبين الله عز وجل أن قرب اليهود والنصارى منه بعد ظهور الاسلام ، لا يكون الا باعتناقهم للاسلام « قل :

(٤٥) يقول اليهودى : (هين) : « ان لم أكن مخطئا فالنبى محمد ﷺ هو الذى أطلق على اليهود اسم « أهل الكتاب » (ص ٦٧ فـ الفكر اليهودى) .

ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحبيكم الله » . « قل : أطيعوا الله والرسول »

وهذا يشـــير بالمعنى والشبه الى قول عيسى للتلاميذ : « ان كنتم تحبوننى فاحفظوا وصاياى » ويؤكد نبى الاسلام على هذا القول بقوله : ان كنتم تحبون عيسى لتصلوا بمحبته الى الله ، فعليكم بمحبتى ، فانها توصلكم الى الله ، لأنه نبه على . وكما أن محبتكم لعيسى هى حفظ وصاياه والعمل بها ، فكذلك محبتكم لى تكون بحفظكم لوصاياى وبالعمل بها .

٢ — أشار القرآن اشارات كثيرة الى أن رسالة الاسلام لليهود والنصارى ولجميع أمم الأرض ، وأنها باقية الى يوم القيامة ومن ذلك قوله : « وما أرسلناك الا رحمة للعالمين » (الأنبياء ١٠٧) وهذا يمتشى شبها مع عبارة الانجيل « ليمكث معكم الى الأبد » .

٣ — أشار القرآن الى أن اليهود والنصارى معا يعرفون نبى الاسلام كما يعرفون أبناءهم فى قوله تعالى : « الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون » (البقرة ١٤٦) وهذا يتمشى مع قول الانجيل « وأما أنتم فتعرفونه »

٤ — وضح القرآن الكريم أن عيسى رسول من الله فى قوله تعالى « المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » (النساء ١٧١) وفى الانجيل : « الكلام الذى تسمعونه ليس لى ، بل للآب الذى أرسلنى »

٥ — ويندرج تحت المعانى المستفادة من قول الله تعالى : « الذين يتبعون الرسول النبى الأمى ، الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبـــات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التى كانت عليهم . فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه . أولئك هـــم المفلحون » (الأعراف ١٥٧) يندرج تحته هذه العبارات : « يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم — وقلت لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون » .

٦ ـــ وعن الشـــهادة يقول القرآن الكريم : (واذ أخذ الله ميثاق النبيين : لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جـــاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه . قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم اصرى ؟ قالوا : أقررنا . قال : فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » (آل عمران ٨١) ونظيرها فى هذا النص : « وتشهدون أنتم أيضا لأنكم معى من الابتداء »

٧ ـــ وعن توبيخ العالم وافحامهم نجد فى القرآن الكريم : « يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ، الذى جعل لكم الأرض فراشا والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون ، وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا ، فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا ، فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجـــارة أعدت للكافرين » « كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ، ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون » (البقرة ٢١ : ٢٤ و ٢٨)

هل بعد هذا توبيخ وتبكيت واقناع وافحام ؟ انه ما ترك كلمة لمحتج ولا وجهة نظر لمعترض ، وبعد ذلك بقليل فى نفس السورة نجد توبيخا صريحا لبنى اسرائيل : « يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم واياى فارهبون ، وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ، ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ، واياى فاتقون ، ولا تلبسوا الحق بالباطل ، وتكتموا الحق وأنتم تعلمون . وأقيموا الصـــلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب . أفلا تعقلون » ؟ (البقرة ٤٠ ـــ ٤٤)

وفى القرآن الكريم توبيخ صريح فى شأن عيسى عليه السلام : « يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق ، انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ، ألقاها الى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة ، انتهوا خيرا لكم ، انما الله اله واحد ، ســـبحانه أن يكون له ولد . له ما فى السموات وما فى الأرض ، وكفى بالله وكيلا

لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون » (النســاء ١٧٠ — ١٧٣)

٨ — وفى القرآن الكريم : « واذا تتلى عليهم آياتنا بينات . قال الذين لا يرجون لقاءنا : ائت بقرآن غير هذا أو بدله . قل : ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ، أن أتبع الا ما يوحى الى انى أخاف ان عصــيت ربى عذاب يوم عظيم . قل : لو شــاء الله . ما تلوته عليكم ولا أدراكم به . فقد لبثت فيكم عمرا من قبله . أفلا تعقلون ؟ فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته ، انه لا يفلح المجرمون » (يونس ١٥ — ١٧) وهذا من معناه أن النبى صادق فى نبوته ، كما قال عنه عيسى عليه السلام : « لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به »

٩ — واما عن وصف عيسى لنبى الاسلام بقوله : « سيخبركم بأمور آتية » فهذا تشير اليه آيات كريمات منها : « الم غلبت الروم فى أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون ، فى بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشــاء وهو العزيز الرحيم ، وعد الله لا يخلف الله وعده ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون . يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا ، وهم عن الآخرة هم غافلون » (الروم ١ — ٧) وأيضا : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين ، محلقين رؤسكم ومقصرين ، لا تخــافون فعلم ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحا قريبا . هو الذى أرســل رسوله بالهدى ودين الحق ، ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا » (الفتح ٢٧ — ٢٨)

١٠ — وقول عيسى عليه السلام : « ذاك يمجدنى » يشير اليه قولــه تعالى : « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل ، وأمه صديقة ، كانا يأكلان الطعام . انظر كيف نبين لهم الآيات . ثم انظر انى يؤفكون » (المائدة ٧٥) وهذا تمجيد لعيسى عليه السلام .

١١ — وقول عيسى عليه السلام « يأخذ مما لى ويخبركم » يشير الى قوله تعالى : « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا ، والذى أوحينا اليك ، وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » (الشورى ١٣) فالجميع يستقون معلوماتهم من مصدر واحد .

١٢ — وعن الاسم المبارك يقول تعالى : « ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد » (الصف ٦)

ويقول عيسى عليه السلام : « وأنا أطلب من الآب ، فيعطيكم معزيا » والمعزى ترجمة باراكليت . وبيركليت هو اسم أحمد ﷺ .

الفصل السادس
فى
وجاهة بنى اسماعيل

تمهيـــــد :

بعدما بين عيسى عليه السلام لعلماء بنى اسرائيل أن النبى المنتظر سيأتى من نسل اسماعيل عليه السلام ، ذهب وفد منهم الى « بيلاطس » الحاكم عليهم من قبل الرومان . وقالوا له : ان يسوع لا يدعى أن النبى المنتظر سيأتى من بعده ، بل يدعى أنه هو . ونبوءات كتبنا عن هذا النبى تقول : انه سيزيل مملكة « روما » عن وجه الأرض . ولذلك فان يسوع أوهم أتباعه . أنه هو ذلك النبى الملقب بلقب المسيا أى المسيح الذى من صفاته أن يكون ملكا . وهو الآن يحدث شغبا فى البلاد ، ويمنع الناس من أن يطيعوا الرومان . ويخضعوا لهم بدفع الجزية ، فاستدعاه بيلاطوس وسأله قائلا : « أنت ملك اليهود ؟ فأجابه وقال : أنت تقول » أى أنا لم أقل « فقال بيلاطوس لرؤساء الكهنة والجموع : انى لا أجد علة فى هـذا الانسان » (لو ٢٢ : ٣ — ٤)

***

ولما مثل أمام هيرودوس سأله عما سأله عنه بيلاطوس وحكم عليه بالبراءة كما حكم عليه بيلاطوس . ففى انجيل لوقا : « فدعا بيلاطوس رؤساء الكهنة والعظماء والشعب وقال لهم : قدمتم الى هذا الانسان كمن يفسد الشعب . وها أنا قد فحصت قدامكم ولم أجد فى هذا الانســان علة مما تشتكون به عليه . ولا هيرودوس أيضا . لأنى أرسلتكم اليه . وها لا شىء يستحق الموت صنع منه » (لو ٢٢ : ١٣ — ١٥)

***

وفى الانجيل : أن اليهود أصروا على أن يقتله الوالى ، والا يتوجهون الى قيصر الرومان نفسه فى « روما » ويطلبون عزله . ولهذا التهديد أقدم الوالى على قتله . وهذا مستبعد من الوالى . لثبوت براءته فى نظره — ومن شأن الولاة اقامة العدل لئلا تخرب دولهم — ولما برأه ، منع اليهود من أذيته ، وتركه يسيح فى الأرض . وآواه الله الى ربوة ذات قرار ومعين . هذا محتمل . ومن المحتمل : أن الوالى لما أقدم على قتله بنـــاء على اصرار اليهود ، ألقى الله شبهه على « يهوذا الاسخريوطى » فقتل مكانه وصلب . وهذا الاحتمال للجمع بين رواية برنابا ورواية كتاب الاناجيل . ومن المحتمل أيضا : أن لا تكون المحاكمة قد حدثت للمسيح كما روى برنابا .

وعلى المكتوب فى الأناجيل الاربعة فان الذى يهمنا بيانه فى هـــذه المحاكمة : هو أن عيسى عليه السلام سألوه فيها هل هو المسيح المنتظر الذى أخبر عن مجيئه موسى مماثلا له والذى لقبه دانيال بابن الانسان ، ولقبه داود بلقب ابن الله . أم ليس هو ؟ وأجاب بلا . وقال لهم : انه سيأتى من بعدى .

ففى انجيل متى : « أجاب رئيس الكهنة وقال له : استحلفك بالله الحى . أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟ قال له يسوع : أنت قلت . وأيضا أقول لكم : **من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القـــوة وآتيا على سحاب السماء** » (مت ٢٦ : ٦٣ — ٦٤) كناية عن سرعة مجيئه مؤيدا بنصر الله وعونه .

والآن الى بيان الموضوع :

ما الذى دفع اليهود العبرانيين الى التفكير فى قتل عيسى عليه السلام ؟ انه اذا كان يبشر بمجىء المسيا . فان اليهود كلهم يترقبون مجيئه ، ولا يمكن أن يكون ذلك سببا مؤديا الى التفكير فى قتله ، واذا كانت التهمة الموجهة اليه أنه يجدف على الله ، زاعما أنه ابنه ، ابنا طبيعيا ، أو أنه هو الله نفسه ، فانه دافع عن نفسه كثيرا ، وصرح بأنه عبد لله كســـائر العبيد ونبى كسائر الأنبياء ، وبشر كسائر البشر . وكان ذلك أمام جمع كبير من اليهود ، وفى أقدس مكان لديهم ، وهو الهيكل .

ومن كلماته لليهود : « ان كنت أشهد لنفسى فشهادتى ليســت حقا ، الذى يشهد لى هو آخر ، وأنا أعلم ان شهادته التى يشهدها لى هى حق ، أنتم أرسلتم الى يوحنا (المعمدان) فشهد للحق ، وأنا لا أقبل شهادة من انسان ، ولكنى أقول هذا ، لتخلصوا أنتم ، كان هو السراج الموقد المنير ، وأنتم أردتم أن تبتهجوا بنوره ساعة ، وأما أنا فلى شهادة أعظم من يوحنا ، لأن الاعمال التى أعطانى الآب لاكملها . هذه الاعمال بعينها التى أنا أعملها هى تشهد لى أن الآب (الله) قد أرسلنى .

والآب نفسه الذى أرسلنى يشهد لى . لم تسمعوا صوته قط ولا أبصرتم هيئته (١) ، وليست لكم كلمته ثابتة فيكم . لأن الذى أرسله هو ، لستم أنتم تؤمنون به . فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية ، وهى التى تشهد لى ، ولا تريدون أن تأتوا الى لتكون لكم حياة .

مجدا من الناس لست أقبل ، ولكنى قد عرفتكم أن ليست لكم محبة الله فى أنفسكم . أنا قد أتيت باسم أبى ولستم تقبلوننى . ان أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه ، كيف تقدرون أن تؤمنوا ، وأنتم تقبلون مجدا بعضكم من بعض ، والمجد الذى من الاله الواحد لستم تطلبونه ؟ لا تظنوا أنى أشــكوكم الى الآب . يوجد الذى يشــكوكم وهو موسى الذى عليه رجاؤكم ، لأنكم لو كنتم تصدقون موسى ، لكنتم تصدقوننى ، لانه هــو كتب عنى ، فان كنتم لستم تصدقون كتب ذاك ، فكيف تصدقون كلامى » ؟ (يوحنا ٥ : ٣١ ــ ٤٧)

ما هو السبب اذا فى التفكير فى قتله ، اذا كان هو لم يأت بجديد عما الفوه ؟ فى اعتقادنا أن الســبب فى ذلك : هو تنبئه بأن المسيا لن يكون من نسل داود عليه السلام كما كان يتوقع يهود أورشليم الذين بعث فيهم ، وانما سيكون من بنى اسماعيل عليه الســـلام وأن الملك من اليهود سيزول حتما على يديه ، وسوف يكون ذلك قريبا .

---

(١) ان عيسى عليه السلام قد سمع اليهود صوته وأبصروا هيئته ، فلا يكون هو الله . لأن الله تعالى لم يره أحد قط . ولا يقدر انســان أن يرى الله ويعيش (يوحنا ١ : ١٨ خروج ٣٣ : ٢٠ ــ ٢٣)

واعتمادنا فى هذه الفكرة على ما ورد فى الأناجيل فى بيان محاكمة اليهود لعيسى عليه السلام .

وبيان ذلك :

فى هذه المحاكمة أجمعت الأناجيل على أن تلميذا خائنا يدعى « يهوذا الاسخريوطى » من تلاميذ عيسى عليه السلام ائتمر مع اليهود على أن يدلهم عليه فى مقابل ثلاثين من الفضة . ومقدارهم بالجنية الانجليزى الآن كما يقول فردريك فارار : « نحو ثلاثة جنيهات وستة عشر شلنا » (٢) وبالجنيه المصرى « أربعة جنيهات وخمسة قروش » (٣) كما يقول الأنبا أثناسيوس . وقد أخذ الثلاثين من الفضة وانطلق ليلا بصحبة جمع كثير معهم سيوف وعصى ومشاعل ومصابيح من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ، وذهبوا الى « وادى قدرون » حيث كان بستان مجتمع فيه عيسى مع تلاميذه .

والذين أمسكوا يسوع مضوا به الى « قيافا » رئيس الكهنة — كما يذكر متى — أو الى « حنان » كما يذكر يوحنا ، وأرسله هو موثقا الى « قيافا » وتمت محاكمة عيسى عليه السلام محاكمة دينية أمام رئيس الكهنة أولا . ثم حوكم ثانية محاكمة مدنية فى دار القضاء ، عند « بيلاطس » الوالى على « أورشليم » من قبل الدولة الرومانية ، وبعده عند « هيرودس »

وفى المحاكمة الدينية والمدنية ، سئل عيسى — عليه السلام — عما اذا كان هو المسيا المنتظر ، أم ليس هو ؟ سئل هل هو « ابن الله » أى هل هو « المسيح » الذى تنبأ عنه داود فى المزمور الثانى بلقب « ابن الله » ؟ وأجاب عيسى عليه السلام : بأنه ليس هو ابن الله ، الذى هو المسيا . يقول متى هنرى فى تفسير انجيل لوقا : « لقد سألوه : هل « انت المسيح »؟ كان المعتقد بصفة عامة بين أتباعه أنه هو المسيح ، لكنهم لم يسمعوا منه

---

(٢) ص ٦٧١ حياة المسيح لفردريك
(٣) ص ٢٥٤ تفسير متى للأنبا اثناسيوس .

انه قال هذا بنفسه . لقد كانوا ــ كيهود ــ يعترفون بأنهم ينتظرون المسيا ولم يظهر أحد آخر من قبل بأنه هو المسيا .

فسألوه قائلين : « أفأنت ابن الله » ؟ ومن هذا يتضح أن الكنيسة اليهودية كانت تؤمن بأن المسيا ، يجب أن يكون ابن الانسان وابن الله (٤)» أ. هـ .

ان هذا المفسر يقول : ان المسيا لم يظهر من قبل عيسى عليه السلام ويقول : ان من ألقاب المسيا : لقب ابن الله ولقب ابن الانسان . ويقول ان عيسى عليه السلام لم يقل بنفسه حتى ساعة المحاكمة بأنه هو المسيا ، أى « المسيح »

وهذه هى المحاكمة :

المحاكمة الدينية

السؤال الأول : « تقدم شاهدا زور وقالا : انك قلت : انى اقدر أن أنقض هيكل الله ، وفى ثلاثة أيام أبنيه » ؟ (هذا السؤال ذكره متى ومرقس)

عيسى عليه السلام : صــمت

السؤال الثانى : « أسألك بصفتى رئيسا للكهنة عن تلاميذك وعن تعليمك . فماذا تقول » ؟ عيسى عليه السلام : « أنا كلمت العالم علانية . أنا علمت كل حين فى المجمع وفى الهيكل حيث يجتمع اليهود دائمــا ، وفى الخفاء لم أتكلم بشىء . لماذا تسألنى أنا ؟ أسأل الذين قد سمعوا ماذا كلمتهم ؟ هوذا يعرفون ماذا قلت أنا » ؟ (السؤال والاجابة عند يوحنا فقط) .

السؤال الثالث : « أستحلفك بالله الحى أن تقول لنا :

(أ) « هل أنت المسيح ابن الله » ؟ (متى) [لاحظ أنهم يسألون عن المسيح المنتظر الذى هو المسيا]

(ب) « أأنت المسيح ابن المبارك » ؟ (مرقس) وفى ترجمة الكاثوليك : « أأنت المسيح ابن الله المبارك » ؟

---

(٤) ص ٢٠٣ جـ ٣ تفسير لوقا ــ لمتى هنرى .

(جـ) « ان كنت أنت المسيح فقل لنا » (لوقا)

عيسى عليه السلام :

(أ) « أنت قلت » (متى)

(ب) « أنا هو » (مرقس)

(جـ) « ان قلت لا تصدقون ، وان سألت لا تجيبوننى ولا تطلقوننى » (لوقا) .

يلاحظ فى السؤال الأول : أن رئيس الكهنة لم يعترض على صمت عيسى عليه السلام ، ولم يظهر غيظا ولا حنقا .

ويلاحظ فى السؤال الثانى : انه هو عينه نفس السؤال الثالث ، وورد بصيغة العموم ، والثالث ورد بصيغة الخصوص عن شىء معين يهمهم فى تعاليمه .

والسؤال الثالث هو الذى يهمهم معرفة اجابته عليه . وعليه كانت المحاكمة لذكره فى الأناجيل الثلاثة . ولأن يوحنا ذكره فى معرض سؤال بيلاطس ، أمام السلطة المدنية . ولا تهمهم معرفة اجابته عليه الا علانية وبوضوح تام . والسؤال هو : هل أنت المسيح المنتظر أم لا ؟ وماذا كانت اجابته ؟ متى يذكر أن عيسى نفى كونه المسيح المنتظر ، أى المسيا الذى وعد الله به على لسان موسى عليه السلام فى سفر التثنية .

ورد على « قيافا » أنت قلت . أى أنت قلت : اننى المسيح ابن الله (٥) أما أنا فلم أقل اننى المسيح ابن الله (أى لست المسيا)

وفى رواية لوقا نجد أنه لم يعترف بأنه هو المسيح المنتظر — لابصراحة ولابغير صراحة — لقوله : انقلتأنا هو أو لستأنا هو ،لاتصدقون . وان سألت قائلا : لماذا تسجوننى ؟ لا تيجيبوننى ولا تطلقوننى . وربما يريد

---

(٥) يشير بلقب « ابن الله » الى قول داود عليه السلام فى مزموره الثانى نبوءة عن المسيا : « قال لى : أنت ابنى ... الخ » وقد اقتبسه كتاب الأناجيل فى اعمال ١٣ : ٣٣ عبرانيين ١ : ٥ و ٥ : ٥

ان يسألهم عن أوصـــاف المسيا فى التوراة ، ليتأكدوا منها . ان كان هو أو ليس هو . لأن من أوصافه أن تبقى شريعته الى الأبد ، وسلطانه الى يوم القيامة ، وألا يقتل بيد أعدائه ، وألا يكون من اليهود . ففى التوراة : « نسله الى الدهر يكون ، وكرسيه كالشمس أمامى ، مثل القمر ، يثبت الى الدهر ، والشاهد فى السماء أمين » (مزمور ٨٩ : ٣٦ ـــ ٣٧) وعيسى يبدو أمامهم لا شريعة ولا سلطان ، ولا هو بين أيديهم طليق . فكيف يكون هو المسيا ؟

ورواية يوحنا تؤكد كلام متى ولوقا . فانه أجاب بصراحة مطلقة ، واعترف اعترافا حسنا أمام السلطة المدنية بأنه ليس ملكا . وبالتالى ليس هو المسيا المنتظر فقد قال : « مملكتى ليست من هذا العالم » (١٨ : ٣٦)

ورواية مرقس وفيها ان عيسى أجاب قائلا : « أنا هو » فمعناها : أنه آت باسمى ، ودعوته دعوتى ، فكأنى أنا هو ، أو هو أنا . من باب التوقير والاحترام . وان لم يسلم النصارى بهذا التأويل ، يلزمهم تناقض الاناجيل واضطرابها ، رواية الثلاثة أقوى من الواحد . وهى لم تتناقض ولم تضطرب فى رواية حادثة ما تناقضت واضطربت فى رواية تفاصيل المحاكمة ، التى أدت الى القتل والصلب .

والى هنا لم يحقق اليهود غرضهم فى أدانة عيسى عليه السلام . لا بالأقوال التى اتهمته بنقض الهيكل ، ولا بالاقوال التى شـــاعت عنه أنه المسيا .

لكن عندما نطق عيسى بقوله وهو يكمل اجابة السؤال الثالث :

« وأيضا أقول لكم : من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا على سحاب السماء » (متى) وترجمة الكاثوليك : « ابن البشر جالسا عن يمين القدرة »

« وسوف تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة ، وآتيا فى سحاب السما » (مرقس)

« منذ الآن يكون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله » (لوقا) .

عندما نطق عيسى بهذا الكلام يقول متى : « فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلا : قد جدف ما حاجتنا بعد الى شهود ؟ ها قد سمعتم تجديفه . ماذا ترون ؟ فأجابوا وقالوا : انه مستوجب الموت ؟ » وهى نفس رواية مرقس بالمعنى . ولوقا يذكر استفسارا من اليهود عقب قوله : « منذ الآن يكون ابن الانسان جالسا عن يمين قوة الله » وهذا الاستفسار هو أن الجمع قالوا لعيسى عليه السلام : « أفأنت ابن الله ؟ فقال لهم : أنتم تقولون انى أنا هو » فهو يرد على استفسار اليهود ، مصرحا بأنه ليس هو ابن الله ، بل هم الذين يقولون ذلك .

وفى النهاية حكم اليهود عليه بالموت قتلا ، ودفعوه الى بيلاطس الوالى لينفذ حكم الاعدام .

ولما قدموه الى بيلاطس الوالى ، قدموه على أنه هو المسيا المنتظر ، الذى من صفاته أن يكون ملكا ، مخلصا لليهود من ذل الأجانب . الأمر الذى من شأنه أن يغضب الرومان . وقالوا لبيلاطس : انه يزعم أنه ابن الله ، أى المسيا الرئيس ، الذى قال الله له فى المزمور الثانى لداود : « اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل اناء خزاف تكسرهم » ففى رواية لوقا :

« فقام كل جمهورهم وجاءوا به الى بيلاطس وابتدأوا يشتكون عليه اننا وجدنا هذا يفسد الأمة ويمنع أن تعطى جزية لقيصر قائلا : انه هو مسيح ملك » (لوقا ٢٣ : ١٠ — ٢)

***

ترى لماذا مزق رئيس الكهنة ثيابه ؟ لماذا مزقها بعدما سمع أن « ابن الانسان » سوف يبصرونه آتيا على سحاب السماء ؟ ومن هو « ابن الانسان » هذا ، الذى مزق رئيس الكهنة ثيابه ، لما سمع عنه ؟

« ابن الانسان » هذا الذى أشار الى مجيئه عيسى عليه السلام ، هو نبى الاسلام ﷺ — وابن الانسان هذا هو المسيا — ومعنى « جالسا

عن يمين القوة » أى اذا أتى ابن الانسان ليدين العالم ، وينقض شعائر الهيكل ، ويغير العوائد التى سلمها لليهود موسى ، ويؤسس ملكوته ، فان قدرة الله تسنده .

وقوله عن « ابن الانسان » انه سيكون « جالسا عن يمين القوة » ذكره عيسى ساعة المحاكمة لرئيس الكهنة — الذى يفهم فى الدين — لأنه هو التعبير المذكور فى التوراة عن المسيا المنتظر ، فقد جاء عنه فى كلام داود عليه السلام : « قال الرب لسيدى : اجلس عن يمينى حتى أجعل أعدائك موطئا لقدميك ... تسلط فيما بين أعدائك ، ان شعبك متطوع يوم قدرتك ، فى بهاء القداسة ، من الجوف قبل الفجر ، لك ندى ولادتك ... السيد عن يمينك . يحطم الملوك يوم غضبه ، يدين فى الأمم ، يملأها جثثا ، يهشم الرأس على أرض واسعة »

وعبارة « آتيا على سحاب السماء » ذكرها عيسى — عليه السلام — لأن التوراة صرحت بأن ابن الانسان الذى هو المسيا المنتظر ، سيكون آتيا على سحاب السماء كناية عن سرعة مجيئه ، وعلوه وارتفاعه على أعدائه، فقد قال عنه دانيال : « كنت أرى فى رؤى الليل ، واذا مع سحب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء الى القديم الأيام فقربوه قدامه ، فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض » (دانيال ٧ : ١٣ — ١٤) هذا هو « ابن الانسان » الذى تدور المحاكمة عليه . فهل هو عيسى عليه السلام ، أم هو محمد ﷺ ؟

ان رئيس الكهنة يعلم من نبوءة المزمور الثانى ، ونبوءة المزمور المائة والعاشر ، وما فى سفر دانيال عن ملكوت السموات ، يعلم أنه ليس هو . لأن أوصاف النبوءات لا تنطبق عليه ، ولأنه هو لم يعترف ، لا صراحة ولا ضمنا بأنه هو .

وهذا هو نص المزمور الثانى ، الذى فيه الحديث عن المسيا ، بلقب « ابن الله »

يقول داود عليه السلام : « ٧ — انى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى . أنا اليوم ولدتك ، ٨ — اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك ٩ — تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل اناء خزاف تكسرهم ١٠ — فالآن يا أيها الملوك تعقلوا ، تأدبوا يا قضاة الارض ، ١١ — أعبدوا الرب بخوف ، واهتفوا برعدة ، ١٢ — قبلوا الابن (٦) لئلا يغضب ، فتبيدوا من الطريق ، لأنه عن قليل يتقد غضبه » (مزمور ٢ : ٧ — ١٢)

يقول علماء الكاثوليك : « هذا المزمور الأول غفل من العنوان ، لكن لا خلاف فى أن مصنفه هو داود واليه نسب فى أعمال الرسل (٤ : ٢٥) اما موضوعه : فهو أن الشـــعب وملوكهم انما يقاومون الرب ومســـيحه سدى (١ — ٣) وان الرب يسخر منهم (٤) وسيروعهم بغضـــبه (٥) وان ملكهم هو المسيح (٦) وهو ابن الله المولود فى الأزلية التى هى حال دائمة (٧) وقد أقامه الله ملكا على جميع الشعوب ، وسيحطم المقاومين بين يديه (٨ ، ٩) اذن فليخضع لملكه جميع الملوك مع شعوبهم (١٠ — ١٣) (٤) المراد بالرب هنا : الآب . وبالسيد الابن كما فى المزمور ١١٠ الذى هو فى معنى هذا المزمور (١٢) قبلوا الابن كانت عادتهم أن يقبلوا الملك تعظيما له ، كما نفعل نحن بتقبيلنا الأشياء المقدسة » أ . هـ .

هذا هو نص المزمور الثانى ، وهذا نص تعليق الكاثوليك عليه . ورئيس الكهنة يسأل عيسى عليه السلام ساعة المحاكمة : هل هو « ابن الله » الذى يتحدث عنه هذا المزمور أم لا ؟ وكانت اجابة عيسى بالنفى قطعا ، وان لم يجب فحاله تنبىء عن النفى قطعا ، لأنه لم يحطم المقاومين بين يديه . فان معنى الكلام : هو ان داود عليه السلام يخبر بأن مؤامرات ستقوم ضد المسيح من ملوك الأرض ورؤسائها لاهلاكه ، والله عز وجل بقدرته سيحبط هذه المؤامرات ، وسينصر هذا المسيح ، ويثبت مملكته الى

---

(٦) يقـــول الدكتور فردريك فارار « اختلف القراؤون من أيـــام ايرينيموس ان كان معنى الكلمة الأصلية (قبلوا الابن) أم (اعبدوا بطهارة الابن) (حياة بولس ص ٢١٥ جـ ١)

الأبد . مملكته التى ستمتد الى أقاصى الأرض ، وتشمل جميع الامم ميراثا دائما الى يوم القيامة ، ومن يقف فى وجه هذا المسيح ومن لا يقبل دعوته بفرح ، سوف يباد من الطريق . وأين من هذه الأوصاف كلها عيسى عليه السلام ؟ يكفى أن يعترفوا بقتله وصلبه . وهذا الاعتراف وحده كاف فى أن يبعد عيسى عن هذه الأوصاف ، لأن الأوصاف تثبت نجاته من جميع المؤامرات . وهم يثبتون بأنه لم ينجو . أما نبى الاسلام ﷺ فقد تآمر عليه الكفار واليهود والفرس والروم ، وأحبط الله مؤامراتهم وامتد سلطانه من الجزيرة العربية الى بلاد فارس وبلاد الروم ، وعظم نفوذه فى أقاصى الأرض . ومعه شريعة هادية باقية الى يوم القيامة ، فضلا عن أنه من بنى اسماعيل الذى قبل الله فيه دعاء ابراهيم بالبركة . والابن فى هذا المزمور ، ابن على طريق المجاز فى التعبير ، هو ابن بنوة روحية . كناية عن حب الله تعالى لهذا النبى الآتى ، وأنه سيؤيده بنصره ، وبروح من عنده ، وقد سبق فى علمه أنه سيرسله نورا الى العالم ، وأخبر عن مجيئه . ومن حب اليهود لهذا النبى وتشوقهم الى مجيئه ، خلعوا عليه أوصاف العظمة والجلال ، وكتبوا عنه الكثير من آيات الثناء والاعجاب . على عاداتهم فى النطق والكتابة . ومن عاداتهم أن يكتبوا فى كتبهم ألفاظ مجازية كثيرة ، اذا أرادوا المبالغة فى التعظيم . ومن ذلك تعبير التوراة أن اليهود آلهة ، وكلهم أبناء الله ، بجانب وصفهم بالغباء وعدم الفهم ، يقول داود على لسان الله عز وجل : « لا يعلمون ولا يفهمون فى الظلمة يتمشون ، تتزعزع كل أسس الأرض . أنا قلت : انكم آلهة وبنو العلى كلكم ، لكن مثل الناس تموتون ، وكأحد الرؤساء تسقطون » (مزمور ٨٢ : ٥ — ٧)

وليس فى قول عيسى عليه السلام ان ابن الانسان الذى هو المسيا سوف يأتى ، ما يثير حفيظة اليهود عليه ، فهم ينتظرونه بفارغ الصبر . وانما الذى أثار حفيظتهم عليه هو قوله : انه لن يأتى من نسل داود ، كما كانوا يزعمون فى قوله للفريسيين كما حكى متى ومرقس ولوقا وبرنابا : « ماذا تظنون فى المسيح ؟ ابن من هو ؟ قالوا له : ابن داود ، قال لهم : فكيف يدعوه بالروح ربا قائلا : قال الرب لربى اجلس عن يمينى حتى اضع أعداءك موطئا لقدميك ، فان كان داود يدعوه ربا ، فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة » (متى ٢٢ : ٤١ — ٤٦)

ومعنى هذا : ان المسيح المنتظر لن يكون من نسل داود كما يزعم اليهود العبرانيون ، لأن داود نفسه لما أشار اليه بظهر الغيب ناداه بسيده ، وكيف يكون ابنه سيده ؟ لأن الأب هو الذى يكون سيدا لابنه . اذن الآتى من غير داود ، والا ما كان يفحم اليهود ، لو أن الحديث موافق لاعتقادهم .

ولما ضرب عيسى عليه السلام كثيرا من الأمثال على انتقال الملك والشريعة من اليهود الى أمة غيرهم . ومن هذه الأمثال : مثل الكرامين الأردياء الذى قال فى نهايته : « ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره » (متى ٢١ : ٤٣) يقول متى : « و لما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله ، عرفوا أنه تكلم عليهم . واذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع ، لأنه كان عندهم مثل نبى » (٢١ : ٤٥ — ٤٦)

واستطرد عيسى عليه السلام فى ضرب الأمثال على انتقال الدعوة الى جميع الأمم بدل قصر اليهود لها على أنفسهم . فذكر مثل « عرس ابن الملك » وفى نهايته يقول متى : « حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة » (متى ٢٢ : ١٥)

وبناء على هذا : لم تكن التهمة الموجهة الى عيسى عليه السلام انه جدف على الله ، أو أنه أخبر بقرب مجىء المسيح المنتظر ، أو أنه زعم أنه هو المسيح المنتظر . فقد رأينا براءة عيسى من هذا كله . وانما التهمة الموجهة اليه والتى جعلت اليهود يفكرون فى قتله من قبل ذلك مرارا ، واجتمعوا ليصطادوه بكلمة . هى قوله أن المسيح المنتظر ليس من نسل داود عليه السلام — خلافا لاعتقادهم — وأن الملك والنبوة سيزولان منهم الى الأبد .

***

وهذا الذى بيناه قد ورد فى انجيل برنابا بوضوح تام ، فقد بين أن سبب اضطهاد اليهود لعيسى عليه السلام هو قوله لهم : ان المسيا المنتظر سيأتى من أبناء اسماعيل عليه السلام ، ولتصريحه بذلك أعلنوا عن محاكمته وقتله . يقول برنابا : « ولما جاء النهار صعد يسوع الى الهيكل مع جم غفير من الشعب ، فاقترب منه رئيس الكهنة قائلا : قل لى يا يسوع : أنسيت كل ما كنت قد اعترفت به ، من أنك لست الله ، ولا ابن الله ولا مسيا ؟ .

أجاب يسوع : لا البتة لم أنس . لأن هذا هو الاعتراف الذى أشهد به أمام كرسى دينونة الله ، فى يوم الدينونة . لأن كل ما كتب فى كتاب موسى صحيح كل الصحة ، فان الله خالقنا أحد ، وأنا عبد الله ، وأرغب فى خدمة رسول الله الذى تسمونه مسيا . قال رئيس الكهنة : فما المراد اذا من المجىء الى الهيكل بهذا الجم الغفير ؟ لعلك تريد أن تجعل نفسك ملكا على اسرائيل ؟ احذر من أن يحل بك خطر . أجاب يسوع : لو طلبت مجدى ورغبت فى نصيبى فى هذا العالم ، لما هربت لما أراد أهل نايين أن يجعلونى ملكا . حقا صدقنى أنى لست أطلب شيئا فى هذا العالم .

حينئذ قال رئيس الكهنة ... نحب أن نعرف شيئا عن مسيا ، حينئذ اجتمع الكهنة والكتبة والفريسيون نطاقا حول يسوع ، أجاب يسوع : ما هو ذلك الشيىء الذى تريدون أن تعرفوه عن مسيا ؟ لعله الكذب ؟ حقا انى لا أقول لك الكذب ، لأنى لو كنت قلت الكذب لعبدتنى أنت والكتبة والفريسيون ، مع كل اسرائيل . ولكن تبغضوننى وتطلبون أن تقتلونى ، لأنى أقول لكم الحق . قال رئيس الكهنة نعلم الآن أن وراء ظهرك شيطانا ، لأنك سامرى ولا تحترم كاهن الله . أجاب يسوع : لعمر الله ليس وراء ظهرى شيطان ولكن اطلب أن أخرج الشيطان . فلهذا السبب يثير الشيطان على العالم .

اذا كنت أفعل الاثم وبخوننى ، يحببكم الله ، لأنكم تكونون عاملين بحسب ارادته ، ولكن اذا لم يقدر أحد أن يوبخنى على خطيئة ، فذلك دليل على أنكم لست أبناء ابراهيم كما تدعون أنفسكم ، ولا أنتم متحدون بذلك الرأس الذى كان ابراهيم متحدا به . لعمر الله ان ابراهيم أحب الله ، بحيث انه لم يكتف بتحطيم الأصنام الباطلة تحطيما ، ولا بهجر أبيه وأمه ، ولكنه كان يريد أن يذبح ابنه طاعة لله .

أجاب رئيس الكهنة : انما أسألك هذا ، ولا أطلب قتلك . فقل لنا : من كان ابن ابراهيم هذا ؟ أجاب يسوع : ان غيرة شرفك يا الله تؤججنى ،

* أى انه ابن داود ، لا ابن اسماعيل ، كما يقول المترجم فى الهامش .

ولا أقدر أن أسكت . الحق أقول : ان ابن ابراهيم هو اسماعيل الذى يجب أن يأتى من سلالته مسيا ، الموعود به ابراهيم ، أن به تتبارك كل قبائل الأرض . فلما سمع هذا رئيس الكهنة حنق وصرخ : لنرجم هذا الفاجر ، لأنه اسماعيلى ، وقد جدف على موسى وعلى شريعة الله » (برنابا ٢٠٦ — ٢٠٨)

المحاكمة المدنية

تذكر الأناجيل الاربعة أن المحاكمة المدنية تمت بعد المحاكمة الدينية ، ثم اختلفوا ، هل حاكمه بيلاطس فقط ، أم بيلاطس وهيرودس ؟ وهل حاكمه بيلاطس مرة واحدة أم مرتين ؟

أ — المحاكمة الأولى أمام بيلاطس

يقول متى : « ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه ، فأوثقوه ومضوا به ودفعوه الى بيلاطس البنطى الوالى » (٢٧ : ١) . ويقول مرقس : « وللوقت فى الصباح تشاور رؤساء الكهنة والشيوخ والكتبة والمجمع كله ، فأوثقوا يسوع ومضوا به وأسلموه الى بيلاطس » (١٥ : ١) . ويقول لوقا : « فقام كل جمهورهم وجاءوا به الى بيلاطس » (٢٣ : ١) ويقول يوحنا : « ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا الى دار الولاية ، وكان صبح ولم يدخلوا هم الى دار الولاية ، لكى لا يتنجسوا فيأكلون الفصح ، فخرج بيلاطس اليهم وقال : أية شكاية تقدمون على هذا الانسان ؟ » (١٨ : ٢٨ — ٢٩)

وأمام بيلاطس فى دار الولاية ، وجه اليه بيلاطس الأسئلة الآتية :

السؤال الأول :

(أ) أأنت ملك اليهود ؟ (متى) .
(ب) أنت ملك اليهود ؟ (مرقس) .
(جـ) أنت ملك اليهود ؟ (لوقا) .
(د) أنت ملك اليهود ؟ (يوحنا) .

عيسى عليه السلام :

(أ) أنت تقول ؟ (متى) .

(ب) أنت تقول ؟ (مرقس) .

(جـ) أنت تقول ؟ (لوقا) .

(د) أمن ذاتك تقول هذا ؟ أم آخرون قالوا لك عنى ؟ (يوحنا)

يلاحظ هنا : عدم الاعتراف من عيسى عليه السلام . فلم يقل أنا قلت ، بل رد على الوالى بقوله : أنت تقول ذلك ، أما أنا فلم أقل . والعبارة التى أوردها يوحنا أوفى بالغرض المطلوب ، ومعناها : انا لم أقل . فهل أنت تقول هذا من نفسك ، لتختبرنى ، أم وشى بذلك الواشون على ؟

السؤال الثانى : « ان رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ يشتكون عليك ، أما تسمع كم يشهدون عليك ؟ » (متى ومرقس) .

عيسى عليه السلام : صمت

السؤال الثالث : لما رد عيسى عليه السلام على بيلاطس بقوله له : « أمن ذاتك تقول هذا ، أم آخرون قالوا لك عنى ؟ أجابه بيلاطس : العلى أنا يهودى ؟ أمتك ورؤساء الكهنة أسلموك الى . ماذا فعلت ؟ » (يوحنا ١٨ : ٣٥)

عيسى عليه السلام : « مملكتى ليست من هذا العالم ، لو كانت مملكتى من هذا العالم لكان خدامى يجاهدون لكى لا أسلم الى اليهود ، ولكن الآن : ليست مملكتى من ههنا » (يوحنا)

يلاحظ هنا : عدم الاعتراف . ولو كان هو المسيا المنتظر ما أهانه أعداؤه ، فان من أوصافه أن يغلب ، لا أن يغلب هو .

السؤال الرابع : « أفأنت اذا ملك ؟ »

عيسى عليه السلام : « أنت تقول : انى ملك . لهذا قد ولدت أنا . ولهذا قد أتيت الى العالم ، لأشهد للحق ، كل من هو من الحق يسمع صوتى » (يوحنا)

يلاحظ هنا عدم الاعتراف أيضا . وعبارة « لهذا قد ولدت » معناها : قد ولدت لأخبر اليهود بمجىء المسيا ، لان التوراة تنبأت عمن يهيىء الطريق لنبى الاسلام . فى قول ملاخى : « ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى » وقد أتيت لأشهد للحق ، أى لمجىء نبى الاسلام حتى لا يرفضه اليهود فيهلكون (ملاخى ٣ : ١ ــ ٤) .

السؤال الخامس : « ما هو الحق ؟ » وهنا خرج بيلاطس الى اليهود ، ولم ينتظر حتى يسمع اجابة من عيسى عليه السلام « وقال لهم : أنا لست أجد فيه علة واحدة » (يوحنا)

ب ــ المحاكمة الثانية أمام هيرودس

وانفرد لوقا وحده بأن بيلاطس لما فرغ من سؤاله ، قال لرؤساء الكهنة والجموع : « انى لا أجد علة فى هذا الانسان ، فكانوا يشددون قائلين : انه يهيج الشعب وهو يعلم فى كل اليهودية مبتدئا من الجليل الى هنا ، فلما سمع بيلاطس ذكر الجليل . سأل : هل الرجــل جليلى ؟ وحين علم أنه من ســـلطنة هيرودس ، أرسله الى هيرودس اذ كـــان هو أيضا تلك الأيام فى أورشليم . وأما هيرودس فلما رأى يســـوع فرح جدا ، لأنه كان يريد من زمان طويل أن يراه لسماعه عنه أشياء كثيرة . وترجى أن يرى آية تصنع منه . وسأله بكلام كثير فلم يجبه بشىء ، ووقف رؤساء الكهنة والكتبة يشتكون عليه باشتداد ، فاحتقره هيرودس مع عســـكره ، واستهزأ به وألبسه لباسا لامعا ، ورده الى بيلاطس ، فصار بيلاطس وهيرودس صديقين مع بعضهما فى ذلك اليوم ، لأنهما كانا من قبل فى عداوة بينهما » (٢٣ : ٤ ــ ١٢)

نتيجة المحــاكمة

روى متى أن بيلاطس الوالى الرومانى « أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا : انى برىء من دم هذا البار ، فأجاب جميع الشـــعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا » (٢٧ : ٢٤ ــ ٢٥)

وروى مرقس أن بيلاطس « عرف ان رؤساء الكهنة كانوا قد أسلموه حسدا » ولما صرخ اليهود يطلبون صلبه بعد المحاكمة « قال لهم بيلاطس : وأى شر عمل ؟ فازدادوا جدا صراخا : اصلبه » (١٥ : ١٠ — ١٤)

وروى لوقا عن بيلاطس : « أى شر عمل هذا ؟ انى لم أجـد فيه علة للموت ، فأنا أؤدبه وأطلقه » (٢٣ : ٢٢) . وروى يوحنا : « أنا لست أجد فيه علة واحدة ، ولكم عادة أن أطلق لكم واحدا فى الفصح . أفتريدون أن أطلق لكم ملك اليهود ؟ فصرخوا أيضا جميعهم قائلين : ليس هذا بل باراباس . وكان باراباس لصا » (١٨ : ٣٨ — ٤٠)

جـ — المحاكمة الثانية عند بيلاطس

وقد أغفلها متى ومرقس ولوقا ، وذكرها يوحنا وحده ، كما ذكر وحده مثول عيسى — عليه السلام — امام حنان رئيس الكهنة دون الثلاثة . يقول يوحنا بعد المحاكمة الأولى : « حينئذ أخذ بيلاطس يسوع وجلده ، وضفر العسكر اكليلا من شوك ، ووضعوه على رأسـه وألبسوه ثوب أرجوان ، وكانوا يقولون : السلام يا ملك اليهود : وكانوا يلطمونه ، فخرج بيلاطس أيضا خارجا ، وقال لهم : ها أنا أخرجه اليكم ، لتعلموا أنى لست أجد فيه علة واحدة ، فخرج يسوع خارجا وهو حامل اكليل الشوك ، وثوب الأرجوان . فقال لهم بيلاطس : هو ذا الانسان . فلما رآه رؤساء الكهنة والخدام صرخوا قائلين : اصلبه ، وقال لهم بيلاطس : خذوه أنتم واصلبوه . لأنى لست أجد فيه علة . أجاب اليهود : لنـا ناموس . وحسب ناموسنا يجب أن يموت لأنه جعل نفسه ابن الله . فلما سمع بيلاطس هذا القول ازداد خوفا . فدخل أيضا الى دار الولاية . وقال ليسوع :

من أين أنت ؟

وأما يسـوع : فلم يعطه جوابا

فقال له بيلاطس : اما تكلمنى ؟ ألست تعلم أن لى سـلطانا أن أصلبك وسلطانا أن أطلقك ، اجاب يسوع : لم يكن لك على سـلطانا

البتة ، لو لم تكن قد أعطيت من فوق . لذلك الذى أسلمنى اليك ، له خطية أعظم .

من هذا الوقت كان بيلاطس يطلب أن يطلقه ، ولكن اليهود كانوا يصرخون قائلين : ان أطلقت هذا ، فلست محبا لقيصر ، كل من يجعل نفسه ملكا يقاوم قيصر ... فحينئذ أسلمه اليهم ليصلب » (١٩ : ١ — ١٢ : ١٦)

وجه الشبه بين المحاكمة الدينية والمدنية

١ — فى المحاكمة المدنية نجد أن السؤال الأول :

أأنت ملك اليهود ؟

هو نفس الســـؤال الثالث فى المحاكمة الدينية . وهو : « أنت المسيح ابن الله » ؟

والسؤال الثالث فى المحاكمة الدينية هو عماد المحاكمة ، والأول هو عماد المحاكمة فى المحاكمة المدنية . والأسئلة التى بعدها تتردد حول معنى السؤال الأول كما ترى . ولذلك لم يذكرها الا يوحنا وحده . وعليه فان غرض المحاكمتين واحد بلا جدال . وكانت الاجابة فى المحاكمة المدنية هى نفس الاجابة فى المحاكمة الدينية . وهى أنه لم يصرح بأنه يريد الملك ، ولم يقل انه ملك . ولذلك كان بريئا أمام الوالى .

***

وافتراء اليهود بأن عيسى — عليه السلام — يرغب فى مقـــاومة الرومان ، هو افتراء قديم . فكروا فيه من قبل . وسألوا فيه عيسى عليه السلام أمام أنصار هيرودس الملك ليبلغوا هيرودس فيقتله . يقول متى : « أرسلوا اليه تلاميذهم مع الهيرودسيين ، قائلين : يا معلم نعلم أنك صادق ، وتعلم طريق الله بالحق ، ولا تبالى بأحد ، لأنك لا تنظر الى وجوه الناس ، فقل لنا : ماذا تظن ؟ أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ، فعلم يسوع خبثهم وقال : لماذا تجربوننى يا مراءون ؟ أرونى معاملة

الجزية . فقدموا له دينارا . فقال لهم : لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له : لقيصر . فقال لهم : أعطوا اذا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله . فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا » (متى ٢٢ : ١٦ ــ ٢٢)

ومن هذه الاعترافات التى أجمعت الأناجيل عليها ، يتضح أن المسيح المنتظر ، وهو المسيا الذى أشارت اليه التوراة ليس هو عيسى عليه السلام بأى حال من الأحوال .

ولما فسدت خطة اليهود فى حمل الوالى على قتله ، لأنه يريد الملك . لجأوا فى المحاكمة الثانية أمام بيلاطس الى ادعاء آخر وهو أنه يزعم أنه « ابن الله » ويقصدون بذلك التمويه على بيلاطس ، فان معنى « ابن الله » ليس ابنا طبيعيا ، حتى يتهم بالتجديف على الله تعالى . وانما هو وارد فى التوراة عن المسيح المنتظر الذى هو المسيا ، والذى اذا أطلق هو منفردا ، لا يدل الا على المسيح المنتظر ، وهو لقب وارد فى المزمور الثانى لداود عليه السلام فى قوله : « انى أخبر من جهة قضاء الرب . قال لى : أنت ابنى أنا اليوم ولدتك ، اسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك ، وأقاصى الأرض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد ، مثل اناء خزاف تكسرهم » (٧ــ٩) ولذلك أيضا سأله بيلاطس ، وحكم بنزاهته من هذا الادعاء .

***

ترى ما السبب اذا فى حنق اليهود عليه . اذا كان هو بريئا أمام السلطة الدينية والمدنية من ادعاء أنه المسيح المنتظر ؟ ولقد قلنا : ان تنبئه بمجىء المسيح من بعده سريعا ، ليس تهمة تستحق الحنق ، فانهم الى الآن فى شوق اليه ، ويكادون يطيرون من الفرح اذا سمعوا عمن يقول انه هو المسيح ، حتى ولو كان كاذبا . والسبب فى حنقهم هو قوله : ان المسيح المنتظر من أولاد اسماعيل عليه السلام . وماذا عليهم فى ذلك ؟

يقول برنابا مبينا تفكيرهم حيال النبى الآتى من بنى اسماعيل : « ماذا يكون الثمر اذا تركنا هذا الانسان يعيش ؟ من المؤكد أن الاسماعيليين يصيرون ذوى وجاهة عند الرومانيين ، فيعطونهم بلادنا ملكا . وهكذا يصير اسرائيل عرضة للعبودية كما كان قديما » (بر ١٤٢ : ١٩ ــ ٢١)

ثم يستطرد برنابا فيحكى كيفية المؤامرة ويقول : « فلما سمع رئيس الكهنة هذا الرأى . أجاب أنه يجب أن يتفق مع هيرودس والوالى ، لأن الشعب كثير الميل اليه ، حتى أنه لا يمكننا اجراء شىء بدون الجند ، وان شاء الله نتمكن بواسطة الجند من القيام بهذا العمل . فبعد أن تشاوروا فيما بينهم ائتمروا على امساكه ليلا ، متى رضى الوالى ، وهيرودس بذلك » (١٤٢ : ٢٢ — ٢٥)

ثم يذكر برنابا أنهم لما هموا بقتله وصلبه ، ألقى الله شبه عيسى على التلميذ الخائن وهو يهوذا الاسخريوطى ، فحوكم مكانه ، وقتل بدله وصلب .

وبرنابا صادق فى قوله . لأن يوحنا كتب فى انجيله ما نصه : « فكثيرون من اليهود الذين جاءوا الى مريم ، ونظروا ما فعل يسوع . آمنوا به . وأما قوم منهم ، فمضوا الى الفريسيين ، وقالوا لهم عما فعل يسوع . فجمع رؤساء الكهنة والفريسيون مجمعا . وقالوا : ماذا نصنع ؟ فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة . ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به . فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا ... فمن ذلك اليوم تشاوروا ليقتلوه » (يو ١١ : ٤٥ — ٥٣)

لقد بين يوحنا أنهم لو تركوا عيسى عليه السلام ، فسيأتى الرومانيون لاحتلال أورشليم . وبين برنابا أنهم لو تركوه فسيأتى الاسماعيليون لاحتلال أورشليم . فمن منهما هو الصادق ؟ انه اذا تبين للدارسين أن عيسى عليه السلام قد ولد بعد احتلال الرومانيين لأورشليم بثلاث وستين سنة (٧) ، يتبين لهم أن برنابا هو الصادق . واذا تبين

---

(٧) يقول متى هنرى فى تفسيره لانجيل متى ما نصه : « كانت اليهودية منذ نحو مئة سنة ، قد أخضعها « بومبى » ومنذ ذلك الحين ، صارت مستعمرة لروما ، وكانت أخيرا جزءا من اقليم سوريا ، تخضع لحاكم سوريا ، الذى كان تحته ولاة كثيرون ، كان أهم عمل لهم تحصيل الايرادات ، لكنهم فى بعض الأحيان — كما هو الحال مع بيلاطس — كانت =

الهم أن لاسماعيل بركة فى الأمم منصوص عليها فى سفر التكوين ، يتبين لهم أن برنابا هو الصادق . واذا قرأوا فى سفر أعمال الرسل : ان أول من دعا الناس الى أن عيسى هو المسيا ، هو بولس من بعد رفع عيسى الى السماء يتبين لهم أن برنابا هو الصادق .

ففى سفر أعمال الرسل أن بولس — من بعد رفع عيسى الى السماء — زعم أنه وهو ذاهب الى « دمشق » قد أبرق حوله بغتة نور من السماء ، فسقط على الأرض ، وسمع صوتا قائلا له : شاول . شاول . لماذا تضطهدنى ؟ فقال له : من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذى أنت تضطهده . وعلى اثر ذلك آمن واعتمد « وتناول طعاما فتقوى . وكان شاول مع التلاميذ الذين فى دمشق أياما ، وللوقت جعل يكرز فى المجامع بالمسيح : أن هذا هو ابن الله » أ ع ٩ : ١٩ — ٢٠) « وأما شاول فكان يزداد قوة ويحير اليهود الساكنين فى دمشق : أن هذا هو المسيح » (أ ع ٩ : ٢٢) .

انتظر . لقد جهر بولس بأن عيسى هو « ابن الله » أى المسيا المنتظر الذى تنبأ عنه داود بلقب « ابن الله » فى المزمور الثانى ، وقال لليهود فى دمشق : ان عيسى هو « المسيح » الذى هو المسيا . مع أن عيسى عليه السلام لم يعترف ساعة المحاكمة بأنه هو ابن الله الذى هو المسيا — كما هو واضح من روايات الأناجيل الاربعة وانجيل برنابا —

وفى الأناجيل الاربعة وانجيل برنابا أنه قبل المحاكمة بأيام كثيرة — وكلامه وقت المحاكمة هو آخر كلام يستدل به على دعوته —

= لهم كل سلطة الحكام . كان هذا دليلا واضحا على أن القضيب قد زال من يهوذا ، ولذا فكان لابد أن يأتى « شيلوه » وفقا لنبوة يعقوب (تك ٤٩ : ١٠) أما بيلاطس فقد وصفه كتاب عصره الرومانيين ، بأنه رجل فظ متكبر ، عنيد لا يرحم ، فى غاية الجشع والطمع . كان اليهود يكرهونه جدا ، وقد ملوا من حكمه » (ج ٤ ص ٣٤٢)

كان قد وبخ تلاميذه وانتهرهم ، على أنهم ظنوا أنه هو المسيا — الذى تفسيره المسيح — .

ففى الأناجيل : أن عيسى عليه السلام سأل تلاميذه : « ما قولكم فى » ؟ أجاب بطرس : « انك المسيح ابن الله » أى أنت المسيا . فماذا حدث من عيسى عليه السلام لما سمع بهذه الاجابة ؟ يقول برنابا : « فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلا : اذهب وانصرف عنى . لأنك أنت الشيطان وتحاول أن تسىء الى . ثم هدد الأحد عشر قائلا : ويل لكم ان صدقتم هذا ، لأنى ظفرت بلعنة كبيرة من الله على كل من يصدق هذا » (برنابا ٧٠ : ٤ — ٧) ويقول مرقس : « ثم خرج يسوع وتلاميذه الى قرى قيصرية فيلبس . وفى الطريق سأل تلاميذه قائلا لهم : من يقول الناس انى أنا ؟ فأجابوا : يوحنا المعمدان . وآخرون ايلياء . وآخرون واحد من الأنبياء . فقال لهم : وأنتم من تقولون انى أنا ؟ فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح . فانتهرهم كى لا يقولوا لأحد عنه » (مر ٨ : ٢٧ — ٣٠) ويقول لوقا : « فأجاب بطرس وقال : مسيح الله . فانتهرهم وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد » (لو ٩ : ٢٠ — ٢١)

ومن هذه الاجابة يتبين أن عيسى عليه السلام لم يعلن لتلاميذه أنه هو « المسيح » وانتهرهم وأوصاهم أن لا يقولوا انه هو المسيح .

والنصارى لما غلبوا على أمرهم من قبل الرومان واليهود ، وزعموا : ان عيسى هو المسيح ، وما كنا عارفين بأنه المسيح الا بعد قتله وصلبه وقيامته من بين الأموات ، كتبوا عبارات لتدل على زعمهم وحشروها فى الأناجيل حشرا . ففى انجيل متى : « قال لهم : وأنتم من تقولون انى أنا ؟ فأجاب بطرس وقال : أنت هو المسيح ، ابن الله الحى . فأجاب يسوع وقال له : طوبى لك يا سمعان بن يونا . ان لحما ودما لم يعلن لك . لكن أبى الذى فى السموات . وأنا أقول لك أيضا : أنت بطرس . وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى ، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها . وأعطيك

مفاتيح ملكوت السموات . فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا فى السموات وكل ما تحله عـــلى الأرض يكـــون محلولا فى السموات . حينئذ أوصى تلاميذه أن لا يقولوا لأحد : انه يسوع المسيح .

من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه أنه ينبغى أن يذهب الى أورشليم ، ويتألم كثيرا من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم . فأخذه بطرس اليه وابتدأ ينتهره قائلا : حاشاك يارب . لا يكون لك هذا . فالتفت وقال لبطرس : اذهب عنى يا شيطان . أنت معثرة لى ، لأنك لا تهتم بما لله ، لكن بما للناس » (متى ١٦ : ١٥ — ٢٣) .

هذا نص انجيل متى بحروفه . فما هى مواضع التحريف فيه ؟

أول موضع للتحريف فى هذا النص : أنه مدح بطرس على قـــوله له « انت المسيح ابن الله الحى » أى أن عيسى هو المسيا . وهـــذا المدح موضوع للتحريف . لأنه فى نهاية النص أوصاهم أن لا يقولوا لأحد انه يسوع المسيح ، ولانه قال لبطرس : اذهب عنى يا شيطان .

والموضع الثانى : أنه تنبأ بقتله وصلبه وقيامته من بين الأموات بعد ثلاثة أيام . وهذا باطل من القول ، لأنه دخل القبر — كما يزعمون — فى الساعة التاسعة من بدء نهار الجمعة ، وخرج من القبر فى ظلام ليل الأحد (٨) — الذى هو أول أيام الاسبوع عند اليهود — فلم يمكث لا ثلاثة أيام ولا ثلاث ليال .

والموضـــع الثالث : أنه جعل التحريم والتحليل فى يد بطرس —

---

(٨) يقول مرقس « وباكرا جدا فى أول الأسبوع أتين الى القبر ، اذ طلعت الشمس » (مرقس ١٦ : ٢) ويقول متى : « وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع » (متى ٢٨ : ١) ويقول يوحنا : « وفى أول الاسبوع جاءت مريم المجدلية الى القبر باكرا ، والظلام باق » (يوحنا ٢٠ : ١)

شمعون الصفا — دون سائر التلاميذ ، وهذا لا يناسبه وصف بطرس بالشيطان دون سائر التلاميذ .

والموضع الرابع : ان اذن عيسى عليه السلام لبطرس بأن يشرع من تلقاء نفسه ويحل ويحرم كما يرى ، هو مناقض لقول عيسى عليه السلام فى ما رواه متى نفسه فى الأصحاح الثالث والعشرين من انجيله وهو : « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه . ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا ، لأنهم يقولون ولا يفعلون » فانه فى هذا القول يحيل أتباعه الى علماء بنى اسرائيل ، ليأخذوا منهم الدين ، ومنهم من يؤمن به ، ومنهم من لا يؤمن به . وهو بهذا القول يكون مصدقا للتوراة ، غير مهيمن عليها . ويكون محرما على بطرس وعلى غير بطرس أن يشرعوا من الدين ما لم يأذن به الله . فان صاحب الشريعة من بعد موسى عليه السلام هو محمد ﷺ (٩) .

* * *

وقد أوردنا محاكمة المسيح عيسى بن مريم عليه السلام من الأناجيل الاربعة ، لتدل على أنه ليس هو المسيا المنتظر ، بحسب ظاهر النصوص التى يسلمون بقدسيتها . وهذه المحاكمة أوردها برنابا فى انجيله ليهوذا الاسخريوطى ، التلميذ الذى خان معلمه ، ودل عليه الرومان واليهود ليقتلوه . وهذا هو نص المكتوب فى انجيل برنابا :

النص : « خرج يسوع من البيت ، ومال الى البستان ، ليصلى . فجثا على ركبتيه مئة مرة معفرا وجهه كعادته فى الصلاة . ولما كان يهوذا يعرف الموضع الذى كان فيه يسوع مع تلاميذه ، ذهب الى رئيس الكهنة . وقال : اذا أعطيتنى ما وعدت به ، أسلم هذه الليلة ليدك يسوع الذى

---

(٩) أعطى الله بنى اسماعيل الملك ، ونزعه من بنى اسحق . لكى تتحقق بركة اسماعيل فى الأمم . وفى أول سورة آل عمران تحدث الله عز وجل عن التوراة والانجيل ، ثم بين أنه أنزل الفرقان ، ونزع الملك والنبوة من بنى اسحق الى الأبد فى قوله : « قل اللهم مالك الملك .. » الخ

تطلبونه ، لأنه منفرد مع أحد عشر رفيقا . أجاب رئيس الكهنة : كم تطلب ؟ قال يهوذا : ثلاثين قطعة من الذهب .

فحينئذ عد له رئيس الكهنة النقود فورا ، وأرسل فريسيا الى الوالى وهيرودس ليحضر جنودا . فأعطياه منها ، لأنهما خافا الشعب . فأخذوا من ثم أسلحتهم ، وخرجوا من أورشليم بالمشاعل والمصابيح على العصى .

ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع ، سمع يسوع دنو جم غفير ، فلذلك انسحب الى البيت خائفا وكان الأحد عشر نياما . فلما رأى الله الخطر على عبده ، أمر جبريل وميخائيل ورفائيل وأوريل ، سفراءه ، أن يأخذوا يسوع من العالم .

فجاء الملائكة الأطهار ، وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ، فحملوه ووضعوه فى السماء الثالثة فى صحبة الملائكة التى تسبح الله الى الأبد .

ودخل يهوذا بعنف الى الغرفة التى أصعد منها يسوع . وكان التلاميذ كلهم نياما . فأتى الله العجيب ، بأمر عجيب . فتغير يهوذا فى النطق وفى الوجه ، فصار شبها بيسوع ، حتى أننا اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أيقظنا ، أخذ يفتش ، لينظر أين كان المعلم . لذلك تعجبنا وأجبنا : أنت يا سيد هو معلمنا . أنسيتنا الآن ؟ أما هو فقال مبتسما : هل أنتم أغبياء ، حتى لا تعرفون يهوذا الاسخريوطى . وبينما كان يقول هذا ، دخلت الجنود وألقوا أيديهم على يهوذا ، لأنه كان شبيها بيسوع من كل وجه . أما نحن فلما سمعنا قول يهوذا ورأينا جمهور الجنود ، هربنا كالمجانين .

ويوحنا الذى كان ملتفا بملحفة من الكتان ، استيقظ وهرب . ولما أمسكه جندى بملحفة الكتان ، ترك ملحفة الكتان وهرب عريانا ، لأن الله سمع دعاء يسوع وخلص الأحد عشر من الشر .

فأخذ الجنود يهوذا وأوثقوه ، ساخرين منه . لأنه انكر — وهو صادق — أنه هو يسوع . فقال الجنود مستهزئين به : يا سيد : لا تخف لأننا قد أتينا لنجعلك ملكا على اسرائيل ، وانما أوثقناك ، لأننا نعلم أنك ترفض المملكة . أجاب يهوذا : لعلكم جننتم . انكم اتيتم بسلاح ومصابيح لتأخذوا يسوع الناصرى ، كأنه لص . أفتوثقوننى أنا الذى أرشدتكم لتجعلونى ملكا ؟

حينئذ خان الجنود صبرهم ، وشرعوا يمتهنون يهوذا بضربات ورفسات ، وقادوه بحنق الى أورشليم .

وتبع يوحنا وبطرس الجنود من بعد وأكد للذى يكتب : أنهما شاهدا كل التحرى الذى تحراه بشأن يهوذا رئيس الكهنة ومجلس الفريسيين ، الذين اجتمعوا ليقتلوا يسوع . فتكلم من ثم يهوذا كلمات جنون كثيرة ، حتى أن كل واحد أغرب فى الضحك ، معتقدا أنه بالحقيقة يسوع ، وأنه يتظاهر بالجنون خوفا من الموت . لذلك عصب الكتبة عينيه بعصابة ، وقالوا له مستهزئين : يا يسوع نبى الناصريين فانهم هكذا كانوا يدعون المؤمنين بيسوع ، قل لنا : من ضربك ؟ ولطموه وبصقوا فى وجهه .

ولما أصبح الصباح ، التأم المجلس الكبير للكتبة وشيوخ الشعب ، وطلب رئيس الكهنة مع الفريسيين شاهدا زور ، على يهوذا ، معتقدين أنه يسوع . فلم يجدوا مطلبهم . ولماذا أقول : ان رؤساء الكهنة اعتقدوا أن يهوذا يسوع ؟ بل ان التلاميذ كلهم مع الذى يكتب اعتقدوا ذلك ، بل أكثر من ذلك أن أم يسوع العذراء المسكينة ، مع أقاربه وأصدقائه ، اعتقدوا ذلك ، حتى أن حزن كل واحد كان يفوق التصديق . لعمر الله ان الذى يكتب نسى كل ما قاله يسوع : من أنه يرفع من العالم وأن شخصا آخر سيعذب باسمه وأنه لا يموت الا وشك نهاية العالم . لذلك ذهب الذى يكتب مع أم يسوع ومع يوحنا الى الصليب .

فأمر رئيس الكهنة أن يؤتى بيسوع موثقا أمامه ، وسأله عن

تلاميذه ، فلم يجب يهوذا بشيء فى الموضوع ، كأنه جن . حينئذ استحلفه رئيس الكهنة بالله اسرائيل الحى أن يقول الحق .

أجاب يهوذا : لقد قلت لكم : انى يهوذا الاسخريوطى ، الذى وعد أن يسلم الى أيديكم يسوع الناصرى . أما أنتم فلا أدرى بأى حيلة قد جننتم ، لأنكم تريدون بكل وسيلة أن أكون أنا يسوع .

أجاب رئيس الكهنة : أيها الضال المضلّ . لقد ضللت كل اسرائيل بتعليمك وآياتك الكاذبة مبتدئا من الجليل حتى أورشليم هنا . أفيخيل لك الآن أن تنجو من العقاب الذى تستحقه ، والذى أنت أهل له بالتظاهر بالجنون ؟ لعمر الله انك لا تنجو منه . وبعد أن قال هذا ، أمر خـــدمه أن يوسعوه لطما ورفسا ، لكى يعود عقله الى رأسه . ولقد أصـــابه من الاستهزاء على يد خدم رئيس الكهنة ما يفوق التصديق . لأنهم اخترعوا أســـاليب جديدة بغيرة ، ليفكهوا المجلس . فألبســـوه لباس مشعوذ ، وأوسعوه ضربا بأيديهم وأرجلهم ، حتى أن الكنعانيين أنفسهم ، لو رأوا ذلك المنظر ، لتحننوا عليه . ولكن قست قلوب رؤساء الكهنة والفريسيين وشيوخ الشعب على يسوع ، الى حد سروا معه أن يروه معاملا هـــــذه المعاملة ، معتقدين أن يهوذا هو بالحقيقة يسوع .

ثم قادوه بعد ذلك موثقا الى الوالى ، الذى كان يحب يسوع سرا . ولما كان يظن أن يهوذا هو يسوع ، أدخله غرفته وكلمه سائلا اياه ، لأى سبب قد سلمه رؤساء الكهنة والشعب الى يديه ؟

أجـــاب يهوذا : لو قلت لك الحق لما صـــدقتنى ، لأنك قد تكون مخدوعا ، كما خدع الكهنة والفريسيون . أجاب الوالى (ظانا أنه أراد أن يتكلم عن الشريعة) : ألا تعلم أنى لست يهوديا ؟ ولكن الكهنة وشيوخ الشعب قد سلموك ليدى . فقل لنا الحق ، لكى أفعل ما هو عدل ، لأن لى سلطانا أن أطلقك وأن آمر بقتلك . أجاب يهوذا : صدقنى يا سيد انك اذا أمرت بقتلى ترتكب ظلما كبيرا ، لأنك تقتل بريئا . لأنى أنا يهوذا الاسخريوطى ، لا يسوع الذى هو ساحر ، فحولنى هكذا بسحره .

فلما سمع الوالى هذا تعجب كثيرا ، حتى أنه طلب أن يطلق سراحه. لذلك خرج الوالى وقال مبتسما : من جهة واحدة على الأقل لا يستحق هذا الانسان الموت بل الشفقة . ثم قال الوالى : ان هذا الانسان يقول : انه ليس يسوع بل يهوذا ، الذى قاد الجنود ليأخذوا يسوع . ويقول : ان يسوع الجليلى قد حوله هكذا بسحره . فاذا كان هذا صدقا ، يكون قتله ظلما كبيرا ، لأنه يكون بريئا ، ولكن اذا كان هو يسوع وينكر أنه هو ، فمن المؤكد أنه قد فقد عقله ، ويكون من الظلم قتل مجنون .

حينئذ صرخ رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب مع الكتبة والفريسيين بصخب قائلين : انه يسوع الناصرى فاننا نعرفه ، لأنه لو لم يكن هو المجرم ، لما أسلمناه ليديك ، وليس هو بمجنون ، بل بالحرى خبيث لأنه بحيلته هذه يطلب أن ينجو من أيدينا . واذا نجا تكون الفتنة التى يثيرها شرا من الأولى .

أما بيلاطس (وهو اسم الوالى) فلكى يتخلص من هذه الدعوى ، قال : انه جليلى . وهيرودس هو ملك الجليل . فليس من حقى الحكم فى هذه الدعوى ، فخذوه الى هيرودس . فقادوا يهوذا الى هيرودس ، الذى طالما تمنى أن يذهب يسوع الى بيته . ولكن يسوع لم يرد قط أن يذهب الى بيته ، لأن هيرودس كان من الأمم وعبد الآلهة الباطلة الكاذبة ، عائشا بحسب عوائد الأمم النجسة . فلما قيد يهوذا الى هناك سأله هيرودس عن أشياء كثيرة ، لم يحسن يهوذا الاجابة عنها ، منكرا أنه هو يسوع .

حينئذ سخر به هيرودس مع بلاطه كله ، وأمر أن يلبس ثوبا أبيض ، كما يلبس الحمقى ، ورده الى بيلاطس قائلا له : لا تقصر فى اعطاء العدل بيت اسرائيل .

وكتب هيرودس هذا ، لأن رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين ، أعطوه مبلغا كبيرا من النقود . فلما علم الوالى من أحد خدم هيرودس ان الأمر هكذا ، تظاهر بأنه يريد أن يطلق سراح يهوذا ، طمعا فى نيل شىء من النقود ، فأمر عبيده الذين دفع لهم الكتبة نقودا ليقتلوه ، أن يجلدوه . ولكن الله الذى قدر العواقب ، ألقى يهوذا للصليب ، ليكابد

ذلك الموت الهائل الذى كان أسلم اليه آخر . فلم يسمح بموت يهوذا تحت الجلد ، مع أن الجنود جلدوه بشدة ، سال معها جسمه دما . ولذلك البسوه ثوبا قديما من الارجوان تهكما ، قائلين : يليق بملكنا الجديد أن يلبس حلة ويتوج .

فجمعوا شوكا وصنعوا اكليلا ، شبيها بأكاليل الذهب والحجارة الكريمة ، التى يضعها الملوك على رءوسهم ، ووضعوا اكليل الشوك على رأس يهوذا ، ووضعوا فى يده قصبة كصولجان ، وأجلسوه فى مكان عال . ومر من أمامه الجنود ، حانين رءوسهم ، تهكما ، مؤدين لـه السلام ، كأنه ملك اليهود ، وبسطوا أيديهم لينالوا الهبات التى اعتاد اعطاءها الملوك الجدد . فلما لم ينالوا شيئا ضربوا يهوذا قائلين : كيف تكون اذن متوجا أيها الملك اذا كنت لا تهب الجنود والخدم ؟

فلما رأى رؤساء الكهنة مع الكتبة والفريسيين أن يهوذا لم يمت من الجلد ، ولما كانوا يخافون أن يطلق بيلاطس سراحه ، أعطوا هبة من النقود للوالى ، فتناولها وأسلم يهوذا للكتبة والفريسيين ، كأنه مجرم يستحق الموت . وحكموا بالصلب على لصين معه . فقادوه الى جبـل الجمجمة ، حيث اعتادوا شنق المجرمين . وهناك صلبوه عريانا ، مبالغة فى تحقيره . ولم يفعل يهوذا شيئا سوى الصراخ : يا ألله لماذا تركتنى ، فان المجرم قد نجا ، أما أنا فأموت ظلما » (برنابا ٢١٤ — ٢١٧ : ١ — ٧٩) .

* * *

تلك هى رواية « برنابا » عن أن عيسى — عليه السلام — لم يقتل ولم يصلب . ويوافقه كثيرون من قدماء النصارى . فقد قال الفيلسوف الايطالى « جيوفانى بابينى » : « وأما فى موت يسوع . فيقولون : انه لم يصلب على الصليب ، كما توهم أتباعه ، وانما خيل اليهم أن اليهود صلبوه وقبروه ، ولكنه لم يمت ولم يقبر ، بل توارى عن الأبصار ، حتى ظن الجميع أنه قد مات » (١٠) أ.هـ

---

(١٠) حياة المسيح — جيوفانى ص ٤٧ .

الفصل السابع

فى

يوحنا المعمدان

حياته ودعوتـــه

لاحـــظ :

أولا : قال موسى النبى لبنى اسرائيل عن نبى يأتى من بعده ، له يسمعون ويطيعون : « يقيم لك الرب الهك نبيا ، من وسطك من اخوتك . مثلى . له تسمعون ... الخ » (تث ١٨ : ١٥) وهذا النبى لم يكن قد ظهر قبل عيسى ويحيى — عليهما السلام — ففى انجيل يوحنا : أن علماء من بنى اسرائيل فى مدينة « أورشليم » سألوه قائلين : « ألنبى أنت ؟ فأجاب : لا » (يو ١ : ٢١)

وفى انجيل برنابا أن علماء بنى اسرائيل لم يسألوا هذا السؤال ليحيى — الذى هو يوحنا المعمدان — وانما سألوه لعيسى بن مريم عليه السلام . يقول برنابا : « فان رؤساء الكهنة تشاوروا فيمـــا بينهم ليتسقطوه بكلامه . لذلك أرسلوا اللاويين وبعض الكتبة ، يسألون (١) قائلين : من أنت ؟ فاعترف يسوع وقال : الحق أنى لست مسيا . فقالوا : أأنت ايلياء أو ارمياء أو أحد الأنبياء القدماء ؟ أجاب يسوع : كلا . حينئذ قالوا : من أنت ؟ قل لنشهد للذين أرسلونا . فقال حينئذ يسوع : أنا صوت صارخ فى اليهودية كلها ، يصرخ أعدوا طريق رسول الرب . كما هو مكتوب فى أشعياء (٢) . قالوا : اذا لم تكن المسيح ولا ايلياء أو نبيا

---

(١) مرقس ١٢ : ١٣ ولوقا ١١ : ٥٤

(٢) يوحنا ١ : ١٩ — ٢٧ ، أشعياء ٤٠ : ٣ — ٥

ما ، فلماذا تبشربتعليم جديد ، وتجعل نفسك أعظم شأنا من مسـيا ؟
أجاب يسوع (٣) : ان الآيات التى يفعلها الله على يدى ، تظهر انى أتكلم بما يريد الله . ولست أحسب نفسى نظير الذى تقولون عنه ، لأنى لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله ، الذى تسمونه مسيا » (بر ٤٢ : ٤ — ٩)

ومن هذين النصين يتبين أن النبى الأمى ، الذى تحدث موسى عنه بأنه سيأتى من بعده ، لم يكن قد ظهر قبل يحيى وعيسى — عليهما السلام — وليس هو يحيى وليس هو عيسى .

ثانيا : قال دانيال النبى لبنى اسرائيل : انه ستنشأ ممالك أربعة على الأرض : بابل وفارس واليونان والرومان . وفى نهاية حكم الرومان يقوم ملك سماوى على الأرض ، ويظل الى أبد الآبدين . يقول دانيال : « هؤلاء الحيوانات العظيمة التى هى أربعة ملوك يقومون على الأرض . أما قديسو العلى فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة الى الأبد ، والى أبد الآبدين » (دا ٧ : ١٧ — ١٨) وهذا الملكوت الأرضى ، هو ملكوت بنى اسماعيل — عليه السلام — لأن الله وعد ابراهيم بالبركة فى نسله ، فى قوله له : « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . ها أنا أباركه واثمره وأكثره كثيرا جدا . اثنى عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمة كبيرة » (تك ١٧ : ٢٠)

ولما ظهر يحيى وعيسى — عليهما السلام — ناديا فى بنى اسرائيل معا ، باقتراب ملكوت السموات ، الذى تنبأ عن تأسيسه دانيال فى الأرض ، بعد زوال دولة الروم ، التى احتلت فلسطين قبل الميلاد بثلاث وستين سنة . وفى بعض تفاسير النصارى مائة سنة .

ففى انجيل متى : « وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان ، يكرز فى برية اليهودية قائلا : توبوا ، لأنه قد اقترب ملكوت السموات . فان هذا هو الذى قيل عنه باشعياء النبى القائل : صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب . اصنعوا سبله مستقيمة » (متى ٣ : ١ — ٣)

(٣) يوحنا ٥: ٣٦

يريد متى أن يقول : ان يوحنا المعمدان قد تنبأت التوراة بمجيئه ليمهد الطريق أمام رسول الرب ، الذى هو المسيا المنتظر ، وتنبؤ التوراة بمجيئه مكتوب فى سفر أشعياء . ونصه : « صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب . قوموا فى القفر سبيلا لالهنا . كل وطاء يرتفع ، وكل جبل وأكمة ينخفض ، ويصير المعوج مستقيما ، والعراقيب سهلا ، فيعلن مجد الرب ويراه كل بشر ، لأن فم الرب تكلم » (أش ٤٠ : ٣ — ٥) .

وقال برنابا : ان الذى تنبأت التوراة بمجيئه ليمهد الطريق أمام رسول الرب، هو المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وليس هو يحيى كما قال متى . وليس من مانع أن يكون التمهيد لمجىء رسول الرب على يد يحيى وعيسى معا . ليس من مانع أن يكون الاثنان معا ممهدين لرسول الرب الذى هو المسيا . لأن دعوة يحيى الى مجىء المسيا ، هى نفسها دعوة عيسى الى مجيىء المسيا . ولا فرق . فقد دعا يحيى — كما قال متى — الى اقتراب ملكوت السموات — الذى هو ملكوت المسيا باتفاق من المسلمين وأهل الكتاب — وقد دعا عيسى الى اقتراب ملكوت السموات كما دعا يحيى معه . ففى انجيل متى : « من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ، ويقول توبوا فانه قد اقترب ملكوت السموات » (متى ٤ : ١٧)

وفى انجيل مرقس : « وبعدما أسلم يوحنا ، جاء يسوع الى الجليل ، يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله . فتوبوا وآمنوا بالانجيل » (مر ١ : ١٤ — ١٥) وفى انجيل لوقا : « وعلى اثر ذلك كان يسير فى مدينة وقرية ، يكرز ويبشر بملكوت الله ومعه الاثنا عشر » (لو ٨ : ١)

ثالثا : وقد نفى يحيى أنه هو ، المسيا ، الذى تفسيره المسيح . فقد قال لوقا : « واذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون فى قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح . أجاب يوحنا الجميع قائلا : أنا أعمدكم بماء ، ولكن يأتى من هو أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أحل سيور حذائه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار . الذى رفشه فى يده ، وسينقى بيدره ،

ويجمع القمح الى مخزنه . وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » (لو ٣ : ١٥ — ١٧)

وعيسى أيضا نفى أنه هو المسيا ، الذى تفسيره المسيح — والمسيا هو نفسه النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى فى سفر التثنية — فقد قال لوقا : « وفيما هو يصلى على انفراد كان التلاميذ معه . فسألهم قائلا : من تقول الجموع انى أنا ؟ فأجابوا وقالوا : يوحنا المعمدان . وآخرون : ايلياء . وآخرون : ان نبيا من القدماء قام . فقال لهم : وأنتم من تقولون : انى أنا ؟ فأجاب بطرس وقال : مسيح الله . فانتهرهم وأوصى أن لا يقولوا ذلك لأحد » (لو ٩ : ١٨ — ٢١)

رابعا : وبعد رفع عيسى الى السماء ، زعم « بولس » أ — أن يوحنا المعمدان كان يبشر بعيسى عليه السلام (أ ع ١٩ : ٤) ب — وأن عيسى هو المسيا الذى تفسيره المسيح (أ ع ٩ : ٢٢) وقد أراد بهذا الزعم أن يختم النبوات فى بنى اسرائيل والعالم بعيسى عليه السلام ويصد الناس عن الدخول فى دين محمد ﷺ اذا جاء .

* * *

وبعد هذه الملاحظات ، **نتكلم عن حياة يوحنا المعمدان — عليه السلام —** فنقول :

١ — **الاسم** : يوحنا المعمدان هـــو النبى يحيى بن زكريا عليهما السلام ومعنى « يوحنا فى العبرانى : أى عطية الله » (٤) ويقول الدكتور مأير : ان « المعنى الأصح : الرب تحنن » (٥) ويقول متى هنرى : ان معنى الاسم : « بالعبرانية : يوحانان . وهو اسم ورد كثيرا فى العهد القديم ومعناه : رؤوف أو رحيم أو حنان » (٦) وهو اسم لم يكن شائعا لدى اليهود فى عشيرته ، ولم يسم به أحد قبله . فقد جاء فى القرآن الكريم : « لم نجعل له من قبل سميا » (مريم ٧) وفى الانجيل « وفى اليوم الثامن

---

(٤) ص ٣١ جـ ١ الكنز الجليل .
(٥) ص ٣٠ يوحنا المعمدان .
(٦) ص ٢٤ جـ ١ تفسير لوقا .

جاءوا ليختنوا الصبى ، وسموه باسم أبيه زكريا . فأجابت أمه وقالت : لا . بل يسمى يوحنا . فقالوا لها : ليس أحد فى عشيرتك تسمى بهذا الاسم » (لوقا ١ : ٥٩ — ٦١) وقد يكون لفظ القرآن على العموم فى عشيرته وغير عشيرته ، فان أهل الكتاب قد نسوا حظا مما ذكروا بـه . ومعنى زكريا : « من يتذكره الله . ومعنى « اليصابات » — اسم أمه — : قسم الله ، أو الله حلفها (٧) »

٢ — **الأسرة :** هو من نسل الكهنة أبناء هارون عليه السلام . وينتهى نسبه الى عمران بن قهات بن لاوى بن يعقوب عليه السلام ، يقول عنه لوقا : « كان فى أيام هيرودس ، ملك اليهودية كاهن اسمه زكريا من فرقة أبيا ، وامرأته من بنات هارون ، واسمها أليصابات ، وكانا كلاهما بارين أمام الله سالكين فى جميع وصايا الرب وأحكامه ، بلا لوم . ولم يكن لهما ولد ، اذ كانت أليصابات عاقرا ، وكانا كلاهما متقدمين فى أيامهما » (١ : ٥ — ٧)

ولم يذكر القرآن الكريم نسبته الى أبناء هارون ، بل ذكر الصفات التى تهدى الى هذه النسبة ، وهى طلبه من الله « وليا » وفى سبب طلبه يقول : « يرثنى ويرث من آل يعقوب » يقصد وراثة العلم والحفاظ على التوراة من تحريف اليهود لمعانيها . ولما استجاب الله دعاءه « خرج على قومه من المحراب ، فأوحى اليهم أن سبحوا بكرة وعشيا » (مريم ١١) المحراب من اختصـاص الكهنة أبناء هارون ، وليس لأحد غيرهم من أولاد يعقوب عليه السلام ، الذين هم الاثنا عشر سبطا .

٣ — **موطن الأسرة :** فى منطقة اليهودية نجد أورشليم وبيت لحم وحبرون . وعلى بعد أميال قليلة من حبرون نجد أرض « يوطاه » وفيها كان يعيش زكريا عليه السلام ، وفيها ولد يوحنا المعمدان (٨) . يقول الدكتور فردريك فارار : « يوحنا فى صغره عاش فى منزل أبيه الكاهن ،

---

(٧) ص ٣٠ يوحنا المعمدان .

(٨) ولأن يوحنا المعمدان من أقرباء عيسى عليه السلام لأن اليصابات قريبة لمريم كما يقول لوقا ، يكون عيسى مولودا فى نفس الموطن الذى فيه ولد يحيى عليه السلام .

الذى بلا لوم فى أرض يوطاه فى الجزء الجنوبى لقسم يهوذا ، غير بعيد من حبرون » (٩) .

٤ — **زمن الميلاد** : يحدده لوقا فيقول : « وفى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر ، اذ كان بيلاطس البنطى واليا على اليهودية ، وهيرودس رئيس ربع على الجليل ، وفيلبس أخوه رئيس ربع على أيطورية وكورة تراخونيتس ، وليسانيوس رئيس ربع على الأبلية ، فى أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا ، كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا ، فى البرية . فجاء الى جميع الكورة المحيطة بالأردن ، يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا » (٣ : ١ — ٣)

٥ — **عمل أبيه** : كان الكهنة أبناء هارون فى ذلك الوقت كثيرين جدا ، وكان على كل كاهن أن يسكن فى قريته « وكان يذهب الى أورشليم مرتين فى السنة ، لتأدية وظيفته مدة أسبوع مكون من ستة أيام وسبتين يحدثنا يوسيفوس بأنه كان هنالك عشرون ألف كاهن فى اليهودية وقتئذ ، وبين الخدمات الكهنوتية المختلفة لم تكن هنالك خدمة أسمى من تقديم البخور الذى كان يقدم صباحا ومساء على مذبح ذهبى خاص فى القدس ، فى ساعة الصلاة . وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور (ع ١٠) كانت هذه الخدمة مكرمة جدا ، حتى أنها كانت تعين بالقرعة ، ولم يكن يسمح لأحد بتأديتها مرتين . كان يسمح للكاهن مرة واحدة فى حياته ، بأن ينثر حبات البخور على الفحم المتوهج الذى أتى به أحد المساعدين من مذبح المحرقة ، ثم يبخر على مذبح البخور أمام الحجاب .

بوق البوق الفضى ، وتصاعد دخان الذبيحة المسائية ، وبدأ المصلون الذين يحتلون الدور المختلفة ، يخرجون زرافات ، ليقدموا صلواتهم فى سكون وصمت . اعتزل الكاهن المساعد . أما زكريا فانه للمرة الأولى والاخيرة فى حياته ، وقف وحيدا أمام المذبح المقدس ، ونثر

---

(٩) ص ١١ حياة المسيح . ولاحظ أن يوطاة تنطق أحيانا يوطة ويطة .

حبات البخور على الفحم المتوهج ، فبدأ البخور يصعد فى رائحته الذكية ويحجب عنه ما حوله ، وكان يرمز الى صعود الصلوات والتضرعات ، ليس من قلبه فقط ، بل من قلوب شعبه أمام الله » (١٠)

٦ — **البشارة بيحيي** : يقول لوقا : « فبينما هو يكهن فى نوبة فرقته أمام الله حسب عادة الكهنوت أصابته القرعة أن يدخل الى هيكل الرب ويبخر ، وكان كل جمهور الشعب يصلون خارجا وقت البخور . فظهر له ملاك الرب واقفا عن يمين مذبح البخور ، فلما رآه زكريا اضطرب ووقع عليه خوف ، فقال له الملاك : لا تخف يا زكريا ، لأن طلبتك قد سمعت وامرأتك اليصابات : ستلد لك ابنا وتسميه يوحنا ، ويكون لك فرح وابتهاج وكثيرون سيفرحون بولادته ، لأنه يكون عظيما أمام الرب ، وخمرا ومسكرا لا يشرب . ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس ، ويرد كثيرين من بنى اسرائيل الى الرب الههم ، ويتقدم أمامه بروح ايلياء وقوته ، ليرد قلوب الآباء الى الأبناء ، والعصاة الى فكر الأبرار ، لكى يهىء للرب شعبا مستعدا .

فقال زكريا للملاك : كيف أعلم هذا ؟ لأنى أنا شيخ وامرأتى متقدمة فى أيامها ، فأجاب الملاك وقال له : أنا جبرائيل الواقف قدام الله وأرسلت لأكلمك وأبشرك بهذا ، وها أنت تكون صامتا ولا تقدر أن تتكلم الى اليوم الذى يكون فيه هذا . لأنك لم تصدق كلامى (١١) الذى سيتم فى وقته . وكان الشعب منتظرين زكريا ومتعجبين من ابطائه فى الهيكل ، فلما خرج لم يستطع أن يكلمهم ، ففهموا أنه قد رأى رؤيا فى الهيكل ، فكان يومىء اليهم . ويقى صامتا .

ولما كملت أيام خدمته مضى الى بيته . وبعد تلك الأيام حبلت اليصابات امرأته . وأخفت نفسها خمسة أشهر قائلة : هكذا قد فعل

---

(١٠) ص ٢٣ — ٢٧ يوحنا المعمدان .

(١١) هذا النص يبين أن صمته عقوبة له على عدم تصديقه ، وفى القرآن الكريم أن الصمت معجزة له وليس عقوبة .

بى الرب فى الأيـــام التى فيها نظـــر الى ، لينزع عارى بين الناس »
(١ : ٨ ــ ٢٥)

والقرآن الكريم يقول ان مدة الصمت ثلاثة أيام فقط فى قوله تعالى :
« قال : رب اجعل لى آية قال : آيتك : الا تكلم الناس ثلاث ليال سويا .
فخرج على قومه من المحراب ، فأوحى اليهم : أن سبحوا بكرة وعشيا »
(مريم ١٠ ــ ١١) وفى موضع آخر : « ثلاثة أيام الا رمزا . واذكر ربك
كثيرا وسبح بالعشى والابكار » (آل عمران ٤١) وعبارة « فأوحى اليهم :
أن سبحوا بكرة وعشيا » يذكر الانجيل فى معناها : « وامتلأ زكريا أبوه
من الروح القدس ، وتنبأ قائلا : مبارك الرب **اله اسرائيل** ، لأنه افتقـــد
وصنع فداء لشعبه ، وأقام لنا قرن خلاص فى بيت داود فتاه ، كما تكلم
بفم أنبيائه القديسين الذين هم منذ الدهر : خلاص من أعدائنا ، ومن
أيدى جميع مبغضينا ، ليصنع رحمة مع آبائنا ، ويذكر عهده المقدس ،
القسم الذى حلف لابراهيم (١٢) أبينا أن يعطينا أننا بلا خوف منقذين
من أيدى أعدائنا ، نعبده بقداسة وبر ، قدامه جميع أيام حياتنا » (لوقا
١ : ٦٧ ــ ٧٥)

٧ ــ النـــذر : يقول الانجيل : أن يوحنا المعمدان كان منذورا لله
تعالى منذ الصغر ، كما كانت مريم رضى الله عنها وعيسى عليه السلام
ففى لوقا : « لأنه يكون عظيما أمام الرب ، وخمرا ومسكرا لا يشرب »
(لوقا ١ : ١٥) وهذه عادة من العادات القديمة فى اليهود . فقد قال :
النبى عاموس : « وأقمت من بنيكم أنبياء ، ومن فتيانكم نذيرين . أليس
هكذا يا بنى اسرائيل ؟ : يقول الرب . لكنكم سقيتم الناذرين خمرا ،
وأوصيتم الأنبياء قائلين لا تتنبأوا » (٢ : ١١ ــ ١٢)

وفى الانجيل أن الله أعطى النبوة ليحيى وهو صغير السن ففى
لوقا : « ومن بطن أمه يمتلىء من الروح القدس » (لو ١ : ١٥) وهذا

---

(١٢) قسم ابراهيم فى اسماعيل واسحق كما هو مبين فى الأصحاح
السابع عشر من سفر التكوين .

التعبير عند النصارى للدلالة على التنبؤ بوحى من الله ، كما فى العبارة السابقة عن أبيه وهى : « وامتلأ زكريا أبوه من الروح القدس ، وتنبأ قائلا ... » والقرآن الكريم يقول عنه : « وآتيناه الحكم صبيا » (مريم ١٢)

٨ — **معجزاته** : ذكرت الأناجيل أن يحيى — عليه السلام — صنع معجزات . ولم تذكر الأناجيل تفاصيل معجزاته ، كما ذكرت تفاصيل معجزات عيسى — عليه السلام — . ففى انجيل مرقس : « لأن هيرودس كان يهاب يوحنا عالما أنه رجل بار وقديس وكان يحفظه . واذ سمعه فعل كثيرا . وسمعه بسرور » (مرقس ٦ : ٢٠) فعبارة : « واذ سمعه فعل كثيرا » تفيد أنه سمع عن معجزات فعلها يحيى . وأيضا فى الانجيل أنه لما قتل يحيى عليه السلام — بيد هيرودوس — وسمع عن معجزات لعيسى ، ظنه « هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات ، ولذلك تعمل به القوات » (متى ١٤ : ١) أى تعمل المعجزات بواسطته .

٩ — **صلته بعيسى عليه السلام** : كان يحيى وعيسى ابنى الخالة ، يقول الدكتور ماير : « كانت رواية يوحنا المعمدان فى الواقع جزءا من رواية يسوع ، حتى أن العذراء المباركة لم يكن ممكنا أن تذكر الواحدة دون الأخرى . وعلاوة على هذا ، فقد كانت اليصابات « نسيبة » لها كما قال الملاك . ولعلها كانت ابنة خالتها ، أو ابنة عمتها أو عمها » (١٣)

١٠ — **معنى التعميد** : ومعمودية يوحنا كانت على نمط فريد ، لم يألفه اليهود ، ولم يرد فى التوراة . والوارد فى التوراة : هو أن اليهودى اذا أخطأ خطأ ما ، يذهب الى الكاهن بذبيحة فى الهيكل ، ويقر بخطيته أمامه ، ثم يضع يده على رأس الذبيحة ، فتنتقل الخطية الى الذبيحة واذا ماتت الذبيحة ، يموت الاثم بموتها . أما يوحنا فقد قرر لهم : أن من أخطأ ، فان الاعتراف بالذنب يكفيه ، ثم يغطسه يوحنا فى نهر الأردن ،

---

(١٣) ص ١٩ يوحنا المعمدان .

فيخرج مغفورا له . وكفى . يقول الأنبا اثناسيوس : « كان الاعتراف معروفا عند اليهود اذ كانوا يقدمون ذبائح عن بعض الخطايا ، ويقرون بخطيتهم أمام الكاهن ، ويضعون أيديهم على رأس الذبيحة ، فتنتقل الخطية من عليهم الى الذبيحة(لاويين ٥ : ٥ والعدد ٥ : ٧) أما العماد فكان جديدا عليهم ، وكان اعترافهم ليوحنا بدون تقديم ذبائح ، وكان فى البرية ، وليس فى الهيكل ، وسمى المعمدان لهذا السبب (١٤) » وما كان هذا من المعمدان — فى نظرنا — لأنه به يكون ناسخا لحكم فى التوراة ، وهو قد جاء مصدقا لها . ولأنه قد ظهر فى مخطوطات البحر الميت وجزيرة قمران « ما يدل على أن الجماعة مارسوا معمودية معينة كمعمودية يوحنا أو معمودية الرسل . وجل ما هنالك : وجوب التوضؤ مرارا وتكرارا لمناسبات متعددة »(١٥) وعند بدء معمودية يوحنا « قال أيرانيوس : ان يسوع كان اذ ذاك فى الخمسين من العمر ، متكلا على بعض التقاليد » (١٦)

١١ — **رأى المسلمين فيه** : وصفه القرآن الكريم بالأخلاق الطيبة والصفات الحميدة فى قوله تعالى : « وآتيناه الحكم صبيا ، وحنانا من لدنا ، وزكاة ، وكان تقيا ، وبرا بوالديه ، ولم يكن جبارا عصيا . وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » (مريم ١٢ — ١٥)

١٢ — **رأى اليهود فيه** : يقول الأستاذ عباس محمود العقاد — رحمه الله — : « وليس أدل على مكانة يوحنا من ثناء يوسيفوس المؤرخ الكبير عليه ، وهو شديد الحذر من اغضاب ذوى الرأى والسلطان . فقد قال عنه : « انه كان انسانا صالحا أوصى اليهود أن يبر بعضهم ببعض وأن يتقوا الله » (١٧)

١٣ — **رأى النصارى فيه** : من أبرز صفاته فى الانجيل :

---

(١٤) تفسير متى ص ٢٠

(١٥) ص ٨٢ مخطوطات البحر الميت وجزيرة قمران .

(١٦) نقلا عن حياة المسيح لفردريك ص ١١١ .

(١٧) ص ١١٦ عبقرية المسيح .

(أ) الزهد فى متاع الحياة الدنيا . يقول عنه متى : « ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الابل ، وعلى حقويه منطقة من جلد ، وكان طعامه جرادا وعسلا بريا » (٣ : ٤) يقول الأنبا اثناسيوس فى معنى هــذه الآية : « احتقر يوحنا نعيم الحياة ولبس مسحا خشنا ، من وبر الابل ، وسكن البرية القاسية وتمنطق بمنطقة المجاهدين .

وعلى أى حال كان المعمدان مثالا ضخما فى النسك وضبط النفس » (١٨)

(ب) الحزم والعزم فى سبيل الدعوة ، فقد وبخ اليهود وتهكم بهم وندد ببعدهم عن الشريعة وخاطبهم بعنف « قال لهم : يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة » (متى ٣ : ٧ — ٨)

(جـ) لم يشتر بآيات الله ثمنا قليلا ، اذ رفض طلب هيرودوس الملك فى أن يعطيه فتوى ، ليتزوج من امرأة أخيه ، وهو حى يرزق ، وفضل القتل — كما يزعمون — على الحياة ، فى سبيل رضا الله عز وجل

(د) ولقد شهد له عيسى عليه السلام بالفضل ، فقال : « لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه » (متى ١١ : ١١) يقصد خاتم الأنبياء ﷺ .

١٤ — نهاية حياته على الأرض :

يقول النصارى : ان هيرودس قد قتل يوحنا ، لأنه لم يوافق هواه . ويقول بعض المسلمين بقولهم . والسبب فى قتل يوحنا على يد هيرودس كما يقولون هو أن هيرودس أراد أن يتزوج بامرأة « فيلبس » أخيه ، من قبل أن يطلقها ، ولما كان هذا الزواج ضد شريعة التوراة ، طلب من يوحنا أن يعطيه فتوى باباحته . ولما امتنع يوحنا قتله . هــذا ما فى الانجيل عن سبب قتله . وليس هو بشىء . فان زواج رجل بامرأة فى

---

(١٨) تفسير متى ص ٢٣ .

شريعة التوراة ، يلزم منه لكى يصح أن تكون المراة خالية من الاقتران برجل . والا فانه يعد زنا ، والزنا محرم . ففى سفر اللاويين : « عورة امرأة أخيك لا تكشف » (لا ١٨ : ١٦) وعلى الزانى والزانية عقوبة مقدرة فى التوراة . هى القتل على المحصن المتزوج (تث ٢٢ : ٢٢) وهذا لا يقدر عليه هيرودس الملك ، الذى يريد رضا رعيته عليه ، ولا يريد أن يكـون فى نظرهم كهازل وعابث بالشريعة . وهو قد عمل على ارضائهم من قبل بعمارة الهيكل ، الذى هو أحب شىء الى نفوسهم .

يقول متى : « فان هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه فى سجن ، من أجل هيروديا ، امرأة فيلبس أخيه . لأن يوحنا كان يقول له : لا يحل أن تكون لك . ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب ، لأنه كان عندهم مثل نبى . ثم لما صار مولد هيرودس رقصت ابنة هيروديا فى الوسط ، فسرت هيرودس ، من ثم وعد بقسم أنه مهما طلبت يعطيها ، فهى اذ كانت قد تلقنت من أمها . قالت : أعطنى ههنا على طبق رأس يوحنا المعمدان . فاغتم الملك ، ولكن من أجل الأقسام والمتكئين معه أمران يعطى . فأرسل وقطع رأس يوحنا فى السجن ، فأحضر رأسه على طبق ودفع الى الصبية فجاءت به الى أمها فتقدم تلاميذه ورفعوا الجسـد ودفنوه » (متى ١٤ : ٣ ـ ١٢)

وظل تلاميذه على الوفاء لمبادئه بعد صعود عيسى الى السماء بكثير ، فلقد جاء عنهم فى سفر أعمال الرسل : أنهم كانوا يعمدون الناس بمعمودية يوحنا (أ ع ١٩ : ١ ـ ٥) ، وكانـوا يناوئون التعـاليم الحـالية للنصرانية .

ولقد قال بولس لأتباعه : « ان يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلا للشعب أن يؤمنوا بالذى يأتى بعده . أى بالمسيح يسوع » (أ ع ١٩ : ٤) يريد بقوله هذا أن يبعد تنبؤات يحيى عن نبى الاسلام الى عيسى عليه السـلام .

وفى القرآن الكريم : أن يحيى مات موتا طبيعيا ، ولم يقتل فى قوله تعالى :

(أ) عن يحيى « وسلام عليه . يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا » (مريم ١٥)

(ب) عن عيسى : «والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » (مريم ٣٢)

ووجه الدليل : أن ما جرى على عيسى ــ عليه السلام ــ يجرى على يحيى ــ عليه السلام ــ ولم يجر القتل والصلب على عيسى لقوله : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم » (النساء ١٥٧) ولأن الله تعالى فرق بين الموت وبين القتل فى قوله تعالى : « أفان مات أو قتل » (آل عمران ١٤٤) وحكم على نبيه بالموت لا بالقتل فى قوله تعالى : « انك ميت » (الزمر ٣٠) ولم يقل له انك مقتول . لأنه قد عصمه من الناس (المائدة ١٦٧)

تقدير عيسى للمعمدان

وهو بشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم

وقد ورد فى انجيل متى وانجيل لوقا : شهادة تقدير حسنة وجيدة ، ليوحنا المعمدان ، من عيسى عليه السلام . وهذه الشهادة تعتبر بشارة بنبى الاسلام ﷺ .

وهذا نص عبارة متى : « أما يوحنا فلما سمع فى السجن بأعمال المسيح ، أرسل اثنين من تلاميذه وقال له : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ (١٩) فأجاب يسوع وقال لهما : اذهبا وأخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران ، العمى يبصرون ، والعرج يمشون ، والبرص يطهرون ، والصم يسمعون ، والموتى يقومون ، والمساكين يبشرون . وطوبى لمن لم يعثر فى . وبينما ذهب هذان ، ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا : ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أانسانا لابسا ثيابا ناعمة ؟ هوذا الذين يلبسون

---

(١٩) يلاحظ فى هذا النص : أن عيسى عليه السلام لم يعترف قط أنه المسيا الذى يسأل عنه المعمدان . وقد عمل بعض المعجزات أمام تلميذيه ليثبت لهما انه نبى صادق مثل يوحنا المعمدان سواء بسواء .

الثياب الناعمة هم فى بيوت الملوك . لكن ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبيا ؟ نعم أقول لكم : وأفضل من نبى . فان هذا هو الذى كتب عنه : ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيىء طريقك قدامك . الحق أقول لكم : لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه . ومن أيام يوحنا المعمدان الى الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه . لأن جميع الانبياء والناموس الى يوحنا تنبأوا . وأن أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايلياء المزمع أن يأتى . من له أذنان للمسع فليسمع » (متى ١١ : ٢ — ١٥)

وهذا نص عبارة لوقا : « دعا يوحنا اثنين من تلاميذه وأرسل الى يسوع قائلا : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ فلما جاء اليه الرجلان قالا : يوحنا المعمدان قد أرسلنا اليك : قائلا : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ وفى تلك الساعة شفى كثيرين من أمراض وأدواء وأرواح شريرة ووهب البصر لعميان كثيرين . فأجاب يسوع : وقال لهما : أذهبا وأخبرا يوحنا بما رأيتما وسمعتما : أن العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون . وطوبى لمن لم يعثر فى . فلما مضى رسولا يوحنا ابتدأ يقول للجموع عن يوحنا : ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا ؟ أقصبة تحركها الريح ؟ بل ماذا خرجتم لتنظروا ؟ ألنسانا لابسا ثيابا ناعمة ؟ هو ذا الذين فى اللباس الفاخر والتنعم هم فى قصور الملوك . بل ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبيا ؟ نعم أقول لكم : وأفضل من نبى . هذا هو الذى كتب عنه : ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيىء طريقك قدامك ، لأنى أقول لكم : انه بين المولودين من النساء ليس نبى أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر فى ملكوت الله أعظم منه » (لوقا ٧ : ١٩ — ٢٨)

الشرح والبيان :

اتفاق متى ولوقا على أن المعمدان أرسل الى عيسى عليه السلام وقال له : « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر » ؟ دليل على أن نبيا واحدا ،

سيأتى الى العالم ، وعند جميع بنى اسرائيل فكرة عن مجيئه . والمعمدان كواحد من اليهود يسأل عنه . يقول الدكتور فردريك فارار معلقا على عبارة (أنت هو الآتى أم ننتظر آخر) : « الكلمة الواردة فى مت ١١ : ٣ تعنى حرفيا : أما مسيحا ثانيا أو « خلافك » أما الواردة فى لوقا ٧ : ١٩ فتعنى حرفيا « آخر » (٢٠) ولماذا خفى على المعمدان أن عيسى هو المسيا ، وهو نبى يوحى اليه من السماء ؟ ولماذا نفى عيسى صراحة أنه هو المسيا الآتى الى العالم واكتفى بقوله : « طوبى لمن لم يعثر فى » ؟ ومن هو الأصغر فى ملكوت السموات الذى هو أعظم من يوحنا المعمدان ؟ وما هو المراد من قول عيسى عليه السلام : « وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايلياء المزمع أن يأتى » ؟

أولا : « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ المقصود به : النبى الذى وعد به موسى فى قوله : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » (تث ١٨ : ١٥) والذى يطلق عليه اليهود والنصارى لقب (مسيا) أو (المسيح) يقول متى هنرى : بصدد تفسيره لعبارات متى : « كان هذا سؤالا خطيرا وجوهريا . أأنت هو المسيا المنتظر أم لا ؟ أأنت هو المسيح ؟ أخبرنا . كان مجىء المسيا متوقعا كقضية مسلمة » (٢١) ويقول بصدد تفسيره لعبارات لوقا : « المسيح لم يكن الى ذلك الوقت قد أعلن صراحة بأنه هو المسيح حقا ، بل أنه لم يرد أن يعلن تلاميذه أنه هو كذلك . الى أن تكمل البراهين بقيامته بأنه هو المسيح المنتظر ، وعظماء الكنيسة اليهودية لم يعترفوا به ، ولا بدا أى مظهر يدل على أنه هو الذى أقيم ليجلس على كرسى داود أبيه ، ولا ظهر فيه أى شىء من العظمة والسلطان والقوة التى كان ينتظر أن يظهر فيها المسيا » (٢٢) يلاحظ من كلام متى هنرى ومن عبارات الأناجيل : أن عيسى عليه السلام لم يعلن الى ذلك الوقت ، وهو

---

(٢٠) ص ٢٥٩ حياة المسيح .
(٢١) ص ١٨٦ جـ ٢ تفسير متى .
(٢٢) ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥ جـ ١ تفسير لوقا .

وقت سجن المعمدان : أنه هو المسيا أو المسيح . وتلاميذه أيضا لم يعلنوا . وكان التلاميذ كما يقول متى هنرى منتظرين حتى يرفع عيسى الى السماء ، ثم بعد رفعه ، يذيعون بين اليهود أنه كان المسيا . ولماذا يؤخر عيسى هذا الخبر ولم يبد عليه أثر الملك والسلطان . أو مظاهر الأبهة والعظمة . وذلك فى مفهوم اليهود من علامات المسيا ؟

ومن فمهم ندينهم : ان هذا يدل على أن فكرة المسيا قد ألصقت به من بعد صعوده الى السماء لغرض التحريف . والا فما فائدة ملك لا يعلن عنه الا بعد موته ؟ وما مهة رسول أن لم تكن واضحة حال حياته ؟

ثانيا : وحينما سأل رسولا يوحنا ، عيسى عليه السلام هذا السؤال : « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر » قام عيسى بعمل كثير من المعجزات أمام أعينهما « وقال لهما : أذهبا وأخبرا يوحنا بما رايتما وسمعتما » فاذا كانت المعجزات فى رأى النصارى دليلا على أنه هو المسيا . لأن عيسى لم يصرح بأنه هو المسيا ، فان لنبى الاسلام ﷺ معجزة لا تقل أهمية عن معجزات عيسى ، وتصلح دليلا على أنه هو المسيا . وإذا كانت معجزات عيسى قد جعلته فى نظر النصارى هو المسيا وأغنت عن تصريحه . فهل لهم ولأى عابر سبيل أن يجعل أى فرد من تلاميذ عيسى قد صنع معجزة أن يكون هو المسيا ، لأنه صنع معجزة ؟ انه على سبيل المثال :

١ — بطرس أمات رجلا وزوجته (أعمال ٥ : ١)

٢ — بطرس يشفى من الأمراض هو وبقية الرسل (أعمال ٥ : ١٢)

٣ — فيلبس أخرج الأرواح الشريرة وشفى المفلوجين والعرج (أعمال ٨ : ٤)

٤ — بطرس أحيا ميتة (أ ع ٩ : ٣٦)

٥ — بولس يشفى مقعدا (أ ع ١٤ : ٨)

٦ — بولس يخرج الأرواح الشريرة (أ ع ١٦ : ١٦)

٧ — بولس يحيى الموتى (أ ع ٢٠ : ٧)

ثالثا : ويشهد عيسى للمعمدان شهادة تقدير ، لأنه زميله فى الهدف ورفيقه فى الجهاد ونص شهادته : « ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا : ماذا خرجتم الى البرية لتنظروا ؟ أقصبة تحركها الريح ؟ لكن ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أانسانا لابسا ثيابا ناعمة ؟ هو ذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى بيوت الملوك ، لكن ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبيا ؟ نعم أقــول لكم : وأفضل من نبى »

قال هذا بعد انصراف رسولا يوحنا ، لئلا تظن الجموع من اليهود أنه يتملق يوحنا ، فتكون شهادة بريئة من كل شبهة . يقول عيسى عليه السلام : سأريكم أى انسان كان يوحنا المعمدان عليه السلام :

(أ) كان انسانا ثابتا لا يتزعزع . لم يكن « قصبة تحركها الريح » أنتم كذلك فى آرائكم عنه . أما هو فلم يكن كذلك . لم يكن مزعزعا فى مبادئه ولا معوجا فى سيرته ، بل كان ثابتا كالطود الراسخ . ان الضعفاء يتزعزعون . أما يوحنا فكان قوى الروح ، حينما هبت عليه ريح مديح الناس من جهة ، وعصفت عليه ثورة غضب هيرودس من الجهة الأخرى -- كما هو مكتوب — بقى ثابتا كما هو لم يتغير ، فى أى جو من الأجواء .

(ب) كان انسانا منكرا لذاته ميتا عن العالم « أكان انسانا لابسا ثيابا ناعمة » ؟ لو كان كذلك لما خرجتم الى البرية لتنظروه ، بل الى قصور الملوك . أنتم خرجتم لتنظروا شخصا « لباسه من وبر الابل وعلى حقوية منطقة من جلد » تدل سيماؤه ورداؤه على أنه ميت من عظمة العالم وتنعمات الجسد ، وتتفق ملابسه مع البرية التى عاش فيها والتعاليم التى يلقيها . أى التوبة واقتراب ملكوت السموات .

(جـ) لقد كان « نبيا » نعم . وأفضل من نبى ، لقد شهد عيسى للمعمدان بالنبوة ، كما شهد المعمدان لعيسى من قبل بها ، وافتخر عيسى بشهادة المعمدان له أمام اليهود فى قوله طبقا لرواية يوحنا : « أنتم أرسلتم الى يوحنا فشهد للحق ، وأنا لا أقبل شهادة من انسان ، ولكنى أقول هذا لتخلصوا أنتم » (يوحنا ٥ : ٣٣ — ٣٤)

رابعا : وما المقصود بقول عيسى عليه السلام : « لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه » ؟ من هو الأصغر فى ملكوت السموات ؟

الأصغر فى ملكوت السموات : هو نبى الاسلام ﷺ ليس فى الرتبة والمنزلة ، وانما على معنى : أنه خاتم النبيين كما جاء فى القرآن الكريم : « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ، ولكن رسول الله وخاتم النبيين ، وكان الله بكل شىء عليما » (الأحزاب ٤٠)

والنصارى مختلفون فى تفسير : الأصغر فى ملكوت السموات . وعلماء الكاثوليك لا يخرجون على ما قرره علماء الأرثوذكس والبروتستانت فى هذا الشأن . لذلك نكتفى بذكر هذه العبارة عنهم : « ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه : هذا يحتمل تفسيرين . الأول : — ولعله الأرجح — أنه أراد بالأصغر نفسه . لأنه كان أصغر من يوحنا سنا ، وأدنى مرتبة حينئذ فى عيون الناس ، لأنه لم يكن قد عرف بعد ، وانما أورد هذا استدراكا على ما ذكره من قوله : « لم يقم فى مواليد النساء أعظم من يوحنا المعمدان » فأشار بذلك الى أنه هو أعظم منه فى ملكوت السموات ، يعنى فى الكنيسة . والتفسير الثانى : أن المراد بالأصغر فى ملكوت السموات : أدنى المؤمنين بالمسيح رتبة ، ممن حصلوا على نعمة الانجيل ، لأن جميع القديسين من العهد العتيق انما نالوا التقديس بنعمة الانجيل . ولما كان الناموس يشير الى انجيل المسيح ، كان بالضرورة أدنى منزلة من الانجيل ، وبالتالى كان أهل الناموس أدنى منزلة من أهل الانجيل على الاطلاق . وبناء على هذا يقال : أن أعظم أصحاب الناموس يكون أدنى رتبة من أصغر أبناء الكنيسة » (٢٣)

ونرد عليهم : هل عيسى أفضل من المعمدان ؟ أو المعمدان أفضل من عيسى ؟ وهل دعاة الانجيل الآن يكون أى فرد فيهم أفضل من المعمدان أو أعظم من موسى أو داود أو سليمان عليهم السلام ؟

---

(٢٣) ص ٤٧٠ حواشى على المجلد الثالث من الكتاب المقدس للكاثوليك .

(أ) أما أن عيسى أفضل من المعمدان فذلك شىء نفاه عيسى نفسه ، لأن سياق الكلام لا يسيغ أن يشهد عيسى للمعمدان بأنه لم يقم بين المولودين من النساء أعظم منه ، ثم يقول الا أنا . وقد أثر عنه فى الانجيل التواضع الشديد لدرجة أنه غسل أرجل التلاميذ وحثهم على التواضع (يوحنا ١٣ : ١٤) وقال بصريح العبارة : « مجدا من الناس لست أقبل » (يو ٥ : ٤١) واذا كان لا يقبل المجد من الناس ، فما فائدة الفخر اذا ؟

(ب) وأما أن العالم النصرانى الذى يدعو بالانجيل أفضل من المعمدان ؛ فهذا يحتاج الى نص سماوى صريح ، لأن الأنبياء أرفع منزلة من سائر البشر ، ولا يوجد فى الانجيل ما يغض من قيمة الأنبياء المعظمين فى بنى اسرائيل لدرجة أن يقال : ان ابراهيم واسحق ويعقوب رؤساء الآباء أقل درجة من دعاة النصرانية ، كيف يكون هذا وهم آباء عيسى نفسه ، وهم الذين سلموا التوراة الى النصارى ؟

ونص الانجيل هو فى المفاضلة بين نبى ونبى ، وليس هو بين نبى وشخص عادى . وصفة النبوة هى الصفة المقصودة بالتفاضل . وسياق الكلام يبين ذلك . فانه قال : « أنبيا ؟ » نعم أقول لكم وأفضل من نبى . صحيح أن هدف الدعاة واحد . ولكن الأستاذ له الفضل على التلاميذ ، لأنه هو الذى علمهم ما يدعون به ، وهم يدعون بما علمه لهم ، على حد قول عيسى عليه السلام : « ليس التلميذ أفضل من المعلم ، ولا العبد أفضل من السيد ، يكفى التلميذ أن يكون كمعلمه والعبد كسيده » (متى ١٠ : ٢٤ — ٢٥) فقد بين عيسى نفسه أنه لا يمكن التفاضل بين التلميذ والمعلم ، بل تكفى المساواة . اذا كان لابد من المفاضلة .

***

(جـ) وأما عن قول عيسى فيما انفرد بروايته متى : « وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايلياء المزمع أن يأتى » فهذه العبارة تثبت مجىء ايلياء فى المستقبل من بعد عيسى عليه السلام ، وجاء فى انجيل متى عبارة تفيد أن ايلياء قد جاء من قبل عيسى عليه السلام . وهى : « ان ايلياء قد

جاء ولم يعرفوه » (متى ١٧ : ١٢) ولقد فهم التلاميذ أن ايلياء الذى جاء ولم يعرفوه ، هو يوحنا المعمدان (متى ١٧ : ١٣) يقول الدكتور هانى رزق على لسان الأرثوذكس : « بذلك نجد أن نبوة ملاخى ٤٣٥ ق.م. القائلة بمجىء ايلياء النبى قبل مجىء يوم الرب العظيم ، قد تحققت بمجىء يوحنا المعمدان ، الذى اتضح من هذه الأقوال أنه ايلياء المزمع أن يأتى ، قبل مجىء المسيح ليعد له الطريق » (٢٤) ويقول الكاثوليك عن المعمدان : « هو ايلياء المزمع أن يأتى ، لأنه قد سبق المسيح فى مجيئه الأول ، كما أن ايلياء سيسبقه فى مجيئه الثانى » (٢٥)

وفهم التلاميذ خطأ . لأن يوحنا المعمدان نفسه . قال : لست أنا ايلياء (يو ١ : ٢١) وهو نبى . ولا يمكن أن يكذب نبى من الأنبياء الصادقين . ولأن ايلياء كان قبل سبى أشور سنة ٧٣٨ ق.م. وكان معاصرا لأخآب ملك السامرة سنة ٩٠٠ ق. م. (٢٦)

وهذه قصته بايجاز :

١ ــ ايلياء هو نبى من أنبياء اليهود الذين أتوا من بعد موسى عليه السلام :

وقد ورد فى الترجمة الانجليزية : ان اسمه (الياس) Elias وهذا هو اسمه عند يهود السامرة . وقد وردت له قصة فى التوراة ، فيها شبه مما جاء عنه فى القرآن الكريم . قال تعالى : « وان الياس لمن المرسلين ، اذ قال لقومه : ألا تتقون ؟ أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين ؟ الله ربكم ورب آبائكم الأولين . فكذبوه فانهم لمحضرون ، الا عباد الله المخلصين . وتركنا عليه فى الآخرين . سلام على الياسين . انا كذلك نجزى المحسنين ، انه من عبادنا المؤمنين » (الصافات ١٢٣ ــ ١٣٢) قال القرطبى فى تفسيره : « قال المفسرون الياس نبى من بنى اسرائيل . وروى عن ابن مسعود قال : ان اسرائيل هو يعقوب ،

---

(٢٤) ص ٣٦ يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته .
(٢٥) ص ٤٧٠ حواشى على المجلد الثالث من الكتاب المقدس للكاثوليك
(٢٦) قاموس الكتاب المقدس ــ جورج بوست .

والياس هو ادريس » ونصحح ما روى عن بن مسعود فنقول : ان اسرائيل هو يعقوب كما ذكر ، أما ادريس عليه السلام فليس هو الياس ، لأن ادريس نبى ، والياس نبى آخر . ذلك أن التوراة ذكرت ادريس باسم أخنوخ ، وكان وجوده فى الأرض قبل نوح عليه السلام ، وعاش مئة وخمسا وستين سنة ، وكان صالحا عابدا ورفعه الله الى السماء . ففى التوراة : « عاش أخنوخ خمسة وستين سنة وولد متوشالح ، وسار أخنوخ مع الله ، بعد ما ولد متوشالح ثلاث مئة سنة ، وولد بنين وبنات ، فكانت كل أيام أخنوخ ثلاث مئة وخمسة وستين سنة . وسار أخنوخ مع الله ، ولم يوجد ، لأن الله أخذه » (تك ٥ : ٢١ — ٢٤) وقال الامام الزمخشرى عن ادريس : « وكان اسمه أخنوخ » .

٢ — « أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين » ؟ ورد فى التوراة : أن أخآب ابن عمرى ٩٠٠ ق.م. من ملوك يهود السامرة تزوج امرأة تسمى « ايزابل » وعمل صنما وسماه (البعل) وسجد له هو وامرأته وأهل مملكته . وكان لهذا البعل من الكهنة خداما أربعمائة وخمسون « ثم قال ايلياء للشعب : أنا بقيت نبيا للرب وحدى ، وأنبياء البعل أربعمئة وخمسون رجلا فليعطونا ثورين ، فيختاروا لأنفسهم ثورا واحدا ويقطعوه ويضعوه على الحطب ، ولكن لا يضعوا نارا . وأنا أقرب الثور الآخر واجعله على الحطب ولكن لا أضع نارا ، ثم تدعون باسم آلهتكم وأنا أدعو باسم الرب ، والاله الذى يجيب بنار فهو الله . فأجاب جميع الشعب وقالوا : الكلام حسن . فقال ايلياء لأنبياء البعل : اختاروا لأنفسكم ثورا واحدا وقربوا أولا ، لأنكم أنتم الأكثر وادعوا باسم آلهتكم ولكن لا تضعوا نارا ، فأخذوا الثور الذى أعطى لهم وقربوه ودعوا باسم البعل من الصباح الى الظهر ، قائلين : يا بعل أجبنا ، فلم يكن صوت ولا مجيب . وكانوا يرقصون حول المذبح الذى عمل . وعند الظهر سخر بهم ايلياء وقال : ادعوا بصوت عال لأنه اله . لعله مستغرق أو فى خلوة أو فى سفر أو لعله نائم فيتنبه ، فصرخوا بصوت عال وتقطعوا

حسب عاداتهم بالسيوف والرماح حتى سال منهم الدم ، ولما جاء الظهر وتنبأوا الى حين اصعاد التقدمة ولم يكن صوت ولا مجيب ولا مصغ . قال ايلياء لجميع الشعب : تقدموا الى . فتقدم جميع الشعب فرمم مذبح الرب المنهدم ، ثم أخذ ايلياء اثنى عشر حجرا بعدد أسباط بنى يعقوب الذى كان كلام الرب اليه قائلا : اسرائيل يكون اسمك . وبنى الحجارة مذبحا باسم الرب ، وعمل قناة حول المذبح ، تسع كيلتين من البزر ثم رتب الحطب وقطع الثور ، ووضعه على الحطب . وقال : املأوا أربع جرات ماء ، وصبوا على المحرقة وعلى الحطب . ثم قال : ثنوا فثنوا . وقال : ثلثوا ، فثلثوا فجرى الماء حول المذبح وامتلأت القناة أيضا ماء . وكان عند اصعاد التقدمة : أن ايلياء النبى تقدم وقال : أيها الرب اله ابراهيم واسحق واسرائيل ليعلم اليوم انك أنت الله فى اسرائيل وأنى أنا عبدك . وبأمرك قد فعلت كل هذه الأمور استجبنى يارب . استجبنى . ليعلم هذا الشعب. أنك أنت الرب الاله ، وأنك أنت حولت قلوبهم رجوعا ، فسقطت نار الرب . وأكلت المحرقة والحطب والحجارة والتراب ، ولحست المياه التى فى القناة ، فلما رأى جميع الشعب ذلك سقطوا على وجوههم وقالوا : الرب هو الله الرب هو الله .

فقال لهم ايلياء : أمسكوا أنبياء البعل ولا يفلت منهم رجل ، فامسكوا فنزل بهم ايلياء الى نهر قيشون وذبحهم هناك » (الملوك الأول ١٨ : ٢٢ — ٤٠)

وورد شبيها بهذا فى أقوال المفسرين ، فقد حكى القرطبى عن مقاتل بأن البعل « صنم كسره الياس وهربَّ منهم ، وقيل من ذهب وكان طوله عشرين ذراعا وله أربعة أوجه ، فتنوا به وعظموه ، حتى أخدموه أربعمائة سادن ، وجعلوهم أنبياء ، فكان الشيطان يدخل فى جوف بعل ، ويتكلم بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها ، ويعلمونها الناس » (٢٧) .

---

(٢٧) القرطبى ج ١٥ ص ١١٧ .

وهذا الذى أوردناه من كلام المفسرين شبيها بالتوراة ، يدل دلالة واضحة على أن كثيرا من المفسرين كانوا ينقلون عن أهل الكتاب من كتبهم حينا ، ومن ألسنتهم حينا آخر . يقول أستاذنا الدكتور محمد أبو شهبة معلقا على الاسرائيليات فى قصة الياس عليه السلام : (وكل هذا من أخبار بنى اسرائيل وتزيداتهم واختلاقاتهم . وما روى منها عن بعض الصحابة والتابعين : فمرجعه الى مسلمة أهل الكتاب ككعب ووهب وغيرهما) (٢٨)

وله معجزات غير هذه : منها أنه أحيا ابن امرأة أرملة من قرية تسمى صرفة وجعل الزيت لا ينقص من كوز الزيت ، وكوار الدقيق لا يفرغ من عندها ، حتى ينزل المطر ، فتخرج الأرض نباتها (الملوك الأول ١٧) ومنها أنه دعا الله أن لا تمطر السماء لئلا ينبت زرع فاستجاب الله له (الملوك الأول ١٧)

٣ ـــ « سلام على الياسين » أشهر ما فيها من قراءات : ١ ـــ آل ياسين بمد الألف ٢ ـــ الياسين بقطع الهمزة ٣ ـــ الياسين بوصل الالف ويقول القرطبى فى توجيه القرائتين الأوليين : ومن قرأ « سلام على آل ياسين » فكأنه والله أعلم جعل اسم الياس ياسين ، ثم سلم على آله أى أهل دينه ، ومن كان على مذهبه . ومن قرأ « الياس » بالقطع فللعلماء فيه غير قول . فروى هرون عن ابن أبى اسحق . قال : الياسين مثل ابراهيم يذهب الى أنه اسم له ، وأبو عبيدة يذهب الى أنه جمع جمع التسليم ، على أنه وأهل بيته سلم عليهم . وعن القراءة الثالثة بالوصل يقول : وقرأ الحسن « سلام على الياسين » بوصل الألف كأنها ياسين . دخلت عليها الألف واللام التى للتعريف . والمراد الياس عليه السلام . وعليه وقع التسليم . ولكنه اسم أعجمى والعرب تضطرب فى هذه الأسماء الأعجمية ويكثر تغييرهم لها .

---

(٢٨) ص ٣٦٧ الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير .

والصواب في نظرنا : أن الاسم المفرد هو الياس . والجمع في اللغة العبرية للتذكير يكون بالياء والميم لا بالواو والنون كما في لغة العرب . ثم ان الميم تقلب نونا لقربها من المخرج . كأنه يقول : سلام على الياس ومن جاهد معه . أي سلام على الالياسيين وخفف النطق .

يقول مؤلفو تاريخ العرب المطول : « والجدير بالذكر أن أسماء شخصيات التوراة الواردة في القرآن جاءت على ما يظهر عن طريق اللغة السريانية . مثل (نوح) واليونانية مثل (الياس ويونس) لا مباشرة عن طريق اللغة العبرانية » (٢٩) .وايلياء في العبرية ينطق ايليا هو ، لا الياس .

٤ — واليهود السامريون لا يقرون بنبوته . يقول اليهودي أبو الحسن السامري : « وكانوا ملوك اليهود منهم من لا يسجد للاوثان ، ومنهم من يسجد ، يدعى بيت المقدس قدسا ، ويدعون أن لهم أنبياء ينسبون الى الله عز وجل ما لم يقل لهم ، ويقولون : أن فيهم من يصدق وما كان فيهم صادقا . وانما كانوا يتكلمون بطريق السحر والتنجيم ويلهون الناس ويلعبون بعقولهم ، ويدخلون بهم في طريق الآثام والذنوب ، ويضلونهم . وفي ذلك الوقت سمى حننية : نبي . والياس : نبي . وهذا الياس غرق في الأردن ومات . وادعوا أنه طلع الى السماء بعد موته » (٢٨)

***

وبعدما فرغنا من الكلام على حياة يوحنا المعمدان — عليه السلام — وتقدير عيسى له — وهو تقدير يعتبر من النبؤات الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم — نتحدث عن دعوته التي يتبين منها أنها مشابهة تمام المشابهة لدعوة عيسى — عليه السلام — .

---

(٣٠) ص ٥٣ — ٥٤ التاريخ مما تقدم عن الآباء .

(٢٩) ص ١٧٢ تاريخ العرب المطول القسم الثاني .

أولا : ملكوت السموات

جاء فى انجيل متى : « وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلا توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات فان هذا هو الذى قيل عنه بأشعياء النبى القائل : صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الابل وعلى حقويه منطقة من جلد وكان طعامه جرادا وعسلا بريا حينئذ خرج اليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن واعتمدوا منه فى الأردن معترفين بخطاياهم .

فلما راى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون الى معموديته قال لهم يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ، ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا ابراهم ابا لأنى أقول لكم ان الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر ، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار .

أنا أعمدكم بماء للتوبة ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه هو سيعمدكم بالروح القدس ونار الذى رفشه فى يده وسينقى بيدره ويجمع قمحه الى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » (متى ٣ : ١ — ١٢)

وجاء فى انجيل لوقا : « فى أيام رئيس الكهنة حنان وقيافا (١) كانت كلمة الله على يوحنا بن زكريا فى البرية فجاء الى جميع الكورة المحيطة بالأردن يكرز بمعمودية التوبة لمغفرة الخطايا كما هو مكتوب فى سفر

---

(١) قال برنابا : « كان هيرودس فى ذلك الوقت ملكا على اليهودية بأمر قيصر أوغسطس . وكان بيلاطس حاكما (لوقا ٢ : ٤) فى زمن الرياسة الكهنوتية لحنان وقيافا (لوقا ٣ : ١ — ٢) فعملا بأمر قيصر (لو ٢ : ١ — ٧) اكتتب جميع العالم » (بر ٣ : ١ — ٣) يعنى برنابا : أن عيسى قد ولد ، ويحيى قائم بالدعوة .

وهذا قد أكده « ايرانيوس » فى قوله ان يسوع كان فى الخمسين من العمر عند بدء معمودية يوحنا — كما سبق بيانه — .

أقوال أشعياء النبى القائل : صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب ، اصنعوا سبله مستقيمة كل واد يمتلىء ، وكل جبل وأكمة ينخفض وتصير المعوجات مستقيمة ، والشعاب طرقا سهلة ، ويبصر كل بشر خــلاص الله .

وكان يقول للجموع الذين خرجوا ليعتمدوا منه : يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ فاصنعوا أثمارا تليق بالتوبة ، ولا تبتدئوا تقولون فى أنفسكم : لنا ابراهيم أبا . لأنى أقول لكم : أن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولادا لابراهيم . والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر ، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا ، تقلع وتلقى فى النار .

فسأله الجموع قائلين : فماذا نفعل ؟ فأجاب وقال لهم : من لــه ثوبان فليعط من ليس له ، ومن له طعام فليفعل هكذا .

وجاء عشارون أيضا ليعتمدوا ، فقالوا له : يا معلم ماذا نفعل ؟ فقال لهم : لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم .

وسأله جنديون أيضا قائلين : وماذا نفعل نحن ؟ فقال لهم : لا تظلموا أحدا ولا تشوا بأحد ، واكتفوا بعلائفكم .

واذ كان الشعب ينتظر والجميع يفكرون فى قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح ؟ أجاب يوحنا الجميع قائلا : أنا أعمدكم بماء ، ولكن يأتى من هو أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أحل سيور حذائه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار ، الذى رفشه فى يده ، وسينقى بيدره ، ويجمع القمح الى مخزنه . وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ . وبأشياء أخرى كثيرة كان يعظ الشعب ويبشرهم » (لوقا ٣ : ـــ ١٨)

ثانيا : نص شهادته عن النبى الأمى

وجاء فى انجيل يوحنا : « وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ، ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر ، وأقر

انى لست أنا المسيح . فسألوه : اذا ماذا ؟ ايلياء أنت ؟ فقال : لست أنا . النبى أنت ؟ فأجاب : لا . قالوا له : من أنت : لنعطى جوابا للذين أرسلونا ؟ ماذا تقول عن نفسك ؟ قال : أنا صوت صارخ فى البرية ، قوموا طريق الرب . كما قال أشعياء النبى .

وكان المرسلون من الفريسيين فسألوه ، وقالوا : فما بالك تعمد ان كنت لست المسيح ، ولا ايلياء ولا النبى ؟ أجابهم يوحنا قائلا : أنا اعمد بماء ، ولكن فى وسطكم قائم ، الذى لستم تعرفونه ، هو الذى يأتى بعدى ، الذى صار قدامى ، الذى لست بمستحق أن أحل سيور حذائه . هذا كان فى بيت عبرة فى عبر الأردن ، حيث كان يوحنا يعمد .

وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا اليه فقال : هو ذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم ، هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى رجل صار قدامى ، لأنه كان قبلى ، وأنا لم أكن أعرفه ، لكن ليظهر لاسرائيل . لذلك جئت أعمد بالماء .

ويشهد يوحنا قائلا : انى قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة ، من السماء ، فاستقر عليه ، وأنا لم أكن أعرفه . لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء ، ذاك قال لى : الذى ترى الروح نازلا ومستقرا عليه ، فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس . وأنا قد رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله .

وفى الغد أيضا كان يوحنا واقفا ، هو واثنان من تلاميذه ، فنظر الى يسوع ماشيا . فقال : هوذا حمل الله ، فسمعه التلميذان يتكلم ، فتبعا يسوع » (يوحنا ١ : ١٩ — ٣٧)

الشرح والبيان :

أولا : فى عبارات متى — ومرقس لم يأت بزيادة عليها — نجد :

١ — أول حديث ليوحنا المعمدان هو تبشير اليهود وانذارهم فى آن واحد . فانه بشرهم « قائلا : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » وأنذرهم

قائلا : « الآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر ، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا ، تقطع وتلقى فى النار » ومعناها : أن العذاب قريب كما تقرب الفأس من أصل الشجرة استعدادا للقطع . واذا كان فى الزمن الماضى امهال من الله لليهود ، رجاء عودتهم اليه ، فانه قد جاء الوقت للنقمة وتوقع العذاب . ويستبان لذى عينين من هذا التبشير وذاك الانذار : أن حدثا هاما سوف يقع يغير مجريات الأمور ، وما ذلك الحدث المهام الا اقتراب ملكوت السموات ، وهذا الملكوت الذى اقترب ، كان لدى اليهود فكرة عن مجيئه وترقب ليوم ظهوره . وما رسالة المعمدان الا اخبار عن قرب وقته وسرعة زمنه ، وأن المعمدان هو الذى بشرت به أسفار الأنبياء ليأتى قبل مجىء الملكوت للتمهيد له . اذ يقصد متى من عبارته . وهى «فان هذا هو الذى قيل عنه بأشعياء النبى القائل صوت صارخ فى البرية ، أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة » ما جاء فى أسفار الانبياء على لسان أشعياء وهو «صوت صارخ فى البرية : أعدوا طريق الرب ، قوموا فى القفر سبيلا لالهنا ، كل وطاء يرتفع ، وكل جبل وأكمة ينخفض ، ويصير المعوج مستقيما ، والعراقيب سهلا . فيعلن مجد الرب ، ويراه كل بشر جميعا ، لأن فم الرب يتكلم » (أشعياء ٤٠ : ٣ — ٥)

يقصد متى : أن يوحنا المعمدان هو الذى تنبأت أسفار الانبياء عن مجيئه ممهدا للمسيا — الذى تفسيره المسيح — ولئن قال قائل : انه لو كان للمسيا ممهد ، لما قال اليهود عن يوحنا : « لعله المسيح » لأنه لا يكون المسيح الا اذا أتى الممهد له من قبل . وكيف يكون له ممهد والسامريون لا يقدسون سفر أشعياء ولا يقولون بممهد للمسيح . لئن قال هذا قائل ، لقيل : انهم قالوا عن يوحنا « لعله » ولم يقطعوا بأنه هو . وقولهم انما كان بسبب تضليل علماء بنى اسرائيل فى حقيقة المسيا ، من بعد سبى بابل ، لأنه من اسماعيل وأرادوا جعله فى اسرائيل . وقد أراد الله الحق ، فى أمره للناس ، على لسان من يشهد له ، ومن يمهد له . ليقطع العذر ، ويزيل العلة .

٢ — وملكوت السموات الذى يعبر يوحنا المعمدان عن اقترابه : هو ملكوت المسيا الذى وعد اليهود بمجيئه موسى عليه السلام فى الاصحاح

الثامن عشر من سفر التثنية . والذى أشار اليه النبى دانيال بملكوت السموات ، ملكوت ابن الانسان الذى سيتأسيس بعد انتهاء المملكة الرابعة ، وهى دولة الرومان (دانيال ٧ : ١٣ — ١٤)

٣ — والنصارى يقولون : ان النبى الذى وعد به موسى ، هو عيسى ، وأن عصر الانجيل هو المقصود بملكوت السموات ، وأنه هو ابن الانسان المشار اليه فى كلام دانيال . فى الاصحاح الثانى والسابع من سفره .

ونقول لهم : ان الأوصاف التى ذكرها يوحنا المعمدان عن الآتى من بعده ، لا يمكن أن تنطبق على عيسى عليه السلام وتنطبق على نبى الاسلام ﷺ .

لأن قول المعمدان للفريسيين والصدوقيين : « يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟ » دليل على أن غضب الله بالحرب واقع لا محالة بهم ، وأنه يحذرهم بأنه لا مفر ولا ملجأ من الله الا بالتوبة النصوح اليه . ولما جاء عيسى عليه السلام لم يكن هو الذى تم على يده الانتقام ، بل كان هو على حد تعبير الأناجيل موضع استهزاء اليهود وتعييرهم . وفى النهاية ثار عليه اليهود وأرادوا قتله . .

٤ — وقول المعمدان : « والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر ، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار » دليل على أن انتقام الله قريب من اليهود ، كقرب الفأس من أصل الشجرة . وأن امهال الله لليهود رجاء التوبة قد انتهى وقته ، وليس الا توقع العذاب . فمن تاب نجا ، لأنه يكون كالشجرة التى تصنع ثمرا جيدا . وان عصى هلك ، لأنه يكون كالشجرة العقيم التى لا ظل لها ولا ثمر فيها . والتاريخ يشهد بأن عيسى عليه السلام لم يثر ضد اليهود حربا ، ولا ضد العالم . وأثر عنه فى الانجيل : « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (مرقس ١٢ : ١٧)

٥ — وقول المعمدان : « الذى يأتى بعدى هو أقوى منى » لا ينطبق على

عيسى ــ عليه السلام ــ لأنه ما أتى بعده ، وانما كان معه . ولو كان هو عيسى ما أرسل المعمدان وهو فى السجن قائلا له : « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟ » (متى ١١ : ٣) والا فما فائدة نبوة المعمدان اذا كان على غير علم بأن يسوع هو المسيا الآتى ؟ وما كان يقول : « بعدى » لأن عيسى كان معاصرا له .

والذى أتى من بعده ، هو نبى الاسلام ﷺ لأنه ولد فى السنة الخمسمائة والسبعين من بعد الميلاد . والأناجيل تصرح أيضا بأن عيسى ــ عليه السلام ــ كان يعمد ويصير تلاميذ فى حياة يوحنا المعمدان . وهذا يدل على أنه لم يأت من بعد يوحنا المعمدان . يقول يوحنا كاتب الانجيل : « وحدثت مباحثة من تلاميذ يوحنا مع يهود ، من جهة التطهير . فجاءوا الى يوحنا . وقالوا له : يا معلم هوذا الذى كان معك فى عبر الأردن ، الذى أنت قد شهدت له . هو يعمد والجميع يأتون اليه . أجاب يوحنا وقال : لا يقدر انسان أن يأخذ شيئا ، ان لم يكن قد أعطى من السماء » (يو ٣ : ٢٥ــ٢٧)

٦ ــ وقول المعمدان : « هو أقوى منى » لاينطبق على عيسى عليه السلام لأنه هو والمعمدان شبيهان قوة وضعفا . فقد صرحت الأناجيل عنهما بأنهما :

١ ــ كانا نبيين ولم يزيدا فى نظر اليهود عن كونهما نبيين . فقد أورد متى عبارتين عنهما متشابهتين : الأولى : أن اليهود سألوا عيسى قائلين : « معمودية يوحنا من أين كانت ؟ من السماء أم من الناس ؟ ففكروا فى أنفسهم قائلين : ان قلنا من السماء يقول لنا فلماذا لم تؤمنوا به ؟ وان قلنا من الناس نخاف من الشعب ، لأن يوحنا عند الجميع مثل نبى » (٢١ : ٢٥ ــ ٢٦) والثانية : أنه ذكر مثلا ضربه عيسى عليه السلام لليهود ، ومغزاه : أن النبوة ستنتقل منهم الى أمة أخرى « ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله ، عرفوا أنه تكلم عليهم . واذ كانوا يطلبون أن يمسكوه : خافوا الجموع ، لأنه كان عندهم مثل نبى » (٢١ : ٤٥ ــ ٤٦) وفى ترجمة الكاثوليك للعبارة الأولى « لأن يوحنا كان يعد عنه

جميعهم نبيا » وللعبارة الثانية : « فهموا أن يمسكوه ، ولكنهم خافوا من الجموع ، لأنه كان يعد عندهم نبيا »

٢ ــ كانت دعوتهما واحدة . يقول متى : « وفى تلك الأيام جـاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهود قائلا : توبو لأنه قد اقترب ملكـوت السموات » (٣ : ١) «من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ، ويقول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (٤ : ١٧)

٣ ــ لم يكن لهما ملك فى اسرائيل ولا نفوذ . فقد صرحت الأناجيل بسجنهما وقتلهما . سجن يوحنا المعمدان وقتل (متى ١٤) وكذلك سـجن عيسى وقتل كما يزعمون (متى ٢٧)

٤ ــ كانت معموديتهما واحـدة فى حياتهما ، ومع تلاميذهما من بعدهما .

وعلى هذا الذى قدمناه يكون الآتى من بعده هو نبى الاسلام ﷺ لأنه صاحب شريعة جديدة مستقلة عن شريعة موسى عليه السـلام ، أما يوحنا المعمدان وعيسى ، فلم يكن لهما شريعة جديدة مستقلة عن التوراة ، بل كانا يدعوان الناس الى شريعة موسى ، ويعملان بها . ولأن نبى الاسلام كان رئيسا مطاعا فى قومه وصاحب نفوذ ، ولم يتمكن منه أعداؤه ، وانتصر انتصارا مؤزرا ولأن لاسماعيل بركة منصوص عليها فى سفر التكوين .

٧ ــ وقول المعمدان عن المسيح المنتظر : « هو سيعمدكم بالروح القدس ونار . الذى رفشة فى يده وسينقى بيدره ، ويجمع قمحه الى المخزن ، وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » يقول الدكتور وليم أدى الأميريكانى : « الذى رفشه فى يده » الرفش : الآلة المعروفة التى بها يذرى الحب فى الهواء ، لفصـله عن التبن (المذراة) « وسينقى بيدره » تشير الكلمة اليونانية الى تنقية البيدر تنقية تامة ، لا يترك معها شىء ، غير مذرى . ويحتمل أن يكون المعنى : تنقية القمح الذى على البيدر من كل الأوساخ أو تنظيف البيدر برفع القمح المذرى عنه . كناية عن نهاية العمل كله .

ويمكن أن يكون القصد من هذا التشبيه : الاشارة الى تأديب الله للناس وقصاصه لهم فى هذه الحياة (٢) »

وهنا نتساءل : هل عيسي عليه السلام عمد بالروح القدس والنار ؟ وهل كانت المذراة في يده وهي كناية عن نهاية العمل كله ، اشارة الي تأديب الله للناس وقصاصه لهم فى هذه الحياة ؟ وهل نقى أكوام القمح فى أجرانها ؟ وهل أحرق التبن بنار لا تطفأ وجمع القمح الي مخزنه ؟

أما أنه عمد بالروح القدس فلم يحدث ، بل عمد بالماء كما عمد يوحنا ، ولم يزد عن فعل المعمدان فى المعمودية بأي حال من الأحوال . يقول يوحنا كاتب الانجيل : « جاء يسوع وتلاميذه الي أرض اليهودية ، ومكث معهم هناك وكان يعمد ، وكان يوحنا أيضا يعمد فى عين نون بقرب ساليم ، لأنه كان هناك مياه كثيرة » (٣ : ٢٢ — ٢٣) وجاء فى سفر أعمال الرسل : أن بولس لما زار مدينة « أفسس » وجد فيها تلاميذ ، فسألهم : « هل قبلتم الروح القدس لما آمنتم ؟ قالوا له : ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس . فقال لهم : فبماذا اعتمدتم ؟ فقالوا له : بمعمودية يوحنا » (١٩ : ٢ — ٤) وهذا يدل على أنه بعد صعود عيسى الى السماء بمدة طويلة ، لم يكن الناس يعرفون التعميد بالروح القدس . وقول المعمدان « ونار » هو اشارة الى أن النبى المنتظر الذى سيأتى من بعده سيأتى بقوة عظيمة ، ليبيد الفجار ولينتقم من الأشرار ولينصف المظلومين وليمكن للحق وللعدل فى أرض الله بسيفه ورمحه . وما حدث شىء من ذلك مع عيسى عليه السلام .

ومما يؤكد أن النبى الذى أشار اليه المعمدان لم يأت بعد : أن الأناجيل لم تنف وجود نبى بعد عيسى عليه السلام فقد قال متى على لسانه : « من يقبل نبيا باسم نبى ، فأجر نبى يأخذ ، ومن يقبل بارا باسم بار ، فأجر بار يأخذ » (١٠ : ٤١) فلو كان المعلوم عدم أنبياء من بعد عيسى عليه السلام لما كان هناك من داع الى قول هذه العبارة أو شبهها .

---

(٢) ص ٣٨ جـ ١ الكنز الجليل فى تفسير الانجيل .م

وقال أيضا : « احترزوا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ، ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة من ثمارهم تعرفونهم . هل يجنون من الشوك عنبا ، أو من الحسك تينا ؟ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثمارا جيدة . وأما الشجرة الردية فتصنع أثمارا ردية . لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثمارا ردية ، ولا شجرة ردية أن تصنع أثمارا جيدة ، كل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا ، تقطع وتلقى فى النار. فاذا من ثمارهم تعرفونهم » (٧ : ١٥ — ٢٠) وهذا القول ينص على الاحتراز من صنف واحد من الأنبياء ، وليس من كل الاصناف . ينص على الاحتراز من الكذبة وليس من الصادقين . وقد وضح هذا القول : طريقة التمييز بين الصادق والكاذب من الأنبياء بعبارة : (من ثمارهم تعرفونهم) واذا تدبرنا ما جاء به نبى الاسلام ﷺ لوجدناه يدعو الى مكارم الأخلاق ، والبعد عن الدنايا وسفاسف الأمور ، وانه جاء بتشريع سام مجيد ، لا يستطيع البشر أن يأتوا بمثله . وها قد مرت مئات من السنين ولم يظهر فيها ما ينقضه أو يغض من شأنه . وقد شهد له الأصدقاء والأعداء على حد سواء . وظل سلطان الاسلام عزيز الجانب الى يومنا هذا . ولو كان نبى الاسلام من الأنبياء الكذبة ، لعفا الزمن على دعوته كما عفى على الكاذبين .

ثانيا : وفى عبارات لوقا : تجد زيادات عما أورده متى :

١ — فهو يوضح التاريخ الذى بدأ فيه المعمدان بالخدمة ، وهو : « فى السنة الخامسة عشرة من سلطنة طيباريوس قيصر ... » ثالث الاثنى عشر قيصرا . كما جاء فى تفسير متى هنرى (٣)

٢ — وهو يوضح أن يوحنا المعمدان هو ابن نبى الله زكريا عليه السلام بقوله : « كانت كلمة الله على يوحنا ابن زكريا فى البرية »

٣ — ولوقا يذكر عبارات من وعظ يوحنا المعمدان ، لم يذكرها أحد

---

(٣) ص ١٣٣ جـ ١ تفسير لوقا .

غيره ، فانه لما قال للجموع : « والآن قد وضعت الفأس على اصل الشجر ... سأله الجموع قائلين : فماذا نفعل ؟ فأجاب وقال لهم : من له ثوبان فليعط من ليس له . ومن له طعام فليفعل هكذا . وجاء عشارون أيضا ليعتمدوا فقالوا له : يا معلم . ماذا نفعل نحن ؟ فقال لهم لا تستوفوا أكثر مما فرض لكم . وسأله جنديون أيضا قائلين : وماذا نفعل نحن ؟ فقال لهم : لا تظلموا أحدا ولا تشوا بأحد ، واكتفوا بعلائفكم »

والعشارون : هم جباة الضرائب من اليهود لصالح الرومانيين المحتلين . والجنود : هم رجال الشرطة الذين يقومون بواجب الأمن العام . والمعنى أن يؤثر الأغنياء الفقراء بأموالهم . وعلى جباة الضرائب أن لا يستغلوا وظيفتهم فى ابتزاز أموال الناس ، بل يجمعوا كما حدد القانون . والجنود لا يظلمون أحدا ولا يشهدوا زورا .

وهذه العظات البالغة من المعمدان ، نجد لها شبيها فى عظات عيسى عليه السلام . مثل قوله : « فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم ، افعلوا هكذا أنتم أيضا بهم . لأن هذا هو الناموس والأنبياء » (متى ٦ : ١٢) . مما يؤكد قولنا : ان دعوتهما واحدة .

٤ — يوضح لوقا : أن الشعب اليهودى لما سمع بدعوة المعمدان ، ظن أنه المسيح الآتى الى العالم . وهذا معناه : أن اليهود حتى زمن المعمدان كانوا ينتظرون هذا النبى . وقد سارع المعمدان فنفى عن نفسه أنه المسيح الآتى الى العالم ، أمام الجموع ، كما نفى أمام الكهنة واللاويين لما سألوه : « المسيح أنت ؟ فأجاب : لا » وبين أن المسيح سوف يأتى بعده فى قوله : « واذ كان الشعب ينتظر والجموع يفكرون فى قلوبهم عن يوحنا لعله المسيح ؟ أجاب يوحنا الجميع قائلا : أنا أعمدكم بماء ، ولكن يأتى من هو أقوى منى ... » وعيسى عليه السلام قد نفى عن نفسه أيضا : أنه المسيح الآتى الى العالم ، وانتهر تلاميذه كى لا يقولوا لأحد عنه ففى انجيل مرقس : « فقال لهم : وأنتم من تقولون : انى أنا ؟

فأجاب بطرس وقال له : أنت المسيح . فانتهرهم كى لا يقولوا لأحد عنه »
(مر ٨ : ٢٩ — ٣٠)

ثالثا : وفى عبارات يوحنا : نجد منها ما هو متفق فى المعنى مع الأناجيل الثلاثة ، ومنها ما هو جديد . فهو متفق معهم فى أن يوحنا المعمدان ليس هو المسيح المنتظر وفى أن المعمدان هو الذى تنبأ عنه أشعياء ليمهد الطريق لرسول الرب الذى هو المسيا .

والجديد عنده :

١ — الشهادة التى شهدها المعمدان عن نفسه بأنه ليس هو المسيح وليس النبى وليس ايلياء .

٢ — ذكره أن المعمدان كان يقصد بالرجل الذى يأتى من بعده عيسى عليه السلام .

وقبل أن نذكر شيئا عن زيادته نقول : ان انجيل يوحنا كتب فى البدء كسائر الأناجيل الصحيحة التى تعنى بالحقائق ولا تأخذها فى الله لومة لائم . ولانجيله أهمية عظيمة عند النصارى الأوائل لقرابته القريبة من عيسى عليه السلام فهو ابن خالته ، وسكن كثيرا فى « أورشليم » يقول الدكتور فردريك . فارار : (ورد فى بعض التقاليد : أن يعقوب ويوحنا الصغير ويهوذا ومتى كانوا أولاد خئوولته) ويقول : (وذكر يوحنا عرضا فى انجيله أنه كان (معروفا عند رئيس الكهنة) ولقد أسلفت الفكرة غير البعيدة الاحتمال : انه سكن كثيرا فى أورشليم) ويقول : (وجاء فى التقليد : أن يوحنا لبس فى أفسس الاكليل الذى يلبسه من هو من سبط الكهنوت على العمامة (خر ٢٨ : ٣٦) و (٢٩ : ٦) (٤) ولما قامت الحملة العنيفة من اليهود بقيادة بولس لتشويه النصرانية ، لم يستطيعوا أن يمحو انجيل يوحنا ، لاشتهاره عند النصارى وتداوله فى أيديهم . ولذلك لجأوا الى طريقتين : الطريقة الأولى : حشر بعض العبارات داخل الانجيل للبس الحق بالباطل ، والطريقة الثانية : ترك

(٤) ص ٢٢٩ حياة المسيح

العبارات الأصلية كما هى فى يوحنا أو غيره ، وعمل رسائل تفسيرية تتمشى مع المبادىء التى ابتدعوها ، وذلك لايهام الناس أن قصد عيسى عليه السلام هو هذا المبتدع . وبمرور الزمن يصبح كلاما مقدسا . ومثال ذلك فى الطريقة الأولى : أن الاناجيل الثلاثة متى ومرقس ولوقا ، اتفقت شهادتهم على أن المعمدان لم يصرح بأنه قصد عيسى بشهادته ، واتفقوا على أن عيسى لم يعترف أنه هو المسيح المنتظر . فعمد المحرفون الى انجيل يوحنا ليقولوا فيه : ان شهادة المعمدان هى عن عيسى عليه السلام ، وأنه هو المسيح وكتبوا فيه من عندهم : (هذا هو الذى قلت عنه يأتى بعدى) مع أن شهادة الثلاثة أقوى من الواحد ، والأوصاف غير منطبقة . ومثال ذلك فى الطريقة الثانية : ما جاء فى يوحنا : أن اسم النبى ﷺ هو (بيركليتوس) ولاشتهار هذا لدى الناس ولا يجرؤ على محوه أحد من الانجيل لاشتهاره ، لجأوا الى كتابة سفر أعمال الرسل ، وفى الأصحاح الثانى منه فسروا (بيركليتوس) بالروح القدس الأقنوم الثالث الالهى فى الثالوث المقدس .

***

وشهادة المعمدان عن نفسه كما يرويها يوحنا الانجيلى هى : أن اليهود من أورشليم أرسلوا كهنة ولاويين ليسألوا المعمدان حين ذاع خبر نبوته :

١ ـــ المسيح أنت ؟ ٢ ـــ ايلياء أنت ؟ ٣ ـــ ألنبى أنت ؟

وقال المعمدان بصراحة : لست المسيح ، ولا ايلياء ولا النبى . وكان المرسلون من طائفة الفريسيين ، وهم طائفة دينية تدعى الغيرة على الشريعة اليهودية . فمن هو المسيح الذى سأل عنه الفريسيون ؟ ومن هو ايلياء ؟ ومن هو النبى ؟

١ ـــ أما المسيح (٥) فقد بينا من قبل أنه هو « المسيا » وانه هو

---

(٥) قال مفسرو التوراة من النصارى : ان قول موسى فى سفر التثنية « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك من اخوتك مثلى . له تسمعون » هذا النبى هو المسيا الذى تفسيره المسيح (انظر : السنن القويم وانظر المسيح فى جميع الكتب لهودجكن . وانظر يسوع المسيح فى ناسوته والوهيته للدكتور هانى رزق)

النبى وان لم يكن النص موضوعا للبس الحق بالباطل ، فان اليهود قد سألوا للتأكيد عنه ، باللفظ الموجود فى التوراة (النبى أنت ؟) وسألوا بما أصبح متعارفا ومشتهرا عنه ، للهفتهم على معرفة الحقيقة (المسيح أنت ؟) فالنبى هو المسيح ، والمسيح هو النبى .

٢ — والنبى : الذى كان ينتظره اليهود هو الذى أشار اليه موسى بقوله : « يقيم لك الرب الهك نبيا من وسطك ، من اخوتك ، مثلى . له تسمعون » (التثنية ١٨ : ١٥) — وهو نفسه المسيا الذى تفسيره المسيح — و (نبيا) نكرة . ولما سألوا المعمدان سألوا بقولهم : النبى أنت ؟ بلفظ الألف واللام المفيدان للعهد الذكرى . ودل سؤالهم على تخصيص النكرة . مثل قوله تعالى : « كما أرسلنا الى فرعون رسولا ، فعصى فرعون الرسول » (المزمل ١٥ — ١٦)

واذا قلبنا صفحات التاريخ لم نجد كتابا مقدسا ، غير القرآن أشار الى تحقيق النبوءة فى شخص امرىء ما . والواقع يؤيد قول النبى ﷺ بأنه هو الذى كتب عنه موسى ، وبشر به عيسى وبأنه هو المماثل لموسى عليه السلام . كما يقول أستاذنا الدكتور محمد أبو شهبة : **« فقد كان موسى عليه السلام صاحب شريعة مستقلة ، وليس بين الأنبياء الاسرائيليين نبى جاء قومه بشريعة جديدة . ومن هنا كان النبى محمدا بوصفه النبى الوحيد الذى أعطى شريعة ، هو وحده النبى الذى هو مثل موسى » (٦)**

وانكار المعمدان أنه هو ذلك النبى ، وقد كان معاصرا لعيسى عليه السلام ، وعدم تصريح عيسى بأنه هو ذلك النبى . دليل على أن هذا النبى ما كان قد أتى قبلهما ، ولسوف يأتى من بعدهما .

٣ — وأما ايلياء فهو نبى عظيم من أنبياء اليهود ، واسمه فى القرآن الكريم « الياس » وقد ورد ذكره فى توراة يهود أورشليم . وينكر نبوته يهود السامرة . ويعتقد اليهود أنه صعد الى السماء بروحه ، وسوفه

---

(٦) ص ٢٥٦ جـ ١ السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة .

ينزل ثانية الى الأرض . ومن مميزاته عند النصارى : أن روحه قد تلبس جسد شخص يولد جديدا ، على طريقة تناسخ الأرواح Metempsychosis أو العودة الى التجسد Reincarnation . وأياما كان فهم عوام اليهود واعتقادهم فى ايلياء – كما يحكى كتاب الأناجيل – فقد سألوا المعمدان : هل هو ايلياء وقد نزل من السماء ؟ أم أن المعمدان تقمص روح ايلياء ، وكانت اجابة المعمدان نفيا محضا . لا هو ايلياء نفسه ولا هو قد جاء بروح ايلياء يقول متى هنرى : « كان اليهود يتوقعون أن يعود ايلياء شخصيا من السماء ، ويعيش بينهم ، وكانوا يمنون أنفسهم بآمال كبيرة من هذا .. اذ سمعوا عن صفات يوحنا وتعاليمه ومعموديته ، ولاحظوا أنه ظهر كأنه هبط من السماء ، فى نفس الأرجاء التى صعد منها ايلياء الى السماء ، فلم يكن أمرا مستغربا أن يعتقدوا بأنه هو ايلياء أما هو فقد أنكر معتقدا بأنه لا يستحق هذا الشرف أيضا » (٧)

هذا هو اعتقاد النصارى فى « ايلياء » يقولون : ان ايلياء الحقيقى كان فى نحو سنة تسعمائة ق.م. وأن المعمدان جاء بروح ايلياء الحقيقى ، ليمهد الطريق لعيسى عليه السلام . وينفى اعتقادهم وينقضه أ – قول يوحنا المعمدان : انه ليس بايلياء فى الاصحاح الأول من انجيل يوحنا . وهو « فسألوه : اذن ماذا ؟ ايلياء أنت ؟ فقال : لست أنا » ب – وقول عيسى عليه السلام : « وان أردتم أن تقبلوا ، فهذا هو ايلياء المزمع أن يأتى » (متى : ١٤)

***

اذن من هو ايلياء المزمع أن يأتى ايلياء الذى سألو عنه المعمدان . وقال : لست أنا اياه ؟ من هو ؟ انه هو النبى محمد ﷺ وبيان ذلك :

---

(٧) ص ٥٤ ج ١ تفسير انجيل يوحنا .

واعلم أن تناسخ الأرواح هو انتقال روح الانسان الى جسد آخر بعد الموت . للتنعم أو للعذاب .

والعودة الى التجسد هى أن يموت انسان من قبل أن يتمم رسالته ، فيعود بعد الموت فى شخص انسان جديد اذا أراد الله . والتناسخ والعودة الى التجسد ليسا من أصول الدين الاسلامى .

١ ــ ان موسى عليه السلام لما أخبر عنه في سفر التثنية بقوله : « يقيم لك الرب الهك نبيا ... الخ » صار معلوما لبنى اسرائيل أن نبيا سيأتى من بعد موسى عليه السلام .

٢ ــ ولأن من عادة بنى اسرائيل اطلاق لقب « مسيا » ــ الذى تفسيره المسيح ــ على كل نبى أو عالم أو ملك ، أطلقوا على هذا النبى الآتى ، لقب « المسيح » فصار النبى هو نفسه المسيح .

٣ ــ وقد حذف (٨) علماء بنى اسرائيل اسم محمد ﷺ ، من كتاب موسى عليه السلام . ووضعوا بدل « محمد » أ ــ بماد ماد ٢ ــ لجوى جدول . فى سياق بركة اسماعيل ، لتدل « بماد ماد » على اسم « محمد » بحساب الجمل ، ولتدل عليه أيضا « لجوى جدول » .

٤ ــ وفى سفر ملاخى ــ وهو آخر مقدس فى التوراة العبرانية بيد البروتستانت ــ جاء فى آخره هذا النص : « اذكروا شريعة موسى عبدى ، التى أمرته بها فى حوريب . على كل اسرائيل الفرائض والأحكام . ها انذا أرسل اليكم ايلياء النبى ، قبل مجىء يوم الرب اليوم العظيم والمخوف . فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الأبناء على آبائهم ، لئلا آتى وأضرب الأرض بلعن » (ملا ٤ : ٤ : ٦) ومن هذا النص يتبين مجىء ايلياء قبل مجىء يوم الرب ، الذى هو يوم القيامة . وعيسى عليه السلام قال بصريح العبارة ان أردتم ان تقبلوا نبيا غير موسى لتعملوا بشريعته . فان ايلياء مزمع أن يأتى فاقبلوه وعلى قول عيسى هذا ، يتبين أن ايلياء الذى تنبأ عنه ملاخى ، لم يكن قد جاء قبل عيسى عليه السلام وليس هو عيسى وليس هو يحيى ــ باعترافهما ــ فمن هو ايلياء ؟

---

(٨) فى آخر الجزء الأول من التلمود ، للدكتور شمعون مويال . مانصه: « ولأجل فهم المقصود من لفظة « الحسابات » التى وضحناها ترجمة للفظة « جيما طريات » الواردة فى الأصل ، نقول : ان علماء التلمود قد كلفوا منذ الأزل بتطبيق حركاتهم وسكناتهم وأفكارهم على أحكام التوراة . فان لم يجدوا لأى شىء من شئونهم الحيوية دليلا صريحا من التوراة أو من اقوال السلف ، فهم يتوسلون بما يسمونه « ريميز » أى ابرز ، وبما يسمونه « هيفيش » أى تقارب الألفاظ ، وبما يسمونه « جيما طريا » اى حساب الجمل » أ. هـ.

ان ايلياء هو رمز لاسم « احمد » بحساب الجمل . و « أحمد » هو اسم النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى فى سفر التثنية ، والذى لقبه بنو اسرائيل بلقب « المسيا » . وقد شاع بين عوام اليهود لتضليل علماء بنى اسرائيل فى حقيقة المسيا ، أن النبى غير المسيح ، وهما غير ايلياء . ولذلك سألوا عن الثلاثة . وفى نظرنا أن الثلاثة لواحد ، وهو نبى الاسلام ﷺ .

٥ ـ وحساب أحمد : الألف بواحد ، والحاء بثمانية ، والميم بأربعين ، والدال بأربعة . فالمجموع : ثلاث وخمسون . وحساب ايلياء هكذا : الألف بواحد ، والياء بعشرة ، واللام بثلاثين ، والياء بعشرة ، والألف بواحد ، والهمزة بواحد . فالمجموع : ثلاث وخمسون .

٦ ـ وفى انجيل يوحنا ان « بيركليت » هو اسم « أحمد » ﷺ . وهو اسم موافق لاسم ايلياء بحساب الجمل . وقد نطق به عيسى عليه السلام ليفسر به قول ملاخى .

***

٧ ـ وفى انجيل لوقا اسم أحمد . وهذا هو البيان :

قبل أن يولد عيسى ببضعة أشهر ، توجهت به أمه بصحبة « يوسف » الى « بيت لحم » ليسجلا اسميهما فى تعداد السكان الذى أمر به «أوغسطس» قيصر الامبراطورية الرومانية ، وفى بيت لحم نزلا فى منزل خاص بالرعاة . فولدت ابنها وعندئذ جاء نفر من الملائكة يسبحون الله ، ويبشرون الأخيار بسلام وتبدى منهم ملاك للرعاة الذين ارتاعوا من منظر الملائكة وبشرهم بولادة عيسى وبينما هو يبشرهم جاءت ملائكة أخرى غير الأولين يسبحون الله أيضا ، ويبشرون الأخيار بسلام .

يقول برنابا : « جاء جوق غفير من الملائكة الى المنزل . بطرب يسبحون الله ويذيعون بشرى السلام لخائفى الله ، وحمدت مريم ويوسف الله على ولادة يسوع وقاما على تربيته بأعظم سرور ، كان الرعاة فى ذلك الوقت يحرسون قطيعهم على عادتهم ، واذا بنور متألق قد أحاط بهم ، وخرج من خلاله ملاك سبح الله ، فارتاع الرعاة بسبب النور الفجائى وظهور الملاك

فسكن روعهم ملاك الرب قائلا : ها أنذا أبشركم بفرح عظيم ، لأنه قد ولد فى مدينة داود طفل نبى للرب ، الذى سيحوز لبيت اسرائيل خلاصا عظيما ، وتجدون الطفل فى المذود مع أمه التى تسبح الله ، واذ قال هذا حضر جوق عظيم من الملائكة يسبحون الله ويبشرون الأخيار بســـلام » (بر ۳ : ١٤ ـــ ١٥ ، ٤ : ١ ـــ ٩)

البيان : عبارة « ويبشرون الأخيار بسلام » هى التى تفيد البشارة بمجىء رسول السلام ، وهو نبى الاسلام ﷺ ، وقد ذكر لوقا المعترف بانجيله خبر الملائكة والرعاة هكذا « وكان فى تلك الكورة رعاة متبدين يحرسون حراسات الليل على رعيتهم ، واذا ملاك الرب وقف بهم ، ومجد الرب أضاء حولهم فخافوا خوفا عظيما ، فقال لهم الملاك : لا تخافوا . فها أنا أبشركم بفرح عظيم يكون لجميع الشعب ... وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين المجد لله فى الأعالى وعلى الأرض السلام وبالناس المسرة » (لو ٢ : ٨ ـــ ١٤) وترجمة الكاثوليك هكذا « وظهر بغتة مع الملاك جمهور من الجند السماويين يسبحون الله ويقولون : المجد لله فى العلى ، وعلى الأرض السلام للناس الذين بهم المسرة »

والسؤال الآن : من هم الأخيار المبشرون بالسلام ؟ أو من هم الناس الذين بهم المسرة ؟ جاء فى كتاب الانجيل والصليب للاستاذ عبد الأحد داود أن صحة الترجمة هكذا « الحمد لله فى الأعالى ، على الارض سلامة ، فى الناس حســـن رضا » ويقول : ان الملائكة لم يتكلموا باللغة العربية ، بل تكلموا باللغة السريانية لغة الرعاة والكلمتين السريانيتين اللتين نطق بهما الرعاة هما « ايرينى ـــ وأيادوكيا » ومعنى « ايرينى » الاســـلام ، « أيادوكيا » افعل التفضيل من الحمد ، أى أكثر الحمد ، أو أحمد والمعنى العام كما يراه هو :

« الحمد لله فى الاعالى ، أوشك أن يجيىء الاسلام للارض ، يقدمه

للناس أحمد » ويقول : لو كان المقصود بكلمة سلام : الأمن وعدم الحرب لاستعملت كلمة « شلم » السريانية « أو شالوم » العبرانية (٩)

موطن التحريف فى كلام يوحنا :

١ ـ عبارة : « وفى الغد نظر يوحنا يسوع مقبلا اليه ، فقال : هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » ومعناها : أن آدم عليه السلام أخطأ ، فطرده الله من الجنة . وظل أولاده يتوارثون الخطية جيلا بعد جيل . وكل من مات من بنى آدم سواء كان صالحا أو طالحا ، بارا أو شريرا ، يدخل النار ، حتى جاء عيسى عليه السلام فقتل وصلب ، تكفيرا عن خطية آدم وذريته . يقول حبيب جرجس : « أن خطية آدم عمت جميع نسله وعادت بالويل والشقاء على سائر الجنس البشرى ، وصار محكوما عليهم بأن يولدوا اثمة وعبيدا للخطية والموت ... ولما فسد الجنس البشرى وصار الناس مستعبدين للخطيئة . وأبناء المعصية والغضب لم يتركهم الله يهلكون بانغماسهم فيها ، بل شاء بمجرد رحمته أن ينقذنا من الهلاك بواسطة فاد يفدينا من حكم الموت . وهذا الفادى ليس انسانا ولا ملاكا ولا خليقة أخرى ، بل هو مخلصنا وفادينا ابن الله الوحيد ربنا يسوع المسيح » (١٠)

وهذه العبارة باطلة ، وهذا الكلام باطل ، بمثل قول التوراة : « لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء . كل انسان بخطيته يقتل » (تث ٢٤ : ١٦)

٢ ـ عبارة : « وشهد يوحنا قائلا : انى قد رأيت الروح نازلا مثل حمامة من السماء ، فاستقر عليه » ينتضها : اعتقاد الأرثوذكس فى حقيقة عيسى عليه السلام اذ أنهم يعتقدون أنه هو الاله وقد نزل من السماء وتجسد

---

(٩) انظر هذا البحث فى الانجيل والصليب ص ٣٣ ـ ٦١ للأستاذ عبد الأحد داود الآشورى العراقى .

(١٠) ص ٦٣ ـ ٦٦ خلاصة الأصول الايمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الارثوذكسية .

فى شخص عيسى . ورؤية الروح تثبت الها ثانيا مستقلا عن الاله الأول . وينقضها أيضا : نفى عيسى نفسه أنه هو « المسيا »

٣ ـــ عبارة : « وأنا لم أكن أعرفه » تنقضها صلة القرابة بين يوحنا المعمدان وعيسى عليهما السلام وينقضها قوله : « يأتى بعدى من هو أقوى منى » وينقضها أيضا : أنه أرسل الى عيسى تلميذان من تلاميذه ليسألاه : أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟

٤ ـــ ومما يؤكد التحريف : قوله : « وأنا قد رأيت وشهدت : أن هذا هو ابن الله » ان كان القصد من هذه العبارة اثبات ألوهية عيسى ـــ عليه السلام ـــ فقد وجد فى العصر الحديث من النصارى من ينكر ألوهية عيسى كما أنكر القدماء ، يقول متى هنرى : أن « أتباع فوستُرس ســوسينوس (١٥٣٩ ـــ ١٦٠٤م) مؤسس شيعة ظهرت فى « بولاندا » تنكر لاهوت المسيح ، وكفارته ، وحرفية كلام الوحى » (١١)

وان كان القصد الحقيقى منها اثبات أن عيسى عليه السلام هـــو المسيا المعبر عنه فى كلام داود عليه السلام بهذا التعبير : « انى أخبر من جهة قضاء الرب قال لى : أنت ابنى أنا اليوم ولدتك ، أسألنى فأعطيك الأمم ميراثا لك وأقاصى الارض ملكا لك ، تحطمهم بقضيب من حديد » (مزمور ٢ : ٧ ـــ ٩) والمعنى : قال الله عن المسيا : أنت ابنى بمعنى انك قريب منى ومحبب الى ، فقد سبق أن بينا : أن هذا التعبير خاص بنبى الاسلام ﷺ .

***

وعند هذا الحد من الكلام ، نختم النبوءات التى أوردناها فى هذه الرسالة ، بالنبوءة التى ختم بها زبوره داود عليه السلام عن نبى الاسلام ﷺ .

وهذا هو نصها فى ترجمة اليسوعيين : « ١ ـــ اللهم اجعل أحكامك للملك ، **وعدلك لابن الملك** ٢ ـــ فيحكم لشعبك بالعدل ولبائسيك بالانصاف ٣ ـــ تثمر الجبال سلاما للشـــعب ، والتلال برا ٤ ـــ يقضى لبائسى الشعب ، ويخلص بنى المساكين ، ويحطم الجائر ٥ ـــ فيخشونك مادامت

---

(١١) ص ٣٠ ج ١ تفسير انجيل يوحنا ـــ متى هنرى .

الشمس والقمر الى جيل الأجيال ٦ — ينزل كالمطر على الجزة ، كالغيوث التى تسقى الأرض ٧ — ينبت فى أيامه الصديق وكثرة السلام الى أن يضمحل القمر ٨ — **ويملك من البحر الى البحر ، ومن النهر الى اقاصى الأرض** ٩ — أمامه يجثو أهل البادية وأعداؤه يلحسون التراب ١٠ — ملوك ترشيش والجزائر يحملون اليه الهدايا . ملوك شبأ وسبأ يقربون له العطايا ١١ — ويسجد له جميع الملوك وتتعبد له كل الأمم ١٢ — لانه ينقذ المسكين المستغيث والبائس الذى لا ناصر له ١٣ — يرثى للكسير والمسكين ويخلص نفوس المساكين ١٤ — من الظلم والغصب يفتدى نفوسهم ، ويكون دمهم فى عينيه ثمينا ١٥ — فيحيون ويؤدون اليه من ذهب شبأ ، **ويدعون له كل حين النهار كله يباركونه** ١٦ — يكون للبر توافر فى الأرض ، غلته فى رؤوس الجبال تتموج كلبنان ، ويزهر أهل المدن مثل عشب الأرض ١٧ — **يكون اسمه الى الأبد . مادامت الشمس ينمو اسمه ، ويتبارك فيه جميع قبائل الارض ، وتغبطه كل الامم** ١٨ — تبارك الرب اله اسرائيل ، الصانع المعجزات وحده ١٩ — وتبارك اسم مجده الى الابد ، ولتمتلىء الارض كلها من مجده . آمين ثم آمين » أ.هـ

---

(١) يقول اليسوعيون فى التعليق على هذا الزبور — وهو الحادى والسبعون فى ترجمتهم — ما نصه : « فى هذا المزمور تنويه بملكوت المسيح ومدته التى ستكون أبدية (٥) ومداه الذى لا ينحصر ضمن حد (١١) فليس فى شىء من ملك سليمان ، وان كان هو المشار اليه فى الظاهر ، لان ملكه كان مثالا للملك المسيح » أ.هـ وقد سبقت الردود عليهم

واعلم : انه ليس فى التوراة ، ولا فى اسفار الانبياء ، أية نبوءات عن عيسى عليه السلام . وكل نبوءة تدل على النبى المنتظر ، يقول النصارى فيها : انها تنطبق على عيسى عليه السلام ، فانها لا تنطبق عليه . وانما تنطبق على محمد ﷺ وذلك لان اليهود أطلقوا على النبى المنتظر لقب « المسيا . الذى تفسيره المسيح » وجمعوا كل النبوءات عليه فى مكان واحد . وقالوا : نحى فى انتظاره ولما ادعى النصارى أن عيسى عليه السلام هو « المسيا . الذى تفسيره المسيح » طبقوا كل النبوءات عليه ليقولوا : انه خاتم النبيين . وقد رأينا أنها لا تنطبق ، ورأينا أن المسيا فى نظرهم هو محمد ﷺ وبينا : أن عيسى عليه السلام مسيح . ولكن ليس هو المسيح (انظر : كتابنا المسيا المنتظر) .

الخاتمة والتوصية

اولا : الخــاتمة :

أ ــ خلاصة ما بيناه فى بركة اسماعيل عليه السلام :

أن الله سمع دعاء ابراهيم عليه السلام فى أن يكون فى ذرية اسماعيل عليه السلام ملك ونبوة . كما وعده بالملك والنبوة فى ذرية اسحق عليه السلام . وفى التوراة نبوءات عن الملك والنبوة فى اسماعيل أكثر من النبوءات التى فيها عن اسحق ـــ الذى خصصت بركته فى يعقوب الملقب باسرائيل عليه السلام ـــ ومن هذه النبوءات :

١ ـــ « وأما اسماعيل فقد سمعت لك فيه . **ها أنا أباركه** . **وأثمره** . واكثره . **كثيرا جدا** . اثنى عشر رئيسا يلد وأجعله **أمة كبيرة** » (تك ١٧ : ٢٠) وقد قال علماء من بنى اسرائيل ان « كثيرا جدا » تترجم فى العبرانية « بماد ماد » و « بماد ماد » بحساب الجمل = ٩٢ ومحمد = ٩٢ فيكون مرموزا لمحمد فى سياق بركة اسماعيل باسمه ، وقالوا : ان « أمــة كبيرة » تترجم فى العبرانية « لجوى جدول » وحسابها كحساب « بماد ماد » واذا كانت البركة عن اسحق فى قوله عن والدته سارة : «وأباركها » (تك ١٧ : ١٦) تعنى الملك والنبوة ، وقد جاء من نسله النبى موسى عليه السلام لتبدأ به بركة اسحق ، فان قوله عن اسماعيل « ها أنا أباركه » يعنى الملك والنبوة ، وقد جاء من نسله النبى محمد عليه السلام لتبدأ به بركة اسماعيل .

٢ ـــ « وقال لها ملاك الرب : ها أنت حبلى ، فتلدين ابنا . وتدعين اسمه اسماعيل ، لأن الرب قد سمع لمذلتك ، وانه يكون انسانا وحشيا . **يده على كل واحد ويد كل واحد عليه** » (تك ١٦ : ١١ ـــ ١٢) ومعلوم : أن

بنى اسماعيل لم يكونوا ممازجين للأمم ولا مخالطين لهم الا بالاسلام . اما بنو اسرائيل فقد جعل الله فيهم أنبياء وجعلهم ملوكا ، وآتاهم ما لم يؤت احدا من العالمين ، وورثهم الله مشارق الأرض ومغاربها ، ارث ديانة لنشر التوراة بين الأمم ، وتمت كلمته على بنى اسرائيل بما صبروا (١) . وظل ذلك قائما الى أن جاء محمد عليه السلام فنسخ شريعتهم وأزال ملكهم .

وبينا : أن كاتب التوراة قد وضع العهد المبرم بين الله وبين ابراهيم فى ولديه اسماعيل واسحق ، بصيغة تحتمل معنيين عن اسماعيل عليه السلام . اما أنه عهد الختان واما أنه عهد النبوة ، على طريقة تحريف الكلم من بعد مواضعه . ثم كتب أن اسماعيل قد اختتن (تك ١٧ : ٢٥ ــ ٢٦) وكتب أن لاسماعيل بركة (تك ١٧ : ٢٠) وقد رددنا بأنه اذا كان العهد فى اسماعيل هو عهد الختان ، فان اسماعيل داخل فيه للنص على أنه قد ختن بالفعل . ويكون العهد لاسحق مثله . ويخرج بذلك اسحق عن عهد النبوة ــ وهم لا يقولون بذلك ــ وأنه اذا كان العهد على الملك والنبوة لاسحق مأخوذ من نص البركة فى ذريته ، فان لاسماعيل ملكا ونبوة ، لتماثل النص على بركة اسماعيل واسحق .

وقد ذكرنا وجهة نظر النصارى فى العهد والبركة . التى تتلخص فى أنهما ليسا فى نسل اسحق من وقت ظهور موسى عليه السلام ، بل من وقت ظهور المسيح عيسى بن مريم عليه السلام فى من يؤمن بدعوته الى يوم القيامة . وقد رددنا عليهم بأن التخصيص فى المؤمنين بالمسيح وحده ، ليس عليه من دليل .

ب ــ وخلاصة ما بيناه فى « شيلون » :

أن يعقوب عليه السلام تنبأ عن زوال الملك ونسخ الشريعة من بنيه

---

(١) سنوضح العموم والخصوص عند موسى وعيسى عليهما السلام فى فصل الدعوات العالمية السماوية من كتابنا : نقد التوراة ــ اسفار موسى الخمسة السامرية والعبرانية واليونانية .

على يد «شيلون» فى آخر أيام بركة اسحق على الأرض . فى قول الكاتب : « لا يزول قضيب من يهوذا ، ومشترع من بين رجليه ، حتى يأتى شيلون . وله يكون خضوع شعوب » (تك ٤٩ : ١٠) ولأنه لا يتم الالزام على أحد من أهل الكتاب الا برواية تاريخ بنى اسرائيل ، ليعلم منه متى زال الملك ؟ ذكرنا مختصرا لتاريخهم من كتبهم وذكرنا وجهة نظر علمائهم التى تتلخص فى أن النص قد يكون نبوءة ، ووجهة نظر علماء النصارى التى تتلخص فى أن شيلون هو المسيح عليه السلام ، ورددنا : بأن الملك قد زال من اليهود من بعد عيسى عليه السلام ، وليس على يده . لقوله : « أعطوا اذا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (لو ٢٠ : ٢٥) وبأن حزقيال تنبأ عن نزع عمامة الكهنوت من بنى اسرائيل ، اشارة الى نسخ الشريعة . وبأن دانيال صرح بزوال الملك من اليهود عقب زوال دولة الروم .

ت ــ وخلاصة ما بيناه فى النبى الأمى :

أن الله تعالى وعد بنى اسرائيل بنبى يأتى فى المستقبل مثل موسى عليه السلام فى هذا النص :

« يقيم لك الرب الهك نبيا ، من بينكم . من اخوتك . مثلى . له تسمعون ، جريا على كل ما سألته الرب الهك فى حوريب ، فى يوم الاجتماع ، قائلا : لا عدت أسمع صوت الرب الهى ، ولا أرى هذه النار العظيمة أيضا ، لئلا أموت .

فقال لى الرب : قد أحسنوا فيما قالوا . أقيم لهم نبيا من بين اخوتهم مثلك ، وأ لقى كلامى فى فيه ، فيخاطبهم بجميع ما آمره به . وأى انسان لم يطع كلامى الذى يتكلم به باسمى ، فانى أحاسبه عليه . وأى نبى تجبر ، فقال باسمى قولا ، لم آمره أن يقوله ، أو تنبأ باسم آلهة أخر ، فليقتل ذلك النبى .

فان قلت فى نفسك : كيف يعرف القول الذى لم يقله الرب ؟ فان تكلم النبى باسم الرب ، ولم يتم كلامه ، ولم يقع . فذلك الكلام ،

لم يتكلم به الرب ، بل لتجبره ، تكلم به النبى . فلا تخافوه » (تث ١٨ : ١٥ — ٢٢ يسوعيين)

وبينا أن هذا النبى الأمى ، هو محمد ﷺ لان لاسماعيل بركة ، ولأن موسى نص على انه لن يأتى هذا النبى المماثل له من بنى اسرائيل ، فى هذا النص : « ولم يقم بعد نبى فى اسرائيل كموسى ، الذى عرفه الرب وجها الى وجه . فى جميع الآيات والمعجزات التى بعثه الرب ليصنعها فى أرض مصر بفرعون وجميع عبيده وجميع أرضه . وفى كل يد قديرة ، وكل مخافة عظيمة صنعها موسى على عيون جميع بنى اسرائيل » (تث ٣٤ : ١٠ — ١٢)

وقد قال اليهود فى هذه النبوءة : انها لنبى سيظهر فيما بعد ، ومن المحتمل أن تكون هذه النبوءة لأى نبى كان فى بنى اسرائيل . وقال النصارى : ان هذه النبوءة تشير الى عيسى عليه السلام . وقد رددنا عليهم وبينا أنها تنطبق على نبى الاسلام ﷺ وانه خاتم النبيين .

ث — وخلاصة ما بيناه فى البركات الثلاث :

أن كاتب التوراة قد قسم البركة بين سيناء وساعير وفاران فى هذا النص : « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : أقبل الرب من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتجلى من جبل فاران . وأتى من ربى القدس وعن يمينه قبس شريعة لهم . انه احب الشعب جميع قديسيه فى يدك ، وهم ساجدون عند قدمك ، يقتبسون من كلماتك . أمرنا موسى بالتوراة ميراثا لجماعة يعقوب » (تك ٣٣ : ١ — ٤) وهو قد أشار بسيناء الى شريعة موسى عليه السلام ، وأشار بسعير الى علماء بنى اسرائيل الهارونيين الذين كانوا ينشرون التوراة ، ويسكنون حول جبل ساعير فى فلسطين . وكان منهم المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الذى آتاه الله النبوة ، وجعله وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين .

وأشار بفاران الى محمد ﷺ لأن اسماعيل المبارك فيه كاسحق أخيه ، كان يسكن فى فاران فى أرض الحجاز . وصرح كاتب التوراة بذلك فى قوله : « وكان الله مع الغلام حتى كبر ، فأقام بالبرية . وكان راميا بالقوس . وأقام ببرية فاران ، واتخذت له أمه ، امرأة من أرض مصر » (تك ٢١ : ٢٠ — ٢١) وبينا : أن النصارى مختلفون حول نص البركات الثلاث ، فمنهم من يقول : انه نبوءة عن المسيا المنتظر ، ومنهم من يقول : انه ليس بنبوءة . وذكرنا فى هذا الفصل كلاما عن المحكم والمتشابه فى لغة التوراة والانجيل ، وبينا كيفية رد المتشابه الى المحكم .

ج — وخلاصة ما بيناه فى تغيير القبلة :

أن الله تعالى لم يجعل لبنى اسرائيل قبلة يتجهون اليها فى الصلاة والحج ، وبين لهم فى التوراة : أن الله له المشرق والمغرب ، وأينما يولون وجوههم ، فثم وجه الله . ففى سفر الخروج : « فى كل الاماكن التى فيها أصنع لاسمى ذكرا ، آتى اليك وأباركك » (خر ٢٠ : ٢٤) وظل بنو اسرائيل على احترام الشريعة فى هذا الأمر الى ما بعد عصر داود عليه السلام بسنوات معدودات . وكان داود عليه السلام قد شرع فى بناء « المسجد الأقصى » ليضع فيه « تابوت العهد » بعدما فتح مدينة « القدس » ذلك لأن التابوت أيام كان بنو اسرائيل فى سيناء ، كان الكهنة يحملونه أمام الجيوش فى الغزو لتسكن نفوسهم وتثق بنصر الله . وما أمر داود أحدا بأن يجعل المسجد الأقصى قبلة — على جهة الالزام — وما أمر ابنه سليمان — الذى اكمل بناءه — وما أمر باتخاذه قبلة أى نبى من أنبياء بنى اسرائيل .

ولما انفصل السامريون عن العبرانيين من بعد موت سليمان عليه السلام ، عظموا جبل جرزيم واتخذوه قبلة ، بغير سند من كتاب موسى الذى ينص على أن الله له المشرق والمغرب .

وكاتب التوراة لما حرفها — وهو يعلم أن العبرانيين قد التزموا

بمكان ، والسامريين قد التزموا بمكان — كتب لهم فى سفر التثنية : انهم اذا دخلوا أرض كنعان ، فسوف يرسل الله لهم ، من يعين لهم مكانا مقدسا .. كتب لهم : « احترز من أن تصعد محرقاتك فى كل مكان تراه ، بل فى المكان الذى يختاره الرب فى أحد أسباطك . هناك تصعد محرقاتك ، وهناك تعمل كل ما أنا أوصيك به » (تث ١٢ : ١٣ — ١٤) ونسى هذا الكاتب : أن موسى سلملهم شريعة كاملة ، وبين أنه لن يظهر نبى مثله مشرع من بنى اسرائيل .

وظل السامريون على قبلتهم ، وظل العبرانيون على قبلتهم ، حتى ظهر المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ، وذهب الى قرى السامرة ليبشر بملكوت السموات . وبينما هو جالس على بئر ليستريح من تعب السفر ، سألته امرأة من يهود السامرة . وقالت له : « آباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وأنتم تقولون : ان فى أورشليم الموضع الذى ينبغى أن يسجد فيه . قال لها يسوع : يا امرأة صدقينى . انه تأتى ساعة لا فى هذا الجبل ، ولا فى أورشليم تسجدون للآب ... ولكن تأتى ساعة وهى الآن حين الساجدون الحقيقيون يسجدون للآب بالروح والحق . لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له » (يو ٤ : ٢٠ —)

وقد رجع البروتستانت الى قبلة موسى — عليه السلام — وظل الارثوذكس والكاثوليك على قبلة العبرانيين الى هذا اليوم . « وما بعضهم بتابع قبلة بعض »

ح — وخلاصة ما بيناه فى المسيا المنتظر :

أن أى نبى أو كاهن أو ملك ، يطلق عليه لقب « مسيا » ومسيا تفسيرها مسيح ، ومعنى الممسوح على الحقيقة : هو الذى يصب الزيت على رأسه ، ومعناها على المجاز : المصطفى من الله لأداء عمل سامى شريف . وقد اطلق بنو اسرائيل على النبى المنتظر لقب « المسيا الرئيس » كما هى عاداتهم مع أنبيائهم وعلمائهم وملوكهم . ولحبهم له

وتشوقهم اليه ، كتبوا عنه بصيغة التعظيم انه أول ذلق الله وخاتم رسل الله .

وقال علماء بنى اسرائيل : ان نصوص نبوءات التوراة وهى :

النص الاول : « أقيم لهم نبيا من بين اخوتهم مثلك ، وألقى كلامى فى فيه ، فيخاطبهم بجميع ما آمره به ... الخ » (تث ١٨)

النص الثانى : « لا يزول صولجان من يهوذا ، ومشترع من صلبه ، حتى يأتى شيلو وتطيعه الشعوب » (تك ٤٩)

النص الثالث : « وهذه هى البركة التى بارك بها موسى رجل الله بنى اسرائيل قبل موته . فقال : أقبل الرب من سيناء ، وأشرقه لهم من سعير ، وتجلى من جبل فاران » (تث ٣٣)

قالوا : ان هذه النصوص هى التى تدل على مجىء النبى المنتظر الملقب بلقب المسيا ، الذى تفسيره المسيح . وهذه النصوص هى التى يستدل بها علماء المسلمين على أن محمدا مكتوب عنه فى التوراة . فيكون المسيا هو محمد رسول الله ﷺ ومن هؤلاء العلماء الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره الكبير فى الآية الأربعين من سورة البقرة ، والامام ابن تيمية فى كتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

❊ ❊ ❊

خ ـ وخلاصة ما بيناه فى المسيح عيسى بن مريم ـ حياته ودعوته :

أنه كان من اليهود العبرانيين ، من سبط لاوى ، وكانت أسرته تقيم مع أسرة يحيى عليه السلام فى مدينة « حبرون » التى هى مدينة الخليل . وكان نبيا على شريعة موسى عليه السلام لم ينسخها ولم يبطلها ، وكان يبشر بمجىء محمد ﷺ .

د ـ وخلاصة ما بيناه فى ملكوت السموات :

أن دانيال النبى قد أنبأ فى الاصحاح الثانى والسابع من سفره بأن ممالك أربعة ستنشأ على الارض هى مملكة بابل وفارس واليونان

والرومان . ثم يأتى « ابن الانسان » ليزيل دولة الرومان ، ويؤسس مملكة لن تنقرض أبدا . وان المسيح عيسى بن مريم عليه السلام هو ويوحنا المعمدان ناديا فى بنى اسرائيل بقولهما : « اقترب ملكوت السموات » وضرب المسيح أمثلة كثيرة لبيان حقيقته . ومنها مثل الأمة الاسلامية المذكور فى القرآن الكريم . وذكرنا وجهة نظر النصارى فى الملكوت ، وفى كل مثل . ورددنا عليهم .

ذ — وخلاصة ما بيناه فى « ابن الانسان » وفى بعض التراجم : « ابن البشر » :

ان المسيح قد ذكر ثلاثة أحاديث عن محمد ﷺ بلقب « ابن الانسان »

الحديث الأول قول المسيح لأتباعه : « انكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان » (مت ١٠ : ٢٣) كناية عن سرعة مجيئه .

والحديث الثانى فى المائدة التى نزلت من السماء . وقال المسيح بعدها : « اعملوا لا للطعام البائد ، بل للطعام الباقى للحياة الأبدية ، الذى يعطيكم ابن الانسان ، لأن هذا الله الآب قد ختمه » (يو ٦:٢٧) كناية عن تقبل الشريعة .

والحديث الثالث فى العلامات التى ذكرها المسيح عن مجىء ابن الانسان (مت ٢٤ : ١ — ٥١ و ٢٥ : ١ — ٤٦) واستشهد المسيح على بعضها بتنبؤ دانيال فى الاصحاح التاسع من سفره عن رجسة الخراب التى ستحل بالقدس فى وقت ظهور ابن الانسان . وهذه العلامات هى : هدم هيكل سليمان — ظهور أنبياء كذبة — قيام حروب بين الامم — حدوث مجاعات وأوبئة وزلازل وبراكين — اضطهاد الامم لتلاميذ المسيح وأتباعه — تحريف الانجيل — انتشار الانجيل فى العالم — حدوث رجسة خراب دانيال . وذكرنا الاوصاف التى وصف بها المسيح ابن الانسان — وهو محمد ﷺ — وهى : سيكون ملكا — أتباعه أطهار كالملائكة — محارب منتصر — صاحب شريعة من السماء — فقير — غريب — مضطهد من الناس . وذكرنا وجهة نظر النصارى فى كل نص ، ورددنا عليهم .

ر — وخلاصة ما بيناه فى مبارك الآتى باسم الرب :

أن داود عليه السلام قال نبوءة فى الزبور المئة والثامن عشر عن النبى المنتظر ، وفيها : « مبارك الآتى باسم الرب » (مز ١١٨ : ٢٦) وأن عيسى عليه السلام بين أن هذه النبوءة لمحمد ﷺ فى الاصحاح الثالث والعشرين من انجيل متى . وذكرنا وجهة نظر النصارى فى هذه النبوءة ورددنا عليهم .

ز — وخلاصة ما بيناه فى بيركليت :

أن « بيركليت » هى اسم « أحمد » ﷺ . وأن النصارى ينطقونها « باراكليت » لئلا تدل على الاسم . وهى تدل — فى نظرهم — على من يأتى من بعد المسيح ليعزى بنى اسرائيل فى ضياع الملك منهم والنبوة . ثم انهم فى سنة ٣٨١م قالوا : ان المعزى هو الاله الثالث فى الثالوث المقدس وقد رددنا عليهم بردود منها : أن بيركليتوس يأتى فى التراجم بزيادة حرف السين فى آخر الكلمة واللغة اليونانية لا تزيد السين الا فى آخر الأسماء . ومنها : أن النص عن الفيرقليط أو البيركليت جاءت فيه أوصاف لا تنطبق الا على محمد ﷺ . ومن كلمات هذا النص : « والكلام الذى تسمعونه ليس لى ، بل للآب الذى أرسلنى . بهذا كلمتكم وأنا عندكم . واما المعزى الروح القدس الذى سيرسله الآب باسمى ، فهو يعلمكم كل شىء ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يو ١٤ : ٢٤ — ٢٦)

س — وخلاصة ما بيناه فى وجاهة بنى اسماعيل :

أن المسيح بن مريم لما وضح لبنى اسرائيل أن النبى الذى أخبر عن مجيئه موسى من بعده فى الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية ، سيكون من بنى اسماعيل عليه السلام . ووضح أنه سيأتى ليزيل دولة الرومان ، ويؤسس ملكوت السموات . ذهب علماء من بنى اسرائيل — نكاية فيه — الى الوالى على اليهود من قبل الرومان ، وأوهموه أن عيسى عليه السلام لا يتنبأ عن نبى من بعده — كما يدعى — بل يعنى نفسه بتنبؤاته . ذلك لانه يزعم أنه هو النبى الملك الذى أخبر عن

مجيئه موسى ، والذى أخبر عن مجيئه دانيال لينهى حكم الرومان فى الأرض. ولهذا الزعم جعل نفسه ملكا على أتباعه ويحرضهم على عدم دفع الجزية وعدم الطاعة للرومان ، وهذا يجرؤ الناس عليهم ، فلا يسمعون لقولهم وعندئذ تضيع هيبتهم وكرامتهم .

ولما أقنعوا الوالى بهذه الوشاية ، طلبه وسأله . ولم يعترف عيسى عليه السلام بأنه هو النبى المنتظر النبى المسيا الذى تفسيره المسيح ، الذى من صفاته أن يزيل دولة الرومان ـــ كما أشاع اليهود عنه ـــ وانما اعترف بأن « ابن الانسان » سوف يأتى من بعده مؤيدا بنصر من الله .

وذلك فى قوله ـــ ساعة المحاكمة ـــ :« وأيضا أقول لكم : من الآن تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا على سحاب السماء » (مت ٢٦ : ٦٤) وقد أصر علماء بنى اسرائيل على قتله ، لقوله أن النبى المنتظر من آل اسماعيل وقالوا : « ماذا نصنع ؟ فان هذا الانسان يعمل آيات كثيرة ان تركناه هكذا يؤمن الجميع به ، فيأتى الرومانيون ويأخذون موضعنا وأمتنا » (يو ١١ : ٤٧ ـــ ٤٨) وكاتب الانجيل حذف كلمة « الاسماعيليون » من النص ، ووضع بدلها « الرومانيون » ونسى أن الرومانيين قد أخذوا موضعهم وأمتهم من قبل ولادة المسيح بثلاث وستين سنة .

ثن ـــ وخلاصة ما بيناه فى يوحنا المعمدان ـــ حياته ودعوته :

أنه قد ولد قبل المسيح عيسى عليه السلام بقليل ، وأنه هو وأبوه والمسيح أيضا ، كانوا على شريعة موسى عليه السلام ، وأنه لم يقتل وانما مات كما يموت الناس . وأنه بشر بمحمد ﷺ :

١ ـــ فقد قال لبنى اسرائيل : « توبوا . لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (مت ٣ : ١)

٢ ـــ « الذى يأتى بعدى هو أقوى منى ، الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار الذى رفشه فى يده . وسينقى بيدره ، ويجمع قمحه الى المخزن . وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » (مت ٣ : ١١ ـــ ١٢)

٣ — وقد شهد المسيح بأن يوحنا نبى عظيم ، ومحمد الذى هو آخر أنبياء الله على الأرض نبى أعظم منه ، فى قوله : « الحق أقول لكم : لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان ، ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه » (مت ١١ : ١١)

٤ — ولما ذاع فى بنى اسرائيل خبر نبوة يحيى عليه السلام ، ارسلوا اليه يسألونه هل هو النبى الذى أخبر عن ظهوره موسى مماثلا له أم ليس هو ؟ فاعترف بأنه ليس هو . ففى انجيل يوحنا : « وهذه هى شهادة يوحنا حين أرسل اليهود من أورشليم كهنة ولاويين ليسألوه : من أنت ؟ فاعترف ولم ينكر وأقر انى لست أنا المسيح . فسألوه اذن ماذا ؟ ايلياء أنت ؟ فقال : لست أنا . ألنبى انت ؟ فأجاب : لا » (يو ١ : ١٩ — ٢١) وبينا : أن برنابا قد ذكر هذه الشهادة من المسيح نفسه ، لا من يوحنا . وبينا : أن النبى هو نفسه المسيح بدليل أن أهل الكتاب يقولون : ان نصوص التوراة التى تدل على النبى المنتظر ، هى نفسها التى تدل على المسيح — وهو المسيا — وأن العلماء لما سألوا ، سألوا بما صار معروفا ومشهورا . فان العلماء من سبى بابل كانوا يلبسون على الناس دينهم . وبينا : أن ايلياء هو نفسه النبى وهو نفسه المسيح ، وأن ملاخى فى آخر سفره قد رمز به الى اسم « أحمد » بحساب الجمل .

ثانيا — التوصية :

ولأن هذا الموضوع نافع فى اقناع الناس بصحة دين الاسلام ، كتب فيه من المسلمين من قبلى كثيرون من أهل العلم ، منهم أبو الحسين البصرى المعتزلى فى كتابه « الغرر » (١) ومنهم الامام فخر الدين الرازى فى تفسيره المسمى بمفاتيح الغيب فى الآية الأربعين من سورة البقرة . ولكن من قبلى لم يكتبوا نصوص النبوءات كاملة ، وتركوا نبوءات كاملة لم يشيروا اليها ، وشرحوا على قدر علمهم . لأن الكتب التفسيرية عند أهل الكتاب لم تكن من الكثرة كما فى هذا الزمان . ولذلك كان الاقناع ناقصا من المسلم،

---

(١) يقال : ان هذا الكتاب مفقود (انظر شرح الاصول الخمسة)

ففخر الدين الرازى يذكر النص على النبى الأمى هكذا : « ان الرب إلهكم يقيم لكم نبيا مثلى . من بينكم ومن اخوانكم » وفى هذا الفصل : أن الرب — تعالى — قال لموسى : « انى مقيم لهم نبيـا مثلك من بين اخوانهم . وأيما رجل لم يسمع كلماتى التى يؤديها عنى ذلك الرجل باسمى ، أنا أنتقم منه » ثم ذكر نبوءة البركات الثلاث وذكر قبلهما نبوءة هاجر ، وهى « وتسمينه اسماعيل من أجل أن الله سمع تبتلك وخشوعك ، وهو يكون عين الناس ، وتكون يده فوق الجميع ويد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع » ثم ذكر نصا من سفر حبقوق على غير وجهه الصحيح ، ونقل نصا من سفر أشعياء — وهما سفران غير مقدسان عند اليهود السامريين — ثم ذكر النص على بركة اسـماعيل ، وانتقل الى الانجيل وذكر منه هذه العبارة : « أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط روح الحق الذى لا يتكلم من قبل نفسـه ، انما يقول كما يقال له » ورجع الى أسـفار الأنبياء فنقل نص الحجر فى نبوءة دانيال . وبعدها قال : « فهذه هى البشارات الواردة فى الكتب المتقدمة بمبعث رسولنا محمد ﷺ » وغيره زاد عليه قليلا على نفس طريقته ، وكرر النص الواحد وهو يظن المغايرة بين النصين .

وقد أعاننا الله وحده ١ — على ذكر النصوص كلها من كتاب موسى — الذى يقدسه أهل الكتاب كلهم — ٢ — ومن أسفار الأنبياء نقلنا النصوص التى اقتبسها كتاب الاناجيل . ٣ — ومن الاناجيل — التى يقدسها النصارى كلهم — ذكرنا وبسطنا وجهة نظرهم فى نصوص النبوءات . مما يصح بعده أن نقول : ان هذا الموضوع كما كتبناه صالح للالزام به وللاقناع به .

***

وقد جاء فى القرآن الكريم من الأدلة على نبوءة محمد ﷺ أنه مكتوب فى التوراة وفى الأنجيل. وفى قوله تعالى : « الذين يتبعون الرسـول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل »

ولهذا الذى هو مكتوب ، وجب على المسلمين بيان الأدلة وتفسيرها ليزداد الذين آمنوا ايمانا . وتفسير الأدلة يساعد أهل الكتاب على الفهم ، وعندئذ يسهل عليهم الدخول فى دين الاسلام . وهذا الوجوب على المسلمين على طريق فرض الكفاية ، لأن أهل الكتاب يكذبون القرآن فى قوله ان النبى مكتوب عنه فى التوراة وفى الانجيل . وتكذيب القرآن لا يرضى بــه المسلم . ولهذا أوصى المسلمين بأن يدرسوا هذا الموضوع فى معــاهد العلم ومدارسه ، وأوصى كل مسلم غيور على دينه أن يساعد غير المسلمين فى الفهم ، وأوصى الجامعات الاسلامية بنشر هذا الكتاب مترجما بلغات العالم . والله تعالى أعلم .

***

(تم الجزء الثانى من كتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل . وبتمامه تم الكتاب (١))

وكان الفراغ من تأليفه فى اليوم العاشر من شهر يوليه سنة ألف وتسعمائة وخمسة وسبعين من الميلاد .

د/ أحمد حجازى أحمد على السقا

عنوان المراسلات :

أ ــ ميت طريف مركز دكرنس دقهلية

ب ــ ٣٩ شارع الزهور عزبة مرسى ــ الزيتون ــ القاهرة .

---

(١) اقرأ بعده :
١ ــ اقتباسات كتاب الأناجيل من التوراة .
٢ ــ دفاع عن انجيل برنابا .

مصـــادر ومراجع

— القرآن الكريم :

— صحيح البخارى : طبعة دار الشعب بالقاهرة .

— تفسير الكشاف : مطبعة الحلبى بمصر سنة ١٩٤٨م .

— تفسير القرطبى : دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بمصر ١٩٦٧م .

— تفسير ابن كثير وبهامشه البغوى : مطبعة المنار بمصر سنة ١٣٤٧هـ .

— التفسير الكبير لفخر الدين الرازى : المطبعة الخيرية بمصر ١٣٠٨هـ .

— روح المعانى للامام الآلوسى البغدادى — المطبعة المنيرية بمصر .

— اعجاز القرآن — رد على كتاب الفن القصصى فى القرآن الكريم — نشر الانجلو المصرية ١٩٧٧ — أحمد حجازى السقا .

— القدس الخالد : الدكتور عبد الحميد زايد — الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٤م .

— تاريخ الرسل والملوك : الامام أبى جعفر محمد ابن جرير الطبرى — دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٩م .

— الفهرست لابن النديم .

— بيت المقدس فى الاسلام : علماء مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر — القاهرة سنة ١٩٦٩م .

— شمائل الرسول : الامام أبى الفداء اسماعيل ابن كثير — تحقيق الأستاذ مصطفى عبد الحميد — مطبعة الحلبى بمصر سنة ١٩٦٧م .

— عبقرية المسيح : الأستاذ عباس محمود العقاد — طبعة كتاب اليوم بمصر سنة ١٩٥٣م .

— المسيح عيسى بن مريم : الأستاذ جودة السحار — نهضة مصر سنة ١٩٥٨م .

— قصص الأنبياء للثعلبى .

— قصص الأنبياء : الاستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار — مؤسسة الحلبى بمصر سنة ١٩٦٦م .

— المسيح اله أم انسان ؟ : الأستاذ محمد مجدى مرجان (مسيحى أسلم) دار النهضة العربية سنة ١٩٧٠ م .

— الانجيل والصليب — عبد الأحد داود الآشورى العراقى (مسيحى أسلم) طبعة القاهرة سنة ١٣٥١هـ .

— المسيحية : الدكتور أحمد شلبى — طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٦٥م .

— اليهودية : الدكتور أحمد شلبى — طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٧٣م .

— التلمود والصهيونية : الدكتور اسعد رزق ، طبعة منظمة التحرير الفلسطينية — مركز الأبحاث سنة ١٩٧٠م .

- **The Babylonian Talmud,** Translated into English with Notes, Glossary and Indices under The Editorship of Rabbi Dr I. Epstein B.A., Ph. D., D. Lit., The Soncino Press London

- التوراة عرض وتحليل : الدكتور فؤاد حسنين على — مطبعة دار المستقبل بمصر سنة ١٩٤٦م .

- حاشية العلامة البنانى على شرح جمع الجوامع — المطبعة الأميرية سنة ١٢٨٥ هـ (دار الطباعة)

- السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة : الأستاذ الدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة ، الجزء الأول — دار الطباعة المحمدية

بالأزهر بالقاهرة سنة ١٩٧٠م ، والجزء الثانى : القاهرة الحديثة للطباعة سنة ١٩٧٣م .

- محصل أفكار المتقدمين — للامام فخر الدين الرازى — المطبعة الحسينية بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـ

- مجلة الأزهر : عدد مايو ١٩٧٣م .

- مروج الذهب ومعادن الجوهر — للمسعودي — طبعة مصر بتحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد .

- ثورة الاسلام وبطل الأنبياء : الأستاذ محمد لطفى جمعه — طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٨م .

- المنتخب الجليل فى تخجيل من حرف الانجيل : الشيخ أبى الفضل المالكى المسعودى — مطبعة التمدن بمصر سنة ١٣٢٢هـ .

- الفتاوى للشيخ محمود شلتوت — نشر دار القلم بالقاهرة .

- الفارق بين المخلوق والخالق . باجه حى زاده — مطبوعات الموسوعات بمصر .

- وعلى هامش الفارق : الاجوبة الفاخرة للامام القرافى .

- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح - للامام ابن تيمية الحرانى ، مطبعة المدنى بمصر .

- الاعلام بما فى دين النصارى من الفساد والاوهام - منسوب للقرطبى المفسر - مخطوط .

- على التوراة - للباجى الشافعى - مخطوط .

- الجواب النسيح لما لفقه عبد المسيح - لنعمان الآلوسى - مطبعة لاهور ، الجزء الاول والثانى .

- الفصل فى الملل والأهواء والنحل : الامام أبى محمد على بن حـزم الاندلسى الظاهرى المطبعة الاميرية بمصر ١٣١٧هـ .

- الملل والنحل للامام الشهرستانى . على هامش الفصل .

- الرد على ابن النغريلة اليهودى ورسائل أخرى لابن حزم : تحقيق الدكتور احسان عباس - نشر دار العروبة بمصر سنة ١٩٦٠م .

- السـيرة النبوية : الامام ابن كثير - طبعة القاهرة ١٩٦٤م .

- السيرة النبوية : الامام ابن هشام - طبعة القاهرة سنة ١٩٣٧م . بتحقيق الشيخ محمد محى الدين عبد الحميد .

- مطلع النور : الأستاذ عباس محمود العقاد - دار الهلال بمصر .

- تلخيص مجمع الآداب فى معجم الألقاب - ابن الفوطى - طبعة دمشق سنة ١٩٦٣م .

- الارتباط الزمنى والعقائدى بين الأنبياء والرسل : الدكتور محمد وصفى

— طبع المجلس الأعلى للشئون الاسلامية بالقاهرة سنة ١٩٦٥م .

— دروس اللغة العبرية : الأستاذ ربحى كمال — دار العلم للملايين — بيروت سنة ١٩٦٣م.

— أعلام النبوة : الامام أبو الحسن البصرى الماوردى — طبع ونشر مكتبة الكليات الأزهرية بمصر سنة ١٩٧١م .

— بذل المجهود فى افحام اليهود ، ومعه الرسالة السبيعية : شموئيل ابن يهوذا بن أيوب (يهودى أسلم) — تقديم الشيخ محمد احمد الشامى — مطبعة الفجالة الجديدة — بمصر .

— اظهار الحق : الشيخ رحمت الله بن خليل الرحمن الهندى — المطبعة الخيرية بمصر سنة ١٩٠٩م .

— التلمود شريعة اسرائيل : سلسلة كتب سياسية بمصر .

— حضارة الاسلام وأثرها فى الترقى العالمى — الأستاذ جلال مظهر — ، طبعة وزارة الاوقاف بمصر — ادارة التدريب ١٩٧٣م .

— الاسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير — الدكتور الشيخ محمد بن محمد أبو شهبة — مجمع البحوث الاسلامية — طبع الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية بالقاهرة سنة ١٩٧٣م .

— أدلة اليقين : الشيخ عبد الرحمن الجزيرى — مطبعة أسعد بشبرا مصر سنة ١٩٣٤م .

— دروس من ماضى التعليم وحاضره بالمسجد الحرام : الأستاذ عمر عبد الجبار — طبعة ممفيس بمصر — سنة ١٣٧٩ هـ

- الصهيونية والماسونية : الأستاذ / عبد الرحمن سامى عصمت ـ مطبعة رمسيس بالاسكندرية سنة ١٩٥٠م .

- مجلة منبر الاسلام .

- هداية الحيارى لابن قيم الجوزية ـ على هامش الفارق بين المخلوق والخالق .

- جريدة الأخبار ـ مصر .

- جريدة الأهرام ـ مصر .

***

- The Jerusalem Bible – Alexander – Jones – 1968 with Abridged introductions Darton, Longman & Todd

الكتاب المقدس : ترجمة البروتستانت طبع مصر سنة ١٩٧٠م .

- الكتاب المقدس : ترجمة الآباء اليسوعيين ـ (الكاثوليك) طبع بيروت ـ سنة ١٩٦٨م .

- التوراة السامرية ترجمة الصورى . وخط أبى البركات .

- التوراة بالخط العبرانى

NORMAN HENRY SNAITH, London, The British Foreign Bible Society

- تاريخ الاسرائيليين : شاهين بك مكاريوس ـ من النصارى ـ مطبعة المقتطف بمصر ١٩٠٤م .

- رحلة بنيامين : الرحالة الربى بنيامين بن يونة التطيلى النبارى الأندلسى (٥٦١ ـ ٥٦٩هـ) ترجمها عن الأصل العبرى وعلق حواشيها وكتب ملحقاتها عزرا حداد ـ طبع المطبعة الشرقية ببغداد ١٩٤٥م .

The Niv, Interlinear Hebrew English old Testament Volume 1 / Genesis – Deuteronomy, Edited by : John R. Kohlenbarger III, Zondervan, Publishing house Michigan.

— التاريخ مما تقدم عن الآباء رضى الله عنهم — ترتيب الشيخ أبى الفتح بن أبى الحسن السامرى — طبع جوتا بألمانيا ١٨٦٥م ولـه أصل ألمانى ومقدمة باللاتينية وملاحظات باللغة العبرية للمسيو ادوارد دلار .

— تاريخ يوسيفوس اليهودى : المطبعة العلمية فى بيروت — بدون تاريخ.

— تنقيح الأبحاث فى الملل الثلاث : سعد بن منصور بن كمونة الاسرائيلى البغدادى — عنى بنشره موسى بروكلمان — من مطبوعات جامعة كاليفورنيا سنة ١٩٦٧م .

— اليهودية : مراد فرج — مطبعة التوفيق بمصر ١٩٢٠ م

— الكنز المرصود فى قواعد التلمود — تأليف : روهلنج . وترجمة يوسف حنا .

— الكنز فى قواعد اللغة العبرية — محمد بدر — المطبعة التجارية بمصر سنة ١٩٢٦م .

— الأرجوزة الفارحية فى الوصايا الالهية : — الدكتور هلال الفارحى — مطبعة روبرتو موسكوفتش بمصر سنة ١٩١٤م .

— قصة عيد الفصح : جمعية الاخوان القرائين بمصر ١٩٤٥م — مطبعة أوليمبيا .

— نزهة المشتاق فى تاريخ يهود العراق : — يوسف رزق الله غنيمة — مطبعة الفرات ببغداد سنة ١٩٢٤م .

— التلمود أصله وتسلسله وآدابه : الدكتور شمعون يوسف مويال — مطبعة العرب — بالقاهرة سنة ١٩٠٩م .

— التلمود شريعة اسرائيل .

— دلالة الحائرين وتلخيص مناهج السائرين : تأليف موسى بن ميمون القرطبى الاندلسى — طبعة أنقرة ١٩٧٣ — تحقيق الدكتور حسين آتاى .

— فى الفكر اليهودى : عنى بجمعه وتنسيقه الدكتور ج. هـ. هرتس نقله الى العربية الدكتور الفريد يلوز — دار مجلتى للطباعة والنشر .

— رسالة فى اللاهوت والسياسة : سبينوزا — الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧١ م .

* * *

— حواشى على الكتاب المقدس للكاثوليك (الآباء اليسوعيين) فى نفس الكتاب المقدس للكاثوليك — طبعة بيروت سنة ١٩٦٨م .

The Apocryphal New Testament, Peing Tub Apocryphal Gospels, Acts Epistles, and Apocalypses, Oxford, At The Clarendon Press.

— الاناجيل الاربعة : ترجمة صبحى حموى ويوسف قوشاقجى — طبعة بيروت ١٩٧٠م .

— تراجم مختلفة للكتاب المقدس فى سنوات مختلفة ، مشار اليها فى هوامش الكتاب وفى أصله .

— قاموس الكتاب المقدس : جورج بوست — طبع فى بيروت — المطبعة الأمريكية سنة ١٩٠١م .

— قاموس الكتاب المقدس : الدكتور بطرس عبد الملك وآخرين — بيروت ١٩٦٤ .

- الأخـــلاقيات فى محيط الفكر والديانات — الدكتور عزت زكى — دار النشر والتأليف للكنيسة الأسقفية سنة ١٩٧٤م .

- Jacques de Veragine la legende Doree Traduite du Latin — Paris 1929.

- اليهودية العالمية من زمن ابراهيم الى العصر الحاضر دراسة وجمع رياض بارودى — دار الثقافة ببيروت .

- تاريخ الاقبـــاط : زكى شنوده — جمعية التوفيق القبطية بمصر ١٩٦٢م مطبعة فايقة محفوظ للتدريب المهنى .

- يسوع المسيح فى ناسوته وألوهيته : الدكتور هانى رزق — مطبعة النصر بشبرا سنة ١٩٧١م .

- دراسات فى الكتاب المقدس — سفر يشوع القس سدراك ابراهيم .

- أطلس الكتاب المقدس : رولى .

- ميزان الحـــق : لم يكتب اسم المؤلف على الكتاب . وقد نقل عنـــه صاحب اظهار الحق وصاحب ادلة اليقين من طبعات مختلفة . وقالا : ان اسمه القسيس : فندر — ورقم ايداعه فى دار الكتب المصرية ٩ — ٨٨ لاهوت .

- ايمانى . أو قضايا المسيحية الكبرى — الياس مقار — دار الثقافة المسيحية بمصر سنة ١٩٧٣م .

- انجيل برنابا فى ضوء التاريخ والعقل والدين : — القس عوض سمعان — نشر مكتبة المحبة . بالقاهرة ١٩٦٨م .

- تفسير انجيل متى : متى هنرى (من البروتستانت) ترجمة القس مرقس داود — طبع ونشر مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية بالقاهرة سنه ١٩٦٧م .

- تفسير انجيل لوقا : متى هنرى .

- تفسير انجيل لوقا : للقس الدكتورابراهيم سعيد .

- تفسير انجيل يوحنا : متى هنرى .

- تاريخ الارطقات مع دحضـــها المعنون انتصـــار الديانة : القديس الفونسوس ماريا دى ليكورى — ترجمه من الايطـــالية الخورى

يوسف الياس الدبس المارونى سنة ١٨٥٢م مطبعة الرهبنة اللبنانية فى دير سيدة طاميش فى مقاطعة كسروان ١٨٦٤م .

- المسيح فى جميع الكتب : أ. م. هودجكن — مطبعة النيل المسيحية — بيروت ١٩٧٢م .

- حيـــاة المســـيح : الدكتور فردريك . و. فارار — تعريب الدكتور جورجى يوسف عقداوى — مطبعة النيل بالمنصورة ١٩٤٩م .

- شرح سفر أعمال الرسل : الدكتور لورانس براون — نقله الى العربية حبيب سعد صدر عن جمعية نشر المعارف المسيحية .

- الكنز الجليل فى تفسير الانجيل (مبنى على آراء أفاضل اللاهوتيين)

الدكتور وليم أدى الاميريكانى — طبعة بيروت فى المطبعة الاميركانية سنة ١٨٩٠م .

— تفسير الكتاب المقدس : تأليف جماعة من اللاهوتيين برئاسة الدكتور فرنسس دافدسن — طبعة بيروت ١٩٦٣م .

A. Greek – English Lexicon, of the New Testament – and other Early Christian Literature A. translation and adaption of Walter Bauer's.

Griechisch – Deutsches Wörterbuch Zu den Schriften des Neuen Testaments und der übrigen urchristlichen Literatur.

Fourth Revised and Augmented Edition, 1952.

By Willamf ; Arndf and F. Wilbur Gingrich – The University of Chicago Press Chicago, Illinois – Cambridge At The University Press – 1957.

— انجيل برنابا : ترجمة عن الانجليزية الدكتور خليل سعاده — اللبنانى — وله مقدمة بقلم ناشره الشيخ السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار — مطبعة صبيح بالقاهرة ١٩٥٨م .

— تاريخ العرب المطول : الدكتور فيليب حتى والدكتور ادوارد جورجى والدكتور جبرائيل جبور — طبعة دار الكشاف للنشر والطباعة والتوزيع — بيروت ١٩٥٨م .

— دراسات فى الكتاب المقدس — إنجيل متى : الانبا اثناسيوس — (من الارثوذكس) لجنة التحرير والنشر بمطرانية بنى سويف مطبعة دار العالم العربى ١٩٧٢ بمصر .

— الكتاب المقدس — الأسفار القانونية التى حذفها البروتستانت : تقديم الدكتور مراد كامل والأستاذ يس منصور — مطبعة الكرنك بالاسكندرية

— الكنيسة المسيحية — الأنبا يواس — مطبعة دار العالم العربى سنة ١٩٧٠م .

قصة الحضارة : ول . ديورانت — الادارة الثقافية جامعة الدول العربية .

— مخطوطات البحر الميت وجزيرة قمران : الدكتور أسد رستم مؤرخ الكرسى البطريركى — هدية المسرة السنوية سنة ١٩٥٩م .

— ملكوت الله : القس الدكتور فهيم عزيز — المطبعة الفنية الحديثة ١٩٧٠م نشر دار الثقافة المسيحية بمصر .

Theological Dictionary of the New Testament, Ediled by Gerhard Friedrich, Translator and Editor, Geoffrey W. Bromiley, D. Litt., DD. Wm. B. Eerdmans Publishing Company, Grand Rapids, Michigan.

— مريم العذراء فى التاريخ والطقس والعقيدة : القس سيداروس عبد المسيح سيداروس — مطرانية كرسى المنوفية للاقباط الارثوذكس بشبين الكوم بمصر ١٩٧٣م .

— خلاصة الاصول الايمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية حبيب جرجس — الكتاب الثالث — طبعة وزارة المعارف بمصر سنة ١٩٢٩م بمطبعة عين شمس .

— نقد انجيل برنابا : يسى منصور — مكتبة المحبة بالقاهرة ١٩٧٣ .

— دراسات فى صور من حياة المسيح : الدكتور جورج ماثيسون —

تعريب عزت زكى — مطبعة النيل المسيحية بمصر ١٩٥٨م .

— المجيء الثانى للمسيح والأحداث العالمية القادمة : القس لبيب ميخائيل — المطبعة التجارية الحديثة بمصر ١٩٦٧م .

— مرشد الطالبين الى الكتاب المقدس الثمين — بدون مؤلف طبع فى بيروت فى المطبعة الاميركانية أولا سنة ١٨٦٩ ثم سادسة سنة ١٩٠٩م .

— التربية الدينية المسيحية : طبعة وزارة التربية والتعليم بمصر ١٩٧٣م.

— دورة روما الأولمبية ١٩٦٠ : أصدرته اللجنة الأولمبية القومية الايطالية ومنظمات صناعات السياحة القومية ورئاسة مجلس الوزراء البريطانى

— يوحنا المعمدان : الدكتور ف. ب. ماير تعريب القس مرقس داود — طبع ونشر مكتبة المحبة القبطية الارثوذكسية بالقاهرة ١٩٧٠م

— سفر التكوين باللغة المصرية العامة : طبع بنفقة الجمعية البريطانية والاجنبية لانتشار الكتب المقدسة سنة ١٩٤٩م .

— تاريخ التمدن الاسلامى : جورجى زيدان — طبعة دار الهلال بمصر

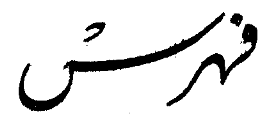
— الباراكليت الروح القدس فى حياة الناس : الأب متى المسكين — طبعة ١٩٧٣م — مطبعة دار العالم العربى .

— تعريب الاناجيل واعمال الرسل : الأب يوسف قوشاقجى — طبع بيروت بالمطبعة الكاثوليكية ١٩٦٤م .

— الروح القدس أو قوة من الأعالى : الدكتور أ. ب. سمبسون . نقله الى العربية يوسف اسطفان — مطبعة العاصمة — عمان .

— الآباء الرسوليون : عربه عن اليونانية : الياس معوض ١٩٧٠،منشورات النور بالاشتراك مع رابطة الدراسات اللاهوتية فى الشرق الأوسط .

— حياة المسيح : الفيلسوف الايطالى جيوفانى بابينى — ترجمه عن الانجليزية الارشمنديت انطونيوس بشير مطبعة العرب للبستانى بمصر سنة ١٩٢٩م .



فهرس الجزء الأول من كتاب

البشارة بنبى الاسلام

فى التوراة والانجيل

الموضـــــوع	الصفحة

الموضـــــوع الصفحة

الموضـــــوع	الصفحة
نص التوراة على بركة اسماعيل عليه السلام	١٠١
وجهة نظر علماء بنى اسرائيل فى	١٠٢
(أ) العهد المبرم بين الله وبين ابراهيم . بأن يسير هو وأبناؤه الصاحون ، من اسماعيل واسحق فقط فى دعوة الناس الى دين الله عز وجل .	
(ب) وفى البركة التى تدل على ١ ـ ملك ٢ ـ ونبوة فى نسـل اسـماعيل واسحق ـ عليهما السلام ـ .	
كاتب التوراة يضع نص « العهد » محتملا لعهد النبوة أو لعهد الختان	١٠٣
نص العهد	١٠٤
المسـيح عيسى عليه السـلام يوضح لتلاميذه بدليلين من التوراة أن بنى اسـماعيل غير محرومين من عهد النبوة .	١٠٦
ابن كمونة اليهودى العبرانى يرد على شموئيل بن يهوذا الذى أسلم فى قوله : ان ملاك الله لما بشر هاجر بقوله عن اسماعيل : « يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه »	
كان تبشـيره عن ملك فى نسله ونبوة	١٠٨
ردنا على ابن كمونة	١١٠
الرد على اليهود فى شخص « ابن كمونة » فى قولهم ان قول الله لهاجر عن اسماعيل « يده على كل واحد ، ويد كل واحد عليه » لا يدل على قيام ملك ونبوة فى آل اسماعيل .	١١٠
الامام القرطبى المفسر يحكى خلاف العلماء فى أن النبى محمدا ﷺ هل كان متعبدا بدين قبل الوحى أم لا ؟ . .	١١٥

الموضوع	الصفحة

الموضـــوع | الصفحة

الموضـــوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة

فى

تغيير القبلة

الموضـــــوع | صفحة

الموضـــــوع	صفحة
« بولس » من بعد رفع عيسى الى السماء ينادى فى اليهود بأن المسيا قد كان عيسى ، وما عرفوه	٣٤٣
نبوءة « ابن الله » فى المزمور الثانى لداود عليه السـلام هى نبوءة عن المسيا المنتظر	٣٤٥
تعليق شيخ الاسلام ابن تيمية رضى الله عنه على نبوءه « ابن الله »	٣٤٥
تعليق الامام القرافى رضى الله عنه على نبوءة « ابن الله » وبيانه : أن المراد بابن الله فى النبوءة هو محمد ﷺ . .	٣٤٥
« بولس » يطبق نبوءة « ابن الله » على عيسى عليه السلام .	٣٤٦
عيسى عليه السلام يطبق نبوءة « ابن الله » على محمد ﷺ .	٣٤٧
النصارى يجعلون عيسى « ابن الله » بمعنى الأقنوم الالهى الثانى	٣٤٩
مبالغة اليهود فى الكتابة عن المسيا المنتظر	٣٥١
وجهة نظر زعماء دولة اسرائيل فى المسيا	٣٦٠
المسيا أ ـــ النبى ب ـــ والكاهن ت ـــ والملك	٣٦٢
عيسى عليه السلام لم يصرح بأنه هو المسيا	٣٦٥
اليهود طبقا لرواية يوحنا لا يعتقدون أن عيسى هو المسيا	٣٦٦
القرآن الكريم يبين أن عيسى « مسيح » ولم يبين أنه « المسيح » الذى هو « المسـيا »	٣٦٨
من علماء علم مقارنة الأديان فى الغرب ، من يعترف بأن	

***

تم فهرس الجزء الأول من كتاب « البشـــارة بنبى الاســـلام فى التوراة والانجيل »

فهرست الجزء الثانى

من كتاب البشارة بنبى الاسلام فى التوراة والانجيل

الموضـــــوع | الصفحة

الموضـــــوع | الصفحة

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــــوع صفحة

الموضـــوع الصفحة

الموضــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تعقيب :

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة
العلامة الثانية : ظهور الأنبياء الكذبة	١٩٨
العلامة الثالثة : حروب تقوم بين الأمم	١٩٩
العلامة الرابعة : المجاعات والأوبئة والزلازل . .	٢٠١
العلامة الخامسة : الاضطهادات	٢٠٢
العلامة السادسة : تحريف الانجيل	٢٠٢
العلامة السابعة : انتشار الانجيل فى العالم . . .	٢٠٤
العلامة الثامنة : حدوث رجســـة خراب دانيال . .	٢٠٧
قول جبريل لدانيال : « ســـبعون أسبوعا قضيت على شعبك وعلى مدينتك المقدســـة » يحدد الســـنة التى ســـيولد فيها محمد ﷺ	٢١٠
المبحث الثانى : أوصـــاف أيام الضيق العظيم	**٢١٩**
(وهو يوم فتح المسلمين لبلاد الشام فى عهد عمر بن الخطاب)	
الوصف الأول : نجاة المختارين	٢٢٠
الوصف الثانى : هلاك الكافرين	٢٢٤
الوصف الثالث : هول القتال	٢٢٧
الوصف الرابع : بلاغ الدعوة	٢٢٩
الوصف الخامس حتمية المعركة	٢٣١
الوصف السادس : سرية المعركة	٢٣٣
المبحث الثالث : أوصاف نبى الاسلام ﷺ فى هذا الحديث .	**٢٣٦**
الوصف الأول : ملك	٢٣٨
الوصف الثانى : أتباعه أطهار	٢٣٩
الوصف الثالث : محارب منتصر	٢٣٩
الوصف الرابع : صاحب شريعة الهية	٢٣٩

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــــوع	صفحة
التقدير : « لم يقم بين المولدين من النساء أعظم من يوحنا المعمدان . ولكن الأصغر فى ملكوت الله أعظم منه » .	٣٤١
شرح النص	٣٤٢
وجهة نظر النصارى فى « الأصغر » أى خاتم النبيين . على رأيين :	٣٤٦
أولهما : أن الأصغر هو عيسى نفسه . وثانيهما : أنه هو رجل الدين النصرانى الذى يدعو بالانجيل	
الرد عليهم	٣٤٦
قصة الياس عليه السلام	٨
دعوة يوحنا المعمدان	
أولا : ملكوت السموات	٣٥٢
ثانيا : نص شهادته عن النبى الأمى	٣٥٤
ايلياء المزمع أن يأتى هو نبى الاسلام ﷺ	٣٦٦
ايليا = احمد ، بحساب الجمل فكلاهما = ٥٣ . . .	٣٦٧
اسم أحمد فى انجيل لوقا فى بشارة الملائكة للرعاة .	٣٦٨
الخاتمة والتوصية	٣٧٤
المراجع والمصـــادر	٤٠٠